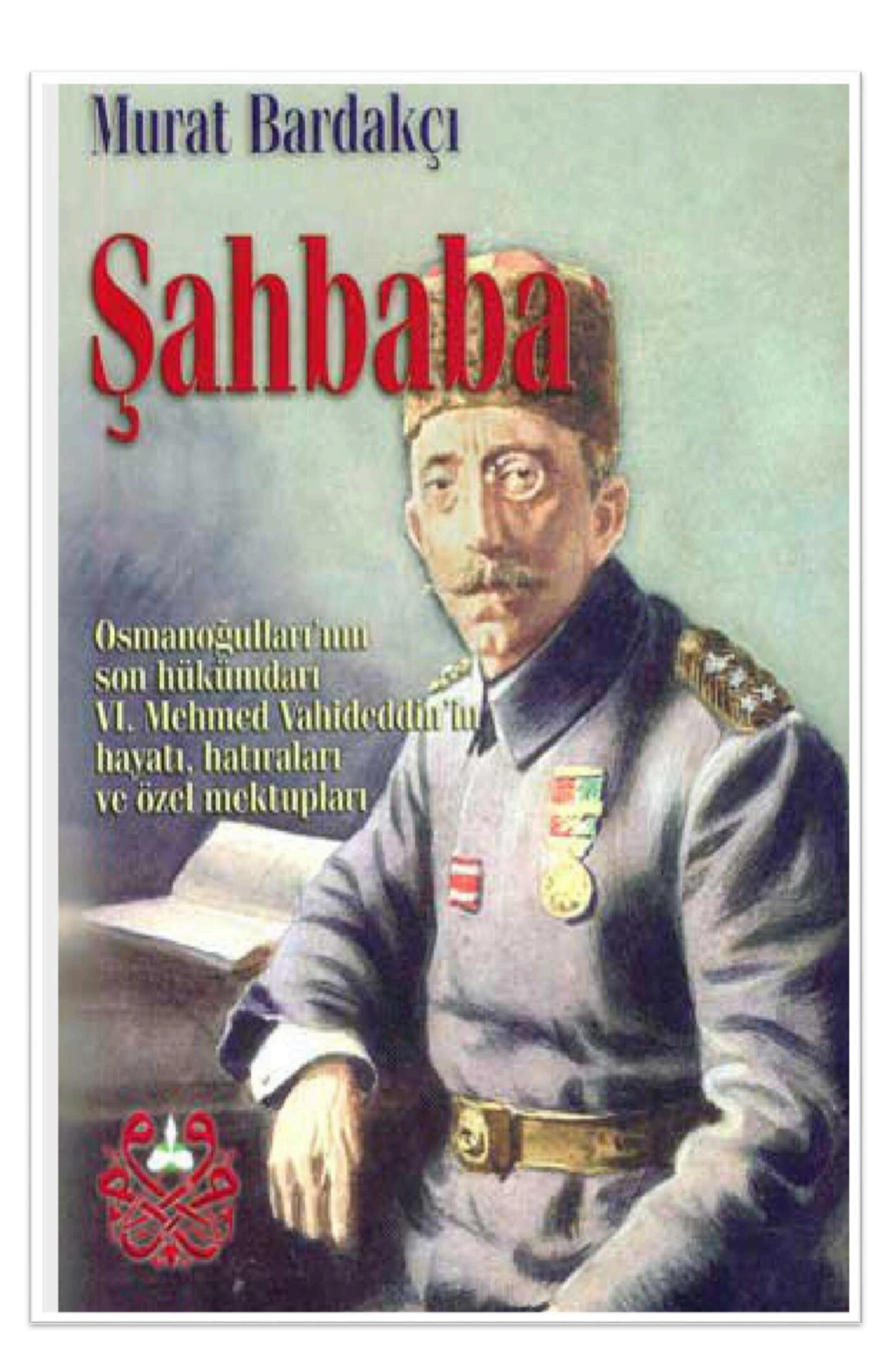
مذكرات السلطان العثماني
محمد وحيد الدين
آخر السلاطين العثمانيين
أنا وأتاتورك


Murat Bardakçı
Şahbaba
Osmanoğulları'nın
son hükümdarı
VI. Mehmed Vahideddin'in
hayatı, hatıraları
ve özel mektupları

الفهرس

أ. مِنْ مَنْ لمن؟ " الشخصيات العثمانية التي عاصرت السلطان محمد وحيد الدين"

لقد أردت من اختيار عنوان كتابي هذا باسم شاه بابا أن أصنع عنوانًا دراميًا يمثل الأحداث التي وقعت مع الشخصيات التي ستعرض من خلال ثنايا هذا الكتاب؛ كأنهم ممثلين في تسلسل درامي شيق. لقد عرضت في كتاب آخر لمذكرات وحياة آخر خليفة عثماني هو السلطان عبدالمجيد أفندي (استانبول 1868م- باريس 1944م)؛ وهو ابن السلطان عبدالعزيز وابن عم السلطان العثماني محمد وحيد. والفرق بينهما أن السلطان محمد وحيد الملقب بالسادس كان سلطانًا وخليفة في آنٍّ واحد؛ أما عبدالمجيد أفندي كان خليفة فقط. وعبدالمجيد أفندي كان ولي عهده عمر فاروق أفندي وأخو درٌّ الشهور سلطان؛ والذي توفى في منفاه. أما علي خيري بك بن كاريمان (استانبول 1889م- 1968م) كان صهر السلطان محمد وحيد؛ حيث تزوج من علوية سلطان ابنة السلطان محمد وحيد الكبرى من زوجته الثانية. كذلك من شخصيات هذا الزمان عوني باشا الذي ولد في باطوم ? 188 م إلى وفاته في الجنوب عام 1930م؛ وكان يعمل ناظرًا للبحرية في عهد السلطان محمد وحيد وكبير حرس التشريفات السلطانية. وعندما بدأت حركة الأناضول قام صهر السلطان محمد وحيد؛ فريد باشا بدعمها لذلك ابتعد عن القصر. ثم من بعد نصر 30 أغسطس ذهب إلى رومانيا؛ فجلس عامين في مدينة قوسطنجة. وقد أخذ معه 150 قائمة من دفاتر القوائم الخاصة بعهد السلطان محمد وحيد. ولقد دعاه السلطان محمد وحيد للعودة إلى استانبول؛ لكنه فضل العبور إلى رومانيا. وكان من آواخر الناس الذين وجدوا إلى جوار السلطان محمد وحيد الدين.

بعد وفاة السلطان محمد وحيد الدين اتجه فريد باشا إلى إيطاليا؛ ومن إيطاليا ذهب إلى لبنان واستقر بها إلى أن توفى على ساحل لبنان في القصبة الجنوبية في عام 1930م. وكذلك كان من رجالات عهد السلطان محمد وحيد وزير الحربية شاكر باشا بن عوني باشا؛ وهو المؤسس لطرق الامدادات الحربية في مدينة سامسون؛ وكان من أصدقاء مصطفى كمال باشا المقربين.

أما در الشهور سلطان (استانبول 1914م) كانت ابنة الخليفة عبدالمجيد أفندي؛ وهي أخت ولي العهد عمر الفاروق أفندي صهر السلطان محمد وحيد. ولقد تزوج ابن حيدر آباد نظامي عثمان جهان المسمى أعظم جاه من أخت عمر الفاروق؛ ومازالت عائلته إلى اليوم تعيش في لندن ويحملون لقب الأمير. أما أمينة نازك ضاه قادين أفندي (سخم 1866م- القاهرة 1944م) هي زوجة السلطان محمد وحيد الدين الأولى؛ وأم كلاً من علوية وصبيحة سلطان بنات السلطان محمد وحيد الدين؛ وقد تم نفيها إلى مصر وتوفت هناك. ومن ناحية أخرى نجد أرطغرل أفندي (استانبول 1912م- القاهرة 1944م) الابن الوحيد الذكر للسلطان محمد وحيد. وفي أثناء النفي للعائلة العثمانية أُخذ أرطغرل أفندي من جانب عائلته بالقوة وكان هو الشخص الوحيد

الذي أصر النفاة عليه ألا يذهب مع عائلته العثمانية للنفي خارج استانبول. ثم دعيوه فيما بعد إلى مباراة تنس؛ وفي أثناء المبارة شعر بعدم الراحة وتألم كثيرًا وبعد بضعة ساعات أسلم الروح إلى بارئها.

كذلك نجد من رجالات هذه الفترة الصهر فريد باشا (استانبول 1854م- 1923م) كان من أشهر الصدور العظام (رؤساء الوزراء) الذين حكموا في عهد محمد وحيد. ولقد تزوج فريد باشا أخت الحكمدار الكبرى مديحة سلطان؛ غير أنه لم ينجب منها. وبعد احتلال استانبول حاول أن ينقذ المدينة غير أنه قبض عليه. ونفي إلى نيجا Nice؛ وفي تاريخ 6 أكتوبر 1923م توفى في منفاه.

أما خان زاده سلطان (زهرة خان زادة بنت إبراهيم عثمان) (استانبول 1923م- باريس 1998/3/19م) حفيدة السلطان محمد وحيد؛ وهي الأخت الوسطى لعمر الفاروق أفندي ولي العهد وابنة صبيحة سلطان. وقد تزوجت خان زاده سلطان في مصر من الأمير محمد علي إبراهيم (محمد علي الصغير) من الأسرة العلوية؛ وذلك في القاهرة بتاريخ 1900م واستمر زواجهم حتى انتهائه في باريس 1977م.

ومن نساء هذا العصر حمرية هانم سلطان (سعدي حمرية أوز باش) (استانبول 1917م – كوش أضه سي "جزيرة الطير" 2000م) حفيدة السلطان محمد وحيد من ابنته علوية سلطان. وهي أول أحفاد السلطان واشتهرت بأوز باش نسبة لزوجها خليل أوز باش 1918م.

أما إسماعيل حقي بك "أوقطاي" (أثينا 1881م- استانبول 1977م) فهو ابن الصدر الأعظم توفيق باشا وصهر السلطان محمد وحيد؛ حيث تزوج ابنة السلطان الكبرى علوية سلطان 1916م وفي عام 1920م طلق زوجته علوية سلطان وتزوج بعد ذلك مرة أخرى من فرحون هانم أخت نظلي آجاويد وخالة بولانت آجاويد. وإسماعيل حقي بك هو أبو حمرية هانم سلطان. ومن نساء العائلة العثمانية مديحة سلطان (استانبول 1856م- مان تون 1928م) ابنة الخليفة عبدالمجيد أفندي. وكانت تكبر السلطان محمد وحيد بخمس سنوات وكانت مثل أخته الكبرى. وأول أزواجها نجيب باشا وبعد وفاته تزوجت بفريد باشا. وكانت سبباً في علو مراتبه ووظائفه الكبرى في الدولة العثمانية. وقد توفت في جنوب فرنسا بعد النفي.

أما نجلا سلطان (ابنة هبة الله عمر عثمان) (نيجا 1926م) حفيدة السلطان محمد وحيد وهي الابنة الصغرى لصبيحة سلطان من زوجها ولي العهد عمر الفاروق أفندي. ونجلا سلطان قد تزوجت من الأمير المصري عمر إبراهيم في الفترة من 1903م- 1977م. وحاليًا تعيش أسرتهم في لوزان. ونجد من نساء هذا الزمان نصيل شاه سلطان (فاطمة نصيل شاه ابنة عثمان) (استانبول 1921م) حفيدة السلطان محمد وحيد وهي الابنة الكبرى لصبيحة سلطان من زوجها عمر الفاروق أفندي. ولقد تزوجت نصيل شاه سلطان من

ابن خديوي مصر العثماني الأخير الأمير عبد المؤمن بن عباس حلمي الثاني في مدينة الأسكندرية (1899م- استانبول 1979م). وحاليًا تعيش أسرتهم في استانبول.

كذلك من مشاهير هذا الزمان نوزت هانم (استانبول 1902م- استانبول ? 199 م) آخر زوجات السلطان محمد وحيد. وقبيل وفاة السلطان محمد وحيد عادت إلى تركيا وتزوجت من صياد وغيرت اسمها.

أما عمر الفاروق أفندي (استانبول 1898م- القاهرة 1969م) ابن الخليفة عبدالمجيد أفندي والأخ الأكبر لدر الشهور سلطان وصهر السلطان محمد وحيد. ففي عام 1920م تزوج من صبيحة سلطان ابنة السلطان محمد وحيد الدين. وفي عام 1948م طلقها في القاهرة. وهو أب لثلاث بنات منها وهم على الترتيب نصيل شاه وخان زاده ونجلا سلطان. وقد توفى في القاهرة بعد النفي. وقد تم نقل رفاته إلى استانبول في شهر مارس من عام 1977م؛ ودفنت رفاته في قبر السلطان محمد.

ومن شخصيات هذا العهد رشاد باشا (استانبول ؟؟ 18م- سان رامو 1924م) الطبيب الخاص بالسلطان محمد وحيد ورئيس أطباء القصر السلطاني وأقرب المقربين إلى السلطان. ولقد غادر تركيا مع السلطان محمد وحيد في نفس السفينة التي أقلتهم إلى المنفى. ثم بعد ذلك انتقل إلى سان رامو ومكث بها.

أما صبيحة سلطان (رقية صبيحة ابنة عثمان) (استانبول 1894م- استانبول 1971م) هي الابنة الصغرى للسلطان محمد وحيد ولقد تزوجت من ابن الخليفة عبدالمجيد أفندي ولي العهد عمر الفاروق أفندي ثم انفصلت عنه. ولقد أنجبت منه ثلاثة بنات سبقت الإشارة إليهن.

ومن رجالات هذا العهد سامي بك (استانبول 1880م- 1961م) وهو ابن أخت السلطان محمد وحيد الدين. فأمه مديحة سلطان أنجبته من زوجها الأول نجيب باشا ثم تربى في رعاية زوج أمه فريد باشا والذي عامله معاملة خاصة. ولقد كان سامي بك من كاتمي أسرار السلطان محمد وحيد الدين.

أما توفيق باشا (استانبول 1845م- استانبول 1936م) فهو آخر الصدور العظام بالإمبراطورية العثمانية؛ ولقد تزوج ابنه إسماعيل حقي بك من الابنة الكبرى للسلطان محمد وحيد، علوية سلطان ثم انفصل عنها. وعلوية سلطان (فاطمة علوية ابنة كاريمان) (استانبول 1892م- إزمير 1967م) الابنة الكبرى للسلطان محمد وحيد الدين؛ ولقد تزوجها إسماعيل حقي بك بن الصدر الأعظم توفيق باشا ثم انفصل عنها ثم تزوجت من علي حيدر ابن كاريمان؛ لهذا اشتهرت بلقب كاريمان. وعلوية سلطان أم الأميرة حمرية هانم سلطان (أوز باش).

أما زكي بك (أضه بازاريه " سوق الجزيرة" ? 188م – نيجا 1930م) لقد استمر أربع سنوات من بعد زواجه إلى جوار السلطان محمد وحيد حتى عام 1909م؛ حيث انفصل عن زوجته وتزوج مرة أخرى بزوجة ثانية تعرف باسم إنشراح هانم أغا بك. ولقد انفصل زكي بك عن السلطان محمد وحيد في استانبول؛ وذلك بعد النفي. ولقد اشتبه فيه بإيطاليا بمدينة سرت تابيب بتهمة رشاد باشا؛ بيد أن السلطات الإيطالية قد برأته من هذه الجريمة ثم عاد إلى تركيا. وبتركيا توجهت له تهمة أفضت إلى الحكم باعدامه؛ بيد أنه اختفى في ظروف غامضة. ثم عثر على جثته بمدينة نيجا في بيت عمر الفاروق أفندي صهر السلطان محمد وحيد؛ وتبين أنه قد انتحر خنقًا بأنبوب غاز.

ب.المقدمة

" لقد نهضت في وجه الفاجعة والواقع المؤلم قبل وقوع الكارثة لمنعها؛ ولكني وجدتُ أن كل المصائب ألصقت بي وحدي. ولقد عملت كل ما في وسعي وضحيت بنفسي من أجل انقاذ الوطن" .

من مذكرات السلطان

محمد وحيد الدين أفندي

(محمد السادس)

إن السلطان الوالد كان وحيدًا تماماً بين صفحات التاريخ الإنساني. لقد كان من الصعب عليه اتخاذ القرارات في تلك الظروف الحرجة. وكان يحاول الموازنة بين الأمور المختلفة؛ لكي يستطيع أن يتخذ القرار المناسب. بيد أنه مع الأسف لم يقدر له أحد هذا الجميل وتجرأ من تجرأ على إعلان آخر سلطان عثماني من أبناء آل عثمان السلطان محمد وحيد الدين خائنًا. لقد بحثت بين أوراق التاريخ وبين مذكرات أحفاد السلطان وحيد الدين رغبة مني في إظهار الحقائق المتعلقة بهذا السلطان. لهذا لم أجد أفضل من اسم **شاه بابا "السلطان الوالد"** ليكون عنوانًا لهذا الكتاب.

صاحب التاج الذي كان سريعًا ما يأمر وينهى. الحاكم المطلق أصبح وحيدًا وليس بيده من الحكم شئ. لقد بحثنا من خلال هذه الدراسة في عمق المسألة التي يمكن من خلالها أن نجمع الأقوال المتفرقة ممن حول السلطان وحيد الدين ومعاصروه وأن نوازن ونقارن بينها ونستنطقها؛ كي نستخرج من أقوالهم الحقائق المخفية عن حقبة ذاك السلطان.

حسنًا السؤال الذي يطرح نفسه هنا: هل لم يعد للسلطان محمد وحيد الدين خلال تلك الحقبة صديق مخلص على الإطلاق؟!

الجواب: إن أول أصدقاء السلطان وحيد الدين التي عاصرت تلك الحقبة العصيبة معه وشاهدة عليها هي صبيحة سلطان ابنة السلطان وحيد الدين. والتي كتبت في مذكراتها قائلة:

" إن والدي كأنه خلق وحيدًا وكان شديد التواضع. وأما محيطه من الأصدقاء فكان ضيقًا جدًا. ولم يكن له صديق بمعنى الصديق على الإطلاق. وكان قليل الثقة فيمن حوله. إلا إذا استثنينا بعض الخلصاء".

إن عودة السلطان السياسي الفعلي إلى يد السلطان وحيد الدين كان أيضًا في فترة كان هو فيها وحيدًا. لقد كان دائمًا ما يكون في الظروف العصيبة وحده؛ كما كان أيضًا في النهاية وحده. لقد كان يرى أن كل من كانوا حوله كانوا يتخلون عنه وقت الشدة. وهم في الحقيقة لا يتخلون عنه فقط؛ بل يتخلون عن الدولة أيضًا. لهذا كان لا يثق في أحد إلا بنفسه. لأجل هذا علينا عند تحقيق الأحداث التي مرت بالسلطان محمد وحيد الدين أن ننظر إلى أغلبها بعين إدراكية واحدة لا تفرق بين وحيد الدين الأمير ولي العهد؛ والسلطان في القصر؛ والمعزول في المنفى. لأنه من البديهي عند تحليل شخصيته وعصره أن ينظر إليه من هذا الجانب. لهذا أعتمدنا في تحقيق هذه النقاط على رسائل السلطان وحيد الدين التي كان يرسلها لمن حوله من المقربين أو التي كانت تأتيه. ونضيف عليها الخطابات التي كتبها بعد الإنكسار. وبخاصة في الفترة التي كان فيها وحيدًا اثر الإنقلاب عليه. والتي فقد فيها الأمل في استرداد ما ضاع سواء ما ضاع في بطئ شديد من الوطن أو فقدان العائلة والعرش من ناحية أخرى أو الشروط الأتاتوركية التي سلم على أساسها. وهو يتحدث عن هذه الأمور في رسائله بالتفصيل.

لقد أخذ تحقيق تاريخ السلطان محمد وحيد الدين منذ سبعين سنة وأكثر مناقشات ومهاترات كثيرة. مثل كثير من المناقشات والمهاترات التي سوف تحدث بسبب البحث في هذا الموضوع. لقد كانت السنوات الأربعة الأخيرة من حياة السلطان محمد وحيد الدين في المنفى عبارة عن يأسٍ بلا أمل. وهو يعيش مرارة العزل والمنفى. وهو يرى أثناء مراجعته لنفسه أن الخطأ من حياته الشخصية نتج عنه بعض الأخطاء السياسية التي ترتب عليها أن يلقب بالسلطان المارق. لهذا قمنا بتحقيق الآراء المختلفة حول هذا السلطان في هذا الكتاب. مع ذكر كثير من المناقشات التي دارت حول هذا السلطان من خلال بعض النقاط التي دونت عن عصره وبعض الرسائل والمذكرات غير المكتملة.

لأجل هذا قمت بانشاء قلعتي البحثية؛ وعلى هذا الأساس اشتركت في البحث عن حقيقة هذا السلطان. طارحًا خلال بحثي عن حقيقته عدة أسئلة: هل كان السلطان وحيد الدين بالفعل خائنًا أم محبًا للوطن؟! ولماذا ترك وطنه؟! وبماذا كان يعتقد في مصطفى كمال أتاتورك؟! وكيف كان يقيم وينظر إلى حرب الإستقلال؟! إن مثل هذه الأسئلة التي مازالت تطرح بين الحين والآخر؛ سوف تطرح باستمرار؛ لذا لقد حاولت الإجابة عليها في كتابي هذا.

قبل بضعة سنوات قمت باصدار كتاب بعنوان **نهاية العثمانيين.** ولقد كتبت في مقدمة هذا الكتاب: " **لقد حققت في هذا الكتاب الصفات التي تميز بها السلاطين العثمانيين الآواخر وعائلاتهم. وكيف تمزقوا؟! وأين ذهبوا. وأتبعت في دراستي تلك أسلوبان عند التحقيق".** هذا الأسلوبان اللذان أجبرت عليهما؛ فإما المدافعة المطلقة حتى عنان السماء أو عرض الحقيقة الموضوعية؛ حتى وإن كانت مرة وثقيلة. وهذا الأسلوب الأخير كنت اكتب به بلا أمل. لأنني أعرف قدر المعارضة. لقد رأيت أن هذا القرار الذي أتخذته عند تحقيق مثل هذه الأمور. وليس هذا الأسلوب خاصًا بي فقط. بل خاصًا بكل الشرقيين عند مناقشة مثل هذه الموضوعات الحساسة؛ لأنه من عادات الشرقيين.

"ويـــل للـمغـلـــوب!!"

هذه الجملة كانت الدستور الذي تم التعامل به مع السلطان محمد وحيد الدين. لأن المغلوب؛ عليه أن يكون بين عين المنتصر وأعين أمته هو الخائن. فهناك قسم من الباحثين من زاوية عين الخيانة يدرسون السلطان محمد وحيد الدين وعصره. فبالرغم من أنه تولى حكم السلطنة العثمانية في الأيام الأخيرة من الحرب العالمية الأولى. إلا أنه تحمل كل نتائج وتبعات هذه الحرب وحده؛ كأنها كانت تصب صبًا فوق رأسه. وهناك بعض الباحثين يخالفون الباحثين السابقين فينظرون إلى السلطان وحيد الدين على أنه المهندس الفعلي لحرب الإستقلال وأكبر من أحب هذا الوطن. لهذا يحزن هذا الفريق من الدارسين لأجل السلطان وحيد الدين ويدفعون عنه كل ما ألصق به من إفتراء. ويرون أنه كان مظلومًا.

حقيقة لا يوجد في أي زمان شخصٌ أفتريَ عليه ولم ينسب إليه النصر الذي حققه مثل السلطان وحيد الدين. لأجل ذلك قمت بتحقيق هذا الكتاب. وبينت أن الإدعاء بأن السلطان محمد وحيد الدين خائنًا ليس له أساس من الصحة. وأنا هنا لا أبرئ ساحة السلطان محمد وحيد الدين فقط بل أبرئ أيضًا أبنائه وأحفاده من تلك التهمة. فعلى مدار عصور التاريخ العثماني المختلفة لم يوجد من بين السلاطين العثمانيين من هو خائن.

وأنا من المؤمنين بذلك. لهذا رأيت بأنه من الديموقراطية أن يتم تحقيق التاريخ الملكي لدولتنا. من باب أن الله سبحانه صاحب الملك يعطي الملك لمن يشاء وينزعه ممن يشاء.[1] وهذا التصور موجودٌ في ثقافتنا. فالملك الصادق لا يخون. لقد كان تاريخ السلطان محمد وحيد الدين مهملاً لسنوات عديدة بلا سبب. وفي ذلك يقول الأستاذ رؤوف أولباي Rauf Olbay **:" إذا وجدت أمة ما؛ فأعلم بأنها تحتاج إلى راعي".** وأنا أيضًا أؤمن بنفس هذا المعنى؛ لأنه المنطق السليم. فأمة بلا قائد يسوسوها ويقودها بين الأمم؛ ستكون سلبية الإرادة؛ وليس لها وجود في الواقع الفعلي بين الأمم.

السلطان محمد وحيد الدين ربما أتخذ بعض القرارات السياسية الخاطئة؛ حتى أن بعضها كان كارثي؛ إلا أنه لم يفعل ذلك من باب الخيانة على الإطلاق. لهذا يجب أن نطرح سؤالاً: " لماذا منذ أكثر من ستين عامًا أو يزيد بين السياسيين لا يوجد قاعدة فكرية مشتركة بينهم في الحكم على السلطان محمد وحيد الدين؟!" للإجابة على هذا السؤال نستعين بمذكرات ابن السلطان وحيد الدين الأميرة صبيحة سلطان حيث قالت: **" إن والدي كان يتبع سياسة أخيه الأكبر السلطان عبدالحميد الثاني في التعامل بأسلوب الموازنة واللعب على أوطار الخلاف بين الإنجليز والفرنسيين. لذا كان صديقًا للإنجليز في نفس الوقت الذي كان فيه قريبًا من الفرنسيين. أو كما يقول السلطان عبدالحميد الثاني عن تلك السياسة: " لقد مكثت على التخت ما يزيد عن ثلاثون عامًا. والدولة العثمانية في حالة ضعف. والكل ينتظر موتها؛ لإقتسام أملاكها! فلم يكن أمامي سوى اللعب على أوتار الخلاف بين أعداء الدولة؛ كي لا يمزقوها. وهكذا أنقذت الدولة من الإنهيار خلال مدة حكمي". بيد أن رجال الإتحاد والترقي اللذين يرفضون الإستماع لأحد أو الإستشارة من أحد جعلوا الدولة العثمانية بدون أصدقاء في حرب البلقان العامة. ودخلوا الحرب العالمية الأولى إلى جوار ألمانيا؛ ولكن ليسوا كشركاء لألمانيا؛ بل كمحققين لأطماعها. أليس هذا عارًا؟! بأن ندخل الحرب ليس لأجل مصالحنا؛ بل لأجل تحقيق مصالح أعداؤنا. وكان والدي وحيد الدين لهذا يتبع سياسة أخيه الأكبر السلطان عبد الحميد الثاني من اللعب بأوراق الخلاف بين الإنجليز والفرنسيين. بيد أنه عندما أنزلوه من على العرش انتهت خطته من اللعب بنقاط الخلاف بين أعداء الدولة... وذلك لأن السياسة الداخلية غيب أبي عنها قصرًا. وأما السياسة الخارجية في العلاقات مع الإنجليز تم افسادها عمدًا؛ ثم غيب أبي عنها أيضًا**

[1] يقصد هنا الكاتب قوله تعالى: " قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ (٢٦)"؛ سورة آل عمران.

قصرًا. ولم يعد بامكانه تلافي ما وقع في الدولة من قبل الإتحاديين! اللذين يتهمون والدي بأنه لم يستطع إنقاذ الدولة في هذا الزمان القصير".

هذه الإفادة نقلت من مذكرات الصدور العظام القدماء على ما دونه الأستاذ سعاد خيري أروغوبلو Suat Hayri Ürgüplü في الفترة من 1968-1969م؛ نقلاً من مذكرات الأميرة صبيحة سلطان. ويمكن الرجوع إلى هذه الوثيقة وغيرها من الأرشيف تحت رقم (25).

عند كتابتي لهذا الكتاب لم أجد دراسة جدية حقيقية تناولت عهد السلطان محمد وحيد الدين بإنصاف أو مقالة علمية كانت تدرس عهده بموضوعية؛ غير دراسة واحدة ألا وهي كتاب الأستاذ طارق ممتاز فقط؛ وخارج هذه الدراسة لا يوجد دراسة حقيقية عن عهد السلطان محمد وحيد الدين. وكانت آخر دراسة عن عهد السلطان محمد وحيد الدين الدراسة التي أعدها نجيب فاضل نشر دار قصا كوراك Kısa Kürek Yayınevi تحت عنوان: **" السلطان محمد وحيد الدين محب الوطن وصديقه؛ ليس بخائن".** ومما يذكر للأهمية أنه قبل طباعة كتاب نجيب فاضل ذهب إلى ابنة السلطان وحيد الدين الأميرة صبيحة سلطان لمراجعة كتابه للأهمية؛ غير أنه قد استفاد من ملاحظات الصدور العظام المدونة في مفكرة الأستاذ سعاد خيري أروغوبلو Suat Hayri Ürgüplü والتي استفدنا نحن أيضاً منها. ولعل أهم ما دون عن السلطان محمد وحيد الدين وعصره ما دونه الباحث طارق ممتاز والذي أخذ مذكرات صهر السلطان وحيد الدين فريد باشا منه شخصيًا عام 1987م. وأجرى مع فريد باشا حوارًا دونه في كتابه. ولقد أُخرجتْ هذه الدراسة في مجلدين تحت عنوان: **"غاية السلطان محمد وحيد الدين من الهدنة"** و**" حياة السلطان محمد وحيد الدين في جهنم الغربة".** وبالرغم من أهمية هذه المصادر عن عصر السلطان محمد وحيد الدين؛ إلا أن هناك مصادر أخرى غاية في الأهمية وصادقة عن عصره لم تحقق بعد؛ وهذا ما قمت به من خلال دراستي في هذا الكتاب.

في السنوات الأخيرة في تركيا توجد معركة بين التاريخ الرسمي وغير الرسمي؛ بدأ يظهر تأثيرها في المناقشات العلمية. ففي التاريخ الرسمي غلبة الأيديولوجية الفكرية في المقالات والأبحاث العلمية عند تناول عصر محمد وحيد الدين؛ حتى صار التهجم والتهكم على السلطان وحيد الدين هو الحقيقة المطلقة. بيد أن التاريخ غير الرسمي مختلف عن التاريخ الرسمي. وهو الذي يعتمد على وثائق العصر ويحللها في اثبات الحقائق عبر المقارنة والنقد والتحليل المنطقي؛ هذه المنهجية في تحقيق التاريخ هي التي يفتقدها التاريخ الرسمي؛ لهذا نجد التاريخ الرسمي يترك الموضوعية عند تحقيق تاريخ السلطان محمد وحيد الدين.

وهذا الذي جعلنا لا نستطيع الثقة في التاريخ الرسمي بماهيته الحالية. وجعلنا نبحث خلف الحقائق في التاريخ غير الرسمي. فهم يقومون في التاريخ الرسمي بعمل مقارنات ومضاربات عجيبة فيقولون مثلاً:

" السلطان الجيد العظيم محمد الفاتح؛ والسلطان السيء عبدالحميد الثاني"؛ ويجعلون قاعدة المقارنة على هذا الأساس **" السلطان الأمين الجيد؛ والسلطان السيء الخائن"**؛ وعلى هذا أساس هذه القاعدة يفتقرون إلى قاعدة التحقيق؛ القائمة على أساس تقييم الإنسان من كافة جوانبه السلبية والإيجابية؛ مع الإنصاف بموضوعية. لهذا اللذين يريدون منا بعد أن ننظر إلى هذا الزمان نظرة احتقار دون تحقيق وتبيان لما حدث فيه عن بينة وحقيقة ملموسة؛ إنما يهدفون إلى قطع صلتنا بتاريخ العثمانيين. لأجل ذلك نقول لهم: **" إن نظرتكم هذه خاطئة؛ لأنه لا يوجد أمة على ظهر البسيطة؛ تستطيع أن تقطع علاقاتها بتاريخها. فكل ما أنتجه الأجداد منسوب إليها".** لأجل ذلك فهذا الكتاب يتبع في التحقيق منهجية التاريخ غير الرسمي؛ الذي يعتمد على الحقائق المجردة فقط لا غير. ولهذا سيجد من يقرأ هذا الكتاب أن هدف الكتاب ليس الحكم على شخص ما بأنه سيء أو جيد أو للدفاع عن شخص ما وتجريم شخص آخر؛ بل إن هدف الكتاب استثارة ذهن القراء للبحث عن الحقيقة؛ عبر المقارنة والنقد والتحليل بين الأدلة بموضوعية تامة؛ وهذا منهج الكتاب في التحقيق للوصول للحقائق.

إن إنهاء المناقشات بشأن عصر السلطان محمد وحيد الدين عبر عرض الحقيقة المطلقة؛ يحتم علينا الكشف عن بعض الوثائق التي أسدل عليها الستار؛ ولم يعتمد عليها حتى الآن عند تحقيق تاريخ السلطان محمد وحيد الدين. لهذا قمت بوضع وثائق تتحدث في أمور مازالت محل نقاش من عهد السلطان محمد وحيد الدين؛ ليغلق فيها هذا الباب؛ وشرحت في التوثيق لبعض النقاط التي أشارت إليها هذه الوثائق بالتفصيل؛ مما جعل هذا الكتاب يسبب صدمة بكل المقاييس للبعض. لقد كنت أحاول ألا أدخل مجال البحث والمناقشة في هذا الموضوع الشائك الخاص **بشاه بابا " السلطان الوالد"** في الفترة الممتدة ما بين 1918- 1922م؛ وكنت أضرب عن التعمق فيها؛ غير أنني وجدت نفسي أدخل فيها وأدون الأحداث بالأيام؛ فكتابي ليس فقط لأجل تقييم التاريخ التركي خلال هذه المرحلة؛ بقدر ما هو انصاف لهذا السلطان؛ فغرض عملي إظهار الحقيقة ورفع العار الذي ألحق بهذا السلطان عبر تحقيق أعمال السلطان محمد وحيد الدين بالأدلة فقط؛ وكان ذاك عملي بهذه الدراسة. ولقد رأيت بأنه من اللائق أيضًا دراسة حياة السلطان وحيد الدين كذلك في المنفى. لقد كانت حياة السلطان وحيد الدين على الرغم من قصرها بمنفاه بسان ريمو بإيطاليا محاطة بسياج يمنع التعرف عليها؛ حتى أصبحت سريتها كخيال بالنسبة للبعض. إن سنوات حياة السلطان محمد وحيد الدين في المنفى نظرًا لإنعدام الدراسة حولها؛ وجهل الكثيرين بها جعلني ألقي عليها الضوء من خلال كتابي هذا.

إن مذكرات السلطان محمد وحيد الدين ومذكرات عائلته بالمنفى معه والتي لم تدرس من قبل قد ألقيت عليها الضوء لأول مرة في كتابي هذا. حتى الرسائل المتبادلة بين السلطان وحيد الدين ومصطفى

كمال أتاتورك أثناء الحرب على جبهة مدينة سامسون Samsun[2] جعلتها رأس هذه الرسائل التي تحققت منها. إن فتح دراسة هذا الموضوع من خلال وثائق سامسون Samsun قد يؤدي إلى تغيير جذري في تاريخنا المتعارف عليه اليوم.

وفي النهاية القرارالأخير سيكون للقراء اللذين سيتعرفون على حقيقة هذا السلطان العثماني الأخير من خلال ما كتبته وعبر عرض وثائق عهده وتحليلها وتقييمها؛ مما يفتح عين القراء على أمور لم تبحث من قبل. إن حياة السلطان محمد وحيد الدين في أغلب أيامها لم تكن سعيدة على الإطلاق ولا حياة ابنائه وأحفاده من بعده كذلك. حتى بعد مرور سبعين عامًا على وفاته إلا أن أحفاده م زالوا يتعرضون للتنمر والإتهام بسببه. مما دفعني عند تحقيق حياة السلطان محمد وحيد الدين وعصره أن أحقق حياة الأشخاص اللذين أثروا فيه وفي عصره. وفي البيئة المحيطة به وبعائلته. وأقاربه وأصدقائه وأعوانه. ولقد نقلت من خلال ملاحظاتهم ومذكراتهم كل ما يرتبط بتوضيح بعض الأمور والحوادث المبهمة في تاريخ السلطان وحيد الدين؛ لهذا قمت بنقل نصوص كثيرة من مذكراتهم والتعليق عليها؛ وذلك لتكون الفائدة من التحقيق لهذه الفترة نتائجها صحيحة الإستنتاجات.

إن الوثائق المعروضة في هذا الكتاب لم يسبق من قبل عرضها؛ وهي تنشر لأول مرة؛ ولم يسبق نشرها. لقد أستطعت عند تعقب عصر السلطان محمد وحيد الدين لأول مرة أن أحصل على أرشيفه الخاص ومن أرشيف مذكرات بعض أفراد عائلته المقربين على مئات الوثائق التي ساعدتني على فهم هذه الفترة.

والآن أنا أريد أن أعطي مقدمة سريعة عن عدة نقاط عن الأرشيف الخاص بالسلطان محمد وحيد الدين:

مع الأسف كثير من أوراق أرشيف السلطان محمد وحيد الدين ناقصة وغير تامة؛ وبعضها لم يصلنا إلى اليوم. والسبب في ضياع مثل هذه الوثائق الهامة الإهمال الذي تعرض له أرشيف السلطان محمد وحيد الدين وأوراقه. وأول امحاء لمثل هذه المذكرات والوثائق المرتبطة بعصر السلطان محمد وحيد الدين ما ذكره السلطان نفسه وما دونته ابنته صبيحة سلطان في المنفى بسان ريمو بتاريخ 11 يونيو 1923م في مذكراتها حيث كتبت تقول: **" إنه عند أول خروجي من استانبول قمت بمحو كثير من الأوراق الهامة المرتبطة بعصر والدي".** ومما يصعب الأمر أكثر ما ذكره سامي بك ابن الأخت الكبرى للسلطان وحيد الدين الأميرة مديحة سلطان بأنه قام مع والدته بحرق ما دونه السلطان وحيد الدين بمقاطعة فيلا نوبال Villa

[2] مدينة سامسون Samsun مدينة ساحلية بشمال الأناضول مطلة على البحر الأسود؛ المترجم.

Nobel [3] في مدفئة الحطب؛ ولقد دونت كذلك مديحة سلطان نفس حادثة حرق مذكرات السلطان محمد وحيد الدين في مذكراتها.

ويمكن ايضاح سبب هذا الإمحاء في نقطتين رئيسيتين:

1- أن السلطان محمد وحيد الدين أراد بهذا المحو المحافظة على حياة بعض أصدقائه الذين مازالوا يعيشون داخل استانبول؛ كي لا يقعوا في يد الكماليين.

2- ما قاله السلطان وحيد الدين في أحدى خواطره: **" لم يتبق شئ للبكاء عليه؛ يجب علي ألا أنظر للخلف"؛** هكذا كانت حالة السلطان وحيد الدين النفسية في أيامه الأخيرة. لهذا لم يصلنا من مذكراته سوى نصفها بسبب حالته النفسية هذه. غير أن هناك قسم من مذكراته تم المحافظة عليها عبر بعض أفراد عائلته؛ بخاصة بعد عام 1926م؛ ومع الأسف لم يصل لأرشيف الجمهورية التركية شئ من هذه المذكرات.

لقد ذهب السلطان محمد وحيد من قبل إلى عدة بلاد فذهب إلى إيطاليا ومنها إلى فرنسا ومنها انتقل إلى مصر.[4] وفي مرة توقف في سويسرا ثم بعد ذلك شوهد في فرنسا. إن أحفاد السلطان محمد وحيد الدين على مدار ما يقرب من سبعين عامًا كانوا صامتين. فلا يعقبون بأي تعليق عن ما ينسب إلى أجدادهم من جرائم؛ ولا يدخلون في مثل هذه المناقشات. لقد استمر بحثي في أرشيف أحفاد السلطان وحيد الدين سنوات عدة. حتى أن أحفاد السلطان وحيد الدين كانوا يرفضون نشر الأوراق الخاصة به؛ حتى قبلوا بنشرها في أكتوبر من عام 1993م.

وهذا الكتاب ليس عمل آكاديمي بالمعنى العلمي المتعارف عليه. ولكنه خلاصة انتاج رؤية صحفية لهذا العصر؛ من خلال تحقيق الأرشيف الخاص بالسلطان محمد وحيد الدين وأقاربه وأصدقائه. وكذلك لقد اعتمدت على الأرشيف الرسمي عند تحقيق هذا العمل.

وبهذه المناسبة يجب علي أن أضيف إضافة هامة ألا وهي:

من بين ملايين الأوراق التي توجد في الأرشيف العثماني التابع لرئاسة الوزراء؛ لم أستطع العثور على وثيقة سياسية واحدة مفيدة تخص عصر السلطان محمد وحيد الدين. فقد ما وجدته وثائق خاصة بتقليد

---

[3] مقاطعة فيلا نوبال Villa Nobel احدى مقاطعات مدينة سان ريمو San Romi بشمال غرب إيطاليا، المترجم.

[4] مما يذكر في كتب التاريخ المصري المتعارف عليها أن السلطان وحيد الدين حاول الذهاب إلى مصر ونقل دار الخلافة للقاهرة إلا أن الإنجليز منعوا باخرته من الرسوا على شاطئ الأسكندرية؛ لهذا لم يستطع أن يدخل إلى مصر؛ ولا أعرف من أين أتى الكاتب بحادثة زيارة السلطان محمد وحيد الدين لمصر؛ ربما كان يقصد محاولته الدخول إلى مصر. الله وأعلم بقصد الكاتب، المترجم.

النياشين "القلادات" للأمراء والوزراء. ووثائق الإحتفال بجلوسه على العرش. ووثيقة ميلاده. ووثائق الإحتفال بالمواليد في عهده. والبرتوكول الخامس والعاشر. أما الجزء الخاص بعصره السياسي ووثائقه؛ فلا يعلم أحد أين ذهبت وثائقه حتى كتابة هذا الكتاب. وبسبب هذا التاريخ المنقوص عن عهد السلطان محمد وحيد الدين السياسي والنتائج المخزية التي توصلنا لها من البحث في الأرشيف العثماني التابع لرئاسة الوزراء أريد أن أقول بعض الكلمات: **" عيب وعار وذنب".**

لهذا أتوجه بالشكر لكل من السلطان محمد وحيد الدين والوالدة صبيحة سلطان اللذان أخفى بعض الوثائق الهامة لعشرات السنين؛ كأنها آمانات مقدسة لديهم؛ والتي أتيح لي الإطلاع عليها وتحقيقها والإعتماد عليها في كتابي هذا؛ وهذا جميل أعجز عن شكره. ولا يمكن أن ننسى المصور الذي كان في باريس بمنطقة باسي Passy والذي كنت أذهب إلى محل التصوير الخاص به بعد الظهر لأجلس معه بالساعات؛ ليحكي لي عن السلطان محمد وحيد الدين وعائلته وكيف كانت حياتهم في باريس؛ بيد أن الأجل لم يمهله لكي يراى كتابي هذا بعد نشره؛ وسوف أتذكره وأتذكر حديثه دائمًا.

وفي نفس الوقت علي أن أتوجه بالشكر لنصلي شاه سلطان Naslişah Sultan حفيدة السلطان وحيد الدين التي نتج عن صحبتها عدة سنوات أن أمددتني بالكثير من المعلومات القيمة التي دعمت ظهور هذا الكتاب عبر شرح علاقات السلطان وحيد الدين بأقاربه من عائلته وبالوثائق المتعددة والمرقمة على الترتيب وبالصور. ولا أنسى أن أتوجه بالشكر لحميراء هانم سلطان Hümeyra Hanım Sultan حفيدة السلطان محمد وحيد الدين في سان ريمو "أوزباشي" والتي أمدتني بالصور والوثائق الخاص بحياة السلطان وعائلته أثناء تواجدهم بمنفى سان ريمو؛ وكيف كانوا يتجرعون مرارة النفي والإحتقار على مدار سنوات النفي والإبعاد والإقامة في فندق قسمت Kısmet Oteli بسان ريمو San Remo. لهذا كان المجلد الأول عن كيفية وفاة السلطان محمد وحيد الدين؛ والمغامرة التي حدثت لأجل دفنه. ولقد طبع هذا المجلد تحت اسم **"الباقي من الحكاية"-Kalanların Romanı** ؛ ولقد تناولت في الفصل الثاني من هذا الكتاب أحفاد السلطان وأطفاله المقربين منه وحياتهم وحياة أحفادهم حتى وقتنا الحاضر.

وهكذا فهذا الكتاب لا يتناول حياة السلطان محمد وحيد الدين وحده بل يتناول أيضًا حياة عائلته وسيرتهم. مثل ابنة السلطان وحيد الدين الأميرة صبيحة سلطان التي قالت: **" إن مثل حكايتنا كحكاية خيالية. كنا نعيش في هدوء وسكينة. ولا يوجد في رؤوسنا ما نفكر فيه؛ فيعكر كدر صفوتنا؛ حتى حدثت العاصفة. وأنقلب كل شئ في حياتنا رأسًا على عقب".** لأجل التاريخ لقد شرحت حياتهم المليئة بالمعاناة. الآن سنعطي الكلمة للرجل الوحيد الباقي في القصر شاه بابا " السلطان الوالد".

مراد بردقجي

باريس- استانبول

نوفمبر 1993- مارس 1998م

جـ - التمهيد

لم يتبق الكثير على النفي. لم يتبق سوى بضعة دقائق. السفينة بدأت بالتحرك عندما رفع الهلب. وبدأت استانبول تغيب عنه؛ وهو ينظر إلى كلتا قدميه في حزنٍ شديد. وكم تمنى أن تقف الباخرة ليقلي على مدينته السلام الأخير. في كل يوم تولد الشمس من جديد. ولكن هذه المرة لن يسمع هذا الرجل صوت مدينته المعتاد على سماعها. وبدا له ويكأن شريط حياته يمحى ولم يتبق منه سوى مشاهد سينمائية في الذاكرة. وبدأت تتساقط القطرات من كلتا عينيه. وبدأ يراجع نفسه ويحاسبها. ويكأن 61 عاماً من عمره صار سرابًا. لم يعد باستطاعته العودة إلى مدينته؛ ولم يعد بيده أن يراها مرة أخرى.

بعد ذلك بدأ المطر في الهطول؛ كأنه يبكي على ساحل مرمرة؛ بل كأن استانبول كلها تبكي؛ تبكي لأجل هذا الرجل؛ إنه السلطان محمد السادس وحيد الدين بن السلطان عبدالمجيد خان. لقد أخرج من استانبول بتاريخ 17 نوفمبر 1922م. في الصباح التالي قد شاخت عينيه عم سبق. ولقد قام رفعت باشا صديق السلطان وحيد الدين بتسليم مدينة استانبول إلى حكومة أنقرة. ورفعت باشا هو الرجل الذي ساهم في اقناع السلطان محمد وحيد للخروج من استانبول؛ حيث قال له: **" يا معالي السلطان عليك بالخروج فلم يتبق لك أصدقاء مخلصون من الباشاوات؛ لأجل ذلك عليك أن تخرج؛ لكي تحفظ الدماء من أن تصبح أنهارًا في استانبول. فهل تحدث الباشاوات الآخرين معه مثلما تحدثت بالأيام وبأشكال وبطرق عدة؟! فإن خروجك يا معالي السلطان من عاصمة الخلافة؛ لا يعني تركك لعرشك؛ ولكن يعني أنك تذهب ذهابًا مؤقتًا ثم تعود وتكون في هذه المدة قد توصلت لطريقة لاسترداد عرشك. فهل تستطيع تحمل فعل ذلك؟!". هنا يقول السلطان محمد وحيد:" الآن كان طريق الخروج يعني إلقاء كافة العصور السابقة وسنواتها؛ لقد أصبحت استانبول فجأة في هذا العصر قصورها مظلمة. وعاشت أيامًا حالكة السواد محت أيامها الذهبية".**

ج.أ.على السرير رجل مريض

من مذكرات جودت باشا:**" لقد أعطنا الحق سبحانه وتعالى فرص عديدة في سنوات كثيرة؛ لكن ياله الخسارة لم نستغلها على الوجه المطلوب و...ولقد تشبثنا بأسباب الفناء والهلاك. ولم نستطع في هذه الأيام أن نستيقظ من غفلتنا. لقد كنا مثل الغرباء وذهبنا إلى الطريق ولم يأت لنا بدليل ليرشدنا"**.

في 1 يوليو 1839م توفى السلطان محمود الثاني. ولقد بدأت حركة الإنقلاب داخل الدولة العثمانية منذ عمه السلطان سليم الثالث وقباقجي مصطفى مرورًا به؛ لقد دعموا حركة التغريب داخل الدولة وكانت بداية التغيير في شكل تشكيلات سلاح المدفعية؛ وعندما اعتلى العرش العثماني الابن الأكبر للسلطان؛

عبدالمجيد وحتى خروجه من العرش لم يحدث تغيير كبير على مدار 16 عاماً من حكمه في جميع أنحاء السلطنة؛ بل على العكس منذ ذلك الوقت بدأت حركة التغيير في الدولة العثمانية من الداخل بلا توقف. ولم يعد أولياء العهود يفكرون كما كان يفكر من سبقهم؛ وبخاصة السلطان عبدالمجيد العثماني. ولم يعد الأمر كما كان في السابق في جعل أولياء العهود يمكثون في حبسٍ مرفه داخل أجنحة قصر طوبقابي سراي "قصر باب المدفعية"؛ ولا يستطيعون الخروج إلا مع الشماشرجي.[5] ولم يعد تعليم أولياء العهود داخل السراي السلطانية كالسابق. فنجد من أوائل الأمراء الذين صاروا من السلاطين فيما بعد الأمير عبدالعزيز خان؛ فإنه عندما كان شابًا تمرد على حياة القصور وبدأ في التعليم خارج منظومة السراي السلطانية مخالفًا ما كان في السابق من نظم التعليم للأمراء. لقد كان يشعر بالراحة من أجل ذلك وشارك في الأعمال التطوعية خارج السراي؛ لهذا لما تولى عبدالعزيز خان السلطنة فيما بعد ترك أبناؤه وأولياء عهوده من أبناء أخيه الأكبر يعيشون كيفما يشاؤون؛ وترك لهم مطلق الحرية في ذلك الأمر.

في عام 1839م تولى السلطان عبدالمجيد العرش وبدأ في الخروج على أسس السلطنة العثمانية التي ألتزم بها سابقوه؛ لم يكن وضع السلطنة في عهده في علو ورفعة كالسابق. فالدولة تحتاج إلى معرفة ما يدور حولها في الخارج. ولا تحتاج أن تقتصر فقط على ما يدور داخل القصر السلطاني من أحداث. لقد بدأ الباشوات يأكل بعضهم بعضًا. حتى أن الخزينة السلطانية صارت في أيدي نساء القصر واتجهنا إلى الإصراف والتبذير من الخزينة السلطانية بلا رادع لهن. حتى أنه كان باستانبول أربع قصور ضخمة قاموا بالإضافة إليهم بانشاء العديد من القصور الأخرى عليهم. بل في بعض الأحيان كانوا يهدمون القصور القديمة الخاصة بهم لأجل إنشاء قصور جديدة أفخم. وقاموا بعمل بوابة جديدة لقصر جالاتا سراي؛ وخططوا أمامها ساحة للركد.

في الربع الأول من عام 1800م كانت الحياة في استانبول مرتكزة على الجهاد؛ فكان الناس يعرفون كتب الحساب؛ وكانت أرجل الناس تتعب من كثرة السعي في الأرض "لأجل العمل"؛ بينما كان أولياء العهود يعيشون في قفص ذهبي خلف جدران القصور؛ لم تكن الناس ليخرجن إلى الخارج كثيرًا؛ ولا يوجد أي احتكاك بين الرجال أو النساء الأجانب على الإطلاق؛ كانت نساء القصور السلطانية لا يبذرون أو ينفقون خارج النطاق المعقول. ولكن عندما كان يذهب البعض إلى مصر ويعودون منها إلى استانبول أغنياء؛ بدأت العادات في المدن تتغير وتخرج عن السيطرة؛ وبدأ هذا الانقلاب في طبائع الناس ببعدهم عن العادات الإسلامية إلا في الشكل قبل عهد والي مصر عباس حلمي الأول؛ فقد بدا هذا الأمر منذ عهد جده محمد على

[5] الشماشرجي؛ المسؤول عن أحوال السلاطين أو الأمراء وملابسهم، المترجم.

باشا؛ فنجد أن ابنة محمد علي باشا زينب هانم عندما أتت إلى استانبول أتت بعادات مختلفة. من الملاحظ في هذه الفترة في مصر أن العادات والتقاليد بدأت تختلف عن سابقتها سواء كان ذلك على مستوى الأمراء والأميرات أو على مستوى الباشاوات والوكلاء أو على المستوى العام للنساء في مصر. وبدأت مظاهر الإصراف تظهر في مصر وبدا الإهتمام بشراء القصور وبخاصة القصور الضخمة. وكذلك الإهتمام بشراء أفخم أنواع الأثاث الغالي لأجل فرش هذه القصور. ومنذ ذلك العهد بدأت نساء استانبول تعشق الحياة المصرية الجديدة. وبدأن يريدن تقليد حكام مصر من أسرة محمد علي باشا في شراء القصور الفخمة والعيش داخلها دون أن يشعروا بما يدور خارج هذه القصور. وبدأ كثير من الأميرات العثمانيات يتشوقن لزيارة مصر. وتم تعين وكيل الوكلاء للإنفاق على متطلبات نساء القصور العثمانية. وبدأ السلاطين العثمانيين في الخضوع لأوامر نساء القصور في تنظيم البرتوكول الخاص بكل قصر. وبدأ وكيل الوكلاء من النساء في الإنفاق ببزخ زائد على هذه الأنواع الجديدة من المراسم التنظيمية "البرتوكول"؛ مما نتج عنه زيادة الإنفاق الزائد عن الحد كأمر واقع إلزامي.

وبدأت حياة الإصراف والبزخ تؤثر على ميزانية الدولة بشكل رئيس. وبسبب المصاريف الثانوية الزائدة التي لم تكن الدولة في حاجة إليها أو العائلة العثمانية الحاكمة؛ بدأت الأمور تخرج عن السيطرة في المالية العامة للدولة؛ فالإنفاق للأمراء والأميرات والباشاوات فاق الحد المتصور. وبدأ منذ ذلك العهد بسبب مخصصات الإنفاق للقصور السلطانية أن ظهرت عادة جديدة لدى السلاطين العثمانيين؛ ألا وهي عادة الإقتراض من الخارج بديون ذات فوائد عالية؛ وللأسف الشديد غابت في هذه الفترة كتب الحساب الخاصة بتدوين هذه الديون؛ وفيما أنفقت؟! وما سعر الفائدة الخارجية عليها؟! ولكننا نعثر أحيانًا على بعض الوصولات الدائنة التي يمكن أن تساعدنا في شرح هذا الوضع. فنجد أنه على كل 100 ألف قرش لشراء أثاث للقصور يدفع نقدًا 50 ألف قرش ويكتب سندات بالباقي حوالي 250 ألف قرش يعني: سعر الأثاث السلطاني للقصور 100 ألف قرش وقيمة السداد الفورية عند الشراء منها 50 ألف قرش. وقيمة سعر الربا على الـ50 ألف قرش المؤجل 200 ألف قرش مع حساب المؤجل من ثمن الشراء إلى سعر الربا فتكون بذلك قيمة السندات 250 ألف قرش مؤجلة بالربا؛ أي أنه على كل 100 ألف قرش ربا 200 ألف قرش؛ فبذلك يكون مجموع ما دفع لشراء الأثاث السلطاني للقصور 300 ألف قرش (50 ألف مدفوع + 50 ألف مؤجل + 200 ألف فائدة ربوية = 300 ألف قرش) هكذا كانت تلعب دور الأثاث الأجنبية عند التعامل مع السراي.

لقد بلغت قيمة مصرف السراي السلطاني من الأثاث وغيره دون وجه حق على مدار ثلاث سنوات ثلاثة ملايين قرش. ولم يكن أحدًا قادرًا على جمح حركة الإصراف التي بدأت منذ عهد السلطان عبدالمجيد العثماني؛ سوى أمه الوالدة سلطانة ناظمي علم Nazmi Alem Valide sultan ؛ غير أن الوالدة سلطانة باظمي علم لم تعش لترى الإصراف الذي وقع بعدها من الوالدات للسلاطين والأمراء والأميرات وزوجات السلاطين. لقد رحلت عن الدنيا وبدأت بعد رحيلها عجلة الصرف والتبذير بلا توقف. لقد توفيت في عام 1853م وهو العام الذي بدأت فيه مناقشة أول دين من الخارج للدولة العثمانية. وبرحيلها لم يعد هناك من ضابط ورابط لحركة إصراف نساء القصور السلطانية. ولكن لم يقع عاتق الصرف والإصراف على نساء القصور السلطانية وحدهن فقط؛ بل شاركهم في ذلك الرجال وكل حاشية السلطان؛ ولكن بنسب متفاوته حسب مناسبهم.

وبدأ النساء والأمراء في شراء القصور الفخمة وقصور الإستراحة والحدائق والبساتين وطاولات الطعام الفخمة للزائريين. وبدأت النساء في تغيير فرش الأثاث على التوالي؛ بدون سبب؛ وبخاصة مقاعد قاعات الإستقبال للزائريين. وفي كل يوم يوضع طعام مختلف عن السابق أو اللاحق؛ والمعالق والشوك من أغلى ما يكون. واصبحت عادة تغيير فرش أثاث القصور في عاصمة الدولة "استانبول" من العادات الرئيسة لدى نساء الطبقة الحاكمة. وبدأت حياة اخرى لنساء القصور تختلف عن حياتهن في الماضي. ويرجع السبب الرئيس في ذلك إلى ضعف السلاطين أمام النساء؛ بالذات داخل القصور السلطانية. وسنضرب مثالاً صغيرًا لإيضاح ذلك: لقد قام السلطان العثماني عبدالمجيد خان بعمل أرض خاصة لمائدة الطعام التي يأتي إليه فيها الزائريين من الخارج. وكانت الدولة العثمانية لأول مرة في تاريخها تخصص أرضًا لمثل هذا الأمر.

لقد بدأت عادات الدولة العثمانية تفسد منذ عهد السلطان عبدالمجيد خان. فعندما عاد أخو قيصر الروس قسطنطين من زيارته للقدس إلى استانبول؛ قام السلطان عبد المجيد الأول بدعوته إلى القصر الصغير على مائدة أعدت خصصيًا للأمير الروسي على شكل طائر ثم أهداها إياه بعد الطعام. في الحقيقة إن والد السلطان عبدالمجيد السلطان محمود خان عند زيارة أخو إمبراطور النمسا إلى استانبول قام بدعوته إلى القصر السلطاني إلا أنه لم يجلس معه على نفس مائدة الطعام؛ وفي ذلك يقول السلطان عبدالمجيد خان:

" أنني أثناء زيارتي لأوروبا دعوني إلى ما يسمى عندهم بقصر الزيارات في المناسبات؛ لقد دخلت كثيرًا من قصورهم. وكانوا يتركون موائد الطعام هذية للضيوف. فقولت في نفسي من بعد الآن كل من يزورني سأترك لك له مائدة الطعام التي أعدت له". لقد كان الأمر على غير ذلك في الدولة العثمانية قبل عهد

عبدالمجيد خان. فالضيف سواء جلس معه السلطان على نفس المائدة أم لم يجلس لايهم سواء كان ذلك لدى الزائر أو لدى السلطان.

ج.ب. جنون "هستريا" الإنشاءات

في عام 1858م بسبب كثرة اصراف وتبذير نساء القصر السلطاني؛ عجزت المخصصات السلطانية أن تستوفي الديون التي بلغت 1.5 مليون قرش. لقد بلغت قيمة ديون نساء القصر السلطاني وحدهن من شراء الألبسة والأثاث والتحف الفاخرة قيمة تكلفة الإنفاق على إعداد الجيش الرومي في إيطاليا. لقد أصبح في كل جهة من جهات استانبول وفي كل أرض وناحية منها قصر عثماني جديد شاهق الإرتفاع. فمثلاً عند إنشاء قصور إكليل الجبل " اهلامور" وقبل الإنتهاء من الإنشاءات احتاجوا إلى الأخشاب لإستكمال عمل قصور الاهلامور الجديدة؛ فقاموا لأجل ذلك بهدم قصر جيراغان لأخذ الأخشاب منه؛ وقبل أن تنتهي فعاليات الإنشاء في هذه القصور قامت نظارة الإنشاءات ببناء قصر "جوق صو" أي قصر ماء السماء؛ وفي أثناء زواج أدهم ومحمد باشا من رفيعة وجميلة هانم؛ قام هذان الباشايان بانشاء قصرين جديدين لهما. كذلك قامت عديلة سلطان في نفس الفترة بهدم قصرها وإعادة إنشائه من جديد؛ كذلك قامت فاطمة سلطان بانشاء القصر الشتوي لنفسها ايضًا.

لقد كانت مسؤلية الإنشاءات في الدولة تخضع أول الأمر للإشراف المباشر للسلطان العثماني ثم انتقلت مع الزمن إلى يد الصدور العظام والذين أكتسبوا هذا الحق؛ كأنه حق الطعام لديهم. فمثلاً الصدر الأعظم علي باشا قال له السلطان عبدالمجيد خان ذات مرة:" **لدي فضول أن أنشئ قصر لي وللسلاطين من بعدي".** فأجابه الصدر الأعظم علي باشا: **"إن شاء الله بعد ضبط وضع الخزينة المالية؛ وضبط مدخالاتها؛ نقوم بانشاء هذا القصر؛ أما الآن فتوجد مشكلة مالية في خزينة الدولة"؛** مما أغضب السلطان عبدالمجيد خان منه؛ لذا أمر في اليوم التالي بعزله من الصدارة العظمى وتعيين مصطفى رشيد باشا مرة أخرى صدرًا أعظم.

لم يكن الخطأ لدى الصدور العظام بل كان الخطأ في حركة عجلة التبذير والديون التي لا تنتهي؛ لقد وصل الحال إلى أنه لم يتبق في الخزينة لمعاش الباشاوات خمسة قروش. حتى أنه عند تجديد السور الهمايوني وعمل مولد الطهور لأبناء السلاطين والأمراء والباشاوات؛ ومحاولة عمل الهدايا لأجل هذه الموالد؛ لم يكن في خزينة الدولة أي مليم؛ مما أفسد مثل هذه الإحتفالات. حتى أن قيمة تجار المجوهرات لم تعد موجودة لدى المجتمع بسبب كثرة الإقتراض منهم وعدم السداد لهم؛ مما أوقف تجارتهم في الذهب والحلي. حتى أن

السلطان عبدالمجيد خان عندما طلب من الجواهرجية الأموال وعجزوا عن اقراضه؛ عفى عنهم؛ لأنه يعرف وضعهم المالي الصعب.

لقد أدت مصروفات القصور السلطانية ومخصصات السلطان والتبذير الفاحش الذي وقع فيه نساء القصور السلطانية إلى عدم وجود ميزانية لمصاريف الدولة؛ مما دفع السلطان العثماني إلى الخروج غاضبًا من قصوره. لقد حُذرَ السلطان من قبل من *خطورة* هذا الإصراف. حتى أن ابنة السلطان عبدالمجيد خان منيرة سلطان عندما أرادت الخروج مع صديقاتها أرسلت إلى والدها تطلب المال؛ فأرسل إليها قائلاً:**" إذا كان العقل له مكان في تصرفاتكن؛ لما حدث كل هذا التبذير؛ والتقدير للأمور غاب عنكن؛ وغلبتكن العادة".** حتى أن السلطان عبدالمجيد أعاد أشياءًا بقيمة 20 ألف قرش من الأثاث ليوفر لدخل السراي السلطانية.

مع الزمن أعلنت الخزينة السلطانية الإفلاس. لقد بلغت مصروفات وديون القصر السلطاني وحده ثلاثة ملايين قرش؛ ولقد تركت الخزينة فارغة و خاوية على عروشها. حتى أن الدولة عجزت عن سداد مرتبات موظفيها؛ حتى وصل سعر كل دينار مجيدي من الذهب بسعر 160 قرشًا من النحاس؛ وبدأت الدولة العثمانية تعلن افلاسها؛ مما دفع القصر السلطاني لكي يغطي مصاريفه إلى أن يقترض من التجار والجواهرجية ديون بقيمة 45% ربا من الداخل. لقد غاب الفرح عن الناس وضاعت حقوقهم؛ وكان سبب ذلك تولى الظالمين حكم البلاد والعباد. وبدات سفارات الإنجليز والفرنسيين والنمساويين في إرسال مندوبيها إلى السلطان لإقراضه بدون أي امضاء من قبلهم. في ذلك الوقت أرسل مشايخ الإسلام وعلمائه إلى السلطان عبدالمجيد خان محاولين انقاذه من خطر اقتراض الدولة العثمانية من أعدائها فأرسلوا له قائلين:"*إن سفارتنا من العلماء والمشايخ إلى جناب السلطان الغرض منها ألا يقترض السلطان من الأجانب؛ وذلك لإنقاذ السلطان من الوقوع في أيديهم أسيرًا بسبب الديون"*. ولكن مع الأسف لم يستجيب السلطان؛ وبدأت عجلة الديون تظهر آثارها في الدولة العثمانية. حيث كان أول دين بتاريخ 28 يونيو 1855م قد وقع عليه من قبل الدولة العثمانية. فقام فؤاد باشا بالتوقيع على قرضين من الإنجليز والفرنسيين بفائدة 4% على المبالغ المالية؛ وبفائدة 1% على السلع الاستهلاكية؛ حيث اقترضت الدولة العثمانية حينها من الانجليز خمسة ملايين قطعة ذهبية إنجليزية. وشرط الإنجليز على الدولة العثمانية أن يرفع عن منتاجاتهم الجمارك في جميع الولايات العثمانية في مصر وسوريا وأزمير على وجه الخصوص؛ وذلك مقابل اطمئنان الدولة الإنجليزية أنها بذلك قد تستطيع استرداد أموالها لدى الدولة العثمانية. فوافقت الدولة العثمانية على ذلك. ولكن عندما أتى الخبر إلى استانبول بوصول القرض الإنجليزي؛ بدأ سعر الذهب في الانخفاض. وبدأت خزينة الدولة تتنفس الصعداء؛ ولكن مع الأسف لم تمر مدة وجيزة حتى عاد الفجور في الاصراف من جديد.

ج.د.عندما كان السلاطين يمشون في ضوء القمر

لقد تحطمت قيمة الباب العالي بتاريخ 27 أغسطس من عام 1858م الموافق ليوم الجمعة على يد السلطان عبدالمجيد خان في أعين الغرب من كثرة اقراضه. لقد نزل السلطان على حين غرة ولم يتحدث مع أحد؛ وكان بالتشريفة زوج أخت السلطان عدلية هانم القائد القبرصي محمد علي والسر عسكر رضا باشا اللذان تم استدعائهما. وكانت العروس رفيعة سلطان ابنة السلطان عبدالمجيد الأول قد أخذت من القبرصي محمد علي باشا قرض بقيمة 60 ألف كيس من الأوقجه[6]. فسألها السلطان عبدالمجيد:" **لماذا لا تتوقفي عن الإقتراض؟!"** ولكن الجواب أنها كانت بحاجة إلى هذا المال لأجل أن تتزوج من أدهم باشا بن محمد علي باشا القبرصي. ولم يكن لدى السلطان علم بهذا الإقتراض. ثم عاجل السلطان محمد علي باشا سائلاً:" **أليس الكتخدا[7] صاحب البغل هو رجلك؟!"** فأجابه محمد علي باشا القبرصي بقوله:" **إن كل هذا في طاعة السلطان".** غير أن السلطان لم يكن ليصدق أن أعدائه يقرضونه من أجل طاعته ورضاه. لهذا قال السلطان عبدالمجيد الأول لمحمد علي باشا القبرصي: " **أنت والخبيث عزيز أفندي الماهر بالخيانة! وبخاصة أنت خائن للدين وللدولة وللسلطان. فأنت قاتل ألم تقتل في أوروبا أثناء المبارزة الرجل الذي بارزك؟! أنا أيضاً أريد أن أواجهك وأخرج مسدسي " غدارتي" وليطلق كلٌ منا على الآخر الرصاص؛ ولنرى من الأسرع!".**
لم يكن أحد في التشريفة ليتوقع أن السلطان عبدالمجيد الأول سوف يخرج عليهم ويعلنهم أنهم خونة وأعاء للسلطان. لقد تحدث إليهم السلطان عبدالمجيد الأول بكل قسوة قائلاً: **" إن السلاطين إذا تحدثوا لم يكونوا ليقصدوا بناتهم وبخاصة أنا. المخاطب في هذه الليلة الخونة. إنني أعرف بكافة حركات الخيانة ولم ألمس الخونة حتى الآن".** (ابنة السلطان عبدالمجيد، فاطمة سلطان قد تزوجت من علي غالب بن مصطفى رشيد باشا؛ ومصطفى رشيد باشا هذا الذي كان يرميه السلطان بتهمة الخيانة). هذا القرض الذي أتى من الخارج بواسطة مصطفى رشيد باشا على أساسه تمت القروض الداخلية سواء بين أفراد العائلة العثمانية أو لأفراد الحكم أو لمؤسسات الدولة؛ كان الغرض منه خيانة الدولة عبر تقييدها لأعدائها. لقد نتج عن هذا القرض أن كشفت كل السجلات المالية الحساسة داخل الدولة العثمانية أمام أعدائها.

وفي هذه الأثناء عرض ناظر الخزينة المالية على السلطان عبدالمجيد الأول أن ابنته فاطمة هانم سلطان قد أخذت من خزينة الدولة المالية 30 ألف كيس أوقجه. بيد أن ناظر الخزينة شعر بالخوف من أن يعاقبه السلطان نصرة لبناته؛ وأن يحول حياته إلى جهنم. غير أننا أنقذنا من غضب السلطان عبدالمجيد

[6] الأوقجة؛ كلمة عثمانية تطلق على النقود الفضية وباللغة العربية يقابلها الدرهم؛ المترجم.
[7] الكتخدا؛ كلمة تركية عثمانية تعني نائب الوالي وأحيانًا يستخدم بدلاً من مصطلح الكتخدا مصطلح الكخيا؛ المترجم.

الأول؛ وذلك بأنه في هذه الأثناء قد أتى خبر وفاة والد علي غالب باشا مصطفى رشيد باشا في يناير من عام 1858م. وبعد مرور شهر أغسطس على وفاة مصطفى رشيد باشا؛ تبين أن علي غالب باشا أفسد من والده المتوفي.

ومن الغريب أن أصهار السلطان عبدالمجيد الأول كانوا يشيعون بين العامة كل ما كان يحدث داخل العائلة العثمانية الحاكمة. حتى أن خبر خيانة دونورو محمد علي باشا Dünürü Mehmet Ali Paşa انتشر بين العامة تحت اسم " الخائن الوغد" لقد كان أغلب أصهار السلطان عبدالمجيد الأول من عديمي الأخلاق والشرف؛ هكذا كان يقول عنهم السلطان عبدالمجيد الأول. وفي نهاية عهد السلطان عبدالمجيد الأول كان الإقتراض والصرف من خزينة الدولة يشترط وجود فرمان همايوني[8].

لقد كان أصهار السلطان اشبه بالأعاجم؛ اللذين لا يفقهون أي شيئ في إدارة الدولة؛ وكان يتولون العديد من المناصب الهامة بها حسب رغبتهم؛ دون أي مؤهلات تؤهلهم لذلك؛ سوى كونهم أصهار السلطان. ولأن زوجاتهم من العائلة العثمانية كانوا هم الواسطة التي يتولون بها هذه المناصب. لقد كانوا يأخذون المنصب كلقب أكثر من معرفتهم بمهامهم والواجبات الواقعة عليهم. وكانت كل أميرة تتفاخر أمام الأخرى بمنصب زوجها وموقعه من السلطان عبدالمجيد الأول. حتى أتت الليلة التي صدر فيها الأمر السلطاني بعزل كل أصهار السلطان من مناصبهم.

ج.هـ.اصطياد السمك الأزرق من مضيق البوسفور

بعد عزل أصهار السلطان عبدالمجيد الأول من مناصبهم؛ لم يجدوا عمل لهم سوى أن يأخذوا مركبًا لصيد السمك ويذهبوا بها إلى وسط مضيق البوسفور ليصطادوا السمك الأزرق. ثم أعقب هذا العزل يوم الثلاثاء الذي صدر فيه الأمر السلطاني بعزل كل الكتخداوات " نواب الولاة" من مناصبهم. وتم تعين أشخاص آخرين مكانهم من موظفي الدولة القدماء أصحاب الخبرة والإخلاص. اللذين يمكن الاعتماد عليهم في إدارة شؤون الدولة. وفي أثناء تواجد السر عسكر رضا باشا في القصر السلطاني مع نسائه؛ فوجئت نساء رضا باشا بوضع الجنازير على عجلات عربات الخيول الخاصة بهم. وفي نفس تلك الليلة صدر قرارًا من الباب العالي قرارًأ بعمل لجنة فحص من الوكلاء عرفت بلجنة التصرف لأجل ضبط أحوال الإدارة المالية داخل الدولة العثمانية.

---

[8] الفرمان الهمايوني؛ يعني الفرمان السلطاني؛ المترجم.

ومن جانب آخر كان الباشاوات المعزولين يجلسون على البوسفور وهم يصرخون بالفرنسية ولا يتسخدمون الكلمات التركية؛ كي لا يفهم أحد ما يقولون! ولماذا يصرخون؟! لقد ولد من هذا الإجتماع المتكرر بين الرجال الذين يقودون حركة تغريب الدولة والمعزولين من مناصبهم في فصل الربيع " حركة كلمة الربيع". على الطرف الآخر كانت اللجنة التي أعدها السلطان تتكون من خمسة من أزواج بناته اللذين رفضوا أن يضعوا الطعام في أفواههم حتى ينجزوا ما كلفهم به السلطان. وكانوا يعملون بكل جد وبسرعة حتى استطاع هؤلاء الموظفين الخمسة من أصهار السلطان عبدالمجيد الأول بضبط مصاريف المراسم السلطانية؛ وعمل أوراق قيد لها. ثم قاموا بعمل مكان لإقامة المراسم السلطانية؛ وذلك بعد تكسية الجدران في مكان إقامة المراسم بماء الذهب وتسوية تضاريس المكان وتغطية أرضيته بالبلاط. واصبح من المحال الدخول إلى مكان المراسم السلطانية؛ إلا بشروط تعرف بشروط الركوب. لأن هؤلاء الأصهار الخمس كانوا يظهرون الإحترام والتقدير لرجال الدولة.

وفي ذات مرة كان الصدر الأعظم يتحدث على شاطئ البوسفور مع خمسة من أزواج بنات السلطان فسمح لثلاثة منهم بركوب زورق في البوسفور وإثنان آخران بزورق آخر؛ غير أنه فوجئ بمجئ السلطان عبدالمجيد الأول الذي خاطبه زاجًا له على سماحه لأزواج بناته للنزول إلى البوسفور بزورق تجديف دون أخذ الإحتياطات اللازمة. لهذا قال السلطان عبدالمجيد الأول للصدر الأعظم: **" لقد تركت خمسة أزواج لبناتي في الماء دون تدبير. ولكن المهم ليس هؤلاء؛ المهم أن من لا يستحق ولا يستخدم في أعمال الدولة لا يجب أن يصرف له راتب".** وفي اليوم التالي عاد بعض أزواج بنات السلطان إلى البحر من جديد.

على الجانب الآخر كان هناك بعض التجار الأجانب المترابين "المتعاملين بالربا" داخل الدولة العثمانية أرسلوا إلى اوروبا ليخبروها بوضع الدولة؛ وتحدثوا معها في الموضوع الحساس بالنسبة للدولة العثمانية؛ آلا وهو موضوع القرض ومناجم الذهب. وفي نفس تلك الأيام كان هناك تنسيق بين الباب العالي والدوائر الرسمية في الدولة العثمانية.

كان الأغا وبعض رجال الدولة يعملون مع الصدر الأعظم؛ والبعض الآخر يعملون لحساب الباشاوات. وكان من نتيجة ذلك أن بدأت حركة الإصلاح في إدارة الدولة العثمانية. فتم التضحية بأصهار السلطان جراء هذه الإصلاحات؛ غير أن الوكلاء من أصهار السلطان عبدالمجيد الأول ظلوا في مناصبهم؛ ولم تطالهم تلك الإصلاحات. وبالرغم من ذلك فقد ظلت بنات السلطان يعملن على عودة أزواجهن إلى مواقعهم القديمة في مناصب الدولة. فبينما كان السلطان عبدالمجيد الأول يرى أن غلبة الأقارب على الكفاءة في إدارة مناصب الدولة كان سبب مشاكلها؛ كان بعض بنات السلطان يتعرضن للغمز واللمز من حاشية

السلطان وبخاصة عدلية سلطان؛ مما دفع بنات السلطان للعمل على استرداد وظائف أزواجهن. ومع الزمن بالفعل عاد أصهار السلطان مناصبهم؛ مما نتج عنه استمرار الصدمات والأزمات الداخلية داخل الدولة العثمانية على التوالي.

وفي مفكرة جودت باشا نجد شرحًا وافيًا عن مصائب أيام الأزمة المالية زمن السلطان عبد المجيد الأول بالتفصيل حيث يذكر: **" لقد أعطنا الحق سبحانه وتعالى على مدى السنوات العديد من الفرص الحسنة. لكن مع الأسف لم نستطع أن نختار الرجال الأكفاء لحل أزمات الدولة؛ حتى صارت الدولة إلى الفناء بالكلية. لقد كان هناك طرفان داخل مؤسسات الدولة يسعيان إلى إغراق الدولة العثمانية بالديون من أعدائها؛ وتمثل الطرفان في أذرع الإنجليز والفرنسيين اللذين يعملون داخل الدولة؛ وهم منا وليسوا منا. فالطرف الأول الذي سعى لإغراق خزينة الدولة بالديون عبر أخذ القروض الربوية من الإنجليز كان الصدر الأعظم مصطفى رشيد باشا صهر السلطان بمساعدة أصهار للسلطان آخرين من الباشاوات؛ وبمقابل هذا الطرف نجد الطرف الآخر ذو الميل الفرنسي داخل الدولة العثمانية؛ المتمثل في علي وفؤاد باشا وأتباعهما واللذان يرون وجوب أخذ القروض من فرنسا وليس من إنجلترا. ولقد تشبث كل طرف منهما برأيه؛ مما نتج عنه إغراق خزينة الدولة بالديون المتنوعة من قبل الإنجليز والفرنسيين. مما أضعف قبضة السلطان عبدالمجيد الأول؛ وبخاصة أن هذه الديون قد وصلت إلى الدولة العثمانية وقت مرض السلطان عبدالمجيد وضعفه. وكان من نتائج تسلط المستشاريين الأربعة " مصطفى رشيد باشا وعلي باشا وفؤاد باشا والوكلاء من اصهار السلطان" أن عجزت خزينة الدولة تحت وطأة ضغط الديون والإصراف والتبذير والربا عن دفع الديون الأجنبية لمدة طويلة تفنى فيها الأعمار. وكان الحاصل من نتيجة هذا الإقراض أن أتت الفرصة للغرباء للإستفادة من الدولة وأملاكها؛ وذهبت هيبة الدولة من أعين أعدائها. وكل ذلك كان سببه أن صاحب الكفاءة لم يتول المنصب المناسب؛ مما جعل الجميع يندهش. أما السلطان عبدالمجيد الأول فكان أعجز من أن يفرض سلطانه على خزينة مالية الدولة في ظل تلك الظروف والملابسات".**

ومنذ عهد عبدالمجيد الأول بدأت الأعمال المالية المحرمة تتسرب إلى داخل اقتصاد الدولة العثمانية؛ وبدأ تأثيرها يظهر في المجتمع على أنها من الأمور المسلمات. ومن الأعمال الغريبة التي بدأت تظهر منذ عهد عبدالمجيد الأول ما شوهد عند غرفة زوجة السلطان صرفيراز Serfiraz حيث شاهد محافظي القصر[9] السلطاني رضا باشا أمام حجرة السلطان. فسأله محافظي القصر: **" هل أخذت إذناً من السلطان قبل أن تأتي**

[9] محافظي القصر؛ يقصد بها حرس حماية القصر ويعادلهم اليوم في نفس وظائفهم الحرس الملكي أو الحرس الجمهوري؛ المترجم.

إلى هنا؟". غير أنه لم يجب على محافظي القصر ففي أقل من ثانية قبض عليه.[10] ومن زوجات السلطان عبدالمجيد الأول الزوجة الخامسة بزم هانم Bezm Hanım والتي كانت كثيرة الإمتعاض والتأفف؛ مما دفع السلطان ليطلقها؛ لتتزوج بعد ذلك من توفيق باشا؛ ولتختفى من القصر السلطاني إلى الأبد.

إن المعلومات السابقة عن عصر السلطان عبدالمجيد الأول لتكشف لنا أن عبدالمجيد كان إنسانًا محبًا بإخلاص لمن يخلص له ولدولته. ومثال ذلك أن السلطان عبدالمجيد الأول قد حصل على أعلى قلادة روسية وهي من نفائسهم العظيمة التي يقدسونها؛ ألا وهي قلادة القديس آندريه؛ والتي قام السلطان عبدالمجيد الأول بإهدائها لرضا باشا. وكان يراها السلطان عبدالمجيد الأول في عينيه أنها ليست ذات قيمة أو أهمية؛ على خلاف ما يعتقده الروس. لقد كانت هذه القلادة من الذهب والسلطان عبدالمجيد الأول كان ينظر إلى رضا باشا بأنه من الرجال اللذين خدموا سلطانان في آنن واحد. سلطان المسلمين وسلطان الروس؛ لأجل هذا أهدي هذه القلادة التي كانت من الذهب الخالص إليه. وفي ذلك يقول السلطان عبد المجيد الأول:

" أنظروا إلى هذا الحمار المنحرف لقد خدم حاكمان في آنن واحد. ولعب على نقاط الخلاف بينهما. وأظهر الطاعة لكل منهما. ولكنه هل كان ينتظر الحصول على مثل هذه القلادة؟! نعم؛ لهذا كان مقصدي أن أعطيه هذه القلادة الروسية التي كان يتمنى الحصول عليها من الروس؛ ولكنه حصل عليها مني. إن هذه القلادة قلادة ذهبية تاريخية وثقيلة الوزن. ولكن أنظروا إلى هذا المنحرف الكذاب تكاد القلادة تخطف بصره؛ ولا تذهب عينيه من عليها؛ لهذا قلت له تفضل".

لقد كان الباشاوات في حالة السلطان عبدالمجيد الأول في حالة من الطيش وعدم تحمل المسؤلية. وبخاصة القائد محمد علي باشا القبرصي. لقد كان الباشاوات يجتمعون في القصر السلطاني؛ ولا هم لهم في اجتماعتهم سوى بحث المسائل المالية المتعلقة بالجمرك؛ وبخاصة الباشا محمد علي القبرصي؛ الذي قال: **" لقد أَعطيت المرحومة الوالدة سلطان رشوة؛ كما آخذها أنا".** وكان هذا الباشا كثيرًا ما يتهم الوالدة سلطان بارتكاب بعض الجرائم. أما السلطان عبدالمجيد الأول فكان يعين في الصدارة العظمى صدور عظام من صفاتهم الطاعة العمياء وتنفيذ طلباته؛ مهما كانت! غير أن بعض أصوات الصدور العظام بدأت ترتفع على صوت السلطان؛ وبخاصة أنهم كانوا يقولون: **" إن الوالدة سلطان كان يمكن رشوتها بالطعام".** وظل

[10] يقول الكاتب:" إن مثل هذا الأمر غير مألوف لدى السلطان عبدالمجيد الأول؛ ولم يكن ليعطي عليه إذنًا أو موافقة لهذا الباشا بالتواجد داخل حرملك النساء بكل تأكيد".

السلطان يتحين الفرصة حتى أتى اليوم الذي تمكن فيه السلطان عبدالمجيد الأول من طرد الصدر الأعظم الذي صرح بهذا الكلام في حق الوالدة سلطان.

ج.و. بداية عصر الموضة الجديدة في استانبول

بدأت العبايات التي يرتدينها النساء في استانبول تكون من نوع جديد من العبايات تسمى عبايات أطلس Atlas Ferace. ويتميز هذا النوع من العبايات بأنه من قماش خفيف وليس سميك؛ وسهل لباسها وخلعها. وكان هذا النوع من العبايات تقليدًا للعبايات التي انتشرت في مصر وامعانًأ في الإبتعاد عن أحكام الدين في لباس المرأة. وعلى الرغم من تسلسل بعض الأفكار الغربية لعقول أصهار السلطان عبد المجيد الأول؛ إلا أن بعض الوكلاء من اصهار السلطان قاموا بإغلاق محلات بيع عبايات أطلس؛ بيد أن زوجاتهم أصررن على إعادة فتح محلات أطلس من جديد. وتحت الضغط أعيدت المحلات للعمل ولبيع عبايات أطلس من جديد. حتى أن بعض الزوجات هددن ازواجهن بالعقاب إذا تدخلوا في شرائهن لعبايات أطلس. وبالفعل قام بعض نساء القصر بتنفيذ تهديدهن؛ وقمن بإرسال جوابات إلى مضبطة القصر السلطاني " ديوان السلطان للشكاوى" يطلبن فيها من السلطان عبد المجيد الأول من التدخل لمنع أزواجهن من التدخل في لباسهن ومنعهم من محاولة إغلاق محلات عبايات أطلس. فلما وصل الأمر للسلطان عبد المجيد الأول استشاط غضبًا منهن.

وبخاصة بعد أن علم بأن هناك أمر لصالح نساء القصر وعبايات أطلس خرج من المضبطة عليه خاتم السلطان دون علمه؛ فأستدعى السلطان عبدالمجيد الأول على الفور رضا باشا رئيس المضبطة وقال له متسائلاً: **" أي سرعسكر رضا باشا هل توافق على هذا الإجراء؟! وهل سيتعاملون دائمًا بهذه الشدة مع أزواجهن؟! وأنت كيف تخرج لهن خاتمي الخاص من المضبطة على طلبهن بالموافقة؟!"** لأجل ذلك قام السلطان عبدالمجيد الأول بعزل سرعسكر رضا باشا من رئاسة المضبطة السلطانية. لهذا لم يستطع باشاوات المضطبة أن يأكلوا معاً في ذلك اليوم. كل منهم كان يأكل خلف مائدة مستقلة.

ومثال آخر يدل على مدى التدخلات الغربية في الدولة العثمانية فالسفير الإنجليزي ريد كليف Redcliffe قد توسط لدى السلطان العثماني عبدالمجيد الأول لعزل الصدر الأعظم المقرب من الفرنسيين علي باشا وتعيين مصطفى رشيد باشا صدرًا أعظم؛ وهو المقرب من الإنجليز. لقد كانت هذه الفترة من عمر السلطنة العثمانية في عهد عبدالمجيد الأول غريبة الأحداث. فالإنجليز خاصة والأوروبيون عامة يتدخلون في سياسة الدولة الداخلية ويعينون من يختارون ويعزلون من يشاؤون. فقد نجحوا في تعيين رجلهم مصطفى رشيد باشا صدرًا أعظم. والذي أغرق الدولة والقصر السلطاني في الديون الإنجليزية. كما أنه فرض على

تجار الدولة أن يعطوا ديونًا للقصر السلطاني لسداد الديون الغربية. غير أن التجار لم يدفعوا للقصر السلطاني؛ مما قطع أمل الباب العالي في سداد الدين الإنجليزي المتعلق بالقصر السلطاني.

بل زاد الأمر عن حده إذ أخذ السلطان عبدالمجيد الأول قروضًا جديدة؛ ولكن هذه المرة لم تكن من الإنجليز فقط. بل أخذ السلطان من الروس والفرنسيين مع الإنجليز أيضًا. ولقد أستغل سفراء البلاد الثلاثة الفرصة وطلبوا من السلطان الإشراف على تحصيل الديون الخاصة بدولهم من تجار الدولة العثمانية؛ ومن السلع التي تنتجها الدولة؛ فيما يعرف بلجان الديون العمومية. وبعد هذه الأحداث قام السلطان عبدالمجيد الأول في أثناء مرضه الأخير بدعوة أخيه الأمير عبدالعزيز ليتنازل له عن العرش؛ بيد أن السلطان عبدالمجيد الأول قد قيد قدمي السلطان الجديد عبد العزيز خان بكثرة الديون عند توليه العرش العثماني. فعند استدعاء السلطان عبد المجيد الأول لأخيه عبدالعزيز ليتنازل له عن العرش قال الأمير عبدالعزيز للسلطان: **" يا إلهي أنت كيف استدرجتك نفسك إلى هذا الوضع؟! وأنا أراك عاجزًا فيه. ألطف بي وأرحمني من هذا العرض. وارجوك لا تكلفني بهذا الأمر".**

ج.ز. الدعاء الأخير عند المرض[11]

لقد أبتعدت الإدارة في القصر السلطاني عن الحكمة والقوة في إدارة شؤون الدولة. لهذا بدأت حركة الإصلاح في إدارات الدولة العثمانية. فبدأت حركة الإصلاح مع فرمانات التنظيمات بتاريخ 3 أكتوبر 1839م. حيث قام السلطان محمود الثاني[12] بدعوة العلماء والفقهاء والوكلاء واشراف المجتمع مع وكيل إدارة وقف الخرقة الشريفة[13] وقرأ عليهم السلطان فرمان التنظيمات وأقسم عليه. " وكانت هذه هي المرة الأولى التي يقسم فيها السلطان على شئ غير القرآن المجيد". ومن فرمان التنظيمات گول خانه Gülhane " فرمان خان الأزهار" شعر الناس والحضور بالإمتعاض من هذا الفرمان والذي نص على:

1- تخصيص شخص يدعو للسلطان عقب كل فرمان تنظيمات.
2- إلزام المؤسسات والهيئات في الدولة العثمانية بالقسم على المحافظة على انفاذ قرارات السلطان في الفرمانات والدعاء للسلطان بعد القسم.

---

[11] يقصد الكاتب هنا الدعاء للدولة العثمانية للشفاء من أمراضها؛ المترجم.

[12] يلقب كثير من الأتراك السلطان محمود الثاني لليوم بلقب جاور محمود Gavur Mahmud أعي الطاغية محمود؛ وذلك لتعطيله بعض أحكام الشرع الشريف واستبدالها بالقوانين الغربية وجعل المسلمون والنصارى سواسية أما القانون الوضعي دون النظر للعقيدة؛ كما أنه ألغى التاريخ الهجري واستبدله بالتاريخ الميلادي وغير الملابس في الدولة العثمانية وأرتدى الطربوش بدل العمامة تقليدًا للغرب، المترجم.

[13] " وقف عباءة الرسول-صلى الله عليه وسلم-"، المترجم.

3- مساواة المسلمين والنصارى في كافة الحقوق أمام الدولة على اساس المواطنة؛ لا على أساس الدين.
4- تعين فؤاد باشا ناظرًا للخارجية. وإلزامه بالدعاء للسلطان عقب كل فرمان يرسل له. ويجب عليه تنفيذ أوامر السلطان من الفرمانات التنظيمية دون مناقشة.
5- لا يشترط من بعد الآن موافقة شيخ الإسلام على فرمانات السلطان أو مراجعتها أو عرضها على الشريعة؛ ولا يعطى شيخ الإسلام أي خبر متعلق بشؤون سياسة الدولة.
6- عقب قراءة أي فرمان من فرمانات السلطان التنظيمية على كل من شيخ الإسلام ورؤساء الطوائف النصرانية بالدولة العثمانية أن يقفوا جميعًا في نفس الصف. وان يقوموا بالدعاء للسلطان؛ على أن يشترك معهم حاخامات اليهود في الدعاء.

حتى عند قراءة فرمان التنظيمات الأول أمر السلطان محمود الثاني شخص مني يعرف بالأستاذ لا علاقة له بعلوم الدين أن يتقدم شيخ الإسلام ورجال دين أهل الكتاب من اليهود والنصارى وأن يقرأ الدعاء للسلطان على أن يؤمن خلفه شيخ الإسلام ورؤساء الطوائف النصرانية وحاخام اليهود. فقال الرجل الذي ناداه السلطان للدعاء: **" يا ربي أقهر أعداء أمة محمد -صلى الله عليه وسلم-"**؛ وبعد انتهائه من الدعاء هبت رياح باردة جدًا على كل الحاضرين.

وبعد قراءة فرمان التنظيمات قام بعض الأمراء والباشاوات بالذهاب إلى أستاذ كان يصلي أثناء قراءة الفرمان الخاص بالتنظيمات؛ وقالوا له: **" أي صلاة تصليها يا أستاذ أفندي؟! ألم ترَ أن الفرمان كان يقرأ؟! لم يعد هناك بعد الآن فرق بين المسلمين وغير المسلمين في الدولة؛ فسوف نتساوى في الحقوق مع الجميع بعد الآن".** فنظر الأستاذ الذي كان يصلي لهم وقال: **" يا حضرة قائممقام إن الكلام الذي يخرج من فمك يسيل الدموع".**

وبعد فرمان التنظيمات گول خانه Gülhane أتت عدة فرمانات إصلاحية أخرى. ولعل من أهم هذه الفرمانات الإصلاحية فرمان گليش گوزال عسكر Geliş Güzel Asker وهو الفرمان الخاص بإصلاح وتنظيم القوات العسكرية بالدولة العثمانية. والذي نص على:

1- إنشاء قوات عثمانية تنظيمية حديثة على غرار الجيوش النظامية الأوروبية.
2- تكليف نظارة المعارف العمومية العثمانية بتأسيس المدرسة الآكاديمية العسكرية للقوات النظامية الجديدة؛ ليتعلم فيها الجنود فنون الحرب والأسلحة الحديثة. وعرفت هذه المدرسة باسم أنجوماني دانيش Encümen-i Daniş .

ومن الأمور العجيبة أنه في نفس السنة التي أفتتحت فيها المدرسة العسكرية الجديدة للجيش النظامي العثماني الجديد؛ أنشئ خط تلغراف استانبول- أدرنة- فارنا[14]؛ والذي أخذ عدة سنوات من العمل. وهو أول خط تلغراف ينشئ في تركيا. وكان خط التلغراف هذا في بداية عمله يعرف بخط جليرلر Gailler وكانت الرسائل عندما ترسل منه ترسل منقطة.

ج.ح. قوله لي محمد علي باشا والي مصر والتمردات

والآن ننتقل إلى مسألة أخرى ألا وهي مسألة قوله لي محمد علي باشا Kavalalı Mehmet Ali Paşa والي مصر العثماني. والذي يساعده الأوروبيون على عمل جيش نظامي في مصر. والذي بدأ بقوات بسيطة ثم زادت قوته حتى أصبح يمثل خطرًا على الباب العالي. لقد مررت من على هذه المسألة دون أن أتعمق فيها. أما الآن سأتناولها بالتفصيل. لقد نتج عن ضعف الباب العالي وعدم تملكه قوة عسكرية ضاربة؛ أن قبل بقيام والي مصر محمد علي باشا بعمل قوات عسكرية خاصة به؛ تخضع له مباشرة دون السلطان. وإن كان هو يخضع للسلطان. إلا أن الواسطة بين القوات النظامية الجديدة بمصر والسلطان العثماني هو الوالي محمد علي باشا.

لقد كان تشكيل هذه القوات النظامية الجديدة بمصر؛ وقبول الدولة العثمانية بها؛ بداية تكوين عائلة حاكمة بمصر مستقلة عن نفوذ السلطان العثماني. لقد أصبح على السلطان العثماني أن يختار من بين ابناء محمد علي باشا وليس من خارجهم من يكون والي مصر. ولقد قبلت الدولة العثمانية بذلك. إضافة إلى مشكلة تمرد محمد علي باشا؛ ظهرت عدة تمردات أخرى على الدولة العثمانية؛ تلك التمردات التي تمثلت في هجوم بدو الصحراء على الأماكن المقدسة[15] وتمردات ابيروس مع ثيساليا Teselya'yla Epir İsyanı[16] بدعم الروس الذين يريدون الإشراف على كافة النصارى الأرثوزكس في جميع أنحاء الدولة العثمانية؛ ويريدون من الدولة العثمانية من حق الإشراف عليهم. بدعوة أن الروس أرثوزكس وكثير من نصارى الدولة العثمانية أرثوزكس مثلهم. وهذا الحق التاريخي للدولة العثمانية في الإشراف على النصارى الأرثوزكس وغيرهم من ملل وطوائف أهل الكتاب الذي يريد الروس أخذه من الدولة؛ ما هو إلا ذريعة ليتدخل الروس على أثرها في شؤون الدولة العثمانية الداخلية. ولقد بدأ هذا الأمر مع تشار نيكولا الأول Çar I. Nikola قيصر الروس والذي لقب الدولة العثمانية بلقب **"رجل أوروبا المريض"** لأول مرة في التاريخ. لقد أتت هذه التسمية

[14] مدينة فارنا؛ كبرى مدن بلغاريا وكانت عاصمتها قبل صوفيا في بعض فترات التاريخ العثماني؛ المترجم.

[15] الكاتب هنا يقصد الحركة الوهابية والدولة السعودية الأولى، المترجم.

[16] ابيروس و ثيساليا منطقتين من مناطق المورة باليونان. قامت بهم ثورات مسلحة نصرانية ضد الخلافة العثمانية، المترجم.

أثناء محادثات القيصر الروسي تشار نيكولا الأول Çar I. Nikola مع السفير الإنجليزي السير هاميلتون سيمور Sir Hamilton Seymour في مدينة بطرس برج[17] بروسيا. ومنذ هذا اللقاء أصبح لقب الدولة العثمانية في الغرب رجل أوروبا المريض؛ الذي ينتظرون موته لتقسيم أملاكه بين القوى العظمى الجديدة. ففي نفس العام الذي تم فيه هذا اللقاء بين القيصر الروسي تشار نيكولا الأول Çar I. Nikola والسفير الإنجليزي السير هاميلتون سيمور Sir Hamilton Seymour بتاريخ 3 يوليو من عام 1853م قام الروس بطلب حق الإشراف على النصارى الأرثوزكس في جميع أنحاء الدولة العثمانية بحجة وحدة المذهب الإعتقادي. إلا أن هذا الأمر كان من الصعوبة بمكان أن تقبله الدولة العثمانية؛ لهذا رفضت الدولة العثمانية هذا الأمر بشدة. فلما رفضت الدولة العثمانية طلب الروس؛ قام الروس بتاريخ 4 يوليو بالهجوم على أراضي الدولة العثمانية وإعلان الحرب عليها؛ بغرض احتلال أكبر جزء من أراضي الدولة. وكان هذا الهجوم الروسي بالإتفاق مع كل من الإنجليز والفرنسيين. وبدأت جيوشهم في توزيع الأدوار في أثناء هجومهم على الدولة العثمانية.

حتى إذا أنتهت الحرب بين الدولة العثمانية والروس تبدأ الحرب بين الدولة العثمانية والفرنسيين أو بينها وبين الإنجليز؛ وذلك عبر دعم التمردات ضد الدولة العثمانية في البلقان أو عبر الهجوم المباشر على ولايات الدولة واحتلالها. وذلك لا سيما يلتقط الروس أنفاسهم ويعيدون الحرب من جديد على الدولة العثمانية. وبذلك يمنعون الدولة العثمانية من إلتقات أنفسها وتكون منهكة القوى إذا دخلت حربًا أمام الروس. ومن هنا بحرب القرم المشهورة. حيث حاصر الروس مدينة سيواس توبول Sivas Topol حتى سقطت المدينة في يد الروس بتاريخ 9 سبتمبر من عام 1855م ثم تبع انتصار الروس على الدولة العثمانية عبر موافقة الإنجليز والفرنسيين ودعمهم للروس؛ أن واصل الروس زحفهم حتى وصلوا إلى مدينة قارس Kars şehri على جبهة الأناضول واستسلمت لهم قارس بتاريخ 28 نوفمبر 1855م. ثم تدخلت الدول الأوروبية لوقف الحرب بين الدولة العثمانية والروس. وحدث لأجل ذلك اجتماع باريس لوقف الحرب وإعلان الهدنة؛ وعرفت هذه الإتفاقية باتفاقية هدنة باريس؛ ووقعت هذه الإتفاقية بتاريخ 30 مارس من عام 1855م؛ والتي نصت على عدة مواد أهمها:

1- إعاة مدينتي سيواس توبول Sivas Topol ومدينة قارس Kars şehri إلى الدولة العثمانية.

[17] مدينة بطرس برج تعرف الآن بروسيا باسم مدينة لننجراد، المترجم.

2- نصت المادة السابعة من الإتفاقية على اعتبار الدولة العثمانية من الدول الأوروبية؛ مما يعني حق الدول الأوروبية في الحفاظ على ممتلكات الدولة العثمانية وأراضيها من اي هجوم عليها.
3- تعطي الدولة العثمانية الحق للدول الأوروبية في إنشاء الأعمال التجارية وممارستها داخل كافة أنحاء الدولة العثمانية دون قيدٍ أو شرط.

لقد حمل بنود هذه الإتفاقية إلى الصدر الأعظم بالقصر السلطاني السفير الإنجليزي باستانبول ريد كيلف؛ غير أن الصدر الأعظم لم يبدو فرحًا بهذه الإتفاقية وسعى لإلغائها؛ مما دفع السفير الإنجليزي من التدخل لدى السلطان عبد المجيد الأول لعزله واستبداله بصدر أعظم آخر يوافق عليه الإنجليز.

وفي تاريخ 26 فبراير 1856م أعلن السلطان عبدالمجيد الأول فرمانه الإصلاحي؛ ويعد هذا الفرمان هو تتممة لفرمان كَول خانه Gülhane للسلطان محمود الثاني. ولقد نص فرمان التنظيمات المجيدي على التالي: **" أنه يحق منذ صدور هذا الفرمان دخول النصارى للجيش العثماني كالمسلمين. وأن الخدمة في الجيش إلزامية إجبارية على الجميع مسلمين ونصارى. وللنصارى الحق في حمل السلاح وفي التدريب عليه كالمسلين داخل الدولة العثمانية".**

لقد اعتبر المسلمون داخل الدولة العثمانية أن هذا الفرمان عليهم لا معهم. إذ كيف سيحارب النصارى في الجيش العثماني مع المسلمين إخوانهم النصارى في الجيوش الأوروبية والروسية. ولكن من الغريب أن النصارى في الدولة العثمانية نظروا هم أيضًا إلى كون هذا الفرمان ضدهم لا معهم؛ إذ أنهم يرفضون الخدمة الإلزامية بالجيش العثماني. كما أنهم لا يريدون لأبنائهم أن ينخرطوا مع المجندين المسلمين خوفًا عليهم من فساد عقائدهم واختلاط أفكارهم النصرانية. وبعد قراءة هذا الفرمان والقسم على تنفيذه والدعاء للسلطان عبدالمجيد الأول عليه؛ قال أسقف مدينة إزميت[18] İzmit şehri : **" نحن أيضًا سندعو الله ألا يخرج مثل هذا الفرمان مرة أخرى".**

لقد نتج عن هذا الفرمان أحقية النصارى في دخول الجيش العثماني والتعرف على وحداته وأسلحته وكذلك إمتلاك السلاح والتدريب عليه؛ بينما لا يحق للمسلمين التعرف على اي نوع من أنواع الأسلحة أو دخول الجيوش الأوروبية؛ بل يمنعون من الإلتحاق بها. لذا لما دعي النصارى للإلتحاق بالطبيات[19] العسكرية

---

18 إزميت؛ أحدى مدن غرب تركيا التي تطل على البحر المتوسط وقريبة من مدينة بورصة؛ المترجم.
19 الطبيات؛ كلمة جمع ومفردها طابية وهي قلاع الثغور أو الأبراج المطلة على الحدود ويكون بكل طابية عدد من العساكر يتراوح حسب حجمها من 100 حتى 1000 عسكري، المترجم.

العثمانية؛ لم يحضر العساكر المسلمين. بل غضب المسلمون في استانبول بتاريخ 15 يوليو 1858م نتيجة دعوة بعض المشايخ لهم في خطبهم للخروج ضد فرمان التنظيمات المجيدي؛ مما استفز المسلمين ودفعهم للتحرك ضد القنصليتين الإنجليزية والفرنسية. فشوهدت أعمدة الدخان تخرج من القنصلية الإنجليزية؛ كما ألقيت قنبلة من مجهول أثناء زحف الأهالي على القنصلية الفرنسية بوسط الطريق وانفجرت بشارع القنصلية دون أن تصاب القنصلية الفرنسية بأي ضرر. وبعد انتهاء هذه الأحداث وسكون غضب الأهالي المسلمين في استانبول خرج السفيران الإنجليزي والفرنسي ليعلنا بأنه لا توجد حالة حرب بينهم وبين الدولة العثمانية. وأن بلادهم تعيش حالة من السلام مع الدولة العثمانية.

وتتابعت الأحداث حيث اشتعلت أوضاع لبنان بتاريخ مارس 1859م؛ مما دفع الأساطيل العسكرية الحربية الغربية الفرنسية والإنجليزية والروسية والنمساوية للذهاب إلى ميناء بيروت والرسو أمامه. وفي نفس العام بتاريخ 24 إبريل 1859م بدأ حفر القناة السويسرية؛ وبتاريخ 14 سبتمر 1859م حدث انقلاب بسويسرا وتشبث كل طرف من الإنقلابيين والحكومة بموقعهم ورفضوا التفاوض؛ واستمر الحال هكذا بين الحكومة والمنقلبين مدة طويلة؛ ولم يحدث بينهما أي اتفاق؛ فيما يعرف بأحداث البرج.

ج.ط. الثاني والأربعون والطفل الأخير

خرج الصدر الأعظم أكرم عمر باشا مع الجميع إلى الطريق الرئيس في خط مستقيم؛ وبينما هم يخرجون خرجت جنازة السلطان عبدالمجيد الأول؛ فقال الصدر الأعظم: **" فليعطيك الله السلامة يا سلطان"** وقال البعض الآخر: **" إن شاء الله موفق في يوم البعث؛ ويكأنك تقول لنفسك لن يجدك أحد هناك "بأرض المحشر". إذا عدت في أقرب وقت لن تجد شيئًا. فلقد انتهت علاقاتك بزوجاتك وبناتك الآن".** هكذا كان يقال عند خروج جنازة السلطان عبدالمجيد الأول من الدنيا. وبتاريخ 25 يونيو 1861م ودع السلطان عبدالمجيد الأول الدنيا وأخذ مكانه على تخت السلطنة أخوه الأصغر عبد العزيز. وللسلطان عبدالمجيد الأول 41 طفلاً. غير أنه بتاريخ 4 يناير 1861م أي قبيل وفاة السلطان عبدالمجيد الأول بما يقارب من خمسة أشهر ونيف ولد في قصر دولما بهتشه Dolmabahçe ابن آخر ذكر للسلطان عبد المجيد الأول من زوجته كَوليستوها هانم Gülistû Hanım سمي باسم محمد وحيد الدين. وتم تسجيل الوليد الجديد في سجلات العائلة العثمانية كالتالي: **" ولد الشاه زاده بجناح الحريم السلطاني؛ بتاريخ 21 جمادي الآخرة من عام 1277هـ. وأطلق عليه اسم حضرت محمد وحيد الدين أفندي. وهو من زوجة السلطان الرابعة الملقبة**

بإقبال[20] هانم أفندي". وبذلك يكون عدد أبناء السلطان عبدالمجيد الأول 42 ولدًا وبنتًا. وهكذا ولد بطل القصر وحيدًا؛ كما جلس على العرش وحيدًا؛ ونفي وحيدًا.

الفصل الأول

المربية وزهرة اللآله والأمير

قصر ذي القرد أعلى الهضبة

قدر هذا الطفل الذي كتب عليه أن يكون وحيدًا وأن تمتلأ حياته بالمعاناة. فقد توفى والده السلطان عبدالمجيد الأول بتاريخ 25 يونيو 1861؛ وذلك بعد زواج دام مع والدة السلطان محمد وحيد الدين إقبال كَوليستو İkbal Gülistû أربع سنوات. وبتاريخ سنة 1864م أي وعمر السلطان محمد وحيد الدين ما يقارب من أربع سنوات توفت والدته إقبال كَوليستو هانم؛ وبذلك أصبح السلطان محمد وحيد الدين يتيمًا للمرة الثانية أيضًا. كما أنه أصبح الوريث العاشر لتحت السلطنة العثمانية.

وقبل أن أدخل في شرح حياة السلطان محمد وحيد الدين التي تعد مغامرة كبرى. علي أن أعطي شرحًا مفصلاً كيف أصبح هذا الوليد هو الوريث العاشر للعرش العثماني. وعلى الرغم من تغير تقاليد التوريث داخل الأسرة العثمانية للعرش العثماني؛ إلا أنني يهمني شرح التغيير الأخير الذي نتج عنه وصول السلطان محمد وحيد الدين للعرش العثماني.

ففي المرحلة الأولى: من مراحل التوريث للعرش العثماني كان العرش والملك ينتقل من الأب إلى الابن الأكبر عبر التوريث.

أما المرحلة الثانية: فهي المرحلة التي وضع فيها السلطان محمد الفاتح قانون " **نظامي علم"** أي علم النظام باللغة العربية. والذي نص فيه على أن العرش ينتقل بين الأب والابن الأصلح. وبذلك شرح لاحتمالية أن يكون الابن الأوسط أو الأصغر هو السلطان وليس الأكبر فقط. وهذا مما هو معلوم من سياسة السلطان محمد الفاتح، إلا أنه اشترط أيضًا وجوب توافر الشروط الشرعية[21] في السلطان المختار. وذكر

---

[20] إقبال؛ لقب إقبال يمنح للنساء المنجبات من زوجات السلاطين العثمانيين؛ ولقد تسمى بهذا اللقب بعض زوجات الولاة خلال العصر العثماني مثل الأميرة إقبال هانم زوجة خديوي مصر العثماني الأخير عباس حلمي الثاني، المترجم.

[21] الشروط الشرعية؛ هي الشروط الواجب توافرها في الحاكم المسلم وتشتمل على صحة العقيدة وسلامة الحواس والعلم والدراية والقدرة على إدارة شؤون الدولة والقدرة على التمييز بين الأحكام الفقهية السياسية وإمامة المسلمين في الصلاة والقضاء أو تعين من ينوب عنه في ذلك، المترجم.

السلطان محمد الفاتح في قانون **نظامي علم** على وجوب توافر شرطان رئيسيان فيمن يختار للعرش العثماني كسلطان؛ وهذا الشرطان هما:

1- أن يكون صاحب تدبير في أمر الملك والسياسة.
2- دعم قادة الدولة له وموافقتهم عليه.

ولتوضيح ذلك نضرب مثلاً؛ عند وفاة السلطان العثماني أورخان Orhan تنصل الأخ الأكبر إبراهيم بك من العرش وتركه لأخوه الأصغر مراد الأول؛ لهذا تولى السلطان مراد الأول العرش بعد وفاة والده السلطان أورخان. وعند تولي السلطان مراد الثاني العرش وافق عليه أعمامه وهم أكبر سناً منه. من جهة أخرى نجد السلطان سليم الأول قد أخذ الملك بالقوة من والده السلطان بايزيد الثاني[22] وقضى على أخيه الأكبر كي لا ينازعه الملك. أما السلطان سليمان القانوني فكان الابن الأكبر الوحيد للسلطان سليم الأول؛ لهذا كان الوارث الوحيد للعرش العثماني ولم ينازعه أحد على الملك.

أما السلطان سليم الثاني فقد أصبح الوريث للعرش العثماني بعد أن أعدم والده السلطان سليمان القانوني ولديه الآخران وترك ابنه الثالث سليم الثاني الذي أصبح بعد موت أخويه الوريث الفعلي للعرش. وبعد ذلك نجد السلطان مراد الثالث يتولى العرش عبر اختيار والده سليم الثاني له من بين أخوته الخمسة بدون إبداء أيٍّ أسبابٍ لذلك؛ في عمل فوضوي. وبحجة قانون **نظامي علم** قام السلطان مراد الثالث في شهر واحد بيوم واحد بإعدام 19 أخ للسلطان محمد الثالث لكي يتولى السلطان محمد الثالث الحكم بلا منازع. وفي **تاريخ عمودي نسيبي** " تاريخ عمود نسب للسلطنة" يذكر فيه أن استمرار القتل في الأبناء حتى يخلص الحكم لوريث واحد استمر منذ عهد مراد الثالث كعرف بلا بينة أو دليل كي لا ينازع المختار من قبل والده على العرش من أخوته حتى عهد السلطان أحمد الأول عام 1603م.

أما المرحلة الثالثة: فهي مرحلة عهد السلطان أحمد الأول والذي تولى الحكم عن عمرٍ يناهز الأربعة عشر عامًا فقام بحبس أخيه الأصغر مصطفى في أحدى حجرات الحريم؛ كي لا ينازعه الملك؛ وحتى لا يضطر لقتله. لقد تميز السلطان أحمد الأول بالعقل وبالتواضع. إن قانون **نظامي علم** للسلطان محمد الفاتح بغض النظر عن المنطق المغلوط لفهم المادة التي تتيح قتل الأخوة؛ إلا أنه منذ وضع ذلك القانون أخذ كحجة لقتل بعض الأبناء والأخوة للجلوس على العرش العثماني. ومنذ عهد السلطان أحمد الأول توقفت عادة قتل

[22] السلطان سليم الأول عزل والده عن العرش في نهاية حياته عندما أعتزل والده بايزيد الثاني شؤون الحكم والدنيا وتصوف في وقت تجمع التكتلات الصليبية ضد الوجود الإسلامي في البلقان والتكتل الشيعي الصليبي لاحتلال الأماكن المقدسة مع البرتغاليين والإسبان والهجوم الشيعي الرافضي الصفوي على مسلمي إيران وجنوب شرق الأناضول؛ مما أستدعى قادة الجيش لدعوته لقيادة الدولة بدلاً من والده؛ فسبق أخيه الأكبر غير المحبوب من قادة الجيش للعاصمة استانبول وعزل والده وقضى على الخطرين الشيعي والصليبي وأتى بسنجق الخلافة من القاهرة لحاضرة العثمانيين استانبول، المترجم.

الأخوة في السلطنة العثمانية. ووضع السلطان أحمد الأول أسس مرحلة جديدة لتولي العرش العثماني. تمثلت هذه الأسس في اختيار الأكبر والأرشد والأهرم " كبير السن" من الأمراء الذكور ليكون وليًا للعهد وسلطانًا بعد ذلك. ولقد استمر قانون السلطان أحمد الأول في طريقة اختيار من يتولى العرش العثماني حتى سقوط الدولة العثمانية. فمثلاً: عند وفاة السلطان محمود الثاني عام 1893م تولى ابنه الأكبر عبدالمجيد الأول العرش. ولكن حينما حانت ساعة موت السلطان عبدالمجيد الأول لم يختار للعرش العثماني أي أحد من أبنائه؛ بل اختار أخيه الأصغر عبد العزيز واكبر أمراء العائلة العثمانية حينها. فقام أبناء السلطان عبد المجيد الأول بمتابعة ما قام به والدهم وبايعوا لعمهم السلطان عبدالعزيز خان. وبعد مقتل السلطان عبدالعزيز جلس على العرش العثماني أربع سلاطين وهم على التوالي:

مراد الخامس ثم عبدالحميد الثاني ثم محمد رشاد " محمد الخامس" ثم محمد وحيد الدين " محمد السادس" وكلهم أخوة من أب واحد هو السلطان عبد المجيد الأول.

1.1. أول نفي من القصر السلطاني

وهكذا نرى أن أول من تولى العرش العثماني بعد وفاة السلطان عبد المجيد الأول هو السلطان عبد العزيز بن محمود الثاني أكبر أمراء العائلة العثمانية حينها. والذي أمر بعد تولي السلطنة بإخراج ابناء أخيه عبدالمجيد الأول الصغار مع أمهاتهم من قصر دولما بهتشه Dolmabahçe Sarayı وإرسالهم إلى مكان آخر. وكانت زوجة السلطان عبد المجيد الأول كَوليستو Gülistû قد أنجبت منه طفلان الأولى مديحة سلطان وعمرها خمسة سنوات والثاني الأمير محمد وحيد الدين وعمره خمسة أشهر ونصف؛ حيث أرسلوا إلى حي أيوب ليعيشوا بسراي ساحلية. وعلى الرغم من أن كَوليستو هانم كانت تعيش داخل هذا القصر الساحلي لما يقارب من أربع سنوات وكانت لا تختلط مع أحد؛ إلا أنها ماتت بوباء الكوليرا المشهور حينها باستانبول. وهكذا ترك أبناء السلطان عبدالمجيد الأول الصغار ميحة سلطان والرضيع الأمير محمد وحيد الدين بدون أب أو أم وبدون رعاية من قريب؛ وهم في أمس الحاجة إليها.

إضافة إلى ذلك فإن الأمير الصغير محمد وحيد الدين كان مريضًا وكان ضعيفًا وكان هزيل البدن؛ وهذا الضعف البدني هو ميراثه الحقيقي من والده السلطان عبدالمجيد الأول. وسوف يظهر هذا الضعف أكثر على محمد وحيد الدين مع الأيام؛ عندما تمر السنين وتظهر عليه أمراض الكبد والقلب. ولهذا أتخذ قرار في الحرملك السلطاني بإرسال أبناء السلطان عبدالمجيد الأول الصغار إلى زوجتين منفصلتين من زوجات ابيهم ليقومن برعايتهم. فتم إرسال مديحة سلطان إلى الزوجة الثالثة لأبيها والدة أخيها غير الشقيق كمال

الدين أفندي؛ بينما تم إرسال الطفل الأمير محمد وحيد الدين إلى الزوجة الخامسة لأبيه إقبال شياسته هانم İkabl Şayeste Hanım والتي سوف يكبر الأمير محمد وحيد الدين في كنفها وتحت رعايتها؛ وهي أم أخته غير الشقيقة نائلة سلطان Naile Sultan.

لا نعرف مدى السعادة أو الحزن أو الحالة النفسية لكل من الأميرة مديحة سلطان وأخيها الأمير محمد وحيد الدين بعد أن افترقا؛ ولم يتربيا معًا حتى مرحلة الشباب. بيد أنه من المعلوم أن السلطان عبد العزيز قد أخرج إقبال شياسته سلطان هانم من القصر المقيمة به بسبب تسلطها في بعض الأمور ثم أرسلها مع ابن السلطان عبد المجيد الأول الأمير الصغير محمد وحيد الدين إلى القصر الفرعي لتسكن في جناح من الأجنحة الثلاث مع أبناء أخيه عبدالمجيد الأول. ولقد أتخذ السلطان عبدالعزيز خان هذا القرار بنقل إقبال شياسته سلطان هانم أثناء تواجده بقرية أورقة Orta Köy. ووضع مع إقبال شياسته سلطان ثلاثة من الخدم السلطاني ليساعدوها في الأعمال المنزلية ورعاية أبناء أخيه.

ولعل أهم شخصية تعلق بها السلطان محمد وحيد الدين منذ صغره المربية رهيدال Rahıdil Kalfa والتي كان صوتها أول صوت يسمعه عند ميلاده وأول من رأها حينما تفتحت عيناه على الدنيا. وهذا ما حدث مع والده السلطان عبد المجيد الأول عندما ولد؛ فقد أحضروا له محافظة لتربية تعرف باسم مهرى فلق هانم Mihrifelek Hanım؛ وقد أحضروها من الأناضول لترعى السلطان عبد المجيد الأول عندما كان طفلاً ولتسكن في القصر السلطاني معه.

لقد أعتمد السلطان محمد وحيدالدين في طفولته وفي شبابه على نفسه. حتى أنه كان استاذًا لنفسه في القراءة والتعليم. إذ كان يعلم نفسه بنفسه. وكان يقرأ موضوعات متنوعة من صنوف العلوم المختلفة. لقد اصبح مثل اجداده الكبار وعمل بكل جد حتى وصل إلى ما وصل إليه من معرفة. ولعل من أهم الأمور التي برع فيها السلطان وحيد الدين في شبابه الأدب والموسيقى والخط العربي. فأبدع في الأدبيات الشعرية والنثرية وفي تعلم النوته الموسيقية والخط العربي وفي فروع أخرى من أنواع الفنون المختلفة. وكان بذلك مثل أجداده العثمانيين؛ وبخاصة أن محمد وحيد الدين سواء عندما كان أميرًا أو سلطانًا كان يقرض أحياناً الشعر؛ غير أنه أيضًا كان بارعًا في التلحين الموسيقي.

ومثال ذلك أنه في قرضهِ للشعر يتبع طريق أسلافه من الأجداد العثمانيين مثل السلطان محمد الفاتح وولي العهد الثاني له الأمير جام Cem والسلطان سليم الأول والسلطان سليمان القانوني والسلطان أحمد الأول وغيرهم من السلاطين العثمانيين الذين أهتموا بالشعر وقاموا عمل هيئة ديوان قرض الشعر. لقد تشابه

الأمير محمد وحيد الدين مع السلطان سليم الثالث ومحمود الثاني وعبدالعزيز خان عندما كان وليًا للعهد. حيث كانوا جميعًأ إذا فزعوا من أمر هرعوا إلى الموسيقى؛ وقاموا بتلحين مقطوعات تعبر عن مخاوفهم ومكنونات صدورهم. غير أن محمد وحيد الدين كان خطاطًا بارعًا في الخط العربي مثل السلطانان أحمد الثالث ومحمود الثاني.

لكننا مع الأسف لا نعلم ممن تعلم السلطان محمد وحيد الموسيقى؟! وفي مثل هذه المسألة نجد ابنته صبيحة سلطان تقول في مذكراتُها: **"...لا يوجد أحد علمه الناي؛ لقد كان دائم الإعتماد على نفسه؛ وكان يذهب إلى الوقف الموسيقي؛ وفي نفس الوقت كانت لديه أذن فنان متذوق لألحان الموسيقى؛ وعلى درجة عالية من التلحين".** غير أننا ليس لدينا معلومات عن كيفية بدء علاقة السلطان محمد وحيد الدين بالموسيقى؟! وكيف تعلمها؟! وممن تعلمها؟! لقد كانت تسليته الوحيدة بعد النفي إلى سان ريمو San Remo؛ وذلك بعد عزله من السلطنة الذهاب إلى نادي الموسيقى أو يسير بين الفلل " القصور الصغيرة" وهو يعزف حتى يصل إلى صالون لوش Loş Salonu ويستمر في العزف. حيث كانت الموسيقى تسليته الوحيدة؛ وكانت الآلات الموسيقية صديقته المخلصة.

وبالرغم من ذلك مع الأسف لم يصلنا من أعمال محمد وحيد الدين الموسيقية اي نوته أو عمل خاص به. سواء عندما كان أميرًا قبل ولاية العهد أو عندما صار وليًا للعهد أو بعدما أصبح سلطاناً. ويرى البعض أن محمد وحيد الدين كان يرفض أن يعطي نوته الموسيقية لأي أحد على الإطلاق. ويرى ابن الأمين أن محمد وحيد الدين بدأ في الغناء عندما أصبح سلطانًا؛ وقبل ذلك لم يتجه إلى الغناء. حيث كان يلتقي بمعلم الموسيقى إسماعيل حقي ويجلسان معًا بالساعات للغناء. ومن المعلوم أن الأمير محمد وحيد الدين بعد أن اصبح سلطانًا أهتم بالموسيقى الهمايونية.[23] ويقول في ذلك إسماعيل حقي أفندي: **" لم أرَ في حياتي متعلم سريع التعلم للموسيقى مثل السلطان محمد وحيد الدين. لقد كان لدي بعض المقامات الموسيقية والنوت التي وضعها. غير أنني متأسف على ضياعيها؛ حيث لم أهتم بنسخها".** لقد قام محمد وحيد الدين بعمل نوته موسيقي وألحان تجسد مأساة الدولة العثمانية؛ بيد أنه كان يرفض أن يعطيها لأي أحد. وعلاقته بالموسيقى لا تختلف كثيرًا عن علاقته بفنون الأدب. وفي هذا الإطار تقول صبيحة سلطان ابنته: **"...في فنون الآداب وبخاصة الشعر كان يعرف أصول الوزن والقافية أكثر من اي أحد. وكان بارعًا في ذلك. حتى أنه عندما كان شابًا كان يكتب الشعر. لكن مع الأسف كل هذه الأوراق المتفرقة من الشعر الذي كان قد**

[23] الموسيقى الهمايونية؛ هي الموسيقى السلطانية الخاصة بالمراسم والإحتفالات في الدولة العثمانية، المترجم.

كتبه والدي قد جمعتها في خزينتي بالقصر السلطاني؛ إلا أنه عند رحيلي للمنفى لم أستطع أن أحضر هذه الأوراق التي بها شعر والدي الحزين معي". لقد كانت جل أشعار محمد وحيد الدين حزينة جداً. ومع الأسف لم تصل إلى ايدينا اليوم اشعاره. لقد كانت الأشعار التي كان يقوم بوضعها هي نفسها كلمات الأغاني التي كان يغنيها.

2.1. الأمير في المدرسة

ولكن قبل تعلمه الموسيقى والغناء كانت الأولوية لديه في تعلم الفقه. والفقه يعني الأمور المتعلقة بأحكام الشريعة والعبادات وعلم الحال. وكان محمد وحيد الدين عندما كان شابًا يحب الذهاب إلى مدرسة الفاتح الفقهية؛ ويستمع إلى دروس الفقه قبل زيارته للقصر السلطاني. حتى أنه أخذ دروس في الفقه وعلم الكلام وتفسير القرآن والحديث واللغة العربية والفارسية وواظب على هذه الدروس بانتظام. وبلغ من حبه لقواعد اللغتين العربية والفارسية إلى أنه أتقن قواعد اللغتين أكثر من اي متعلم آخر. وكان بارعًا في ذلك. وكان يستطيع قراءة النصوص العربية والفارسية وفهمها بصورة جيدة. بيد أنه كانت تنقصه الممارسة على الكلام في كلتا اللغتين.

وكان لدى محمد وحيد الدين تعمق في الفقه وأصوله وفي التاريخ الإسلامي؛ حتى أنه عندما كانت تعرض عليه بعض المسائل الفقهية؛ كان يختار أرجح الآراء من بينها؛ وكان ذلك أمام شيخ الإسلام. وكان يعرض على شيخ الإسلام لماذا اختار هذا الحكم الفقهي بالدليل. وكان شيخ الإسلام لا يرده في ذلك وكان يوافقه على رأيه في ترجيح هذا الرأي الفقهي على غيره من الآراء. وفي ذلك يقول السلطان محمد وحيد الدين في مذكراته: **"...عندما كنت أميرًا كنت أحب العلوم الشرقية وعلوم الفلسفة الإسلامية وكنت أبحث في معارف شتى باستمرار. حتى أنني جالست علماء المتصوفة والمتبحرين في علوم الشرع من الفقهاء وأخذت عنهم".** وفي مرحلة شبابه انتسب إلى طريقة الشيخ عمر ضياء الدين الداغستاني أفندي الذي أتى إلى الباب العالي للمجاورة. وكان يجلس في بيت خان الفضة.

أما علاقة السلطان محمد وحيد الدين بالخط العربي فذكرتها ابنته الأميرة صبيحة في مذكراتها قائلة: **"... إنه يتشابه مع أجداده كثيرًا في كونه خطاطًا؛ وبخاصة في اتقانه لخط الرقعة؛ الذي كان يخرج من تحت يديه في دقة بارعة. ولكن بعد فترة ضاعت الصفحات التي كتبها بالقلم الرصاص بالخط العربي".** ويذكر في نفس المسألة علي فؤاد بك البشكاتب في مذكراته: **"كان خط يد السلطان محمد وحيد الدين**

والإملاء لديه جيدًا جدًا. ولا يتردد في كتابة أي فكرة أو خاطرة تخطر له في أي ورقة تصل إليها يده. واغلب كتابته في الخط العربي كانت بالقلم الرصاص".

وأما في مجال الفروسية فكان دائمًا محبًا للخيل؛ وكان دائمًا ما يشتري أفضل ملابس الفروسية من ارقى محلات استانبول المعروفة باسم لوكس مغازة Lüks Mağazaları وبخاصة من فرع مايسون بكرً Maison Baker. واما مهارته في الرمي بالرصاص وإصابة الأهداف فكان لا يعلوه أحد في ذلك. وكان يتسابق مع أخوته غير الأشقاء من والده عبدالمجيد الأول في الرمي بالرصاص. وكان يذهب إلى بعض الغابات معهم ليقيموا بعض الحفلات عقب كل صيد. وكان دقيق الإصابة في الصيد. وأغلب أقاربه واصدقائه يقولون له: **" إنك تشبه والدك عبدالمجيد الأول في شبابه".**

وكان لمحمد وحيد الدين صديق يعرف باسم عبدالمجيد أفندي. وكان لدى عبدالمجيد أفندي ولد يدعى عمر الفاروق وقد تزوج من صبيحة سلطان ابنة السلطان محمد وحيد الدين. وكان عبدالمجيد أفندي من الأشخاص المقربين من محمد وحيد الدين؛ إلا أن الأسباب السياسية كانت سببًا في العداء والخصومة بينهما. لقد بدأ محمد وحيد الدين في حمل السلاح وتعلمه منذ الشباب. وأرتبطت حياته به لسنوات عديدة. حتى عندما أصبح هو السلطان فإنه كان لا يفترق عن التدريب على السلاح وحمله. وفي أثناء نفيه خارج الأناضول من استانبول كان يحمل معه مسدسًا من عيار 45 من ماركة كولت Colt. وكان لديه مسدسان الأول في جيبه دائمًا لا يفارقه. والثاني تحت وسادته. وفي يومٍ من الأيام أتت إلى سان ريمو San Remo أخت السلطان محمد وحيد الدين الكبرى مديحة سلطان مع أحفادها. وكان من ضمن أحفادها بهاء الدين الذي كان يرغب في الإتراك بمسابقة رمي الرصاص. وكان يرغب في أن يتعلم طريقة الرمي القديمة وسرعة إصابة الهدف بكل دقة. وبهاء الدين هذا كان لديه هوس بذلك الموضوع. وكان الهدف أن يصطاد 25 حمامة أثناء طيرانهم على مهل وبسرعة وبدقة. وكان الرمي من 25 م. فذهب إلى خاله السلطان محمد وحيد الدين الذي خرج معه ليعلمه الرمي بالرصاص. حتى أن السلطان محمد وحيد الدين اصطاد من 25 حمامة 7 حمامات؛ كل حمامة أصابها في ثانية واحدة أو في زمانٍ قصير جدًا. فتحير بهاء الدين واصيب بدهشة من قدرة خاله وحيد الدين على إصابة الهدف وإسقاطه بكل هذه الدقة وبهذه السرعة. وكان يقول لخاله: **" لا أعرف كيف أصبت كل هذا؟! بمثل هذه الدقة والسرعة".** ثم قال لخاله مرة أخرى: **" يجب على كثير من الناس أن يحيوا السلطان بصوتٍ عالٍ".**

3.1. الإنعزال عن الدنيا بقرية جنجال Çengel Köy

منذ عهد أخيه السلطان عبدالحميد الثاني والأمير محمد وحيد الدين يحاول الفرار من تحمل أي مسؤولية سياسية؛ لهذا قبل أن يعلنَّ سلطانًا إنعزل بقرية جنجال Çengel Köy عن العالم مع عائلته. وكان الأخ الآخر غير الشقيق للأمير محمد وحيد الدين أفندي الأمير كمال الدين أفندي قد أشترى عدة أراضي وعقارات حول أطراف قرية جنجال Çengel Köy وبنى لنفسه هناك داخل القرية كشك.[24] وكانت هذه المباني في أطراف قرية جنجال تعود إلى عهد السلطان سليم الثالث؛ غير أنها قد أتت عليها عوامل الزمان فلم يبقَ سوى أساسات المباني التي تعود إلى عهد السلطان سليم الثالث. ثم اشترى هذه المباني بعد عدة سنوات عائلة البنائيين الأرمينية المشهورة في استانبول باسم أبناء كوتشه Köçeoğulları. ثم أتى الأمير كمال الدين بن السلطان عبدالمجيد الأول وأشترى هذه المباني والعقارات من ابناء كوتشه الأرمن. ويعتبر الأمير كمال الدين الأخ الأصغر للسلطان عبدالحميد الثاني. وهو الذي أنشئ بقرية جنجال القصر الصغير؛ واشترى حول هذا القصر أراضي واسعة ثم أعطاها لأخيه الأمير محمد وحيد الدين هدية. لهذا السبب جعل الأمير كمال الدين عقد تسجيل القصر الصغير والأراضي باسم أخيه محمد وحيد الدين. ولقد بادله الأمير محمد وحيد الدين ببعض الأملاك غير المنقولة له في استانبول؛ مكافأة لأخيه كمال الدين أفندي على هديته.

وقد أنشأ الأمير محمد وحيد الدين لزوجة أبيه شايسته هانم Şayeste Hanım في نفس قرية جنجال بجوار قصره قصرًا صغيرًا لتسكن فيه. فلم ينسَ لها الأمير محمد وحيد الدين رعايتها له؛ رغم قسوتها. وأما هذا القصر الصغير الذي أعده لزوجة أبيه فقد خطط تصميماته بنفسه؛ وأحضر لها البناء سليمان الأسطى. فهدم القصر القديم وأعاد تقسيم وتخطيط القصر الجديد لها بنفسه ثم أحضر المهندس وللوري Vallaury والذي قام بتوزيع تخطيطات القصر مع الأمير محمد وحيد الدين بنفسه؛ بيد أن الإختلاف بينهما في التفاوض على سعر تكاليف الإنشاء؛ جعل قصر زوجة أبيه لا تكتمل منه أجزاء حسب ما كان يراد له من قبل الأمير محمد وحيد الدين.

لقد كانت رغبة السلطان محمد وحيد الدين أن ينعزل مع عائلته ومحبيه من بعض أقاربه عن حياة المدينة في استانبول بقصره الصغير بقرية جنجال؛ لهذا السبب كانت حياة الأمير محمد وحيد الدين إنعزالية نوعًا ما. فمن قبل؛ في شهور الشتاء قام بالسكن في القصر الفرعي وكان في شهور الصيف يجلس بقصره

[24] الكشك؛ هو القصر الصغير باللسان التركي العثماني، المترجم.

الصغير بقرية جنجال. غير أنه مع الزمن انتقل إلى قرية جنجال تمامًا وعاش فيها. وابتعد عن المدينة باستثناء حضوره المراسم أوقيامه ببعض الأعمال الوظيفية التي يكلف بها من قبل السلطان في استانبول.

وهكذا عرفنا لماذا لم يسكن السلطان محمد وحيد الدين قبل توليه السلطنة قصر دولما بهتشه Dolmabahçe أو في أي قصر سلطاني آخر؟! وعرفنا سبب رغبته في السكن والإقامة الدائمة بقرية جنجال.

4.1. ماذا يوجد في قصر قرية جنجال؟!

يوجد في القصر الرئيس الصغير عائلة الأمير محمد وحيد الدين. وعلى مقربة من هذا القصر يوجد قصر آخر صغير لزوجة أبيه شايسته سلطان هانم. ويحيط بقصر الأمير وحيد الدين الصغير أراضي شاسعة ومزرعة وغابة بها بعض القرود وأحواض سمك كبيرة وحدائق غناء. وعن ذلك تقول صبيحة سلطان إن والدها في قصره بقرية جنجال كانه الحامي لهذا القصر. وكان يشعر بأنه شاب! لهذا عاش عدة سنوات في هذه القرية بهذا القصر. ولنقطتطف بعضًا مما كتبه في مذكراتها عن ذلك: **"...عندما كان والدي صغيرًا يتيمًا وبحاجة إلى الشفقة والرحمة كثيرًا. لم يعطيه أي أحد ممن كانوا معه هذه الرحمة. لهذا وثق علاقاته بالفقراء. وكان ينفق أمواله على كتاتيب تعليم القرآن للأطفال الأيتام. وكذلك كان يتكفل بجنازة الغرباء الوافدين على القرية إذا ماتوا وليس لهم من يدفنهم. وكان يساعد في أعمال الجنائز. وفي دفع تكاليف المرضى المحتاجين من أهل قرية جنجال من جيبه الخاص. وكان يحب الإشتراك في كافة أعمال الخير والمعروف. ويرى أنها العمل الصالح الباقي ثوابه في الآخرة؛ وأنها الأثر الطيب في الدنيا".**

5.1. الزواج الأول للأمير محمد وحيد الدين

أول إمرأة تزوجها هي الشركسية جميلة سلطان. وفي عمر الثمانية عشر عامًا قد بدأ أرتباطه بها. ولدت جميلة سلطان عام 1843م وتوفيت عام 1915م. وكانت عينيها عسليتي اللون وشعرها طويل. وأمها هي أمينة نازكه ده Emine Nazikeda وهي من الشركس الأباظية من منطقة مرشان Marşan. وكان والدها هو أمير مرشان الأمير حسن بك. وهو من مدينة سخوم Sohum وقد ولد بها عام 1806م. وعندما كان حسن بك شابًا أتى إلى استانبول ليسلم ابنته إلى القصر السلطاني؛ فكما ولدت جميلة سلطان يوم المولد النبوي الشريف؛ دخلت إلى القصر السلطاني في يوم المولد النبوي الشريف. ولقد لقبت جميلة سلطان بلقب مجيدة سلطان. وأصل عائلتهم من القوقاز. ومن قبل عندما دخلت أمها إلى القصر السلطاني تم تغير اسمها إلى أمينة نازكه ده. وكانت جميلة سلطان تخرج للتنزه على مدار بقائها في القصر السلطاني لعدة سنوات مع

ابنة السلطان عبدالحميد الثاني الصغيرة فاطمة سلطان. وكانوا يخرجون إلى الطريق ويعودون معًا. وكانت نازكه ده والدة جميلة سلطان دائمًا معها. وذات مرة قال حسن بك لزوجته نازكه ده لو أردت العودة إلى قصرك بالقوقاز لعدنا. غير أنها رفضت بشدة وتشاجرت معه وطردته. فقال لها: **" أقتُليني...وسأبقى معك يا نازكه ده حتى آخر نفس في حياتي".**

وكان اول لقاء بين الأمير محمد وحيد الدين وجميلة سلطان الفتاة الشركسية ذات السبعة عشر عامًا؛ عندما كان في عمر العشرون عامًا؛ أثناء زيارته لقصر أخته الكبرى مديحة سلطان. وعندما رأها كأنها خطفت قلبه. فقال الأمير محمد وحيد الدين لأختهِ أريدك باعتبارك أختي الكبرى أن تكلمي والدة جميلة سلطان وتعرضي عليها عرضي بالزواج من ابنتها. ولقد كان محمد وحيد الدين يحسب جميلة سلطان في أول الأمر جارية؛ بيد أنه علم بعد ذلك أنها أميرة. غير أن أمها نازكه ده رفضت عرض الأمير محمد وحيد الدين بالزواج من ابنتها جميلة سلطان. ومن المحتمل أن سبب رفضها لمحمد وحيد خوفها من أنه ربما يكون أعجب بشكل ابنتها لا بروحها. وفي جوابها على أخت السلطان محمد وحيد الدين قالت: **" لن أعطي ابنتي للأمير".** غير أن محمد وحيد الدين لم يقبل بذلك. واستمر يحاول مع والدة جميلة سلطان حتى استطاع اقناعها. غير أنها قالت له عقب موافقتها على طلبه: **" إن أردت الزواج من ابنتي؛ فعليك أن تقسم بألا تتزوج عليها".** فأقسم الأمير محمد وحيد الدين فوافقت نازكه ده على أن تزوجه من ابنتها بحضور أخته الكبرى مديحة سلطان. وتم زواج الأمير محمد وحيد الدين في 8 يونيو 1885م. وكان عمر وحيد الدين عند زواجه 24 عامًا وعمر عروسه 19 سنة. وتمت الأفراح في قصور القرية الوسطى Orta Köy. وكان لجميلة سلطان أخت تكبرها بسنة. فعندما أتوا إلى استانبول لأول مرة كان عمر جميلة سلطان 17 عامًا وعمر أختها الكبرى 18 عامًا.

6.1. ثلاث فتيات ونساء أخريات بينهما

وبعد زواجهما أنتقلوا إلى القصر الفرعي ليسكنوا بجناح خاص لهم به. وكان هذا الجناح يتكون من ثلاثة طوابق من الأخشاب. وقد مرت بضعة سنوات والأمير محمد وحيد الدين يعيش مع زوجته جميلة سلطان في هذا القصر الصغير في هدوء وسكينة. ولكن في أحدى الليالي حدث حريق في شقة الأمير محمد وحيد الدين. وقفز الأمير محمد وحيد الدين عبر ربط بعض القماش الخاص بأثواب زوجته وأنقذ أولاده وعائلته بنفسه. إلا أنه سوف يرى الأدوات الخاص بالخط العربي التي تعود إلى جده السلطان محمود الثاني ووالده السلطان عبدالمجيد الأول من دواة الأحبار التي صنعت من عظم صدفة السلحفاة وبطنت بمعدن الذهب مع الأقلام والأوراق التي كان يحتفظ بها في برج قصره الصغيرة والتي بها لوحات بالخط العربي

بخطي السلطانان محمود الثاني ووالده عبد المجيد الأول قد أخترقت مع الألوان والأحبار. ولم يتبق من طقم الدوَيات الخاصة بأحبار الخط العربي سوى التبطين الداخلي بمعدن الذهب. أما عظام السلحفاة فقد أحترقت مع ما أحترق من اشياء القصر. وأضطر حينها الأمير محمد وحيد الدين أن يذهب مع عائلته لجناح القصر الغير مكتمل البناء الذي أختلف على تكاليف إنشائه مع المهندس وللوري Vallaury. واضطر محمد وحيد الدين جراء هذا الحريق أن يتصل بالمهندس وللوري وأن يعتقد معه مفاصلة حول ثمن اسعار الإنشاءات لقصره في قرية جنجال. وأضطر أن يوافق بنتيجة سعر المفاصلة مع هذا المهندس كحل وسط بينهما. وبعد إكتمال إنشاءات القصر الصغير؛ إنتقل إليه الأمير محمد وحيد الدين ليعيش فيه مع زوجته.

وكان هذا القصر بقرية جنجال يوجد حوله أراضي واسعة ومراعي للخيل. فكان يركب الخيل مع أفراد عائلته. ويجري بالساعات لتريض والتنزه خالي البال لا يفكر في شئ سوى جمال الطبيعة. وكانت أم زوجة والده نازكه ده ذات مزاج راقي في تذوق مثل هذا النوع من رياضة الفروسية. حيث كانت تشاهد مسابقات الخيل بأوروبا. لهذا لم يهتم الأمير محمد وحيد الدين كثيرًا لما حدث بجناحه بالقصر الفرعي وسكن بعد التوسعة في القصر الذي أعده لزوجة أبيه ولأم زوجته نازكه سلطان في جناحه الخاص الذي أعده له المهندس الأجنبي وللوري Vallaury وكان يتخيل أن الذي حدث لقصره من حريق ما هو إلا سراب وخيال بكل تأكيد.

إن اول ولد رزق به الأمير محمد وحيد الدين كان بعد زواجه بثلاث سنوات. حيث ولد ولده الأول بتاريخ 1888م وكان يسميه فينيرَ Fenire . بيد أن هذا الوليد لن يعيش أكثر من بضعة أشهر. وفي تاريخ 12 سبتمبر من عام 1892م ستأتي إلى الدنيا الأميرة فاطمة علوية سلطان. وبعد ميلادها بعامين ستولد الأميرة رقية صبيحة سلطان بتاريخ 19 مارس 1894م. وبعد ميلاد الأميرة صبيحة سلطان قال الأطباء لزوجة والد الأمير محمد وحيد الدين وأم زوجته نازكه ده: **" أن زوجة الأمير محمد وحيد الدين بعد هذا الإنجاب لن تستطيع أن تنجب مرة أخرى".** مما اضطر الأمير محمد وحيد الدين أن يبحث عن زوجة أخرى لكي ينجب منها مزيدًا من الأبناء وقد كلف زوجة أبيه وأم زوجته بالبحث عن زوجة أخرى بعد أن أستأذن زوجته الأولى. وبخاصة أن زوجة أبيه قد ألقت في فكر وقلب الأمير محمد وحيد الدين أنه في يوم من الأيام قد يكون سلطانًا للدولة العثمانية. والسلطان بحاجة إلى ولد ذكر ليرثه على العرش. وبالرغم أن هذا كان خيالاً بالنسبة للأمير محمد وحيد الدين من أن يتولى العرش العثماني؛ إلا أنه أحب أن يكون لديه ولدًا ذكرًا يحمل اسمه من بعده. لهذا قالت أم زوجته نازكه ده لابنتها الأميرة جميلة سلطان: **" إن ولدي الأمير محمد وحيد الدين لم يحنث بيمينه لك. ولكن وضعك الصحي في عدم قدرتك على الإنجاب بعد ذلك؛ هو الذي أفسد**

إتمام اليمين بألا يتزوج عليكي". وكان هذا الحوار في حضور الأخت الكبرى لجميلة سلطان. وعلى الرغم من كلام حماة الأمير محمد وحيد الدين لزوجته إلا أنه كان شديد الحب لزوجته. حتى أنه عندما أصبح سلطانًا وعندما نفي خارج الأناضول كان كل صباح يذهب إلى حجرة زوجته الأولى جميلة سلطان ليشرب معها فنجان القهوة بالطابق الأول.

بيد أن الأمير محمد وحيد الدين بعدة عدة سنوات سيتزوج بمودة هانم Meveddet Hanım والتي تعد زوجته الثانية. وقد أنجب منها بتاريخ 5 أكتوبر من عام 1912م ابنه الذكر الأول والوحيد محمد أرطغرل Mehmed Ertuğrul. وكان هذا الأمير غير محظوظ مثل والده السلطان محمد وحيد الدين. حيث ذهب في صيف عام 1944م إلى القاهرة. وهناك لم يشعر بالراحة حيث أصيب في يوم واحد بمرض عجز عن معرفته الأطباء؛ لهذا لم يستطيعوا تداويه ومات في نفس يوم إصابته عن عمر يناهز الإثنين وثلاثون عامًا.

7.1. نفس الحياة البسيطة كل يوم

لم تتغير عادات وسلوكيات الأمير محمد وحيد الدين كل يوم عن سابقاتها. ففي كل يوم يستدعي ابنته صبيحة سلطان ليملي عليها ما يريد. لهذا فإن صبيحة سلطان كانت تعتبر حياة والدها السلطان محمد وحيد الدين بسيطة جدًا ككتابته. وعلى الرغم من ذلك فإن حياته كانت تتميز بشراء الأشياء ذات الجودة العالية؛ البعيدة عن الأبهة والتباهي. وذلك بغرض أن تعيش الأشياء التي يشتريها أكبر وقت ممكن. وكان أنيقًا في ملابسه ولا يحب شراء ملابس زائدة عن الإحتياج. وكان لا يشتري ملابسه بأسعار غالية عن الحد المعقول. وكان دائمًا ما يشتري من محلات الماركات مثل مير Mir وكوتارو Koteroومايسون بكرٌ Maison Baker. وكان عند شراؤه الملابس الرسمية للتشريفات وغيرها يفضل شراؤها من محلات بجماليون Pigmalion Mağazaları.

ومن بساطة الأمير محمد وحيد الدين أن أحد الخدم عندما تناول النفط للشرب بدلاً من الماء المعدني؛ لم يطرد خادمه ولم يبتعد عنه. بل خصص له قبوًا ليسكن فيه وعلاجه على نفقته الخاصة. وفي القصر الفرعي بالطابق الأوسط كانت توجد ثلاث حجرات خاصة بالأمير محمد وحيد الدين وعائلته في كل وقت. وكانت الأبواب والأسقف لهذه الحركات مزخرفة بالأسلوب التركي في الزخرفة.[25] وكان يوجد بهذا الطابق الأوسط صفة من الأعمدة مقسمة إلى قسمين. القسم الأول صالون الإستقبال. والقسم الثاني حجرة لكتابة

[25] الأسلوب التركي في الزخرفة؛ يقصد به الكاتب أسلوب الزخرفة الإسلامية في التعشيق الذي يعرف بفن التوريق العربي أو الأرابيسك في البلدان العربية. وفي تركيا يطلقون عليه اسم الزخارف التركية لتفريقها عن زخارف الفن الأوروبي لفنون عصر النهضة الباروك والروكوكو، المترجم.

الخط العربي. وفي بعض الأحيان كان الأمير محمد وحيد الدين يقوم باستقبال الضيوف في هذه الصفة. ويقومون بعزف الألحان الموسيقية وتعليم النوته الموسيقية وضبط المقام الصوتي الموسيقي. كذلك كان يقوم فيها الأمير وحيد الدين بعمل صالون ثقافي لتبادل الآراء ودراسة أنواع مختلفة من العلوم؛ حسب الشخصيات التي كان يعثر عليها لتساعده في هذا المجال.

وكان في زمان الأمير محمد وحيد الدين قبل توليه السلطنة بعض الموسيقيين المشهوريين من أمثال: لافون Levon وملكست Melekest وآليكسان أفندي Aleksan efendi وأسدق أغا Asdik Ağa . حيث كانوا يزورون الأمير محمد وحيد الدين في قصره الصغير بقرية جنجال يومان أسبوعيًا؛ ليتدارسوا الموسيقى. وكان الأمير محمد وحيد الدين في قصره الصغير بقرية جنجال يقوم بتنظيم كورال وأوركيستر من الخدم والحشم ويوزع عليهم الآلآت الموسيقية من الكمان والعود والقيثارة والقانون مع توزيع الألحان السلطانية عليهم من الموسيقى الرسمية ليتعلموها معًا. وكان الأمير وحيد الدين يعزف معهم.

كذلك كان الأمير محمد وحيد الدين بالرغم من اهتمامه الزائد بالموسيقى إلا أنه كان شديد الغيرة والتحسس على البسة نسائه. خاصة بناته وبخاصة أثناء الحفلات الرسمية التي كانت تقام بالقصر السلطاني. لهذا تذكر صبيحة سلطان بأنه عند اختيار ملابس الحفلات الرسمية؛ بأنها وأختها كانتا يتوخيا الحذر فيها والدقة رعاية لشعور والدنا. وفي هذا الموضوع بالذات ذكرت صبيحة سلطان في مذاكرتها حوارًأ مفصلاً قالت فيه: "**...في هذا الخصوص المتعلق بالملابس بالنسبة لنا كنا نتوخى الحرس والدقة. وبخاصة في الأعياد التي كنا نقضيها في قصر يلدز. فكنا دائمًا ما نرتدي نوعان من الألبسة لأجل ذلك. النوع الأول عند الذهاب والعودة من القصر السلطاني. والنوع الثاني الملابس التي كنا نرتديها أثناء جلوسنا مع حريم القصر السلطاني. حتى أنني أتذكر أن ألبسة بنات السلطان عبدالحميد الثاني في مثل هذه الحفلات كانت لا توافق صيحات الموضة حينها. وأتذكر أن السلطان عبدالحميد الثاني في السجلات المتعددة كان دائمًا ما يقدر والدتي رحمها الله من ناحية ما يرسل من ملابس لها ولنا في إلتفاته كريمة منه. وكان كثيرًا ما يرسل الملابس لنا. وكانت والدتي رحمها الله دائمًا ما كانت تدقق في الملابس لتختار لنا ما يناسبنا. وكانت تراعي باهتمام ألا نرتدي أي ملابس لا تراعي الأصول. وفي كل فرصة تأتيها كانت تدقق في ملابسنا قبل أرتدائها. في بعض الأوقات كانت عمتي مديحة سلطان تذهب مع زوجها فريد باشا إلى أوروبا. ثم تعود إلى زيارتنا في قرية جنجال. وكانت تمكث معنا من خمسة عشر يومًا إلى عشرين يومًا. وكان الباشا زوجها وهي دائمًا ما يراعون الأصول الإنجليزية في التعامل واللباس والمأكل والمشرب. حتى أنه ذات مرة اتت عمتي مديحة سلطان إلى مائدة العشاء. وكانت ترتدي ملابس إنجليزية غير متسترة. وكانت ترافقها أمي وتوافقها**

على ذلك. وكان والدي محمد وحيد الدين لا يراعي حينها العادات والتقاليد التركية في اللباس. ويرتدي بدلة اسموكن. وكان عندما يخرج إلى الطريق في القرية يرتدي البدلة السوداء والبنطال الأوروبي. وكان والدي في كل وقت يجعل من نفسه تجاري الأحداث. حتى وإن كان في ذلك مواجهة مع من يحافظون على اللباس القديم. فقد كان والدي كالقنبلة التي على وشك الإنفجار. وكان الضيوف اللذين يزورونه أيضًا قد قبلوا بهذه القيافة من الألبسة الغربية".

8.1. السياسة الخفية من ميراث الأخ الأكبر

في الربع الأخير من القرن التاسع عشر كان وجود عبدالحميد الثاني على العرش العثماني؛ يجعل من المحال أن يصل الأمير محمد وحيد الدين إلى العرش العثماني. بل أصبح لذلك وصول وحيد الدين للعرش العثماني ضربًا من الخيال. فعندما تم الإنقلاب على السلطان عبد العزيز خان تم اختيار الأمير مراد الخامس الأخ الأكبر لمحمد وحيد الدين وأكبر أبناء السلطان عبدالمجيد الأول ليكون سلطانًا على البلاد. وتحت ضغط علي الصوافي Ali Süavi تم نقل السلطان عبدالعزيز إلى أحدى القصور الفرعية. ليقضي حياته في سجنٍ كقفص طير من ذهب. أما الأخ الأكبر الثاني للأمير محمد وحيد فهو محمد رشاد أفندي الملقب بمحمد الخامس حاجزًا بينه وبين العرش العثماني. كذلك أخوه الأكبر الآخر كمال الدين أفندي وابن العم الأكبر منه ببضعة شهور سليمان أفندي بن السلطان عبد العزيز خان وهو أكبر أبناء عبد العزيز. وكذلك أخو سليمان أفندي الأمير يوسف عز الدين أفندي كان أيضًا لكبر سنه عن محمد وحيد الدين يحول بينه وبين العرش العثماني.

وبعد أن أصبح محمد رشاد أفندي هو السلطان وعهد لهم بولاية العهد واحدًا تلو الآخر. بيد أنهم توفوا جميعًا في حياة السلطان محمد رشاد أفندي على التوالي. وهكذا انفتح الطريق أمام الأمير محمد وحيد الدين أفندي لاعتلاء العرش العثماني. فتوفى أولاً الأمير كمال الدين أفندي عام 1905م. وعبد الحميد الثاني كان مازال سلطانًا على العرش العثماني. وفي عام 1909م تم الإنقلاب على السلطان عبدالحميد الثاني وعزله عن العرش وتولية أخيه الأصغر محمد رشاد الحكم. إلا أن السلطان محمد رشاد بعد أن تولى الحكم ببضعة أشهر توفى الأمير سليمان أفندي بن السلطان عبد العزيز خان في حياته.وكان العائق في التسلسل للوصول للعرش العثماني أمام الأمير محمد وحيد الدين أفندي هو وجود الأمير يوسف عز الدين أفندي الأكبر منه سنًا. إلا أنه في تاريخ 1 فبراير من عام 1916م سيتوفى الأمير يوسف عز الدين أفندي في ظروفٍ غامضة. ومنذ ذلك الحين أصبح الطريق للعرش العثماني مفتوحًا أمام الأمير محمد وحيد الدين أفندي.

لقد كان الأمير محمد وحيد الدين من الأخوة المقربين إلى السلطان عبدالحميد الثاني؛ لهذا كان يحسده ويحقد عليه الكثرون. هذا التقارب هو الذي جعل بعض الجرائد تشن حملة ضد الأمير محمد وحيد الدين؛ وبخاصة بأنه وقف مع أخيه السلطان عبدالحميد الثاني ضد حركة الأمراء داخل قصر الحكم. هذا التواصل المتنوع في السراء والضراء بين الأمير محمد وحيد الدين وأخيه السلطان عبدالحميد الثاني فتح باباً من الأحقاد والعداء على الأمير محمد وحيد الدين. فمن المعلوم أن السلطان عبدالحميد الثاني كان على مسافة واحدة من أخوته؛ بل وحتى من أبنائه. فلماذا هذا التقارب مع محمد وحيد الدين أفندي؟! ربما لأنه عقب وفاة والدته كان يتيمًا وبحاجة إلى رعاية. وكان السلطان عبد الحميد الثاني يحاول أن يرعاه من بين الحين والآخر. وكان عبدالحميد الثاني ينظر إلى محمد وحيد الدين على أنه ابنه الأصغر لا أخوه الأصغر. وربما يوجد اسباب أخرى لم نستطع معرفتها. وتعقيباً على ذلك تذكر الأميرة صبيحة سلطان في مذكراتها: **"...عندما كان والدي شابًا كان يعشق الحرية والإستقلال بشخصيته. لهذا كان دائمًا ما يبعد نفسه عن حياة القصر وصراعاته الداخلية. وبذلك نأئ بنفسه وبعائلته عن أي تأثير سياسي. غير أنه مرتبط نفسيًا بميراث العائلة العثمانية ومتعلق بشرف حيسيتها. فمثلاً لو وجد الأمير محمد وحيد الدين أي فعل من أحد أفراد العائلة العثمانية لا يعجب منه ويمس شرف العائلة العثمانية؛ كان على الفور يذهب إلى السلطان عبدالحميد الثاني ويشتكي له. وبالطبع كان هناك داخل العائلة العثمانية أفراد شرفاء لا يرتكبون الجرائم. لكن خطأ واحد من أحد أفراد العائلة؛ كان ينتج عنه التشنيع على كل أفراد العائلة بل على السلطان ذاته. لأنه لا يوجد تفريق لدى الناس بين من قام بعمل الفعل ومن لم يقم بعمل الخطأ".** فالناس يقولون عند الخطأ فعل العثمانيون؛ ولا يقولون فعل فلان من الأسرة العثمانية. ومازال هذا الخطأ مستمرًا وسيستمر.

وبعد عزل السلطان عبدالحميد الثاني لم يكن هناك منزل واحد يمتلكه السلطان عبد الحميد الثاني. غير أن أملاك الأمير محمد وحيد الدين في قرية جنجال كثيرة وكانت أراضيه ومزارعه حول قصره الصغير شاسعة. لذا لما علم المنقلبون برغبة الأمير محمد وحيد الدين في مساعدة أخيه الأكبر عبدالحميد الثاني بعد عزله عبر تخصيص جزء يساعده على مصاريف الحياة هو وعائلته؛ قام المنقلبون على عبد الحميد الثاني باسم الدولة العثمانية بمصادرة أملاك الأمير محمد وحيد الدين في قرية جنجال؛ وبتخصيص معاش شهري له فيما يعرف بمصاريف الجيب Cep Harçlığı. لقد كان السلطان عبدالحميد الثاني يهدف من مساعدته لأخيه محمد وحيد الدين في قرية جنجال إلى تربيته تربية سياسية صحيحة بعيدة عن مؤامرات القصر السلطاني؛ وبطريقة خفية لا يلاحظها أعداء السلطان عبدالحميد الثاني. لهذا السبب لما تولى السلطنة الأمير محمد وحيد الدين كان يتبع سياسة أخيه عبد الحميد الثاني من التقارب مع الإنجليز ومن اللعب على أوتار

الخلاف بين الخصوم وفي النفرة من حزب الإتحاد والترقي اللذين أغتصبوا السلطة السياسية من السلطان العثماني بعد عزل عبدالحميد الثاني.

لهذا كان السلطان محمد وحيد الدين يتبع سياسة النفس الطويل وينتظر الفرصة السانحة ليخلص من قبضة الاتحاديين حول رقبته. والسلطان محمد وحيد الدين لا يتبع في ذلك سياسة أخيه الأكبر عبد الحميد الثاني فقط؛ بل سياسة والده عبدالمجيد الأول في أثناء حرب القرم مع الروس. لقد اتفق الإتحاديون مع الألمان على مهاجمة الروس في شبه جزيرة القرم أثناء الحرب العالمية العامة[26] دون الرجوع إلى السلطان محمد رشاد الملقب بمحمد الخامس. لهذا عمل السلطان محمد وحيد الدين على سحب البساط من تحت أقدام الإتحاديين؛ وفي إلى التقارب مع الإنجليز ملتمسًا في ذلك اتباع نهج والده السلطان عبد المجيد الأول وأخيه الأكبر عبدالحميد الثاني في ضرب الخصوم بعضهم ببعض. وهذه السياسة من التقارب مع الإنجليز هي التي سوف تدفع الإتحاديون للتشنيع على السلطان محمد وحيد الدين بأنه عميل للإنجليز ضد الإتحاديين. بيد أن السلطان محمد وحيد الدين قد شكل لجنة لرصد تجاوزات وجرائم الإتحاديين في الدولة العثمانية. واستطاع بفضل تقاربه مع الإنجليز من سحب البساط من تحت أقدام الإتحاديين واسترداد بعض صلاحيات السلطان العثماني السياسية من أيديهم.

وهذه المعلومات قد حصلنا عليها ليس من مذكرات السلطان محمد وحيد الدين التي لم تصلنا وإنما حصلنا عليها من خلال ما قيل بالكلام الشفهي أو ما ذكر في مذكرات المقربين منه أو من خلال مذكراته التي كتبها في المنفى ولم تطبع بعد. وفي ذلك يقول السلطان محمد وحيد الدين: **" منذ ما يقارب من أربع سنوات والحرب العامة في الدنيا لا تبقي ولا تذر. لقد أستنزفنا وأجبرنا على الدخول في الحرب والبقاء فيها؛ دون أن يسمح لنا بالتنفس. لذا كان علي أن أنقذ وجود الدولة وماهيتها وأن أحافظ على استانبول من الإحتلال. ولكن بعد الإتفاق بين الدول العظمى الغالبة؛ كان لابد من الحفاظ على استانبول داخل الأراضي التركية. ووافقت الدول الكبرى المنتصرة حينها على ذلك. ولا أنكر بأنه في أثناء هذا الإتفاق حصلت بعض الأخطاء؛ وكان من المحال إصلاحها. ولم يعد لسلطان الشرقيين وحكومته أي تمثيل أمام القوى الكبرى. لقد كنت أريد أن أحافظ على مشروعية بقاء العرش العثماني وحياة السلطنة مستفيدًا من اللعب على نقاط الخطأ والتناقضات؛ لهذا أشتركت معهم في اتفاقية إنهاء الحرب. ولم تكن هناك رغبة مني في الحصول على حكم شخصي وإستقلال بمساحة معينة من الأناضول كما كانوا يريدون؛ دون استرداد سائر أملاك**

[26] الحرب العامة؛ في التاريخ العثماني يقصد بها الحرب العالمية الأولى فيما بين أعوام 1914-1918م، المترجم.

الدولة العثمانية. لقد قلت لهم اي للحلفاء بأنني أتبع سياسة والدي السلطان عبد المجيد الأول رحمه الله تعالى في الإلتزام بكافة المواثيق والمعاهدات الدولية التي عقدها معكم. وكنت أريد أن أسس سياسة يقبلها الجميع؛ وأنقذ بها قدر استطاعتي ما يمكن إنقاذه. غير أنني فوجئت بالغدر وبالخيانة وبالعمل على عكس ما كنت أريده مع الإنجليز والفرنسيين؛ مما أدي نتيجة عكسية في إيقاظ الإنجليز والفرنسيين وانتباههم إلى هدفي من سياسة التخدير معهم؛ التي كنت أبذل قصارى جهدي للحفاظ عليها في التعامل معهم. ومن الممكن أن استخدم سياسة التنويم مع الإنجليز مرة أخرى. وكذلك مع الفرنسيين؛ لهذا أعتمدت على مراسلة المقاومين في القرم ضد الروس. وعرضت على الحلفاء إحياء مسألة القرم والحرب فيها إلى جانبهم. وحاولت أن أحافظ على الصداقة القديمة مع دول الحلفاء. غير أنه قد بين لي أن هذا الأمر لم يعد مجديًا بعد انتصارهم في الحرب العامة. ولم يعد بإمكاني إعلان الخصومة والتضايق والشدة معهم؛ حتى ولو كانت خفيفة. وحاولت أن أعمل على القضاء على وجود الحلفاء وزعزعته وسط الأناضول. ولقد حاولت أن أتبع سياسة ترتيب الحروف الهجائية معهم؛ لنجتمع ثلاثتنا ونعمل معًا. غير أن الإنجليز كانوا يرون أنفسهم بعد إتفاقية إنهاء الحرب في الموقع الرئيس. ويرفضون أن يشاركهم أحد في ذلك".

ومما سبق يتبين لنا سبب وجود السلطان محمد وحيد الدين إلى جوار الإنجليز أثناء حرب الإستقلال. لقد كان هدفه تخديرهم لاسيما ننتصر في الحرب. ومن حيث تلك النظرة كان يوافقهم ظاهرًا لا فعلاً. وبذلك نستطيع أن نرفع ختم الخيانة الذي ألصق بالسلطان محمد وحيد الدين وسياسته عند ذكر حرب الإستقلال. ومن خلال مذكرات ابنته صبيحة سلطان التي كتبت بعد عدة سنوات من حرب الإستقلال يتبين لنا أن السلطان محمد وحيد الدين كان يسير في طريق تخدير الحلفاء وإظهار التوافق معهم في نفس الوقت الذي كان يعد فيه العدة لتحرير البلاد منهم. وفي ذلك تقول صبيحة سلطان: **"...لم يعجب والدي بالإتحاديين...والسؤال لماذا لم يستطع والدي الإتفاق مع الإتحاديين؟! والدي على مدار ما يقارب من أربعين عامًا وهو يراقب ويلاحظ سياسة أخيه عبدالحميد الثاني من الصداقة مع الإنجليز ومن التقارب مع الفرنسيين. ففي هذه الأثناء على مدار ما يقارب من ثلاثين عامًا أو يزيد والسلطان عبدالحميد الثاني يحاول أن يلعب على التناقضات بين أعداء الدولة العثمانية؛ لكي يمنعهم من الإنقضاض عليها وتمزيقها وإبتلاع أملاكها فيما بينهم. ففي أثناء قربه من الفرنسيين وصداقته مع الإنجليز استطاع ترميم وتجهيز الطابايا البرجية العسكرية لدى بعض الولاة. وهكذا استطاع السلطان عبد الحميد الثاني أن ينقذنا من الزوال. أما الإتحاديون فقد أعلنوا أن خصومهم هم الإنجليز والفرنسيين؛ وتحالفوا مع الألمان دون استشارة من اي أحد. كان على أعينهم غشاوة. فلما حثت حرب البلقان أثناء الحرب العامة كان التحالف مع الألمان**

والإعتماد على صداقتهم مغامرة غير محسوبة العواقب؛ قد قذفنا إليها الإتحاديون وأوصلوا الدولة إلى ما وصلت إليه الآن. "أوليس هذا عارٌ عليهم؟!" كما كان يقول والدي. وهكذا كان والدي وحيد الدين يرى أنه من الأسلم للدولة العثمانية أن تكون على نهج سياسة أخيه عبد الحميد الثاني؛ غير أن هذا لم يحدث. لأن الإتحاديون عندما أسقطوا السلطان عبد الحميد الثاني عبروا هم إلى عرش السلطنة العثمانية..لقد كان والدي من شديد الإنشغال بإصلاح السياسة الداخلية للدولة العثمانية بعد الحرب العامة الأولى. وكان يفكر في المرحلة الثانية في السياسة الخارجية؛ وبخاصة في إصلاح علاقته بالإنجليز. وكان يتلافي في حواره مع الإنجليز المسائل الحربية. ويراسلهم في المناسبات من أجل أن يتلافى هذا الخطأ الذي أوقعنا فيه الإتحاديون. وهكذا كان يفكر والدي. وكان الإتحاديون يعلمون بأنهم في أقرب وقت لن يكون لهم سطان على الساحة السياسية في الدولة العثمانية جراء ما حدث؛ وكانوا متأكدين من ذلك".

لقد كان قبل إعتلاء السلطان محمد وحيد الدين العرش العثماني ثلاثة من الوارثين لهذا العرش؛ إلا أن الموت قد أختطفهم. وظن الجميع أن الدنيا قد فتحت ذراعيها للأمير محمد وحيد الدين؛ بيد أنه لم يهنأ بشئ. وتغيرت البيئة المحيطة به من محبيه إلى منافقيه؛ وهو الذي عاش في الدنيا وحيدًا.

الفصل الثاني رجل القصر الوحيد

قصر دولما بهتشه والخوف من كاتب العدل

إنه الإنسان الظريف السلطان محمد رشاد...وبقدر ما كان السلطان محمد رشاد ظريف الأخلاق والطباع؛ بقدر ما هو ضعيف في السياسة. ويرجع ضعف السلطان محمد رشاد إلى كونه كان يخاف من جماعة الإتحاد والترقي؛ لهذا ترك لهم السلطان السياسي في أيديهم؛ وقبل أن يكون رمزًا. لأجل هذا كانت طالبات الإتحاديون وما يريديونه مقبولة لديه بلا نقاش ويلبيها بكل دقة وسرعة. لهذا كان مختصر قول السلطان محمد رشاد مع الإتحاديين عند كل حادثة في جملتين لا يخرج عنهما ألا وهما: **" أنا ممنون!"** أو **" أنا حزين!"**؛ حتى أنه لم تروى عنه أي كلمة أخرى قالها كتابة أو اعتراضًا على الإتحاديين. وبالرغم من أن حياة السلطان محمد رشاد السياسية تبدأ من تاريخ 8 سبتمبر 1888م وتتشكل في وضعها النهائي بتوليه ميراث الأجداد في قصر طوبقابي سراي Topkapı Saray " قصر باب المدفعية" إلا أنه مما يذكر عند توليه السلطنة بأنه سأل الحضور: **" لماذا لم يأتِ الباشا الصدر الأعظم؟!"** فعلى الفور جاءه الرد" **" توفيق باشا الصدر الأعظم المحترم أمامكم سيدي!"** فرد عليه السلطان: **"...ياه أنت كما أنت لا يوجد فرق!"**.

عندما تم خلع السلطان عبدالحميد الثاني عن العرش العثماني بتاريخ 27 إبريل من عام 1909م؛ جلس أخيه الأكبر الثاني محمد رشاد على العرش. وكان عمره حينها 65 سنة. واستمرت حياته منذ ذلك الوقت في البهتان والإنغلاق. فبينما كانت القوة والإقتدار والسلطان السياسي في يد أخيه الأكبر عبدالحميد الثاني؛ كان العكس في يد السلطان محمد رشاد؛ فلم يرَ أي من القوة أو السلطان السياسي في يده. كأنه لم يتعرف على الدنيا؛ وكان يسير خلف ما يوضع له من قبل الإتحاديون. كان السلطان محمد رشاد يكره الإتحاديين بشدة. وبخاصة لأنهم خلعوا أخوه ذو التأثير الروحي عليه الذي يكبره بعامين السلطان عبدالحميد الثاني بدون وجه حق. لهذا كان السلطان محمد رشاد يخاف من الإتحاديين. وعند كل عيد كان الأمير محمد وحيد الدين يذهب له مع عائلته ليبارك له أو ليحضر معه ذبح الأضحيات وتوزيعها على الناس. إلا أن السلطان رشاد كان دائمًا ما يشعر بالخوف وبالقلق الشديد؛ كأنه شابًا طائشاً؛ لا سلطاناً للبلاد. وفي ذلك يقول السلطان محمد وحيد الدين: **"إن عدم ظهور أخي الأكبر السلطان محمد رشاد على الناس كان أكبر معروف فعله"**. ويقول عنه محمد وحيد أيضًا: **"إن أخي سيء الحظ. كان يتحجج بي لكي يقوم بزيارة حظائر الخيول. ويسير معي وحده بالساعات؛ كي لا يسمعه أحد. وكان كلما سمع كلمة الموت؛ كلما تصدع وجدانه وقلبه وأرتعد"**. ويقول عنه أيضًا: **" إن السبب الرئيس لزيارة البلقان من قبل السلطان محمد رشاد؛ أنه**

سمع أن أعداء الدولة يستعدون للإنقضاض على ما تبقى من أملاكها هناك. فأراد بزيارته هذه أن يطمئن الشعب المسلم هناك بأنه غلى جوارهم؛ وهذا أقصى ما كان في يده ليفعله كما قيل".

والسؤال هنا الذي يطرح نفسه: هل كان السلطان محمد رشاد يخاف فعلاً من شيء حقيقي؟ نعم؛ كان هناك ما يخاف منه السلطان محمد رشاد. فعند الخلاف بين أنور باشا والصدر الأعظم كمال باشا أصر أنور باشا على عزل الصدر الأعظم وأحضر معه محمود شوكت باشا؛ وقابل السلطان محمد رشاد وقال له: **" لإن الصدر الأعظم كمال باشا أصبح لا يليق بمنصبه؛ ونحن بحاجة إلى محمود شوكت باشا ليكون صدرًا أعظم".** فأجابه السلطان محمد رشاد على الفور: **" في هذه الحال حسنًا نقول... وليبارك الله الصدر الأعظم الجديد".** ولنتخيل معًا ماذا كان سيحدث من قبل الإتحاديون في حق السلطان محمد رشاد إذا أعترض عليهم. ففي ذات مرة حاول صالح باشا اغتيال محمود شوكت باشا قبل أن يصبح صدرًا أعظمًا. وصالح باشا هذا هو ابن الصدر الأعظم القديم التونسي خير الدين باشا. وزوج منيرة سلطان أخت كمال الدين أفندي وأخت السلطان محمد رشاد أيضًا. وحكم القاضي الإتحادي بالآعدام على صالح باشا؛ وصدق السلطان رشاد مجبورًا على الحكم بخاتمه؛ إذ أن جمال باشا من جماعة الإتحاديين قال للسلطان محمد رشاد: **" إنه من الواجب عليك التصديق على إعدام صالح باشا. ولو أصررت على غير ذلك؛ فسوف نخلعك عن العرش".** لذلك أنفذ السلطان رشاد حكم القاضي في حق صالح باشا؛ لأن السلطان خاف من تهديد جمال باشا والإتحاديون له.

لقد كان المشاعلي[27] ينتظر إلغاء حكم الإعدام في حق صالح باشا زوج أخت السلطان. وقد أنزله من عربته التي أتي بها بكل احترام. وأجلسه على كرسي منتظرًا قرار السلطان؛ كانت منيرة سلطان زوجة صالح باشا تدعو الله بذلك وتقول: **" بأن اخيها لن يخذلها في زوجها".** إلا أن قرار السلطان قد أتى بعكس ما تتمنى وأنفذ حكم الإعدام في حق صالح باشا. حينها ذهبت منيرة سلطان إلى القصر السلطاني وقابلت أخيها السلطان محمد رشاد؛ وقالت له: **"كيف تأمر بإعدام زوجي؟"** فأجابها السلطان رشاد: **" وكيف لا أؤمر ومسدس أنور باشا في رأسي؟! وهل كنت أستطيع غير ذلك؟!".** وبعد انفاذ قرار إعدام صالح باشا شعر السلطان محمد رشاد بتصدع في ضميره ونفسه وشعر بعدم الراحة النفسية. لقد كان السلطان محمد رشاد يخاف ويقلق من الإتحاديين بشدة ولا يستطيع أن يعصي لهم أمرًا. وبالرغم من ذلك كان هناك أمرٌ

[27] المشاعلي؛ كلمة تركية عثمانية؛ تعني القائم بتنفيذ أحكام الإعدام، ويعرف في مصر باسم عشماوي، المترجم.

آخر على مدار 3355 يومًا أي 9 سنوات وبعض الكسور من الأيام؛ هذا الأمر هو لماذا لا يستطيع أحد أن يتحدث عن كاتب العدل في قصر دولما بهتشه Dolmabahçe Saray أو أن يصرفه عن عمله!

وللإجابة على هذا السؤال فلابد أن يعلم أن كاتب العدل هذا هو الذي أعد قرارات عزل السلطان عبد العزيز خان وتولية ابن أخيه السلطان مراد الخامس الأخ الأكبر للسلطان عبدالحميد الثاني وللأمير محمد وحيد الدين. وكاتب العدل هذا هو ايضًا الذي أعد قرارا تنحي السلطان مراد الخامس عن العرش العثماني. وهو الذي أعلن أن السلطان عبد العزيز قد انتحر في أحدى قصور استانبول. ومازالت مناقشة انتحار السلطان عبد العزيز بعد تنحيه بخمسة أيام مسألة مناقشة بين الباحثين. فهناك من يرى أنه قتل وأن يد مراد الخامس ليست بعيدة عن دماء عمه. وهناك من يرى أنه لم يتحمل العزل فانتحر. غير أن المتابع للسلطان عبد العزيز خان على مدار 28 عامًا من حكمه يتبين له أنه من الشخصيات التي لا يمكن أن تفكر في الانتحار. لذا فأغلب الباحثين يرون بأنه قتل.

وبعد تنحي مراد الخامس عن العرش تولى عبد الحميد الثاني السلطنة؛ وكاتب العدل هذا هو من أعد قرار تولية السلطان عبدالحميد الثاني؛ كما أنه هو من أعد قراري عزل ونفي السلطان عبدالحميد الثاني إلى مدينة سالونيك Selanik Şehri في قصر اليهودي آلان تين[28]؛ الذي أعد من قبل بكوات الإنقلاب الإتحاديين لحجز السلطان عبد الحميد الثاني به. وكاتب العدل هذا محل أسرار الإتحاديين ولغز كبير؛ لهذا السبب كان يخشاه السلطان محمد رشاد فقد شارك في عزل عمه وأثنين من أخوته. وفي ذلك يقول السلطان محمد رشاد لعامله جمال باشا: **" إنه لا يوجد خوف بداخلي إذا فوزت بالموت. ولكني أخاف أن تضعوني في حبس مثل أخي السلطان مراد الخامس بقصر جيراغان Çırağan Sarayı بالسنوات لا يسأل علي أحد مثله. حتى أن نساؤه ونسائي كانوا أفضل حالاً منا. وأنا لا أريد أن أسلم الروح لربي وأنا وحيد لا يوجد حولي أحد".** وبعد ذلك أذن المؤذن وذهب السلطان محمد رشاد للصلاة وترك جمال باشا؛ وبعد الصلاة ذهب للنوم. وكان السلطان محمد رشاد دائم الدعاء ألا تكون نهايته مثل عمه عبدالعزيز أو أخويه مراد الخامس وعبدالحميد الثاني. لقد كان ما وقع للأسرة العثمانية منذ مقتل السلطان عبد العزيز خان بعد خلعه. وحتى موت السلطان محمد رشاد والهزائم المتكررة على الجبهات أمام قوات الحلفاء أول مصيبة تصيب الأسرة العثمانية خلال تلك الحقبة. أما المصيبة الثانية فكانت بعد قرارات النفي والطرد خلال تلك الفترة للأسرة العثمانية خارج تركيا عام 1924م. وهذه المصيبة الثانية تعد النهاية الفعلية للأسرة العثمانية.

[28] اسم آلان تين باليونانية تعني علاء الدين باللغة العربية والعثمانية، المترجم.

لقد كان السلطان محمد رشاد على اتصال معنوي وقريب من الشيخ الصوفي رئيس تكية صوتلوجاه سعدي الشيخ آليف أفندي Sütlüce Sâdî Şeyhi Elif Efendiحيث قال له السلطان محمد رشاد اثناء زيارته ذات مرة: **" الكل يعلن في وجهي الولاء؛ لكنهم جميعًا يخفون لي العداء. حتى هذا القانون الأساسي الذي أجبرت على قبوله؛ يرفضون أن أمارس من خلاله سلطاتي. إنني لا أستطيع أن أعصي هؤلاء المنحرفين.[29] لأنهم يريدون مني ذلك كي يخلعونني من العرش ويرسلونني إلى المحبس المعد لي في قونية؛ ثم يعلنون الجمهورية وإلغاء السلطنة العثمانية. لهذا فأنا أحافظ بصمتي على بقاء السلطنة العثمانية وعلى ميراث أجداي".** لقد كان السلطان محمد رشاد ينظر تحديدًا إلى عاقبة أخيه السلطان عبدالحميد الثاني؛ وكيف خلع وعزل ونفي؟! ولم يستطيع أحد من أفراد العائلة العثمانية مساعدته. لهذا كان يخاف أن يكون مصيره كمصير أخيه عبدالحميد الثاني. وفي ذلك يقول السلطان محمد رشاد: **" الجميع من الإتحاديون يقولون لي لا تتدخل في أعمالنا. فكنت أقول لهم:" هل كنت لأتدخل في سن قوانين المشروطية[30]؟! وهل كان جرم أخي[31] إلا ذلك؟!".** لقد كان السلطان رشاد شديد الخوف من الإتحاديون لهذا نجده يقول: **" إن الإتحاديون يزرون التراب؛ ليثروا الغبار في وجهي؛ لينظروا ماذا سأفعل؟!".** ويقول أيضًا: **" إنني مازالت أتذكر الحادثة التي وقعت في عهد أخي الأكبر عبدالحميد الثاني. وذلك قبل نفيه على عجل لمدحت باشا؛ حيث سجلت عليه تشكيلات قلم مخصوص[32] قوله ذات مرة:" لماذا يوجد في الدنيا آل عثمان ولا يوجد آل مدحت؟!"... نعم لقد مر زمان مدحت باشا وانتهى؛ غير أن فكرة تغيير الأسرة العثمانية مازالت موجودة في بعض الأذهان لم تنتهِ".**

لقد وصلت بعض الأخبار إلى السلطان محمد رشاد من أن ولي العهد يوسف عز الدين أفندي كانت لديه نفس فكرة إلغاء السلطنة العثمانية وإعلان الجمهورية؛ وكان يقوي هذا الإتجاه داخله الصدر الأعظم محمود شكوت باشا؛ الذي جعله يقسم على ذلك.

1.2. الجمهوريون الأوائل

---

[29] يقصد السلطان محمد رشاد بالمنحرفين حزب الإتحاد والترقي العالماني الذي أنتزع السلطان السياسي من يد السلطان العثماني، المترجم.

[30] المشروطية؛ يقصد بها قوانين الدستور اللاديني التي سنها الإتحاديون وتخالف الشريعة الإسلامية، المترجم.

[31] يقصد بأخيه هنا السلطان عبد الحميد الثاني الذي كان يريد ضبط قوانين الدستور على أسس الفقه الإسلامي وأستطاع فعل ذلك مع جودت باشا فيما يعرف بقوانين مجلة الأحكام العدلية، المترجم.

[32] تشكيلات قلم مخصوص؛ يقصد بها جهاز المخابرات العثمانية يلدز أي النجمة الذي أسس السلطان عبد الحميد الثاني، المترجم.

إن وجود فكرة الجمهورية في رؤوس الإتحاديين مسألة لا نزاع فيها. حتى أنه عندما توافرت في أيديهم السلطة كانوا يعلنون ما بين الحين والآخر في منشوراتهم أنهم يسعون لتأسيس الجمهورية. ولكن الذي أعاق أحلامهم عن تنفيذ مخططهم في تغيير الأسرة العثمانية هو إندلاع الحرب العالمية الأولى. غير ذلك كان من المحتمل ألا يوافقهم أحد في تأسيس الجمهورية. وفي ذلك يقول السلطان محمد وحيد الدين: **" عندما أندلعت الحرب العامة كانت قيادة الجيوش العثمانية بيد الصدر العظم وأنور باشا. وكان أنور باشا يحرص على أن يظل الصولجان والبلطة والسيف العثماني في يده. وكان مخيفًا إذا قاتل. وفي ذات مرة قال أنور باشا لبعض مقربيه:" بعد انتهاء الحرب العامة سنوجه للأسرة العثمانية أو إنقلاب سنهي مسألة الصراع على العرش العثماني؛ وذلك بتغيير آل عثمان بآل أنور". لهذا سعى أنور باشا في الزواج من أحد بنات أفراد العائلة العثمانية؛ لإقتناعه بأنه لا يمكن تحقيق حلمه إلا إذا أنجب ولي عهد له من الأسرة العثمانية. لقد وصل فكره إلى هذا القدر من الرذالة والإنحطاط. حتى أنه صاهر الأمير سليمان أفندي بن السلطان عبد العزيز خان بزواجه من ابنته؛ وبذلك ضمن التصاهر مع العائلة العثمانية وأصبح صهرنا. كما أن تحت يديه قيادة الجيوش العثمانية فهو يضغط علينا".**

كان الشاهد على كلام أنور باشا في رغبته بتغيير الأسرة العثمانية بالأسرة الأنوارية هورفيقه الثوري رفيق خالد (قراي) وهو الذي نقل هذه الأقوال عنه. من طرف آخر يرى صديق أنور باشا فالح رفقي Falih Rıfkı الذي كتب مذكراته بعد عدة سنوات من الحرب العالمية الأولى: **" لإن فكرة الجمهورية لم تكن مطروحة في فكر الإتحاديين. ولم تخطر ببال أحد من حزب الإتحاد والترقي. بيد أن أنور باشا بسبب مصاهرته للأسرة العثمانية وقيادته للجيوش؛ جعلته يقول بأنه بعد انتهاء الحرب سيعلن إلغاء الأسرة العثمانية وإعلان قيام الأسرة الأنوارية. غير أنه لم يكن سوى ديكتاتور يريد أن يؤسس عائلة حاكمة أخرى بدلاً من عائلة آل عثمان ليس أكثر. وهو بذلك يتابع مسيرة العثمانيين من سلالات الأسر الحاكمة؛ ولكن بشكل آخر".**

والذي يؤكد جدية هذا الإتجاه لدى أنور باشا هو الجواب الذي أرسله إلى صديقه شوكت ثريا آي دمير باشا Şevket Süreyya Aydemir Paşa والذي شرح فيه أنور باشا تصوره عن إلغاء الأسرة العثمانية وطريقة استبدالها. ولقد نشر هذا الخطاب مع بعض الخطابات الأخرى التي نشرت عن مذكرات شوكت ثريا آي دمير باشا. وفي هذا الخطاب يقول أنور باشا: **" عندما تنتهي الحرب العامة؛ ستنتهي أيضًا العائلة العثمانية. لأن أسباب بقائها ستكون قد انتهت. وسيتم إلقاء أفرادها خلف جدران أحدى القصور**

المغلقة. لأن الإنسان لا يجب عليه أن يضيع من يديه مثل هذه الفرصة. ففي العصر القادم ستنتهي الأسرة العثمانية المتفسخة؛ يعني سيطلق العثمانيون العرش العثماني إلى الأبد".

البعض يتهم السلطان محمد رشاد بأنه كان منساقًا خلف الإتحاديين. وأنه كان لا يستطيع أن يسألهم حتى مجرد السؤال أو أن يعترض عليهم. لكننا من خلال الأسطر السابقة قد شرحنا لماذا صمت السلطان محمد رشاد عن الإعتراض على أفعال الإتحاديين؛ وبخاصة أنه كان بأيديهم السلطة الفعلية؛ وهو كان يريد بصمته انقاذ الدولة العثمانية من الفناء والزوال. لقد كان الحكم الفعلي في الدولة العثمانية في أيدي ثلاثة أشخاص فقط من الإتحايين الأول ناظر الحربية أنور باشا والثاني الصدر الأعظم طلعت باشا والثالث جمال باشا.

والسؤال هنا هل كان الثلاثة متفقين على تغيير الأسرة العثمانية بعد الحرب العالمية الأولى؟! إجابة هذا السؤال مازالت قيد المناقشة والطرح حتى الآن. ولكننا نقول ان شخص مثل أنور باشا وضع السلاح في رأس السلطان محمد رشاد ليجبره على إعدام زوج أخته؛ وبالفعل السلطان وختم بخاتمه على إعدام زوج أخته؛ كفيل بأن يقضي على الأسرة العثمانية؛ وحق حينها للسلطان محمد رشاد أن يخاف على حياته وعلى مصير دولته وأسرته وهو يرى ذلك أمام عينيهِ.

2.2.القصر المفلس دائمًا

لقد كانت العائلة العثمانية محصورة داخل القصر السلطاني. وكان الأمراء سواء توافر لهم الطعام أم لم يتوافر لا يستطيعون المجاسرة بالإعتراض. فالناس تظن خارج أسوار القصر السلطاني أن الأسرة العثمانية تعيش في نعيم ولا يدرون عن الواقع شئ. لقد كانت الأسرة العثمانية من السلطان حتى الأمراء والنساء يعيشون حياة صعبة؛ ولا يملكون أحيانًا كثير من المال. وسرعان ما تنتهي مخصاصتهم التي أقرها لهم الإتحاديون. حيث أنها لا تكفيهم في معظم الأحيان. وكانت الأسرة العثمانية تعيش على الإقتراض والديون في تلك المرحلة الحرجة من تاريخ الدولة العثمانية.

لقد بدأت حالة الأسرة العثمانية في الضيق منذ أن تولى الإتحاديون الحكم. ووضعوا أيديهم على مخصصات وأملاك الأسرة العثمانية. وكانوا لا يرسلون إلى أفراد العائلة العثمانية إلا اقل القليل. وكانت العائلة العثمانية لذلك تحتاج إلى الإقتراض. وكان الأشخاص الدائنون يأتون إلى أبواب القصر مع مندوبي البنوك يريدون تحصيل القروض والديون. وفي سبب هذه الأزمة المالية التي حلت بالأسرة العثمانية نجد

وزير مالية الإتحاديين جودت باشا والذي توجد بعض رسائله ومذكراته لدينا في الأرشيف الآن يقول: **" إن السبب الحقيقي وراء الأزمة المالية التي يعيش فيها أفراد الأسرة العثمانية ليست من قلة أموال الأسرة. ولكن من كثرة تبذير الإتحايين. فهم وضعوا أيديهم على أموال الأسرة العثمانية؛ بدعوى منع التبذير وللإنفاق على نفقات الحرب العامة. بيد أنهم فعلوا عكس ذلك خصصوا أموال آل عثمان لأنفسهم؛ وليس لمصالح الدولة أو لأجل رأس الدولة والعائلة السلطان محمد رشاد".**

فمثلاً عندما توفى السلطان مراد الخامس لم يترك لزوجاته ونسائه ولابنته أي ميراث؛ لذا خصصت الدولة العثمانية لهم معاش يكفيهم نظرًا لإحتياجاتهم. ولكن عندما كان يموت أحد الأمراء ويترك نسائه وابنائه كانت أمواله تذهب إليهم وتقسم عليهم حسب الشرع الشريف؛ ولا يخصص لهم معاش. وذلك نظرًا لعدم احتياجهم لهذا المعاش. وكانت الدولة تخصص معاشًا لكل فرد من أفراد العائلة العثمانية يرغب في الزواج؛ تشجيعًا لشباب العائلة على الزواج؛ وقد بدا هذا الأمر منذ عهد عبد الحميد الثاني. لهذا لما ولي الإتحاديون الحكم بعد عزل عبد الحميد الثاني كانوا يقولون: **" أصاب الله عبد الحميد الثاني بالبلاء؛ بسبب تخصيصه معاشات لمن يرغب في الزواج من شباب آل عثمان".** حيث أدعى الإتحاديون على عبد الحميد الثاني بأنه سبب الأزمة المالية التي تعرضت لها الدولة العثمانية. مما دفع أحد أفراد الأسرة العثمانية إلى أن يرسل إلى عمه عبدالحميد الثاني في المنفى ما يدعيه ويزعمه الإتحاديون في حقهِ؛ بأنه سبب الأزمة المالية التي تمر بها الدولة والعائلة العثمانية. فلما رد عليه عبد الحميد الثاني وفند هذه الشبهات؛ وكشفت السجلات المالية لحزب الإتحاد والترقي؛ حينها تبين أن سبب الأزمة اللاقتصادية في الدولة والمالية للأسرة العثمانية الإتحاديون فقط لا غيرهم. لكنهم كانوا يريدون أن يجعلوا من عبد الحميد مطيةٍ لأخطائهم.

وفي عام 1326هـ/1910م أرسل بعض بنات السلطان عبد الحميد الثاني وبخاصة ابنته شادية سلطان من المنفى إلى الإتحاديين تطلب منهم أن يجمعوا تبرعات شهرية أو كل ثلاثة أشهر على الأقل ويرسلوها للأسرة السلطان عبد الحميد الثاني في المنفى كي يستطيعوا أن يستعينوا بها على متطلبات الحياة في المنفى. وكان نص مكتوب شادية سلطان للآتحاديين على الشكل التالي: **" نحن جزء لا يتجزأ من العائلة العثمانية؛ وعليكم أن تخصصوا لنا معاش كما كان يخصص للسلاطين العثمانيين وأبنائهم وأفراد عائلتهم. سواء كان السلطان على العرش أم لا".** غير أن الإتحاديون أخذوا مكتوب شادية سلطان وذهبوا به إلى المحكمة؛ ليعلنوا من هناك أن السلطان عبد الحميد الثاني وأسرته لا يستحقون المال؛ إذ أنهم في هذه الظروف العصيبة يريدون من حزب الإتحاد والترقي أخذ الديون من أعداء الدولة لأجلهم. لقد حمل الإتحاديون خطاب شادية

سلطان ما لم تقله؛ كي يكون لهم بذلك حجة لعدم إرسال مخصصات مالية لعبد الحميد الثاني وأسرته في المنفى.

لقد تدهورت صحة السلطان محمد رشاد وكان بحاجة إلى التداوي والعلاج من قبل بعض الأطباء الغربيين بأوروبا. والسلطان كان لا يستطيع أن يذهب إلى العلاج بأوروبا على الدوام. لهذا كان يرسل مع بعض نساء العائلة العثمانية الذهبات إلى أوروبا بأن يحضروا له بعض الأدوية؛ بيد أن الإتحاديون نظروا إلى هذه المسألة من منظور آخر. واعتبروا أن هذه المراسلات مع بعض نساء العائلة العثمانية الذهابات إلى الغرب ما هي إلا شفرة؛ ليستقوي من خلالها السلطان رشاد عليهم بالغرب الأوروبي؛ لهذا منذ تاريخ 4 سبتمبر من عام 1916م صدر قرار من الإتحاديون بمنع سفر نساء العائلة العثمانية إلى أوروبا؛ وكتبوا في خطاب الإرادة: **" يحق لأفراد الأسرة العثمانية التنزه والتسوق في جميع أنحاء السلطنة العثمانية؛ وليس خارجها. وكذلك يحق لأفراد الأسرة العثمانية الإعتماد على أطباء الدولة العثمانية فقط لا غير. كذلك يحق لنساء الأسرة عند الولادة الإعتماد على القابلات العثمانيات".**

لقد كان الإتحاديون ينظرون نظرة سيئة وبنية غير خالصة للسلطان محمد رشاد ولأي فعل يصدر منه. ومن ذلك الأمر الذي عثر عليه في الأرشيف العثماني من قبل جودت باشا ناظر مالية الإتحاديين؛ والذي أرسل إلى زوج ابنة السلطان عبد الحميد الثاني عائشة سلطان الأمير أحمد نعمي Emir Ahmed Nami يأمره فيه باسم السلطان محمد رشاد بالعودة إلى الدولة العثمانية. غير أن الأمير أحمد نعمي أرسل إلى جودت باشا والسلطان محمد رشاد بتاريخ 10 إبريل 1917م يقول لهم: **" إنكم تطلبون مني العودة إلى استانبول وأنا في مرحلة تداوي ابني؛ ولا أستطيع أن أعود ولم يكمل سوى نصف المرحلة من علاجه. لأن ذلك سوف يضر بحالة ابني الصحية. ولكي تتأكدوا مما أقول فقد أرسلت لكم بعض التقارير الطبية الخاصة بولدي؛ يمكنكم عرضها على أطباء الدولة العثمانية؛ لتتأكدوا من صحة ما أقول".** غير أن هذا الفعل لم يعجب الإتحاديون وأصروا على موقفهم. مما دفع زوجة الأمير أحمد نعمي بك للذهاب إلى عمها السلطان العثماني محمد رشاد؛ وحاولت إقناعه بما يريده زوجها جودت باشا من وزير المالية. بأن ينتظر زوجها حتى يكتمل علاج ابنها ثم يعود إلى الدولة العثمانية؛ وعبثًا إذ حاولت.

وهكذا كانت العائلة العثمانية تعيش حالة من الضيق المالي. ولقد عاش نفس الأمر الأمير محمد وحيد الدين في شبابه. لهذا كان يخصص السلطان عبد الحميد الثاني بعد سلطنته ما يعين الأمير محمد وحيد الدين على معايش الحياة من إحسان الذات السلطانية. حيث أن الأمير محمد وحيد الدين في شبابه لم يكن في بعض

الأحيان يملك قرشًا واحدًا في جيبه. وهذا ما يتبين لنا من الخطاب الذي أرسله محمد وحيد الدين بتاريخ 21 ديسمبر من عام 1899م إلى أخيه السلطان عبد الحميد الثاني حيث قال له فيه: **" إن تأخر المخصصات المالية الشهرية التي كنت ترسلها لي على مدار شهرين كاملين جعلت حياتي في أزمة؛ لذا فأرجوا إعادة صرف مخصصاتي الشهرية من جديد. وعجبًا هل صدر منا ما يغضب السلطان؟! فإن قطع المخصصات جعلت الروح كأنها محبوسة والدماء لا تصل إلى الشرايين".** فلما تحسنت حالة الأمير محمد وحيد الدين الإقتصادية أرسل إلى أخيه السلطان عبد الحميد الثاني ليقول له: **" إن اغلب ما املكه الآن من مال وثروة بفضل إحسانكم. فما تريده من مالي فهو كله لكم. لأن مالي وسعادتي هو مالكم وسعادتكم؛ يا ولي نعمتي ويا سيدي".** وهكذا نرى أن الأمير محمد وحيد الدين عندما تغيرت حالته المالية للأفضل لم يترك أخوه الأكبر وقت الشدة؛ وحاول مساعدته؛ لولا تدخل الإتحاديين.

3.2.أعمال شعبان أفندي الحرة

لم يتبق من سياسة السلطان عبد الحميد الثاني أخو الأمير محمد وحيد الدين الأكبر وكذلك من سياسة والده عبد المجيد الأول سوى سياسة التقارب مع الفرنسيين والصداقة مع الإنجليز. لقد كان الأمير وحيد الدين يرى أن هذا ميراثه الذي ورثه عن أبيه وأخيه من صفحات تاريخ السياسة العثمانية السابقة التي تبقت. لأجل هذا كانت سياسة السلطان محمد وحيد الدين منذ كان وليًا للعهد تتلخص في العداء الشديد للإتحاديين ورغبته الشديدة في إنقاذ الدولة منهم. وكان يرى أن انقاذ الدولة لا يتم بالجيش وحده. ولكن قدر الدولة العثمانية أن يسيطر على المفاصل الحساسة فيها حزب الإتحاد والترقي. لهذا لا يجب ان يكون السلطان العثماني تابعًا لهم؛ لأن أكثر من رأس في الدولة يغرقها. لقد بدأ فكر الأمير محمد وحيد الدين السياسي يتبلور منذ عهد أخيه السلطان محمد رشاد تحديدًا في 1 فبراير من عام 1916م. وهو التاريخ الذي أعلن فيه انتحار ولي العهد يوسف عز الدين أفندي بن السلطان عبد العزيز خان. ففي نفس هذا اليوم أعلن محمد وحيد الدين وليًأ للعهد. ومنذ ذلك الإعلان بدأت حياة الأمير محمد وحيد الدين تبتعد عن حياة قرية جنجال Çengel Köy. وبدأ ينظر ويتابع الحركات السياسية داخل الدولة العثمانية؛ مما نتج عنه متابعة كل من يزوره من قبل حكومة الإتحاديين؛ لمعرفة ماذا يفعل؟! ومع من يتقابل؟! وتقول الأميرة صبيحة سلطان في هذه المسألة: **" وبالمقابل كان والدي الأمير محمد وحيد الدين يتعقب رجال الإتحاد والترقي؛ ولكن قبل أن يفعل ذلك كان هناك شخصان هما حلقة الوصل بينه وبين أخبار القصر السلطاني الشخص الأول على ما أتذكر اسمه هو محمود مختار باشا حسب قول والدي لي. والشخص الثاني فهو صهرنا فريد باشا واللذان سيرسلهما والدي فيما بعد توليه السلطنة خارج قرية جنجال".**

وكانت مخابرات الإتحاديون تخبرهم بمساعدة ولي العهد الأمير محمد وحيد الدين للمنشقين عن حزب الإتحاد والترقي. ولقد تعقب الأمير محمد وحيد الدين في هذا الأمير الصدر الأعظم محمود شوكت باشا وناظر الحربية أنور باشا. ولقد أتخذ الإتحاديون قرارًا بتقليل عدد أملاك الأمير محمد وحيد الدين من الأراضي التي يملكها في قرية جنجال؛ وذلك بهدف تقليص قدرته المادية والمالية على مساعدة المخالفين لهم. وبخاصة أن الأمير محمد وحيد الدين ساعد الإتحادي المنشق المظلوم شعبان أفندي على الفرار من قبضة الإتحاديين. وآواه في قصره الصغير في قرية جنجال. فبعد أن سمح الإتحاديون للأمير محمد وحيد الدين بإدارة بعض أملاكه من جديد؛ عادوا وقلصوا المساحة التي يمكن أن يديرها من هذه الأراضي بقرية جنجال كجزاء وحصار له على تأييده المخالفين لحزب الإتحاد والترقي. لقد كان ينظر شعبان أفندي إلى الأمير محمد وحيد الدين بعين الوفاء والترجي أن يستطيع أن يرد إليه جميله معه. وشعبان أفندي كان من أشد رجال الإتحاديين وفاءًا لهم. وكان من المقربين جدًا منهم. إلا أنه كان يؤيد الحركة الديموقراطية في تداول السلطة. وكان يرى أن الإتحاديون استخدموا مصطلحات العدالة والمساواة لينتزعوا السلطة السياسية من السلطان العثماني؛ وليتحولوا هم إلى طغاة مستبدين بالأمر دون السلطان أو غيره.

لهذا بدأ شعبان أفندي في التهكم عليهم ونقدهم. مما آثار غضبهم عليه فهددوه ثم سعوا إلى إعتقاله. وبعد أن شعر شعبان أفندي بخطر الإعتقال فر منهم إلى القصر الصغير الذي يسكن فيه الأمير محمد وحيد الدين بقرية جنجال. فلما علم الصدر الأعظم محمود شوكت باشا بوجود شعبان أفندي بقرية جنجال بالقصر الصغير للأمير محمد وحيد الدين أفندي؛ أرسل لحصار القصر وأعتقاله أربع كتائب مع القائد توفيق أفندي. وعندما أقتحموا القصر لم يجدوا أمامهم سوى الأمير محمد وحيد الدين أفندي. وفي تلك اللحظة تحدث الأمير محمد وحيد الدين مع المقتحمين من عسكر الإتحاديين لقصره بصلابة؛ قائلاً لهم: **" لقد نسبتكم إلى فرار أحد المخالفين من الإتحاديين إلى قصري وإلتجاؤه إلي. وأنا اقول لكم لو حدث هذا فأنا لا أرد من يستجير بي. ولن اسلمه لو كان تحت يدي في شكل مخزٍ لأعدائه؛ وسأجبر بخاطره. ولو شئتم فلتقوموا بضربي ولو قتلت أكثر من مرة يستحيل علي أن أسلم مستجير بي".**

وبالرغم من كل الضغوط التي وقعت من الإتحاديين على الأمير محمد وحيد الدين إلا أنه رفض أن يدل الإتحاديين على مكان شعبان أفندي. واستطاع الأمير محمد وحيد الدين أن يرتب له طريقًا للهروب إلى مصر حتى وصلها. لقد أدت اعمال محمد وحيد الدين أفندي في إظهار عدائه للإتحاديين ومساعدة مخالفيهم إلى تعقب الصدر الأعظم محمود شوكت باشا له ومراقبة كافة المراسلات البريدية التي تصله. ومن ذلك الخطاب الذي أرسله عبدالمجيد أفندي إلى الأمير محمد وحيد الدين بتاريخ 16 سبتمبر من عام 1920م

والذي ينبه فيه السلطان محمد وحيد الدين إلى خطورة أن يثق في الصدر الأعظم محمود شوكت باشا وأن محمود شوكت باشا كان يراقبه منذ سنوات عدة. عندما كان وليًا للعهد ويسكن بقرية جنجال؛ ولقد قال عبد المجيد أفندي للسلطان محمد وحيد الدين في هذا الخطاب: **" إن العنف والشدة التي يظهرها تجاهك محمود شوكت باشا الصدر الأعظم هو نفس الأسلوب غير المهذب وعديم الأخلاق الذي كان يستخدمه مع أخيكم رحمه الله تعالى محمد الخامس " محمد رشاد". وبنفس هذا الأسلوب التهديدي كان يهدد ولي العهد المرحوم يوسف عز الدين أفندي؛ ويعده بالهلاك في أقرب وقت إذا خالفه يومًا ما. وأنت تعلم أكثر مني بالوقائع التي حدثت ومازالت تحدث. ولكن عليك أن تحترس من محمود شوكت باشا عديم الشرف والأخلاق. وأتمنى لك التوفيق".**

ومما سبق يتضح لنا من خلال الخطاب السابق أن الفترة التي كان يملك فيها محمود شوكت باشا السلطان الفعلي لتحقير السلطان محمد وحيد الدين هي قبل سلطنته بين أعوام 1909-1913م؛ وقد بالغ بالفعل في إهانته خلال تلك الفترة؛ وبخاصة بعد مساعدة وحيد الدين لشعبان أفندي الإتحادي المخالف على الفرار. ولقد حاول عبد المجيد أفندي التوسط بين الصدر الأعظم محمود شوكت باشا والأمير محمد وحيد الدين عندما كان في المرتبة الثانية من ولاية العهد؛ إلا أنه من المعلوم للجميع كيف كانت نهاية هذا التوسط بالفشل. فلما تولى محمد وحيد الدين السلطنة حاول محمود شوكت باشا اصطناع الولاء للسلطان محمد وحيد الدين.

ولعل من أهم رجال الإتحاديين الذين بالغوا في العداء للسلطان محمد وحيد الدين عزمي Azmi Bey رئيس الشرطة العام في استانبول " حكمدار المدينة"والذي عين فيما بعد في بداية عهد الجمهورية قاضيًا من قضاة محاكم الإستقلال. والذي أصدر حينها أمرًا بتوقيف وإعتقال السلطان محمد وحيد الدين؛ كما حاول من قبل معه عندما كان وليًا للعهد قبل السلطنة. إذ لم ينس إليه مساعدته شعبان أفندي على الفرار إلى مصر.

4.2.الإناث فقط هم البنات

لقد كانت قرية جنجال هي فقط بيئة الأمير محمد وحيد الدين ودنياه. وكان اهم ما في حياة الأمير محمد وحيد الدين ابنتيه؛ واللتان كان يخاف عليهما أشد الخوف من أن يحدث لهن أي سوء. فمثلاً ذات يوم كانت الإبنة الصغرى للأمير محمد وحيد الدين تتعلم في مدرسة الأعمال المهنية بالمنطقة الصناعية Maslak’taki Talimhane والتي تبعد عن قرية جنجال. وفي أثناء دراستها حدث أن أتى عدد من عساكر

الجيش في الصباح إلى منطقة دراستها. وبدأوا يطلقون الرصاص على التوالي بالقرب من منطقة البوغاز "المضيق" حتى أن صوت دوي الرصاص وصل إلى قصر الأمير محمد وحيد الدين في قريته جنجال؛ وأرتعد كل من كان يسكن بقصر الأمير محمد وحيد الدين حينها. فأرسل على الفور الأمير محمد وحيد الدين إلى ابنته بوصلة لكي تستطيع أن تأتي إلى قريتها وقصرها. فأرسلت إليه ابنته الصغرى صبيحة سلطان رسالة قالت فيها:**" لا يكن لديك فضول يا والدي؛ إنه مجرد تدريب".** ولهذا أرسل إليها والدها الأمير محمد وحيد الدين حينها رسالة مخاطبًا إياه بقوله: **" لقد كانت المعلومات التي لدي أن أحمد رضا باشا سيقوم بتريبات ليلية مع بعض قطع الجيش. إلا أنني فوجئت بالأمس بأن التدريبات أصبحت صباحية. لهذا السبب لم نستعد لتلافي هذه الأصوات. نعم حدثت هذه التدريبات في الصباح الباكر ولم نشعر بالراحة في النوم. ولكن اشد ما كان يقلقنا هو بعدك عنا أثناء هذه التدريبات؛ وقربك منها لدراستك المهنية. مما دفعنا أن ندعوا الحق سبحانه أن يحفظك وانت صاحبة العقل. وارجوا أن يمنحك المولى إحسان الإذعان لوالدك وان تحترسي على نفسك. غدًا سيكون قدري أن أصبح سلطانًا؛ وفلسان هانم حينها Filisan Hanım حينها سأعرض عليها ما أريد. وسيكون من المناسب جد شكر جميلتي الصغيرة.**

والدك

محمد وحيد الدين".

لقد كان السلطان محمد وحيد الدين ذو شفقة عالية ومرحمة بابنه الصغير أرطغرل. وكذلك بأخوته البنات. وكان ينظر إلى أرطغرل رضيعه بعين الرعاية. لقد أتت الخبار الجميلة من المشفى عبر الإخطار التلغرافي لمحمد وحيد الدين بميلاد ابنه أرطغرل؛ فأتى على عجل وقبل يدي وليده وشكر وحمد الله عليه.

5.2. من بورصة إلى فيينا

لقد كانت اول هيئة مشكلة من قبل السلطان محمد رشاد برئاسة الأمير محمد وحيد الدين ترسل إلى خارج استانبول لمدينة بورصة عام 1909م. وكان عمر محمد وحيد الدين حينها 46 عامًا. ولقد ذهب السلطان محمد رشاد مع الأمير محمد وحيد الدين في هذه اللجنة إلى بورصة. وكان الهدف من هذه السياحة أن تنقل إدارات الدولة الهامة ومؤسساتها من استانبول إلى بورصة. لأن السلطان كان عليه أن يكون مع الناس وقريبًا منهم؛ كما أدعى الإتحاديون. وكانت هذه أول رحلة سياحية للسلطان محمد رشاد بعد توليه السلطنة. ثم توجه من بورصة إلى مدنياه Mudanya عبر قطار بورصة. وكان في هذا القطار ولي العهد الأول يوسف عزل الدين أفندي؛ وقد تحدث مع الأمير محمد وحيد الدين طويلاً. وكذلك كان بالقطار الصدر

الأعظم حسين حلمي وناظر البحرية عارف حكمت باشا ومؤرخ الدولة العثمانية الرسمي عبدالرحمن شرف أفندي والسلطان محمد رشاد. ومكث السلطان هناك ثلاثة ايام يزور مؤسسات الدولة ومقابر السلاطين العثمانيين الأوائل ببورصة. كذلك زار السلطان محمد رشاد المساجد وكان يدعو الله بالنصر والتوفيق؛ وكان كثير الصلاة. وكذلك زارت اللجنة مع السلطان محمد رشاد مدارس الأيتام. وكما يفهم من كلام الأمير محمد وحيد الدين أن اللجنة كانت تتسوق على الدوام؛ ولقد أرسل الأمير محمد وحيد الدين أثناء وجوده خارج استانبول في بورصة تلغراف بتاريخ 21 أغسطس من عام 1909م إلى بناته ليطمئن عليهن ويسألهن ماذا يردن؟! وقد جائه الرد منهم بتاريخ 3 سبتمبر من عام 1909م. وكانت هذه الرحلة هي أول رحلة طويلة يخرج فيها الأمير محمد وحيد الدين مفارقًا قريته جنجال. وكأن الأمير محمد وحيد الدين عندما خرج مع هذه الهيئة خارج قريته كأنه كان يرى الدنيا لأول مرة.

لقد أرسل الأمير محمد وحيد الدين من مركز التصدير في بورصة تلغرافًا لابنتيه من 15 كلمة نصه كالتالي:" **إلى ابنتي علوية وصبيحة على الخصوص؛ إن حركتنا إلى خارج بورصة ستكون يوم السبت القريب الساعة الثالثة. وأحمد الله على وصول تلغرافي إليكن. وأنا في اشتياق إليكن. وارغب في معانقتكن أنتما الإثنتين. وأرسل لكم سلامتي. مؤرخ بتاريخ 21 أغسطس 325. محمد وحيد الدين".**

ثم توجه السلطان العجوز محمد رشاد بعد ذلك في هيئة رسمية إلى مدينة أدرنة Edirne. وكانت هذه الهيئة مكونة من ولي العهد والصدر الأعظم وناظر الخارجية رفعت باشا وناظر الداخلية طلعت باشا قبل أن يصبح صدرًا أعظمًا والأمير محمد وحيد الدين أفندي. حيث ركبوا القطار بتاريخ 27 أكتوبر من عام 1909م في الصباح. ووصلوا إلى ادرنة وعادوا منها بتاريخ 2 نوفمبر من عام 1909م.

وكانت هناك مناورات عسكرية في مدينة أدرنة منذ بضعة أسابيع أنتهت عند وصولنا. وفي مقاطعة الأسياد Seyitler Bölgesi كان السلطان محمد رشاد يلتقط بعض الصور الفوتوغرافية الرسمية. وكان السلطان دائمًا ما يشاهد مع الأمير محمد وحيد الدين بعض هذه الصور. وفي تاريخ 30 أكتوبر عاد الأمير محمد وحيد الدين إلى قرية جنجال. وراسل بناته أثناء العوة من أدرنة إلى قرية جنجال لكن مع الأسف لم يصلنا من هذا الخطاب سوى نصف متنه. وترجع أهمية هذا الخطاب إلى كون الأمير محمد وحيد الدين يتحدث فيه بكل الشوق من أعماق قلبه إلى بناته عن الأمة العثمانية؛ حيث قال:" **وبالرغم من الخيانة الداخلية والخارجية إلا أنني أقول للعثمانيين الشجعان وللأمة العثمانية النجيبة ولوطننا المقدس؛ لن ننسى خيانة الخونة".** وكانت هذه هي مقدمة خطاب محمد وحيد الدين لبناته. وكان يتحدث في هذا الخطاب بخاصة

في نهايته عن وجهة نظره ورؤيته لإصلاح مفهوم التاج والعرش العثماني؛ وهذا خلاف ما يذاع عن محمد وحيد الدين اليوم. حيث قال في نهاية هذا الخطاب ما نصه: **" لقد قرأت كلام أمير البحار المحترم؛ كذلك غيري قرأه. وقد أرسلت إليه سلامي. غير أنني لم أكتب له رسالة. أتمنى ألا يؤاخذني على ذلك. لأنه لا يوجد لدي وقت. حيث كنت سائحًا ومسافرًا. وخلال ثلاثة أيام كنت دائخًا من عدم الراحة. ولحسن حظنا حمدنا الله على الهواء المناسب فوق العادة أثناء الذهاب".** وذكر أيضًا: **" إلى ملائكتي الصغار لقد وصلنا إلى أدرنة في الساعة الخامسة والنصف. لقد ابتعدنا عن مقر إقامة السلطان وسكنا في وسط المدينة؛ على بعد ساعة من المحطة. إلا أنه بالعربة وصلت على الساعة الثالثة والربع إلى المنصة. لقد أستمعنا إلى خطبة السلطان محمد رشاد وكان ولي العهد معنا. وقد أرسلني ولي العهد إلى أحد النوادي العسكرية لكنه لم يأت إلي إلا في حوالي الساعة السابعة مساءًا. ويوجد في هذا النادي شقتان كل منهما منفصلة عن الأخرى؛ ويمكن شرائهما. وبالرغم من ذلك لا يوجد اي إرتباط بين أبواب كل شقة والأخرى. وكانت أبواب الشقق السكنية متنوعة الزخارف. وكان في الطابق الثالث أعلى الأرض ثلاث حجرات معدة لنا. كذلك في الطابق الثالث أسفل باطن الأرض بالبدروم كان به ثلاث حجرات أخرى معدة لنا. والمدينة ومبانيها جميلة ورائعة جدًا. كل شئ في هذه المدينة فوق الرائع. ثم ذهبنا إلى ثكنات العساكر وحقيقة إن المباني الرائعة الفخمة للجنود العثمانيين الشجعان ترفع من روحهم المعنوية. كذلك قد أحببنا جيشنا وجندنا بشدة. وقد أعطيناهم بعض الدروس في المعنويات العسكرية. ولكن لساني وقلمي يعجز عن وصف ما رأيت بنادي الجيش وبثكنات الجنود. حقيقة أنا ضميري مرتاح لأجل ذلك. وأفتخر بأن هؤلاء هم جيشنا العثماني. لقد رأيت بنفسي مدى ولاء القادة والعساكر للأسرة العثمانية. ومدى التقدير والإحترام الذي في قلوبهم لنا. لم أستطيع أن أقوله: " إن القول لا يستطيع أن يحوي الوصف مهما حاول". وأعجز عن تصوير مدى الإحترام المتبادل بين الجنود والقادة لأسرتنا. ربما في هذه الرسالة أعطيت فكرة قصيرة. السلطان محمد الخامس "يقصد محمد رشاد" في الحقيقة رجل يملأ مركزه. وهكذا الأسرة العثمانية وسلاطينها في كل وقت. أحمد الله حقًا أحمد الله كثيرًا على ذلك جدًا جدًا. وفي يوم الجمعة أرتدينا جميعًا الملابس الرسمية وذهبنا إلى جامع السلطان سليم الأول الكبير؛ واقمنا هناك صلاة الجمعة. وفي أثناء الذهاب والعودة كان عساكر التشريفات والحراسة يدفعون الناس عنا من صدورهم إلى الخلف؛ كي ينقذوننا من بين أيديهم؛ إذ تدافعوا نحونا بشدة. إن هذه المة العثمانية نظيفة الضمير والروح كانت تتوسل وتترجى منا أن نحافظ على الدولة العثمانية؛ وأن نأمنها لأن مصيرنا ومصيرهم واحد. رفع الله درجة الأمة العثمانية في الدنيا والآخرة إلى أعلى المراتب. وحفظ الله وطننا المقدس من الخيانات الداخلية والخارجية. وحفظ الله دولتنا وديننا من هجوم الأعداء آمين ثم آمين. أي بناتي الجميلات لقد أتخذ قرار العودة من أدرنة يوم الخميس.**

في الساعة الواحدة صباحًا ستبدأ حركة عودتنا وفي حوالي الساعة العاشرة أو الحادية عشرة مساءًا سوف نصل إلى استانبول بإذن الله. ولو حدث تغيير في قرار العودة سوف أعلم عبر التلغراف. لقد نبه علينا بذلك حافظ كمال؛ وأكد عليه بأن هذا هو موعد العودة النهائي إلى استانبول. حيث قال لنا: "بأنكم ستكونون في استانبول يوم الخميس بالقصر السلطاني؛ ومن هناك سوف نعود معًا إلى قصرنا الصغير بقرية جنجال. لإنني أشعر بالحصرة إذ أنني لا أستطيع معانقتكنَّ. واقبلكنَّ من بين أعينكنَّ من بعيد؛ وقبلوا لأجلي الوليد الجديد من بين عينيه أيضًا. 17 ديسمبر 326.

والدكم

محمد وحيد الدين".

وقال لهم أيضًا في جزء آخر من هذه الرسالة: **" وفي بيتنا جميعًا سنلتقي. وقد أرسلت سلام خاص إلى ناظر الوقف. وقد وكلته بأن يكون وكيلاً عليكن في كل ما تطلبونه حتى أعود. إنني أشتاق إلى جو أرضنا وجمال هوائها العليل. لا تسألوني عن هواء مدينة أدرنة هل كان عليل أم لا؟! وهل كان أحد هناك يستطيع التدفئة؟! حقيقة لا أعرف! وبهذه الوسيلة أيضًا...على الخصوص استطعت أن أخرج بها إلى طريق العودة. بناتي الجميلات كنت أريد منكن رسالة تطمؤنوني فيها على أحوالكن. وكان خطاب يجب أن يكون منكن إلي مستقلاً عن الآخر. لا تهملوا ذلك. وبسرعة أرسلوا الخطابان عبر البريد. وعيني ستبحث عنهما في أثناء إرسالهما في الطريق".**

6.2. الصهر الأول للعائلة

يذكر السلطان محمد وحيد الدين في مذكراته بالمنفى: **"في وم 14 فبراير من عام 1914م تزوجت ابنتي الأولى الكبرى الأمير محمد وحيد الدين علوية. وقد اختارت لها عريسًا مناسبًا من بين من تقدموا لها. لكنه لم يكن مناسبًا مائة في المائة بالنسبة لي؛ وذلك لأنه كان من جماعة الإتحاديين؛ ولكنني عجزت أن أجد لابنتي في ذلك الزمان عريسًا من خارجهم. ولكن هذا العريس كان ابن الصدر الأعظم القديم توفيق باشا. تعرفنا عليه في أثناء سفره من لندن إلى ألمانيا. وهو قد أنهى تعليمه العسكري بلندن. وقد رأيته أنه أفضل من غيره. وكان اسمه إسماعيل حقي بك. ولقد عقد عقد النكاح لها في قصر دولما بهتشه Dolmabahçe Saray شيخ الإسلام. وكان مؤخر الصداق للأميرة علوية 100 كيس من الذهب الخالص. وعندما حضر السلطان محمد رشاد بدأ محمد توفيق أفندي في الإحتفال. وقد شهد عقد النكاح**

كل من مدير المفروشات السلطانية عاكف ومابين كتابي شوقي Mabeyin Kitabi Şevki من البكوات. مع الدكتور الشهير رشاد بك. وبحضور ابنة رئيس القهوجية عبدالحميد أفندي. وكان حق الوكالة بالموافقة يعود للعروس علوية سلطان. فقد كان في وكالة الشهود بموافقتها على النكاح عصمت بك. وذلك لأن هذا الحق يعود للمرأة؛ لا للرجال حسب الشرع. لذا فيلزم موافقتها ووكالتها. وكان عصمت بك دائمًا ما يكون شاهدًا في التأكد من حق وكالة المرأة بالموافقة على النكاح ومراسمه داخل الأسرة العثمانية. ولقد حضر عقد النكاح السلطان وزوجاته؛ حتى بعض زوجاته الذين قد أنفصل عنهن. وعصمت حقي وأخوه إسماعيل حقي؛ واللذان سيشتركان في حرب الإستقلال فيما بعد ضد الأعداء. بيد أن أخبارهما سوف تنقطع أثناء دفاعهما عن الأناضول ضد جيوش الحلفاء. ولما وصلت الأخبار باستشهاد عصمت حقي وأخوه إسماعيل حقي فوجئت أنا وعائلتي برغبة زوج علوية سلطان ابنتي في الإنفصال عنها. وبأنه كان سيفاتحنا في موضوع طلاقه منها بعد انتهاء الحرب. ومنذ 1 فبراير من عام 1916م تغيرت حياتي داخل قرية جنجال. حيث تم إرسال العديد من رجال الإخفاء والرصد[33] لمتابعتي ومتابعة نشاطي. ومنذ ذلك التاريخ قلبت حياتي رأسًا على عقب. وحتى ذلك الحين كان الهواء الذي كنت أتنفسه هو العداء لجماعة الإتحاد والترقي. ولكن بعد هذا التاريخ لم يكن باستطاعتي إظهار العداء الشديد للإتحاديين. فبعد موت ولي العهد الأول يوسف عز الدين أفندي بن السلطان عبد العزيز خان؛ والإدعاء بأنه انتحر؛ ولا يعلم أحد حقيقة موته. واختياري وليًا للعهد بدلاً منه. وانتقالي إلى المرتبة الثانية في رئاسة الدولة. وأصبح اسمي يعلن بعد السلطان مباشرة في الخطب والمراسيم الرسمية؛ لكوني الرجل الثاني في الدولة".

لم يكن لدي الأمير محمد وحيد الدين الرغبة الجدية في أن يكون الرجل الثاني في الدولة وولي عهدها. ولم يكن لينتظر موت الأمير يوسف عز الدين أفندي بهذه الطريقة. وهو يعلم بأن الأمير يوسف عز الدين مريض منذ بضعة سنوات. وكان يعالج بالقصر السلطاني؛ وكان الجميع يخفي أمر مرضه لسنوات. فلا يعلم أحد بمرض ولي العهد يوسف عز الدين أفندي؛ إلا المقربين والمحيطين به فقط. لقد كان الأمير محمد وحيد الدين أفندي ذهنه منشغلاً جداً ونفسيته لا تشعر بعدم الراحة منذ أن علم بأن ولي العهد الأول الأمير يوسف عز الدين أفندي مصابًا بمرض السرطان. وبسبب هذا المرض ربما يقومون بعزل الأمير يوسف عز الدين أفندي من ولاية العهد وتعيين الأمير محمد وحيد الدين بدلاً منه. والأمير يوسف عز الدين

[33] رجال الإخفاء والرصد؛ يقصد بهم رجال المخابرات التابعيين للإتحاديين، المترجم.

أفندي ابن عم الأمير محمد وحيد الدين؛ وكان الأمير محمد وحيد الدين يخشى عليه من عزل الإتحاديين له؛ وهم ينتظرون هذه الفرصة.

غير أن اثر حالته المرضية لم تظهر في المجتمع؛ ولم يعلم بها أحد إلا القليل. وكان يقبل أن يتحمل مسؤلية ميراث العرش العثماني. وكان يقبل المشاركة في الهيئات الرسمية. وكان يشارك السفراء ويناقشهم في كيفية تأمين مسارات خطوط الإمداد في الحرب من الدعم الطبي. ومن قبل فقد كسب الأمير يوسف عز الدين أفندي قلوب الناس. لقد كان ينظر ويراقب الأمير محمد وحيد الدين إلى كل ما كان يدور في القصر السلطاني؛ وينتظر بحذر النتائج. وبخاصة أن الأمير يوسف عز الدين أفندي رغم مرضه يحاول أن يعالج الأمور في حالة غياب السلطان محمد رشاد عن العرش. وكان الإتحاديون يلقبون السلطان محمد رشاد بلقب **سلطان القصر العجوز المريض.** وكان يرأس الأمير عز الدين أفندي بنفسه الهيئات السلطانية نظرًا لغياب السلطان رشاد لمرضه.

وفي ذات مرة فتح الطريق امام الأمير يوسف عز الدين أفندي للتداوي في أوروبا. وبالفعل ذهب للعلاج؛ بيد أنه قطع العلاج من منتصفه. وعاد إلى استانبول؛ إذا أرسل له الإتحاديون يقولون له: **" أنه في غيابك سوف يعبر الأمير محمد وحيد الدين إلى العرش العثماني"**؛ مما دفعه للقلق والشك في كل شئ. وكان ينتظر خبر عزله في أي وقت. فمثلاً عند زيارته لجبهة الحرب في جناق قلعة Çanakkale لأجل التفتيش؛ ظن أن الأمير محمد وحيد الدين يجلس مع الجنود بدلاً منه. وفي الأعياد أثناء زيارة الأمير محمد وحيد الدين للقصر السلطاني على عادته؛ وكان الأمير يوسف عز الدين أفندي يرى المسؤولين وكبار رجال الدولة يهنئونه بالعيد؛ فكان يخطر في باله بأنه يتفق معهم على عزله. لقد بلغت الكائبة النفسية منه ذروتها. لقد كان يكتب في مفكرته بأنه هناك أمران أمام عينيه؛ لا يستطيع أن يبعدهما عن ناظريه. الأول مرضه بالسرطان. والثاني تنحيه عن مهام الدولة؛ بعزله من ولاية العهد نظرًا لمرضه. وهذه الرسائل التي خطها بقلمه الأمير يوسف عز الدين أفندي تعرفنا حالته النفسية؛ كثيرًا مما كان يدور داخل السراي السلطاني. مما هو غير معلوم لدينا.

فمثلاً كتب الأمير عز الدين أفندي عدة رسائل يتعهد في بعضها بعدة تعهدات. ومن ذلك الخطاب الذي أرسله له الدكتور جمال باشا طبوزلو Cemal Paşa Topuzlu بتاريخ 13 ديسمبر من عام 1913م والذي خاطبه فيه قائلاً:**" إن الشرع الشريف يحتم على المريض رخصة الراحة والإعفاء من بعض الأمور الدينية والدنيوية. فلو أفترى في حقي أي شخص وأدعي بأنني أعلم علاجًا لمرضك وأخفيه عنك أو أن**

يفتري أي شخص آخر بأن مرضك له علاج وشفاء فهو يكذب ويفتري. وأنا لا أشارك في مثل هذا الإفتراء. إنك بحاجة إلى الراحة في المشفى والمتابعة. وأنا إذ كنت سأدافع عن نفسي في أمر لم أرتكبه. فكأنني رجلٌ بلا أخلاق لأن هذا الأمر كمال يقال له في المثل؛ لم يشارك في إفاضة الماء[34]".

ولقد عثر على خطاب به أمر بصرف 200 ألف قرش للأمير محمد وحيد الدين من قبل عضو مجلس المبعوثان إسماعيل حقي بك بتاريخ 11 يناير من عام 1915م. وقد كتب في هذا الأمر: **"بأمر ولي العهد والسلطنة العثمانية صاحب النجابة الأمير يوسف عز الدين أفندي. يأمر بصرف هذا المعاش المخصص للأمير يوسف عز الدين بك باعتباره وليًا للعهد الأول إلى الأمير محمد وحيد الدين أفندي ولي العهد الثاني. وقد تنازل بموجب هذا الخطاب الأمير يوسف عز الدين عن مخصصاته المالية في ولاية العهد للأمير محمد وحيد الدين أفندي. كما يثبت في هذه الوثيقة أن زوجة ولي العهد الأمير يوسف عز الدين أفندي قد طلقت منه ثلاثًا؛ وأنها لم تعد تحل له. ولم يعد لها لأجل ذلك أي حق كسائر نسائه فيما يملك".**

وفي ليلة 1 فبراير من عام 1916م بالقصر الصغير للأمير يوسف عز الدين أفندي وجد الأمير يوسف عز الدين معلقًا من رقبته بجنزير معدني من السقف أعلى سريره؛ وقد قطعت عروق كلتا يديه اليسرى واليمنى. وأفرغت ما بعروقه من دماء. واستمر على هذه الحالة طوال هذه الليلة بحجرة نومه حتى الصباح؛ ولم يشعر به أحد. ولم يستطيع أحد أن ينقذه. ولأمير يوسف عز الدين أفندي ولد ذكر وطفلاتان صغيرتان وطفل آخر من زوجة أخرى وابنة رضيعة اسمها مهري شاه Mihri Şah ولدت عام 1916م وتوفت في عام 1987م. وقد توفى عنها أبوها وهي لا تزال في رحم أمها. ولقد خلف الأمير يوسف عز الدين أفندي أبنائه خلفه وهم صغار بلا سند.

7.2. ترقب وترصد لا نهاية له

لقد كان الإتحاديون يتعقبون الأمير محمد وحيد الدين ويرصدونه. خاصة بعد أن اصبح ولي العهد الأول. وأمروا مخابراتهم برصد كل من يقابلهم الأمير محمد وحيد الدين. فلما أصبح الأمير محمد وحيد الدين هو السلطان تخلص من هذه الرقابة. وكانت مخابرات الإتحاديين تترصد الأمير محمد وحيد الدين من ناحية حياته الرسمية؛ لا من ناحية حياته العائلية والخصوصية الشخصية. وفي 21 نوفمبر من عام 1916م توفى إمبراطور النمسا والمجر العجوز؛ وقد حضر جنازته كل من جوزيف رئيس فرنسا وممثلاً عن الدولة

[34] لم يشارك في إفاضة الماء؛ مثل تركي يقصد به لم يساير الكذب المنتشر؛ كالماء التي تغرق بسيلها الأرض وتغمرها، المترجم.

العثمانية الأمير محمد وحيد الدين بصفته وليًا للعهد؛ وقد حضر الجنازة أيضًا إمبراطور النمسا والمجر الجديد بناءًا على ذلك.

وكان يركب في هذه الجنازة مع ولي العهد الأمير محمد وحيد الدين رئيس البكوات القديم لطفي سماوي بك Lütfi Simavi Bey؛ والذي كان يرسل تقارير دورية عن كل ما يحدث مع الأمير محمد وحيد الدين في الطريق. وكانت هذه التقارير تعد من الروتين الرسمي الذي كان يحدث مع كل مسؤلي ورجالات الدولة العثمانية. ولكن الذي يثير الإهتمام والحيرة أنه في أحد هذه التقارير كانت الجملة الأخيرة كالتالي: **" إن حضرت الأمير وحيد الدين قام على أكمل وجه بتأدية مهمته المكلف بها في فيينا. لقد كان من حسن حظ دولتنا وأمتنا أن يكون هوالمكلف بتمثيلنا في هذه المهمة التي رفع رأس الدولة العثمانية من خلالها. وأستطاع أن يعقد عدة علاقات مع عدد من الشخصيات الهامة في البلاط الفييني. وحقيقة لقد أدى عمله بكامل إخلاص. ولهذا فقد أردت أن أعرض عمله القيم عبر هذا التقرير الذي أكتبه بضمير مستريح وأفتخر بأنني قد قبلت مثل هذه الوظيفة للعمل مع مثل هذا الأمير".** وبعد ذلك نجد لطفي السماوي بك يذكر في مذكراته هذه الحادثة تعليقًا على تقريره الذي أرسله إلى استانبول عن زيارة الأمير محمد وحيد الدين لفيينا بقوله: **" هذا التقرير عن الأمير محمد وحيد الدين أفندي قبل أن اعرضه على رئيس مجلس الوزراء سعيد حليم باشا عرضته على وزير الداخلية طلعت بك الذي كان أكثر تأثيرًا من غيره في مجلس الوزراء. فقال بكل حرس:" كان علينا أن نحطاط لأجل أمن الدولة وأن نتأكد من أن الأمير محمد وحيد الدين ليس كما يشاع عنه؛ وأنه أهلاً للحكم ولإدارة الدولة؛ لقد خالف كل توقعتنا فيه". وبعد عرض هذا التقرير على الحكومة؛ حدثت ضجة ودعاية كبيرة لأمير محمد وحيد الدين أفندي بين أعضاء مجلس الوزراء. وحدث خلاف بينهم كبير بين مؤيد ومعارض للأمير محمد وحيد الدين أفندي حسب ما سمعت".**

8.2. عندما يتوهج النجم

من المعروف منذ آلاف السنين؛ كما يقال بأن الشخص يعرف بمجرد النظر فيه. لقد كانت هذه القاعدة معمولاً بها في القديم. لهذا يعرف الشخص حسب فكره وما سوف نقوم بتثبيته عبر فكره وإيمانه ودرجة تدينه وعلاقته بالأديان وتعليقه عليها. وبالرغم من تلك المعارف لا يستطيع الإنسان من أن يغير قدره في المستقبل. وليس بحاجة لأن يلزمه العمل لأجل أن يغير قدره. لأن الإنسان لو علم بالبحث ما يخبئه له القدر؛ لكتفى بحاضره؛ ولما أحب أن يعرف مستقبله؛ ولتخل عن البحث في المستقبل؛ من أجل أن يحافظ على واقعه. هكذا ابن الإنسان يحب واقعه. ويخاف من أخبار المستقبل. حتى لو فتح المندل والفأل؛ فإن الماء

المتسرب من الجوانب لا يوقفه شيء. ومهما عمل الإنسان أعمال متعددة وأكتسب خبرات عدة؛ سيبقى في ذهنه أسئلة ليس لها إجابة عن المستقبل.

البعض يعتبر بأن مستقبله كالنجوم المتوهجة. وأنه أمل يسعى إليه الجميع. بيد أنه عندما يحقق هدفه بسرعة؛ ينسى ما كان يسعى إليه. منذ عصور متعددة حاول الكثيرون شرح تجليات القدر؛ عبر تتبع حركات النجوم بالتنجيم. ولكن لا أحد يستطيع أن يعبر من قدره. هذا العمل يحتاج إلى أصحاب الخبرة بالعمل في التنجيم من المنجمين. وهم الذين يرون أن حياة الإنسان مرتبطة بالنجوم. وأن لكل إنسان نجم وبرج خاص به. وأن من يتحكم في الإسقاط النجمي يتحكم في مستقبله. لهذا أرتبطت الحالة النفسية والمستقبل لدى البعض بمثل هذه الأعمال التنجيمية... مثل زمان النحوس " وقت النحس" والزمان العاجل. فهناك من يرى أن أحد حالات النجوم سيئة وحالاتها الأخرى جيدة معه. فالزمان النحس؛ هو الذي تتجه فيه النجوم لأقصى علوها وتوهجها؛ حتى إذا ما علت إلى القمة إنطفأت وتجمدت وأنتهت. وهذا هو قدر ابن الإنسان. أنه كلما أرتفع؛ كلما أقتربت نهايته. البعض ينظر إلى زمان النحوس بأنه أفضل من الزمان العاجل. أما الزمان العاجل فهو عكس زمان النحوس. فالنجوم في الزمان العاجل تسقط في مكان ما. ولا تتوهج ويتغير حالها من الإرتفاع إلى الهبوط. لتذهب إلى الفناء. وتميل فيها حركة النجوم إلى الزوال. ولا يوجد طريق للهرب من القدر فيها. لأن لكل إسقاط نجمي تأثير معين على المستقبل.

والإنسان لا يستطيع أن يهرب من المكتوب عليه في القدر مهما حاول. فكلمة الزمان العاجل قد أتت من هذا المعنى؛ وهو الذي يعني السرعة في السقوط بلا استعداد والاتجاه للفناء. فالإنسان أحيانًا يجد نفسه تفتح له الأبواب ولا يعرف السبب؛ وأحيانًا أخرى تغلق في وجهه الأبواب ولا يعرف السبب. وقد تفتح له أبواب المستقبل وتغلق في آنٍ واحد. ويتسائل الإنسان لماذا فتح هذا الباب؟! ولماذا أغلق الآخر؟! كل هذا له إرتباطي بزماني النحوس والعجلة. فلو أختلط الزمانان لأختلطت الحياة. وهكذا فالإنسان يعيش في هذه الدنيا بشخصيتان الأولى في الحاضر والثانية في المستقبل. وهكذا منذ شهر ديسمبر من عام 1917م بدأت حياة هذا الشخص في الإختلاف. والمقصد من ذلك بأن لكل حياة خصوصيتها التي تختلف عن الأخرى. فالنجم عندما يعلو في السماء ويكون متوهجًا براقًا؛ لايصفو دائمًا على هذه الحالة. كذلك الإنسان لا يستطيع أن يعيش كل يوم في فرح وسعادة؛ عليه أيضًا أن يتذوق ويشرب من كأس التعب والتعاسة. فبعد أن فتحت الأبواب للإنسان في المرة الأولى. أغلقت في وجهه الأبواب في المرة الثانية. وهكذا لا يستطيع أن يتكلم الإنسان أو أن يدري ما يحدث له؛ وتنفلت أزمة الأمور من كلتا يديه؛ ويلقى خلف أبواب التاريخ المغلقة بلا صوت أو حراك في خطوة واحدة.

ففي ليبيا من شهر ديسمبر من عام 1910م كان هناك شيخ يعمل في الكهانة؛ رأى أحد الضباط برتبة يوزباشي فنظر إليه وقال له: **" بعد عشرة سنوات من الآن ستصعد سلم المجد؛ وستكون رأس كل الأمور ولن يعلوك أحد".** وبالفعل منذ شهر ديسمبر من عام 1917م بدأ نجم هذا الضابط في الإرتفاع. وكان بين جحيم الدنيا بين النار والدم يحي هذه الأيام. ففي كل الدنيا قامت الحرب العامة. ودخلت الدولة العثمانية الحرب. وكانت تحارب على ثلاث جبهات بثلاث قارات هم آسيا وأوروبا وأفريقيا. ولم يكن هناك سوى المشاركة في الموت والمصارعة لدفع الأعداء عن الدولة؛ للمحافظة على وجودها.

ففي وقت قوة الحلفاء أتفق القيصر الألماني وليلان الثاني II.Willan مع الدولة العثمانية أن تشاركه الحرب العامة ضد الحلفاء. وليكن ما يكون. وقال للعثمانيين أنا متأكد من الإنتصار في هذه الحرب. وقد وضعت خطط حربية حتى الإنتهاء من هذه الحرب العامة. وهكذا أستدرج العثمانيين إلى جانبه؛ كي لا يكون وحده في الميدان ضد الحلفاء. وقد أدعى الإمبراطور الألماني وليلان الثاني II.Willan أمام السلطان العثماني أن كل مقددرات الأمة الألمانية وشعبها ستكون مع الدولة العثمانية في هذه الحرب. وانه إذ يدعو السلطان العثماني للإشتراك في الحرب؛ فإنما يدعوه بدعوة للرفعة والمجد؛ وأنه إذا وافق على المشاركة في الحرب؛ فإن مساحة دولته ستتسع عن حجمها الحالي؛ وأنه يرى الوضع هكذا. لكن السلطان العجوز المريض بمرض البروتستاته وصاحب الحالة الصحية المزرية السلطان محمد رشاد؛ لم يكن ليستطيع أن يتخذ مثل هذا القرار بنفسه. لهذا دعى ولي العهد وبعض المسؤولين برئاسة الأمير محمد وحيد الدين ليناقشوا الأمر. بيد أن الأمير محمد وحيد الدين كان يؤيد دخول الحرب ضد الحلفاء؛ وعندما شارك للسلطان في هذه الإستشارة فقد أتخذ قراره بالموافقة على المشاركة في الحرب لأجل استرداد أملاك الدولة العثمانية الضائعة بسبب الحلفاء.

ولكن كان القدر يخبئ شيء آخر ففي هذه المرحلة ظهر اسم ضابط شاب يسمى مصطفى كمال باشا المشهور بلقب ميرليفا Mirliva أي العميد. وكان يرأس في جبهة الشام قيادة جيش النجمة العثماني Osmanlı Yıldız Ordusu بسوريا تحديداً. وهذا الجيش هو الجيش السابع من جيوش الدولة العثمانية؛ وهو الضابط الذي لم يستطع أن يتفاهم مع القائد الألماني فالكنهاين Falkenhein. وبخصوص عدم اتفاقه مع القائد الألماني يذكر مصطفى كمال باشا في أحد رسائله التي كتبها في جبهات القتال: **"...قبل اي نوع من العواقب التي قد تحدث؛ من أوائل الأمور التي يمكن أن أقبلها هي المحافظة على الأصول في التعامل؛ وخارج ذلك لا يمكن...ونظرًا لوجود عصيان متكرر من بعض العصاة سواء بالتأفف أو بالخطأ من بعض قادة الجيش؛ فإني أعفي نفسي من المسؤلية وأستقيل؛ واقدم الإستقالة لمن عينني".** وبعد هذه الاستقال

توجد مصطفى كمال باش إلى استانبول تاركاً سوريا. ومن المعروف أن هذا الباشا كان مشهورًا عنه الخمول والتكاسل لكنه في معركة جناق قلعة المشهورة كان يقود فصيل المخابرات الخفية. وفي أثناء ذهاب أنور باشا إلى مدينة ببارا بلاس Perapalas للقاء القادة الألمان كان من طرف آخر أنور باشا مشغولاً بوضع ولي العهد الأمير محمد وحيد الدين تحت المراقبة. ولكن بسبب بعد أنور باشا عن استانبول؛ لم يستطع أن يراقب الأحداث التي تحدث بها. وذلك لأنه بسبب بعده عن استانبول لم يعد يرأس فرقة المخابرات السرية بنفسه. ومن ناحية أخرى فقد تفككت الفرقة السرية للمخابرات العثمانية؛ وذهب كل عضو فيها إلى عمله الخاص بعيدًا عن عمل المخابرات.

لقد كان الألمان يعلمون بأن أنور باش إن أقتنع بالمشاركة في الحرب العامة؛ فإن الدولة العثمانية سوف تشارك في الحرب. لهذا دعوه إلى المانيا وأقاموا له برنامج سياحي لأجل اقناعه بذلك. وكان راي الألمان بقبول أنور باشا المشاركة في الحرب إلى جانبهم ليس مأكدًا؛ بل كانت تغلبه الإحتمالية. لقد درس الألمان ذهنية أنور باشا قبل مجيئه إليهم. ولقد أستطاعوا لأجل ذلك أن يحولوا رأيه من الرفض والهجوم على المشاركة في الحرب إلى القبول بالمشاركة فيها. لهذا لما ذهب أنور باشا للقاء الألمان قال لهم: **"قبل أي شيء فإني أعلن قبولي بالوظيفة الرسمية التي تحملت مسؤليتها. وقبل اي شيء علي أن أعلم الوضع وأدرسه جيدًا؛ قبل إبلاغ الباب العالي برأي".**

وبعد هذا اللقاء وبعد إعلان مشاركة الدولة العثمانية في الحرب العامة إلى جوار الألمان ذهبت هيئة عسكرية برئاسة ولي العهد الأمير محمد وحيد الدين أفندي لتنسيق الخطط العسكرية مع الألمان؛ وكان في هذه الهيئة ميرالاي ناجي بك (وبعد ذلك سيكون قائد البحر اللواء ناجي) وناظر المدرسة الحربية لطفي السماوي بك ورئيس حرس التشريفات إحسان بك. والطبيب رشاد بك (مع الوقت سيحصل في المستقبل على الباشاوية) ومع ممثل الجيش العثماني مصطفى كمال باشا.

9.2. أول اتصال وأول نظرة

لقد قابل ولي العهد الأمير محمد وحيد الدين مصطفى كمال باشا لأول مرة خلال هذه الزيارة الرسمية إلى ألمانيا بتاريخ 13 ديسمبر من عام 1917م. وبعد يومان من هذه الزيارة الرسمية إلى ألمانيا بتاريخ 15 ديسمبر من عام 1917م؛ خرج مصطفى كمال باشا مع ولي العهد الأمير محمد وحيد الدين وحدهم للسير. ومصطفى كمال باشا في مذكراته على جبهات القتال يذكر عن زيارته هذه لألمانيا وأول لقاء جمع بينه وبين الأمير محمد وحيد الدين؛ وكيف كانت أيامهم معًا في ألمانيا؟! التالي: **"...في استانبول بفندق بارا بلاس**

Perapalas Oteli بعد وصولي إلى أحدى أجنحته وجدت أمامي إنسان كان حوادث الزمان قد فعلت فيه الأفاعيل. وكان هذا الشخص تعيس الفكر ومدمرًا نفسيًا؛ وبالرغم من ذلك كان على استعداد بأن يبذل دمائه قطرة قطرة لأجل انقاذ من يحب. هذه الروح المختلطة بداخله بينما أراها وأشعر بها؛ إذا به يرسلني إلى وكيل السلطان المعروف بالمتصرف في الأمور السلطانية أنور باشا والذي جعل يقول:" قد دعانا السلطان العثماني صاحب الذات الشاهانية لمراجعة ما عرضه علينا إمبراطور ألمانيا من تنسيق عسكري في جبهات القتال. وذلك لكي نتخذ قرارًا في هذا الشأن. وبما أن الذات السلطانية الشاهانية لا يمكنها الخروج خارج استانبول لمثل هذه الزيارة الرسمية لمقابلة إمبراطور ألمانيا؛ فإنه وقع الإختيار على ولي العهد الأمير محمد وحيد الدين ليكون على رأس هذا الوفد الرسمي المتوجه من قبل الدولة العثمانية إلى الإمبراطور الألماني. فهل تقبل بأن تكون عضواً في هذه الهيئة؟ فإذا كنت موافق؟ فعليك إعطائي جواب موافقتك الآن وفي الحال". ثم توجه أنور باشا إلي قائلاً:" قبل خروجك إلى هذه الزيارة الرسمية عليك أولاً أن تتعرف على ولي العهد الأمير محمد وحيد الدين وعضو هذه البعثة ناجي باشا؛ استاذي عندما كنت أدرس في المدرسة الحربية". على ما أعتقد وأظن في هذا الزمان أنه الميرالاي ناجي بك. والذي كان بينه وبين الأمير محمد وحيد الدين علاقات مكتسبة جيدة. وقبل أن نتحرك جميعًا إلى ألمانيا بيوم واحد. توجهنا جميعًا إلى قصر الأمير محمد وحيد الدين. ولقد إنتظرنا جميعًا في قاعة مفروشة بالسجاد العربي؛ وكانت الحجرة ممتلئة عن آخرها بالرجال. وكان بها كنبة غاية في الروعة والجمال. وكان يوجد إلى جوار هذه الكنبة مقعدين مبطنين ومكتوب على أذرعهما بعض العبارات. ومازلنا لم نخرج ولم نقف على أقدامنا؛ وكان أغلب الحاضرين يرتدون معاطف حمراء وقد أحضرت لنا طسوت لغسل أيدينا بما يناسب ملابسنا؛ فبينما نحن كذلك إذا برجل يظهر من خلف الستارة. هذا الرجل هو من سنخرج خلفه جميعًا متحدين؛ ولكنه عندما نزل لم نكن نستطيع أن نفرقه عنا؛ كأنه واحد منا. ثم ذهب إلى الداخل وجلس على الطرف الأيمن من الكنبة؛ وقد جلست أمامه على المقعد المقابل له. ثم جلس ناجي بك على المقعد المقابل له تمامًا. وكان هذا الرجل ثاقب النظر شديد التأمل؛ أغلق عينيه لبرهة ثم لما أعا فتحهما؛ نظر إلينا مخاطبًا بإلتفات لطيف وقال:" أنا متشرف وممنون بالعمل معكم". ثم أغلق عينيه مرة أخرى. وكانت هذه الشخصية الكريمة اللطيفة في التعامل تحيرني. ووجدتها مختلفة عن باقي المسؤلين الكبار في الدولة. وكنت أريد أن أعقب عليه. لكني كنت لا أعرف كيف سأعقب عليه؟! أم كان الأفضل هو الصمت! لهذا كنت مترددًا في الكلام إليه. ثم نظرت إلى وجه ناجي باشا؛ هو ايضًا كان وجهه راكدًا؛ وكنت أريد أن أتحدث مثله؛ ولكني فكرت أكثر من مرة ففضلت الصمت على الكلام. وبعد قليل قام الأمير محمد وحيد الدين بفتح عينيه وقال:" ألسنا سوف نذهب إلى السفر خارج البلاد؟! وأقول لكم وأعترف بأنني أشعر داخليًا بالعذاب من هذه الرحلة. ؛

وأنا أعترف لكم بهذا الأمر؛ أعرف أنكم ستقولون بينكم وبين أنفسكم أنكم تتحدثون إلى رجل مجنون؛ ولكني حينما أتحدث بالمنطق إليكم ليعلم كل واحد فينا ما في نفس الآخر. نكون بذلك في نعمة من الإتفاق عند العمل سويًا". ثم قال البعض بعد أن نهضوا بالوقوف:" يا حضرت مولانا ولي العهد؛ نحن سوف نرحل معًا في هذه الرحلة بعد يومان. وسوف نجد لكم عربة بالخيول لأجل سفركم إلى محطة القطار تأخذكم من أمام قصركم". ثم ودعناه وخرجنا. ثم ركبنا بعض العربات التي أعدت لنا خصيصًا من قبل قصر الأمير لتقلنا إلى منازلنا. وهكذا تقريبًا حدثت المحاورة الولى بيننا وبين الأمير محمد وحيد الدين. وكان من صفات الأمير محمد وحيد الدين الكرم والرحمة؛ ولكنه كان مسكينًا في نفس الوقت. وقولت في نفسي مع هذه الصفات ماذا يمكن أن يحدث معه ومع الهيئة التي سيترأسها؟! وهكذا كنت أفكر في أن هذا المسكين قد يكون غدًا هو السلطان. وقد كنت أقول لنفسي ماذا ننتظر من مثل هذا الشخص؟! وهل بإستطاعته شيء؟! لا أحد... يستطيع أن يشابه عقلنا وفكرنا؛ ونحن فقط اللذين نستطيع أن نفهم ونقدر قدرات وحال ومستقبل دولتنا. لكن من مثله ماذا يستطيع أن يفعل؟! وناجي باشا يقول:" الأمير محمد وحيد الدين قوي". يوم الخميس في المساء ذهبت إلى المحطة ولكني وجدت أول ما وجدت الأمير محمد وحيد الدين وحده قد أتى. بيد أنني أرسلت لمن سيكونون مرافقين للأمير محمد وحيد الدين خبر لكي يأتوا. وقولت لهم في رسائلي إليهم نحن سنكون في هذه الرحلة في مهمة عسكرية. وعلى الأمير ولي العهد أن يرتدي الملابس الرسمية التي تناسب هذه الرحلة. وعندما رجعت في الوقت المحدد إلى المحطة وجدت الأمير محمد وحيد الدين يرتدي ملابس مدنية عادية وليست ملابس رسمية. وكان مرافقًا للأمير محمد وحيد الدين رئيس ديوان التشريفات إحسان بك. فقلت له: " ألم أقل لك أن تقول للأمير محمد وحيد الدين أن يرتدي ملابس التشريفات الرسمية؟! ألم اقل لك؟!" فرد علي إحسان بك قائلاً:" لست أنا الذي يجب أن توجه له الأسئلة. ولست أنا الشخص الذي يجب أن يشرح لك الوضع؛ ولكني أقول لك بأنني أخبرته بأنه من الواجب عليه إرتداء الملابس الرسمية الخاصة بمثل هذه المناسبات. لكني أقول لك هل أخبرته أنت أم لا؟!" أعلم بأنني خلال هذه الجمل قد تحدثت بشكل صعب. وكان على الباشا أن يعطيني جواباً على ذلك لأنه مجبور. ثم نظر إلى ناجي باشا وقال: " نعم قلت له؛ ولكن لم يلتزم". فقلت لناجي باشا متسائلاً:" لماذا؟!" فقال لي:" لو سمحت لي ببرهة أوضح لك فيها الأمر؛ إنه في موضوع الأمير محمد وحيد الدين عليك عند فهمه أن تعلم بأنه ينظر إلى نفسه على أنه عميد الفقراء. لهذا يفضل دائمًا تجاوز الأمور الرسمية الخاصة بالتشريفات. لقد تحدثت معه في هذا الأمر ذات مرة؛ ونتج عن هذه المحادثة أن نزلت درجة من رتبتي؛ ولا استطيع أن أناقشه في مثل هذا الأمر مرة أخرى". والأمير محمد وحيد الدين لا يرى نفسه لائقًا لأي رتبة لهذا يفضل الملابس المدنية على الملابس العسكرية وملابس التشريفات. ويقول إحسان بك: " لم

أجد شخصًا مشغولاً أكثر من اللازم مثل الأمير محمد وحيد الدين". واستعد القطار الذي كنا سنركب فيه للتحرك وكان هناك بالمحطة كتيبة صف حرب منتظرة الأمير محمد وحيد الدين. ثم أقتربت من ولي العهد وكان إلى جواره حينها نائب القائد العام للجيوش العثمانية أنور باشا. وقلت للأمير محمد وحيد الدين هذه العساكر لأجل تأمينكم والمحافظة على حياتكم. وكنت أنظر إلى وجه الأمير محمد وحيد الدين أثناء حديثي له. ولا أنسى نظرته لي حينها. حيث قال لي متسائلاً:" كيف؟!" وهذا السؤال ما كنت أريده منه لأنه كان بعد إشارة لي بالحديث مع ولي العهد؛ وفتح مجال لأخذ والرد معه. فأجبته قائلاً:" هذه الحراسة ستكون أمامكم وخلفكم وعن يمينكم وعن يساركم؛ بيد أن الحراسة الخلفية ستكون من عساكر خاصة من المخابرات. ولكن قد ينسى بعضهم فيرفع لكم التحية العسكرية أثناء سيركم على الأقدام. ثم عدنا مرة أخرى إلى القطار وركبناه. وكان يوجد داخل القطار قاعة " صالون" بها عدة نوافذ فقمنا بفتحها. وتقدم الأمير محمد وحيد الدين إلى أحد النوافذ وقام بالتلويح بيده إلى العساكر والأهالي؛ وودعهم بسلام. وكنت أنا أيضًا أفعل مثله.

لماذا هذا الفعل لازم؟! "هكذا كنت أسأل نفسي".

نعم، لازم! " هكذا كنت أجيب على نفسي".

إنني عندما كنت أنظر إلى الأمير محمد وحيد الدين؛ إنما كنت أنظر إلى رجل يظهر للجميع كثرة الإحترام. ولكنه في نفس الوقت لا أحد يستطيع أن يتوقع تصرفاته. وكان من الرجال الذين يقلبون الأمر فجأة رأسًا على عقب دون سائر إنذار. وأثناء تحرك القطار من استانبول كان هناك قاعة أخرى معدة داخل القطار لإقامة الأمير محمد وحيد الدين غير القاعة الأخرى المخصصة للإجتماعات. وكان بقاعة الأمير محمد وحيد الدين مقصورة للحماية. وبينما كان يترك الجميع القاعة الأولى؛ وجدت هذه القاعة ترجع إلى لأقيم فيها. وقد تركوا به مجموعة من الحقائب في كل طرف منه. وكنت أقول لنفسي:" أنا سأنام هنا". كذلك وجدت اسبته في كل طرف. وكانت الأسبته مكدسة فوق بعضها البعض؛ ولقد رايت أشياء أخرى مثل ذلك كثيرًا. وكان وحيد الدين في أول الأمر ينادي أقرب المقربين منه في هذه الرحلة باسم الرفيق. نعم كنت أقول لنفسي علي أن أكون قريبًا من الأمير محمد وحيد الدين. وأن أحصل على لقب الرفيق لنفسي لهذا فضلت أن أكون بأقرب مكان من مكان إقامته لكي أستطيع أن ألتقي به. واستطيع أن أطالع تصرفاته عن قرب. وهذا الرجل محمد وحيد الدين بينما كان يعطي الجميع أوامره؛ إذا به بعد ذلك يقوم بعمل ترتيب آخر.

لقد كان المكان يمتلأ بالرجال المقربين منه. بينما كان في الحقيقة الرجل الذي أبقاه ليتباحث معه كان أنا. فقلت له متسائلاً:" لماذا فعلت ذلك معي حضرتكم؟!"

فإذا به يعطيني جوابًا جميلاً:" أقول لك أيها الباشا العزيز علينا إنما فعلت ذلك لأعرف إذا كنت بحاجة إلى مكان ما يناسبك ويناسب عملك. فإني شعرت بأنك غير مستريح؛ فأردت بخصوص هذا أن أعد لك منا مكانًا قريبًا يناسبك. لأنه من غير المعقول ألا نجد مكانًا مناسبًا للباشا الرفيق. وعليك أن تكون على رأس خدمة العبيد في القطار تأمرهم بما يحتاجه الوفد الرسمي". فبينما هو يقول لي كذلك؛ إذ بالقطار يخرج خارج استانبول ويعبر إلى ترقيا ونحن ننتقل معه. وفي هذه الأثناء أتى شخص وقال:" اي سيدي الأمير ندعوك إلى قاعة الإجتماعات". ولقد وجدت محمد وحيد الدين ممنون من هذه الدعوة ومني أيضًا. فإن القرب من ولي العهد الآن تعني القرب من سلطان المستقبل. وكان علي أن استغل هذه الفرصة. لأنها أول فرصة تأتيني. فبينما يدخل وحيد الدين إلى الصالون الرئيس. إذ به أجده ينتظرني واقفًا على كلتا قدميه. ثم جلس ثم أشار إلي لأجلس في مكان قد أعده لي؛ لكي أجلس عليه. وفي هذه المرة أغلق عينيه بالكلية وكان يتحدث عن وضعنا ويكأنه شخصًا آخر؛ مخالفًا للشخص الذي وجدته يتحدث في القصر الصغير الخاص به؛ عندما ألتقينا لأول مرة. وبالعكس عندما فتح كلتا عينيه كانت عينيه مليئة بالقوة ونظر إلي بكل حرس؛ كأنه ينطق بشئ. هكذا وجدت شخص الأمير محمد وحيد الدين عندما كان يتحدث. كأنه من طراز فريد من الرجال أصحاب البيان؛ وهكذا أيضًا وجده الجميع. ثم قال لنا:" عفوًا أيها الباشاوات والحضور الكرام؛ أحتاج من بعضكم بضعة دقائق في الأمر الذي نحن فيه. لكي أستوضح بعض الأمور المتعلقة برحلتنا هذه. لأنني بعد حركة القطار قد حصلت على بعض المعلومات التي كانت غائبة عني. وأنا أتوجه بالقدير والفهم للقادة العسكريين وحرسهم الذين معنا. وأنا أعلمكم جيدًا. وأعلم أغلب الإجراءات التي أتخذتموها في الحل والترحال لأجل أن تنجح هذه الرحلة؛ وتتم بالتوفيق على أكمل وجه. لأنكم أنتم تريدون قبل أي شئ انقاذ استانبول. وقبل كل شيء فأنتم قادة جيشنا. لهذا فرحلتي معكم أنا فخور بها؛ وممنون منها كثيرًا جدًا". وعندما كان الأمير محمد وحيد الدين يتوجه لنا بهذا الكلام المنتظم المتسلسل؛ كنت أشعر بمدى الثقل الذي يشعر به على صدره. وكنت متشتت الفكر كيف كنت سأعقب عليه. بيد أنني أستعملت نفس منطقه وأعطيته الجواب. فقولت له:" ونحن أيضًا نفتخر بأننا معك في نفس هذه الرحلة كصحبة أخوية؛ وليست كزيارة رسمية تجمع بين تابع ومتبوع". وفي هذه الليلة جلسنا معه وكان مزاجه غاية في الإنشراح. ولقد مكثت معه طوال هذه الليلة التي حدث بها هذا الحوار. حتى شعرت بالتعب وبعدم الراحة فأستأذنت وذهبت. وعندما عدت إلى القاعة التي كان بها الأمير محمد وحيد الدين شعرت بأنه

أنشرح وتهلل وجهه بالفرح لوجودي. حينها خاطبت نفسي قائلاً:" إن هذا الرجل ذو عقل؛ ويجب أن يكون ذو تدبير بكل تأكيد". وعندما ألتقيت معه لأول مرة في استانبول كانت شخصية محمد وحيد الدين شخصية ثورية؛ وبخاصة في مجال معارفه ومعاونيه. وبالرغم من ذلك كان يقع تحت تأثير الأخذ بالأسباب الشرعية من وجهة أحكام الشريعة. وحتى أثناء تعامله مع حرسه الخاص كان يعاملهم بشكل لا يجعلهم في وضع يعرضهم لأي ضرر؛ ويخاطبهم بأن ذلك من أوامر الشرع الشريف. وهكذا قد رأيت شخصية محمد وحيد الدين الذي كان يكره الضرر أن يقع لأي أحد. وبناءًا على ذلك فإني أستطيع أن أقيم أحوال شخصية محمد وحيد الدين. والأحوال التي يلتجأ فيها إلى أحكام الضرورة في الشرع.[35] حتى أنني كنت أتمنى العمل معه على أسس يضعها هو بنفسه. وكان يتابع إجراءات الرحلة بنفسه. وفي كل يوم يلتقي معنا يا إم بمدة طويلة أو بمدة قصيرة. حتى أنه صارت لدي قناعة بأن الأمير محمد وحيد الدين من الرجال التنوريين الذين يلتزمون بأقوالهم لكنه بحاجة إلى من يرشده إلى الطريق عند القيام ببعض الأعمال التي يمكنه من خلالها بكل حب أن يفتح الباب لحركة التنوريين. وفي أثناء التفكير في هذا الأمر أتي إلى ناظري ناجي باشا فأشرت عليه بأن الأمير محمد وحيد الدين بهذا الشكل سيكون ذو منفعة للدولة. وبأنه أحسن من ينوب ويمثل الوطن. وكنت أنا وأصدقائي نحن أن نتعرف على هذا النوع من الرجال خلال رحلتنا هذه. وأن تربطنا بهم علاقات جيدة ودائمة. وفي أثناء تواجدنا في فندق عادلون **Adlon Otel** أتى بعض المندوبين الصحفيين من بعض الجرائد؛ وكانوا يريدون لقاء ولي العهد الأمير محمد وحيد الدين. وفي هذا اللقاء الصحفي كنت أنا أيضًا حاضرًا. وكنت أرى أن ولي العهد يبدو أنه مستلهم جل أفكاره من التعليم الذي تلقاه في استانبول. وكان دائمًا لا يتحدث بما يجول في خاطره؛ إلا أنه مع من تتطابق أفكارهم مع فكره. وفي هذا اليوم كان بصحبة عدد من الصحفيين الأجانب؛ وكان ممنونًا من صحبته معهم. وبعد خروج الصحفيين مكثت انا وولي العهد في قاعة الفندق فنظر إلي وسألني:" ماذا ينبغي علي أن أفعل؟!" وأنا أتذكر حينها كيف كان سلوكي معه أثناء نصحه بالسير على هذا المنوال الذي هو فيه. فقلت له:" نحن نعرف التاريخ العثماني جيدًا. من هذا التاريخ مازالت بين أيدينا صفحة لم تغلق؛ أنا اعلم أن حضرتك قلق ومازالت مترددًا حيال بعض الأمور. لهذا سأقول لسيادتكم شئ:" أنا في حياتي هناك اشياء مشتركة مع حياتكم في بعض الأمور. فهل سيادتكم ممنون لأجل ذلك؟! ولكن أريد أن اقول لك يا سيدي ولي العهد:" أنكم مازالت لم تتولوا السلطنة بعد. وانت مازالت وليًا للعهد ولست سلطان البلاد. فعندما تقابل إمبراطور

---

[35] أحكام الضرورة في الشرع؛ يقصد فيها الأحكام التي يخالف فيها الحكم الفقهي عند الضرورة؛ أحكامه في الأحوال العادية؛ مثل رفع حد السرقة عن السارق وقت وقوع الأوبئة والمجاعة. لأنه يسرق ليأكل؛ كما فعل ذلك الخليفة الراشد عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- وت طاعون عمواس؛ حيث عطل حكم حد السرقة حتى ينتهي الطاعون وتنتهي المجاعة في المدينة المنورة، المترجم.

ألمانيا فهو في اعتقاده أن ولي العهد والأمراء نفس السوية؛ ولا فرق بينهما. فلماذا تبتعد عن أي عمل يوكل إليك؟!" فسألني:" وماذا باستطاعتي أن أفعل؟!" فقلت له معقبًا:" سواء ذهبت إلى استانبول أم لم تذهب هل تريد أن تكون قائد أحدى جيوش المعركة. أنت رئيس في الأركان الحربية؛ باعتبارك وليًا للعهد. فأي جيش تريد أن تكون أنت قائده؛ ستكون قائده. هل تريد أن تكون قائد الجيش الأول؟ فالجيش الأول تحت قيادة اللواء بورت فون ساندرز Liman von Sanders وهذا الجيش هو الذي يدافع عن البوغاز؛ وأغلب القادة العسكريين مشتركين في هذا الجيش". فأجابني ولي العهد وحيد الدين قائلاً:" لن يسمح لي بقيادة هذا الجيش أبدًا". فعقبت عليه قائلاً:" أنت الذي تريد؛ فعندما تعود إلى استانبول فكر في هذا الأمر. غير أنه فاجأني بإجابة يائسة قائلاً فيها:" لا أمل لي في قيادة هذا الجيش".

فعند قراءة مثل هذه الأسطر من الوثيقة السابقة نتحير ونستخرج منها بالرغم من من ذلك بعض الإرشارات والمعلومات الهامة:

1- الباشاوات الشباب كانوا يسيرون في صف منتظم خلف ولي العهد الأمير محمد وحيد الدين.
2- أن من عادات هذا الزمان أنه عندما يخرج مسؤلاً كبيرًا في الدولة من العائلة العثمانية مثل السلطان أو ولي العهد؛ عليه أن يلوح بيده إلى العساكر والأهالي المنتظرين أمامه في محطة القطار.
3- أن الضباط واللواءات من قادة الجيش وأغلب مسؤلي الدولة العثمانية لا يحق لهم الخطاب المباشر في الجمهور باستثناء السلطان أو ولي عهده؛ ولا يمكن لأي أحد أن يتخطاهم في هذه المسألة.
4- أن هناك مراسم معينة لابد من احترامها في البرتوكولات الرسمية عند اللقاءات السياسية أو العسكرية أو غيرها بين الدول؛ ولا يحق لأحد أن يقوم بتغييرها؛ إلا بالاتفاق بين الجهات المعنية في الدولة العثمانية أو خارجها وبين الدول الأجنبية الأخرى.
5- كان للأمير محمد وحيد الدين النية في تغيير قواعد هذه المراسم البرتوكولية الرسمية وتعديلها؛ وتبين ذلك عند ارتدائه للملابس المدنية؛ وكان لديه النية ؛ وهذا ما يتبين لنا من أحداث هذه الوثيقة.

بيد أن هذه الوثيقة ليست من مذكرات السلطان محمد وحيد الدين؛ بل هي مستعان بها من خارجها للإفادة. ولكن هنا يطرح سؤال من الذي كان ينام خلف ولي العهد ليأمنه؟! هل كان فالح رفقي Falih Rıfkı يا ترى؟! وتعتبر هذه الوثيقة هي أول وثيقة تحليلية نقدية لشخصية وأفعال الأمير محمد وحيد الدين؛ وأنه كان بطل هذه المرحلة من وجهة نظرنا. وهكذا كانت سمات اللقاء الأول بين الأمير محمد وحيد الدين قبل توليه السلطنة ومصطفى كمال باشا. وعن ذلك اللقاء يقول السلطان محمد وحيد الدين في مذكراته:

" عندما كنت في الرحلة الرسمية إلى ألمانيا كان من أقرب مساعديني مصطفى كمال باشا واللواء ناجي بك. وكان هذا أول لقاء بيني وبين مصطفى كمال باشا. وكان صاحب ذوق عال في اختيار الألفاظ والأسئلة التي كان يتحدث بها؛ مما دفعني أن أقدر ذوقه وأن أعمل مثله عند اختيار الموضوعات والأسئلة التي تطرح للنقاش. ولكنه كان شغوفًا بنفسه كثيرًا. وكان كثير النفور من أنور باشا. وكان دائم الهجوم عليه كلما سنحت له الفرصة أمامي. وكان دائم التهكم والنقد لتصرفات أنور باشا وطمعه في أن يكون أكثر مما هو عليه؛ لهذا قال لي مصطفى كمال باشا ذات مرة:" إن أنور باشا يسعى للقضاء على العائلة العثمانية؛ هكذا قال". ثم قال لي مصطفى كمال باشا في مرة أخرى:" إذا لم تعد يا ولي العهد من ألمانيا إلى استانبول؛ فإن العرش العثماني سيكون خاليًا لأنور باشا؛ لكي ينقض عليه. وأنت بذلك تكون قد أعطيته الفرصة والقرار لكي يعتلي عرش الدولة العثمانية". لقد كان مصطفى كمال باشا في كل فرصة سانحة تأتيه يثبت لي بأنه من أخلص الرجال المقربين إلي وإلى الدولة العثمانية. وكان مصطفى كمال باشا كثيرة النفرة من الألمان؛ ولم يكن ليخفي نفرته منهم".

10.2. عرض المزايدة "والفتنة"

لقد كان الأمل في قلب الباشا الشاب مصطفى كمال مختلف؛ ففي كل يوم كان يسأل نفسه قائلاً بأنه قد تعلم من الحياة؛ وأنها لا تقف عند أحد. وأنه يوم لك في الشهرة والثروة والمجد؛ ويوم عليك. وكان يسأل نفسه من سيكون في المستقبل صاحب الإقتدار والتحكم في تسيير الأمور...؟! لهذا كان قلب الباشا الشاب مصطفى كمال ممتلأ بالأمل. وكان يقول لنفسه حسب ما ذكر في بعض مذكراته:" **إنني يجب علي أن أكون أنا الرجل الأكبر في الدولة"**؛ يقصد أن يكون رأس الدولة. وكان يقول: " **أن من أراد الطريق الأيسر للوصول لرأس الدولة؛ فعليه ان يفكر كثيرًا فيمن سوف يكونون حوله؛ ليتمكن من تحقيق هدفه".** لأجل هذا اختار أن يكون مقر إقامته ومركز نشاطه وحركته للوصول للحكم هو مدينة سالونيك؛ لأن بها من يفكرون مثله. وهناك من حوله من ينصرونه؛ وفي هذا الشأن يقول مصطفى كمال باشا: " **إنه في قناعتي أن الشخص الذي يجب أن يكون هو رأس الدولة والرجل الكبير فيها؛ لا يجب أن يعرفه أحد؛ ولا يجب أن يتباحث في هذا الأمر مع أحد. لقد كنت أبحث هذا الأمر مع نفسي فقط. وكنت أقول لنفسي:" من يريد أن يؤسس دولة فعلية؛ فعليه ألا يأتي بالتعيين. بل بالإنتخاب؛ وإلا فإنه أعجز من أن ينقذ بلده من أعداء الداخل والخارج. وهذا ما كنت أقتنع به. وما دون ذلك فليس برجل الدولة ولا بالرجل المنقذ".** وقال أيضًا عن طريقة تحقيق هدفه: " **إذا أردت أن تحقق حلمك فعليك أن تكون القائد العام لأكبر جيش؛ ولا يجب عليك الإلتفات لأي أحد. فليقل من شاء ما شاء! فلا أحد على الإطلاق يستطيع أن يحقق العدالة المطلقة؛**

بل كلٌ ينظر إلى العدالة من وجهة نظره. ولن يمكن أن ترى الشخص المثالي الكامل. لهذا عليك عند السير إلى هدفك. أن تجعله نصب عينيك للوصول إليه. ويجب أن تهمل المعوقات التي يمكن أن تعوق طريقك؛ فأنت اكبر منها. وعليك أن توفر البيئة التي ستعمل معها. وهكذا إذا لم تفعل ذلك؛ وإذا لم تكن الآمر الناهي في كل صغيرة وكبيرة؛ وإذا لم تجد مقاومة لقراراتك؛ حينها سيكون الكل عليك؛ ولن تكون الرجل الكبير الذي تحلم به؛ بل ستكون صغيرًا ضعيفًا؛ بلا وطن. ولن يكون حينها بينك وبين من حولك نقطة تلاقي. ولن يساعدك أحد على الإطلاق. من أراد أن يكون الرجل الأول الكبير؛ فعليه أن يعلم أن الطريق ستكون هناك دماء. وأنه لامثالية في الحكم. لهذا كنت أقول لنفسي :" من بعد الآن؛ أنت الرجل الكبير؛ وكنت أنظر إلى نفسي وأضحك"؛ لهذا فإن الشخص الذي يريد أن يكون من كبار القوم والتاريخ؛ عليه بكل تأكيد أن يوفر لنفسه القدرة على أن يكون هو الحاكم الفعلي. وعليه إذ أتته السلطة أن يكون بعد مقدمها قادرًا على تطبيق كل ما كان يحلم بتطبيقه من قبل أن يأتيه الإقتدار والسلطة. وعليه أن ينفذ قواعد حكمه الجديد واحدة واحدة؛ كي يتم التغيير المطلوب".

وهكذا فإنني وجدت في هذه الوثيقة أن مصطفى كمال باشا قبل أن يكون صاحب السلطان؛ كيف كان يفكر؟ وكيف كان يضع لنفسه القواعد والأسس التي سيسير عليها ليكون هو المنتصر الوحيد. لهذا لا يجب أن تعلن عن أهدافك الحقيقية إن أردت أن تكون أنت صاحب السلطان. أما إذا أردت أن تكون شخصًا عاديًا؛ ولا تستطيع تحقيق هدفك؛ فتحدث عن هدفك الحقيقي مع كل من حولك؛ ستجد نفسك لن تصل إلى شئ. بل بالفعل ستبتعد عن مقام هدفك؛ وستصل إلى مستوى متدني في البعد عن تحقيق حلمك. وإن تشبث مصطفى كمال باشا بالحكم؛ وأن يكون هو رأس الدولة؛ بدأ أثناء وجوده في حرب صوفيا[36] بتاريخ 9 نوفمبر من عام 1914م[37].

وفي هذا الزمان كان ثلاثة أكابر قادة الإتحاد والترقي يتحكمون في مفاصل الدولة العثمانية؛ ومنهم على وجه الخصوص ناظر البحرية جمال باشا؛ الذي أرسل إلى رفاقه يقول: **" هل تتذكرون بأنني هنا".** وقال في رسالة أخرى: **" وفي هذه الأيام الأخيرة قام أكثر من وزير بالإستقالة. مثل البكوات طلعت وشكري ومن مثلهم. لهذا فإن رئاسة الوزراء بحاجة إلى شخص قوي في هذه المرحلة العصيبة؛ وأن يرأس كل**

---

[36] صوفيا؛ عاصمة بلغاريا الآن، المترجم.

[37] يذكر بالصفحة الرسمية لمجمع التاريخ التركي التابع للجمهورية التركية بأن مصطفى كمال باشا ذهب بأمر الإتحاديين مع قوة بالجيش العثماني في أثناء التنسيق مع الألمان للحرب في البلقان إلى بلغاريا؛ وكان وصوله إلى صوفيا عاصمة بلغاريا بتاريخ 20 نوفمبر 1913م ومكث فيها خمسة أشهر حتى 20 مارس من عام 1914م حيث توجه في هذا الشهر مع باقي قادة الجيش العثماني للإشتراك في حرب اليونان، المترجم؛ https://ataturkansiklopedisi.gov.tr/bilgi/mustafa-kemalin-sofya-atasemiliterligi/

الأمور بنفسه. وذلك من بعد ذوقكم لمعرفة الشخص الأفضل عند الاختيار؛ وأنتم تدركون تطور الأمور. وأن الأمر أصبح بحاجة إلى من يقلب صفحات الأحداث. ولهذا فإني أرى أن هذا الشخص عليه أن يكون ذو قيمة مادية وفكرية؛ وألا يكون منهك القوى. وأنتم أمامكم من يستطيع أن يداوي جراحات الدولة. ويساعدكم بكل جدية؛ ولكن عليكم أن تسمحوا له بأن يكون هو الوسيلة لأجل ذلك. ومن يكون هذا الشخص الذي أتحدث عنه؟! أنتم تخمنون من يكون هذا الشخص بكل تأكيد".

لقد أرسل جمال باشا نفس هذا الخطاب إلى سفراء الدول الكبرى؛ وإلى العديد من قوات الجيش في الدولة العثمانية؛ حتى وقعت نسخة من هذا الخطاب أيضًا في يد رئاسة الوزراء؛ والذي أحضر هذه النسخة من خطاب جمال باشا إلى استانبول هو فتحي بك الملقب بأوقيار "Fethi Bey "Okyar[38]. حيث استدعاه مكتب رئاسة الوزراء بأن يحضر إلى استانبول مع هذا الخطاب. لقد كان جمال باشا ممتعض من وجوده في مدينة صوفيا؛ حتى عندما عين قائدًا للبحر المتوسط لحراسة الحدود البحرية زاد امتعاضه؛ وارسل من مدينة درنة Derneبليبيا بتاريخ 17 يناير 1914م ليقول لأصدقائه الإتحاديين في استانبول: **" على الرغم من خدماتي الطويلة والكثيرة؛ إلا أنني لا أتذكر سوى أن انور باشا دائمًا ما يأخذ منكم الأوقات في التقديم والتبجيل. وفي الدفاتر الرسمية لا يذكر سوى اسمه؛ وعند صرف المنح من قبل خزينة الدولة؛ فتكون القلادات والمنح المالية الترفيهية له؛ لأنه يستحقها بكل تأكيد؛ حسب ما تزعمون. أما قائد البحر الذي دائمًا ما يتعرض للمخاطر؛ فلا يذكره أحد على الإطلاق ولو بمنحة مالية أو يدرج اسمه عند صرف المنح المالية مع من تصرف لهم. بالطبع المسؤلين القدماء لم يروا هذه المخصصات المالية المترفة. ولكن بعد إحلال القادة الشباب محل القادة القدماء؛ بدات حركة اخفاء قيود تسجيلات الصرف القديمة. كي لا يطالب قادة الجيش الشباب بنفس المخصصات التي كانت تصرف للقادة الكبار سابقًا. ألم تكن هذه من الفرص التي سنحت لكم لإخفاء أدلة المخصصات المالية؟! إن اخفاء الدعم المالي عن الضباط الذين يدافعون عن الدولة في جبهات الحرب؛ وعدم إرسالها لهم بحجة أن الدولة مديونة؛ وإرسال ما يكفيهم للإعاشة فقط؛ يفت في عضد الضباط الشباب؛ لأنهم لا يجدون أمام ما يبذلونه من فداء تقدير من الدولة. لقد أنتهت رسالتي؛ كما سينتهي القيل والقال في هذه المسألة".**

عندما دخلت الدولة العثمانية الحرب كانت الأوضاع في صوفيا عاصمة بلغاريا غير مستقرة. وكان الضباط بحاجة إلى الإختيار بين الدولة والتسليم. لهذا كتب الضباط العثمانيون رسالة إلى قادة الدولة من

---

[38] أوقيار Okyar؛ كلمة تركية عثمانية تتكون من مقطعين المقطع الأول أوق Ok ويعني السهم، والمقطع الثاني Yar ويعني مكان الإصابة، فإذا جمع المقطعين معًا صارت تعني السهم المصيب، المترجم.

الإتحاديين في استانبول يشرحون فيه وضعهم. ويطالبون بالتواصل معهم بالكلام وبالرعاية. وأن تفهم مطالبهم على الوجه المطلوب. إذ كيف يرسلون إلى الجبهات ليقاتلوا العدو؛ ثم تنقطع الرسائل بينهم وبين القيادة المركزية في استانبول؛ ولا يعرف كل طرف عن الآخر شيء؛ وفي أحدى هذه الخطابات المرسلة منهم إلى استانبول يقولون: **" إن الإتفاقيات الحربية مع ألمانيا سواء عرفت بها الدولة العثمانية أم لم تعرفها؛ تنشر في العديد من الصحف على أنها انتصارات للألمان. ولكن في الحقيقة بعض معلومات هذه الصحف تصيب وبعضها يخطئ. إذ أن من على الجبهات هم في الحقيقة رجال جيشنا العثماني وليس الألماني. هؤلاء الرجال الذين تركوا وظائفهم شاغرة لأجل هذه الحرب. إننا في هذه الحرب ونحن نطالع الكثير من الصحف التي تصدر من استانبول؛ نجدها تقول بأننا نفر من جبهات النيران؛ بل إن هذه الصحف تمتلأ بالمغالطات عن جيشنا العثماني المرابط في ثغور البلقان والبلغار خاصة. إن من لا يعرف ماذا نفعل؟! لا يحق له أن يكتب عنا. أليس من ينشر ذلك عنا دون أن يتواصل معنا رجل مجنون؟!".**

لقد كان العجب العجاب هو رفض دعم الأسطول العثماني من البحر بقيادة جمال باشا رجال الجيش العثماني الذين يقاتلون على جبهة صوفيا الداخلية في بلغاريا؛ والأكثر من ذلك التمسك بالحرب على جبهة صوفيا؛ مع إغلاق طرق الدعم البشري وقطع الإمدادات عن الضباط العثمانيين وجنودهم هناك. وزاد الأمر سوءًا عدم رد حكومة الإتحاديين في استانبول على رسائل ضباط الجيش العثماني في جبهة صوفيا. :انهم لم يرسلوا للحكومة في استانبول يبلغوا بخطورة موقفهم وما يحتاجونه. ولكن الذي لم يعلموه قادة الجيش العثماني في صوفيا؛ من هناك شخص في استانبول قد اتخذ قرارًا بترك هؤلاء الجنود والضباط بلا دعم. لقد علم الجميع اسم هذا الشخص. إنه رجل القصر الأول وصهر الأسرة العثمانية أنور باشا. لقد كان أنور باشا يراقب كل صغيرة وكبيرة في الدولة كأنه كان يحكمها منذ الأزل. لم يرد على هذه الرسائل التي كانت تصله وصل الحكومة باستانبول من جبهة الحرب في صوفيا أول الأمر. ولكن مع تكرر هذه الرسائل القادمة من ضباط الجيش العثماني في صوفيا؛ بدأ أنور باشا في الصفحة الثانية من خطته. فهو رجل ليس صاحب شعارات؛ بل رجل المهمام الصعبة؛ لهذا كانت بعض رسائله شفوية وبعضها كتابية لضباط الجبهة في صوفيا.

وفي أثناء عودة ولي العهد الأمير محمد وحيد الدين من ألمانيا إلى استانبول بالقطار؛ وفي أثناء وجوده في مقصورته. سمع بعض الأصوات التي تطلب مقابلته؛ وتحثه وتشوقه وتدفعه إلى ان يكون هو قائد الجيش الخامس العثماني. إذا أراد بالفعل أن يحكم الدولة العثمانية؛ وإذا كانت لديه النية بالفعل لإنقاذها. وكان من أوائل من يحثون الأمير محمد وحيد الدين على ذلك مصطفى كمال باشا؛ لأنه كان يرى أن الأمير محمد

وحيد الدين هو وسيلته التي قد يرضاها الجميع لتحقيق هدفه. لهذا على الأمير محمد وحيد الدين أن يصطدم في مواجهة حتمية على من يتحكمون في القصر السلطاني باستانبول؛ لأجل تحقيق هذا الهدف؛ لأن مصطفى كمال باشا خلال هذه المرحلة كان لايستطيع أن يواجه رجال القصر مباشرة بنفسه.

لم تكن هناك حياة مشتركة تجمع بين الأمير محمد وحيد الدين ومصطفى كمال باشا؛ لكن الأحداث جمعت بينهما؛ حتى بعد موتهما. ولا يمكن لأحد أن يقوم بمسح التاريخ المشترك بين الرجلين. وإن حاول ذلك! فالعلاقات بين الرجلين متوطدة ووثيقة. لقد أرسلت الحكومة الألمانية إلى الحكومة العثمانية تحثها على تكرار مثل هذه الزيارات الدبلوماسية والعسكرية إلى ألمانيا؛ لما لها من تأثير في تقريب وجهات النظر بين الدولتين. ومن جديد يظهر على الساحة لطفي السماوي Lütfi Simavi ليكتب تقريرًا عن ذلك. ويضع قواعد تنسيق الزيارات الدبلوماسية بين الألمان والعثمانيين. وسوف يتدخل في أدق التفاصيل عن مثل هذه الزيارات الدبلوماسية. ومن ذلك ما كتبه عما إذا كان الأمير محمد وحيد الدين يتظاهر بشرب كأس الخمر من الشمبانيا أم لا؛ وكتب إلى استانبول تقريرًا مفصلاً عن ذلك.

لقد استمرت الرحلة العسكرية الدبلوماسية إلى المانيا 21 يومًا. ومصطفى كمال باشا لا يفارق الأمير محمد وحيد الدين ويحثه على ضرورة العودة إلى استانبول في كل وقت وحين. وبعد أن عاد مصطفى كمال باشا إلى استانبول مرض ثم ذهب أثناء مرضه الأمير محمد وحيد الدين إلى فيينا؛ وزار الينابيع الساخنة بمدينة كارلسباد Karlsbad. وفي أثناء تواجد الأمير محمد وحيد الدين بمدينة كار لسباد أتاه خبر وفاة السلطان محمد رشاد.

11.2. الجلوس على عرش متزلزل غير ثابت الأركان

إن أكبر حيرة أصابت جماعة الإتحاد والترقي وزعزعة لسلطانهم في حكم البلاد كان بتاريخ 3 يوليو 1918م. ليس بسبب السياسة تزلزل حكمهم. ولكن لأن الوضعية التي أتوا بها وعبروا من خلالها إلى سدة الحكم؛ كانت من خلال جعل السلطان محمد رشاد كواجهة لهم عبر الإنقلاب. لهذا أبقوا محمد رشاد على العرش العثماني 9 سنوات وشهرين وستة أيام. لم يكن لهذا السلطان العجوز حول أو قوة مع حزب الإتحاد والترقي. ولقد أضيف شيء ثاني إلى جوار كبر سن السلطان رشاد آلا وهو مرضه؛ ولكنه بهذا التاريخ 3 يوليو من عام 1918م قد غادر عالمنا إلى عالم آخر.

لقد طلق العرش العثماني بالموت؛ وبذلك قد رفع الموت عن كاهله ورأسه ضغط الإتحاديين عليه. ولعل أفضل ما قدمه الموت للسلطان محمد رشاد أنه ابتعد إلى الأبد عن الإتحاديين. وكما كان يقول ولي العهد الأمير محمد وحيد الدين: **" إن محمد رشاد أخي الأكبر كانت نفرته من الإتحاديين تبلغ منتهاها. حتى أنه كان يشتكي لي ذلك".** لقد تولى محمد وحيد الدين العرش وعمره 57 عامًا؛ وكان حينها الجالس على عرش مؤسسة رئاسة الوزراء الصدر الأعظم طلعت باشا ممثل حزب الإتحاد والترقي في هذا المنصب. لقد كان السلطان محمد رشاد حتى آخر نفس من عمره يدعوا بعودة السلطان السياسي من يد من أغتصبوه من الإتحاديين إلى صاحب الحق الحقيقي الأمير محمد وحيد الدين أفندي عند إعتلائه العرش.

لقد دعى الإتحاديين الأمير محمد وحيد الدين أثناء عودته إلى قرية جنجال Çengel Köy إلى المجيء للقصر السلطاني. غير أنه لم يذهب إلى هناك. ولكنه عندما وصل إلى قصره بقرية جنجال فوجئ بوجود ثلاثة أشخاص بانتظاره؛ ألا وهم الصدر الأعظم طلعت باشا والقائد العام للجيوش العثمانية ووكيل السلطان وناظر الحربية أنور باشا ومعهم شيخ الإسلام خيري أفندي. بيد أن الأمير محمد وحيد الدين لم يقبل إعتلاء العرش العثماني فورًا. لقد ظل يفكر طوال هذه الليلة. كما قال لزعماء الإتحاديين: **" أمهلوني لكي أفكر".** وكانت لديه شروط تكاد تخرج من عينيه شعر بها الإتحاديون. ولقد طلب منهم أن ينتظروا جوابه لقبول السلطنة في اليوم التالي.

لقد كانت ليلة 3 يوليو من عام 1918م أطول ليلة تمر على الأمير محمد وحيد الدين في حياته. ولقد كانت هذه الليلة من الليالي التي شعر فيها محمد وحيد الدين بأن حياته تحترق فيها. ولا تساويها لديه ليلة أخرى سوى ليلة 16 نوفمبر من عام 1922م؛ وهي الليلة التي سبقت فراقه لاستانبول بيوم واحد. وكانت تمر الساعات عليه كأنها تتساقط واحدة تلو الأخرى. لقد كان يقول: **" إنني أريد أن افر من الجلوس على هذا العرش؛ ولكني فضلت أن اكون الفداء لأنقذ هذا الوطن".** لقد كان شديد القلق. إذ كيف يقبل هذا الإرث المثقل؟! وماذا سيحدث له بعد قبوله؟! فهو لا يستطيع أن يعتمد على ابن عمه الأمير عبد المجيد أفندي.[39]

---

[39] الأمير عبدالمجيد أفندي؛ هو آخر خليفة عثماني دون السلطنة. إذ أن آخر سلطان عثماني كان يجمع بين السلطنة والخلافة أي بين السلطان السياسي والديني الروحي لقيادة المسلمين هو السلطان محمد وحيد الدين. بيد أن حكومة أنقرة قد أعلنت الجمهورية وألغت السلطنة 1 نوفمبر من عام 1923م؛ ثم أعلنت اسقاط الخلافة وإلغاءها وطرد الخليفة العثماني في عام 1924م. والخليفة عبدالمجيد الثاني استمر خليفة من 18 نوفمبر 1922م وحتى 3 مارس 1924م، Hüseyin Kelamli, “II.Abdülmecid Efendi Halife Seçilmesi ve Bait Meselesi”, Tarih Okul Dergisi, S.XXXIII, Mart 2018 Yayınlanmış, Edirne, s.663.

وفي صباح اليوم الثاني توضأ ثم صلى ركعتين استخارة حول قبول أو رفض العرش العثماني. وبعد ذلك ذهب إلى مراسم دفن أخيه الأكبر السلطان محمد رشاد بجامع أيوب سلطان.[40]

وبعد صلاة الجنازة ودفن السلطان محمد رشاد نادى الإتحاديون على ولي العهد الأمير محمد وحيد الدين وقالوا له: **"هل قبلت السلطنة؟!" فإن قبلتها! فلتعلن ذلك الآن".** وفي ذلك يقول الأمير محمد وحيد الدين: **"لقد كان قبولي بمثل هذا الأمر؛ وفي هذه الأحداث التي تعصف بالدولة بلاءٌ كبير؛ حتى كاد صوتي لا يخرج بالقبول".** ولكن بالرغم من ذلك سمع الإتحاديون قرار الأمير محمد وحيد الدين مع ذلك الصوت الخافت. وفي مدينة سان ريمو San Remo [41] كتب بعض الذكريات عن اصعب يومان مر في حياته حيث قال: **" بعد وفاة أخي الأكبر السلطان محمد رشاد كان أكبر خطأ في حياتي قبولي بالسلطنة...وفي نهاية الحرب توفى السلطان محمد رشاد وهو في أشد حالات الإعياء من المرض. وبعد وفاة أخي الأكبر محمد رشاد وفي أثناء وجودي في قرية جنجال أتصل بي طلعت باشا الصدر الأعظم من القصر السلطاني. وقال لي متسائلاً: " متى ستزورنا في القصر السلطاني؟! وما هو الوقت الذي ستحتاجه لقبول السلطنة؟! عليك أن تجيب علينا؟!" لقد كان يخبرني بما يجب عليا أن أفعل كأنه قرار قد أتاني من الإتحاديين واجب عليا تنفيذه؛ ولكنه عرضه عليا في صيغة السؤال. وبالطبع قد فهمت ما قاله. ولقد كنت متأثرًا. لأجل هذا لم أعطيه جوابًا حينها. فليقل من شاء؛ ما شاء! لقد كان السلطان محمد رشاد في الحقيقة مثل الملاك الحي. فعندما غاب شعرت كأنني أبكي من داخلي بدلاً من الدموع دماءًا. في الأساس أنا لست من عشاق الحكم والسلطنة. وكنت أكتفي من حياتي باستنشاق الهواء النقي في قرية جنجال؛ وفي السكن الهادئ في القرية. فعندما لم أعطي طلعت باشا جوابًا فورياً كما طلب؛ كرر أكثر من مرة إتصاله بي؛ وفي المرة الأخيرة أبلغي بأنه قد أرسل إلي عربة بخيول لتأخذني إليهم في هذه الليلة. فعندما ذهبت إليهم؛ إذ بي أجد طلعت باشا وأنور باشا وشيخ الإسلام خير الدين أفندي بانتظاري. وبعد الترحاب والتباشر والتسالي قالوا لي متسائلين: "متى سنقوم بعمل حفل التتويج لك سلطان على البلاد؟!" فأجبتهم بأنه مازالت الحزان على اخي السلطان محمد رشاد مستمرة. وعلينا أن نقدر ذلك فلا نفعل حفل التتويج؛ ومازالت جثته لم تجب في قبره. وعلينا أن نحترم جميعًا ذلك. ولكن نظرًا لإصراركم فليكن حفل التتويج حفلاً دينيًا؛ ثم نتحدث في**

---

[40] جامع أيوب سلطان؛ هو في الأصل كلية معمارية تشتمل على جامع وحمام ومدرسة ومطبخ ومصاطب إطعام الفقراء "دار الإحسان" وتربة. وقد أنشأ هذه الكلية أو المجموعة المعمارية كما هو مشهور مصطلحها في العالم العربي السلطان محمد الفاتح بعد فتح استانبول في الفترة من عام 894هـ حتى نهاية عام 895هـ. أنشأ هذه الكلية على قبر الصحابي الجليل أبو أيوب الأنصاري " خالد بن زيد" -رضي الله عنه- باستانبول، والعوام الأتراك يطلقون على الكلية ككل جامع أيوب سلطان؛ مما يجعل الذهن يتبادر إليه بأن السلطان محمد الفاتح قام بانشاء الجامع على قبر الصحابي أبو أيوب الأنصاري؛ ولأجل تصحيح هذا الخطأ في الفهم؛ كان لابد من التوضيح في هذا التوثيق، المترجم.

[41] سان ريمو San Remo؛ مدينة بشمال عرب إيطاليا نفي إليها السلطان محمد وحيد الدين، المترجم.

كيفية ماهيته فيما بعد؟" ولم يستطع شيخ الإسلام خير الدين أفندي أن يعقب علي. وهكذا أستطعت أن أخرج من هذا التتويج من هذه الزاوية. ولم يعقب عليا الآخرون. غير أنهم قالوا حسنًا فليكن حفلاً بسيطًا. ولكن على هيئة التتويج أن تحضره وهم في المحطة الآن. غير انني لاحظت التردد والتجهم في وجوههم ناحيتي. وفي النهاية قاطع طلعت باشا شيخ الإسلام الذي كان يقول:" يا مولانا شرع الله يقول..." فقال طلعت: " لا يهم؛ هكذا يمكن لأن أمر الحق وقع". ثم قالوا لي: " أنت تعلم أن المشروطية العثمانية[42] تنص في ماتها القانونية على:"أن الذي يستحق العرش والسلطنة هو الأكبر سننًا؛ وبما أنكم لستم الأكبر سننًا في العائلة؛ فمنعًا للفتنة؛ علينا أن نسارع بالبيعة لكم". ثم قاموا ليمسكوا بيدي لكي يبايعوني. ولكني قولت لهم:" أنا لا أحبذ العجلة في هذا الأمر. لأن هذا الأمر مازالت أفكر فيه. ومازالت قلقًا من بعض الأمور. هل تستطيعوا أن تمهلوني للغد؛ لأتخذ قرارًا بشأن السلطنة".وفي هذه الليلة كنت سوف أتخذ القرار السليم بشأن ترشحي لتولي عرش السلطنة.[43] غير أنني نظرة في الحال الذي وصلنا له وفي وضع الدولة؛ فأشفقت على حالنا وعلى الدولة العثمانية.وكنت أريد أن أكمل مسيرة أخوتي في حكم الدولة؛ لهذا أخذت قرارًا قطعيًا بشأن قبول السلطنة. لقد كانت هذه الحيرة والأجوبة المعللة التي أعطيها للإتحاديين والتردد الذي بداخلي والتشتت الفكري الذي كان ينتابي وأنا أعود وحدي إلى منزلي؛ يصبني بالأرق. وفي هذه الليلة كنت مشغولاً بالعبادات؛ فتوضأت وصليت القيام والسحر ونمت متوضأ. وظللت أسبح ما أستطعت التسبيح حتى غطست في النوم. لقد كنت اتصارع مع نفسي بين القبول والرفض لهذا الأمر. وفي النهاية قولت لنفسي:" إذا لم أقبل بالسلطنة؛ وفررت منها؛ ورددت سؤال قبولها بالرفض؛ فإنما أفر من وظيفة إنقاذ الأمة في هذا الوقت العسير". وعلى الخصوص بأنني إذا نجحت فيما أنا مقبل عليه؛ فإن من سيخلفني سيستطيع أن يكمل على ما بدات بزيادة معقولة ومقبولة. لهذا كان عليا أن أقبل؛ على الرغم من أنه لم يكن لدي أمل في حركة الإصلاح في هذا الوقت العصيب. الذي كنت أعلم بأنني سأكون فيه كبش الفداء بدلاً من الوطن. ولكني قبلت السلطنة بعد مماطلة مني. وبعد الجنازة أتي إلى جواري طلعت باشا الصدر الأعظم واصدقائه ووقفت أمامه وأمامهم وقولت لهم هذه الكلمات:" إنني بحاجة الآن ليومان لأجل التعازي والمواساة. وانا بذلك لا أخالف الدستور؛ وهذا من حق أي شخص سيعتلي العرش العثماني أن يترحم ويقبل التعازي في السلطان السابق. فتغيير السلطان بآخر ليس أمرًا سهلاً؛ وهذا من الأمور اللطيفة التي يجب مراعاتها فورًا قبل إشغال هذا المقام الرفيع للدولة...". لكن بالرغم من ذلك فكرت في هذا الأمر من كل الزوايا طولاً وعرضًا ومليًا. وأعلم أنكم تسخرون مني. وتتعجبون بين أنفسكم. لكن تحمل مسؤولية

---

[42] المشروطية العثمانية؛ تعني الدستور العثماني، المترجم.

[43] يقصد هنا بأنه كان سيرفض عرش السلطنة العثمانية، المترجم.

الدولة والقيام بواجباتها في هذا الوقت العصيب؛ والقيام بأداء دور من سيحمل على أكتافه كامل المسؤولية من جميع الأوجه. كما تفعلون أنتم؛ وذلك لأجل خدمة الوطن عندي؛ التي لدي أمل فيها. وليساعدنا الله جل جلاله على ذلك. هو حسبنا ونعم الوكيل. ولنستلهم خطواتنا من روح النبي -صلى الله عليه وسلم- الذي نقتدي بخطاه من أجل الحفاظ على وحدة الأمة. والله ولي التوفيق". وبعدما قلت لهم هذا الكلام تقدم إلي الصدر الأعظم طلعت باشا وبايعني؛ وهو محبٌ لهذه البيعة. وقال لي:" هكذا اتفقنا على الحفاظ على ميراث الدولة". وهكذا تم الإحتفال بالبيعة. وبعد استبدال السلطان القديم بي وفي أثناء جلوسي خلف أحدى المقصورات المعدة خصيصًا للبيعة من قبل أعضاء مجلس الوزراء؛ وجدت أن بعض موكلي الدولة كانوا يبايعونني ثم يذهبون. وكنت اقول لنفسي:" فليقل من شاء؛ ما شاء!" لقد علمت من حواري مع طلعت باشا الصدر العظم بأنه من اشد محبي الوطن. لهذا كان اول قرار لي هو الإبقاء على الصدر الأعظم طلعت باشا في منصبه مع أعضاء حكومته. وفي ذاك الوقت لم يكن باستطاعتي فعل أي شيء غير ذلك. لأن تحقيق الإنتصار في ميادين الجهاد ضد العدو؛ يتطلب وحدة أركان قيادة الدولة لا تناحرها. وفي ذات مرة أستخدم أعضاء حزب الإتحاد والترقي معي مصطلح الرأي العام؛ كأنه قط اسود يستخدمونه معي؛ لتخويفي من اتخاذ أي قرار دون استشارتهم؛ لكني كنت لا أعبئ بذلك. لقد كانوا يستخدمون معي تعبيرات ذات صلة أو غير ذات صلة بالموضوعات التي كنت أناقشها معهم؛ بدعوى أنهم يخافون علي أن اتحول إلى ديكتاتور بالصدفة... وبشأن بعض الأمور التي كان طلعت باشا الصدر الأعظم متوقفًا فيها؛ منتظرًا إعلاني سلطانًا؛ فقد أوجدت حلاً لهذه الأمور معه في جلسة واحدة. حتى أنه قال لي: " أنا ارغب بالتحدث قليلاً. اليوم أنا لا أقتنع بأي سياسي؛ ولا أي سياسي على الساحة يمكنه اقناعي بنفسه. ولم يكن قلقي في عهد أخيكم الأكبر السلطان محمد رشاد؛ إلا كوني كنت أريده أن يكون هو المنتصر؛ ولم تكن لي رغبة غير ذلك. كنت أتمنى ان تتحد الأمة في مواجهة الأعداء خلف حزبًا واحدًا. وبالطبع كنت سأكون أنا رئيس هذا الحزب. ولكن المشكلة كانت ستكون في اختيار ماهية أعضاء هيئة هذا الحزب التي يرجع الإختيار فيها إليكم. وأنا أقول لكم يا جلالة السلطان محمد وحيد الدين: لا يوجد في قلبي أو عقلي أو فكري سوى شيئًا واحدًا؛ ألا وهو تقوية سلطانكم في البلاد. وليس لي عمل آخر غير هذا. من طرفي يا جناب السلطان محمد وحيد الدين كن مستريح البال وداوم وظيفتك في أمان. وكل ما أتمناه أن يساعدك الحق سبحانه وتعالى في المهام التي أُكلت إليكم. وأنا صادق للدستور ولحكم الشورى". لقد كان حديث طلعت باشا معي وما ذكرته عن لسانه الآن سببًا في أن يتصالح مع نفسه وتجاهي. ولقد كان متأثرًا أثناء عرض ما في قلبه أمامي".

وبتاريخ 4 يوليو 1918م جلس السلطان محمد وحيد الدين رسميًا على عرش السلطنة العثماني. في مراسم تتويج غريبة الأطوار قد عاشها السلطان محمد وحيد الدين في قصره بطبوقابي سراي. وفي أثناء تتويج السلطان محمد وحيد الدين حضر مراسم التتويج رؤساء الدواوين السلطانية Başmabeyinciler. وكانوا يحملون عرش السلطان وهو جالس عليه من أطنافه. ثم قبلوا أطراف العرش بعد وضعه على الأرض؛ وكانوا يدعون للسلطان الجديد وللدولة بالنصر على أعدائها؛ كأن دعائهم سيلاً جارفًا. لقد كان السلطان الراحل محمد رشاد قريبًا من توفيق بك رئيس الديوان السلطاني Başmabeyinci Tevfik Bey. الذي كان معاديًا للإتحاديين ومؤيدًا لسلطة السلطان العثماني محمد رشاد؛ غير أن السلطان الجديد محمد وحيد الدين كان معلومًا عنه قربه من الإتحاديين؛ مما أزعج رئيس الديوان السلطاني توفيق باشا؛ مما دفع ليفاتح السلطان محمد وحيد الدين في هذا الأمر بكل صراحة.

وفي أثناء تتويج السلطان محمد وحيد الدين قبل رئيس الديوان السلطاني توفيق باشا طنف حامل العرش وأمسك بيد السلطان الجديد للبيعة بشدة؛ مما دفع السلطان لأن يأمر بابعاده. ثم أمر رئيس الديوان السلطاني الثاني نزهت بك بأن يمسك هو طنف العرش بدلاً من توفيق بك. وفي هذه الحادثة يذكر السلطان محمد وحيد الدين: **"...ذهب توفيق بك إلى زاوية طنف العرش؛ وجلس جلسة القرفساء. ثم أمسك جلدي بشدة وآلمني. ثم ركل العرش حتى كاد أن ينهار العرش إلى الأرض. وكنت طوال ساعات المراسم وأنا ممسكًا العرش بكلتا يدي؛ لكي لا ينهار".**

وعندما دخل السلطان محمد وحيد الدين إلى مجلس المبعوثان؛ لإتمام الإجراءات الرسمية لبيعته سلطانًا وخليفة؛ قال في خطبته أمام المجلس: **" أشهد الله الحق سبحانه بأنني سأكون مراعيًا لأحكام الشرع الشريف؛ وأن أراعي أحكام القانون الأساسي والوطن. وبأنني سأكون في خدمة الأمة والله على ما أقول شهيد".** ثم قام رئيس مجلس النواب بعد كلام السلطان محمد وحيد الدين أفندي ودعى للسلطان الجديد؛ وتمنى مع الحضور من أعضاء مجلس المبعوثان التوفيق للسلطان الجديد. ثم نادي رئيس مجلس النواب على الصدر الأعظم طلعت باشا ليكمل باقي مراسم التتويج والبيعة للسلطان الجديد محمد وحيد الدين. فنظر طلعت باشا إلى أعضاء مجلس المبعوثان وقال: **" نقسم جميعًأ بالله الحق أن نكون خير أعوانٍ للسلطان محمد وحيد الدين. ونقبل بيعته على أن نتشارك في الحكم".** ويقول السلطان محمد وحيد الدين عن باقي إجراءات البيعة: **"...وبعد أن انهى طلعت باشا الصدر الأعظم كلامه؛ كان اول المبايعين لي صهري فريد باشا. ثم أتى بعده رئيس مجلس المبعوثان أحمد رضا بك وبايعني. غير أن أعضاء مجلس المبعوثان من أعضاء جماعة تركيا الفتاة " جون ترك-Jöntürk" هتفوا لي ببيعة أخرى حيث قالوا:" نبايع الأمير**

محمد وحيد الدين ولي العهد على السلطنة؛ من أجل الحفاظ على البلاد وقيم القانون والعدالة الثورية التي بدأ عصرها. لذا فنحن لن نلقب السلطان محمد وحيد الدين بلقب الغازي؛ بل سنلقبه بلقب العادل. ولا يجب أن يحمل السلطان محمد وحيد الدين السيف[44] أثناء البيعة على عادة السلاطين العثمانيين. ولكن بعد البيعة الرئيسية يجوز له حمل السيف لكن في البيعة الرئيسية لا يجب أن يحمله. أي أنك يا جناب السلطان في إجراءات 31 اغسطس تستطيع حمل السيف" إن جماعة جون ترك " تركيا الفتاة" لا يرون أن كثير من القوانيين الوضعية تتعارض مع أحكام الشرع الشريف. ويرون أن الدين يسمح بتطبيق القوانيين الوضعية. وبعد بيعة جماعة تركية الفتاة لي أتى طلعت باشا الصدر العظم إلى وقال لي:" أيها السلطان محمد وحيد الدين؛ عليك أن تذهب من مجلس المبعوثان الآن؛ لأن هناك طائرات حربية من طائرات دول الحلفاء قد أخترقت أجواء سماؤنا من طرف البوغاز". ولكني قلت له:" إن هؤلاء أصحاب الإلتزام بالدين لا يخافون؛ ولا يمكن لذلك أن تتم المراسم الدينية لتتويجي كخليفة دون التعرض لمثل هذا الهجوم"[45]. ومن ناحية أخرى كنت اريد أن اعلق على أعتراض جماعة تركيا الفتاة على حملي للسيف. لقد كان السيف هو رمز حاكمية السلاطين العثمانيين؛ ورمز قوتهم في السيطرة على الدولة. وهذه العادة من ميراث أجدادنا؛ إلا انهم رفضوها. وقالوا لي:" على السلطان محمد وحيد الدين أن يكون مثل الشيخ الصوفي مولانا جلبي[46] Çelebi القنيوي في العادلة. فقط في هذه اللحظة لن تنام العدالة ابدًا؛ ولكن السيف لا يهم". وأتذكر أنه أثناء خلع أخي السلطان عبدالحميد الثاني كان من ضمن من خلعوه هو الشيخ جلبي الذي يتفاخر به

---

[44] السيف؛ من شارات الخلافة في العصر الأموي شريط الطراز أي القماش الذي يصدر من دار صناعة المنسوجات للدولة ويحمل عليه اسم الخليفة؛ والسكة التي يتداولها الناس ويسك عليها اسمه ليعرفوا من خليفتهم؛ ثم الخطبة أي خطبة الجمعة التي يتم الدعاء فيها للخليفة باسمه؛ ثم يلي ذلك السيف أي سيف الرسول -صلى الله عليه سلم-؛ وهو رمز قوة الخليفة وسلطانه السياسي وسيطرته على الدولة؛ في العصر العباسي جعلوا للخلافة علامات وشارات فجعلوا شارات الخلافة هي الخطبة والسكة وشريط الطراز على المنسوجات؛ وجعلوا علامات الخلافة هي بردة وخاتم الرسول-صلى الله عليه وسلم- والقضيب أي سيف الرسول-صلى الله عليه وسلم-. فلما تولى العثمانيون الخلافة خطلوا بين الإثنين فعجلوا علامات وشارات الخلافة شيء واحد؛ وجعلوها تقتصر على الخطبة للخليفة العثماني والسكة وشريط الطراز والسيف. غير أن العثمانيين جعلوا السيف سيف أمير المؤمنين ذو النورين عثمان بن عفان -رضي الله عنه- بدلاً من الإمساك بسيف الرسول-صلى الله عليه وسلم-؛ لأن العثمانيون كانوا ينظرون إلى أن سيف الرسول-صلى الله عليه وسلم- لا يمسكه أحد بعده؛ إذ لا أحد مهما بلغ سيصل إلى درجة الرسول-صلى الله عليه وسلم-؛و تعظيمًا لقدر الرسول-صلى الله عليه وسلم- عندهم؛ وأما سبب اختيارهم سيف أمير المؤمنين عثمان بن عفان -رضي الله عنه- لأنه قتل مظلوماً؛ ولأن اسم جدهم مؤسس الدولة العثمانية على اسمه عثمان ترك؛ كما أن هذا السيف إشارة من العثمانيين مبطنة للرافضة الصفويين أن العثمانيين على درب خلفاء بني أمية في قمع التشيع والرفض؛ حيث أن عثمان بن عفان الخليفة الراشد الثالث من بني أمية وإن لم يكن من سلسلة الخلفاء الأمويين؛ لأنه تولى الحكم بالشورى. والسيف في العصور الإسلامية الثلاث الأموية والعباسية والعثمانية رمز قوة الخليفة أو السلطان؛ ودلالة على أن السلطان السياسي الفعلي في يده؛ لا في يد أي أحد غيره، وقد أمسك السلاطين العثمانيين في أحتفالات التتويج فيما بعد عدة سيوف مختلفة لسلاطين أوائل منهم مثل سيفي سليم الأول وسليمان القانوني أو سيوف صنعت لهم خصيصًا لأجل التتويج على الخلافة والسلطنة، المترجم.

[45] يقصد السلطان محمد وحيد الدين أنه إن ذهب من مجلس المبعوثان دون إتمام تتويجه كخليفة وإكتفائه بالسلطنة يجعل البيعة ناقصة؛ وصاحب الدين الملتزم به لا يخاف من الموت، المترجم.

[46] الشيخ جلبي القنيوي؛ نسبة إلى مدينة قونية مركز جلال الدين الرومي العارف الصوفي الباطني الذي خلط بين الإسلام والتشيع الرافضي وأقوال الديانة الزرادشتية؛ ولقد تم تأسيس منصب للمولوية يوازي منصب شيخ الإسلام عرف باسم جلبيليك Çelebilik مركزه في وقونية وإن من أوائل مؤسسي هذا المنصب الشيخ أبو بكر جلبي سنة 1050هـ/1640م؛ لهذا حمل كل من أتى بعده لقب جلبي. ولقد أشتركت جماعة جلبي المولوية في السياسة ومنهم عبدالحليم جلبي؛ الذي شارك جماعة جون ترك في خلع السلطان عبدالحميد الثاني سنة 1909م؛ وهو الذي يقصده الأمير محمد وحيد الدين في مذكراته. وعبد الحليم جلبي أحد رؤوس الباطنية الصوفية في تركيا. ومازال لهم نشاط واسع في تركيا حتى اليوم، https://islamansiklopedisi.org.tr/celebi-efendi؛ Çelebi, Celâlettin, "Abdülhalim Çelebi", TDV İslam Ansiklopedisi, C:1, 212؛ المترجم.

أصحاب جماعة تركيا الفتاة Jöntürk. فعندما نَزَعَ سيف الخلافة من يدي أخي الأكبر السلطان عبد الحميد الثاني؛ رد عليه السلطان عبد الحميد الثاني قائلاً:" لست أنت اللائق لحمل مثل هذا السيف". وفي أثناء بيعتي ومجادلة جماعة تركيا الفتاة معي حول حمل السيف وأهمية ذلك من عدمه؛ أتى تلغراف من الشيخ السنوسي في ليبيا وقال لي في هذا التلغراف:" إن في يدي سيفًا مرصعًا أريد أن ارسله للسلطان" بيد أن جماعة تركيا الفتاة عندما علموا بفحوى التلغراف؛ ظهرت على وجوههم ملامح الإمتعاض والإعتراض. وقالوا:" نحن نحكم أمم متعددة؛ لذا لا يجب أن يكون هناك نشيد واحد قومي يمثل الدولة العثمانية؛ لذا على النشيد السلطاني أن يتغير؛ على أن يكون لكل أمة نشيدها الخاص". لقد أرادا الوالد الكبر السلطان محمد[47] أن يأتي بملحن من إيطاليا اسمه غويت سابا دونزتي Guisseppe Donizetti ليلحن لحنًا جديدًا؛ لم يقرأ من قبل على مسامع الناس غير أن هذا لم يحدث".

12.2. الإبتسامات الخادعة والمؤامرات داخل القصر السلطاني

لقد دونت ابنة السلطان محمد وحيد الدين صبيحة سلطان عدة ذكريات حول جلوس والدها على العرش العثماني. وكيف كانت حياته بين قرية جنجال وقصر دولما بهتشه Dolmabahçe Saray حيث ذكرت في مذكراتها التالي: **" عندما مرض السلطان محمد رشاد أراد أن يفر من القصر السلطاني إلى قرية جنجال بحجة الإستشفاء؛ ليكون معنا. غير أنه لم يستطع ذلك. هذا ما قاله لي والدي السلطان محمد وحيد الدين؛ بعد زيارته للسلطان رشاد. إذ كان والدي السلطان يعاوده في أثناء مرضه في الصباح والظهيرة والمساء. وكان والدي يقول لي:" السلطان رشاد حزين جدًا". وفي اليوم التالي عاوده والدي السلطان محمد وحيد الدين مع عدد من الأطباء. بيد أنهم قد أخبروا والدي أن حالة السلطان محمد رشاد ميؤوس منها. وأن حالته النفسية؛ قد أثرت على حالته الصحية. وأنه اصبح لا يريد الحياة". بعد هذه المعاينة الطبية بيومان قد عاوده والدي وحيد الدين فوجده يقول له:" إنني حزين على ما حدث للدولة العثمانية. وإنني مشفق من كل قلبي على ما وقع لأمتنا. ولكني لا أستطيع فعل شئ. غير أنه لم يتبق لي أخ مخلص غيرك يا وحيد الدين". وأتذكر أن والدي قال لي عندما توفى السلطان محمد رشاد:" إن آخر من تبقى من أخوتي قد توفى. واصبحتُ عاجزًا عن التفكير. فلا يوجد حولي مستشاريين ومعاونيين مخلصين". وفي أثناء حديث والدي معي أتى أنور باشا؛ وقد أقبلت معه الإشاعات. وقال لي:" أنا فقط أريد أن أشرح الوضع بالتفصيل لوالدك الأمير محمد وحيد الدين. أولستِ ابنة ولي العهد يا ابنتي؟!" لأجل هذا ذهبت معه إلى والدي وكنت إلى جواره أثناء حديث أنور باشا. فقد اقبل علينا أنور باشا ويكأنه رجل**

[47] السلطان محمد المقصود هنا السلطان محمد الثالث بن مراد الثالث بن سليم الثاني، المترجم.

في الستين من عمره. ساكنٌ في نفسه. وصاحب فكر عميق. هكذا رأيته. وعندما رأني نظر إلى وجهي وسألني عن كوني ابنة ولي العهد أم لا! فعقبت عليه قائلة:" أشعر كانك كنت في مهام صحية؛ وقد اتيت لتأخذ ما تحتاج إليه. أوليس كذلك؟!" وفي هذه الأثناء قد أتاه اتصال من اخته حيث أنها ذكرت له:" بأنه يوجد في القصر الصغير حركة غريبة". وبعد مرور فترة بسيطة وجدنا أنور باشا قد ذهب؛ كما قد أتى. بيد أن والدي قد فهم من زيارة أنور باشا بأنه قد أتي لكي يكلمه بشأن ميراث السلطان محمد رشاد؛ وما يجب على الأمير محمد وحيد الدين أن يفعل! وفي اليوم التالي من زيارة أنور باشا جلس والدي على عرش السلطنة العثمانية بقصر طوبقابي " قصر باب المدفعية" Topkapı Saray؛ وذلك بعد الإنتهاء من الإجراءات المتعلقة بجنازة السلطان رشاد؛ الملقب بمحمد الخامس. لقد كان والدي متأثرًا جداً لأنه لم يعد يستطيع أن يرى قرية جنجال أو ان يعيش فيها من جديد. لقد ترك والدي خلفه هدوء الحياة وسكون العائلة. وأصبح مسئولاً في مهام صعبة وفي وقت حرج. وهو لا يعرف اي الطرق سيتبعها للخروج بالدولة العلية من هذه الأزمة. لقد تأثرنا كثيرًا عند تركنا حياتنا في قرية جنجال؛ ثم حاولنا أن نعود إلى سابق حياتنا. لقد عادت أمي إلى قصر دولما بهتشه. وبينما كانت أمي تعد كل ما نحتاج إليه للإنتقال إلى القصر السلطاني؛ ذهب إليها قائد التشريفات الياوري آصف بك Yaveri Asaf Bey لكي يلبي ما تحتاج إليه؛ بينما نرى الياوري الآخر خلوصي بك Hulusî Bey يأتي بالخيول يتعقب نزول الأثاث الخاص بنا إلى قصر دولما بهتشه. لقد كنا جميعًا نتخيل كيف كانت حياتنا سعيدة في قرية جنجال. وكيف كانت حياتنا بالنسبة للقرية كافية لنا؟! غير أن كل شيءٍ قلب رأسًا على عقب. وفي أثناء دخولنا قصر دولما بهتشه؛ تقابلنا مع بعض خدم السلطان القديم رشاد وحريمه. وهم يجمعون أمتعتهم. لقد كانت زوجة السلطان رشاد من نفس بلدة أمي. ولقد تاثرت أمي عندما رأتها ورأت حريم السلطان رشاد يرحلون خارج القصر. وقالت أمي لزوجة السلطان رشاد:" لقد كان الحرملك زمن السلطان عبد العزيز خان يسع الجميع؛ لكن مع الأسف بعد ضياع الأمان؛ ماذا كان بأيدينا أن نفعل يا سيدتي؟!" لقد كان حريم السلطان رشاد يبكون في يوم جلوس والدي محمد وحيد الدين على العرش. ثم دعت زوجة السلطان رشاد لوالدي السلطان محمد وحيد الدين بالنصر وبالعيش الرغيد وبالعمر المديد وبالبركة. وقالت لأمي:"لقد جمعنا ما نحتاج إليه وسوف نرحل". ولكني أقول:" إنني لم اسمع مثل هذا الدعاء بإخلاص لوالدي بعد هذه اللحظة".

لقد كان السلطان محمد وحيد الدين يعاني من مرض الروماتيزم. وكان يشتد عليه بين الحين والآخر. إن السلطان محمد وحيد الدين ليس شابًا. ولكنه ليس في نفس الوقت جلس على العرش في وقت حكم الأشرار. وقد أتى بعض الأصدقاء من قرية جنجال لزيارة السلطان محمد وحيد الدين وتهنئته بالجلوس على العرش.

وقالوا له:" **لقد نسيتنا يا سيدنا من بعد أن كنا نجتمع معًا في القصر الصغير".** فرد عليهم السلطان محمد وحيد الدين قائلاً:" **لا تهنؤوني. فأنا لم أهنأ على شيء! أيجوز التهنئة في المصائب يا ترى؟!"** ويقول السلطان محمد وحيد الدين في بعض رسائله: " **إن اليوم المشؤوم الذي خرجت فيه من استانبول بتاريخ 17 مايو 1922م في صباحٍ لم يعقبه صباحًا آخر لي في استانبول. ولم ولن أنسى هذا الصباح أبدًا. لقد خرجت من قصر يلدز Yıldız Sarayı[48] وفي يدي الصولجان الأبنوس؛ والذي سيترك فيما بعد. إن العرش العثماني قد حكمه عمي السلطان عبد العزيز خان ثم أخي الأكبر مراد الخامس ثم تلاه أخي عبد الحميد الثاني ثم تلاهما أخي السلطان محمد رشاد؛ وأخيرًا أنا اخوهم الأصغر محمد وحيد الدين أتولاه ولم يتبق لي من أخوتي أي أحد؛ فهناك من جن فخلعوه كمراد الخامس؛ وهناك من ثاروا عليه وخلعوه مثل عبد الحميد الثاني؛ وهناك من سلبوا منه السلطان السياسي وجعلوه واجهة لهم؛ وهم يتحكمون من خلفه كالسلطان محمد رشاد. وبعد فقدان أخوتي؛ حتى العرش العثماني فقد مني".**

13.2. هل هناك إنقلاب جديد؟!

والسؤال الذي يطرح نفسه هل قبل الإتحاديون بسهولة حكم محمد وحيد الدين؟! إن من أوائل الإتحاديين الذين بايعوا السلطان محمد وحيد الدين رئيس الوزراء الصدر الأعظم طلعت باشا. غير أن البعض من الإتحاديين كانوا يتأخرون في البيعة على السلطنة للأمير محمد وحيد الدين؛ فمازالوا لا يتستطعون أن يكونوا صورة ذهنية متكاملة لديهم عنه؛ وعن ماذا سيفعل معهم؟! غير أن الإتحاديون كانوا يشعرون فقدان شعبيتهم بين الناس. وبخاصة بعد هزائمهم المتكررة على جبهات القتال. حتى أنهم كانوا يتحدثون فيما بينهم أمام السلطان محمد وحيد الدين بغضب. وذلك بعدما قال لهم السلطان محمد وحيد الدين:"**إن ما حدث للعرش العثماني وللدولة العثمانية من مصائب كان بسببكم".** لذا خرجوا من عند السلطان محمد وحيد الدين وهم يشيعون بين الناس ورجالات الدولة أن هناك ولي للعهد آخر أحق بالسلطنة من الأمير محمد وحيد الدين. ولهذا السبب أجبر الإتحاديون منذ عدة سنوات السلطان الراحل محمد رشاد أن يكتب ولاية العهد للأمير يوسف عز الدين أفندي الذي قيل عنه أنه انتحر. والذي كتب هذه الوصية خالد رضا بك بأن ولاية العهد ستكون أولاً للأمير يوسف عز الدين أفندي ثم من بعده للأمير محمد وحيد الدين أفندي أخو السلطان رشاد. بيد أن الإتحاديون كان لديهم ميل لابن السلطان مراد الخامس صلاح الدين أفندي. غير أنه لم يكتبه السلطان محمد رشاد في ولاية العهد قبل الأمير محمد وحيد الدين أفندي؛ لهذا أسقط الأمر من ايديهم. وفي ذلك يقول السلطان محمد رشاد في مذكراته بالمنفى: " **لقد أدى تشكك الإتحاديون في إلى**

[48] قصر يلدز Yıldız Sarayı؛ جملة تركية تعني قصر النجمة، المترجم.

محاولتهم عمل إنقلاب علي؛ لهذا اتفقوا مع بعض الخونة وجهزوا بعض العساكر لكي يعزلوني من العرش. ويولون ابن أخي الأمير صلاح الدين أفندي في هذا الوقت العصيب الذي تمر به الدولة؛ واستانبول محاصرة من قبل قوات الحلفاء. وهم مهزومون على كل الجبهات. والحرب لم تنته بعد. وهم لا هم لهم ولا يفكرون إلا في الإنقلاب لكي يأتوا بسلطان ألعوبة في أيديهم. لقد شعروا بأنني قد بدأت استغل سخط الناس عليهم؛ لأسحب منهم السلطان السياسي. غير أنني لم أبدأ بعد في هذا. لكنهم شعروا بهذا من كلامي أثناء البيعة على السلطنة؛ لهذا توقف بعضهم عن بيعتي".

غير أن بيعة الصدر الأعظم طلعت باشا العلنية والمكتوبة والتي سجل فيها اسمه مع أسماء المبايعيين لمحمد وحيد الدين على السلطنة قد كسرت جبهة الإتحاديين. إذ أن اكبر رأس من رؤوسهم قد بايع عدوهم على العرش والسلطنة من كل قلبه. مما دفعهم ألا يعتمدوا على طلعت باشا في محاولتهم الإطاحة بالسلطان الجديد محمد وحيد الدين.

14.2. التواصل الخفي في كل مكان

إن الأراشيف في هذه الأيام مختلفة ومتعددة. ولكي يتم التحقق من موضوع ما؛ فلابد من جمع كل المعلومات المختلفة من كل الأرشيفات التي تصل إليها أيدينا من داخل وخارج الوطن. لأن هذا يساعد في بناء تصور متكامل عن الأحداث. ومن ذلك العرض الذي عرضه الإنجليز على أنور باشا من قبل رئيس الوزراء الإنجليزي لويد جورج Lloyd George:" **بأن يصبح أنور باشا هو الصدر العظم بدلاً من ان يكون وزيرًا للحربية. وأن يؤسس وزارة الدنيا العامة في استانبول على أن يشاركه في إدارتها رجل الأعمال فيكنت كيلارد Vicent Caillard المدير العام لشركة فيكنت لتجارة المال والسلاح. على أنه سيكون في هذه الوزارة منصب المدير العام الخاص فيكنت Vicent. وبالمقابل سيمد فيكنت أنور باشا بما يحتاج إليه من أموال لأجل أعمال الوزارات المختلفة التي تتبع هذه الوزارة".** وفيكنت كيلارد Vicent Caillard هذا كان من كبار تجار السلاح الإنجليز الذين كانوا يتعاملون مع أنور باشا قبل الحرب العالمية الأولى. وذلك عبر الوسيط التاجر بسيل زهاروف [49] Basil Zaharoff. حتى أن زهاروف كتب عدة تقارير

[49] بسيل زهاروف Basil Zaharoff؛ من كبار تجار المال والسلاح في العصر العثماني الأخير. ولد في مدينة موغلا Muğla التركية في عام 1849م. وقد هاجرت عائلته من اليونان إلى الأناضول قبل أن يولد. وهو له إرتباطات تجارية كبيرة في تجارة السلاح وفي تسويق الربا العالمي بين البلاد بخاصة بين روسيا وأمريكا وفرنسا وإنجلترا والدولة العثمانية. كما أنه هو من أمد العصيان النصراني المسلح في اليونان بالسلاح المتنوع ضد الوجود الإسلامي العثماني باليونان. وهو من دعم عصابات الأرمن بالمال وأمدها بالسلاح لتقوم بأعمال إرهابية داخل الدولة العثمانية. حسب موقع ويكيبيديا الصفحة التركية؛ فإنه مقيد في الأرشيف العثماني باسم Vasil Zaharyas وسيل زهارياس؛ ولكن اسم بسيل زهاروف Basil Zaharoff هو الاسم الذي أشتهر به في معاملاته وأعماله المالية والتجارية لبيع السلاح بين الإنجليز والفرنسيين والدولة العثمانية. ومن الصعب تحديد نسبه لأي جماعة عرقية. ولكنه من الثابت

إلى الحكومة الإنجليزية في لندن خلال العامين 1917م و1918م يخبرهم بأنه قابل أنور باشا عدة مرات. لهذا أرسل رئيس الوزراء الإنجليزي لويد جورج Lloyd Goerge عبر زهاروف إلى أنور باشا يعرض **عليه قبل أي اتفاق للسلام لابد من الأتي:**

1- إنهاء القتال بين قوات الحلفاء والعساكر العثمانية على الجبهات.

2- أن يلقي العساكر العثمانية السلاح ويسلموه للحلفاء.

3- أن يوافق أنور باشا على اعطاء الاستقلال لشبه الجزيرة العربية وسوريا وأرمينيا ومنطقة جنوب شرق الأناضول " ماردين وديار بكر وأورفا".

4- على الدولة العثمانية التنازل عن فلسطين ومصر لصالح الحماية الإنجليزية.

5- أن يتم فتح بوغاز جناق قلعة Çanakkale أمام سفن الحلفاء؛ على أن يتم تفكيك كافة التحصينات العسكرية هناك.

6- وقبل كل الشروط السابقة على الدولة العثمانية أن تعلن الإستسلام وتعترف بالهزيمة.

7- على أن الحكومة الإنجليزية ستكون كريمة مع أنور باشا إذا قبل هذا العرض ولم يرفضه؛ بأنها سوف تعطيه مبلغًا ماليًا كبيرًا بسخاء".

بيد أن أنور باشا رفض هذه العرض الإنجليزي؛ لهذا ذهب الإنجليزي إلى الرجل الثاني في حزب الإتحاد والترقي صاحب القوة العسكرية. والذي يعشق أن يكون غنيًا دائمًا جمال باشا؛ للاتفاق معه من خلف أنور باشا. وفي العاصمة الجنوبية للدولة العثمانية دمشق أتفق الإنجليز بعد تعرفهم على جمال باشا على التالي:

1- أن يعلن الجيش السلطاني في سوريا العصيان على أنور باشا؛ وأن يعتقل هذا الجيش الخبراء الألمان به.

2- أن يخرج هذا الجيش من سوريا وأن يتوجه إلى استانبول للثورة على أنور باشا هناك.

أنه كان مواطنًا عثمانيًا غير مسلم. وهو ليس تركيًا. عائلته هاجرت من اليونان إلى موغلا ثم ذهبت إلى قرى الروم النصرانية وسكنت بها. هناك من ينسب أصله للأرمن وهناك من يرجع أصله للروم وهناك من ينسبه لليونانيين. والله أعلم بحقيقة نسبه. بيد أنه دعم كافة الحركات المسلحة اليونانية والأرمينية ضد الدولة العثمانية بالمال والسلاح. وفي عام 1918م هاجر إلى فرنسا. وهناك حصل على الجنسية الفرنسية عقب وصوله. وقام هناك بنشاطه التجاري في بيع السلاح ومعاملاته المالية الربوية. وفي عام 1936م أثناء ذهابه لحضور المعرض الدولي لتجارة السلاح في مدينة مونت كارلو Monte Carlo وافته المنية بالطريق. وكانت السجلات العثمانية للمواليد تنظر إلى بسيل زهاروف وعائلته على أنهم روم، https://tr.wikipedia.org/wiki/Basil_Zaharoff؛ Çağla Derya Tağmat, "Dünya Silah Sanayisini Şekillerinden Bir Osmanlı Rumu Basil Zaharoff", İstanbul Üni 2018, Avrasya incelemeleri Dergisi, C:VII, S.2, 218, 220-228.

3- على الجيش السلطاني أن ينسق مع الجماعات المسلحة الأرمينية في الأناضول.

وهكذا تكون الفرصة قد ضاعت على حكومة استانبول لتدارك الوضع على الجبهة الشامية؛ وبذلك سوف تخرج الحرب من قلب الأناضول. لقد قام الروس بعمل اتفاق مشابه مع جمال باشا في السر عام 1915م؛ بشروط مخالفة قليلاً لشروط الإنجليز. وكانت شروط الروس مع جمال باشا كالتالي:

1- أن يكون جمال باشا سلطانًا بدلاً من السلطان العثماني. وأن تلغى السلطنة العثمانية؛ ويعلن قيام عهد جديد في الأناضول تحت سلطان عائلة جمال باشا.

2- على الدولة الجديدة في الأناضول أن تكفل للأرمن وللكرد أن يختاروا ما يشاؤون من أراضي سوريا وفلسطين والعراق وشبه الجزيرة العربية وكليكيا[50] Kilikya Eyaleti؛ ليقيموا عليها دولة مشتركة بين الأرمن والأكراد. على أن تتكفل دولة جمال باشا الجديدة بالأناضول بالمحافظة على استقلال دولة الأرمن والكرد الجديدة.

3- على جمال باشا أن يعلن إعتقال المستشارين الألمان بالجيش العثماني. وأن يعلن خلع السلطان العثماني في استانبول؛ وأن يتعهد على ذلك بخط يده.

4- إذا وافق جمال باشا على ذلك فإنه سيجهز من قبلنا بكافة المدفعية والأسحلة والذخيرة والجنود والمهمات الإستخباراتية؛ وكذلك سنمد جنود جيشه بالأرزاق.[51]

5- يتعهد المتفقون على هذه الإتفاقية على دعم جمال باشا؛ حتى يستطيع أن ينجز مهمته.

---

[50] كليكيا؛ وتطتب ونطق أحيًانًا قليقية هي مملكة أرمينية أقامها الأرمن من منطقة أضنة حتى منطقة كرمان وكانت عاصمتها مدينة سيس والتي تعرف اليوم في تركيا باسم منطقة Kozan أي كوزان أضنة وهي قريبة من الحدود السورية الحالية. وعاصمتها الثانية كانت مدينة Ermenek وهذا الاسم أرمناك اسم أرميني أطلقه الأرمن في الأصل على مدينة المهدية المحمدية التي أنشأها ابن الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور العباسي الأمير ثم الخلفية أبو محمد المهدي في منطقة مدن الثغور بالأناضول وتسميت باسمه. ولقد استمر هذا الاسم حتى طوال العصر العثماني. وفي متحف مدينة بردو Burdu şehri يوجد مجموعة من السكة السلجوقية الأناضولية من عهد السلطان كيخسرو بن كيقباد الثاني مسكوكً عليها الاسم الأصلي لمدينة أرمناك؛ المهدية المحمدية. غير أنه في بداية عهد الجمهورية تم المحافظة على الاسم الأرميني Ermenek للمدينة دون الاسم الأصلي. وهذه المملكة الصليبية الأرمينية كليكيا قد شاركت في عدة حروب مع صليبي الشام والمغول ضد المسلمين في الأناضول وسوريا؛ ولقد حاربهم السلاطين المماليك البحرية بدا من الظاهر بيبرس البندقداري مرورًا بالمنصور قلاوون وبنيه وأحفاده ونحن من أبناء المنصور قلاوون الأشرف خليل بن قلاوون الذي فتح عاصمتهم سيس؛ مما اضطرهم لتغييرها لأرمناك؛ ثم الناصر محمد بن قلاوون الذي شرط عليهم في شروط الجزية إعادة المسلمين المهجرين من العرب والتركمان إلى ديارهم وعدم هجرة الأرمن إلى مملكة كليكيا. ثم أتى عهد الأشرف شعبان بن الناصر محمد بن قلاوون وحفيد المنصور قلاوون والذي فتح مملكة كليكيا الأرمينية وجعلها أرضًا إسلامية خالصة؛ ثم أقام الأرتراك من احفاد دولة سلاجقة الروم مكانها ممكلة كرمان في عصر البكوات بعد إنهيار دولة سلاجقة الروم الأناضولية. وسبب هجرة الأرمن من جنوب القفقاس وشرق الأناضول إلى منطقتي أضنه وكرمان شمال غرب سوريا هو الهجوم المتكرر من قبل البيزنطيين على مملكتهم من جهة الغرب وهجوم ممكة الكرج النصرانية عليهم من الشرق؛ مما قود دولتهم التي أقاموها على الأراضي الإسلامية التي احتلوها في الجزيرة الفراتية بسبب ضعف الخلافة العباسية، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، تحقيق محمد حسين شمس الدين، نشر دار الكتب العلمية، ج 13، بيروت، 1992، ص.200، 202؛
https://dergipark.org.tr/tr/pub/sisad/issue/56008/716059؛ المترجم.

[51] الأرزاق؛ يقصد بها خطوط إمدادات الجنود بالطعام والماء أثناء الحرب؛ المترجم.

6- **على أن يترك جمال باشا المضائق البحرية في استانبول خالية من أي تحصينات عسكرية؛ ويوقع على القبول بذلك بخط يده.**
7- **على جمال باشا ان يتعهد على جمع الأرمن من الأناضول؛ ونقلهم إلى الأماكن التي يريدون السكن فيها. وأن يتعهد بحمايتهم حتى نهاية الحرب العامة؛ وأن يتخذ التدابير اللازمة لذلك.**

لقد كانت هذه الإتفاقية موقعة من قبل الإنجليز والروس والفرنسيين؛ غير أن الإنجليز كانوا غير راضين عن وجود الروس في هذا الإتفاق؛ لهذا توجه الإنجليز إلى العرب ليقموا بعمل مزاد ومزايدة أخرى ببلاد العرب. لذلك اتفق الإنجليز مع جمال باشا على:

1- **ضرورة فصل شبه الجزيرة العربية عن الدولة العثمانية؛ والإعتراف بذلك من قبل جمال باشا.**
2- **على جمال باشا بعد تنفيذ هذا الإتفاق ان يقطع جميع العلاقات مع العرب.**

لهذا قطع التواصل بين الترك والعرب بسبب الإنجليز أثناء الحرب العامة. ففي الخطة الإنجليزية أن جزءًا من أراضي الدولة العثمانية سيذهب للأرمن وجزء إلى فرنسا. وكانت النتيجة أن أشتغل الأرمن بالعصيان؛ وكذلك العرب؛ ولم يوضع هذا الإتفاق على الرف بل عندما بدا قيد التنفيذ حدثت نفرة بين جمال باشا والأرمن والعرب.

15.2. من لوزارة الحربية

لقد كان مصطفى كمال باشا الشاب الجديد المسؤول عن ديوان رسائل السلطان محمد وحيد الدين لا يفارق السلطان؛ ويعرض عليه كافة الرسائل التي كانت تأتي أو ترد للسلطان من عموم الولايات العثمانية. فبتاريخ 5 يوليو من عام 1918م قد وصل من أزمير عدد من اصدقاء السلطان محمد وحيد الدين وقالوا له عندما رأوه: **" الله يعطي الخاقان الجديد العمر المديد".** وهذا ما أورده مصطفى كمال باشا في بعض خواطره بعد وفاة السلطان محمد رشاد وعن أول وفد وصل لزيارة السلطان الجديد محمد وحيد الدين. وكان عمل مصطفى كمال باشا في الديوان السلطاني حاجبًا قبل أن تأتيه فكرة إلغاء العرش العثماني بالكلية من استانبول. وفي ذلك كتب مصطفى كمال باشا للسلطان محمد وحيد الدين قائلاً: **" لقد أرسلت إلى الخاقان محمد وحيد الدين بكلام يعتبره حقيقة مرة. لقد قلت له:" سواء كانت حياة السلطان محمد وحيد الدين طويلة أو قصيرة؛ فإني مهتم بعلاقاتي مع السلطان. وأعلم مدى حزن السلطان على رحيل السلطان السابق رشاد. ولكني كنت أسأل نفسي ما سبب حزني؟! هل لأنني لم أكن في استانبول أثناء هذا التغيير الذي حدث**

فيها بتوليكم الحكم؟! أم لأنني خلال الفترة الماضية كنت أعاني حالة من الجمود؛ ولم استطع خلالها أن أراسل السلطان محمد وحيد الدين". غير أنه قد اتتني معلومات مهمة جعلتني أراسل السلطان محمد وحيد الدين بالتلغراف".

لهذا أرسل السلطان محمد وحيد الدين إلى مصطفى كمال باشا يدعوه للمثول بين يديه في استانبول. وكان التلغراف المرسل من قبل السلطان محمد وحيد الدين إلى مصطفى كمال باشا لا يحمل صيغة الأمر. لقد كان تلغراف السلطان متكون من جملة واحدة: **"من الأفضل أن تعود"** وكانت هذه الجملة المقتضبة لمصطفى كمال باشا كفيلة بأن يفهم مراد السلطان محمد وحيد الدين. لهذا فقد اتى مصطفى كمال باشا إلى استانبول بتاريخ 2 أغسطس من عام 1918م؛ ومعه تلغراف آخر مرسل إلى جناب السلطان من قبل مسؤول التشريفات السلطانية عزت باشا. وكانت التعليمات التي وصلت إلى مصطفى كمال باشا في التلغراف كالتالي: **" قبل بضعة شهور من الآن قد قابلت السلطان محمد وحيد الدين قبل أن يتولى العرش. وكنت قد تحدثت معه أن توليه للعرش العثماني للآن مجرد خيال. لكن هذا الخيال قد تحقق وصار الأمير محمد وحيد الدين هو السلطان الجديد. غير أن هذه المرة سوف يمر قطار بتاريخ 5 اغسطس؛ وهذا القطار يوجد بقاعته الرئيسة بالليل الرجل الأول بالدولة؛ وهو رأسها وأمل الدولة الحقيقي. وهذا اللقاء سيكون مثل الخيال. وسيكون الحديث بأفواهكم دون أي مداخلة من أي شخص بينكما".**

وكان مجمل الحديث بين مصطفى كمال باشا والسلطان محمد وحيد الدين حول أنور باشا. إذ رأى مصطفى كمال باشا ضرورة عزل أنور باشا؛ لهذا قال السلطان محمد وحيد الدين لمصطفى كمال باشا: **"لابد من وجود بديل قوي يخلف أنور باشا في قيادة الجيوش. وأن يكون ذو تأثير على قادة الجيوش العثمانية؛ لكي ينصاعوا له. لهذا سوف أوجد لك وظيفة تكون هي السبب في نزع الأمور من يد أنور باشا؛ ويقبلها أنور باشا. وهذه الوظيفة هي أنك ستكون وكيل وزارة الحربية. وبهذا العنوان سوف تستطيع أن تحل كافة الأمور مع الزمن. وإنني لن أذكر لأنور باشا من سيكون وكيله. ولكن عليك إذا توليت هذا المنصب أن تكون قواتك الخاصة الذين سوف تعتمد عليهم في نظارة الحربية".**

وبعد مرور عدة سنوات ذكر مصطفى كمال باشا في أحدى خواطره هذا اللقاء الأول الذي وقع بينه وبين السلطان محمد وحيد الدين بعد توليه السلطنة. حيث كتب يقول: **" أعلمني عزت باشا بأن آتي. ومازالت أتذكر ما قيل لي. حتى أنه طلب مني أن ابقى بشقتي بحي بارا بلاس Perapalas mahallesi. وبأنه سوف يأتي بنفسه ليقابلني. وكانت لدي رغبة شديدة لمعرفة سبب استدعائي. فقال لي: " لا يوجد سبب**

عاجل لاستدعائك. غير سبب تواصلك مع السلطان محمد وحيد الدين من قبل. " وكان ذلك عندما كان السلطان محمد وحيد الدين وليًا للعهد اثناء زيارتنا لألمانيا. لقد كان لقائي معه هذا سببًا في رغبة السلطان محمد وحيد الدين في التواصل معي من جديد. لقد شكرني عزت باشا على تلبيتي دعوة السلطان وقال لي:" في الأغلب أن لكل سلطان مستقبله الخاص ورجاله الخواص. فلكل عهد رجاله؛ هكذا دعت الضرورة". فسألته:" هل بسبب ذلك اللقاء القديم يرغب السلطان الجديد في استدعائي لمقابلته؟!" فأجابني:" أن السلطان بسبب هذه الحجة يريد أن يلتقي بك مرة أخرى. وسوف يكون دليلك إلى لقاء السلطان ناجي باشا". وكانت هذه رغبتي أيضًا. وقال لي عزت باشا:" بالرغم من ذلك سوف أنقل سؤالك للسلطان". وفي الساعة المحددة أتت إلي الإجابة القطعية:"نعم لأنك قبل عدة أشهر قد دخلت إلى قاعة السلطان محمد وحيد الدين بالقطار؛ عندما كان وليًا للعهد. فتذكرك عندما أصبح هو السلطان. على الرغم من أنك قد أنفصلت عنه بعد هذه الرحلة عقب رجوعك من ألمانيا". وقلت في نفسي:" لقد تحدثت معه عندما كان وليًا للعهد بكل ما كان يجول في خاطري. وبوحت له بسر نفسي. فهل بعد أن أصبح سلطانًا ستبقى شخصيته كما هي؟! وهل سأستطيع التحدث معه كما كان في السابق؟! وهل سيكون لقاؤنا على نفس درجة الحرارة السابقة؟!". في الحقيقة لقد كنت مترددًا بشأن هذه المسألة. وهكذا اثناء هذا التردد حدث اللقاء المباشر وجها لوجه مع السلطان محمد وحيد الدين. وقلت له:" إن دعوتكم الكريمة لي قد قبلتها على الفور. فإن حضرتكم عندما كنتم في ولاية العهد كنتم شديدي الإلتفات والنظر الثاقب للجميع بمنتهى الدقة". ثم جلس السلطان محمد وحيد الدين واشار إلي بأن اجلس في المكان المقابل له. وأمر باحضار علبة السيجار وأشار بتقديمها إلي أولاً. فأخذت واحدًا ثم اخذ هو أيضًا واحدًا. ثم أشعل لنفسه السيجار أولاً ثم أمر بإعطائي الكبريت لكي أشعل سيجاري. فبعد هذا اللقاء قد أصبحت متفائلاً. أولاً: لأنني قد باركت له إعتلاء العرش العثماني باللسان المناسب. وثانيًا: لأنني قولت له بعدها:" إن عاصمة الدولة العثمانية استانبول معرضة للإحتلال في أي لحظة. حتى أنني كررت له كل الكلام الذي قلته له من قبل أثناء سفرنا إلى ألمانيا. ولكن هذه المرة مع الشرح المطول. فقلت له:" هل من المناسب أن أخاطبكم بكل ما يدور في رأسي كما كان في السابق؟!" فأجابني:"بالتأكيد". فقلت له:" لا يجب أن تعييني وكيلاً لأنور باشا. بل يجب أن تأخذ منه نظارة الحربية وتسلمها لي. لأنني لا أستطيع أن أكون وكيلاً لأنور باشا. فقبل أي شيء على الجيش العثماني ان يكون له قائدًا واحدًا وحاكمًا واحدًا. ويتبقى الوقت المناسب لتطبيق هذا القرار من قبل السلطان". لقد كان هذا أيضًا ما يدور في رأس السلطان محمد وحيد الدين عندما كان وليًا للعهد. فمن يتجرأ على خلع سلطان. ونفي سلطان. والحجر على سلطان آخر؛ ما الذي يمنعه أن يفعل ذلك مع السلطان الجديد؟! لكن محمد وحيد الدين بعد توليه السلطنة كان ينتظر الفرصة المناسبة؛ لكي يتخذ

مثل هذا القرار. لذلك عقب علي قائلاً:" هل يوجد في رأسك شخص مثلك يصلح أن يكون قائدًا عامًا للجيش العثماني؟!" فأجبته:" بنعم، ولكن علينا أن نفكر". وبعد انتهاء هذا اللقاء بيني وبين السلطان محمد وحيد الدين. اخذت الإذن بالإنصراف. غير أنني تبين لي أن وحيد الدين خائفًا. ولكنه فقط يريد الإستراحة في الحديث معي. لقد كنت أفكر كيف سيستطيع السلطان محمد وحيد الدين من نزع قيادة الجيش العثماني من يد أنور باشا وهيئته العسكرية؟! وكيف سيسلم الأمر لي؟! لقد كنت اعلم نفسية محمد وحيد الدين جيدًا؛ لهذا عندما قلت له:"إنه يوجد من يماثلني. فقط علينا ان نبحث معًا؛ لكي نختار الشخص المناسب". كان هذا الجواب سببًا في أن يصر محمد وحيد الدين على اختياري لقيادة الجيش العثماني بدلاً من انور باشا. وحقيقة لا اعرف كيف خرج مني له هذا الجواب؟!ربما صدفة. لا أعرف!ولكن بعد ثلاثة أيام من لقائي مع السلطان تم اخباري بإعلان وظيفة وكيل نظارة الحربية. وأن الوظيفة سوف تتغير إلى رئيس أركان نظارة الحربية. وبعد ذلك بتايخ 9 اغسطس تقابلت مع السلطان محمد وحيد الدين وجهاً لوجه من جديد. لكن هذه المرة كانت الدعوة إلى لقاء السلطان قد أتت إلي رسمية من القصر السلطاني. وبعد هذا اللقاء بأسبوع تقابلنا من جديد. وكان دائمًا ما يشاورني فيما نستطيع أن نفعل في تحقيق ما اتفقنا عليه لعزل انور باشا؛ وتعيني قائدًا عامًا للجيش العثماني. بعد بضعت أيام أرسل إلي ناجي باشا عزت باشا ليخبرني بأنه مرسل من طرف السلطان. وابلغوني:" بأن إرادة السلطان نافذة. وبأنهم سيحضرون معي للقاء السلطان محمد وحيد الدين". لقد كانت في نفسي حاجة من هذه الدعوة. وذلك بسبب كوني لن أتحدث مع السلطان وحدنا كالعادة. لذلك كنت افكر في الحديث مع السلطان محمد وحيد الدين في معلومات عامة؛ مع عدم الحديث في الموضوع الرئيس الذي تحدثنا فيه من قبل؛ وهذا لوجود أشخاص آخرين بيننا. بيد أن التوفيق لم يلاحقني هذه المرة. لقد كان السلطان محمد وحيد الدين حذرًا جدًا في أخذ كامل احتياطته؛ إلا في هذه المرة. مما جعل لقاؤنا هذا دون نتيجة تذكر؛ وأفترقنا على ذلك. ولكن بعد مرور عدة أيام على هذا اللقاء طلب مني السلطان أن نتقابل مرة أخرى. لقد وافق على لقاؤنا وحدنا هذه المرة. لهذا كان حديثي معه بدون مقدمة في هذا اللقاء؛ عن نفس النقطة التي بحثناها؛ ألا وهي عزل أنور باشا وتعييني مكانه. بيد أن السلطان محمد وحيد الدين هذه المرة قد أعطاني جوابًا شرعيًا؛ كأنه فتوى في هذه المسألة؛ فقال لي:" يا باشا علي قبل أي شيء أن انقذ سكان استانبول. وهذه هي مسؤوليتي تجاههم. ولا أريد أن اقوم بأي عمل دون تخطيط؛ لا يحقق الهدف المرجوا منه. مما يعرض سكان استانبول للهلاك. لهذا فأنا لا أستطيع بصفتي السلطان أن أغلق عيني عن هذه النقطة. فأنا أرى كل يوم الشهداء يتساقطون للدفاع عن مدينة استانبول. ويمنعون العداء من اقتحامها. وهذه الدماء العزيزة لا يجب أن تذهب سدى. لهذا فكرت فيما عرضت عليا؛ ورأيت أنه قبل أي شيء على سكان استانبول أن ينتصروا على الأعداء. وهذه هي نقطة الأمل والإنطلاق

التي ستبعث الأمل في كافة أجزاء الدولة العثمانية. ولكني راجعت نفسي وفكرت من جديد هل إذا أتخذت إجراءات الإصلاح وحدي بعيدًا عن السياسيين في استانبول؛ هل هذا سوف يكون مقبولاً لدى الإستشاريين السياسيين أم لا؟! لهذا أردت يا مصطفى كمال باشا أن تشاركني الرأي في حل هذه المسألة فكريًا". فقلت له:"نعم يا جناب السلطان لقد فكرت بطريقة صحيحة جدًا. ولكن لكي يصمد سكان استانبول علينا أن نتخذ التدابير اللازمة لأجل ذلك. فإن تركيز السلطان على حفظ استانبول اولاً قبل اي شئ ليس فيه الصواب. ولكن من الصواب أن يتم انقاذ باقي الولايات لكي تستطيع أن تساعد استانبول على الصمود. وهذا ما يمكن القيام به الآن. قبل أن يصبح الأمر مستحيلاً". ولأجل ذلك تقابلت مع السلطان محمد وحيد الدين أكثر من مرة؛ لأجل وضع الخطط المناسبة لتحقيق ما اتفقنا عليه. وذات مرة قلت له:" قبل أن نتحرك لإنجاز ما نريد. لابد من توافر القوة في يد السلطان أولاً قبل اي شيء. فلا نستطيع أن نحرر الأمة والدولة ونحافظ على مصالحها؛ وليس في يد السلطان قوة فعلية؛ لهذا التعجل بدون تدبير ستكون عواقبه وخيمة في رأيي". لهذا عقب علي السلطان محمد وحيد الدين قائلاً:" أنا قد قابلت الصدر الأعظم طلعت باشا وناظر الحربية أنور باشا. وهما قالا لي:" لا أحد غيرنا يستطيع أن ينقذ الدولة العثمانية؛ ولا يمكن الإستغناء عنا لأجل هذا". ثم بدأ الإثنان في توجيه اللوم لي. لهذا كان علي أن أستخدم سلاح الخلافة مع سلاح السلطنة؛ لكي أستطيع أن أحقق ما أريد". لقد فهمت من كلام وحيد الدين أنه لا يريدني ان أكون ألعوبة في يد أنور باشا وطلعت باشا. لهذا سألني:"هل تريد أن تكون العوبة في أيديهم؟!" وبعد هذا اللقاء مع السلطان وحيد الدين؛ قد علمت بأنه قد اختار لي الوظيفة المناسبة التي ستجعلني أنهض. لهذا ذهبت وقابلت السلطان؛ وبعد انتهاء لقائي به؛ أستأذنت في الإنصراف. ولم أفارق كلمات وحيد الدين ولم أبتعد عنها. وأتذكر أنه عند خروجي من قاعة العرش السلطاني؛ وجدت في عيون ناجي باشا التأثر. فقلت له:" أنا على كلمة الطاعة؛ ولن أبتعد عنها. ثم ذهبت إلى منزلي في حي بارا بلاس Perapalas وبدأت بالتفكير".

16.2. طريق سوريا من جديد

من أراد أن يحل مكان أنور باشا يجب عليه أن يكون مثله أو أن يفوقه. لهذا فيجب على الباشا الجديد " مصطفى كمال باشا" أن يكون ذو إرادة عالية ونافذة. فالباشا الشاب يجب أن يكون شديدًا في اتخاذ قراراته. أما عن علاقة السلطان محمد وحيد الدين بأنور باشا؛ فإن مصطفى كمال باشا قد بحث هذه المسألة بقوله:

"ربما وحيد الدين يرغب في انقاذ الدولة والأمة والحفاظ على كل مصالح الدولة العثمانية من الزوال؛ غير أن إعطاء السلطان الوعود والمواثيق دون دليل مادي؛ كانت لا تكفي في نظري. بيد أن محمد وحيد

الدين كان يكتفي بها". غير أن انور باشا كان كذلك يكتفي بوعود السلطان محمد وحيد الدين له. لقد أتخذ أنور باشا عدة قرارات أثناء وجود مصطفى كمال باشا في استانبول بشأن سوريا. لهذا أرسل إلى الجيش العثماني السابع في مدينة نابلس بعد مدة يخبرهم بتعيين قائدًا جديدًا شابًا لهم في الحرب. وورد في طلب التعيين لي الأمر التالي: **" الأمر المطلوب منك كالتالي؛ لا يجب أن يعبر العدو خطوطكم للتقدم في عمق سوريا؛ وأتمنى لك التوفيق".** لقد وصل هذا الخطاب للجيش السابع يوم الجمعة. ومن الغريب أن نفس القادة العسكريين الذين كانوا في جبهة الشام واستقالوا وأتوا إلى استانبول؛ قام السلطان محمد وحيد الدين بتعينهم في جيش استانبول المرابط. على الرغم من أنهم كانوا مستقلين من الخدمة العسكرية قبلها بعدة اشهر. وبعدة مرور مدة على تعينهم في جيش استانبول أمر السلطان محمد وحيد الدين بنقل القادة العسكريين المستقلين سابقًا من جبهة بلاد الشام إلى العودة لمواقعهم بالجيش العثماني السابع المرابط في بلاد الشام وإلى جبهات القتال هناك للضرورة. ولم يقوم السلطان محمد وحيد الدين باستبدالهم.

وفي هذه الأثناء تزوجت علوية هانم سلطان ابنة السلطان محمد وحيد الدين من الشاب خريج الأكاديمية العسكرية البروسية Prusya Harp Akadimisi ومدير المدرسة السنية للأركان الحربية البمباشي" قائد ألف" إسماعيل حقي بك Binbaşı İsmail Hakki. ودخلت الأميرة علوية سلطان في صف المساعدات الحربية مع زوجها إسماعيل حقي بكل قوة. على الجانب الآخر نجد قائد الجيوش العثمانية أنور باشا غالبًا ما يقابل السلطان محمد وحيد الدين على فترات قصيرة وسريعة ولا يدوم اللقاء القصير بينهم؛ لأن أنور باشا دائمًا ما يأتي ليخبر السلطان بآخر التطورات؛ وبما يجب عليه أن يفعل؛ حتى سأم السلطان محمد وحيد الدين هذا التلقين من أنور باشا. غير أن السلطان محمد وحيد الدين كان لا يريد أن يعكر عليه أسلوب أنور باشا في التعامل معه فرحته بزواج ابنته من إسماعيل حقي بك.

لقد حاول مصطفى كمال باشا أن يكسب القادة العسكريين المستقليين إلى صفه قبل ذهابه إلى نابلس؛ لهذا عندما خرجوا من مقابلة السلطان محمد وحيد الدين؛ قال لهم مصطفى كمال باشا: **" ممتاز. إنني أبارك لكم وظائفكم الجديدة؛ وأتمنى لكم التوفيق...فإذا قمتم بأي عمل خارج القواعد المنصوص عليها في عملكم. فعليكم بالرجوع إلي فورًا. هكذا كلفني السلطان".** ثم ابتسم لهم مصطفى كمال باشا وتركهم. وفي هذه الأثناء حدثت حركة تنقلات في صفوف القادة العسكريين الألمان. فقد تم استبدال اللواء القائد فالكنهاين General Falkenhein باللواء الألماني ليمان فون ساندرز Liman Von Sanders الذي وصل إلى استانبول في نفس وصول القادة المستقليين من قيادة الجيش السابع بجبهة بلاد الشام لاستانبول احتجاجًا على عزل قائدهم وتعيين مصطفى كمال باشا قائدًا عليهم. وقد قابل القائد العسكري الألماني الجديد القائد العثماني الشاب أنور

باشا الناظر العام لوزارة الحربية. ثم ذهبوا معًا خارج استانبول في جولة وحدهم. دون أن يخبروا أحد بذلك. غير أن مصطفى كمال باشا قد أتاه خبر هذا اللقاء. لهذا بعد خروج السلطان محمد وحيد الدين من قاعة العرش؛ انتظره حتى عودته؛ وكان يرصد كل ما يجري حوله بدقة. ثم أتى أنور باشا وقابل مصطفى كمال باشا وقال له:" **أحييك على ذكائك. وابارك لك أنك استطعت أن تجمع كل الأمور الخارجة عن يدك. وأن تجعل السلطان محمد وحيد الدين يعطيني أمرًا لكي أنفذ ما تريد".** وفي ذلك يقول مصطفى كمال باشا: **"بعد أن قال لي أنور باشا هذا الكلام تبسم أمامي وذهب. ولم أكن لأتخيل بأنه سيأتي أمامي وجهًا لوجه".** وقال أيضًا مصطفى كمال باشا عن هذا اللقاء الذي حدث بينه وبين أنور باشا: **"لقد قابلني القائد العام الشاب أنور باشا وقال لي:" قبل أن تريد اي شيء خاص بالأمور العسكرية والقتال على الجبهات عليك أن تعرض علي ما تريد؛ قبل العرض على السلطان". لقد شعرت حينها بالإنزلاق وبالإحراج أمامه. غير أن السلطان محمد وحيد الدين بعد هذا اللقاء بيني وبين أنور باشا قد نزع صفة القائد العام من ناظر الحربية أنور باشا وأختصها لنفسه. ولهذا قام السلطان في ساحة قصر يلدز بعمل مخابرات هيئة الإنقاذ السرية. وعين لهذه الهيئة السرية رئيسًا؛ ألا وهو زوج ابنته الكبرى علوية هانم سلطان إسماعيل حقي بك. ومنذ تلك اللحظة بدأت الحرب الحقيقية المصيرية للدولة العثمانية".**

17.2. الهزائم من دمشق حتى أضنه

بتاريخ 26 أغسطس من عام 1918م وصلت الأخبار إلى حلب بأن الجيش السابع العثماني في نابلس قد عبر للهجوم والإشتباك مع الإنجليز بأمر أنور باشا. وفي تاريخ 19 سبتمبر كان اللواء اللنبي Genaral Allenby قائد الجيوش الإنجليزية يتحمل الهجوم المتكرر على مدار اشهر ولا يقوم بالرد؛ لإستنزاف الجيش العثماني. وفي هذه الأثناء كان قائد الجيش السابع العثماني هو مصطفى كمال باشا. وقد قام بإخلاء مواقع الجيش العثماني السابع من الجنود في مواجهة الإنجليز؛ وعبر إلى شرق نهر الشريعة[52]؛ وذلك لعدم

---

[52] نهر الشريعة؛ الاسم التاريخي والقديم لنهر الأردن؛ وذلك للإعتقاد السائد لدى البعض بأن تابوت العهد والنهر المذكور في القرآن في سورة البقرة في قوله تعالى: "وَقَالَ لَهُمۡ نَبِيُّهُمۡ إِنَّ ٱللَّهَ قَدۡ بَعَثَ لَكُمۡ طَالُوتَ مَلِكٗاۚ قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلۡمُلۡكُ عَلَيۡنَا وَنَحۡنُ أَحَقُّ بِٱلۡمُلۡكِ مِنۡهُ وَلَمۡ يُؤۡتَ سَعَةٗ مِّنَ ٱلۡمَالِۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰهُ عَلَيۡكُمۡ وَزَادَهُۥ بَسۡطَةٗ فِي ٱلۡعِلۡمِ وَٱلۡجِسۡمِۖ وَٱللَّهُ يُؤۡتِي مُلۡكَهُۥ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ٢٤٧ وَقَالَ لَهُمۡ نَبِيُّهُمۡ إِنَّ ءَايَةَ مُلۡكِهِۦٓ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَبَقِيَّةٞ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحۡمِلُهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٢٤٨ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلۡجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبۡتَلِيكُم بِنَهَرٖ فَمَن شَرِبَ مِنۡهُ فَلَيۡسَ مِنِّي وَمَن لَّمۡ يَطۡعَمۡهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ ٱغۡتَرَفَ غُرۡفَةَۢ بِيَدِهِۦۚ فَشَرِبُواْ مِنۡهُ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ قَالُواْ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلۡيَوۡمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةٗ كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ (٢٤٩)"؛ هو نهر الأردن، المترجم.

توافر مياه الشرب للقوات العثمانية؛ فأراد أن ينقذ مصطفى كمال باشا حياتهم. ولكن مع حركة إخلاء قواعد الجيش العثماني أمام الجيش الإنجليزي مع الوقت وببطء فتح الطريق إلى دمشق فسقطت في يد قوات الحلفاء بتاريخ 1 أكتوبر من عام 1918م. وبعد احتلال الحلفاء دمشق بأربعة ايام أي بتاريخ 5 أكتوبر من عام 1918م وصل المندوب الأمريكي إلى استانبول للتباحث في فض الإشتباك وفي وقف إطلاق النار. وفي أثناء المفاوضات بتاريخ 26 أكتوبر من عام 1918م دخل الجيشين الإنجليزي والفرنسي حلب؛ وبذلك ضاعت حلب من يد الدولة العثمانية. وبتاريخ 30 اكتوبر من عام 1918م تم التوقيع على اتفاقية مانداروس لوقف إطلاق النار Mondros Ateşkes anlaşması؛ والتي بموجبها تم قطع إرسال الولاة من استانبول إلى سائر الولايات العثمانية. هذا الإرسال الذي استمر لعصور. وذلك لأن ولايات الدولة العثمانية قد غابت عنها.

وفي هذه الأثناء تم تعيين مصطفى كمال باشا المشرف الخاص بمتعلقات السلطان محمد وحيد الدين وأصبح اسمه الياور مصطفى كمال باشا أي مسؤول المراسم السلطانية. وبتاريخ 30 أكتوبر من عام 1918م تم إرسال قوات جيوش الصاعقة العثمانية مع قادتهم إلى أضنة وأمروا بالدفاع عن أضنه وبالتقدم في عمق بلاد الشام. لقد كان مصطفى كمال باشا في حلب قبل سقوطها بأسبوعين. وبتاريخ 7 اكتوبر من عام 1918م خرج من استانبول قرار فض الإشتباك ووقف إطلاق النار؛ ولم يكن هناك أي ملجأ آخر لتخفيف الضغط على القوات العثمانية. لقد وصل هذا الأمر بفض الإشتباك وبترك الجيش العثماني لمواقعه الحصينة أعلى الإنجليز وبالتراجع عن حلب عبر تلغراف. وهذا التلغراف لا يذكر كثيرًا من التفصيلات. ولا يعلم من أرسله. ولا يعرف من مصدره الحقيقي. لهذا السبب تراجع مصطفى كمال باشا عن مدافعة الإنجليز وصد هجوهم عن حلب. وفي ذلك يقول مصطفى كمال باشا: **" الآن لم يتبق شيء لنفعله؛ سوى السلام".** وفي رسالة أخرى يقول: **" في ليلة 19 سبتمبر قام جيش الأعداء بالهجوم على الجيش السابع العثماني ليلاً. ولقد استطعت رد هجومين لجيوش الأعداء. وألا أجعلهم يتقدمون خلف خطوطنا. لكن في صباح يوم 19 سبتمبر من الجهة الغربية وجدت الجيش الثامن العثماني بقيادة جواد باشا Cevad Paşa قد تعرض لهجوم الأعداء؛ وأستطاع جواد باشا الإنتصار على قوات الأعداء ووقف هجومها؛ وكان النصر يعانقه. وبسبب هذا الإنتصار الذي حققه الجيش الثامن؛ استطاع الجيش السابع العثماني أن يؤمن ميسرته وميمنته. وكان في ميمنة الجيش السابع السلطاني الجيش الرابع العثماني بقيادة جمال باشا؛ الذي أتى إلينا في مظاهر العظمة؛ ويكأننا معاونيين له فقط؛ بلا شعور بما نحن فيه. وهو الشخص المعروف عنه الفرار من معاونة أي أحد. وبالرغم من ذلك فوجئنا بهجوم جديد من جيوش الأعداء على المنطقة الجنوبية والغربية من بلاد**

الشام وكانت جيوشهم تتبادل الهجوم علينا على التوالي فكلما أنهك جيش أتى الجيش الآخر الإحتياطي للهجوم علينا كي لا نستطيع أن نلتقط أنفاسنا. ولقد حاربتهم من نهر الشريعة " نهر الأردن" حتى دخلت بقواتي إلى منطقة جبل عجلون[53] واستمررت في مدافعة قوات الحلفاء حتى اضطررت أن أدخل مضارب منطقة درعا. ولكني فوجئت بقطع من القوات الإنجليزية الأخرى التي لم تشترك في القتال تقعبت قواتي حتى دمشق. لقد أضطررت إلى محاربتهم حفاظًا على الشرف العسكري حتى دخلت دمشق. وبعد دخولي دمشق أمر جمال باشا القائد الثاني بالجيش الرابع العثماني ليمان باشا Liman Paşa المسؤول عن المحافظة عن مدينة دمشق ودفع الأعداء عنها؛ بالإنسحاب بأغلب قطاعات الجيش الرابع العثماني حتى مدينة الرقة؛ تحت دعوة التنسيق والتأمين الحربي. وجمال باشا رجل داهي وليس بالرجل الغبي. لقد فوجئت بعد ما أمر ليمان باشا بالإنسحاب بأغلب قواته إلى الرقة؛ بأنه يريد أن يدافع بجزء قليل من الجيش الرابع عن دمشق مع قواتي. ثم وجدته يتركني وحدي في دمشق وينسحب هو إلى الرقة. ووجدت جزء صغير من قوات جمال باشا تبقى مع عصمت بك رئيس الوكلاء "باش وكيل Başvekil للدفاع عن دمشق فلما أصدرت أمر إلى قواتي بالإنسحاب إلى الجهة الشمالية الغربية حيث إعادة تشكيلات قواتنا هناك للدفاع عن الشام؛ وجدت عصمت بك يتحرك أيضًا معنا. حيث أتاه أمر من جمال باشا للتحرك ناحية الشمال حيث حلب؛ مما دفعني للتحرك معه حيث حلب في الشمال. وبعد ثلاثة أيام أستطعت أن أصل إلى حلب من جهة الجنوب. ولقد كان فكري منشغلاً بالأراضي التي أكتسبها الأعداء منا. ولقد كانت لنا عيون في وسط جيش الأعداء وبعضهم كان يستطيع أن يتسلل من قبل جيش الأعداء ويأتي إلينا بالأخبار؛ وذلك لكي نعرف فكر العدو؛ وكيف يخطط؟! لقد كان في صفوف الأعداء ما يقارب من خمسة أو ستة ألاف نفر من أتباعنا لإنفاذ هذه المهمة. ولكن عندما يحاول بعض رجالنا العودة إلى أماكنهم في جيوش الأعداء؛ كان يجب علينا ان نأمن لهم ذلك. إنني لم أرُ في حياتي أحمق مثل أنور باشا لقيادة الجيوش ووضع الخطط العسكرية. إذ كيف لا يجعل المدفعية تؤمن انسحاب الجنود إلى الخطوط الخلفية لنا؛ مما جعلني أثناء الإنحساب في مرمى نيران الأعداء. ولماذا الصف الأول من سلاح المدفعية لم يطلق النار على الأعداء أثناء انسحابنا. إن الجيش العثماني الرابع لو لم يكن بقيادته جمال باشا؛ وكان به رجل مثل جواد باشا في قيادته لما حدثت هذه الكارثة. لقد ألتجأنا إلى جواد باشا الذي كان يؤمن خطوط إنسحابه بالمدفعية لكي نحمي أنفسنا أثناء الإنسحاب إلى الشمال. لقد كان جمال باشا ومن معه من مجموعته منذ بداية الحرب ينسحبون من أمام العدو؛ ولكني أقول:" إذا لم يكن لجمال باشا نفوذًا واسعًا على الجيش وحركته؛ وإذا لم يلتزم الجيش

---

[53] جبل علجون؛ جبل يوجد بالمملكة الأردنية اليوم ويعلوه حصن جبل عجلون الأيوبي والذي أنشئ في عهد الناصر صلاح الدين الأيوبي، المترجم.

بقراراته لكان الوضع في ساحة الحرب غير الوضع". لهذا أقول:" الآن لم يتبق شيءً؛ سوى السلام. 7 تشرين الأول (7 أكتوبر) 1918م. مدينة حلب.

مصطفى كمال

ويتحدث مصطفى كمال باشا أثناء الحرب في جبهة سوريا على وجود بعض أصدقائه في السلاح مثل اللواء علي فؤاد آردان General Ali Fuad Erden الذي فكر كثيرًا في إزاحة أنور باشا عن القيادة العامة للجيوش العثمانية بعد الضغط الذي وقع عليه في مقدمة قيادة الجيش عند الصدمة الأولى من هجوم العدو ؛ وعدم وجود خطوط دعم وإمداد له أثناء القتال؛ مما جعله يشرح ما بصدره لمصطفى كمال باشا. غير أن اللواء على فؤاد آرادان باشا في أحدى خواطره من على خطوط القتال يشرح هذه المسألة بصورة أخرى إذ يقول: **" قائد الجيش السابع العثماني مصطفى كمال باشا أثناء تواجده معنا في حلب ذات يوم قال لي: " أنور لا يقوم بمهامة على أكمل وجه في القيادة العامة للجيوش العثماني. إن مدخل هذه المصيبة التي نحن بها الآن هو سببها الوحي؛ وهذه المصيبة سنذهب منها بلا عودة. لابد من إزاحة أنور عن القيادة العامة للجيوش". فقولت له حينها: "أنت لا تستطيع أن تكون إداري جيد في قيادة الحروب. إذا تمت إزاحة أنور فلابد ألا يأتي للقيادة مثلك؛ بل أنا الذي يجب علي أن أعبر إلى مكان أنور". لقد كنت متفاجئ من قول مصطفى كمال باشا. وكنت أقول لنفسي:" هل يستطيع أحد أن يقول مثل هذا الكلام لأنور باشا؟؛ وفي مثل هذه الظروف التي نحن بها هل يمكن أن يفكر أحد في الإنقلاب؟ لكن أنور باشا لو علم بذلك سيكون جوابه أنه سيحضر للمنقلبين سلسلة من معدن الذهب "جنزير" ليضعه في أيماننا. إنه سيرفع أصبع الشهادة وسيحضر بعدها الجواهرجي وسيقول له:" إنه يوجد في الغرفة المجاورة شخص يريد الإنقلاب علينا؛ فبماذا يمكن أن نعاقبه؟ حتى الجواهرجي هو أيضًا سيكون مستغربًا من رد فعل أنور باشا؛ ولماذا يسأله؟! وماذا سيحدث مع هذا المنقلب؟! هكذا ممكن أن يسأل الجواهرجي نفسه". وعندما سمع كلامي مصطفى كمال باشا أخرس عن الحديث؛ ولم يستطع أن ينطق بأي شيء على الإطلاق. فقال قال " هوووو"؛ ثم قال لي:" أنتهى الحوار".**

وبعد قول الباشا الشاب مصطفى كمال: "هووو" نافخًا من الغضب؛ لم ييأس من تحقيق حلمه وأستمر بالعمل بالأيام والسنين لأجل تحقيق حلمه؛ وتشبث بحلمه أكثر وأكثر. وبعد أول أسبوعان من سقوط مدينة حلب في يد قوات الحلفاء. توجه مصطفى كمال باشا إلى القصر السلطاني في استانبول؛ وهناك قابل رئيس التشريفات الرسمية والمسؤول عن تنظيمات مواعيد المقيمين بالقصر السلطاني ناجي بك Başyaver

Neci Bey وقال له: **"غاية الإحترام والتقدير لرئيس الياوردات ناجي بك أفندي"**؛ فقال له ناجي بك: **" هكذا يبدأ العصر الجديد هناك العديد من رسائل التلغراف التي في الطريق إلى السلطان المعظم. إذا لم تستطع حكومة الإتحاديين بقيادة الصدر الأعظم طلعت باشا بالمحافظة على استانبول من حدوث الفتنة الداخلية فيها؛ ففي هذه الحالة سيقدم الصدر الأعظم طلعت باشا وحكومته من الإتحاديين الإستقالة. إن الإتحاديين يحكمون الدولة العثمانية منذ عشرة سنوات. لكن استقالة حكومة طلعت باشا هذه المرة تعني سقوط الإتحاديين. وسيقوم توفيق باشا بعرض أسماء الحكومة الجديدة التي ستكون متنوعة المشارب والإتجاهات. لهذا فالإتجاه في اختيار الصدارة العظمى يصب ناحية عزت باشا الديموقراطي؛ الذي سيكون عمله مثل عمل توفيق باشا في اختيار أعضاء الحكومة".**

لقد كان مصطفى كمال باشا يميل إلى عزت باشا وقد استطاع أن يشاركه في اختيار أعضاء حكومته الجديدة حيث أرسل مصطفى كمال باشا قائمة بأسماء أعضاء الحكومة الجديدة للقصر السلطاني ؛ جعل نفسه عضوًا فيها؛ ليعرضها على السلطان محمد وحيد الدين؛ ليكون أعضاء هذه الحكومة هم أعضاء حكومة عزت باشا فيما بعد. وفي رسالة مصطفى كمال باشا للسلطان محمد وحيد الدين عن هذه الحكومة ذكر يقول:
" لقد أتى الخبر بزيارة توفيق باشا لطلعت باشا الصدر الأعظم في مقصورته الخاصة بعد إصابته بالفالج " الشلل" ليرفع من روحه المعنوية. وفي أثناء هذه الزيارة قام توفيق باشا بعرض أعضاء الحكومة الجديدة على طلعت باشا ليقبلها. إن حكومة طلعت باشا جعلت جيشنا في الحرب على الجبهة الشامية محروم من استخدام كامل قوته. وعاجز عن اختيار الخطط المناسبة أثناء القتال. وهذا الحال السيء الذي وصل إليه جيشنا؛ سببه حكومة طلعت باشا. وأضاعوا منا النصر؛ مما جعلوا دول الحلفاء تشكرهم على هذا الفعل؛ بل زادت حكومة طلعت باشا الإتحادية على ذلك بأن وقعت اتفاق فض الإشتباك ووقف إطلاق النار؛ بتقدير منفرد دون أي استشارة من القادة العسكريين على جبهات القتال. مدعين أن الصلح لازم الآن مع دول الحلفاء. لأجل هذا استعانوا بالفتوى الشرعية لتنقذهم وتبرر لهم الإتفاق مع دول الأعداء؛ بيد أن الفتوى هذه المرة لم تنقذهم. ولهذا فإن جميع الأهالي في جميع أرجاء مملكتنا غاضبين عليهم؛ ويصبون جام غضبهم على الإتحاديين وحكومتهم الذين أوصلوا الدولة العثمانية إلى هذا الوضع السيء. وعلى أغلب التقديرات لم يبقَ لهم ولو بنسة احتمال واحد أي عذر عند الأهالي. لهذا أرسل خطابي هذا إلى سلطاني المعظم المحترم لأجل اعتبار سلام السلطنة والوطن للعرض عليكم. إن ما يواجهه توفيق باشا في اختيار أعضاء الحكومة؛ قد يتلافاه عزت باشا؛ وذلك بعد توجيهكم الكريم بالموافقة على أن يكون أعضاء الحكومة لعزت باشا من هذه الأسماء التي أقترحها عليكم؛ ألا وهي: "فاتح وتحسين ورؤوف

وعزمي وجانبلاط Canbulat وشيخ الإسلام خيري؛ وخادمكم العاجز إن رأيتم بسبب سابق الصداقة القديمة التي بيننا أن يكون عضوًا في هذه الحكومة؛ مع خالص التقدير والشوق والمحبة لذات سيدنا السلطان؛ أعرض اقتراحي هذا عليكم".

للعرض

على المفخم المعظم الشهرياري

(الممثل الفخري للسلطان)

مصطفى كمال

ومن الملاحظ أن مصطفى كمال باشا عندما أرسل هذا الخطاب للعرض على السلطان محمد وحيد الدين مقترحًا اسماء أعضاء الحكومة؛ وذكر نفسه معهم؛ لم يحدد أي منصب يريد أن يشغله. ولقد أرسلت نسخة من هذا التلغراف إلى نظارة الحربية؛ غير أنهم لم يستطيعوا أن يفهموا أي مقعد يريد أن يشغله مصطفى كمال باشا. غير أنه في التلغراف الآخر سيوضح أي منصب يريد؛ وسيتفق معهم عليه.

لقد تكونت حكومة عزت باش وأعلن عنها بتاريخ 14 أكتوبر؛ ولقد استطاع مصطفى كمال باشا ان يخص نفسه بنظارة الحربية. ففي اليوم التالي عن إعلان حكومة عزت باشا أرسل تلغراف من قبلها إلى مصطفى كمال باشا كان نصه: **" من بعد السلام؛ نسأل الإله العظيم أن يدركنا بلطفه في عملنا لإرجاع الوحدة للأمة من جديد".** غير أن حكومة عزت باشا لم تستطع أن تعرف هدف مصطفى كمال باشا ولا رؤيته في وضع الدولة العثمانية الحالي. ولأجل هذا الشعور من قبل الصدر الأعظم الجديد عزت باشا وأعضاء حكومته ناحية مصطفى كمال باشا؛ قال له عزت باشا: **"سنعبر إلى السلام؛ ولكن العبور إلى السلام يعني مصيبة كبيرة بالنسبة لنا. لهذا في هذه المرحلة كنت أفكر إذا كنت سأستطيع أن أكون مفيدًا؛ فإني أريد أن تكون الإفادة الحقيقية من ناظر الحربية. فلو أحتضنا السلام الذي يعرض علينا؛ هل سيكون موقف نظارة الحربية معنا؟ وهل موقفها مني أنها ستجد الأشخاص المناسبين لإتمام العمل الذي لم يتم بعد في إنقاذ الدولة؟ لأنني لا أرى بعد قبولنا هذا السلام مع الأعداء أي وحدة ستكون في الأفق بين أبناء أمتنا بالتأكيد".**

وبعد بضعة أيام بدأ تنفيذ اتفاق السلام؛ لقد كان يوم تنفيذ اتفاق السلام على الأرض يوم كالجليد البارد يمر بنا إذا يعني رسميًا أعترافنا بانتصار الحلفاء علينا. واعتبارًا من تاريخ 7 نوفمبر أصبح جيش الصاعقة العثماني غير موجود. إذا صدر قرار من السلطان محمد وحيد الدين بإلغاء كافة تقسيمات الجيوش العثمانية وضمها جميعها في جيش واحد تحت قيادة ناظر الحربية الجديد الشاب مصطفى كمال باشا. لهذا السبب عاد جيش الصاعقة العثماني إلى استانبول بتاريخ 13 نوفمبر وأمروا بالتوجه إلى بوغاز مرمرة للتصدي للبواجر الحربية للأعداء؛ حتى أن جنود هذا الجيش كانوا يقولون فيما بينهم: **" قد أتينا؛ كما قد ذهبنا".** وهكذا كان قول الجنود يعبر عن يوم قبول الدولة بالهزيمة. وهكذا تنجرف الدولة العثمانية من حيث لا تدري إلى مصيرها المحتوم. مما سينتج عنه تكوين حكومة أنقرة. وذلك بعد أن قام كل من ناظر البحرية رؤوف بك (أورباي Orbay) واصدقائه بالتوقيع على اتفاق مانداروس Mondros anlaşması 30 أكتوبر من عام 1918م؛ هذا الإتفاق المشؤوم الذي جرد الدولة العثمانية من حقوقها وولاياتها. ووقع عليها حماة وأبطال الوطن كما كانوا يلقبون حينها.

وهكذا حدثت هذه المصيبة المسماة اتفاقية مانداروس والسلطان محمد وحيد الدين لم يكمل الشهر الرابع من فترة سلطنته. ومنذ هذا اليوم الذي وقعت فيه اتفاقية مانداروس أصبح السلطان محمد وحيد الدين هو الذي سيتحمل كافة المصائب والإبتلاءات والمشاكل الذي حدثت وستحدث للدولة العثمانية؛ وحده دون غيره؛ وسيصبح هو المسؤول عنها أمام الجميع. وبعد توقيع رؤوف بك على متن هذه الإتفاقية باسم السلطنة العثمانية لم يعد في الدنيا دولة عظمى فعلية تمثل المسلمين؛ وبدأت كل الدول تأخذ الإستقلال عن الدولة العثمانية تحت حماية الدول الكبرى النصرانية؛ الذين حققوا حلمهم بوراثة أملاك الرجل المريض.

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا لماذا كانت كل العروض التي يعرضها الباشا الشاب "يقصد مصطفى كمال" على السلطان محمد وحيد الدين؛ كان يقابلها السلطان بكلمة "لا"؟!

والسؤال الآخر الذي يطرح نفسه قبل أن يحدث كابوس خروج سوريا من أيدينا ببضعة أيام؛ كان يمكن تلافي هذا الكابوس لو ضعت الخطط الجيدة فلماذا لم يحدث هذا؟ ورغم كل هذه الإمكانيات الجبارة من الجنود والسلاح التي كنا نمتلكها ونوازي في قدراتنا وقواتنا قدرات وقوات الحلفاء إلا أننا هزمنا؛ فما هو السبب الحقيقي لهذه الهزيمة؟! ولماذا لم تصلنا من رسائل الضباط والقادة والجنود على خطوط القتال رغم كثرتها سوى القليل من الرسائل؟! وهل هؤلاء الضباط والقادة على جبهات القتال الذين رأوا الموت بأعينهم هم المسؤولون عم حدث في سوريا يا ترى؟! ومن المسؤول عن عودة جيش الصاعقة العثماني بعد

أمر السلطان محمد وحيد الدين له بالذهاب إلى أضنه وبالدفاع عنها وبالتوغل في بلاد الشام؟! هل كان التوقيع على اتفاقية ماندراوس السبب في هذه المصائب التي حلت بنا؟! وهل التوقيع على هذه الإتفاقية يعد من الزلل؟! ومن المسؤول عن هذا الزلل السياسي؟! في أحدى الرسائل التي عثر عليها وجد ما نصه التالي:

" ..."وفقًا للدستور يحق للحكومة المكلفة أن توقع بما تراها مناسبًا؛ ولا يحق لأحد الإعتراض عليها"؛ لأجل هذه المادة فكل ما وقع عليه رؤوف بك يعتبر نافذ وواجب التنفيذ على كل من يمثل الدولة. وبسبب هذا التوقيع الذي أتى لنا بهذه المصائب؛ لم يستطع رؤوف بك أن يحافظ بهذا السلام على وجود الدولة بكل تأكيد كما كان يظن. لأنه لأجل أن ينقذ ابنه الذي أخذ أسيرًا في جبال طوروس شمال سوريا؛ لم يكن لديه من مهرب أو مفر سوى التوقيع على اتفاقية ماندراوس. لهذا لم يكن لرؤوف بك عند مصطفى كمال باشا أي عذر معتبر".

18.2. ماذا لو ضاعت اسطنبول؟!

الفترة الأخيرة من حكم السلطان محمد وحيد الدين؛ هي السبب الرئيس الذي نتج عنه كل هذا المناقشات والهجوم على السلطان محمد وحيد الدين. وبخاصة منذ تاريخ 19 مايو من عام 1919م؛ وهو تاريخ بداية حرب الإستقلال؛ وموقف السلطان محمد وحيد الدين منها. إن السبب الوحيد الذي أجبر السلطان محمد وحيد الدين للخروج على ظهر سفينة إنجليزية من استانبول؛ وجعله يصبح في نظر كثير من المؤرخين وبعض معاصريه خاين ومرتكب جرم في حق أمته. وجعلت البعض لا يلتمس له عذرًا؛ هو سياسته وموقفه من الإنجليز؛ إبان حرب الإستقلال. لهذا السبب أثناء دراسة هذه المرحلة الحرجة من تاريخ السلطان محمد وحيد الدين علينا أن نجعل أمام أعيننا بكل تأكيد سببان رئيسيان: **الأول** أنه ليس باستطاعته وفقًا لظروف ذلك الزمان أن يتصرف غير ذلك. **والثاني** أنه أراد بذلك أن يحافظ على النظام والدولة عبر رحيله في ذلك اليوم.

سواء كان من المناسب أو من غير المناسب ضرورة استشارة السلطان العثماني في أي اتفاقيات قبل التوقيع عليها. وهذا ما يأكده الدستور فصلة الوصل بين الرئيس والمرؤوس الدستور. وقوة الدولة من قوة سلطانها. وأما ما تم رؤيته في اتفاق الهدنة هذا لا يسمى مشروطية أو إلتزام بأي وجه من وجه الشورى والدستور. بل يسمى الحكم المطلق لقد افتتح مجلس المبعوثان في 21 ديسمبر من عام 1918م بالتعهد مقاسمة الحكم مع السلطان ومشاورته في كل كبيرة وصغيرة. ولكن المرة الثانية التي أتخذ فيها مجلس المبعوثان قرارًا مصيريًا بالنسبة للدولة العثمانية كان بتاريخ 11 إبريل من عام 1920م عندما قبل باتفاقية ماندراوس

دون استشارة السلطان أو مراجعته؛ وأتخذ القرار بالموافقة المطلقة على الإتفاقية؛ التي كانت بداية النهاية للدولة العثمانية؛ وبداية الثورة الحقيقية على الدولة بكامل حرية أعضاء المجلس.

إن الحكم المطلق الذي كان يتمتع به السلطان عبد المجيد الأول والد السلطان محمد وحيد الدين؛ وأخو السلطان الأكبر عبدالحميد الثاني؛ لم يتمتع به السلطان محمد وحيد الدين على الإطلاق. لأن قوة السلطنة من قوة الخلافة ولا ينفصل أحدهما عن الآخر والمحافظة على الخلافة دون سلطان سياسي لها؛ يعني نهاية الخلافة. لقد كان القرار المطلق في يد عبد الحميد الثاني؛ بينما لم يستطع السلطان محمد وحيد الدين في هذه الفترة البسيطة أن يفعل كما فعل أخوه الأكبر عبد الحميد الثاني من تعين وعزل القادة في الجيش وسائر مؤسسات الدولة بحرية مطلقة؛ دون الخوف من أحد. لهذا أحتج الإتحاديون على السلطان عبد الحميد الثاني وثاروا عليه وخلعوه؛ فلما صار الحكم شركة بينهم وبين السلاطين؛ أبوا إلا أن يكون الحكم المطلق في أيديهم وحدهم. ولم يستطع السلطان محمد وحيد الدين في خلال هذه الفترة البسيطة من حكمه أن يصنع رجاله المخلصين على عينه. لقد كان اتصال السفراء مباشرة مع السلطان عبد الحميد الثاني؛ بينما كان الإتصال المباشر بين السفراء الأجانب والإتحادين على الدوام سواء علم السلطان محمد وحيد الدين أم لم يعلم.

لقد قارن علي فؤاد بك أحد رؤساء رجال الديوان السلطاني في عهد محمد وحيد الدين بينه وبين أخيه أكبر عبد الحميد الثاني فقال: **" بالنسبة لي أن أخو السلطان محمد وحيد الدين الأكبر السلطان عبدالحميد الثاني أفضل منه؛ لقد كان عبد الحميد الثاني صاحب عقل وتدبير وتأني ولا يتخذ القرار إلا بعد أن يدرس الأمور من جميع جوانبها؛ وكان يرفض التصورات المبنية على الوهم وعلى العجلة من مستشاريه التي قد تضحي بالدولة العثمانية".**

لقد كانت الحاكمية المطلقة التي يتمتع بها السلاطين حتى عهد عبدالحميد الثاني أفضل بكثير من حاكمية الإتحاديين التي نتج عنها جرائم في حق الدولة يصعب تداويها. وعندما يتحدث محمد وحيد عن المشروطية ونصوصها "نصوص الدستور" يقول بأنها تنص على: **" أن السلطان إذا أتخذ أي قرار عليه أن يعرض على المجلس وإما أن يوافق المجلس على القرار أو أن يرده؛ كذلك لا يحق للمجلس اتخذا أي قرار بدون الرجوع لرأس الدولة السلطان والحصول على موافقته. لكن في هذا الحال حدث العكس؛ لقد اصبح السلطان محمد وحيد الدين هو المسؤول وحده عن كل شيء باعتباره رأس الدولة. وبالنسبة لرؤوف بك لا توجد لمصطفى كمال باشا اي معذرة فيما حدث..."** بينما نجد في مذكرات مصطفى كمال

باشا هذه الفقرة: " **لا يوجد في نيتي إنشاء حكومة كمالية أو أن أكون هيئة معادية لجناب السلطان؛ ولم يكن في تفكير إعلان الجمهورية وإلغاء السلطنة على الإطلاق. بل على العكس من ذلك كان كل من يريد غصب الخليفة حقه وإهانة مكان الخلافة المقدس كان سيجد مصطفى كمال أمامه...بكل تأكيد".** هذا ما أفاد به مصطفى كمال باشا عن موقفه من الخلافة والسلطان محمد وحيد الدين أثناء العمل معه.

19.2. الصداقة مع الإنجليز والقرب من الفرنسيين

كل الأشياء التي يمثلها العرش العثماني على كثرتها؛ وما يرتبط بالإمبراطورية العثمانية المترامية الأطراف فجاة وبدون مقدمات أتى الزمان الذي أنتهت فيه. فعندما انتهت حروب البلقان ضد الدولة العثمانية بهزيمتها؛ لم تستطع الدولة العثمانية أن تلتقط أنفاسها؛ إذ سرعان ما بدأت الحرب العالمية الأولى ودخلتها الدولة العثمانية. ولعل اشرس ما في هذه الحرب أن الدولة العثمانية لأول مرة تحارب في تاريخها على جبهتان متوازيتان. الأولى ضد جبهة قوات الحلفاء. والثانية الجبهة الداخلية؛ حيث أفضت الصراعات الداخلية بهزيمة الدولة العثمانية. ففي 4 يوليو من عام 1918م عندما اعتلى محمد وحيد الدين العرش العثماني؛ لم تمر مدة بسيطة مضت الدولة العثمانية على اتفاقية مانداروس Mondros بتاريخ 30 أكتوبر من عام 1918م؛ والقبول بالتوقيع على وثيقة هذه الإتفاقية هي بداية الإنهيار الحقيقي لكيان الدولة العثمانية. ولقد ترك الحلفاء بعد الإمضاء على هذه الإتفاقية مدة 119 يومًا لكي يبدأ تنفيذها على الأرض.

هذه الإتفاقية التي تحدد من الغالب ومن المغلوب؛ وبالطبع الغالب سيفرض كل ما يريد على المغلوب. ولم يتبق للسلطان محمد وحيد الدين من طريق لإنقاذ الدولة العثمانية من مصيرها المحتوم؛ إلا طريق واحد هو طريق اتباع سياسة والده عبد المجيد الأول وأخيه عبد الحميد الثاني من التصادق مع الإنجليز والتقرب من الفرنسيين؛ وعدم الحديث في موضوع الحرب والتهاني في المناسبات؛ والتواصل الدبلوماسي بغرض كسب الوقت وإعداد العدة لاسترداد ما ضاع. وفي هذه المسألة تقول ابنة السلطان محمد وحيد الدين صبيحة سلطان: **"... أكثر من اربعين عامًا وولدي يرى سياسة أخيه السلطان عبدالحميد الثاني من الصادقة مع الإنجليز والتقرب من الفرنسيين...لهذا كانت هذه السياسة هي الجهة الوحيدة التي يرغب والدي وحيد الدين في الوقف إلى طرفها واتباعها. ولكن مع الأسف أن وقت إعتلاء والدي للعرش العثماني كان الزمان غير الزمان واختلف العصر عن العصر الذي يمكن فيه تنفيذ هذه السياسة".** لأجل هذا يقول السلطان محمد وحيد الدين في مذكراته: **" لقد حاولت أن أتعامل بالميراث الذي تبقى لي من السياسة العثمانية قبل الحرب العامة من والدي وأخي في التعامل مع دول الحلفاء عبر الصداقة والتقرب؛ وذلك رغبة مني في انقاذ الدولة العثمانية من الزوال. ولكني كنت أسير القدر الذي قدر علي أن أكون السلطان المغدور من قبل**

مقربيه ومعاونيه؛ والذي نتج عن سوء تصرفهم وسياستهم إلى إيقاظ الإتجليز وتنبيه الفرنسيين إلى سياسة التخذيل التي كنت أتبعها معهم لأجل إنقاذ الدولة العثمانية؛ مما ترتب عليه تغير في موافق الإنجليز والفرنسيين عكس ما كنت أرتب له. وهكذا ضاع ميراثي من سياسة أبي وأخي التي كانت قد تبقت لي من سياسات الدولة العثمانية".

لقد كان يرى السلطان محمد وحيد الدين أن الطريق الوحيد لانقاذ الدولة العثمانية من الإنهيار هو صداقتها مع الإنجليز. إلا أن العمل على عكس ما ان يخطط له السلطان محمد وحيد الدين أتى بنتيجة عكسية على الدولة العثمانية. إن هذه السياسة من التقارب مع الفرنسيين ومن الصداقة مع الإنجليز كان تصلح في عهدي عبدالمجيد الأول وعبد الحميد الثاني؛ وأما وإن الوضع قد تغير وخرجت إنجلترا من الحرب منتصرة؛ وصارت كالجمرة المشتعلة التي تريد تدير كل أعدائها؛ فقد أصبح من الصعب العودة بعجلة الزمان إلى الوراء. بيد أن السلطان محمد وحيد الدين كان يريد اللعب على وتر العداء الإنجليزي الروسي وفي ذلك يقول: **" لقد أردت استغلال العداء الروسي الإنجليزي؛ الإنجليزي الروسي في أن أضربهم ببعض لأجل صالح الدولة العثمانية".** غير أن الذي لم يستطع أن يستوعبه السلطان محمد وحيد أن روسيا القيصرية لم تعد موجودة منذ قيام الثورة الشيوعية بها عام 1917م؛ وأن روسيا أصبحت منكفأة على شؤونها الداخلية منذ قيام الثورة الشيوعية بها؛ وخرجت من دائرة الصراعات الدولية. وأما الفرنسيين فقد صاروا ضعافًا بعد الحرب العالمية الأولى وأنهكت قوتهم؛ ولم يبق قوي فعلي على الساحة الدولية سوى الإنجليز فقط؛ والذين لا هم لهم سوى أن تمتثل الدول المغلوبة لهم وأن ينفذوا كل يريده الإنجليز منهم. كما أن هذا ليس زمان عبد الحميد الثاني؛ إذ أنه في هذا الزمان فقدت الدولة العثمانية كل ولاياتها. ومن المعلوم تاريخيًا وسياسيًا أن المنتصر يفرض سياسته دائمًا على المغلوب. لقد كان الإنجليز حينها مثل الأمريكان اليوم.

لقد كانت سياسة السلطان محمد وحيد الدين ترمي إلى استغلال الإنجليز واستخدام قوتهم لصالح الدولة العثمانية؛ غير أنه غير مكترث بمتغيرات حوادث الزمان. لقد كتب الصحفي الإنجليزي وارد بريس Ward Price'a بتاريخ 23 نوفمبر 1918م في جريدة المملكة المتحدة الرسمية ديلي ميل: " إن هناك من هو خلف حزب الإتحاد والترقي ويرغب بدوام المحافظة على صداقتنا؛ و يعمل ويقول ويفكر في ذلك؛ علاوة على ذلك أنه يقوم بهذا العمل من كل قلبه". وفي ذلك يقول السلطان محمد وحيد الدين**:" في حرب القرم كان والدي عبد المجيد الأول حارب مع الإنجليز ضد الروس؛ وهذا هو الميراث الذي أخذته من سياسة والدي. لهذا السبب سأعمل بكل ما أوتيت من قوة على أن تبقى العلاقة مع الإنجليز قوية وأن تعود لسابق عهدها من الصداقة والود. وأنا لدي أمل في أمتنا النجيبة بأنها ستساعدني في تحقيق هدفي. على**

أنني سأستغل كل حادثة للعمل على إرجاع صداقتنا بالإنجليز لسابق عهدها بدون أي أعمال يندم عليها الإنسان؛ لكني لن أعطيهم في المقابل أي شيء. إن سياسيتي تهدف إلى تخدير الإنجليز في نفس الوقت الذي سأقوم فيه بتدعيم الأمة التركية بكل ما أوتيت من قوة لتنهض لمقاومة القوات الإنجليزية. لهذا فأن أقوم بهذا العمل بكل حرس ودقة. فإن اكثر من نصف شعب الأمة التركية يرغب في الموت مقابل تحرير ارضه من الإنجليز؛ ولكني لا أريد لهذه الدماء والنفوس أن تذهب سدى؛ بل أريد لهم قادة مخلصين يستخدمون كل هذه القوة الجبارة في حرب الإنجليز؛ لنحفظ قدر ما نستطيع الأرواح؛ وانا اعلم أن الإنجليزي لا ينظرون إلينا من منظار أننا امة لها شرف وصفات ذاتيه قوية؛ ويتمنون أن نكون على عكس ذلك. وأنا أكتب هذه الكلمات وهي كلها تخرج من قلبي".

لهذا نجد الصحيفة الإنجليزية الأخرى مورنينج بوست Morning تنشر حوارًا نقلاً عن لسان السلطان محمد وحيد الدين أرسل إليها بتاريخ 15 يوليو 1919م ذكر فيه معناً مشابهاً لمعنى السلطان محمد وحيد الدين في مذكراته؛ إذ نشرت تقول: **"إن السلطان محمد وحيد الدين دائمًا ما يقول:" أنا مثل والدي السلطان عبدالمجيد الأول واتبع سياسته في الحفاظ على صداقتنا مع الإنجليز. وأنا دائمًا ما أؤمن بروح الإنصاف والعدالة الإنجليزية. وأنا الوالد الأكبر لأمتي. وأنا كلما أرى عصابات الروم تقتل في أبناء أمتى؛ أتشبث أكثر بوجوب التخلص من هذه العصابات".**

وبالرغم من التوقيع على اتفاقية مانداروس والشدة التي تعامل بها الإنجليز مع الدولة العثمانية أثناء مفاوضات شروط الإتفاقية؛ إلا أن السلطان محمد وحيد الدين كان يتغاضى عن شدة الإنجليز محاولاً التلطف معهم؛ على أمل أن تعود الماء لسابق عهدها. الصدر الأعظم عزت باشا بعد توقيعه على اتفاقية مانداروس بتاريخ 27 أكتوبر من عام 1918م ارسل تلغراف إلى القصر السلطاني يقول فيه: **" رغم مرارة الشروط التي توجد في اتفاقية مانداوس إلا أنني وافقت عليها. وبالرغم من ذلك ليس عندي أمل في أن تتعامل الحكومة الإنجليزية بعين سياسة اللطف السابقة؛ ولن تغير سياستها الجديدة معنا. ونحن الذين سنتطلب منهم المسامحة بعد ذلك".**

القدم الثانية للسياسة هو ما حدث في ذلك الزمان من بعض الحوادث التي تركت أثرًا في التعامل مع الإنجليز. مثلاً بعد إحتلال إزمير تكونت هيئة من المواطنين وأتت إلى القصر السلطاني في استانبول لأجل النصيحة. حيث قالوا: **" لقد أتينا معًا أجل التواصل معكم؛ لأن ما يمكن أن نعمله بأيدينا لا نرغب في أن يفسد؛ لأن الهمة فقط في العمل لا تقع على السلطان وحده كما يعرض في التعامل مع الإنجليز**

والفرنسيين". ولقد تحدث السلطان محمد وحيد الدين أفندي في الصحفية الإنجليزية مورنينج بوست Morning Post'a بتاريخ 7 ديسمبر ولقد نقل عنه الصحفي الإنجليزي ما نصه: **" السلطان وأنا نحتاج إلى مساعدة الحكومة الإنجليزية لكي تبدأ الحركة في العمل سويًا. وقال أيضًا السلطان وحيد الدين:" نحن الأتراك قد أخذنا كل ثقافتنا المعاصرة من الإنجليز والفرنسيين".** في هذه الأيام كان يتوقع السلطان محمد وحيد الدين أن تأتي ثمار سياسته مع الإنجليز بنتيجة طيبة. وأن يأتيه المدد والإيجاب منهم على دعوته؛ لأنه كان يرغب في أن يستغل الإنجليز في الحفاظ على كيان الدولة العثمانية الذي شارف على الإنهيار. غير أن الباشا الشاب مصطفى كمال في تاريخ 17 نوفمبر 1918م قد كتب في جريدة المنبر قائلاً: **" لقد حاربت على جبهات كثيرة في أريبورنو Arıburnu وفي أنافارتا Anafarta وفي فلسطين؛ وفي كل هذه الجبهات لم أجد لنا عدوًا نقاتله سوى الإنجليز. لقد حاربت على جبهات عديدة وفي أراضٍ مختلفة للدفاع عن أقوام متعددة. ولم أكن حينها أؤمن بمنطق هذه الحرب؛ ولكن لأجل الدفاع عن الوطن وباعتباري عسكري من واجبات وظيفته الدفاع عن حدود الوطن وأمنه حاربت. لقد كنت لا أنام في هذه الجبهات. ولا يوجد في قلبي اثناء تواجدي في تلك الجبهات المتعددة سوى شيءٌ واحد؛ ألا وهو النفرة من أعداؤنا. إنني لست وحدي الذي يرى أن الإنجليز لن يحافظوا على استقلال الدولة العثمانية ولن يرعو حماية حريتها. ولو من باب الإنسانية التي يزعمون. إن من يفكر في ذلك؛ فإنما هو ينأى بنفسه عن الأمة العثمانية التي تنفر من الإنجليز وترى أن المعروف لن يأتي من صداقة الإنجليز؛ فالإنجليز لا يحبون أحد. وهذه هي قناعة الأمة العثمانية وقناعتي أيضًا. لأن محبة الإنجليز تعني أننا سنكون تابعين لهم؛ ونحن لن نكون تابعين لأحد".**

هذه الخاطرة السابقة تعود كلماتها إلى مصطفى كمال باشا وتعبر عن رأيه. ولكن نجد على الطرف الآخر صهر السلطان محمد وحيد الدين إسماعيل حقي أوقطاي يقول فيما معناه أن سبب تقارب السلطان مع الإنجليز رغبته في الحفاظ على حياة الدولة العثمانية؛ لقد كان كل شيء منهار؛ ولم تعد الدولة العثمانية كما كانت في سابق عهدها؛ وهذا ما أدركه السلطان محمد وحيد الدين؛ ولأجل ذلك أرسل عدة سفراء من قبل إلى لندن؛ محاولاً عمل سلامًا مستقلاً خارج الإتفاقيات الدولية مع الإنجليز؛ هذا ما فهمه إسماعيل حقي أوقطاي بك من السلطان وحيد الدين آنذاك؛ وفي ذلك يقول إسماعيل حقي بك في خواطره: **" بعد أن أعتلى السلطان محمد خان السادس العرش " محمد وحيد الدين" أراد ن يقوم منذ توليه حكم الدولة العثمانية بعمل صلح منفرد مع الإنجليز. وفي تاريخ 1 نوفمبر 1918م أرسل السلطان محمد وحيد الدين إلى معتمد**

السفارة الإنجليزية في سويسرا د. بارودي Dr.Parodi رسالة سرية. ولأجل تحقيق السلطان هدفه في التواصل مع الإنجليز لم يكن أمامه سوى ثلاث طرق:

1- **إيجاد طريق للتواصل مع الإنجليز من خلال سويسرا.**
2- **التواصل مع الإنجليز من خلال رحمي بك والي إزمير عبر مندوبهم ميديلي Midilli (وهذا الطريق الذي كان يفضله السلطان محمد وحيد الدين).**
3- **أن يتم الإتفاق مع الإنجليز والصلح معهم عبر نقاط حدود التماس مع سوريا؛ وفي نفس اليوم الذي فكر فيه السلطان محمد وحيد في هذا الأمر اختار لهذه المهملة ناظر التموين والإعاشة قره كمال Kara Kemal و وزير المعارف "التعليم" شكري بك وعرض عليهم ان ينقلوا عرضه للإنجليز في برن Bern"**

20.2. نزول الخوف كنزول الشبح

لقد كان الخلاف حادًا في وجهات النظر بين حكومة أنقرة وحكومة استانبول أثناء سنوات حرب الإستقلال. فكانت حكومة أنقرة تنظر قبل أي شئ لعمل الميثاق القومي وانقاذ ما يمكن انقاذه من الأعداء لأجل ترسيم الحدود؛ أما بالنسبة لحكومة استانبول فكانت ترى أن انقاذ مدينة استانبول وبقائها ضمن أراضي الأتراك في الأناضول هو الهدف الرئيس. فكان الأمر بالنسبة لحكومة استانبول سواء كانت الحرب موجودة أم غير موجودة على استانبول أن تبقى عاصمة للدولة العثمانية ولا تتغير. وكان أغلب ما يقلق السلطان محمد وحيد الدين وكل رؤساء الوزراء في عهده هو استمرار حكومة الباب العالي في استانبول ومنع ضياع مدينة استانبول. وهذا أكثر ما كان يفكر فيه السلطان محمد وحيد الدين وكل همه الشاغل؛ أن تبقى استانبول مدينة عثمانية وبها العرش العثماني وألا تضيع استانبول في عهده. وكان السلطان محمد وحيد الدين مع كل سلوك يصدر من الأعداء يتخذ رد الفعل المناسب من أجل أن يدفع عن استانبول غائلة السقوط في يد الأعداء؛ وكان يهدف إلى أن استانبول حتى لو سقطت في يد الأعداء عليها أن تكون جزءًا لا يتجزأ من الدولة التركية وأن يضيع عليهم فرصة تسليم استانبول لأي بلد آخر تحت أي ذريعة. وهذا كان هدفه الأسمى. وسنعطي مثالاً على ذلك؛ مثلاً بتاريخ 12 يناير 1920م أتى إلى المجلس النيابي الأخير في استانبول النائب عن مدينة هكاري Hakkâri Millet Vekili مظهر مفيد بك Mazhar Müfid Bey نيابة عن حكومة أنقرة وفي أحد اليام دعاه السلطان وحيد الدين إلى زيارته في القصر السلطاني وقاله له السلطان محمد وحيد الدين: " **إن ممثل هيئة حكومة أنقرة كماسة تاج العرش"** ثم قال له السلطان وحيد الدين: " **جزاك الله خيرًا مصطفى كمال باشا في دفاعه عن الوطن والأمة والسلطنة والخلافة؛ ومحاولته انقاذنا. إن شاء الله يكون السيد**

مصطفى كمال باشا بصحة جيدة. هل لا يستطيع أن يشرفنا مع أعضاء حكومته في استانبول؟! لأنني أتحصر على عدم لقائي به وجهاً لوجه". فرد مظهر مفيد بك على السلطان معقبًا: **" ألا تخشى يا جناب السلطان أن مثل هذه الزيارة الآن ربما قد توقع مصطفى كمال باشا وأعوانه في يد الأعداء؟! ألم تفكر في هذا؟! ولكن بالمقابل يستطيع جناب السلطان أن يشرفنا بالزياة في جبهة الأناضول بمدينة بورصة وهناك يمكنك لقاء مصطفى كمال باشا؛ وهذا حل وسط؛ فالجبهات من أنقرة حتى بورصة تحت أيدينا".** فعقب عليه السلطان محمد وحيد قائلاً: **" بأي شكل يمكن لي أن أزوروكم ألم تفكر في هذا؟ إن أهل استانبول إذا راوا أن السلطان قد خرج عنهم إلى أي مكان ستنتشر بينهم الشائعات وسيظنون أنني قد تركتهم وحدهم للقاء مصيرهم المحتوم؛ وستخور عزائمهم في المقاومة. ولا يجب أن يحصل الأعداء على مثل هذه الفرصة".** ثم نظر السلطان محمد وحيد الدين إلى مظهر مفيد بك في حدة ونهض واقفًا على قدميه سائلاً له:**" هل يا سيادة البك أفهم من كلامك أنك تعرض علي الفرار من استانبول عاصمة العرش العثماني ومدينة أجدادي؟!"** فرد عليه مظهر مفيد بك موضحًا: **" لا، يا جناب السلطان. ولكن في مثل هذه الظروف العصيبة التي تمر بها الدولة العثمانية ولم تكن موجودة في زمان أجدادكم؛ أعرض عليكم أن تكون على رأس الأمة في الأناضول؛ كما كان أجدادكم يرأسون كل شيء بأنفسهم".** فلما سمع السلطان محمد وحيد الدين قوله أشاح بوجهه عن مظهر مفيد بك وأعطاه ظهره ونظر إلى البحر من النافذة.

إن الذي يمكن استخلاصه من الحوار السابق هو رغبة السلطان محمد وحيد الدين في أن يحافظ على مدينة استانبول من الضياع؛ وكان هذا جل همه الشاغل. ومن موضوع استانبول نستذكر الخواطر والملاحظات التي ذكرتها أخت السلطان محمد وحيد الدين الكبرى مديحة سلطان في أثناء سنوات المنفى في سان ريمو San Remo وفي ماغنويا Manolya حيث كتبت عن مسألة رغبة السلطان محمد وحيد الدين في الحفظ على استانبول. الأميرة مديحة سلطان في نفس مزاج جدها الأكبر السلطان محمد الفاتح وأحفادها يشبهونها في ذاك المزاج. فهي تحب أن تتأنى عند معرفتها لأمر ما؛ ولا تتخذ فيه قرارًا سريعًا حتى تتبع حقيقة الأمر من كل الأوجه. وهي ذات مرة في حديقة فيلا ماغنويا Manolya Villası بالمنفى كان معها أخيها السلطان محمد وحيد وأحفادهما بعد وقت الظهيرة وكانوا يسيرون في الطريق قالت لأخيها:**" آه يا أخي؛ لقد ضربنا جميعًا من حيث لا نحتسب".** فعقب عليها السلطان محمد وحيد الدين: **" تقصدين عندما ذهبت من استانبول إلى رومونداوا Rum'undu... لقد كنت في كل يوم في كل صلاة أدعوا لأبناء بلدي ولمدينة استانبول أن يحفظها الله من المهالك؛ وعندما أقنعوني بترك استانبول لم اكن لأتركها لولا أنني تيقنت أن زمان مصطفى كمال باشا قد أتى؛ لقد اتفقت مع مصطفى كمال باشا على ترك استانبول كلعبة**

مزدوجة من طرفنا موجه للأعداء؛ لقد أتفقت معه أن خروجي سيتبعه عودة سريعة لها؛ على أن يقوم هو بالمحافظة على استانبول". لقد كان السلطان محمد وحيد الدين قلقًا جدًا بشأن مصير استانبول؛ لأنه إذا ضاعت عاصمة العرش العثماني؛ وذهبت إلى الأوروبيين؛ فإن هذا يعني ليس فقط خسارة للعائلة العثمانية؛ بل خسارة لكل الأتراك بلا استثناء. لقد كان السلطان محمد وحيد الدين يفكر بنفس المنطق الذي يفكر به الأوروبيون لكي يضيع عليهم فرصة ضياع استانبول من الأتراك. وكان معه حق في ذلك؛ وكان هذا الأمر يشغل دائمًا تفكيره. لأنه يعلم ذهنية الأوروبيين ويعلم كيف يفكرون وينظرون إلى مدينة استانبول؟! مثلاً في الأسبوع الأول من عام 1919م أرسل الإنجليز إلى استانبول بعثة دبلوماسية يرأسها من طرف وزارة الخارجية الإنجليزية توم بي هولر T.B.Holer[54] والذي أرسل للقاء السلطان محمد وحيد الدين بغرض نقل عاصمة الدولة العثمانية إلى بورصة؛ وذلك حسب ما كتبه توم بي هولر في مذكراته؛ هذه الزيارة التي أزعجت السلطان محمد وحيد الدين وكان هو ومن حوله في حالة قلق شديد من هذه الزيارة. وفي ذلك يذكر توم بي هولر في مذكراته: **"...بعد توقيع اتفاق السلام أصبحت إمبراطورية الترك الجديدة منحصرة في آسيا الصغرى فقط. وتضم جزء من ترقيا في البلقان وبعض الجزر وجزء من بلاد النهرين "العراق" ومن سوريا والجزيرة العربية... بيد أن الرئيس الأمريكي ويلسون Wilson Prensipleri يرى أن الوضع الأنسب لدولة الترك:" أن يقام في شرقها دولتين للأرمن والأكراد. على أن يغير لقب السلطان العثماني إلى السيد الكبير؛ على أن يوقع السلطان العثماني على صفحات وضع الأناضول السياسي الجديدة بهذا اللقب "السيد الكبير"؛ولا يجب أن يكون للسلطان العثماني ذو أي صفة دينية تمثله أمام العالم الإسلامي[55] ؛ وليس مهمًا تسمية الدولة الجديدة التي ستكون للترك في الأناضول؛ لكن المهم إعداد الإداريين الذين سيقودون عجلة مسيرة هذه الدولة الجديدة...على أن يعلم الترك أنه لم يعد في الإمكان**

---

[54] توم بي هولر T.B.Holer، عمل قبل الحرب العالمية الأولى كضابط بالقوات الإنجليزية الهندية؛ ثم عمل عام 1915م في منطقة الأحواز العربية قبيل الإحتلال الإيراني لها كقنصل وممثل الحكومة الإنجليزية بها ولقد استمر بعمله في الأحواز أربع سنوات حتى عام 1918م ؛ وخلال عمله بالأحواز استطاع التعرف على القبائل العربية ودراسة أوضاعهم؛ وأثناء تواجده بالأحواز زار الأماكن الكردية بمنطقة المهاباد شمال غرب إيران وتعلم هناك اللغة الكردية. في أوائل عام 1919م تم نقله من قبل الحكومة الإنجليزية ليعمل كضابط مخابرات إنجليزي في بغداد. ثم كلف بتاريخ 12 مارس 1919م بالذهاب إلى أماكن الأكراد شمال العراق ودراسة إنشاء وطن قومي للأكراد بشمال العراق وشرق الأناضول العثماني؛ لهذا بتاريخ 13 يونيو 1919م أرسل إلى حكومة لندن دراسته عن كيفية إنشاء وطن قومي مستقل للأكراد. ثم أرسل من قبل الحكومة الإنجليزية بتاريخ 3 يوليو 1919م إلى استانبول كممثل لبعثة وزارة الخارجية الإنجليزية لأجل بحث نقل عاصمة الدولة العثمانية من استانبول إلى غرب الأناضول في بورصة، أنظر Akşin, Sina. İstanbul Hükümetleri ve Milli Mücadele,; Türkiye İş Bankası. s. 539, 542-543;

https://tr.wikipedia.org/wiki/Edward_William_Charles_Noel

[55] يقصد الرئيس الأمريكي ويلسون بذلك نزع صفة الخليفة والخلافة عن السلطان العثماني والأسرة العثمانية؛ المترجم.

اعتبار مدينة استانبول مدينة مقدسة للمسلمين في العالم الإسلامي؛ وذلك بنزع الصفة الدينية عن استانبول.[56] وعلى الأتراك القبول بوضع المدينة غير المقدس الجديد. إن الميلاد الجديد للأتراك سواء وافقوا أم لم يوافقوا عليه؛ سيعني أن السلطنة لم تعد تناسب الذوق العام لدولة الأتراك الجديدة؛ وستعرض السلطنة على أنها خائنة للأتراك. فإن الجالس على عرش الأتراك اليوم ذو شخصية ضعيفة وليس له جرأة كافية لعصياننا. وهو لا يستطيع أن يفهم غايتنا وأهدافنا. وذاتًا القوميين الأتراك إذا لم يوافق السلطان العثماني على ما نقول سوف يتكفلون هم به ويسقطونه. السلطان العثماني الآن يتعامل مع القوميين ضدنا؛ ولكنه لا يعلم أنهم في الأصل ضده هو. وأن القوميين الأتراك سوف يدفعون به بعيدًا عن قصر يلدز. إن العائلة العثمانية مثل الشخص المرهق؛ ولم يعد الناس يثقون في قدرة العائلة العثمانية على قيادتهم؛ كما كانوا يقبلون ذلك في السابق؛ ولم يعدوا بكل تأكيد أصحاب القرار وحدهم كالسابق".

بتاريخ 4 نوفمبر 1920م وزير خارجة إنجلترا اللورد كروزن Lord Curzon كتب يقول في مذكراته: **"بكل تأكيد سنقطع دابر الترك عن استانبول؛ ولكن نحتاج إلى موافقة فرنسا معنا".** هكذا أفاد بهذه الكلمات؛ بيد أنه لم يستطع أن يذكر موافقة فرنسا من عدمها. غير أن اللورد كروزن ذكر أيضًا في مذكراته: **" بعد أن نخرج السلطان العثماني بعيدًا عن استانبول؛ فليذهب إلى أي أرضٍ شاء".** اللورد كروزن كان والي الهند الإنجليزي لمدة سبع سنوات؛ وله خبرة طويلة في التعامل مع المسلمين؛ ولقد كان المسلمون في الهند يتتبعون أخبار اللورد كروزن بعد رحلته إلى عاصمة دولة الخلافة استانبول. ولم يقوم المسلمون في الهند بأي عمل عدائي ضد القوات الإنجليزية. غير أن اللورد كروزن كان مصرًا على أن تتنازل الدولة العثمانية عن أملاكها في كل من ثيساليا Teselya واليونان ومصر وبلغاريا ومقدونيا[57] وجزيرة كريت؛ على أن تقطع الدولة العثمانية ببعض البلدان الإسلامية الأخرى. وفي هذه المسالة يذكر اللورد كروزن في مذكراته: **" إذا أراد الأتراك أن نترك لهم استانبول وألا ننقلهم بعيدًا عنها؛ فعلى الأتراك أن يستغلوا الفرصة التي عرضها الإنجليز عليهم؛ وألا يضيعوا هذه الفرصة من بين أيديهم".**

وبالرغم من كل ماسبق فإن الحكومة الإنجليزية كانت خائفة من ثورة مسلمي الهند ضدها نصرة للدولة العثمانية. وكانت تضع في حسابها إحتمال استخدام السلطان العثماني محمد وحيد الدين لسلاح الخلافة لإستثارة مسلمي الهند ضدها. وكانت تنتظر رد فعل السلطان محمد وحيد الدين وتستعد لأي احتمالات من ثورة محتملة ضدها من مسلمي الهند؛ وكانت الحكومة الإنجليزية تضع كل هذه الإحتمالات أمام عينيها.

---

[56] يقصد الرئيس الأمريكي ويلسون بذلك نزع صفة عاصمة الخلافة عن مدينة استانبول، المترجم.

[57] مقدونيا، في ذلك الوقت كانت ألبانيا وكوسوفا ونصف مقدونيا الحالية وشمال غرب اليونان الحالية تعرف بمقدونيا أي أرض ألبانيا، المترجم.

وفي مجلس العموم البريطاني بلندن بتاريخ 27 فبراير 1920م قال عضو مجلس العموم البريطاني قال السير دونالد ماكيلينكي Sir Donald Mac Leanqui : **"...في مؤتمر الصلح على الأتراك أن يعلموا أن المحبة القديمة في التعامل بيننا وبينهم قد أنتهت. (يقصد قبل الحرب العامة) وإن الأمة الإنجليزية سوف تفاجئ الأتراك بأكبر مفاجئة؛ ألا وهي اجماعها على ضرورة إخراج الأتراك من استانبول؛ وأن القرار قد أتخذ بالفعل لاجبار الأتراك على ترك مدينة استانبول بلا أدنى ريب. ليس نحن من وضع الأتراك في موضع ترك مدينة استانبول لنا؛ بل هم الذين وضعوا أنفسهم في هذا الموضوع عندما أتفقوا مع الألمان علينا في الحرب العامة؛ لأجل ذلك جلبوا لأنفسهم هذا العقاب من قبلنا. ونحن غير ملزمين أمام الأتراك بأي تعهدات على الإطلاق. لأن الأتراك إذا تركوا في استانبول؛ فإن هذا يعني استمرار سياستهم القديمة في التعامل معنا".** وبينما هو يقول ذلك علق عليه النائب إدوارد كارسون Edward Karson قائلاً: **" نحن نعرض في هذا المجلس موضوع طرد الأتراك من استانبول. غير أنه ليس بامكاننا للآن تحقيق هذا الغرض. لأن موضوع طرد الأتراك من استانبول يعني دخولنا في حرب لا يمكن أن يستهان بها. وما سيكون سبب هذه الحرب الآن؟! كما أننا سوف ندفع مصاريف جمة على الجيش والبواخر الحربية التي سوف ترسل إلى استانبول لإتمام هذه المهمة. وهذا الإنفاق الحربي سوف يؤدي إلى خنقنا اقتصاديًا والحرب العامة منتهية منذ فترة وجيزة. كما أن تفكيرك هذا سيدفع حكومة الأتراك في استانبول إلى التمسك بها كعاصمة لهم؛ وسيفسد علينا نقل عاصمتهم منها. لهذا لا يمكن الموافقة على عرضك أيها السير دونالد ماكيلينكي".**

من جهة أخرى كان في مجلس العموم البريطاني أثناء مناقشته موضوع طرد الأتراك من استانبول رئيس الوزراء لويد جورج Lloyd George. والذي عقب على المؤيدين والمعارضين من أعضاء مجلس العموم البريطاني لموضوع طرد الأتراك من استانبول معبرًا عن قلقه بشأن استانبول وقلقه من بقاء مقر الحكم العثماني واستمراره بها؛ وقد شرح لأعضاء مجلس العموم حقيقة وضع القصر العثماني وما يدور في داخله فقال: **" لقد أغرق الأتراك سفننا الحربية اثناء عبورها من مضيق البوسفور وكان ذلك مثل الصدمة العاصفة بالنسبة لنا؛ لهذا يستحيل أن يتم إحتلال استانبول بهذه السهولة في أي زمان. إن استانبول هي المنفذ الوحيد للطرق التجارية مع النمسا والمجر وواسطة العقد بين السفن الذاهبة والآتية من وإلى البحر الأبيض المتوسط والبحر السود. وإذا قمنا بمحو استانبول لأجل احتلالها؛ فإننا بذلك نخنق هذه البلاد ونقطع طريق المواصلات البحري بين البحرين الأسود والمتوسط. لذا إذا أردنا السيطرة على استانبول والتحكم فيها؛ فعلينا أن نقضي على حكومة الإمبراطورية العثمانية في استانبول؛ فإذا استطعنا اسقاط الدولة العثمانية؛ فإننا حينها سنتحكم في استانبول؛ ولكن على ذلك أن يحدث دون أي تصادم عسكري**

مباشر مع حكومة استانبول. ولقد بدأنا بالفعل في اسقاط حكومة العثمانيين في استانبول؛ وذلك بجعلنا الأمم المختلفة التي كانت تحت سلطان العثمانيين تستقل استقلال ذاتي عنهم؛ وهذا ما أوجدناه في شبه جزيرة العرب وفي الجزيرة الفراتية بشرق الأناضول وفي أرمينيا وفي سوريا وفلسطين. نحن المهم بالنسبة لنا قبل الإستيلاء على استانبول أن نسقط أهم حكومة إسلامية تعبر عن وحدة المسلمين وتمثلهم أمام أمم الأرض؛ هذه الحكومة التي تتمثل في حكومة الأتراك؛ وهذا هو الأهم قبل أن نطرد الأتراك من استانبول. وعلينا أن نجهز على حكومة استانبول ونقضي عليها قبل أن يستيقظ المسلمون من سباتهم. لأنهم إن أستيقظوا بعد سقوط حكومة الخلافة؛ أفضل من أن يستيقظوا وحكومة الخلافة موجودة؛ ويمكن لهم أن يلتفوا حولها. إننا إن أعلنا رغبتنا في احتلال استانبول بالقوة فإن المواطنين الإنجليز الذي يسكنون في آسيا سيتعرضون لأضرار بالغة من قبل السكان المسلمين. إن توقيع الأتراك على اتفاق السلام معنا وقبولهم بشروط السلام التي وضعناها؛ ونشرنا لشروط السلام في الجرائد يجعل حكومة استانبول مجرمة في نظر الأتراك. وهذا ما سوف يستغله الراغبين في انشاء تركيا الجديدة ضد حكومة استانبول وسيعرضون جرائمها وأنها حكومة مجنونة تستحق العقاب بعد قبولها بشروط السلام معنا. إننا لا نرى أي صديق لنا على الإطلاق من الأتراك سواء من المعارضين أو من قبل حكومة استانبول. وبعد أن غابت نصف مساحة الإمبراطورية العثمانية عنها أو أكثر؛ أصبحت عاصمة الخلافة استانبول تحت تهديد اقتحامنا لها في أي وقت. ذاتًا الجيش التركي سيتفكك عمل قريب؛ خاصة بعد ضياع القيمة الإعتبارية له من نفوس الأتراك. وسوف نعطي للأتراك أقسى عقوبة لهم؛ وسيأتي لحكام الأسرة العثمانية مع الأتراك عقابًا مخيفًا سيستمر معهم على مدى الأيام".

لقد كان القلق يعم الجميع بعد اجتياح جيوش الحلفاء للأناضول؛ وقد ذكر في تقرير المخابرات الإنجليزية الذي أرسل إلى لندن من قبل أعين رجال المخابرات الإنجليزية؛ من داخل القصر السلطاني بتاريخ 31 مارس 1920م الآتي: **"...إن السلطان محمد وحيد الدين قلق على حياته من إحتمال وجود انقلاب عسكري ضده من داخل القصر السلطاني. لهذا أمر بزيادة أعداد الحرس الخاص المسؤل عن تأمين القصر السلطاني؛ وأن يتبادلوا النوبات الليلية بينهم باستمرار. وفي شهر رجب من ليلة الإسراء المعراج أخذ السلطان محمد وحيد الدين أثناء الإحتفال بهذا اليوم تدابير جديدة. فوضع على كل مداخل القصر السلطاني حراسة مشددة. وذلك أثناء اجتماعه مع أمراء الأسرة العثمانية في قاعة القصر السلطاني. والذي ازدحم بالأعداد الغفيرة منهم. وفي هذا الإجتماع قال أمراء الأسرة العثمانية للسلطان محمد وحيد الدين:" لن تأخذ قوات الحلفاء منا استانبول بأي ثمن؛ وليفعلوا ما يشاءون". وهكذا بدأت المناقشات**

أثناء هذا الإجتماع. وبعد تعبير الأمراء عن رأيهم بشأن استانبول قال لهم السلطان محمد وحيد الدين:"يجب على أفراد العائلة العثمانية أن ينتقلوا للسكن والإقامة في قونية بالأناضول".

21.2. هل الحق في الإستسلام؟!

هل كان عرض جانب سياسة اللين من قبل القائمين على قيادة الدولة العثمانية حينها هو السبب في استسلام الدولة لأعدائها؟ حتى اليوم لا نستطيع أن نعطي جوابًا مؤكدًا على هذا السؤال. لأن ما يتوافر لدينا في أرشيف الجمهورية التركية غير كافٍ لإعطاء إجابة متكاملة على هذا السؤال. كما أننا لا نعرف قبل أن تحتل أزمير من قبل الأعداء هل كان بأرشيفها ما يؤكد اختيار طريق التواصل مع الإنجليز عبر إزمير لعقد اتفاق خاص معهم خاص بالدولة العثمانية؟! مع الأسف مازال هذا الأمر لليوم يعد لغزًا كبير. وكان أول احتمال خاص بموضوع قبل الدولة العثمانية مع الإنجليز ما أشار إليه مصطفى كمال باشا في بعض ملاحظاته.

كان صهر السلطان محمد وحيد الدين؛ فريد باشا مع أعضاء حكومته وبحضور شيخ الإسلام دوري زاده عبدالله Dürrizade Abdullah صاحب الفتاوى المتعددة بشأن منع تأسيس حكومة مستقلة في أنقرة بقيادة مصطفى كمال باشا وأصدقائه؛ إلا أنه عندما أصدر هذه الفتاوى كانت بعد تشكيل حكومة أنقرة بأسبوعان. وبعد إفتتاح المجلس النيابي للحكومة الجديدة في أنقرة بيومان عقدة أحدى جلسات المجلس السرية بقيادة مصطفى كمال باشا والتي قال فيها: **" هل يمكن أن تتصوروا أن يفكر خليفة المسلمين في أي شيءٍ آخر غير ذلك؟ أنا شخصيًا لا أفكر في أي شيء؛ ولكن إذا سمعت من السلطان هذا الأمر حينها فقط يجب أن أفكر فيمن يحاول أن يضعنا تحت الضغط؛ وسأتخذ قراري بناءًا على ذلك".** لقد حاول شيخ الإسلام دوري زاده أفندي من استخدام الحلية مع مصطفى كمال باشا حتى أنه في بعض الأيام أرسل رسائل راقية جدًا لمصطفى كمال باشا؛ لكن كان عرض هذه الفتاوى كمال ذكر مصطفى كمال باشا: **" انه دائمًا ما يطالبنا بإعطاء خليفة المسلمين حقه في عدم الحجر على حريته".**

ولقد اقتطفنا من كلام مصطفى كمال باشا في شأن هذه المسألة بعض الكلمات؛ حيث علق يقول: **"إن مدينة استانبول رسمًا وفعلاً تحت الإحتلال. اليوم استانبول تعنى لندن؛ ولندن تعني استانبول؛ ولا يوجد فرق بين الإثنتان على الإطلاق. اليوم بكل أسف الذي أعطى للندن هذه الفرصة للتحكم في استانبول هو خليفة المسلمين القائم بها؛ الذي جلب للعالم الإسلامي هذا البلاء؛ ولم يراع حرمة أجدادنا؛ لا لشيء؛ لسوى لأنه يريد أن يبقى السلطان...فإن خليفتنا المعظم عندما يريد أن يذهب إلى الصلاة في المسجد**

الجامع؛ تكون القطائع العسكرية التي تحميه بكل تأكيد ليست من عساكر الإسلام. إنهم عساكر الإنجليز. هذا الفعل الساقط الذي وضع خليفتنا فيه نفسه؛ يستحيل أن يكون بكل تأكيد بغرض إرجاع العلاقات الدبلوماسية مع الإنجليز كسابق عهدها. وأنا أريد أن أعرض الصورة كمالة من كل الأوجه:"لقد فرضت علينا الأوضاع التواصل مع الإنجليز. لكن السؤال؛ ماذا نحن نريد؟! إذا كان هذا التواصل مع الإنجليز بغرض الحفاظ على مقامي السلطنة والخلافة واستقلالهما؛ فمن المستحيل وجدانيًا أن يكون هناك أمل في ذلك؛ جراء هذا التواصل مع الإنجليز. لهذا السبب نعمل من هنا وسنعمل بعيدًا عن استانبول. هل يمكن أن تتصوروا أن يفكر خليفة المسلمين في أي شيء آخر غير ذلك؟ أنا شخصيًا لا أفكر في أي شيء؛ ولكن إذا سمعت من السلطان هذا الأمر حينها فقط يجب أن أفكر فيمن يحاول أن يضعنا تحت الضغط؛ وسأتخذ قراري بناءًا على ذلك...وأنتم قد علمت بخبر الفتوى التي قرأناها معاً قبل أيام والتي كانت تحتوى على عبارات موضوعة على لساننا. فهل يمكن بعد ذلك أن يعطى مثل هذا الخليفة الحرية أو أن يكون له القدرة على اتخاذ قرارته وحده؟!".

لكن مع الأسف لم ينظر البعض حينها إلى كون السلطان الوالد محمد وحيد الدين كان يخدر ويلاعب الإنجليز. وأنه لم يكن في يده حينها أي قوة أخرى يملكها؛ فهل كان المعترضين عليه حينها يرغبون في أن يترك لهم استانبول. لكن الذي يعلم حقيقة كل الأحداث التي وقعت مع السلطان محمد وحيد الدين وخصومه بالتفصيل الدقيق هم الإنجليز. فهل كان أمام السلطان محمد وحيد الدين طريق آخر لكي يحافظ على استانبول ويمنع خروج مقام الخلافة منها؟! لذلك المعترضين قديمًا وحديثًا على السلطان محمد وحيد الدين لا ينظرون إلى ما قام به من تواصل مع الإنجليز من هذه الزاوية. ولا يعلمون أصلاً ماذا حدث؟! ولكن الخطأ الذي وقع فيه السلطان محمد وحيد الدين أنه ظن أن الإنجليز من الممكن أن يحافظوا على بقاء القصر العثماني والعائلة العثمانية ولا يستبدلوها بعائلة أخرى في حكم استانبول والأناضول.

22.2. هل من الممكن أن يفتدي السلطان الصدر الأعظم؟!

من المعلوم في التاريخ العثماني أن السلاطين دائمًا ما يكون إلى جوارهم الصدور العظام "رؤساء الوزراء". فكان إلى جوار السلطان سليمان القانوني الصدر الأعظم صوقولو[58] محمد Sokollu

---

[58] صوقولو Sokollu، كلمة تركية تعبر عن كل من حكم رئاسة الوزراء من الألبان من منطقة كوسوفا الألبانية بمنطقة البلقان. والتي فتحها السلطان مراد الثاني عقب موقعة قوصوه 852هـ/1448م؛ فالأسم العثماني لكوسوفا هو قوصوه؛ وأما لاحقة لو Lu العثمانية للنسبة فتعني أنه من كوسوفا؛ وكلمة كوسوفا في اللسان الألباني تنطق بحرف الألف؛ لكن عند استقلال كوسوفا؛ كتبها الإنجليز في الخرائط العالمية مع الأمريكان على أساس اللساني الصربي بالواو فكتبوها كوسوفو بدلاً من كوسوفا؛ ليستمر في الأذهان أن كوسوفا إقليم صربي؛ وذلك عبر تزييف الوعي والتاريخ؛ وكانت هناك عائلة ألبانية قد تولت حكم الصدارة العظمى في الدولة العثمانية ما

Mehmed، وكان إلى جوار السلطان أحمد الثالث صهره الصدر الأعظم الناف شهيرلي إبراهيم Nevşehirli Damat İbrahim؛ وكان إلى جوار السلطان عبدالمجيد الأول الصدر الأعظم مصطفى رشيد؛ كذلك كان إلى جوار السلطان عبد الحميد الثاني الصدر الأعظم سعيد باشا ثم كمال باشا؛ وهكذا. كذلك كان إلى جوار السلطان محمد وحيد الدين إثنان من الصدور العظام. فريد باشا صهر السلطان وتوفيق باشا. ومن الملاحظ أن هناك صلة قرابة بين فريد باشا وتوفيق باشا ومصاهرة مع السلطان محمد وحيد الدين. وكلاهما استمروا مع السلطان محمد وحيد الدين سنوات عديدة؛ وكان لهم تأثير على سياسة السلطان.

في أثناء حرب الإستقلال كان الصدر الأعظم فريد باشا من اكثر الصدور العظام الذين مكثوا إلى جوار السلطان وحيد الدين. لدرجة أنه عزل وعاد إلى الصدارة العظمى خمس مرات. حتى أنه عند ذكر السلطان محمد وحيد الدين عند المعارضين له كانوا يذكرون قائلين: **" السلطان وحيد الدين وصهره الخائن فريد باشا... وهما السبب في إشعال شرارة حرب الإستقلال بعيدًا عنهما".** في الحقيقة لا أحد يستطيع في هذه الفترة القطع بخيانة أحد دون الآخر؛ فلربما يكون الأول المتهم بالخيانة هو الصادق؛ ويكون الثاني المشهور بالكذب هو الخائن؛ أو العكس بالعكس. لكن من المعلوم أن فريد باشا ذكر في مذكراته: **" لد اتبعنا سياسة المحافظة على صداقة الإنجليز والتقرب من الفرنسيين؛ لأجل أن نكسب الوقت؛ ورأينا أن هذه هي السياسة الأنسب؛ لكي لا يعاودوا الهجوم علينا؛ ولقد حاولنا الحفاظ على بقاء الدولة العثمانية المعظمة عن طريق اللعب معهم".** لكن علينا أن نلاحظ أنه بعد توقيع معاهدة سيفرس Sevres لم يعد هناك الصدر الأعظم فريد باشا؛ ومحي من صفحات التاريخ ذكره. وكانت هذه المعاهدة بتاريخ 10 أغسطس 1920م. وفي تاريخ 17 أكتوبر 1920م؛ قام الإنجليز بتشكيل هيئة مع الفرنسيين والإيطاليين والأمريكان وقام بمقابلة كل من السلطان محمد وحيد الدين مع صهره فريد باشا؛ وطالبوا باستقالة فريد باشا وتولية توفيق باشا مكانه الصدارة العظمى. فقام فريد باشا بتقديم استقالته في نفس هذا اليوم عقب انتهاء لقاؤهم بالسلطان محمد وحيد الدين.

حسنًا من هو الصهر فريد باشا؟!

هو ابن عضو مجلس الشورى السيد حسن عز الدين واسمه محمد فريد باشا. ولد في استانبول عام 1853م. في مرحلة الشباب كان لديه حماس ناحية الحضاة الأوروبية. لذا قام بزيارة باريس وبرلين وبطرس

يقارب من مائة عام؛ وحافظت باخلاص على وحدة وكيان الدولة العثمانية؛ عرفت باسم عائلة كوبورللي. والألبان هم الأرناؤط ومازال اسمهم في اللغة التركية للآن اسم الأرناؤط Arnavutluklular، المترجم.

برج بروسيا ولندن. ولقد عمل في كل المدن التي زارها. وسعى في أن يتم تعينه كاتب ثان برتبة وأن يكون رئيس فرع في القنصلية العثمانية بلندن؛ غير أن تعينه رفض؛ وذلك لأنه كان الزوج المختار لابنة السلطان عبدالمجيد الأول مديحة سلطان؛ ولأن الرجل المقرب من السلاطين؛ فلا يجب أن يبتعد عنهم. وبعد زواجه من الأميرة مديحة سلطان أخذ لقب دامات أي الصهر. وقد أنجبت منه مديحة سلطان ابنها عبدالرحمن سامي وكان عمرها إذ ذاك ثلاثون عامًا. وقامت الخزينة الحسنية للدولة بتخصيص مبلغ مالي للإنفاق على الوليد عند بلوغه عمر الست سنوات؛ كما أن مديحة سلطان سكنت مع زوجها فريد باشا في قصر بلطه ليمان Baltaliman Sarayı. والذي سكنت فيه من قبل فاطمة سلطان. وكان من المشهور أن أصهار السلطان عبدالمجيد الأول دائمًا ما كانوا يموتون في هذا القصر. حتى أن زوج ابنة السلطان عبدالمجيد الأول فاطمة سلطان الصهر علي غالب بن مصطفى رشيد باشا قد أبتعد عن البوغاز بقاربه من أمام منزله في أحدى ليالي شهر ديسمبر 1858م؛ ثم عثروا عليه غريقًا. فقامت فاطمة سلطان بعده بالزواج من أحد رؤساء الديوان السلطاني وهو الحاجب مشيري نوري باشا؛ وبعد زواج فاطمة سلطان في المرة الثانية أصيبت بفاجعة وفاة زوجها الثاني المشيري نوري باشا؛ ثم تزوجت فاطمة سلطان من عبدالعزيز باشا والذي استطاع أن يكشف أن سبب موت زوجها الثاني جناية أرتقبت في حقه وازهقت روحه بسببها. أما مديحة سلطان ففي آخر حياتها تزوجت من الأمير نجيب باشا أحد أمراء البيت العثماني؛ والذي لم يعش كثيرًا حيث توفى في عام 1885م حيث توفى بمرض التيفود عن عمر يناهز الثلاثون عامًا.

وهكذا عاش فريد باشا مع زوجته مديحة سلطان في هذا القصر الذي يلتهم كل عاشق بالموت. في الربع الأخير من عام 1800م لم يكن فريد باشا قد حصل على لقب الباشوية بعد؛ كان مازال بك. وتختلف الروايات حول دور مديحة لسلطان في حصول فريد باشا على لقب الباشاوية. غير أنه من الثابت أنها عندما رأته من خلف سبت تابوت زوجها الأول أعجبت به. وكان الواسطة في زواج مديحة سلطان من فريد باشا أخوها الأكبر عبدالحميد الثاني والذي كان السبب في إعطائه لقب باشا. وكان فريد بك قبل الباشاوية قد عمل عدة سنوات في لندن ثم في باريس مع نجيب باشا. وكان فريد بك وهو في باريس يقضي المساء من نهاية كل أسبوع مع الشاعر الكبير عبدالحق حامد بك. ثم ذهب فريد بك إلى باريس مع هذا الشاعر وصديق ثالث؛ وهناك حصولوا على شهادات في مجال تخصصهم. وكان فريد بك في آخر أسبوع له في باريس يلتقط الصور له ولأصدقائه. وفي ذلك الوقت كانت مديحة سلطان تصر على أخيها الأكبر عبدالحميد الثاني أن يزوجها ممن تحب بعد وفاة زوجها الأول لأنها لا تريد أن تكون وحيدة.

وبخصوص زواج الأميرة مديحة سلطان من فريد بك لم نعثر إلا على وثيقة خطاب موجه إلى السلطان عبد الحميد الثاني وموقع عليها من قبل الصدر الأعظم كامل باشا مؤرخة بتاريخ 5 فبراير 1886م. وهذا الخطاب عبارة عن تقرير عن وضع فريد بك؛ وذلك في هذا التقرير بما أن الأمير مديحة سلطان لم تعدد الإختيارات؛ فإننا بعد البحث تبين لنا أن فريد بك مناسب للزواج من الأميرة مديحة سلطان؛ لهذا دعى السلطان عبدالحميد الثاني فريد بك لزيارة القصر السلطاني وعرض عليه الزواج من أخته الأميرة صبيحة سلطان. وفي ذلك يذكر الصدر الأعظم في خطابه حسب الترجمة من اللغة العثمانية إلى اللغة التركية الحديثة الآتي:"**...بشان رغبة الأميرة مديحة سلطان في الزواج من فريد بك؛ فإنني أعرض عليكم يا جناب السلطان ما توصلت إليه من أن فريد بك شخص مناسب للإرتباط بالعائلة السلطانية؛ وأن عائلته من العائلات التي تعمل في مؤسسات الدولة وهذا هو الشيء الأول؛ أم الشيء الثاني أنه رجل ذو أخلاق؛ أما الشيء الثالث أنه لم يتراهق مع النساء؛ أما الشيء الرابع أن عمره أقل من الثلاثين ولا يصل إلى درجة الأربعين من العمر. لهذا السبب أنا قولت لكم يا جناب السلطان أنه شخصٌ مناسب للإرتباط بالعائلة السلطانية. ومثلاً لقد بحثت بين أحفاد الصدر الأعظم مصطفى رشيد باشا فوجدت أن فريد بك من صلب أحفاده. لهذا أنا لا أرى أنه مناسب من الناحية العمرية للأميرة مديحة سلطان؛ لكني بحثت بين الباشاوات فوجدت أن الشخص المناسب هو شكيب بك بن ثريا باشا؛ إلا أنه يوجد نقص في أخلاقه؛ وهذا ما يتميز به فريد بك عن شكيب بك. كما أن شكيب بك يحب الجواري؛ ويرى نفسه أنه يتمتع بكامل الحرية في اختيار من يحب؛ وهذا خلافًا لفريد بك. لهذا أنا في النهاية أرجح فريد بك بن المرحوم عز الدين باشا للزواج من الأميرة مديحة سلطان. ولقد تقابلت معه قبل أن يترك عمله في سفارتنا بلندن ويأتي إلى استانبول. ولقد رأيت فريد بك شاباً لائقًا لهذا الزواج من كل الأوجه فعندما كلفته بانهاء عمله والسفر من لندن إلى استانبول لم يعترض؛ كما أنه صاحب أخلاق؛ إلا أن عمره غير مناسب للأميرة مديحة سلطان. أما من النواحي الأخرى فتقييمي له أنه لائق لها. وبخاصة أنه شاب جميل حسن المظهر؛ فإذا كان هناك اصرارًا على الإرتباط معه من قبل الأميرة مديحة سلطان؛ فأنه من الأنسب أن ترفع رتبه الوظيفية وكذلك يرفع درجة إلى الباشاوية ليكون مناسبًا أن يكون عضوًا من العائلة العثمانية. وأنا أنتظر أمر السلطان أو فرمانه بخصوص ترقية فريد باشا".**

عبدكم

كامل

رغم أن هذا الزواج لم يكن مناسبًا للأمير مديحة سلطان من الناحية العمرية إذ أنها تكبر العريس؛ إلا أنها اتبعت هوى قلبها وأصرت على إتمام هذا الزواج؛ مستغلة موقعها في الدولة؛ وقدرتها على إتمام هذا

الزواج. فهي ظنت أنها إذا أعطت لفريد بك الباشاوية ستكسب قلبه؛ إلا أنها لم تكن لتنتبه إلى أنها تزوجته وأصبحت هي الآمر الناهي في حياته؛ وأنه كان ينتظر الساعة واللحظة التي يستطيع أن يفر منها من هذا الزواج؛ وكان فريد باشا يفكر في ذلك على الدوام. لكنه بعد زواجه من مديحة سلطان فطنًا لدرجة أنه كان لا يظهر لها ذلك. حتى أنه كتب في مذكراته قبيل وفاته: **" إن جملة الأشياء التي أعانيها من حصرة وألم في حياتي؛ كان سببها زواجي من مديحة سلطان".** وكانت مديحة سلطان غير مراعية لمشاعر زوجها الجديد فريد باشا؛ فأجبرته أن يسكن معها في قصر بلطة لماني Baltalimanı Sarayı وذات يوم وهي تجلس في حديقة هذا القصر أمام نافورة وبركة الماء كانت تنظر إلى طوابق قصرها وإلى حجرة نومها في الطابق العلوي من القصر. والذي كانت تقضي فيه جل وقتها مع زوجها السابق نجيب باشا. فقد رفضت بعد زوجها من فريد باشا أن تغير أثاث غرفة نومها؛ كما رفضت أن تغير حجرة نومها التي كانت زمن زوجها المرحوم نجيب باشا؛ كما رفضت أن تنزع صوره من حجرة نومها أو من على جدران القصر. وهذه الأمور كانت تشعر فريد باشا بالمرارة والألم؛ لكنه كان يتظاهر بأن الأمر لا يعنيه برمته.

وفي ساحة التاريخ نجد أن هذا الزواج بين مديحة سلطان وفريد باشا قد عاد بالنفع على فريد باشا من الناحية المادية. فقد أخذ لقب الباشاوية؛ ثم أخذ درجة رتبة وزير؛ وإن لم يعين وزيرًا. ثم عين في مجلس الأعيان عضوًا. غير أن فريد باشا كان من أوائل المؤيدين لإستبدال الحروف العربية بالحروف اللاتينية في اللغة التركية العثمانية؛ وكان من أوائل من كتبوا باللغة التركية بالحروف اللاتينية. لهذا كان البعض يلقب فريد باشا بجور باشا أي الباشا الطاغوت الظالم؛ إذا أنه مكث مقربًا من العائلة العثمانية في قصر بلطمة ليماني؛ ولا يظهر ما يخفي في نفسه مدة طويلة؛ ولكن سرعان ما أظهر ما في قلبه عندما شارفت الأسرة العثمانية على الزوال. وكانت سياسة فريد باشا مرتكزة على الصداقة مع الإنجليز. لذا لما اصبح الصدر الأعظم سعى للتواصل مع الإنجليز وفتح قنوات اتصال مباشرة معهم؛ وفي ذلك يقول بكل وضوح: **" لا أمل في إنقاذنا إلا من الله ومن إنجلترا".**

لقد كانت واسطة الأميرة مديحة سلطان لدى أخيها السلطان السبب في سفر زوجها فريد باشا إلى لندن لكي يعمل سفيرًا للدولة العثمانية هناك. وفي ذلك قال السلطان عبد الحميد الثاني: **" نحن لا نرسل أحد إلى إنجلترا لأنه من مواطنينا؛ السفارة العثمانية في إنجلترا سفارة مهمة في بلد مهم؛ وليست كتاب لتعليم الصبيان؛ لهذا لا يعين لها سفيرًا؛ إلا من أصحاب النظر العميق والتجربة. لهذا تم تعينك".** وكان السلطان عبدالحميد الثاني يعتقد أن فريد باشا لن يكن عونًا له في المحافظة على كيان الدولة العثمانية ولا على ميراث

أجداده. لأنه ما طلب الذهاب إلى لندن؛ إلا ليكون مثل الأرنب الهارب؛ لا لشيء؛ إلا لرغبته في الفرار من متابعة القصر السلطاني له.

فلما تم إعلان المشروطية " الدستور" في الدولة العثمانية كان أحد أهم رجال الإتحاد والترقي فريد باشا. وكان فريد باشا يتحدث في كل مكان باسم الإتحاد والترقي؛ وكان يقوم بالدعاية لهم وسط جموع الشعب العثماني في الأناضول. وكان يرى أن المشروطية من القوانين الوضعية؛ ما هي إلا عدالة السماء إلينا. بيد أن أعضاء جماعة الإتحاد والترقي قد أهملوه ولم يلتفتوا له أصلاً؛ على الرغم من المساعدات الكثيرة التي كان يقدمها لهم في الخفاء؛ قبل وصولهم للحكم. إلا أن الإتحاديين كانوا يقطعون لسان كل من يخالفهم أو أن يشنع عليهم. وكان فريد باشا يعتقد أن السلطان السياسي إذا توافر في يد الإتحاديين لن يكون هناك أعداء للدولة؛ غير أنه فوجئ بعكس ذلك. فلما بدأت حركة الأناضول لأجل الاستقلال كان فريد باشا ضدها. وكذلك كان السلطان محمد وحيد الدين كان ينظر إلى حركة الأناضول إلى كونها تسعى لنزع السلطان السياسي من يد السلطان العثماني من جديد.

وفي أثناء وجود فريد باشا في المنفى وفي أثناء كتابته لمذكراته؛ ألف أحد المؤرخين العثمانيين موسوعة مكونة من 12 مجلدًا عن تاريخ الدولة العثمانية؛ أعتمد فيها على مذكرات فريد باشا. وبعد توقيع معاهدة سيفرس Sevres قام فريد باشا بترك أمانته لدى السفير العثماني رشاد خاليص باشا Reşad Halis Paşa في مدينة برن Bern بسويسرا؛ وظل أمانة فريد باشا مع السفير رشاد خاليص باشا لم يستخدمها عدة سنوات حتى أندلعت الحرب العالمية الثانية؛ وكان وقتها رشاد خاليص باشا في باريس فقام بعد سقوط باريس تحت أقدام سنابك الخيل الألماني بإلقائها في المدفئة ورأها وهي تشتعل عن آخرها بشكل جيد.

لقد جلس فريد باشا بسبب زواجه من الأميرة مديحة سلطان سنوات عدة في القصر السلطاني؛ من خلال هذه السنوات تعرف على السلطان محمد وحيد الدين عندما كان ما يزال واليًا للعهد. غير أن فريد باشا أصبح أشد سوءًا بعد تولي محمد وحيد الدين السلطنة. ومن قبلها عندما تزوج من مديحة سلطان ساءات أخلاقه كثيرًا فكان يجلس أمامها في قصر بلطه ليماني Baltalimanı Sarayı بالساعات مع الجواري. ولقد ضجرت زوجته مديحة سلطان منه نفسيًا لذلك؛ ولم تكن لتتخيل بأنه سيكون بهذا السوء. وذات مرة زار الأمير محمد وحيد الدين أخته الأميرة مديحة سلطان في قصر بلطه ليماني. واثناء سيره في الحديقة مع أخته؛ وجد على الطرف الآخر من الحديقة فريد باشا وهو يمطي صهوة جواده وبيده سوط ؛ فلما رأه الأمير محمد وحيد الدين؛ أشار للأمير محمد وحيد الدين بيده التي بها السوط؛ ولم يأتِ إليه. وحينها تذكر الأمير

محمد وحيد الدين كيف أن فريد باشا كان قبل زواجه من مديحة سلطان؟ قوي البنيان وكالطير الجامح الذي يطير بكلتا جناحيه مستمتعًا بحريته؛ وقارن بينه حالته سابقًا؛ وبين حالته التي رأها عليه الآن. لقد شعر الأمير محمد وحيد الدين حينها أن فريد باشا مضطرب نفسيًا؛ وأنه تحول من الشاب الوديع إلى شخص آخر متسلط. لهذا سيقول عنه السلطان محمد وحيد الدين في مذكراته فيما بعد:**"...لا أعلم السبب الداخلي الحقيقي للإنقلاب النفسي الذي حدث لفريد باشا. فمصطفى كمال باشا كان مع الإنجليز شديد الدهاء؛ وكان يقدمنا للإنجليز على شكل الأضحية؛ بينما فريد باشا كان أمامهم كان يؤيد ذلك ولا يعترض. لقد رأيت في عينين فريد باشا قرارات الإنجليز لنا بالزوال من على سطح هذه البسيطة. وكنت في انتظار الزوال لدولتنا في أي لحظة. فليعفو الله عنه جراء ما فعل".**

23.2. الإلزام الإجباري المجهول

وبالرغم من معرفة السلطان محمد وحيد الدين بحقيقة فريد باشا وبنفسيته؛ إلا أنه عينه صدرًا أعظم فترات أثناء فترة حكمه؛ وعندما سأل بنات السلطان وحيد الدين أبيهم: **" ألا يوجد في أيدينا غير فريد باشا ليكون صدرًا أعظم!"**؛ فكان جواب السلطان محمد وحيد الدين:**" ومن في أيدينا غيره لكي نعينه صدرًا أعظم؟! إن كل الذين يعملون في وزارة الخارجية يرفضون أن يتولون الصدراة العظمى في هذا الوقت الحرج الذي تمر به الدولة العثمانية".** لقد كانت مديحة سلطان أحد الأسباب في استمرار زوجها فريد باشا صدرًا أعظمًا لأخيها السلطان محمد وحيد الدين.

وبنفس هذا المعنى قالت الأميرة صبيحة سلطان في مذكراتها. حيث قالت أن أبيها بالرغم من قلقه الشديد من فريد باشا؛ إلا أنه عينه في منصب الصدارة العظمى. وكانت تقول دائمًا ان والدها كان مجبورًأ على ذلك. وفي ذلك كتبت تقول في مذكراتها: **" عمتي مديحة سلطان كانت دائمًا ما تذهب إلى السياحة والتنزه في أوروبا مع زوجها فريد باشا. خاصة في إنجلترا. وكان فريد باشا من الشخصيات المتأثرة بأسلوب الحياة الإنجليزي في المأكل والمشرب واللباس والتعامل. وكانت عمتي مديحة سلطان كلما أتت من أوروبا تأتي لزيارتنا في قرية جنجال Çengel Köy وتجلس عندنا في الزيارة ما يقرب من خمسة عشر يومًا إلى عشرون يومًا. وكانت عمتي مديحة سلطان دائمًا ما تحضر على مائدة العشاء بلباس إنجليزي لا يراعي الحشمة وكان زوجها فريد باشا يرتدي البدلة الإنجليزي؛ وفي هذا الوقت لم يراعي والدي العادات التركية في اللباس وأرتدى بدلة أسموكن سوداء إنجليزية وبنطال. وكان يتبع والدي نفس أسلوب أزياء فريد باشا كلما عاد من إنجلترا لزيارتنا في قرية جنجال. ولكن عندما سكن فريد باشا مع عمتي مديحة سلطان في قصر بلطه ليماني؛ وأصبح له معاش من الخزينة الخاصة؛ تغيرت عادات فريد**

باشا وأنقطعت صلات التواصل التي كانت بيننا معه. وبدأ فريد باشا في قصره بلطه ليماني يهتم بكل شئ من بدل التشريفات للخدم إلى أنواع المأكولات واشكال الأطباق؛ إلى تنظيم مواعيد رسمية للقصر من مواعيد الطعام والشراب والزيارات الرسمية وأنواع الأكلات الأسبوعية؛ أما عمتى مديحة سلطان فبدأت منذ أن سكنت في هذا القصر بتقليد الأزياء الإنجليزية في الملابس؛ وبدأت ملابسها تكشف صدرها؛ حتى بدا صدرها كأنه ينزل للأسفل؛ وبدأت ملابسها منذ ذلك الوقت تجسم صدرها وتكشفه. لا يمكن أن أنسى ذلك اليوم الذي زارتنا فيه عمتي مديحة سلطان. حيث أتت إلينا وجلست في قاعة الطعام بالقصر على مقعد وأمامها فريد باشا يعزف على البيانو. وكان يراعي في ذلك التأثير الإنجليزي عليه من المحافظة على عادة العزف على البيانو قبل الطعام. ولقد كنت متأكدة من أنه يظهر العادات الإنجليزية كلما أمكنه ذلك. أما والدي محمد وحيد الدين فقد كان يكره فريد باشا على الإطلاق. حتى حين انتهى حكم والدي من على العرش العثماني كان والدي يكره فريد باشا. وكان والدي يقول عن فريد باشا:" إن هذا الرجل قد تأثر بالمحيط البيئي الأوروبي حوله؛ وبخاصة المحيط الإنجليزي. وقلما نجد له صديق في محيطه من الأتراك؛ أغلب أصدقائه في البيئة المحيطة به التي يتعامل معها كانوا من الإنجليز؛ وإن حاول اخفاء ذلك؛ إلا أن الإنجليز كانوا يرونه في أعينهم رجل صغير. في أحد الأيام ذهب فريد باشا إلى جوار والدي وعندما رآني قال لي: " أووو صبيحة! تعالي لأراكي؛ ما الخبر الذي أتيتي به لوالدك؟ هل يوجد أمر عاجل؟ أم لا يوجد شيء؟!" في هذا الوقت قد صدمت من أسئلته المفاجئة لي؛ فلم أعطه أي جواب وصمت؛ وبعد برهة من الصمت نظرت إلى والدي وقلت له:" لقد سمعت خبرًا أريد التأكد منه. هل اصبح فريد باشا صدرًا أعظمًا كما يشاع؟!" فنظر إلي والدي وقال لي:" هل صدقتي بذلك؟!" فأجبته:" لم أصدق بذلك؛ لكني أكرر السؤال وأريد أن اسمع الجواب منك أنت لأطمئن". فأجابني والدي قائلاً:" أنتِ تعرفين جيدًا رأيي في فريد باشا؛ ويستحيل أن يقنعني أحد أن أعينه صدرًا أعظمًا. فلا تصدقي ذلك!". حينها أحببت جواب والدي وأنصرفت. ولكن بعد مرور مدة بعد هذا اللقاء مع والدي فوجئت بتعيين فريد باشا صدرًا أعظمًا. لقد حزنت كثيرًا على تعيين مثل هذا الرجل في مقام الصدارة العظمى. غير أن والدي قد منعني أن أتحدث في هذا الموضوع. ثم نظر والدي إلي قائلاً:" نعم، أصبح فريد باشا صدرًا اعظمًا. لكني مجبور على تعينه في هذا المقام. سيأتي يوم ما وسأشرح لك ماذا حدث بالتفصيل؟!". ولكني نظرت إلى والدي وقولت له:" ماذا حدث الآن تحدث إلي!...لماذا أنت مجبور على تعيين فريد باشا في مقام الصدارة العظمى؟" غير أنه لم يشأ أن يتحدث وثم خلل أصابع كلتا يديه بين خصلات شعري وقبلني في جبهتي؛ وأنا ايضًا نهضت وقبلت وقبلته. إنني أعلم أن والدي من المستحيل عليه أن يعتمد على شخص مثل فريد باشا. لذا عندما ذهب فريد باشا لتوقيع على معاهدة سيفرس Sevres لم يكن تحت المراقبة؛ فلما وقع الخطأ منه في قبول هذه

المعاهدة كان توفيق باشا صديقه صاحب التجارب السياسية إلى جواره ويسانده من خلفه ويعتمد الطريق الذي اختاره فريد باشا".

لقد كان فريد باشا قبل عدة سنوات من الرجال الذين لا يمكن أن تعتمد عليهم الدولة في أي شيء. ولم يكن اسمه يذكر في الرجال الذين ترغب الدولة في الاعتماد عليهم. وبعد حروب البلقان وذهاب الصدر الأعظم كامل باشا إلى لندن للإلقاء محاضرة عن الوضع في البلقان؛ كان مع الصدر العظم كامل باشا في الطريق فريد باشا. ومما ذكره عنه كامل باشا في مذكراته: **" إن هذا الرجل فريد باشا؛ شخص مجنون".** حتى أنه في أثناء عقد هذه المحاضرة السياسية عن الوضع في البلقان؛ أتى بعض أصدقاء فريد باشا ممن تخرجوا معه في السنوات الدراسية من الإنجليز واتجمع معهم أثناء المحاضرة في قاعة مغلقة؛ ثم خرج. ولا يعلم ما الذي قاله؟ ومن المجتمعين معه في هذه القاعة؟! ولكن من الملاحظ أن فريد باشا قبل توقيع معاهدة ماندا روس Mondros Anlaşması كان له عدة فعاليات وتحركات لأجل أن توقع الدولة العثمانية بالقبول على كل شروط معاهدة ماندا روس دون اي اعتراض. حتى أن بعض الشروط في اتفاق ماندا روس قد قبلها دون ان يقرأها وذهب إلى لندن أثناء توقيع الإتفاق ليقابل الملك الإنجليزي جورج الخامس George والد صديقه القديم إدور السابع Yedinci Edward وهكذا من خلال هذا اللقاء وعبر هذه الصداقة القديمة مع ابن الملك استطاع فريد باشا أن يقنع الإنجليز بانه قادر على اقناع السلطان محمد وحيد الدين بقبول معاهدة سيفرس؛ حتى أن عزت باشا قال للسلطان محمد وحيد الدين عندما سأله عن الصدر الأعظم فريد باشا قبل توقيع معاهدة سيفرس: **" يا إلهي؛ يا جناب السلطان؛ إن فريد باشا رجل مجنون بكل تأكيد. لا يجب أن تعطيه مثل هذه المهمة الخطيرة يا جناب السلطان".** كل ما ذكره السلطان محمد وحيد الدين في مذكراته عن فريد باشا كلها خواطر وذكريات سيئة؛ وتعبيرات سلبية.

حتى أن السلطان محمد وحيد الدين عندما سأل صديقه عبدالمجيد أفندي:**" هل يصلح فريد باشا لمقام الصدارة العظمى؟!"** فأجابه عبد المجيد أفندي: **" الأمر ليس اقتناعًا يا جناب السلطان سواء قولت رأيي فيه أم لا؛ فإنه سيصبح صدرًا أعظمًا؛ لكنه مجنون".** وعندما سمع فريد باشا برأي عبدالمجيد أفندي فيه قابله وقال له: **" يا اخي هل أنا مجنون؟! بأي حق وبأي حجة تحذر مني السلطان؟! وأنا الذي أنبهه عم يحدث حوله؛ وأنا من نفس قريته؛ وأنا أعامله بكل احترام. فأعلم بأنه إن لم أكن أنا الصدر الأعظم؛ فلن يكون هناك صدرًا أعظمًا آخر".** وبعد هذا اللقاء قال عبدالمجيد أفندي:**" إن هذا فريد باشا مجنون؛ بل رجل هستيري بكل تأكيد".**

سوف نرى بعد ذلك بالتفصيل أن عبدالمجيد أفندي كان يتشبث برأيه بأن فريد باشا لا يصلح لمقام الصدارة العظمى. ولكن أتى اليوم الذي استقال فيه حسين كاظم بك من الصدارة العظمى؛ فحينها تولى مكانه الصدارة العظمى فريد باشا وفي ذلك يقول السلطان محمد وحيد الدين: **" هل يمكن أن تعتبر الدعوة للحزب الرومي والحزب الأرمني ولرئيس حاخامات اليهود للاتفاق في مصلحة الدولة؟!"** هذا هو الذي حدث أن تولى شخص من بيننا الصدارة العظمى وهو يبطن لنا الإنتقام. لقد صدق مدير الخزانة الخاصة رفيق بك Refik Bey عندما قال يومًا للسلطان محمد وحيد الدين:**" من المعلوم أنه يوجد في الدنيا ثلاث ملاعين. الملعون الأول الذين من جلدتنا ويتحدثون بلسان أعدائنا؛ والملعون الثاني فريد باشا والملعون الثالث ابنه سامي بك".** غير أنه في سنوات المنفى سوف تأتي مديحة سلطان مع ابنها محمود سامي بك والذي سيتحدث عن والده مع خاله السلطان محمد وحيد الدين؛ وبعد هذا الحديث سوف يولد والد آخر لمحمود سامي؛ هو خاله السلطان محمد وحيد الدين. وسيكون في المنفى من أقرب المقربين للسلطان وحيد الدين ابن أخته محمود سامي بك.

ويذكر السلطان محمد وحيد الدين في مذكراته عن الأحداث التي مرت به مع فريد باشا قائلاً:**"إضافة إلى أن صهر فريد باشا لا يفقه في السياسة ويتلاعب ضدنا؛ وكنت أعلم ذلك إلا أنه زاد عن ذاك بأن جعل من نفسه منظرة يختبئ خلفها من يريدون تمرير سياستهم ضد الدولة. لقد أقنعه بعض أصدقائه أنه يمكن أن ينام ذات يوم ويستيقظ فيكون في أحد الأيام هو الحاكم الفعلي للدولة. والذين كانوا يضعون في عقله هذا الفكر الإنجليز. لهذا كان الإنجليز يتلاعبون به وهو كان يثق بهم. ولهذا كان فريد باشا هو الواسطة الوحيدة للتواصل بيننا وبين الإنجليز وباقي دول الحلفاء. ولقد كنت متأكدًا من ذلك. فلما وضعت في يده السلطان اتبع مع دول الحلفاء سياسة النظر والإنتظار؛ حتى صارت** قناعة لدي **أن سبب نفينا الرئيس سيكون هو".**

ولكن علينا أن نؤكد أن فريد باشا بعد توقيع معاهدة سيفرس Sevres أنتهى تاريخه السياسي ولم يعد هناك صدرًا اعظمًا يسمى فريد باشا. وفي ذات يوم كان السلطان محمد وحيد الدين مشغول البال بأحوال الرعية؛ فسأل شيخ الإسلام حيدري زاده إبراهيم أفندي Haydarizade İbrahim Efendi عن أحوال الرعية؛ فأجابه شيخ الإسلام بشيء لم يتوقعه هل تقصد فريد باشا وكان جواب شيخ الإسلام كالتالي:**"...الصدور العظام القدماء كانوا يفتدون السلاطين العثمانيين بأرواحهم...لكن توقف الأمر عندك يا جناب السلطان واصبحت أنت الذي سيفتدي بنفسه الصدر الأعظم".** وكان يقصد شيخ الإسلام من ذلك

أن فريد باشا أوقع بالسلطان محمد وحيد الدين أمام الرعية. وكانت هذه أفضل إفادة في حق فريدة باشا أمام السلطان.

24.2.من السفارة إلى الصدارة العظمى

لقد توقف السلطان وحيد الدين في شأن عدد من الباشاوات؛ وكان يتحير كثيرًا فيمن يختار؛ وكان لا يجد أحد يستطيع الإعتماد عليه ويأتمنه فمثلاً توفيق باشا أتت عائلته من خانية القرم. وولد في استانبول عام 1845م. وتخرج من المدرسة العسكرية؛ وكان ملازمًا في سلاح الفرسان بالجيش. غير أنه أدعى أن السلطان العثماني أمره بأن يتولى منصب التهاني والتبليغ بالأعياد لهذا انفصل على الجيش. وبعد ذلك عمل برتبة كاتب في نظارة الخارجية العثمانية. ومع الزمان ترقى حتى وصل منصب سفير ثم إلى ناظر الخارجية ومن الخارجية انتقل إلى الصدارة العظمى. وفي أثناء صدارة سعيد باشا بعد عودة نظام المشروطية الثانية تولى توفيق باشا نظارة الخارجية. وبتاريخ 31 مارس أثناء تواجده في عمله بالسفارة العثمانية بإنجلترا مع بداية الحرب العالمية الأولى قام الصدر الأعظم بتعيين توفيق باشا كسفير بلندن. وتوفيق باشا تولى الصدارة العظمى مرتان الأولى في نوفمبر 1918م والثانية في مارس 1919م. وسيكون آخر صدر أعظم فعلي للدولة العثمانية بعد عزل فريد باشا في أكتوبر 1920م؛ وسيستمر توفيق باشا في صدارته العظمى حتى نوفمبر 1922م؛ حيث إعلان إلغاء السلطنة؛ وسيكون بذلك آخر صدر أعظم للدولة العثمانية.

ومن الغريب أن الذين أشتركوا في وضع السلطان عبدالحميد الثاني في الإقامة الجبرية عقب الإنقلاب عليه وهما توفيق باشا وفريد باشا؛ يصبحان صدران أعظمان في عهد السلطان محمد وحيد الدين. وهما يشبهان بذلك سعيد باشا وكامل باشا حيث كانت الصدارة تتنقل بينهما. في الفترة التي كان فيها السلطان محمد وحيد الدين بعيدًا عن توفيق باشا تولى الصدارة العظمى فريد باشا. ولكن مع الزمن قام السلطان محمد وحيد الدين بتكليف توفيق باشا برئاسة الوزراء وبتشكيل الحكومة وبمحو الأخطاء التي أوقع فريد باشا بها الدولة العثمانية؛ وهذه المرحلة أقترب توفيق باشا كثيرًا من السلطان محمد وحيد الدين. فمثلاً في نهاية الدورة البرلمانية الأولى لمجلس المبعوثان بتاريخ 21 ديسمبر 1918م قال توفيق باشا بالمجلس: **" لقد قمنا بالاختيار وبالترتيب؛ مجلس المبعوثان ستبدأ إجازة نهاية دورته البرلمانية الأولى".**

ولقد تزوج توفيق باشا من إمرأة سويسرية وأنجب منهم على مرتان أربعة أبناء ذكور. فابنه الأكبر إسماعيل حقي بك تزوج ابنة السلطان محمد وحيد الدين الكبرى علوية هانم عام 1916م؛ وبسبب هذا الزواج أخذ إسماعيل حقي الباشاوية وأصبح حكمدارًا بالجيش. وبذلك حدث التصاهر والتقارب بين عائلة توفيق باشا وعائلة السلطان محمد وحيد الدين. وللتعرف اكثر على توفيق باشا فمن المعلوم أنه اثناء عمله كسفير للدولة العثمانية بلندن في مارس 1914م كان ابنه إسماعيل حقي بك يدرس في ألمانيا؛ ولقد أرسل توفيق باشا إلى ابنه حينها هذا الخطاب الذي ذكر فيه: **"...لقد أستلمت خطابك وقرأته. هناك من أبناء الباشاوات الآخرين من تقدموا لعلية؛ ولكني أقف خلفك في هذا الأمر. ونحن من طلبنها قبل الآخرين. ولا تقبل الهدية المالية المقدمة لك من مؤسسة التوظيف العمومية في ألمانيا. لا هذا يمنع عليك بقوة القانون. وإنه لشرف كبير لي أن عملك الذي قمت بكتابته في ألمانيا قد قبل بشكل جيد. من أجل المال لا تتحدث ولا تكتب لهم جوابًا بالقبول أو بالرفض. لأنك تعلم الآن السبب. لا يجب أن يأخذ ابناء العثمانيين الدارسين في البلاد الأجنبية أموال من هذه البلاد وليكن ما يكون؛ لأن هذا عيب وممنوع في القانون العثماني. أكرر عليك التحذير ألا تقبل هذه الأموال. وهذا سوف يكون سبب شرفك وعلو مكانتك بينهم؛ ويمنع عنك النميمة؛ ولن تكون نفسك منكسرة أمامهم. وبعد زواجك ستأتي في إجازة عيد الفصح في إنجلترا لتتنزه أنت وعروسك. وعليك أن تبالغ في الإصراف وأن تدبر أمرك جيدًا؛ ونحن أيضًا من جانبنا سنعمل على إدراك ماليًا".**

إن المتأمل في سياسة توفيق باشا خلال هذه المرحلة سوف يجدها متناسقة مع سياسة السلطان محمد وحيد الدين؛ وتسير معها بالتوازي ولا تعترضها. وهذا ما سوف يتبين لنا فيما بعد من قراءتنا لكلام توفيق باشا... في خضم هذه الأحداث سوف نجد هناك بيئة واحدة تمت بها عدة حوادث متعاقبة تربط الرجلين توفيق باشا وفريد باشا. وأن لهم تأثيرًا سلبيًا على كثير من قرارات السلطان محمد وحيد الدين. وهناك شخص آخر كان له تأثير على السلطان في بعض الأوقات ألا هو محمود سامي بك.

إن الأمير محمود سامي هو ابن الأميرة مديحة سلطان من زوجها الأول المرحوم نجيب بك.والأمير سامي بك كان يرفض الإنتساب للعائلة العثمانية؛ وأحيانًا كثيرة ما كان ينسب نفسه لألقاب عائلات أخرى. لأنه كان محبط من الإنتساب إلى العائلة العثمانية. ومحمود سامي من الأشخاص الغريبة الأطوار فمثلاً في عام 1905م عندما فشلت المحاولة المشهورة لإغتيال السلطان عبد الحميد الثاني أمام جامع يلدز الكبير وبعد انفجار القنبلة أمام المسجد الجامع. قام حكمدار شرطة المدينة بالبحث عن السيارات التي كانت تقف أمام مسجد يلدز الجامع والتحقق من هوية أصحابها؛ وأثناء نقل الممرضات للمصابين أتى الأمير محمود سامي

ليأخذ سيارته. وفي ذلك يذكر حكمدار الشرطة: **" إن الأمير محمود سامي عندما أتى ورأينه الممرضات قمنا بالذهاب على الفور".** ثم نظر الأمير محمود سامي إلى الحكمدار وقال له: **" قل للسلطان عليك السلامة؛ ولا يكن لديك فضول!".**

وعندما قام فريد باشا بتعين ابنه بهاء الدين Bahaeddin هو الوارث الرئيس لأملاك أبيه وأمه مديحة سلطان وأنه المشرف الرئيس على تركتهما وأنه هو الذي سيقوم بتوزيع التركة بعد مماتهما؛ وذلك بحجة أن الأمير محمود سامي بن نجيب باشا ليس من صلبه؛ وابن شخص آخر؛ على الرغم من كونه الأخ الأكبر لبهاء الدين أفندي. هذا أغضب الأمير محمود سامي بك وجعله يتقرب من خاله السلطان محمد وحيد الدين أكثر من ذي قبل؛ على الرغم من أن الأمير محمود سامي لم يعترض على أي قرار اتخذه فريد باشا في حقه وظل صامتًا؛ خوفًا من جبروت فريد باشا. ولقد توفى الأمير محمود سامي في لندن عام 1961م وكان شاهدًا على بعض الأحداث التي سنذكرها في وقتها. والآن سنعود إلى السلطان محمد وحيد الدين من جديد والصراعات التي أمتلأ بها عهده.

25.2. قرارات الحكومات

في العرض الأتي سوف نعرض قائمة بالحكومات المتعاقبة في الفترة من 1918م إلى 1922م؛ والتي يتبين من خلالها اضطراب الحال وإقالة ما بين الحين والآخر على التوالي؛ وهذه الإقالات أغلبها تعود إلى رؤساء الحكومات أنفسهم خلال هذه الفترة؛ وهي كالتالي:

- 8 أكتوبر 1918م: استقالة طلعت باشا رئيس وزراء حزب الإتحاد والترقي؛ وبداية النهاية لحزب الإتحاديين في السيطرة على زمام الحكم.
- 14 أكتوبر 1918م: الإعلان عن تشكيل حكومة عزت باشا.
- 8 نوفمبر 1918م: استقالة حكومة عزت باشا.
- 11 نوفمبر 1918م: تشكيل حكومة توفيق باشا الأولى.
- 12 يناير 1919م: استقالة حكومة توفيق باشا الأولى؛ ثم تشكيل حكومته الثانية.
- 3 مارس 1919م: استقالة حكومة توفيق باشا الثانية.
- 4 مارس 1919م: تشكيل حكومة الصهر فريد باشا الأولى.
- 15 مايو 1919م: استقالة حكومة فريد باشا الأولى.
- 19 مايو 1919م: تشكيل حكومة فريد باشا الثانية.

- 20 يوليو 1919م: استقالة حكومة فريد باشا الثانية.
- 21 يوليو 1919م: تشكيل حكومة فريد باشا الثالثة.
- 30 سبتمبر 1919م: استقالة حكومة فريد باشا الثالثة.
- 2 أكتوبر 1919م: تشكيل حكومة علي رضا باشا.
- 3 مارس 1920م: استقالة حكومة علي رضا باشا.
- 8 مارس 1920م: تشكيل حكومة صالح باشا.
- 2 إبريل 1920م: استقالة حكومة صالح باشا.
- 5 إبريل 1920م: تشكيل حكومة فريد باشا الرابعة.
- 30 يوليو 1920م: استقالة حكومة فريد باشا الرابعة.
- 31 يوليو 1920م: تشكيل حكومة فريد باشا الخامسة.
- 17 أكتوبر 1920م: استقالة حكومة فريد باشا الخامسة.
- 21 أكتوبر 1920م: تشكيل حكومة توفيق باشا الثالثة.
- 4 نوفمبر 1922م: استقالة حكومة توفيق باشا الثالثة؛ وسيطرة حكومة أنقرة على مدينة استانبول.

26.2. قبل النهاية

في ليلة 2 نوفمبر من الهدنة؛ أختفى كثير من قيادات أعضاء حزب الإتحاد والترقي بصورة غريبة من استانبول. وقدم عزت باشا استقالته من مقصورته. وقام توفيق باشا بعمل حكومة انقاذ. في نفس هذه الليلة عاد جيش الصاعقة العثماني " جيش يلدرم" بقيادة مصطفى كمال باشا ودخل إلى استانبول. واصر مصطفى كمال باشا على عزل توفيق باشا وإعادة عزت باشا إلى الصدارة العظمى. وذلك بحجة أن مجلس المبعوثان مازال في يد حزب الإتحاد والترقي؛ لهذا هم من يقومون دائمًا بتشكيل الحكومات. لكن هذه المرة أصر مصطفى كمال باشا على وجوب تشكيل حكومة انقاذ برئاسة عزت باشا. حتى أن مصطفى كمال باشا كان معدًا لقائمة بأسماء أعضاء الحكومة الجديدة لعزت باشا؛ وفي هذه الحكومة أيضًا كان ناظر الحربية هو مصطفى كمال باشا.

غير أن السلطان محمد وحيد الدين أصر على تعين توفيق باشا صدرًا أعظمًا مقابل أن يكون مصطفى كمال باشا وزيرًا للدفاع في حكومته. وبالفعل وحاصر مصطفى كمال باشا بالجيش مجلس المبعوثان بتاريخ 19 نوفمبر 1918م؛ وهو نفس اليوم الذي ذهب فيه توفيق باشا ليعرض حكومته على مجلس المبعوثان. وبعد أن أعطى توفيق باشا الفرصة لأعضاء حزب الإتحاد والترقي في الكلام كل على حدة. أتفق الجميع

على قبول حكومة توفيق باشا وعلى تعيين مصطفى كمال باشا ناظرًا للحربية. وتلى ذلك آخر نداء ومقابلة وجهاً لوجه بين السلطان محمد وحيد الدين ومصطفى كمال باشا؛ حيث يذكر مصطفى كمال باشا في خواطره أنه بتاريخ 22 نوفمبر أي بعد انعقاد مجلس المبعوثان بثلاثة أيام ألتقى بالسلطان محمد وحيد الدين. وكان هذا آخر لقاء بينهما؛ قبل أن يحدث الخلاف والتصادم فيما بينهم. حيث يقول مصطفى كمال باشا في مذكراته:

"...في الحال تركت مجلس المبعوثان الذي يمثل القصر العثماني. وأنا أستعد لأعود إلى منزلي أتى هاتف من القصر السلطاني منعي من العودة إلى بيتي؛ إذ قال لي المخابر من الهاتف بأن السلطان محمد وحيد الدين يريد لقائي فورًا. فذهبت إلى لقاء السلطان محمد وحيد الدين ووجدت في هذا اللقاء فائدة كبيرة لي. لقد دبر السلطان محمد وحيد الدين كل شيء لي؛ لكي يجعل الأمور في يدي؛ ولم يكن بالإمكان إرسال هذه المعلومات مع أحد. لهذا فضل السلطان وحيد الدين أن يخبرني بوجهة نظره وبماذا دبر لي وجهًا لوجه. وقال لي" أنه من الضروري أن تقوم من الآن بإتخاذ كافة التدابير اللازمة لكي تحقق ما اتفقنا عليه". لهذا كان يريد أن يقابلني ليشرح لي كل ما خطط ودبره له بالتفصيل. لقد صدق ظني في أني أستطعت أن أقنع السلطان بنفسي لكي يجعل كل الأمور الخاصة بالجيش في يدي. لقد حقق لي محمد وحيد الدين بوظيفة نظارة الحربية التي تسلمتها وبما خططه لي كامل أحلامي؛ ولم يبقى إلا التطبيق. لقد علمت أن ناجي بك قد فهم مقاصدي وأومأ لي بأنه يفهم حقيقة كل ما أريد الوصول إليه. ولقد عمل ناجي بك على تدبير لقائي بالسلطان وتأمين هذا اللقاء وإخفاء هذا اللقاء في اليوم التالي عن الأعين والآذان. لقد عمل ناجي بك بكل جد وسرية؛ وأنا متأكد من ذلك. ولكن ناجي بك كان يوصيني بأن أكون دائم الإخلاص والطاعة للسلطان وحيد الدين وألا تغرني نفسي بما وضع في يدي من سلطات وقيادة للجيوش العثمانية بأن أنقلب عليه. وكان يشدد علي في ذلك. ثم أعد كل ما يحتاجه الجيش للسفر؛ وفي يوم الجمعة بدأ تحركي مع الجيش. حقيقة إن ناجي بك من أشد الرجال المخلصين للسلطان محمد وحيد الدين. لقد كان قبل يوم الجمعة الموعودة بتحركي بالجيش أيامًا كثيرة؛ إلا أنه عندما أتى يوم الجمعة لم يكن به كثيرًا من الأعمال. وبعد صلاة الجمعة ذهبت إلى لقاء السلطان محمد وحيد الدين قبل خروجي بالجيش عن استانبول؛ وإذ بي وأنا داخل إلى قاعة العرش بالقصر السلطاني؛ أجد السلطان محمد وحيد الدين في وجهي وكان يهم بالخروج منها. وكان يظهر على السلطان التعب والإرهاق. هكذا وجدته في لقائي الأخير معه قبل رحيلي. في الحقيقة أنا كنت دائم اللقاء بالسلطان محمد وحيد الدين وعلى فترات متتالية كثيرة. لكن لم يكن فكري يدور حول طاعة السلطان. ولم أسخر نفسي لأجل ذلك. لقد حاولت أن أوقظ السلطان محمد وحيد الدين بقولي له:" لقد جمعت في يدي كل السلطات". إلا أنه رغم عبقريته ورغم إخلاصه؛ كان يثق في الأشخاص الذين يظهرون له الولاء. إن السلطان محمد وحيد الدين من الشخصيات النادرة؛ لكن الزمان له ولدولته قد عبر.

هو أيضًا كان يقول عني بأني شخص داهي وعبقري.ثم نظر إلي السلطان محمد وحيد الدين متسائلاً قبل ذهابي قائلاً لي:" لقد وجدت أن أغلب قادة الجيش والضباط مرتبطين بك نفسيًا أكثر من أرتباطهم بي؛ فهل ستأمني بهذا الجيش؟ وهل لن يأتي الفناء لي ولدولتي من قبل هذا الجيش؟!" لهذا قمت بالرد على اسئلته بسؤال آخر لكي أفر من إجابة هذا السؤال. فنظرت إليه قائلاً:" هل ترى أن هذا الجيش يا سيدي تحركاته لن تكون عائدة إليك؟ وهل رأيت من هذا الجيش ما يسوؤك؟!" بيد أنه أغلق عينيه ولم يحر جوابًا نفيًا أو اثباتًا. غير أنني أعلم أنه حينما أغلق عينيه كان مخاطبًا لنفسه لكي يطمأنها بأنه لا يوجد سبب يجعل هذا الجيش ينقلب على السلطان ودولته؛ وهو الذي أعده لأجل أنقاذ البلاد والعباد والدولة. ولم يكن ليظن على الإطلاق أنه قد يأتي اليوم الذي ينقلب فيه هذا الجيش عليه. وهل يمكن لي أن أجيب على مثل أسئلته؟! التي يعني التفكر في إجابتها فضح ما في نفسي وضياع ما حققته من صلتي وعلاقتي بالسلطان. إن الناظر إلى الرجل الذي أمامي يجده يعطي كل شيء بإخلاص؛ ولكن دون تدبير وحيطة؛ وهل يمكن أن يعطي أحد مثل ما أعطى السلطان محمد وحيد الدين من فرصة لي دون التفكير في الإستفادة من هذه الفرصة؟! ثم فتح السلطان محمد وحيد الدين كلتا عينيه ناظرًا إلى كلتا قدميه ثم نظر إلي وأنهى لقائي معه قائلاً:" أنت رجل ذو عقل ودهاء وقائدًا لجيش عرمرم؛ وأنتظر منك ومن أصدقائك نور جديد يشع في سماء الدولة العثمانية؛ وأنا أعلم أنك وهم ستعملون بكل هدوء وسكون لتحقيق أهدافكم. لا أريد ألا يكون لدي أمل. ولكن السبب لما أنا فيه الآن تأثري بالأوضاع التي أجبرت على فعلها؛ لن يستطيع أحد أن يفهم ما أقول؟!" وبعد ذلك نظر إلي السلطان محمد وحيد الدين وخرج من قاعة العرش وهو ينظر إلي".

وهنا وفي تلك الأوقات العصيبة مجلس المبعوثان للمرة الثانية يأخذ عطلة رسمية بتاريخ 21 ديسمبر 1918م فهل يمكن أن يكون ذلك من باب التصادف؟! وهكذا اصبح السلطان محمد وحيد الدين في القصر السلطاني؛ وأصبح الباشا الشاب مصطفى كمال بمنزله ببارا بلاس Pera Palas يعد نفسه للرحيل. وفي 12 يناير 1919م قدم توفيق باشا استقاة حكومته؛ ثم جهز حكومته الثانية والتي استمرت حتى 3 مارس غير انه بتاريخ 4 مارس تم تعين غيره في رئاسة الحكومة. حيث أن السلطان محمد وحيد الدين عين فريد باشا في مقام الصدارة العظمى وكلفه بتشكيل حكومة انقاذ.

27.2. لدغة القرد

في صباح 14 مارس 1919م أتى هاتف للصدر الأعظم فريد باشا وظل يتحدث مع من يخابره أكثر من ساعة ونصف؛ وفي نهاية المكالمة فقد الوعي. وكان ذلك اثناء تواجده في قصره بلطه ليمان قبيل تجهيز

الإفطار له ببضعة دقائق. وكان ابن زوجته سامي يلعب مع ابنيه بهاء الدين وفتحي لعبة الغمامة. وكان ذلك الهاتف لفريد باشا من قبل القائد العام للجيوش الإنجليزية في استانبول الأدميرال رتشارد ويب Richard Webbi حيث أبلغ فريد باشا بأن اتفاق ماندراوس ينص على أحقية قوات الحلفاء في احتلال أي أرض تريدها من الدولة العثمانية؛ وأن الدولة العثمانية قد قبلت بذلك وفقًا للمادة السابعة من الإتفاقية؛ وبناءًا على ذلك فإني أبلغكم:" **أن قوات جيوش الحلفاء غدا سوف تذهب لمدينة إزمير لإحتلالها".** وبذلك يكون القائد العام للقوات الإنجليزية قد أبلغ رسميًا الصدر الأعظم والدولة العثمانية باحتلال إزمير. وفي أثناء هذا الخطاب قام والدي فريد باشا بالقفز فجأة للحاق تدحرج الكرة المتتعدة الألوان؛ وقد ذهبت الكرة إلى حجرة مكتب فريد باشا بقصره فدخل الطفلان ليأخذاها فإذا بهم يجدون وجه فريد باشا شديد الإحمرار من الغيظ والغضب؛ فذهب الأولاد بسرعة إلى والدتهم مديحة سلطان ليخبروها فأتت من الحرملك مسرعة إلى الأسفل وهي تجري؛ فوجدت فريد باشا يصرخ ويقول: **" يا سيدنا السلطان؛ يا سيدنا السلطان؛ غدًا سيبدأ احتلال إزمير؛ الغوث الغوث"؛** ثم نهض مسرعًا إلى القصر السلطاني وصعد إلى جناح السلطان؛ فلم يجده فتوجه فورًا وبسرعة شديدة من الممر بين جناح السلطان وغرفة الدراسة إلى غرفة الدراسة فدخلها؛ فلم يجد السلطان؛ حينها فقد الوعي وسقط على الأرض فوق البلاط الروماني. ولما أفاق أخبر البوليس العثماني بضرورة التوجه إلى قرية الألبان Arnavutköy وأن يقوموا هناك بإغلاق كافة خمارات الروم واليونان؛ ثم قام فريد باشا بوضع كيس من الثلج على رأسه وقلبه؛ وبعد ذلك الأمر للشرطة بساعة ونصف قدم فريد باشا استقالته من الصدارة العظمى؛ وانفصل عن القصر السلطاني ومقام الصدارة العظمى؛ في ذلك الوقت العصيب. لقد أرسل فريد باشا إلى قادة الجيش يأمرهم:" **عليكم التوجه إلى الساحل وتأمينه من الغزاة"؛** ولكن فجأة وبدون أي سبب غير قراره وسحب أمره من المرسل إلى قيادة الجيش؛ حقيقة إن عقل فريد باشا لغز كبير. لأننا إلى الآن لا نعلم سبب تغير قراره وموقفه. وبعد ذلك قدم استقالته وتعلل بمرضه بأنه قد أصابته ذبحة صدرية وبأنه مريض بمرض السرطان لهذا لا يستطيع القيام بهمام وظيفته. وبعد استقالة فريد باشا بفترة وجيزة أرسل إلى استانبول تلغراف وخطاب آخر عبر البريد من قبل مدير عام التلغرافات رفيق خالد بك Refik Halid Bey قال فيه:" **مفتش عام المالية موفق بك Muvaffak Bey أن الجيش اليوناني بعد عدة ساعات سيحتل إزمير"؛ وأنا أرسل إليكم تلغرافه المرسل إلي".** ومن الغريب أن رفيق خالد بك عندما عرض التلغراف الخاص بقرب جيش اليونان من إزمير وبأن المدينة سوف تسقط خلال بضعة ساعات في أيديهم؛ على وزير الداخلية علي بك؛ لم يبدي أي اهتمام بالأمر؛ في نفس الوقت الذي كان خطاب والي إزمير إلينا في الطريق؛ والذي عندما وصل إلى رفيق خالد بك وقرأه وجد والي إزمير يقول فيه: **" تصريحات معينة ومستفزة بالنسبة لنا؛ فهو يأنبنا على تركه وحده دون اي إستعداد للقاء جيش اليونان المدعم من**

قوات الحلفاء. ويقول لنا:" ماذا فعلتم لأجل انقاذ إزمير؟!". بيد أن خبر هجوم اليونانيين على إزمير عندما سمع به موفق بك قال: **" يجب ألا ينتشر هذا الخبر في استانبول وعلينا أن نحافظ على استانبول"**؛ بينما أعتبر وزير الداخلية أن خبر هجوم جيش اليونان لإحتلال إزمير كذب. من جانب آخر علينا أن نشير إلى أن موفق بك هو ابن رئيسي رفعت بك Reisi Rıfat Bey العضو السابق في مجلس شورى الأعيان. لقد أهمل وزير الداخلية خبر احتلال إزمير؛ وفي صباح اليوم التالي من استغاثة والي إزمير بحكومة استانبول قام الصدر الأعظم بعمل إجتماع لأعضاء حكومته أكد فيه على احتلال اليونان لإزمير؛ لقد كانت التلغرافات تأتي إلى أعضاء الحكومة في استانبول تستغيث بهم لأجل إنقاذ إزمير وتطلب منهم المدد بالسلاح لأجل المقاومة والدفاع عن إزمير؛ إلا أن هذه التلغرافات كانت مثل الورق الذي ألقي على الأرض.

لقد كان خطأ احتلال إزمير ترجع المسؤلية فيه على فريد باشا وحده؛ والذي لم يدر بالاً على ماذا وقع؟! ولم يحصن إزمير ولم يمدها بما تحتاجه للدفاع والمقاومة؛ بل كتم الأمر؛ ثم أعلن صحة إحتلال إزمير قبيل دخول الجيش اليوناني لها؛ وكان كل من في القصر السلطاني يتهامسون قائلين:**" لا نعلم بعد مصيبة احتلال إزمير التي أعدها لنا الصدر العظم فريد باشا؛ عن ماذا أقترفت يداه في حق الدولة ولم يخبرنا!".** لقد كانت التلغرافات تصل على التوالي من إزمير من الأهالي يستغيثون بالسلطان وبحكومته أن ينقذوهم من الظلم الذي يتعرضون له على أيدي قوات الإحتلال اليوناني. وكان فريد باشا يرد على هذه التلغرافات قائلاً: **"وماذا بأيدينا بعد وقوع الكارثة؟!".** وكان السلطان محمد وحيد الدين شديد الألم والحزن على ما وقع لإزمير؛ وبالمقابل كان فريد باشا يفر من مقابلة السلطان؛ ولا يريد أن يريه وجهه. لم يكن في حساب الباب العالي " الدولة العثمانية" الغدر من قوات الحلفاء إلى هذه الدرجة؛ وهذه أول مرة في تاريخ العثمانيين يحتل فيها اليونانيين جزء من أراضي الأناضول؛ ولكن المشكلة أن فريد باشا لم ينبه السلطان أو قادة الجيش لما يحاك لإحتلال إزمير؛ ولم يقوم بأي عمل يمكن أهالي إزمير من التصدي للإحتلال اليوناني. فإذا لم يحتل اليونانيين مدينة إزمير؛ فإن فريد باشا وأعضاء حكومته كانوا سيتمنون أن تحدث نعمة الإحتلال كما يقولون؛ والتي لا يمكن أن يراها أحد غيرهم. حقيقة إن فريد باشا رجل غريب الأطوار ومن الصعب الحكم عليه.

ولكن مع الزمن وبعد سقوط الدولة العثمانية قام المدير العام لشبكة البريد رفيق خالد بك بكتابة مذكراته والتي ذكر فيها بعض الأمور المتعلقة بفريد باشا وأعضاء حكومته من الإتحاديين. حيث كتب يقول:**"لقد انتهى مجيء الإقبال على ظهور الخيل[59]؛ فالخيل إما أن تكون مجاهدة حتى النهاية مع فرسانها**

---

[59] **يقصد انتهى عصر الجهاد من وجهة نظره، المترجم.**

الأمناء...وإما ان تربط بنواصي السفن غير مستأمن من يجرها؛ فترغب في الهرب لانقاذ حياتها. فإذا كنت متأكدًا من أن الضربة ستأتيك من ناحية هذا الحصان...فعليك أن تمطتيه وتمسك لجامه بكلتا يديك بكل قوة؛ وإلا سيتحول من يمتطي هذا الحصان وغيره إلى مهرج من المهرجين الذين سيسخر العالم كله منه؛ لأنه يقوم بحركات بهلوانية ولا يدرك الناظرين له أنه يحاول قيادة الحصان؛ ويظنون أنه يقوم بأعمال سخرية؛ كي يضحكهم. وبذلك لا يستطيع أن يمتطي الفارس المزيف ظهر الخيل؛ ولا أن تعود عقارب الزمان إلى الوراء؛ فيا عجبًا أترانا كنا جميعًا مهرجين يقودون حصان الدولة؛ ولم نستطع العودة كما كنا!!...فبالرغم من أن السياسة داخل دولتنا كانت في هذه المرحلة الحرجة من عمرها تحتاج إلى الشفافية والإخلاص بين القائمين على قيادة أمر الدولة العثمانية حينها؛ بيد أن فريد باشا اختار أن يتعامل مع كل من يساعده في قيادة دفة مركب الدولة من داخل مقصورته؛ وألا يستمع إلى أي أحد؛ إلا باستعلاء وتكبر ورفض لأي رأي لا يناسب فكره حتى لو كان صحيحًا. هكذا كانت قيادة فريد باشا للدولة في هذا الوقت الحرج بدون خطة عمل؛ بدون تنظيم وتدبير، بدون اعتماد على أهل الحل والعقد المخلصين في هذا الأمر. حتى أنه كان ينحي من يقدرون أن يساعدوه على قيادة الدولة في هذه المرحلة من أهل التجربة؛ ويولي مكانهم أناس مخلصين له؛ لا للدولة؛ وليسوا من أهل الإختصاص والتجربة؛ مما جعل الدولة كالحيوان النافر من بين أيدينا؛ والراغب في اسقاط كل من يقوده من على ظهره؛ ويحرك ذيله بكل عنف تعبيرًا عن سخطه؛ ولكن مع الأسف من يمتطي هذا الحيوان لن يستطيع أن يكون مثل الفرسان الحقيقيين؛ ويمسك برأس الحيوان؛ كي يستطيع أن يسيطر على الدولة؛ حينها فقط سينهار كل شيء؛ ولن يبقى لنا أي عمل نقوم به".

لقد كان الملك اليوناني الذي أدمي قلوبنا بإحتلال إزمير خريج الكلية العسكرية الألمانية؛ ومختلط دمه بالنسب الألماني. حيث تزوج هذا الملك اليوناني هو قسطنطين بروسيا Konstantin Prusya أخت إمبراطور ألمانيا ويلم Wilhelm الأميرة صوفيا Sophia وذلك عندما كان قائدًا للجيش الألماني الذي عمل في داعم الجيش العثماني في حروب البلقان. غير أنه سرعان ما أصبح قائدًا لجيش اليونان؛ ثم أعتلى عرش اليونان وكان متطلعًا على كل الخطط العسكرية العثمانية في البلقان؛ مما مكنه من احكام قبضته على اليونان؛ وفصلها عن الدولة العثمانية فعليًا؛ بعد اعتلائه العرش اليوناني عام 1913م. ثم بعد ذلك أعلن الملك اليوناني قسطنطين بروسيا في بداية الحرب العالمية الأولى أن يقف على الحياد من كل الأطراف المتحاربة. غير أن رئيس وزراء اليونان إليوثريوس فينيزيلوس Eleutherius Venizelos بعد إعلان الحرب العالمية الأولى بسنتين أي عام 1916م أعلن دعم بلاده لقوات الحلفاء وأعطاهم الكثير من الأراضي والقواعد التي

استخدموا في الهجوم على الدولة العثمانية. وبالمقابل دعم الحلفاء اليونان بالسفن الحربية التي ستسخدم فيما بعد في احتلال إزمير. غير أن الملك اليوناني قسطنطين بروسيا حينها كان غير راضٍ عن فعل رئيس وزرائه؛ لأن ذلك يوقعه في مشاكل كثيرة مع الألمان حلفائه ويقضي على حيادية اليونان من الحرب؛ ويقضي كذلك على أحلام اليونان التوسعية في البلقان؛ مما دفع حكومة قوات الحلفاء بالإتفاق على عزل الملك اليوناني قسطنطين بروسيا بتاريخ 12 يونيو 1917م وأجبروه على التنازل عن العرش لابنه الصغير ألكسندر Aleksandar وأن يذهب إلى المنفى. ولكنه قسطنطين بروسيا حاول أن يتنازل عن العرش لابنه الأكبر يورجو Yorgo إلا أن حكومة قوات الحلفاء أن يعتلي العرش ابن قسطنطين بروسيا الأكبر يورجو. وكان عمر ألكسندر Aleksandar حين اعتلى العرش اليوناني 27 عامًا ولم يكن مثل والده أو أخيه الأكبر؛ كان طفلاً مدللاً ولا يفقه من امر السياسة شيء؛ لهذا كان الحاكم الفعلي لليونان هو رئيس الوزراء إليوثريوس فينيزيلوس Eleutherius Venizelos.

وبسبب رئيس الوزراء اليوناني هذا ساعدت اليونان قوات الحلفاء بكل ما يحتاجون من مؤن وأراضي اثناء هجومهم على استانبول عاصمة الدولة العثمانية. لهذا اتفق رئيس الوزراء اليوناني إليوثريوس فينيزيلوس Eleutherius Venizelos مع قوات الحلفاء على احتلال مدينة إزمير İzmir ومقاطعة بحر إيجه[60] Ege المحيطه بإزمير. ولقد تم لليونانيين ذلك في عهد الملك اليوناني الشاب ألكسندر Aleksandar والذي لم يمكث على سدة تخت الملك سوى ثلاث سنوات؛ ولقد أعلن أن غرب الأناضول أصبح من أملاك اليونان؛ وأعلن تغير اسم منطقة إزمير وغرب الأناضول إلى إلكساندرو؛ كما تم الإستيلاء على ترقيا الغربية في عهده؛ إلا أنه في أثناء تنزهه في حديقة قصر أثينا الملكي؛ قام أحد القرود بعض يد الملك اليوناني الشاب؛ فأصيب بجروح بالغة في يده تألم منها كثيرًا وتسممت يده؛ ولم يصمد للحياة كثيرًا؛ حيث وافته المنية بعد عضة هذا القرض ببضعة أيام؛ مما رفع الروح المعنوية للأتراك لاسترداد إزمير وغرب الأناضول اثناء حرب الإستقلال؛ ومن جهة أخرى نتج عن وفاة الملك اليوناني الشاب ألكسندر Aleksandar عودة صاحب الحق الشرعي في العرش اليوناني من المنفى والده الملك قسطنطين بروسيا Konstantin Prusya لاعتلاء العرش اليوناني للمرة الثانية بتاريخ 5 ديسمبر 1920م؛ ولكن هذه المرة قد تعلم الملك قسطنطين

---

[60] إيجه Ege؛ منطقة بحر إيجه هي واحدة من سبع مناطق جغرافية في تركيا. أخذت اسمها من بحر إيجه الذي تقع عليه. وهي مقسمة إلى قسمين؛ هما بحر إيجة (بحر إيجة الأصلي، بحر إيجة الساحلي) وغرب الأناضول الداخلي (بحر إيجة الداخلي). تحيط بها منطقة مرمرة من الشمال ووسط الأناضول من الشرق ومناطق البحر الأبيض المتوسط من الجنوب وبحر إيجة من الغرب؛ واليونان كانوا يريدون إحتلال كامل الشاطئ الشرقي من الأناضول الموازي لساحل بحر إيجه الغربي المقابل لهم، أنظر https://tr.wikipedia.org/wiki/Ege_B%C3%B6lgesi#:~:text=Ege%20B%C3%B6lgesi%2C%20T%C3%BCrkiye'nin%20yedi,bat%C4%B1da%20Ege%20Denizi'yle%20%C3%A7evrilidir؛ المترجم.

بروسيا Konstantin Prusya الدرس جيدًا ولم يعصِ الحلفاء في أي أمر يريدون ولبى لهم كل ما يرغبون مقابل أن يحافظوا عليه وعلى عرشه؛ كي لا ينزلوه عن العرش بالإجبار مرة أخرى كما فعلوا قبل ثلاث سنوات.

إلا أن الملك اليوناني قسطنطين بروسيا Konstantin Prusya كان يرى أن ما أتخذه رئيس وزرائه إليوثريوس فينيزيلوس Eleutherius Venizelos الذي ساعد على خلعه عن العرش ونفيه من سياسات بشأن إحتلال إزمير وغرب الأناضول خاطئة؛ وذلك لأن غرب الأناضول يحتاج إلى مواصلات بحرية تربطه باليونان ولا يوجد أرض برية في ذلك؛ كما أن المقاومة الشديدة لليونانيين من قبل الأتراك في إزمير وغرب الأناضول أدى إلى خسائر فادحة في الأرواح والأموال؛ لهذا كان يرى الملك قسطنطين بروسيا Konstantin Prusya ضرورة الإنسحاب من إزمير وغرب الأناضول والتوسع في البلقان أفضل لوجود خطوط المواصلات البرية مع اليونان. لهذا عمل الملك اليوناني قسطنطين بروسيا Prusya Konstantin استفتاء للشعب اليوناني على البقاء في إزمير وغرب الأناضول من عدمه؛ فقرروا الإنسحاب من غرب الأناضول وإزمير.

كذلك قرر الملك قسطنطين بروسيا Konstantin Prusya على عزل رئيس وزرائه إليوثريوس فينيزيلوس Eleutherius Venizelos وتعين غيره؛ مما دفع رئيس الوزراء المعزول إليوثريوس فينيزيلوس Eleutherius Venizelos إلى الذهاب إلى باريس والإتفاق على عزل الملك قسطنطين بروسيا Konstantin Prusya للمرة الثانية؛ وبالفعل لم يمكث الملك قسطنطين بروسيا Prusya Konstantin سوى سنتين على العرش اليوناني حيث عزل من قبل دول الحلفاء للمرة الثانية بتاريخ 1922م؛ ثم نفي إلى إيطاليا وهناك توفى بها بعد عزله بعام بتاريخ 1923م.

وبتاريخ 9 ديسمبر 1922م تم تحرير مدينة إزمير وغرب الأناضول على يد مصطفى كمال باشا حيث أتى مع الجيش التركي وتمركز في منطقة نيف Nif ومنها صعد إلى أعلى هضبة بل القهوة Belkahve Tepesi ثم دخل إحدى مقاهي الروم وطلب مصطفى كمال باشا أن يشرب قهوة ثم نادى على النادل وسأله: **" هل ملك اليونان قسطنطين بروسيا Konstantin Prusya أتى لزيارة إزمير؟!"** فأجاب النادل: **" لا لم يأتي يا عزيزي الباشا"** فعقب عليه مصطفى كمال باشا قائلاً: **" حما! إذا لم يأتِ لزيارة إزمير فلماذا احتلها؟!"** وهكذا استطاع مصطفى كمال باشا أن ينهي سنوات المرار والألم والفجيعة والإستحقار التي تعرض لها سكان إزمير عندما استردها من جيش اليونان.

والآن دعونا نرى عن كثب بالتفصيل لما وكيف تم احتلال إزمير؟!

28.2. الراعي وقطيع من الغنم

جمع لقاء التوقيع على اتفاقية الهدنة بتاريخ 30 أكتوبر 1918م بين بطل الحمدية ووزير البحرية العثمانية رؤوف بك من ضمن أعضاء وفد استانبول وبين مندوبي وممثلي العواصم الأوروبية معًا على ظهر السفينة الحربية البريطانية أجاممنون Agememnon الراسية في ميناء مانداروس Mondros Limanı بجزيرة ليمانيLimanı Adası . في اليوم التالي من توقيع الهدنة بدأت قوات الحلفاء تتجمع بأساطيلها الحربية قرب الساحل الغربي للأناضول.

لقد نصت المادة السابعة من اتفاقية هدنة مانداروس Mondros على:" **أعطت الدولة العثمانية الحق لقوات جيوش الحلفاء بأنه في حالة تعرض قوات الحلفاء لأي هجوم أو حدوث أي حادثة من شأنها إثارة الريبة لدى قوات الحلفاء؛ فمن حق قوات الحلفاء حينها احتلال أي منطقة استراتيجية تراها من أراضي الدولة العثمانية في الأناضول؛ لأجل تامين نفسها".** إلا أن ناظر البحرية العثمانية رؤوف بك رفض أن يمضي على هذه المادة من الإتفاقية وطالب بإلغائها؛ إلا أن قائد الأسطول البحري الإنجليزي المحاصر لاستانبول الأدميرال كالثروب Amiral Calthrope قال لرؤوف بك عند نهوضه وإعتراضه:" **أتظن أنه ليس بإمكاننا احتلال استانبول؛ لكن قيادة قوات الحلفاء لم يأتِ في فكرها في أي وقت احتلال استانبول وليس في نيتها ذلك فأطمئن. لكن لا جدوى من طرح فكرة الهدنة إذا استبعدنا استانبول من هذه المادة".** وهكذا استطاع الأدميرال الإنجليزي كالثروب Amiral Calthrope إقناع رؤوف بك بالتوقيع على هذه المادة وقبولها؛ غير أن المحيطين برؤوف بك أقنعوه أن هذه المادة من أجل الديباجة لاتمام الشكل؛ وليس بها اي خطر على الدولة العثمانية. لهذا وقع عليها رؤوف بك.

بيد أن رؤوف بك بعد أن وقعت اتفاقية هدنة ماندارو س سارع بالعودة إلى استانبول وذهب من فوريه إلى القصر السلطاني وطالب بلقاء السلطان محمد وحيد الدين؛ لكي يخبره بشأن المادة السابعة من اتفاق الهدنة. غير أن السلطان محمد وحيد الدين حينها كان متعبًا واضطر أن يصعد إلى الحرملك؛ غير أن رؤوف بك أصر على لقاء السلطان وحيد الدين وأرسل إليه من يبلغه وصوله من جبهة الحرب. فلما وصل؛ مما اضطر السلطان محمد وحيد الدين أن يرسل إليه من يعطيه موعد للقاء السلطان. غير أن هذا الموعد كان يوم الجمعة والذي تم فيه قبول الدولة العثمانية التام باتفاق هدنة مانداروس. فلما علم السلطان محمد وحيد الدين بنص اتفاقية مانداروس وبخاصة بالمادة السابعة قال للباشاوات والبكوات الذين وقعوا عليها: **"كأني**

أراكم كنتم مثل الجواري المستبشرات الوجه الضاحكات أمام الأعداء أثناء توقيع هذا الاتفاق لقد أخذتم قرار قبول بنود هذه الهدنة دون الرجوع إلي. يا ايها البكوات!...في هذه الأجزاء التي يريد أن يحتلها الأعداء في حالة شعورهم بالخطر أو حدوث ما يثير في نفوسهم الريبة أناسٌ من رعيتي؛ لهذا يجب على الراعي أن يجعلهم في حسابه والراعي لهم أنا!..."

غير أن رؤوف بك قال للسلطان محمد وحيد الدين:" **إن هذه المادة من أجل تحقيق ما يربوا إليه السلطان من الحفاظ على استانبول من الإحتلال؛ ولقد أعطى لي قائد الأسطول الإنجليزي الأدميرال كالثروب Amiral Calthrope وعدًا بعدم احتلال استانبول وأنه ليس في نيتهم مهاجمتها؛ ولكن هذه المادة تقع في اتفاق الهدنة من باب الصياغة الشكلية".** لكن بعد بضعة ايام من اتفاق الهدنة بدأ هجوم الإنجليز مع اليونانيين على إزمير وغرب الأناضول حينها قال رؤوف بك" **عديمي الشرف والأخلاق الإنجليز لقد خدعونا ولم يلتزموا بالحفاظ على وعدهم لنا... وهذا قائد الأسطول الإنجليزي الأدميرال كالثروب Amiral Calthrope شخص كذوب؛ عديم الأخلاق".** سيذكر السلطان محمد وحيد الدين اثناء زيارته لمكة بعد عدة سنوات أن الذين تسببوا في احتلال إزمير هم من وقعوا على اتفاقية مانداروس وكان منهم رؤوف بك ومن كانوا على رأس إدارة أنقرة؛ وانه قام بالتوقيع دون استشارة السلطان محمد وحيد الدين ثم أعلنوا ان السلطان محمد وحيد الدين السبب في كل ما حدث من إحتلال لإزمير وغرب الأناضول.

وفي شأن هذه المسألة يذكر السلطان محمد وحيد الدين في مذكراته:"**...إن الشخص الذي شنع علي بأنني السبب في كل ما حدث لإزمير من احتلال هو رؤوف بك؛ في زمن الدولة العثمانية كان من أهم القادة العسكريين في البحرية العثمانية؛ وكان يتولى قيادة قوات عسكرية عثمانية ضخمة ومن القوات العثمانية المهمة الرئيسة. الآن هو يعمل تحت إمرأة مصطفى كمال باشا كرئيس لمجلس النواب لحكومة أنقرة...ولكن للتذكير لأن الكل ينسى أن الفاعل الحقيقي للتوقيع على اتفاق هدنة مانداروس والذي قبل المادة السابعة دون الرجوع إلي. والتي كانت السبب في احتلال إزمير هو رؤوف بك. إن رؤوف بك وفتحي بك[61] وبعض من عاونهم من العسكريين هم من كانوا سببًا لما حدث للدولة العثمانية؛ عبر توقيعهم على**

---

[61] فتحي بك؛ اسمه كاملاً علي فتحي أوقيار بك ولد في 29 أبريل 1880 في بريليب، والتي تقع اليوم داخل حدود مقدونيا. والده إسماعيل حقي بك، الذي كان موظفًا حكوميًا في وزارة الخارجية العثمانية. مكث في بريليب حتى بلغ الثامنة من عمره. تلقى تعليمه الابتدائي في مناستير 1891م. بعد الانتهاء من تعليمه في Rüşdiye و Manastır Military High School التحق بالمدرسة العسكرية في اسطنبول 1897م وفي عام 1898م كان من بين السبعة عشر طالبًا بمن فيهم مصطفى كمال الذين جاءوا إلى إسطنبول

من ماناستير على متن سفينة حاجي داود. ستستمر الصداقات التي بدأت بينه وبين مصطفى كمال خلال المدرسة الثانوية العسكرية في مناستير في الازدياد في السنوات التالية. وترقيا معًا في الرتب العسكرية العثمانية. وانضم إلى أنصار حزب الاتحاد والترقي بالمدرسة الحربية ضد سياسة السلطان عبد الحميد الثاني الرافضة لإقرار القوانيين الوضعية. لقد تأثر بالمطبوعات المحظورة في عهد السلطان عبدالحميد الثاني لجمعية "تركيا الفتاة" والتي كانت تنشرها في البلاد مكاتب البريد الأجنبية. حفظ قصائد نامق كمال وتوفيق فكرت. خاصة في فترة الحرب العالمية الأولى، كان لأفكار نامق كمال المبنية على مُثُل الوطن والحرية تأثير كبير على علي فتحي بك في الدعوة إلى تكوين الأمة التركية المستقلة بعيدًا عن الأعراق الإسلامية الأخرى. بعد تخرجه من الحربية عام 1901 التحق بفئة هيئة التدريس وتخرج منها عام 1904. في نفس العام ، بدأ العمل كقائد أركان في أركان الجيش الثالث، ومقره في سالونيك. أشترك في حركة الإنقلاب العسكري على السلطان عبد الحميد الثاني عام 1908م؛ ووضع عبد الحميد الثاني بنفسه تحت حراسة مشددة في قصر المليونير اليهودي آلانتيني "علاء الدين" بسالونيك؛ وأشرف بنفسه على مصادرة كل ما يملك السلطان عبد الحميد الثاني لصالح قادة الجيش من الإتحاديين. وهو واضع اللوائح الدستورية العثمانية بعد الإنقلاب على السلطان عبد الحميد الثاني على أسس النظام الدستوري الفرنسي؛ . وهكذا وضع أسس الفهم الليبرالي الذي سيمهد الطريق في حياته السياسية في السنوات التالية. يؤمن بأن العرق مقدم على الدين؛ في عام 1911م أثناء إحتلال الإيطاليين لطرابلس غرب بليبيا فر إلى تونس ومنها إلى منطقة المضائق بالبسفور باستانبول؛ ثم عندما اندلعت حرب البلقان (1912) ، عمل كرئيس أركان في مضيق بحر سيفيد كوفا يي موريتيبسي الذي أنشئ في بولاير للدفاع عن المضيق. بالإضافة إلى ذلك كان رئيس أركان حاشية عبد الله باشا في جبهة إيبك في ألبانيا. وبناءً على اقتراح طلعت باشا، دخل البرلمان العثماني كنائب عن ماناستير نيابة عن لجنة الاتحاد والترقي في عام 1912. في غضون ذلك، تم تعيينه أمينًا عامًا للجنة الاتحاد والترقي. يعتبر هو مؤسس فكر الملكية الدستورية في الدولة العثمانية؛ أشرف بنفسه على نقل السلطان عبد الحميد الثاني على ظهر بخارة ألمانية بعد إحتلال اليونان لسالونيك ووضعه في قصر بيلربي 1نوفمبر 1912م. تم تعيينه سفيرا في صوفيا ببلغاريا في 10 أكتوبر م1913 من أجل التخلص من الأجواء السياسية المتوترة بعد اغتيال الصدر الأعظم محمود شوكت باشا. اتخذ مصطفى كمال ملحقًا معه. بعد اغتيال محمود شوكت باشا ترك علي فتحي بك الجيش طواعية وانتقل إلى رتبة ضابط احتياطي برتبة مقدم. انتقد مع مصطفى كمال الطريقة التي تم بها إحضار أنور باشا إلى نظارة الحربية ورفض فكر أنور باشا الداعم لفكرة سحب العسكريين أيديهم من السياسة بقي فتحي باي في صوفيا حتى 4 ديسمبر 1917 م، واشترى بنفسه مبنى السفارة الحالي. حصل على وسام الاستحقاق والاستحقاق المدني من قبل الملك البلغاري على خدماته هناك. كذلك كرمه الملك اليوناني والإنجليزي؛ وكان فتحي بك أول رئيس للوزراء بعد إعلان الجمهورية عام 1922م وذلك بعد استيلاء حكومة أنقرة على استانبول وإلغائها منصب الصدر الأعظم؛ وظل في منصبه حتى عام 1925م؛ حيث عزله أتاتورك عندما إندلعت ثورة الشيخ سعيد بهلواني الكردي؛ المنادية بعودة السلطنة والخلافة العثمانية و بالأمير مصطفى بن السلطان عبد الحميد الثاني خليفة للمسلمين وبإلغاء النظام الجمهورية؛ وتم تعيين عصمت أنونو باشا مكانه؛ دخل مجلس الأمة التركي وكان ممثلاً للتيار الليبرالي ضد التيار الشيوعي؛ وهو من الأعضاء المؤسسين لحزب الشعب الجمهوري Chp؛ ثم انفصل عن حزب الشعب الجمهوري في أغسطس 1930م وأسس حزب الجمهورية الحرة؛ غير أن أتاتورك لم يوافق على وجود حزب ذو شعبية ينافس مبدأ الحزب الجمهوري الواحد؛ لهذا قام فتحي بك بحل حزب الجمهورية الحرة قبل أن يبدأ نشاطه السياسي. وبعدها قرر له أتاتورك أن يتم تعيينه سفيرًا للجمهورية التركية في باريس؛ غير أنه طلب أن يعين سفيرًا في لندن فأرسله أتاتورك بتاريخ 7 أبريل 1934م للعمل في سفارة تركيا بلندن؛ في عام 1936م أتى مع وفد الملك الإنجليزي إدوارد الثامن أثناء زيارته لاستانبول؛ وكان ضمن الوفد التركي لاتفاقية مضيق مونترو الموقعة في ذلك العام. وبعد وفاة أتاتورك عاد إلى تركيا عودة نهائية عام 1939م. أراد عصمت إينونو أن يتصالح معه وعيّنه وزيراً للعدل في حكومة رفيق صيدام. في غضون ذلك، تم انتخابه نائبا عن ولاية بولو التركية. تقاعد عام 1942م. وقضى نهاية حياته في قصره في بويوكادا وبدأ في كتابة مذكراته عن فترة حزب

اتفاق هدنة مانداروس. وإذا كان مصطفى كمال باشا حقًا يريد أن يكون ممثلاً للأمة فعليه أن يحاسبهم نيابة عن الأمة؛ لأنه هو المسؤول الرئيسي الآن؛ لا أن يجعلهم على رأس الدولة ومن مسؤوليها؛ وسيأتي الزمان الذي سيحاسب فيه كل هؤلاء؛ وسيعلن حينها من المتهم الحقيقي لما حدث لإزمير".

بعد التوقيع على اتفاق الهدنة مع الدولة العثمانية ثار الغضب في كل عواصم الدول الأوروبية بسبب توقيع اتفاق هدنة مانداروس لوقف إطلاق النار؛ وكانت حالات الغضب في لندن أشد من حالات الغضب على الدولة العثمانية في باريس. إذ أجمع كل من قيادات حكومات الإنجليز والفرنسيين أن مثل هذه الهدنة تؤدي إلى ضياع ما حققه الحلفاء من السيطرة على استانبول فعليًا؛ كما تعطي للأتراك فرصة للإتقات أنفاسهم؛ وهذا يضر بقوات الحلفاء. كما أن الإنجليز لم يكونوا ممثلين عن اليونان في اتفاق مانداروس؛ كذلك الفرنسيين لم يكونوا ممثلين عن بلغاريا كما كانوا يرغبون. إلا أن الفرنسيين قد صمتوا بناءًا على نصيحة الإنجليز حيث أن البلغار قد استطاعوا الإنفصال تمامًا عن جسم الدولة العثمانية ووافقت الدولة العثمانية بموجب اتفاق مانداروس على استقلال كل ولاياتها عنها العربية والبلقانية؛ وبذلك حصلت اليونان على استقلال تام كما حصلت بلغاريا على استقلال تام؛ ولم تعد الدولة العثمانية تنظر إليهما على أنهما ولايتان منفصلتان عنها قد شقا عصا الطاعة.

غير أن وزير الخارجية الإنجليزي قد اتهم قائد الأسطول الإنجليزي بسرقة أموال الدولة الإنجليزية أثناء توقيع اتفاق الهدنة مانداروس مع الدولة العثمانية؛ حينها أخرج الأدميرال كالثروب من حقيبته للعرض على الحكومة في لندن وثيقة تثبت أن رؤوف بك قد أخذ منه مبالغ مالية ضخمة مقابل شراء ذمته والتوقيع على اتفاق مانداروس. وأن رؤوف بك قد استلم هذه الأموال من الحكومة الإنجليزية على شكل هدية بمناسبة توقيع اتفاق هدنة مانداروس. حينها ثمنت الحكومة الإنجليزية ما قام به الأدميرال كالثروب؛ وبناءًا على تلك الإتفاقية فإن الحكومة الإنجليزية قد أرسلت إلى الأناضول لوضع أغلب الأماكن والمدن الاستراتيجية فيه تحت الحماية الإنجليزية مليون مقاتل. إلا أن مصاريف هؤلاء الجنود وطول خطوط الإمداد لديهم جعل

الجمهورية الحرة؛ ولكن منذ بداية عام 1943 تطور مرضه وتدهورت حالته الصحية وتوفي في 7 مايو 1943 في منزله في نيشان طاش Nişantaşı باسطنبول ودفن في مقبرة زنجيرلكيو عصري Zincirlikuyu Asri، أنظر موسوعة المعارف الإسلامية التركية مقال معمر تشوزمان MUAMMER GÖÇMEN، بعنوان أوقيار علي فتحي بك؛ https://islamansiklopedisi.org.tr/okyar-ali-fethi؛ وأنظر موسوعة أتاتورك التاريخية https://ataturkansiklopedisi.gov.tr/bilgi/ali-fethi-okyar-1880-1943/.

الاقتصاد الإنجليزي يشعر بالإختناق. لذا كان على هؤلاء الجنود أن يتدبروا أمور تموينهم على الاستيلاء على كل ما يقع تحت أيديهم من ثروات الأناضول. لهذا قد رخصت الحكومة الإنجليزية لهؤلاء الجنود المتمركزين بالأناضول ذلك؛ بغرض تخفيف الضغط الإقتصادي على الحكومة الإنجليزية المركزية في لندن. ولم يعد رئيس الورزاء الإنجليزي لويد جورد Lloyd George يستطيع أن يسيطر على زمام الأمور في لندن كسابق عهده.

بيد أن الحكومة الإنجليوية ظلت محافظة على خط سياستها الخارجية ولم تغير تعاملاتها أبدًا مع اي بلد قد احتلته؛ غير أن هذه السياسة لم تعد تجدي مع بعض البلدان؛ حيث أن الحكومة الإنجليزية بدأت تفقد السيطرة على زمام الأمور في الهند؛ وبدأت الأنظار تذهب إلى من يمكن أن يحل محل الحكومة الإنجليزية في الإشراف على الهند. فمنذ القرن التاسع عشر الميلادي والحكومة الإنجليزية تسيطر على طرق المواصلات التجارية والحربية البحرية الذاهبة من وإلا الهند. لهذا السبب فالحكومة الإنجليزية كانت شديدة القلق من أن تخرج الأمور عن سيطرتها في شبه القارة الهندية؛ لما سينتج عنه ذلك من اثر إقتصادي وعسكري وسياسي ضار على الحكومة الإنجليزية. لهذا السبب كانت تتعامل الحكومة الإنجليزية بكل شدة وصرامة مع أي عصيان يحدث في الهند ضدها أو مع اي دولة قد تفكر في الإقتراب من الهند.

ولم تنسَ الحكومة الإنجليزية أنه بعد قطع الدعم المادي عن استانبول باحتلال مصر لم يبقى من طريق لدعم استانبول وحكومة الدولة العثمانية إلا من خلال مسلمي الهند؛ لهذا كان الوضع الأمني الداخلي في الهند تهتم به الحكومة الإنجليزية قبل اي شئ آخر؛ فمصر قد سقط في أيديها واستطاع السيطرة عليها؛ أما في الهند فمازال المسلمون يسببون القلاقل للحكومة الإنجليزية؛ وبخاصة بسبب دعمهم المادي والمعنوي للدولة العثمانية. وكانت الحكومة الإنجليزية تخشى من ثورة المسلمين عليها في الهند استجابة لدعوة الخليفة العثماني. وفي تلك الأثناء والحكومة الإنجليزية مشغولة بوضع الهند أتى إلى لندن رئيس وزراء اليونان إليوثريوس فينيزيلوس Eleutherius Venizelos والذي قابل رئيس الوزراء الإنجليزي لويد جورد Lloyd George وعرض عليه ان تكون اليونان مركز انطلاق لهجوم قوات الحلفاء على استانبول بالمقابل على الحلفاء أن يوسعوا حدود اليونان عبر ضم بعض الأراضي من الأناضول إلى اليونان؛ كذلك عرض رئيس الوزراء اليوناني إليوثريوس فينيزيلوس Eleutherius Venizelos على رئيس الحكومة الإنجليزية أن تكون الحكومة الإنجليزية هي الراعية لحكومة اليونان وتمثلها في المحافل الدولية؛ وكان يقول رئيس الوزراء اليوناني إليوثريوس فينيزيلوس Eleutherius Venizelos لرئيس الوزراء الإنجليزي لويد جورد Lloyd George عن الأتراك: **" لا يوجد في قلبي إلا كل كراهية للأتراك... إنني بعد ما قرأت**

نصوص الصلح التي وقعتموها مع الأتراك؛ وجدتكم لم تضيفوا إليها شروط عقابية كافية على الأتراك جراء ما أقترفوه في حقنا من جرائم؛ إنه من درجات الجنون ألا تفكروا في عقاب الأتراك أشد العقاب؛ لا أرى أي صديق للحكومة الإنجليزية من بين الأتراك؛ ولو كان شخصًا واحدًا. لهذا إن أردتم القضاء على الدولة العثمانية وطرد الأتراك من استانبول فلا حل لديكم سوى الإحتلال المباشر لاستانبول؛ وهذا ما سوف توفره لكم اليونان عبر أراضيها. لا يجب أن يكتفى بتمزيق الدولة العثمانية وترك رأسها؛ بل يجب قطع رأس الدولة العثمانية عبر دخول سفن جيوش قوات الحلفاء لاستانبول لاحتلالها؛ حينها لن يكون لديكم أي إلتزام لدى الأتراك؛ لأن القائمين على حكومتهم سوف يأتونكم وهم في حالة من الخوف والفزع".

هكذا عرض رئيس الوزراء اليوناني إليوثريوس فينيزيلوس Eleutherius Venizelos على رئيس الوزراء الإنجليزي لويد جورد Lloyd George فكرة احتلال استانبول وتوسع اليونان على حساب تركيا وضرورة عقاب الأتراك وتدمير الدولة العثمانية وجعل انجلترا هي من ترسم حدود اليونان الجديدة وتمثلها في المحافل الدولية وجعل أراضي اليونان قاعدة انطلاق لجيوش قوات الحلفاء ضد استانبول عاصمة الدولة العثمانية. وكان من المعلوم لدى قوات الحلفاء أن المغلوب توزع أملاكه بين المنتصريين؛ لهذا كان لابد من ضرورة توزيع أملاك الدولة العثمانية بين إنجلترا وفرنسا. لهذا اتفق رئيس الوزراء اليوناني إليوثريوس فينيزيلوس Eleutherius Venizelos مع رئيس الوزراء الإنجليزي لويد جورد Lloyd George على أن اليونان ستتوسع في الأراضي المجاورة لها فستحتل من الدولة العثمانية إزمير وأيدن وبورصة وستأخذ ترقيا الغربية وكذلك ستتوسع اليونان من ناحية الشمال الغربي وستأخذ من ألبانيا منطقة إيبرى Epir كما ستأخذ جزيرة قبرص؛ بيد أن الحكومة الإنجليزية شرطت على رئيس وزراء اليونان إليوثريوس فينيزيلوس Eleutherius Venizelos أن يأخذ رأي رئيس وزراء حكومة إيطاليا لأن الحكومة الإنجليزية والفرنسية قد وقعتا اتفاق سري مع الحكومة الإيطالية عرف بمعاهدة سانت تيان دي موريان Saint-Tien-de-Maurienne Antlaşması والذي نص أن تأخذ إيطاليا ما تشاء من أراضي الدولة العثمانية مقابل ألا تشترك إيطاليا في الحرب. وقد وقعت هذه الإتفاقية السرية برعاية الفرنسيين مع إيطاليا وبحضور الإنجليز والروس بتاريخ 19 إبريل 1917م. غير أن الثورة البلشيفية الشيوعية في روسيا القيصرية نتج عنها خروج الروس من معاهدة سانت تيان دي موريان Saint-Tien-de-Maurienne Antlaşması وإعلانهم عنها؛ مما أفسد الإتفاق مع الإيطاليين. ولم يجعله يتحقق على أرض الواقع.

وكانت تنص الإتفاقية مع الإيطاليين أن المنطقة من مدينة إزمير حتى منطقة أورجوب Ürgüp جنوب إزمير ومن شمال إزمير حتى بورصة تخضع للنفوذ الإيطالي. غير أن اليونان سعت لدى إنجلترا

على أخذ المناطق التي تريدها إيطاليا من اراضي الدولة العثمانية في الأناضول. لهذا حدث خلاف داخلي بين دول الحلفاء فنجد فرنسا تصر على الإلتزام باتفاق معاهدة سانت تيان دي موريان-Saint-Tien-de-Maurienne Antlaşması مع الإيطاليين؛ بينما إنجلترا أيدت المعاهدة مع رئيس وزراء اليونان إليوثريوس فينيزيلوس Eleutherius Venizelos بضم الأماكن التي كانت ستضم لإيطاليا لليونان. غير أن فرنسا لم تدعم إيطاليا تدعيم جدي في تنفيذ معاهدة معاهدة سانت تيان دي موريان-Saint-Tien-de-Maurienne Antlaşması؛ وأبدت فقط قلقها من عدم تمكن الإيطاليين من السيطرة على إزمير وبورصة وغرب الأناضول؛ وعبثًا حاولت إيطاليا الإعتماد على النصير الروسي والذي رفض تأيدها؛ لأن هذا يهدد أطماعه في الأناضول. وفي ذلك يقول رئيس الوزراء الإيطالي عمانوئيل اورلاندو Emmanuel Orlando: **" كانت الإتفاقية معنا يجب أن توقع من طرف الروس أيضًا؛ غير أن هذا لم يحدث".** لهذا السبب ترك رئيس الوزراء الإيطالي وحده؛ وتم دعم اليونان في إحتلال غرب الأناضول من قبل دول الحلفاء.

غير أن هناك شخص آخر رفض أن تتمدد اليونان إلى غرب الأناضول ألا وهو الرئيس الأمريكي ويلسون Wilson. لقد رأى الرئيس الأمريكي ويلسون أن دعم اليونان في شن حرب بغرب الأناضول ليس بالأمر المجدي ويخالف مبادئه الإنسانية التي يدعوا إليها؛ وأنها عمل غير أخلاقي. لكن إذا حدثت الحرب واحتلت اليونان غرب الأناضول مع دول الحلفاء؛ فلابد من انتظار النتائج قبل الحكم على الأمور. ورأي الرئيس الأمريكي ويلسون أن غرب الأناضول يجب أن يستمر مع الأتراك لعدة أسباب أولها أن عدد نفوس الروم واليونانيين بغرب الأناضول أقلية بالنسبة إلى نفوس الأتراك. ثانيها أن الإستيلاء على غرب الأناضول والعمل على تحويله إلى أرض يونانية سيؤدي إلى تهجير السكان الأتراك بالقوة؛ مما ينتج عنه زيادة شديدة في المقاومة ضد دول الحلفاء في وقت يجب أن يعم فيه السلام؛ ثالثها؛ أن الوقت غير مناسب بالنسبة للأمريكان للسماح لليونان بعمل مثل هذا التوسع الجغرافي في غرب الأناضول.

كذلك كان موقف الرئيس الأمريكي ويلسون Wilson من معاهدة التوسع الإيطالي السرية في غرب الأناضول؛ ورأى أنه ليس هناك سبب من التوسع في أرض الأتراك الآن. وبسبب استبدال دول الحلفاء لإيطاليا باليونان في موضوع التوسع في غرب الأناضول؛ فإن رئيس الوزراء الإيطالي عمانوئيل اورلاندو Emmanuel Orlando خرج للشعب الإيطالي يقول: **" إن دول الحلفاء لم تراع الإتفاق الذي عقدته معنا بشأن أحقية إيطاليا في التمدد والتوسع في شرق الأناضول؛ ورأوا أن هذا من حق اليونان؛ لقد خالفوا الإتفاق الذي وقعوه معنا؛ والذي يلزمهم بإعطاء غرب الأناضول وإزمير وبورصة لنا؛ مما جعل هناك**

أزمة سياسية في السياسة الخارجية بيننا وبين دول الحلفاء. ويبدوا أن دول الحلفاء قد خافوا منا خشية من عودة الإمبراطورية الإيطالية من جديد. ونظرًا لأن كل الحجج التي ساقتها دول الحلفاء للحكومة الإيطالية ليس بالحجة البينة القوية المقنعة؛ فإن الحكومة الإيطالية تعلن ردًا على اتفاق قوات الحلفاء مع اليونان ضدها بأن عساكر الجيش الإيطالي ستبدأ في الإنسحاب من مدينة أنطاليا التركية اعتبارًا من تاريخ مارس 1919م؛ وبأن العساكر الإيطاليا ستركب السفن الحربية الإيطالية وستنتقل عبرها من أنطاليا إلى استانبول عائدة لإيطاليا في غضون شهرين. وذلك لأن لإيطاليا حق كبير في أراضي الأناضول؛ رفضت دول الحلفاء من إعادة حقنا إلينا؛ وذلك خوف منا أن نعيد احياء الإمبراطورية الرومانية من جديد...غير أن دول الحلفاء بدأت تستخدم سياستها الإمبريالية ضدنا بتهديدنا وبالهجوم علينا؛ وأنهت مرحلة السلام معنا؛ وهذا الأمر سيكون على دول الحلفاء وليس معهم".

لهذا السبب هددت الحكومة الإيطالية دول الحلفاء بأنه إذا لم تنفذ معاهدة سانت تيان دي موريان Saint-Tien-de-Maurienne Antlaşması معها بشأن أحقية إيطاليا في أراضي غرب الأناضول وإزمير وبورصة والمناطق الجنوبية من الأناضول على ساحل البحر المتوسط؛ فإن الحكومة الإيطالية سوف تتواصل مع العثمانيين؛ وستدعم حكومة استانبول في الدفاع عن أراضيها. لكن إذا أرادت دول الحلفاء تلافي هذا الخطأ فإن الحكومة الإيطالية من الممكن أن تقبل بأماكن أخرى موازية لساحل البحر الإدرياتي الإيطالي؛ كتعويض من دول الحلفاء عن نقضهم معاهدة سانت تيان دي موريان-Saint-Tien-de Maurienne Antlaşması مع إيطاليا.

بيد أن حكومة دول الحلفاء أعلنت من باريس بتاريخ 24 إبريل 1919م رفضها أن تتوسع إيطاليا في الساحل المقابل لساحلها على البحر الإدرياتي؛ وعلى إيطاليا أن تبتعد عن التدخل في شأن الأناضول؛ وبعد هذا الإعلان بشهر أي بتاريخ 1 مايو تم أرسال السفن الحربية لدول الحلفاء إلى ساحل غرب الأناضول؛ وبدأت قواتهم تزحف على شكل قطع من الكتائب المنتظمة في اتجاه جبل بار Bardağı ثم استولوا على هذا الجبل وتمركزوا فيه؛ ولما علم الرئيس الإمريكي ويلسون بذلك غضب وقال:" **إن حكومة دول الحلفاء بدأت تتصرف بعيدًا عن الحليف الأمريكي".** والسبب في اسراع دول الحلفاء باحتلال إزمير مع اليونان؛ هو خوفهم من أن تتصرف إيطاليا من نفسها وتقوم باحتلال غرب الأناضول دون الرجوع إليهم؛ لهذا رأوا أن يسبقوها في هذا الأمر كي يجعلوا الوجود اليوناني في إزمير وغرب بحر إيجه من الأناضول أمر واقع؛ لا تستطيع إيطاليا تغيره. وكانت فكرة الإسراع باحتلال إزمير قبل الإيطاليين فكرة رئيس الوزراء الإنجليزي لويد جورج Lloyd Geoge. ومن جهة أخرى حاول الرئيس الأمريكي ويلسون مع رئيس الوزراء الفرنسي

كليمنصو Clemenceau أن يوقف احتلال غرب الأناضول وتسليمه لليونان؛ غير أن رئيس الوزراء الفرنسي رفض. مما دفع الرئيس الأمريكي ويلسون أن يفتح قناة اتصال دبلوماسي فورًا مع اليونان واتصل برئيس الوزراء اليوناني إليوثريوس فينيزيلوس Eleutherius Venizelos؛ وفي أثناء هذا التواصل خرجت قطعتان بحريتان من السفن الحربية اليونانية من ساحل مقدونيا الألباني باتجاه طريق ساحل غرب الأناضول. وكانت التحركات اليونانية مع دول الحلفاء سرية. ولقد تفاجأت إيطاليا باحتلال اليونان لإزمير وغرب الأناضول. وكان هذا الخبر على الإيطاليين بمثابة الخبر الأسود المشؤوم.

وفي صباح 15 مايو 1919م؛ بعد احتلال قوات الحلفاء لإزمير انسحب منها الجيش الإنجليزي والفرنسي والإيطالي؛ ودخلها الجيش اليوناني؛ وكان الجيش اليوناني أثناء دخولها لإحتلال إزمير يسير بموازات نقاط الجيش العثماني. وعندما وصل خبر إحتلال اليونانيين للإزمير وساحل بحر إيجه الغربي قال وزير الداخلية العثماني في استانبول محمد علي بك: **" الله الله، ما هذه الغطرسة؟!؛ سوف نحتج!..."**؛ ولكن بعد احتلال اليونان لإزمير ومنطقة غرب الأناضول أعلن مفتي البحر العثماني أحمد خلوصي أفندي فتواه في الجهاد حيث قال: **" إن الجهاد فرض عين على كل من يسكن في إزمير وغرب الأناضول ووقع عليه الإحتلال؛ وواجب على الأمة حمل السلاح وتدعيم المجاهدين؛ ويستحيل أن يكون هناك معنى لحرب الإستقلال؛ إذا لم يتوافر السلاح أو انعدم من أيدي أهلنا في إزمير وغرب الأناضول!..."** وبسبب هذه الفتوى تحركت السفينة الحربية بندرما " أي سفينة الشراع الحربية" من استانبول بتاريخ 16 مايو 1919م بعد الظهيرة باتجاه سواحل غرب بحر إيجه المحتل من غرب الأناضول.

29.2. تاشيرات الدخول لثمانية وأربعون مسافر بالخيول

في هذا القسم سوف نتناول قصة 48 وأربعون راكب غير معروفة وجوههم يركبون باخرة بندرما[62] متوجهين إلى مدينة سامسون Samsun؛ والوثيقة الخاصة بهؤلاء الأشخاص لم تنشر من قبل؛ وهي تنشر بما فيها من معلومات لأول مرة في هذا الكتاب.

[62] بندرما Bandırma؛ كلمة تركية ذات أصل تركي عثماني مشتقة من كلمة البندر العثمانية؛ وتعني الحضر. ومازالت كلمة البندر تستخدم في بعض أرياف مصر وجنوب بلاد الشام بالأردن وفلسطين وغيرها للدلالة على النزول من الريف للحضر بالمدينة؛ فيقول المسافر للمدينة:" أنا نازل على البندر"؛ وأصل هذه الكلمة باللغة التركية الفعل Bandırmak والذي يعني التحضر أو التراجع؛ وفي اللغة التركية عند حذف حرف الـ k من الفعل مع ابقاء المقطع الصوتي الأول للمصدر ma أ و me فإن هذا يعني تحول الفعل لاسم مثل Bandırma Vapuru أي قطار الحضر؛ المترجم.

في تلك الآوانة لم تعد استانبول بعد تحت الإحتلال العسكري المباشر من قبل قوات الحلفاء. ولم يعلن الحلفاء احتلال استانبول رسميًا. بيد أن عساكرهم كانت تحاصر استانبول من كل جانب منتظرين الفرصة المناسبة للاحتلالها. فمازال القائد الفرنسي لجيش الشرق[63] اللواء فرانشيت ديسبري General Franchet Desprey يحلم باللحظة التي سيدخل فيها استانبول فاتحًا مثلما دخلها السلطان الفاتح؛ ولم ييأس من تحقيق حلمه هذا وينتظر هذه اللحظة الحاسمة بكل صبر وحماس.

من جهة أخرى كان الوضع داخل استانبول على النحو التالي؛ السلطان والحاشية وأفراد الشعب كلهم مسلحين مستعدين للحظة اقتحام استانبول في أي لحظة؛ ونشوب قتال دامي مع قوات الحلفاء أثناء احتلال استانبول. كانت العلاقة المشتركة بين القصر السلطاني والشعب هي حمل السلاح لأجل الجهاد. ولكن الأسئلة التي كانت تشغل ذهن العامة في استانبول حينها؛ كيف سننظم أنفسنا؟ وما هي خطط الدفاع عن استانبول إذا تم الاقتحام؟ ومن أي نقطة سنبدأ منها صد الهجوم على استانبول؟ ومن القائد الذي سيقود الأمة حينها إذا حدث هذا الهجوم؟ بيد أن السلطان محمد وحيد الدين حينها في ذلك الوقت لم يكن يفكر بمثل هذه الطريقة التي كان يفكر بها العامة؛ ولم تطرأ على ذهنه حينها مثل هذه الأسئلة. وذلك لأن السلطان محمد وحيد الدين حينها لم يكن يتخيل أن قوات الحلفاء تستطيع دخول استانبول؛ ولم يأتِ بعد إلى ذهنه فكرة أنه سوف يترك عاصمة الدولة استانبول؛ وأنه سيخرج منها؛ لهذا السبب لم يكن يفكر حينها؛ كما كان يفكر أبناء الشعب من سكان استانبول. ولهذا كان السلطان محمد وحيد الدين حينها يحاول قدر المستطاع استخدام السياسة الدبلوماسية التخديرية مع دول الحلفاء لمنع هجومهم على استانبول؛ بينما على الطرف الآخر نجد أمراء الأسرة العثمانية كانوا يتوقعون اقتحام استانبول من قبل قوات الحلفاء في أي لحظة. وكان بالنسبة لأمراء البيت العثماني هذا احتمال قوي قائم.

لهذا السبب شكلت قوات الحلفاء ما يعرف بقوات العمل العسكرية السريعة وأرسلتها مع أحد أمراء الحرب منهم مع كامل تجهيزاتهم بالسلاح إلى الأناضول؛ وكان الغرض من هذا السلاح هو التحكم في كل أكبر قسم كبير من الأناضول؛ وتغير طبوغرافيته الاجتماعية، وديموغرافيته السكانية؛ وبهذا الشكل إذا تمت مفاوضات السلام النهائية مع الدولة العثمانية سيكون من ضمن الأمور المعروضة على مائدة المفاوضات في حال إذا رفض القائمين على الدولة العثمانية بعض شروط التسليم ورقة ضغط فعلية متمثلة في هذا الجيش

[63] جيش الشرق الفرنسي؛

المشكل والقائم فعليًا على أرض الأناضول؛ فمن المعروف سياسيًا أن صاحب القوة هو من يفرض شروطه على أرض الواقع. وهكذا استعدت دول الحلفاء للتفاوض مع الدولة العثمانية.

على الطرف الآخر كان هناك خلاف كبير بين قادة الدولة العثمانية ورجال الجيش وبين قادة الجيش العثماني أنفسهم من يقود الجيش والمعارك خلال هذه المرحلة. ففي أحد أيام شهر مارس من عام 1919م؛ بأحدى لياليه اجتمع قادة الجيش مع بعض ممثلي رجال الدولة العثمانية في قصر صغير بقرية آران Erenkçöy ليتحدثوا في شأن القائد المختار لمثل هذه المهمة؛ وظلوا ساعات كثيرة يتناقشون ويتجادولون فيما بينهم؛ حتى اتفقوا على اعطاء القيادة العامة للجيش لنوري باشا Nuri Paşa وأتخذوا قرارهم بالاجماع على ذلك. وبعد هذا الإجتماع انفصل عنه بعض الأعضاء الذين يرفضون دعم نوري باشا لهذا المنصب؛ إلا أنهم كانوا أقلية؛ إلا أن الجميع أثناء خرجوهم من الاجتماع كان يراودهم الشك إذ أنهم أثناء خروجهم وجدوا سيارة أجرة غريبة تقف أمام القصر المجتمعين فيه. إلا أنهم وجدوا في هذه السيارة الأجرة رائد عسكري شاب من الجيش. وبعد ذلك بسنوات سيكون هذا الرائد هو القائد المشهور رأفت بك Refet Bey والذي سيصبح عقيدًا فيما بعد.

فسأله بعض المجتمعين:" **لماذا أتيت؟!"**؛ فأجابهم: " **عفوًا لقد تأخرت على الإجتماع. وأردت بحضوري هذا أن أعرف ما هي نتيجة الإجتماع؟!"** فقالوا له:" **إن نتيجة الإجتماع أن يكون القائد العام للجيش العثماني وناظر الحربية هو نوري باشا"**؛ فعقب على قولهم رأفت بك قائلاً: " **إن اختيار نوري باشا قائدًا عامًا للجيش العثماني قرار غير موفق...لكن إذا أردتم أن تعطوا هذا المنصب لأحد فعليكم أن تعطوه لأحد القادة المشهوريين مثلاً...مثل مصطفى كمال باشا فقد كان أحد القادة المدافعين عن استانبول في معركة جناق قلعة Çanakkale ؛ ومازالت لديه بعض الأعمال التأمينية هناك؛ لدفع الأعداء عن استانبول".** مما دفع القادة العسكريين إلى القول بأن كلام الرائد رأفت بك صحيح؛ وبأنه من الأول أن يتم اختيار مصطفى كمال باشا لقيادة الجيش في مثل هذا الوضع الحرج؛ وبذلك قبل أن يعود الجميع إلى منازلهم وقبل أن يصلوا إلى المحطة التي سيركبون منها؛ كأنهم قد اصابتهم الريبة وكأنهم خرجوا من باب الشك لا من باب اليقين؛ فقد كانوا حيارى جميعًا من هو القائد الحقيقي الذي يستطيع انقاذ الأمة والدولة والعاصمة استانبول من الغزو والسقوط. والبعض منهم مال مع رأي رأفت باشا في اختيار مصطفى كمال باشا لمثل هذه المهمة. مما دفع القادة العسكريين وقادة سلاح المقاومة من سكان استانبول إلى العودة إلى داخل القصر الصغير بقرية آران Erenköy وأرسلوا إلى الصدر الأعظم فريدة باشا عريضة موقع عليها إمضائتهم واضعين فيها عدة أسماء للقيادة العامة للجيش العثماني ولنظارة الحربية وكان رأس هذه الأسماء هو مصطفى

كمال باشا؛ كما أنهم ذكروا للصدر الأعظم بهذه العريضة؛ بأن القادة العسكريين في الجيش وقادة سلاح المقاومة يصرون على مصطفى كمال باشا قائدًا لهم؛ وبأنهم لا يريدون غيره.

هذا دفع الصدر الأعظم فريد باشا إلى الذهاب إلى السلطان محمد وحيد الدين وقال له: **" إن القادة العسكريين يريدون مصطفى كمال باشا قائدًا عامًا لهم في الحرب وناظرًا للحربية".**

غير أن فريد باشا عندما سأله السلطان محمد وحيد الدين:**" أين مصطفى كمال باشا؟!"** فأجابه فريد باشا:**" قد أرسلناه مفتشًا عسكريًا عامًا ليجتمع بالقادة العسكريين هناك".** حينها عقب فريد باشا على السلطان محمد وحيد الدين عندما أحس بميله لمصطفى كمال باشا؛ ولعلم فريد باشا بان مصطفى كمال باشا لن يخضع لسلطانه باعتباره صدرًا أعظم وقد علم على الاسم الثاني أسفل اسم مصطفى كمال باشا بدائرة بالحبر الأحمر. وهذا الاسم للقائد شاكر باشا Şakir Paşa وقال للسلطان محمد وحيد الدين:**" قد يكون ليس من الأنسب للقادة العسكريين اختيار شاكر باشا؛ إلا أنه ليس من أنصار الفكر الجمهوري...أما اختيار مصطفى كمال باشا فيعني التوقيع بالموافقة على اختيار رأس من رؤوس دعاة الجمهورية المشهوريين".**

غير أن السلطان محمد وحيد الدين لم يوافق على تعين مصطفى كمال باشا على الفور وأرسل إلى ابن أخته الكبرى مديحة سلطان سامي بك؛ وذلك لكونه شاب متحمس وقريب من الناس والمجتمع؛ فسأله السلطان محمد وحيد الدين:**"أيهما أنسب لديك؛ مصطفى كمال باشا أم أنور باشا؟!...".** فأجابه سامي بك:**" من يعلم السلطان محمد وحيد الدين صدق ولائه للعائلة الحاكمة هو الذي يجب أن يقع عليه اختيار السلطان؟! لذلك فكر في العائلة الحاكمة عند الاختيار".** حينها سأله السلطان محمد وحيد الدين:**" أي عائلة حاكمة تقصد؟! وأين هذه العائلة؟".** فأجابه سامي بك:**" الأسرة العثمانية ككل؛ وليست أسرة السلطان فقط؛ فلا تختار نصير الجمهورية على حساب السلطنة".** حينها أجابه السلطان محمد وحيد الدين: **" جميعهم من عساكرنا المخلصين في الحرب؛ وأنا عندما أفكر في هذا الأمر؛ لا أخلط الأوراق بين عائلتي وأسرتي والدولة؛ بقدر ما أفكر في انقاذ البلاد والعباد".** في اثناء هذا الحوار أتت إشارة من شاكر باشا يقول فيها: **" إن الباشاوات القدماء يغارون منه".** حينها نظر السلطان محمد وحيد الدين إلى سامي بك قائلاً بعد هذه الرسالة: **" هل تعتقد أن هذا الشخص يستطيع أن يفعل شيء لانقاذ الدولة؟!...".**

حينها قام السلطان محمد وحيد الدين بالموافقة على تعين مصطفى كمال باشا ناظرًا للحربية وقائدًا عامًا للجيش العثماني؛ وصدق على قراراه بخاتم السلطنة؛ ثم أرسل إلى مصطفى كمال باشا بصورة غير رسمية ابن أخته الكبرى سامي بك ليخبره بصورة غير رسمية بأنه أصبح ناظر الحربية؛ وقائد عام الجيش

العثماني. وبذلك يكون السلطان محمد وحيد الدين قد استبدل اختيار فريد باشا الذي وقع على شاكر بك وبقراره السلطاني الذي وقع على مصطفى كمال باشا. غير أن سامي بك ذكر في بعض خواطره: **" أن السلطان محمد وحيد الدين حاول أن يقنع مصطفى كمال باشا بعدم الذهاب إلى قلب الأناضول؛ قبل أن يتم تعينه ناظرًا للحربية. لكنه عندما أنقذ قلب الأناضول من احتلال قوات الحلفاء؛ حينها أقنع مصطفى كمال باشا بنفسه كل المعترضين على تعينه كناظر للحربية؛ وقدر له السلطان ذلك".**

وفي أحدى ليالي الشتاء في المنفى في سان ريمو San Remo قام السلطان محمد وحيد الدين بمحو بعض الأوراق التي كان قد كتبها او أرسلها له سامي بك ابن أخته الكبرى مديحة أثناء تواجده على عرش السلطنة؛ حرق هذه الأوراق أمام ابنائه وأحفاده؛ عبر إلقائه لها في المدفئة ليرتفع لهيب الإحتراق بها؛ ثم أحرق بعض الأوراق الأخرى من مذكراته التي نصح فيها شاكر باشا بالإختباء من خصومه في مكان آمن بمدينته؛ وهذه الأوراق التي بها بعض هذه المعلومات والأسرار التاريخية والسياسية المهمة حرقت بسرعة في لهيب المدفئة الحطب لأنها كانت مصنوعة من أوراق خفيفة.

ومن جهة أخرى كان فريد باشا يظهر بشكل متكرر في عشية كل يوم بمنطقة نيشان طاش Nişantaş " قلادة الحجر" في أحدى القصور الأجنبية في حجرة مغلقة كان يلتقي بها بمصطفى كمال باشا؛ وكان يجلس مع مصطفى كمال باشا بالساعات يتحدث. لكن في أحدى هذه الليالي الظلماء عم الصمت الجميع كأنه صمت عميق؛ وذلك عندما أتت خدمة تنظيف الحجرات وسمعا صوتها. حينها قال فريد باشا لمصطفى كمال باشا بأنه أثناء زيارته لألمانيا أحضر بعض الدفاتر وبعض خبراء الحرب الألمان؛ لكنه عندما سمع صوت دفاتر الشيكات التي أحضرها قد سقطت على الأرض؛ صمت؛ ويقال إن اسم مصطفى كمال باشا كان دائمًا على اسم دفاتر شيكات فريد باشا على الدوام.

ولكن أشد ما كان يشغل فريد باشا حينها كيف لفتاة ألمانية أن تأتي إلى أسفل بناء لتنظف الحجرات بعد منتصف الليل؟ ومن الذي كان يراقب الباب الخلفي الصغير الذي كان يأتي ويخرج منه فريد باشا إلى هذه القصر الأجنبي؟ ومن هو هذا الضيف الذي أتى في مثل هذه الليلة الظلماء الحالكة السواد وصعد إلى غرفة فريد باشا بهذا القصر الأجنبي وجلس بها؟! لكن في الصباح قبل انتهاء اليوم الرابع خرج هذا الضيف الغريب بعيدًا عن القصر الأجنبي؛ لم يكن أحد يعلم من هذا الضيف السري؛ حتى فريد باشا أيضًا كان حينها يسمع صوت حركة أطفال. وكان يتسائل من هذا الضيف السري؟! لكن بعد عدة سنوات وبعد نفي العائلة

العثمانية وفي أحدى صحف استانبول نشر مقال في عدة صفحات بالصور الفتوغرافية عن من كانوا في تلك الليلة في هذا القصر؛ وتأكدنا من ذلك.

لقد كان الزائرين لهذا القصر الأجنبي ناظر البحرية عوني باشا Avni Paşa وناظر الداخلية محمد علي بك Mehmet Ali Bey... وبعد لقائهم هذا بالقصر الأجنبي قاموا بتهيأت قصر صغير لإجتماعتهم في قرية آران Erenköy؛ وبعد ذلك كانوا يخرجون إلى لقاء بعضهم البعض في طريق ميناء سامسون Samsun Limani وكانوا كلما ألتقوا وتحدثوا كانوا يلتقون من خلف ستارة لا تظهر وجوههم؛ ولا يقل أي أحد منهم اسمه للآخر. وكانوا قليلي الكلام. في زمان عوني باشا كان ناظر الحربية هو صهره شاكر باشا. وكان شاكر باشا من أقرب المقربين للسلطان محمد وحيد الدين قبل معرفته ولقائه بمصطفى كمال باشا. وكان شاكر باشا من أشد المخلصين للسلطان محمد وحيد الدين ومن أشد المقربين له وكان دائمًا ما يعمل في محيط دائرة السلطان وبيئته. ولقد كان الواسطة في التعرف بين شاكر باشا ناظر الحربية وعوني باشا ناظر البحرية من جهة؛ ومصطفى كمال باشا من جهة أخرى؛ هو وزير الداخلية محمد علي بك. كما أن محمد علي بك وزير الداخلية كان هو الوسيلة في التعارف بين الصدر الأعظم فريد باشا ومصطفى كمال باشا.

وفي أحدى هذه اللقاءات خرج وزير الداخلية محمد علي بك مع مصطفى كمال باشا للقاء عوني باشا ناظر البحرية في مركب خاص معد لذلك. وفي هذه الفترة كان لقب مصطفى كمال باشا المشهور به هو ميرليفا أي العميد Mirliva Mustafa Kemal Paşa غير أن عوني باشا لم يستطع أن يحضر هذا اللقاء وذلك سقوطه أثناء الطريق؛ غير أن مصطفى كمال باشا عندما هم بالخروج مع وزير الداخلية محمد علي بك أرسل لهم ناظر البحرية عوني بك تلغرافًا قال فيه: **" أشكركم على حسن توجهكم إلى المكان الذي أرسلتكم إليه؛ وأشكركم على ثقتكم الغالية في؛ وأتمنى أن تكونوا قد قضيتم يومًا مرفهًا في سامسون؛ ومن بعد وجودكم في سامسون ستبدأ مهمتنا".** وبعد ذلك سيتحول عوني باشا ناظر البحرية وناظر الداخلية محمد علي بك إلى أشد المعارضين لمصطفى كمال باشا بخاصة أثناء حرب الإستقلال وبعد الإنتصار في حرب الإستقلال كان عوني باشا ومحمد علي بك من ضمن المائة وخمسون شخصية في قائمة النفي إلى خارج تركيا.

وفي أثناء عودة ناظر البحرية عوني باشا ووزير الداخلية محمد علي بك من سامسون إلى استانبول وهم في الطريق انتشرت الإشاعات عن لقاءتهم السرية مع مصطفى كمال باشا وكان من ضمن من سمع

هذه الإشاعات رضا توفيق باشا والذي قال إنه سمع هذه الإشاعات عن هذه اللقاءات السرية من سعيد باشا؛ حيث ذكر هذه الإشاعات رضا توفيق في مذكراته قائلاً عنها:" **...قال الصدر الأعظم فريد باشا إلى مصطفى كمال باشا؛ إن الإنجليز يوصون بأن تذهب كمفتش عسكري للأناضول؛ وأن تبتعد عن استانبول لبعض الوقت؛ وهكذا اتفق فريد باشا مع قائد قوات المدفعية في سلاح الجيش العثماني رضا باشا على ابعاد مصطفى كمال باشا عن استانبول وابعاده عن السلطان محمد وحيد الدين؛ لأنه يعتبر من أشد المقربين إليه؛ ولهذا ربما يمكن أن يختاره محمد وحيد الدين ناظر للحربية؛ لقد فهم مصطفى كمال باشا غرض فريد باشا من إرساله كمفتش عسكري عام خارج استانبول بعض الوقت؛ وكان مصطفى كمال باشا ينظر إلى منصب ناظر الحربية الخالي؛ وبأنهم بابعاده عن استانبول؛ إنما يبعدونه في الحقيقة عن تولي نظارة الحربية. بيد أن مصطفى كمال باشا قال لفريد باشا:" بأنني سوف أخرج لما كلفتني به؛ ولكن بعد المثول بين يدي السلطان محمد وحيد الدين. وبعد مثول مصطفى كمال باشا أمام السلطان محمد وحيد الدين قال له السلطان:" إن خروجكم لجبهة الأناضول لقتال اليونان المحتلين؛ لمقام أتمنى أن تثبت فيه جداراتك لتعلوا مكانتك؛ وأنا شخصيًا أوافق على إرسالك إلى جبهة الأناضول وأتمنى لك التوفيق والنصر". حينها قال مصطفى كمال باشا للسلطان محمد وحيد الدين:" أتمنى أن أكون عند حسن ظن مولانا السلطان. ذاتًا يا مولاي السلطان أنت تعرف ما هي أسمى غاية لي. فنحن رفاق الدرب الواحد". وبذلك انفصل مصطفى كمال باشا عن رئاسة ديوان السلطان محمد وحيد الدين ومن وظيفة الإشراف على المراسم السلطانية وأنطلق إلى جبهة الأناضول. وكان في عيني مصطفى كمال باشا الكثير من الكلام الذي يريد أن يشرحه للسلطان محمد وحيد الدين حول الإشاعات التي تثار حوله وحول لقائه بعض الباشاوات؛ غير أن وجود فريد باشا الصدر الأعظم حال دون أن يتكلم مصطفى كمال باشا عن هذه اللقاء. غير أن السلطان محمد وحيد الدين بينما كان يخرج مصطفى كمال باشا من قاعة العرش كان يدعوا له من خلفه بالنصر وبالتوفيق على أعداء الدولة وكان يقول:" اللهم أجعل التوفيق حليفه! وأحفظه وأرجعه لنا سالمًا!".**

لم تنشر الوثيقة الخاصة بلقاء مصطفى باشا مع الباشاوات السابق الإشارة إليهم في سامسون إلى هذه اليوم؛ وهذا ما قمنا بعرضه في هذا الكتاب؛ حيث عرضت الوثيقة التي بين أيدينا لقاء مصطفى باشا بالباشاوات في استانبول يومًيا. حيث نشرت جريدة تقويمي وقائع Takvim-i Vekayi بتاريخ 30 إبريل 1919م:" **أنه تم تعين مصطفى كمال باشا المفتش العام على الجيش التاسع العثماني رسميًا. وفي هذا اليوم تم إرسال خطاب من رئاسة الوزراء –الصدارة العظمى- إلى نظارة الحربية بأنه اعتبارًا من اليوم الثالث إلى اليوم الخامس عشر كل التكنات العسكرية المعروفة باسم مقاطعات كولوردولر Kolordular**

Bölgesi في كل من سيواس ووان وطرابزون وأرض الروم وسامسون تم تعين مفتش عسكري عام لها هو مصطفى كمال باشا؛ وبأنه لابد من تأمينه أثناء زياراته العسكرية من قبل الجهات العسكرية المعنية".
لهذا السبب مصطفى كمال باشا في نفس اليوم الذي تعينه مفتشًا عامًا تم إرساله من قبل نظارة الحربية إلى سامسون. حيث ورد ذكر اسمه من ضمن أسماء المفتشين العسكريين المرسلين إلى قطاعات عسكرية بمقطاعات مختلفة في قائمة إرسال المفتشيين العسكريين بنظارة الحربية. ولقد خرج الأمر الشريف لمصطفى كمال باشا هكذا: **" نظارة الحربية تلتزم بالأمر الشريف السلطاني؛ وتتمنى التوفيق لمصطفى كمال باشا في عمله الجديد".** ومكتوب أيضًا في هذه الوثيقة: **" الصدارة العظمى تلتزم بالأمر السلطاني في تكليف مصطفى كمال باشا بتعينه مفتشًا عسكريًا عامًا في الأناضول؛ وتلزم الجهات المعنية باتخاذ اللازم".** وهذه الوثيقة حصلت عليها من الأرشيف العسكري بمدينة سامسون. وربما لهذا السبب وصل مصطفى كمال باشا إلى سامسون وألتقى بوزير الداخلية محمد علي بك ونسق الأمر مع ناظر البحرية عوني باشا.

بتاريخ 6 مارس من عام 1919م تم أرسال رسالة من ناظر الحربية شاكر باشا إلى قطاعات التفتيش العسكري التي عين عليها مصطفى كمال باشا مفتشًا عسكريًا عامًا. ليخبرهم بأن يسهلوا له مهمته المكلف بها. وفي نفس هذا اليوم وقعت نظارة الحربية العثمانية برئاسة الوزير شاكر باشا اتفاق الهدنة مع قوات الحلفاء. غير أن عدم معرفة مصطفى كمال باشا ببعض بنود اتفاق الهدنة مع الحلفاء كان له فائدة في أنه كان يعمل على تجهيز القطاعات المكلف بالتفتيش عليها للحرب. غير أن بعض بنود الإتفاق الخاصة بالهدنة قد أذيعت من قبل نظارة الخارجية العثمانية. وبعد ذلك أرسل مصطفى كمال باشا إلى نظارة الحربية خطابًا يذكر فيه بأنه يستطيع تدارك الأمور بعض توقيع اتفاق الهدنة؛ كما أنه يحتاج ستة أختام تمثل وظيفته الجديدة كمفتش عسكري عام خاصة بكل مدينة سيشرف على قطاعها العسكري.

وبذلك مصطفى كمال باشا الشاب أحيا ربما بقصد أم عن غير قصد ما كانت تقوم به عائلة كوبورللي أثناء تواجدها في الصدارة العظمى بالدولة العثمانية في القرن السابع عشر الميلادي. حيث كانوا يأخذون من السلطان أختامًا تحمل اسمه ليوقعوا بها على الأوامر الصادرة إلى الجنود في جبهات القتال دون الرجوع إلى استانبول. غير أن مصطفى كمال باشا لم يطلب فقط في خطابه من نظارة الحربية حق أخذ الخاتم العسكري؛ بل أراد إلى جوار ذلك أن يكون هذا الخاتم له صلاحية الملكية الخاصة بمصطفى كمال باشا ولا ينزع منه؛ كما أنه طلب أن يكون بناءًا على امتلاك هذا الخاتم صاحب الأمر المطلق من الناحية العسكرية في الأماكن التي يتواجد فيها دون الحاجة إلى الرجوع إلى ناظر الحربية. على أن يكون هذا الخاتم بديلاً معه

عن خاتم نظارة الحربية. فمثلاً من حقه أن يقوم بتغيير واستبدال المفتشين العسكريين الذين هم دونه مقامًا بهذا الخاتم دون الحاجة إلى الرجوع لنظارة الحربية في استانبول وانتظار ردها.

بعد ثلاثة أيام من بدأ مصطفى كمال باشا لمهمته تحديدًا بتاريخ يوم 9 مايو 1919م؛ وفي أثناء تواجده في سيواس أمر الرائد صلاح الدين المسؤول عن شفرة التلغرافات الخاصة بالجيش العثماني في منطقة مدينة سيواس العسكرية بتغيير شفرة التلغراف؛ وقبل أن يصل مصطفى كمال باشا إلى مدينة سامسون أمر بتعيين الرائد صلاح الدين واليًا عسكريًا على منطقة جانيق Canik.

وبتاريخ 13 مايو من نفس العام قام مصطفى كمال باشا بإرسال خطاب إلى مديرية المطبعة العثمانية العمومية. وفي اليوم التالي وقبل وقت الظهيرة أرسل مصطفى كمال باشا إلى الهيئة العامة للمطابع أثناء اجتماعهم يطالبهم فيه بمنع نشر أي أخبار تنشر عن وظائف العسكريين الجديدة في الصحف؛ دون الرجوع إليه شخصيًا وأخذ المعلومات منه. وفي هذه المرحلة لم يتأتِ خبر من قبل نظارة الحربية يؤكد على إشراف مصطفى كمال باشا على الصحف. أو بتخصيص سيارة خاصة به لتنقل. ولم يحدد قيمة المعاش الذي سيصرف له. ولقد مر أسبوع على ما طلبه مصطفى كمال باشا من نظارة الحربية ولم تحدد النتيجة النهائية من قبل نظارة الحربية بعد.

ولكن بالمقابل خرج قرار آخر من نظارة الحربية بتعيين مصطفى كمال باشا مفتشًا عسكريًا بحريًا عامًا على سواحل البحر الأسود. غير أن تواجد السفن الحربية الإنجليزية هناك منع مصطفى كمال باشا من أداء مهمته العسكرية. وحينها فكر مصطفى كمال باشا بأنه بهذه الوضعية يمكن للسفن الحربية الإنجليزية أن تخرج من مضيق استانبول. وبتاريخ 14 مايو أرسلت نظارة الحربية إلى مصطفى كمال باشا تطلب منه أخذ تأشيرة دخول للمياه الإقليمية العثمانية بمنطقة البحر الأسود؛ وذلك للمعاينة على الأوضاع هناك عن قرب. وأن اسمه قد وضعته نظارة الحربية العثمانية من ضمن أسماء قائمة الهيئة العسكرية المشكلة لأجل ذلك. وقبل اعداد هذه القائمة بيوم واحد قام رئيس أركان حرب الجيش العثماني بتاريخ 13 مايو بالتوقيع والتصديق على قرار تعين مصطفى كمال باشا قائدًا عامًا للجيش التاسع العثماني.

وللتواصل مع الإنجليز كان مدير مكتب البريد الإنجليز البمباشي "قائد ألف" الضابط ميلينجن Millingen. وقد وصل هذا الضابط مع 23 رائد آخرين و25 قائدًا من قيادات القوات الخاصة الإنجليزية ومعهم 6 أعداد من الأحصنة وركبوا القطار المتجه إلى سامسون بعد أن أخذوا تأشيرة بذلك من قبل نظارة الحربية العثمانية. وفي ذلك أرسل تلغراف من نظارة الحربية إلى القيادة العسكرية في سامسون ذكر فيه:

"أنه تمت الموافقة على تأشيرات جوازات الهيئة العسكرية من قوات الحلفاء المتجه من استانبول إلى سامسون بتاريخ 16 مايو 1919م". ولقد قام باختيار هذه المجموعة العسكرية من دول الحلفاء والتي يغلب عليها الهيئة العسكرية الإنجليزية للذهاب إلى سامسون ضابط المخابرات الإنجليزي اليوزباشي " قائد مائة" جون جودولفن بينيت John Godolvin Bennett؛ وصدق بنفسه على وثيقة إرسالهم إلى سامسون. ولقد ركب باخرة بندرما Bandirma Vapur مع الهيئة العسكرية الإنجليزية مفتش المنطقة العسكرية بمدينة سيواس الرائد رأفت بالا بك Refet Bele Bey وكان معه شخصان آخران يحملان من نظارة الحربية العثمانية تأشيرة دخول إلى مدينة سامسون. وبعد وصول الهيئة العسكرية المشكلة من قبل قوات الحلفاء صعدوا إلى بارجة حربية إنجليزية ترسوا أمام سواحل سامسون في البحر الأسود. ثم أخذوا إذنًا آخر من نظارة الحربية العثمانية بركوب الخيل والسير داخل مدينة سامسون للإطمئنان على أوضاعها والتأكد من تنفيذ اتفاق الهدنة مع دول الحلفاء.

ويشتهر ضابط المخابرات الإنجليزي اليوزباشي جون جودولفن بينيت John Godolvin Bennett بلقب بينت المعذب İşkenceci Bennett وهو الذي شارك في احتلال استانبول؛ حيث كتب في مذكراته عن حادثة قبول الحكومة الإنجليزية لتأشيرات الهيئة العسكرية المشكلة من القوات الخاصة لدولة العثمانية بعد مرور 55 سنة على احتلال استانبول الرواية التالية: **"...في أحد الأيام كان القدر يقدر لي أن أقوم بعمل مفارق لأعمالي السابقة؛ وأن يجعلني وسيلة لتحقيق هذا العمل. ففي تاريخ 15 مايو 1919م خرجت القوات العسكرية اليونانية من مدينة إزمير؛ ولم نستطع الإنتظار؛ بخاصة بعد وصول أخبار المقاومة الشديدة التي تعرض لها الجيش اليوناني في إزمير وما حولها. فقمنا بالذهاب إلى السلطان محمد وحيد الدين والتقينا معه وجهًا لوجه. كما إلتقينا مع بطل معركة جاليبولو Gelibolu "جناق قلعة" رئيس الهيئة العسكرية التركية مصطفى كمال باشا ولقد تحدثنا في أمور عدة خارج الحرب وبعيدة عن نقاط الإختلاف. وكان الهدف من ذلك إظهار حسن النوايا والتعرف على القائد الجديد للجيش العثماني واتمام الإتفاقيات الموقعة من قبل الدولة العثمانية ودول الحلفاء. وفي اليوم الثاني والعشرين من تاريخ مولدي أتى أمام غرفتي ضابط تركي يرد تأشيرة دخول لمصطفى كمال باشا من قبل الحكومة الإنجليزية؛ وعندما قرأت القائمة التي أعطاها لي الضابط التركي وجدت بها 35 اسم ضابطًا ورائدًا من قيادات الجيش العثماني. وهم الذين سجلوا بأيديهم هذه الأسماء لنا في هذه القائمة. غير أنني لم أكن أريد أن أعطيهم إذن بالدخول للنظر في عمق مياه البحر الأسود وسفننا الحربية تتواجد به. فلما عرضت الأمر على قائد القيادة العسكرية الإنجليزية الأعلى والذي رفض أن يعطي للهيئة العسكرية العثمانية الإذن؛ غير أنها لم تعلمهم بالرفض؛**

وإنما قالت لي أن أبلغهم أن ينتظروا لحين مجئ الرد على طلبهم من قبل الحكومة الإنجليزية. ولكن أشد ما قد أثار انتباهي في هذه القائمة؛ هو أن أغلب المذكورة أسمائهم فيها من قبل الحكومة العثمانية قادة عسكريين ذو تجربة في الحروب أكثر من كونهم مدنيين. ولكن بعد ساعة من رد القائد الأعلى للقوات الإنجليزي علي بالرفض؛ إذا بأمر آخر يأتيني أن أعطي التاشيرات لضباط الهيئة التفتيشية العسكرية العثمانية وكتب لي في الأمر الآتي:" مصطفى كمال باشا من الشخصيات ذات الثقة المقربة من السلطان العثماني وهو صاحب الأولوية في الحصول على تأشيرة الدخول قبل غيره".

مما دفع بينت المعذب İşkenceci Bennett إلى الذهاب بنفسه للقاء الهيئة العسكرية العثماني ومحاولة التعرف الأسباب الحقيقية لزيارة هذه العيئة العسكرية العثمانية لسواحل البحر الأسود؛ وفي ذلك يذكر ويشرح في مذكراته الآتي: **" قمت بمراجعة وظيفة مصطفى كمال؛ وكان ارتباطي به هو التحقق والضبط لما يقوم به من أعمال اثناء أداء وظيفته. وهو كان أحد أعضاء الهيئة العسكرية التفتيشية العثمانية التي كانت تريد أن تحصل على رخصة تفتيش منا. وكان ذلك في تاريخ 10 مايو 1919م. وكانت هذه الهيئة العسكرية العثمانية تتكون من 12 عضوًا. والرخصة تعني إعطائهم كامل الصلاحية بالتفتيش. لهذا السبب كانت الهيئة التركية تريد منا تأشيرة بالدخول إلى ساحل البحر الأسود وتأدية وظيفتهم التي تعني كامل التفتيش حتى في الأماكن التي كانت توجد بها قوات الحلفاء؛ فإذا لم يعطوا الإذن لن يستطيعوا أن يقموا بتأدية أعمالهم. لهذا كانوا يحتاجون منا إذن التأشيرة بالموافقة على أداء مهامهم التي كلفوا بها. وعندما أتت الموافقة على تأشيرة الدخول للهيئة العسكرية العثمانية للساحل البحر الأسود وعمقه؛ في تلك اللحظة تعرفت على مصطفى كمال باشا. وكنت أعلم أنه من أشد المقربين من السلطان العثماني محمد وحيد الدين. وكنا جميعًا في جهاز المخابرات الإنجليزية نتفق على أن مصطفى كمال باشا هو الشخص الأمين لدى السلطان محمد وحيد الدين؛ ويكاد يكون الشخص الثقة الوحيد لديه. ولقد أعطاه السلطان محمد وحيد الدين الكثير الكثير من الثقة والمهام. وقبل أن يذهب مصطفى كمال بعد انتهاء مهمته إلى لقاء السلطان العثماني محمد وحيد الدين؛ ألتقيت معه. غير أنه كان في هيئة عسكرية كانت مزدحمة من جميع التخصصات العسكرية في الجيش العثماني. وكانت هذه الهيئة العسكرية يرأس أربع أشخاص رئيسيين من قبل العثمانيين برتب أركان حرب وأميرلاي وعقيد ورائد وغير ذلك من الألقاب الكثيرة التي كانوا يتلقبون بها؛ وكان بالهيئة العسكرية العثمانية كذلك 35 عضو. وكانت مسؤليتي حساسة في هذا الأمر إذ ،ليا أن أسهل أمورهم وفي نفس الوقت أراقب ما يفعلون. لكن الأمر الذي أتي من قبل قيادة قوات الحلفاء العامة أن تعطى تأشيرة الدخول لثلاث أو أربع أشخاص قامت المخابرات الإنجليزية بالموافقة**

عليهم دون إعطاء التأشيرة لباقي أعضاء الهيئة العسكرية العثمانية. وإما في حالة الضرورة فيسمح للهيئة العسكرية العثمانية ان تأخذ معها عسكري برتبة ملازم من الأعضاء الخمس والثلاثون المشكلة منهم الهيئة العسكرية العثمانية. لهذا قمت أنا بنفسي باختيار هذا الملازم العثماني الذي سوف يرافق الضباط الأربع في أثناء التفتيش العسكري. وبعد ذلك ذهبت إلى قائد المنطقة العسكرية في شيشلي Şişli. وسألته: " إن الهيئة العسكرية العثمانية تتكون من 35 عضوًا فهل ستعطي لهم الإذن بالتفتيش؟"وحينها لم يحر جوابًا؛ وقمت معه بالإتصال بالمندوب السامي البريطاني رومبولت Rumboldt لهذه المنطقة؛ لنستفسر منه عن الأمر. وذلك لأنه في هذا الزمان لم يكن هناك سفيرًا للحكومة الإنجليزية لدى الدولة العثمانية. والذي قال لنا:" فليأخذ مصطفى كمال باشا تأشيرة الدخول للتفتيش وحده دون غيره؛ لأنه موضع ثقة السلطان؛ ورجله الذي يعتمد عليه". ثم رجعت إلى مكتبي وأخرجت قائمة الأسماء وأعطيت لهم التصديق بتأشيرة الدخول؛ وذلك لأنني وجدت أعضاء الهيئة العسكرية العثمانية لا يعرف أحدهم الآخر ولا نحن نعرفهم؛ فكان لابد علي أن أقوم بالتعرف عليهم. كما أن الرأي كان مختلف بين القيادة العسكرية العامة للحلفاء ورأي المندوب السامي البريطاني القائم بأعمال السفير. لهذا آثرت على نفسي أن أجمع بين الرأيين فقمت بإختيار أذكى الضباط العثمانيين لهذه المهمة دون الباقين وجعلتهم تحت أعيننا وبدأنا بالتواصل معهم. والذي دفعني إلى القيام بهذا الإختيار هو أن المسؤولية فيه لن تكون عائدة علي؛ لهذا شعرت بالراحة. فهذا الوقت لم يكن الضباط العثمانيين يؤمنون بفكرة الجيش القومي؛ ولم تأتِ هذه الفكرة إلى عقولهم بعد. وكان ذلك قبل احتلال إزمير بكثير. ولم يكن لدى مصطفى كمال باشا وأصدقائه الكثير من العجلة بل كانوا يتأنون في انجاز مهمتهم. ولم يقوموا بانهاء ما كلفوا به لأجل عرضه على نظارة الحربية العثمانية بالشكل التام. ولكن في أثناء تواجد الهيئة العسكرية العثمانية للتفتيش في منطقة ساحل البحر الأسود لمدينة سامسون؛ أتاهم خبر احتلال اليونان لمدينة إزمير وما حولها حينها قامت الهيئة العسكرية العثمانية بالاجتماع وأتخذوا قرارهم بانهاء التفتيش العسكري وبضرورة العودة إلى استانبول. لهذا السبب قد وقع اختياري على 19 شخصًا فقط من أعضاء الهيئة العسكرية العثمانية لأخذ التأشيرات من مجمل أعضاء الهيئة الـ35؛ لأن غيرهم من الأعضاء ليسوا ذو فاعلية ولا يمكن الاعتماد عليهم. عكس هؤلاء التسعة عشر... كذلك كان عصمت باشا يريد الذهاب معهم. وكان لا يوجد سبب لعدم ذهابه معهم. وكانت التأشيرات جاهزة غير أننا قمنا بتأخيرها بعض الوقت قبل اعطائها للهيئة العسكرية العثمانية؛ على ما أعتقد أنهم بعد بضعة أسابيع من أخذ التأشيرات منا قد ذهبوا".

وفي أثناء تواجد مصطفى كمال باشا في سامسون مع الهيئة العسكرية العثمانية للتفتيش بتاريخ 14 مايو أتاه خبر من استانبول بتعينه القائد العام للجيش الثالث العثماني. كذلك أرسل إلى مصطفى كمال باشا خبر آخر عبر التلغراف من القيادة العامة في استانبول نص على التالي:" **بعد ظهر يوم الجمعة تحركت باخرة باندرما Bandirma Vapuru وعلى متنها 23 شخصية عسكرية من هيئة مشكلة من قبل قوات الحلفاء؛ برتب عسكرية مختلفة. فإذا وصلك هذا التلغراف قم بتجهيز مكان إقامة لهذه الهيئة العسكرية للحلفاء وتأمينها".** وبعد تحرك هيئة الحلفاء العسكرية إلى سامسون بيوم وفي أثناء تواجدهم في الطريق إليها؛ كلفت نظارة الحربية رئيس أركان الحرب بها العقيد كاظم بك Kâzım Bey أن يقوم بتجهيز هيئة عسكرية عثمانية أخرى ترافقهم مكونه من 48 شخصًا وأن يقوم بتجهيز ثلاثة من حيوانات الماشية لاطعام الهيئة العسكرية. وأن يلحقهم بسيارة خاصة. وأن يعطيهم الموافقة على تأشيراتهم في سامسون بنفسه. كما كلف بأن يحضر للهيئة العسكرية الأجنبية ستة أحصنة؛ بيد أنه أحضر معه ثلاثة أحصنة فقط لا غير.

30.2. الباشا!...هل يستطيع انقاذ الدولة!

بتاريخ 14 مايو ذهب مصطفى كمال باشا مع جودت باشا إلى المنزل الكبير لفريد باشا الصدر الأعظم لتناول طعام العشاء معه. هذه المرة كان اللقاء بين مصطفى كمال باشا والصدر الأعظم فريد باشا ليس في السر ليخاف كليهما من صوت منظفة الغرف؛ بل كانت دعوة عمل رسمية في العلن. وبعد الطعام قال الصدر الأعظم فريد باشا لمصطفى كمال باشا:" **غدًا سوف تزور السلطان محمد وحيد الدين وستطلعه على الوضاع في سامسون؛ وستأخذ منه بعض التعليمات".** في اليوم التالي ذهب مصطفى كمال باشا إلى لقاء السلطان محمد وحيد الدين في قصر يلدز Yıldız Sarayıووجده قد أعد له مائدة طعام صغيرة أمام مكتبته الخاصة بالقصر السلطاني وجلس كل منهما مقابل الأخر وجهًا لوجه. وحينها تذكر السلطان محمد وحيد الدين بعض الذكريات التي كانت بينه وبين مصطفى كمال باشا. وفي ذلك يقول مصطفى كمال باشا:"**... قال لي السلطان محمد وحيد الدين من عادتي يا مصطفى كمال باشا أن أجلس في هذه الغرفة المخصصة لي في قصر يلدز على الدوام؛ لكي أريح أعصابي من أعباء العمل؛ وأجلس فيها على كلتا ركبتي؛ كما تجلس أنت معي الآن بها. وكانت هناك بهذه الغرفة منضدة صغيرة يعلوها كتاب. وفي صالون هذه الحجرة توجد نافذة تفتح على بحر المضيق؛ وهوائها عليل؛ يال روعة المنظر منها. ثم نظر إلى السلطان وقال لي:"غير أننا نقف من هنا؛ لنجد أن ما يوازي نافذتنا يا مصطفى كمال باشا مداخن سفن الأعداء موازية للمضيق من الجانب الآخر. ومدافعهم منها موجهة إلينا؛ كأنها موجهة إلى قصر يلدز مباشرة. وأمام هذا المنظر الذي نشاهده من نافذة منظرة حجرة قصر يلدز والذي لا يختلف إذا نظرنا منها**

إلى جهة اليمين أم اليسار فالأعداء من كل جانب متربصون. علينا نحن في هذا الوقت العصيب أن نصفي ذهننا كي نستطيع أن نفكر. أي مصطفى كمال باشا أنا لم أنس أبدًا أي شيء قد قلته لي أو قلته لك أو تناقشنا حوله. فيا باشا أنت حتى هذه اللحظة قد خدمت دولتنا خدمات كثيرة. وكل ما قلناه وما قمت به في خدمة دولتنا مذكور في هذا الكتاب الذي يعلو هذه المنضدة الصغيرة. ومذكور بهذا الكتاب أيضًا أحاديثنا السرية وغير السرية بالتواريخ. ثم نظر إلى السلطان محمد وحيد الدين وقال لي: " هل نسيت هذه الذكريات يا باشا؟! الآن سوف تقوم بجميع المهام التي سيترتب عليها إنقاذ دولتنا. لأنه لا منقذ للدولة العثمانية غيرك. ففي نفس الوقت الذي سأقوم فيه بالتواصل الدبلوماسي مع الحكومات الغربية الأجنبية؛ لأجل انقاذ الدولة العثمانية من الإنهيار؛ ستوازيني أنت بالفعل على الأرض لكي تنقذ الدولة والسلطنة".

حينها تسائلت إلى نفسي:"يا ترى أيتحدث معي السلطان محمد وحيد الدين هذه المرة من كل قلبه بصدق؟! لقد أسقط في يدي قوله؛ بالرغم من أنني أعلم بأنه كان صادقًا في كل أقواله إلى. ثم نظر إلي السلطان محمد وحيد الدين قائلاً:" هل أنت نادم يا مصطفى كمال باشا على كل ما فعلته لأجل خدمة الدولة العثمانية؟! هل فهمت ما قولته لك؟ فقط قد أتى إلي هذا الظن إلى عقلي؛ فخمنت شعورك؛ لهذا سألتك هذه الأسئلة".

حينها نظرت إلى نفسي وأعطيت السلطان جوابًا بسيطًا. حيث قولت له: " أي سلطاني العزيز من حقك أن تتوجس خيفة وأن تشك في وفي غيري. وأتمنى أن ما سوف تقدمه يدي من خدمات مستقبلية للدولة العثمانية تلافي أي قصور قد صدر مني مسبقًا في عملي". وعندما كنت أجيبه على ما تتوجس منه نفسه خيفة مني؛ كنت أراعي التعمية أو أن يصدر من قولي أي شيء لا يحقق الإجابة على ما في نفس السلطان وحيد الدين بصورة تطمأنه. لقد فهمت مقصد السلطان وحيد الدين جيدًا جدًا. وقولت لنفسي:"كيف يتوقع السلطان محمد وحيد الدين من رجل مثلي أن يقوم بحراسة دولته وتأمين الحياة المستقبلية لولي عهده؟! ومن هو مثلي يفهم عقل السلطان والأمراء والصالحين والطالحين منهم معرفة جيدة؛ وإلا لن أستطيع أن أصل إلى هدفي في أن أكون أنا رأس الدولة. فهل كان ينتظر مني غير ذلك؟ نعم، يجب علي أن أنقذ البلد؛ وليس الدولة. فإذا كان مقصد السلطان ذلك؛ فأنا فعلت ذلك. ولهذا يتسائل الجميع كيف وصلت إلى رأس الدولة؟! وصلت لهذا الأمر بانقاذي للدولة. فإن وحيد الدين عندما أسلم إلى زمام الأمور لم يتبقِ في يديه سوى حكم استانبول؛ وكانت استانبول هي سند بقائه وبقاء دولته الوحيد. لكن يبدو أنه عندما وضع في يدي كل السلطات؛ لم يكن قد استيقظ بعد. إن المهام التي قمت بانجازها نتج عنها شكاية الحكومة والسلطان في استانبول؛ لأنني كنت أتصرف من رأسي ولا أنتظر الرجوع في اتخاذ قرارتي إلى أي أحد. فإذا كان أي أحد غير مقتنع بما قمت به من سياسات ويتهمني بأنني قمت بمعاقبة الأتراك. فعلى هؤلاء أن يعلموا أن مصير من كان يفكر مثل السلطان محمد وحيد الدين هو أن يكون مكان السلطان محمد وحيد الدين أو معه

في المنفى. غير أنني طمأنت السلطان محمد وحيد الدين قدر استطاعتي من ناحيتي وقلت له:" لا يكن لدى جناب السلطان أي فضول أو قلق من ناحيتي؛ فعند وصول الأمر السلطاني إلي في أي وقت فإنني سأتحرك فورًا عند وصول أمركم إلي؛ ووفق التعليمات التي ورسمتموها لي. فأنا لا أنسى أبدًا أوامر السلطان". فنظر إلي السلطان محمد وحيد الدين وقال لي بعد قولي هذا:"فليراعك الله بالتوفيق". وبعد أن قام السلطان بالتصديق على وضع الكثير من المهام في الجيش والدولة في يدي؛ أظهرت للسلطان محمد وحيد الدين التعظيم ثم انصرفت. وكان ناجي باشا هو أستاذي الذي حل محلي لدى السلطان في رئاسة الديوان السلطاني والإشراف على المراسم والتراتيب السلطانية. ولكن ناجي باشا بعد خروجي من عند السلطان ألتقى بي مباشرة. وكان معه الحرس السلطاني الخاص المكلف بحراسة القصر المعروفين باسم المحافظين "محافظلر"؛ وفي أثناء لقائي بناجي باشا أغلق السلطان محمد وحيد الدين على نفسه الباب وظل يجلس بالساعات يكتب؛ ثم نظر إلي ناجي باشا وقال:"حسنًا يا باشا؛ أشكرك على أنني أخذت مهام وظيفتك في القصر السلطاني كياور". وبعد خروجي من قصر يلدز خرجت بصورة سرية بحيث لم يلاحظ خروجي أحد؛ حسب الخطة التي وضعها السلطان محمد وحيد الدين لي للخروج؛ وفي هذه الأثناء وأثناء وبينما أبتعد عن قصر يلدز سمعت أصواتًا عالية تخرج من ناحية القصر".

إن ما ذكرناه سابقًا نقلاً عن مصطفى كمال باشا ولقائه بالسلطان محمد وحيد الدين هو ما نقله عنه السفير الأمريكي شيريل Sherill والذي زار أنقرة عاصمة الجمهورية التركية في شهر أغسطس من عام 1932م وألتقى في يوم زيارته هذا بمصطفى كمال باشا عندما أصبح أول رئيسًا للجمهورية التركية واثناء الصحبة فيما بينهم وهم يتنزهون في حديقة قصر يلدز؛ حكى مصطفى كمال باشا حكاية لقائه بالسلطان محمد وحيد الدين في حجرته الخاصة بقصر يلدز وما دار بينهما بالتفصيل الممل؛ مما دفع السفير الأمريكي إلى أن يقيد كلام مصطفى كمال باشا لأنه من وثائق التاريخ وينشره فيما بعد. ووثيقة السفير الأمريكي شيريل Sherill هي التي أعتمدنا عليها ونشرناها خلال الأسطر السابقة. ففي هذا اللقاء بين مصطفى كمال باشا والسفير الأمريكي شيريل Sherill لاحظ السفير الأمريكي أن مصطفى كمال باشا قد صعد معه إلى حجرة صغيرة كانت مخصصة للسلطان محمد وحيد الدين وجلس أمام نافذة مفتوحة تطل على مضيق البوسفور؛ وظل صامتًا. حينها سأله السفير الأمريكي شيريل Sherill:" **وأنت تنظر من نافذة قصر السلطان بماذا تشعر سيادة الرئيس؟"** فرد عليه مصطفى كمال أتاتورك:" **اشعر بأنني يجب ان أحرق بعض هذه الوراق في المدفأة والتي تذكرني بما كنت. أما الآن فأنا صاحب الأمر والنهي وعاصمتي أنقرة. يا معالي السفير**

أكتب ما سوف أمليه عليك من ذكريات دارت بيني وبين السلطان محمد وحيد الدين في هذه الحجرة وأمام هذه النافذة؛ ربما يأتي يوم تنشرها في كتاب".

إن ما دار في غرفة قصر يلدز الخاصة بالسلطان محمد وحيد الدين مع مصطفى كمال باشا؛ ليس بالأمر الخاص بالتاريخ العثماني فقط؛ بل من الأمور المهمة الخاصة بالتاريخ التركي عامة. وهذا اللقاء من الأمور المثيرة للإهتمام؛ فهو يرسم الخطوط العريضة لرجل شاب يطمح أن يكون هو رأس الدولة؛ وسلطان يريد انقاذ الدولة والبلاد وعرشه من الزوال؛ وهذا ما يثبت العلاقة المتواصلة بين السلطان محمد وحيد الدين ومصطفى كمال باشا. فكل منهما كان يريد انقاذ الدولة؛ ولكن من وجهة نظره الشخصية. وأنا حقيقة في هذا الموضوع لا أستطيع أن أقول في حق السلطان محمد وحيد الدين أي كلمة سلبًا. أما النصف المفقود من وجهة نظر السلطان محمد وحيد الدين في رؤيته لإنقاذ الدولة سيتبين لنا من خلال ما كتبه السلطان محمد وحيد الدين ذاتًا في مذكراته لكي تتضح الرؤية. وما هي الخطابات التي تبادلها مع مصطفى كمال باشا؛ وما هي وجهة نظره حول بعض المسائل. وماذا قال كل منهما للآخر؟! وهذا ما سوف نتناوله بالبحث من خلال الصفحات القادمة.

فالسلطان عقد الأمل على مصطفى كمال باشا في انقاذ الدولة والسلطنة ومصطفى كمال باشا أزال الشكوك من صدر السلطان حول نفسه بأسئلته وبجوابه. والسلطان محمد وحيد الدين دعى لمصطفى كمال باشا بالتوفيق.

وفي اليوم التالي من لقاء السلطان محمد وحيد الدين بمصطفى كمال أتاتورك اي يوم 16 مايو 1919م خرج السلطان محمد وحيد الدين لتأدية صلاة الجمعة في جامع قصر يلدز الكبير. وكان خبر احتلال إزمير قد وصل للسلطان محمد وحيد الدين قبلها بيوم. وقد تغلغل الحزن إلى قلب السلطان محمد وحيد الدين جراء ما حدث للإزمير. وبعد قضاء صلاة الجمعة نزل السلطان من الهودج السلطاني راغبًا في السير وحده واستنشاق بعض الهواء؛ إلا أنه قد أتاه خبر أن هناك ثلاثة أشخاص ينتظرونه في القصر السلطاني؛ مما دفعه للعودة بسرعة إلى القصر؛ وكان هؤلاء الأشخاص الثلاث هم الصدر الأعظم فريد باشا ورئيس التأمينات والمراسم السلطانية الياور عوني باشا والعميد مصطفى كمال باشا؛ فلما دخل عليهم السلطان في حجرة الإنتظار صاروا أربعة أشخاص بالسلطان. وكانت هذه الحجرة بها مائدة ذات تغليف خشبي يشبه الرخام. وكانوا جميعًا مجتمعين على هذه المائدة. وهذه المائدة كان يعلوها مصحف مذهب الجلد والأوراق ومكتوب بخط اليد. وكان الجميع يرتدي الزي العسكري ماعدا الصدر الأعظم فريد باشا كان يرتدي الزي

المدني. حيث كان يرتدي بدلة ذات لون بيجي. وعندما دخل السلطان عليهم قام الجميع بالوقف على أقدامهم. ثم جلس السلطان محمد وحيد الدين في صدر المائدة. وكانت الروح العسكرية للقتال مرتفعة لدى الجميع. حينها أمر السلطان الجميع بأن يضعوا أيديهم اليمنى أعلى القرآن الذي يعلو مائدة الجلوس وأن يقسموا جميعًا باخلاص على استرداد ما ضاع. وفي ذلك يذكر مصطفى كمال باشا بأن السلطان بعدما أقسم على القرآن بيده اليمنى؛ كان بيده اليسرى ورقة صغيرة؛ وبعد أن وضع السلطان القرآن الكريم على المائدة بيده اليمنى أمسك تلك الورقة بكلتا يديه وبدأ يقرأ منها وكان نصها كالتالي:**"إن خليفة المسلمين وسلطان البلاد يعلن أنه من خلال هذا الإجتماع أنه بعد الإطلاع على المادة واحد وعشرين من القانون الأساسي العثماني التي تخول السلطان اتخاذ قرارات فردية دون الرجوع لأحد. فأن السلطان بصفته خليفة المسلمين يثق في القوات العسكرية العثمانية؛ وبخاصة المتواجدة على جبهات القتال في الأناضول؛ ويعلن أنه على جميع الولاة في الأناضول التفتيش العسكري على كافة الثكنات والحصون وتهيأتها لكل أمر مفاجئ. وأن هناك هيئة عسكرية من قبل خليفة المسلمين سترسل لتساعد الولاة في ذلك في سائر ولايات الأناضول. وأن الخليفة يمدح بكل إخلاص قواتنا العسكرية ويدعمها بصفته إمام المسلمين. وان الخليفة لا يعامل جنده كحاكم ومحكوم؛ بل يعاملهم كصديق؛ ووفقًا لهذا المعنى فإن أي شيء سوف يتوافر في يد خليفة المسلمين سوف يرسله فورًا إلى جبهات القتال؛ ويقسم الخليفة على ذلك بالله وبالأيام المغلظة...وبالله التوفيق لنا أجمعين".**

والذي يؤكد صحة هذه الوثيقة هو أن السلطان محمد وحيد الدين أثناء تواجده في المنفى بسان ريمو San Remo بعد عدة سنوات من هذه الحادثة كتب في مذكراته بعض الأمور المتعلقة بهذه اللقاء مع فريد باشا والقادة العسكريين. وذكر في هذه الخواطر بعض الأمور التي قالها وكتبها لكل من رئيس الياورات عوني باشا وهذا ما أكده كذلك عوني باشا بخط يده في مذكراته إذ كتب يقول:**"...إن السلطان محمد وحيد الدين دخل علينا أثناء انتظارنا له وكان يرتدي ألبسة عسكرية مثلنا. فلما رأيناه على هذا الحال وقفنا جميعًا على أقدامنا احترامًا له. وكان يعلو المائدة كلام الله الأزلي القديم القرآن الكريم. وكان السلطان محمد وحيد الدين يجلس في المنتصف وعن يمينه يجلس الصدر العظم فريد باشا وعن يساره يجلس العميد مصطفى كمال باشا وكنت أنا أمامه. ثم أمرنا أن نقسم جميعًا على القرآن الكريم؛ قسمًا دينيًا مغلظًا على انقاذ البلاد والعباد وحفظ الدولة. وقال لنا السلطان خلال هذا الإجتماع:" بأنه بعد الإطلاع على المادة 21 من القانون الأساسي العثماني التي تخول للسلطان اتخاذ قرارات فردية وقت الخطر والحرب دون استشارة أحد. فإن السلطان بصفته خليفة المسلمين يكلف جميع الولاة في الأناضول بالتفتيش العسكري على الثكنات**

العسكرية وتأمين كل ما يحتاجه الجند وما تحتاجه جبهات القتال؛ وأن السلطان لا يتحدث في هذا الأمر بصفته السلطان العثماني فقط بل بصفته خليفة المسلمين؛ وهو يثق في القوات والجنود العثمانيين على جبهات القتال بصفته ممثلهم وصديقهم لا بصفته هو الحاكم وهم المحكومين. وأن السلطان الخليفة يقسم بالله المعظم وبأيمان المسلمين المغظلة على إرسال كل ما يتوافر في يده وتحتاجه جبهات القتال؛ والله على ذلك من الشاهدين".

ولكن في بداية عصر الجمهورية أدعى بعض المقربين من مصطفى كمال باشا من المدنيين وبعض العسكريين من خرجي المدرسة الحربية عام 1902م؛ بأن السلطان محمد وحيد الدين لم يمسك نفسه على قسمه بمساعدة الجنود في جبهات القتال؛ وحنث بيمينه. غير أنني أقول إن الذين تخرجوا من المدرسة العسكرية في عام 1902م لم يكونوا من الشخصيات المقربة من السلطان محمد وحيد الدين حينها؛ لكي يمكنهم أن يتحدثوا عن السلطان بمثل هذه الصورة القاتمة. فمن لم يعاشر الرجل ولم يتعرف عليه؛ كيف يحق له أن يصدر حكمًا عليه؟!

مع الأسف كان هذا الإجتماع هو آخر اجتماع عقده السلطان الوالد مع القادة العسكريين في الأناضول. لأن هناك شخصيات قد ضلت الطريق وانحرفت عن جادة الصواب فأرادت أن تداري خطأها بالصاق التهم بالسلطان محمد وحيد الدين؛ وذلك لعدم وجود من يدافع عنه؛ فقد أخرس لسانه بالنفي. بعد هذه الليلة بدأ عهد النحس يطل برأسه المظلمة ليظلل قصر يلدز مقر حكم السلطان محمد وحيد الدين. لقد نتج عن احتلال إزمير أن منع السلطان محمد وحيد الدين خروج هودجه السلطاني إلى الطريق للصلاة في المسجد الجامع خارج قصر يلدز وأكتفى بالصلاة داخل المسجد الجامع في قصر يلدز. وكان السلطان بعد صدمة احتلال إزمير يعجز أن يجب الأمة بأي شيء؛ كذلك مصطفى كمال باشا لم يكن ليستطيع أن يواجه الأمة أو اي أحد من القادة العسكريين حينها. والشخص الوحيد الذي كان يعلم الحالة النفسية السيئة للسلطان بعد احتلال اليونان لإزمير هو كبير الياور عوني باشا. وهو الشخص الوحيد الذي كتب عن هذه المسألة.

ويذكر مصطفى كمال باشا في بعض خواطره:" **أنه نظرًا لهذا الظرف الحرج كان الجميع يفكر في تغير ناظر الحربية؛ وبصفتي من الأشخاص المقربين من السلطان محمد وحيد الدين حينها؛ فكان يرغب الإنجليز في عدم توليتي منصب ناظر الحربية أو أن يضغطوا كي يكلفوني بوظيفة أخرى غير نظارة الحربية؛ بحجة عدم تحميلي أعباء كثيرة. لقد كنت أشخص المسألة هكذا".** وقبل وقوع أحداث إزمير ذهب بمصطفى كمال باشا إلى بيته بمقاطعة شيشلي Şişli ليودع أمه وزوجته. وكان عوني باشا ناظر البحرية

حينها قد أعد لنا قطار بندرما وأمنه لنا قبل ذلك بفترة. وفي ذلك يقول مصطفى كمال باشا:" **لقد وصلنا إلى سامسون بالقطار الذي أعده لنا عوني باشا ناظر البحرية وقد أمنه لنا قبل ذلك بمدة. فلما وصلنا إلى سامسون في الهيئة العسكرية المشكلة من قبل نظارة الحربية العثمانية. تأخرنا قليلاً لا سيما يعطي لنا الإنجليز الإذن بالتفتيش على سواحل استانبول وفي عمق مياه البحر الأسود أمام ساحل سامسون. وبعد أن أخذنا التصريح بالتفتيش؛ سمعنا إطلاق قنابل المدفعية البحرية الإنجليزية. فرد علينا حينها الضابط الإنجليزي المرافق لنا موجهًا كلامه إلي:" لا تقلقوا أنه إجراء تدريبي عادي؛ لهذا لطفًا داوم سيدي".**

ومما عرضناه سابقًا أرى أنه من الضروري إعطاء بعض المعلومات عن باخرة باندرما الذي تحدثت عنه بعض الوثائق المتعددة وعن رحلة الهيئات العسكرية على متنها. والتي تم الحديث عنها كثيرًا في السنوات الأخيرة، ووفقًا لسجلات شركة لويد Lloyd للتأمين ، فقد تم بناء الباخرة عام 1878م بإجمالي تحمل وزن 279 طنًا من الركاب والبضائع معًا. وتم تجهيز 21مقعدًا مخصص للركاب من مقاعد مؤسسة ماكنتاير MacIntyre في منطقة بيزلي في اسكتلندا. وبالباخرة منصة شراع ومحرك بخاري ومروحة حديدية وطولها 48.9 مترًا وعرضها 6 أمتار عند إطلاقها. أطلق عليها اسم المالك الأول لها اسم "تروكاديرو" وملاكاها الوائل هما دوزي Dousey و روبنسون Robinson ثم باعها إلى السفينة لمالكها الجديد وهي الشركة اليونانية التي تعرف باسم H Psic-Cagt dnread tine عام 1883 ؛ وكانت مسجلة باسم الشركة اليونانية في ميناء بيرايوس وأعيدت تسميتها بـواوي wave أي " Kyma " باليونانية في عام 1885م وفي عام 1890م قامت شركة التأمين البريطانية لويد Llyod بتغيير اسم الباخرة وبتسميتها باندورما ووضع هذا الاسم على الباخرة؛ وهو نفس العام الذي انتقلت فيه ملكية الباخرة إلى أندريه أديس Andreadis والذي سيقوم ببيع الباخرة لأحدى شركات بواخر الشحن في استانبول عام 1893م؛ حيث سيقوم قطبان الباخرة قبل بيعها لاستانبول بتغير اسم الباخرة مرة أخرى إلى اسمه بندارمه Panderma . غير أن إدارة تسير السفن العثمانية سوف تأخذ هذه الباخرة بندارمه Panderma وستقوم بتغير اسم الباخرة للمرة الرابعة باسم عثماني يشابه اسم القبطان صاحبها فسمتها باخرة بندرما Bandırma وأحيانًا كانت تطلق عليها اسم باخرة البوسته أي البريد البحري السريع. ولقد نجت هذه الباخرة من الغرق مرتين. الأولى في عام 1891م حيث كادت أن تصطدم بباخرة أخرى قرب آرداك Erdek ثم في مارس من عام 1915م قبالة ساحل سيليفري Silivri açıklarında حيث أطلقت عليها غواصة إنجليزية رعاد بحري " طوربيد" ولولا أنه انحرف عنها بزاوية انحراف 7 درجات لحطم مقدمتها. وبعد نقل الهيئات العسكرية إلى سامسون على متن الباخرة بندرما؛ تم إعادة توظيفها في خدمة البريد البحري من جديد. وفي عام 1925م تعرضت

الباخرة باندرما إلى التعمير والإصلاح جراء الأعطال التي حدثت لمحركها. وبعد أربعة أشهر من تعميرها وضعت الباخرة باندرما قبالة ساحل خليج البسفور. وتعرضت للإهمال. ثم بيعة أجزاء بعد تفكيكها قطعة قطعة لتجار الخردة.

وفي عام 1995م كانت آخر الآخبار الواردة هو العثور على باخرة باندرما التي كانت تحمل الهيئة العسكرية العثمانية التي كان من ضمن أعضاءها مصطفى كمال باشا إلى سامسون؛ إلا أن هذا الخبر غير صحيح. ولكن الذي حدث هو قيام الحكومة الإنجليزية عام 1926م بتصنيع 929 باخرة من نفس طراز باندرما وبيعها حول العالم. وكانت هذه البواخر حينها تعرف باسم أولجن Ülgen. وهذه البواخر الإنجليزية ليس لها علاقة بالباخرة بندرما الأولى. ومن هذه البواخر بانردما باخرة إنجليزية اسمها باندرما وصلت إلى تركيا عام 1995م؛ ولكنها ليس لها علاقة بباخرة باندرما الأولى.

وبتاريخ 19 مايو قام مصطفى كمال باشا عقب وصوله إلى سامسون بإرسال عدة تلغرافات بشفرات مختلفة إلى كل من السلطان محمد وحيد الدين والصدر الأعظم فريد باشا وناظر الداخلية محمد علي بك وناظر الخارجية العثمانية والمديرية العامة للتوظيف. فأما عن التغراف الذي أرسل إلى السلطان محمد وحيد الدين فقد عرضه عليه رئيس الديوان السلطاني الباشكاتب والذي ذكر فيه مصطفى كمال باشا:**"بعد أول ظهيرة لي من وصولي إلى سامسون في تمام الساعة الثامنة وصلت وأبلغ السلطان محمد وحيد الدين بأني قد بدأت في المهمة المكلف بها"**. وأما التلغرافات التي أرسلها مصطفى كمال باشا إلى كل من الصدر الأعظم وناظر الداخلية والخارجية ورئيس المديرية العامة للتوظيف فقد نصت على جملة واحدة وهي كالتالي:**" قد وصلت إلى سامسون وبدأت في مهام وظيفتي المكلف بها"**. وفي اليوم التالي من التلغرافات التي أرسلها مصطفى كمال باشا إلى استانبول أرسل ناظر البحرية العثمانية عوني باشا إلى السلطان ونفس الوزراء والمديرية العامة للتوظيف بتاريخ 20 مايو يخبرهم فيه بالتالي:**" من ناظر البحرية إلى جناب الفخامة السلطان والوزراء نشكركم على ما هيئتموه لنا من إقامة فاخرة في سامسون لتأدية مهامنا؛ وأبلغكم بأننا قد باشرنا في تأدية وظيفتنا. وأرسل أيضًا تحياتي إلى أخو زوجتي ناظر الحربية شاكر باشا وأسأل عن صحته وأتمنى له وافر الصحة والعافية. وبالنسبة للوقائع التي ستحدث معنا أثناء تأدية مهمتنا فإنني سوف أبلغها إلى السلطان وأصحاب المعالي والفخامة على التوالي؛ لكي نستضيئ بأنوار بصيرتهم ونسترشد برأيهم فيما نحن مقبلون عليه من مهمام؛ لكي نستقوي بإرشادهم"**. وبتاريخ 21 مايو قد وصل إلى ناظر البحرية تلغراف فريد باشا الصدر الأعظم يخبره فيه بالآتي:**" أتمنى لكم ولأعضاء الهيئة العسكرية العثمانية تمام الصحة والعافية؛ وأخبركم بأننا قد أخبرنا قيادة قوات الحلفاء بالتأشيرات التي**

تحتاجونها؛ لأجل تسير مهمتكم. وأتمنى لكم بكل الحب والود أن تنجزوا ما كلفتم به على أكمل وجه ثم تعودون إلينا بالسلامة".

تم تقديم ادعاءين في السنوات الأولى للجمهورية بشأن رحيل مصطفى كمال باشا إلى سامسون، واستمرت الشائعات حتى يومنا هذا ولا تزال مستمرة: الادعاءات بأن السلطان محمد وحيد الدين أصدر للباشا فرمانًا بأخذ آلاف العملات الذهبية اختلفت مقدار هذه العملات الذهبية بحسب كل راوي، فهناك من 20 إلى 40 ألفًا قطعة نقدية ذهبية. انخفض إصدار المراسيم أو زاد بين الإمبراطورية العثمانية ، ولكن تم تحديده بشكل عام بـ 40 ألفًا قطعة ذهبية على أصح ما نشر في ذلك. حيث كتب مولانا زاده رفعت أفندي المعروف لمعارضته لحركة الأناضول ضد الخلافة والسلطنة العثمانية مقالاً في جريدة الحرية بمدينة حلب تحت عنوان **"الوجه الحقيقي لإنقلاب تركيا"**؛ وفي هذا المقال ذكر أن أحد الباشاوات المقربين من السلطان محمد وحيد الدين قد أخذ 150 ألف قطعة ذهبية للإنفاق على حرب الإستقلال؛ وفي عام 1929م قام مولانا زاده رفعت أفندي بطباعة كتابه في حلب تحت نفس عنوان المقال **"الوجه الحقيقي لإنقلاب تركيا"**، نشر السلطان نص الفرمان السلطاني والذي صادق عليه كل من السلطان محمد وحيد الدين والصدر الأعظم أحمد عزت باشا ووزير الداخلية أحمد رشيد باشا بدعم مصطفى كمال باشا بـ150 ألف قطعة ذهبية للإنفاق منها على حرب الإستقلال. وقد نشر هذا الفرمان بعد إسقاط الدولة العثمانية وإلغاء مقام الخلافة من استانبول بسبع سنوات. وهذا النص يؤكد أن مصطفى كمال باشا قبل يومان من إعلانه لحركة الأناضول وقيادتها لحرب الإستقلال تحديداً بتاريخ 14 مايو 1919م قد حصل مصطفى كمال أتاتورك من السلطان على دعم مادي بالآف الليرات الذهبية ونص الفرمان الذي يستخدم كدليل في هذا الإدعاء كالتالي:**"وكان مصطفى كمال باشا أحد الياور الذين تم الإعتماد عليهم في الحرب العامة وبعدها من أجل تحرير الأراضي التي احتلتها جيوش الحلفاء. وتم تعينه من قبل حكومة الخلافة في استانبول لأداء مهمة الدفاع والإنقاذ للخلافة والسلطنة في ذلك الوقت الصعبة وفي تلك المرحلة الحرجة. ولأجل أن تحارب الأمة والسلطنة تحت راية الخلافة كالبنيان المرصوص علينا أن نعمل جميعًا معًا كالبدن الواحد وأن تكون لنا غيرة لأجل ألا تمس أرضنا أو اي أحد من أبناء شعبنا؛ ولذلك فقد سخرت القدرات المالية والعسكرية وكافة المؤمريات ومسؤليها من الموظيفين مع سائر مؤسسات الدولة والحكومة الأخرى لتعمل في عون مصطفى كمال باشا من أجل تحقيق هذا الغرض. وعلى الأمة أن تساعده وتخضع له في كل ما يريد من أجل أن يطرد الأعداء وتحفظ البلاد والعباد والسلطنة ومقام الخلافة من الإنتقاص أو النيل منها؛ وعلى الجميع أن يبلغ لهذا الأمور من ساعته. كتب بتاريخ 14 مارس 1919م؛ محمد وحيد الدين".**

إن الناظر إلى هذا المتن لن يجده فرماناً عثمانيًا كما يدعي مولانا زاده رفعت أفندي. وذلك لأنه يفقد أبسط أشكال شروط ومقومات الفرمانات العثمانية التي نعرفها وترجع لذلك العصر؛ من حيث أسلوب الكتابة والتوزيع والمقدمة والديباجة وشكل التصديق والتوقيع للسلطان محمد وحيد الدين. كما أنه لا يخضع لشكل الخط الهمايوني للفرمانات العثمانية. [64] لهذا فهو وثيقة عثمانية ولكنه ليس فرمان عثماني. كما أن النص الذي أعتمد عليه في تحديد المبالغ المالية التي أخذها مصطفى كمال باشا أثناء حرب الإستقلال من السلطان محمد وحيد الدين. كما أنني قد ذهبت إلى الأرشيف العثماني هنا بتركيا وبحثت فيه عن مثل هذا الفرمان فلم أجده وإنما وجدت وثيقة مشابهة تحمل فتوى لمولانا زاده رفعت أفندي ترجع إلى العصر الأخير من نهاية حياة الدولة العثمانية تحمل فتوى ضرورة تسخير الأمور لمصطفى كمال باشا لأجل حرب الإستقلال. ولكني لا أجزم أنه لا يوجد فرمان من السلطان محمد وحيد الدين لمصطفى كمال باشا يحمل مقدار المبالغ المالية التي أخذها من السلطان لأجل الإنفاق على حرب الإستقلال. غير أن الأرشيف المحلي وغياب بعض الفرمانات والوثائق التي ترجع إلى هذه الفترة. كنتيجة طبيعية للحرق أو الطمس أو الضياع أو الإخفاء يجعلنا؛ لا نجزم بصحة أو رفض ما قاله مولانا زاده رفعت أفندي؛ وهو المعروف بشدة معارضته للنظام الجمهوري وتأيديه لنظام السلطنة والخلافة.

لهذا سوف نلقي الضوء على مسألة إعطاء السلطان محمد وحيد الدين لمصطفى كمال باشا عشرات الآلاف من الذهب بشيء تفصيلي أكثر. لم نستطع أن نعثر في أي موقع من مواقع الأرشيف العثماني المحلي عن أي ورقة أو وثيقة تحمل ما يدل على صحة الإدعاء بأن مصطفى كمال باشا قد أخذ من السلطان محمد وحيد الدين هذه المبالغ المالية الذهبية. فلو نظرنا إلى هذا الأمر على أنه طبيعي؛ وذلك ضياع الكثير من الوثائق الخاصة بحرب الإستقلال ونهاية حياة الدولة العثمانية؛ إلا أنه على الطرف الآخرة ثمة مسألة تبطل هذا الإدعاء وهو عدم تحدث كل من مصطفى كمال باشا والسلطان محمد وحيد الدين عن هذه المسألة أو تناولهما في رسائلهما ولو بشكل عارض؛ مما يؤكد ضعف صحة رواية أخذه مصطفى كمال باشا مبالغ مالية ضخمة من السلطان محمد وحيد الدين. فأن يأخذ مصطفى كمال باشا في هذا الزمان عملات ذهبية من الذهب الخالص وزن العملة 8 جرام ذهب؛ أمر صعب أن يقبله العقل في ذلك الزمان؛ والأزمة الإقتصادية الطاحنة تعصف بالبلاد جراء الحرب وعدم الاستقرار. كما أن سعر الباخرة بندرما كان 40 ألف عملة ذهبية عثمانية.

[64] الخط الهمايوني؛ يقصد به الكاتب خط النستعليق العثماني المائل إلى الرفع والإستدارة فهو يعرف باسم الخط الهمايوني أو الخط الديواني؛ أي الخط المخصص للمراسلات الرسمية من قبل السلطان العثماني ومؤسسات الدولة. وهذا النوع من الخط مطور عن الخط العربي التعليق الذي طوره الفرس؛ وعن خط النسخ والكوفي الأندلسي المستدير؛ فأسمه يتكون من مقطعين النس أي اختصار كلمة خط النسخ وتعليق أي اخصار كلمة الخط التعليق. فهو الخط الذي يجمع بين خطي النسخ والتعليق. والعثمانيون هم من طوروا هذا النوع من الخط واستخدموه في الفرمانات السلطانية؛ لذا عرف بالخط الهمايوني اي الخط السلطاني؛ المترجم.

يعني أننا لو فرضنا صحة المبلغ الذي أخذه مصطفى كمال باشا أنه يساوي على أقل التقديرات سعر الباخرة باندرما؛ فإن هذا يعني أنه قد أخذ ما يعادل 320 ألف كيلو جرام ذهب (40 ألف ×8 جرام). وهذا أمر لا يقبله عقل بالنسبة لهذه للحالة الإقتصادية في تلك الآوانة الأخيرة الحرجة من حياة الدولة العثمانية. لهذا السبب مازال هذا الأمر محل نقاش ومجادلة حتى الآن. لأن أنصار هذا الرأي يعتمدون على وثيقة مولانا زاده رفعت أفندي التي نشرها بجريدة حلب الحرة وبكتابه عام 1929م؛ وعلى إجابة سؤال لم تحر له إجابة قطعية حتى الآن من أين أنفق مصطفى كمال باشا على حرب الإستقلال وهو لا يملك المال؟!

بينما نجد على الطرف الآخر من ذلك يذكر مصطفى كمال باشا في أحدى خواطره:" **لقد أخذت من خزينة الدولة بالإتفاق مع جناب السلطان محمد وحيد الدين 30 ألف ليرة كدعم مادي لي لإنجاز مهمتي في التفتيش العسكري التي كلفت بها في الأناضول بعيدًا أستانبول. ولقد أنفقت كل هذه الأموال التي خصصت لي لمراقبة أنشطة قوات الحلفاء العسكرية ؛ هي أموال معاشي دفعتها من جيبي الخاص؛ ولم آخذ عليها من خزينة الدولة العثمانية أي قرش آخر".**

والذي يؤكد صحة كلام مصطفى كمال باشا هو أن السلطان محمد وحيد الدين لم يكن يملك في قصره حينها مثل هذا المبلغ من المال. وكذلك خزينة الدولة العثمانية؛ فقد كانت خاوية على عروشها وتعاني من أزمة حادة؛ وبخاصة بعد أن انقطعت مدخلات الموارد الواردة إليها؛ بعد فقد الولايات العثمانية. ولكن السلطان محمد وحيد الدين كان يمتلك مزرعة للخيول خلف قصره الصغير القديم بقرية جنجال Çengelköy وهذه المزرعة هي سبب مصدر الأموال التي حصل عليها مصطفى كمال باشا من خزينة الدولة العثمانية. فقبل رحيل مصطفى كمال باشا إلى أداء مهمته العسكرية التفتيشية في سامسون وما حولها؛ قام السلطان محمد وحيد الدين ببيع خيول مزرعته بقرية جنجال بمبلغ 30 ألف ليرة ذهبية عثمانية. ووضعهم في خزينة الدولة ثم قام السلطان بسحب هذه الأموال من خزينة الدولة وإعطاء لمصطفى كمال باشا كدعم مادي له لينفق منه على احتاجات أنشطته العسكرية دون الحاجة إلى الرجوع لخزينة الدولة؛ كلما احتاج أمر ما. وهذا هو سر إمتلاك مصطفى كمال باشا 30 ألف ليرة عثمانية ذهبية.

ولقد حاولت مديحة سلطان الأخت الكبرى للسلطان محمد وحيد الدين أثناء السلطان عن إعطاء هذه الأموال لمصطفى كمال باشا؛ وإعطائها لابنها سامي بك؛ على أن يكلف ابنها بمهمة التفتيش العسكري في الأناضول وفي سامسون. وعبثًا حاولت إذ رفض السلطان محمد وحيد الدين اسناد هذه المهمة العسكرية لابن أخته مديحة سلطان بشدة. ولقد ذهب سامي بك للقاء مصطفى كمال باشا في منزله بمنطة بارا بلاس

وأعطاه ظرفًا فيه أوامر السلطان وكان ذلك يوم الخميس بعد صلاة الظهر؛ حيث ان يوم الجمعة كان إجازة في الدولة العثمانية ولا يقوم فيه سامى بك بأي أنشطة لذلك. كما أن ابن سامي بك الصغير كان يدرس في كتاب لتحفيظ القرآن الكريم وأساسيات اللغة الحساب يعرف باسم كتاب ابن عمر فتحي بمنطقة جلاطه سراي Galatasaray؛ لهذا أخذ سامي بك ابنه الصغير وذهب به إلى نزل فتحي الصغير وهناك شرب شربات مع ابنه ثم حجز غرفة لمدة ساعة بالنزل؛ صعد إليها وترك فيها ابنه الصغير لاسيما يعود. ثم ذهب للقاء مصطفى كمال باشا بمنزله بمنطقة بارا بلاس القريبة من منطقة جلاطه سراي؛ ثم عاد بعد أداء مهمته وأخذ ابنه من النزل ورحل.

كل هذه الأمور السابقة كانت مرتبطة ارتباطًا وثيقًا برحلة التفتيش العسكري لمصطفى كمال باشا في منطقة سامسون. أما من الناحية الرسمية فقد أعطت نظارة الحربية لمصطفى كمال باشا 1000 ليرة ذهبية كمعاش له وأعطت اصدقائه مثل هذا المبلغ المالي؛ كمعاش لهم اثناء رحلتهم العسكرية. وعندما ذهب مصطفى كمال باشا إلى سامسون أشترى بعض الملازم والمواد التي يحتاجها بوصلات من أسواق سامسون وقيدها في دفتر تقيدات المشتروات الخاص بالدولة.

على هذا الحال والوضع يطرح سؤال لماذا قام السلطان محمد وحيد الدين بتاريخ 30 إبريل 1919م بتعين مصطفى كمال باشا القائد العام للجيش العثماني التاسع قبل ذهابه إلى مدينة سامسون؟ وكيف كان يفكر السلطان محمد وحيد الدين في هذه المسألة؟ لمعرفة الإجابة على هذه الأسئلة؛ نجدها تتلخص في سببين أثنين:

1- رغبة السلطان محمد وحيد الدين في ضبط شؤون مدينة سامسون الداخلية وتجهيزها عسكريًا وضبط خطوط الإمدادات العسكرية والإتصال بينها وبين المدن التي تحيط بها من داخل الأناضول ومازالت بعيدة عن قبضة احتلال جيوش الحلفاء. وذلك استعدادًا لحالة استغلال البواخر العسكرية للحلفاء المادة السابعة من اتفاق مانداروس للهدنة لاحتلالها؛ وبذلك يستيطع أن يؤخر السلطان محمد وحيد الدين الهجوم على استانبول من جهة سامسون؛ لو حدث الهجوم عليها. لأن سقوط سامسون يعني سقوط استانبول.
2- السبب الثاني أن مصطفى كمال باشا عندما يعلم أن هناك جيشًا يعمل تحت إمرته؛ فإنه في هذه الحالة سيتخذ كافة التدابير العسكرية بالصورة اللازمة من أجل تأمين سامسون.

لهذا عندما بدأت حرب الإستقلال كان الجيش السابع والأموال التي أعطاه محمد وحيد الدين لمصطفى كمال باشا والفرمانات الخاصة بتسهيل مهمته وإخضاع جميع المؤسسات له سببًا من أسباب النصر في حرب الإستقلال؛ حتى أن السلطان كلف كل الضباط والرتب في الجيوش العثمانية الأخرى بالخضوع لمصطفى كمال باشا؛ إذا دعت ضرورة انقاذ الأناضول من الأعداء ذلك. وبالرغم من ذلك لا يذكر السلطان محمد وحيد الدين أنه أحد أسباب النصر في حرب الإستقلال؛ لأنه الجناح الأضعف المغلوب المنفي خارج البلاد.

لهذا عندما حدث احتلال اليونانيين بدعم الحلفاء لمدينة إزمير أرسل السلطان محمد وحيد الدين إلى مصطفى كمال باشا وإلى بعد الهيئات والدوائر المدنية والعسكرية رسالة يقول فيها:" **بينما تتجه حراب الأعداء وأفواه مدافعهم وبنادقهم إلى استانبول؛ أتخذت قراري عن قناعة بإرسال مصطفى كمال باشا إلى إزمير لإنقاذها من الإحتلال اليوناني الغاشم..لهذا على الباشاوات ومسؤلي المهام في كل مؤسسات الدولة تسهيل مهمة مصطفى كمال باشا في حرب اليونايين ومساعدته على ذلك لأجل استراد إزمير وما حولها من الأناضول الغربي؛ وأنا متأكد من قدرة مصطفى كمال باشا على تحريرها وعلى دعم مؤسسات وموظفي الدولة له بمختلف قطاعتهم. فإن العدو اليوناني أضعف من أن يخاف منه؛ والإنتصار عليه ممكن بكل تأكيد. إنني لم أرسل إلى هذه الحرب شخصًا عاديًا؛ وإنما أرسلت قائدًا عسكريًا محنكًا بمثابة ابن لي".**

وفي أثناء قيام مصطفى كمال باشا بانهاء بعض الأوراق الرسمية الخاصة بتفويضه لمهمته العسكرية التفتيشية للسفر إلى سامسون قابله الصدر العظم القديم أحمد عزت باشا مع بعض أعضاء حكومته وتحدث معه. وعن هذا اللقاء وموضوع السفر إلى سامسون يذكر أحمد عزت باشا: "**...في أثناء هذه الحوادث المتعاقبة علينا وقع الإختيار في استانبول على شخص متوسط الرتب للإعتماد عليه. وهو كان يريد أن يكون قائد الجيش العثماني السابع. غير أن السلطان والحكومة العثمانية حينها كانت ترفض ذلك. وتريد أن توليه مهام أخرى أكثر حساسية. لقد كان قائد جيش يلدرم " الصاعقة" العثماني القائد القديم مصطى كمال باشا الرجل الذي يعتمد عليه السلطان محمد وحيد الدين. هو من وقع عليه الإختيار. ومصطفى كمال باشا بسبب تعرفه على السلطان محمد وحيد الدين أثناء وجوده معه في الرحلة العسكرية إلى أوروبا هي التي ربطت أواصر الصداقة بين السلطان وبين مصطفى كمال باشا؛ ودفعت السلطان محمد وحيد الدين بعد توليه السلطنة أن يقوم باستدعاء صديقه القديم في أثناء رحلته إلى أوروبا ويفتح له ابواب القصر السلطاني ويجعله رجله الذي يمكن الإعتماد عليه في المهمام**

الجسام. وفي ذلك يقول أمين بك في حكايته المنشورة عن جمال باشا: "أثناء حرب الشام تم تعين مصطفى كمال باشا على رأس قيادة الجيش الثالث العثماني؛ غير أنه لم يكن له وفاق مع القائد الألماني بجهة الشام المارشال فالكنهاين Maraşal Falkenhayn. هذا القائد الذي كان يقول أن قوات الحلفاء قد رشت قائد الجيش السابع العثماني جمال باشا بخمسة أكياس ممتلئة بالذهب لكي ينسحب من أمامهم في جباهات القتال لكي يمكنهم من احتلال الشام؛ ويشهد على ذلك الضابط العثماني بك أوغلو Beyoğlu بالجيش السابع العثماني المسؤول عن الرايات والأعلام العثمانية أثناء القتال مع قوات الحلفاء المحتلين؛ حيث شهد بك أوغلو جمال باشا يلتقي أكثر من مرة قبيل الحرب بممثلين عن قوات جيوش الحلفاء ويعطونه هذه الأموال. والتي أدعى جمال باشا أنها أمواله وملكه من جيبه الخاص. وعلى الجانب الآخر في استانبول كان فريد باشا الصدر الأعظم لا يستطيع أن يخالف ما يريده قادة دول الحلفاء وممثليهم العسكريين وذلك أثناء تواجده في القصر السلطاني باستانبول وهو رأس مقام الصدارة العظمى...". وكان دائمًا ما يتكلم معنا فريد باشا في السياسة الداخلية للدولة العثمانية ولا يسمح لنا بمناقشة السياسة الخارجية للدولة. وكلما حاولت معه مناقشة شؤون السياسة الخارجية للدولة ذلك كان يرفض لقائي. وكان فريد باشا دائمًا ما يظهر لنا حبه للسلطان محمد وحيد الدين. غير أنه كان يشنع على السلطان بأنه يسيء استخدم أموال الدولة؛ وكان يقول عن السلطان أنه عجز مثلاً عن معرفة قاتلي الأرمن ومحاسبتهم أو حتى عقاب الأرمن على جرائمهم المسلحة ضدنا؛ ولم يستطع أن يضعهم تحت سلطان الرقابة والمحاسبة. لهذا يريد أن يبتعد عن أروقة السياسة في قصر الحكم باستانبول بأسلوب سلس لين؛ وقد بدأ في البحث عن وسيلة لأجل تحقيق ذلك. حتى السلطان محمد وحيد الدين أيضًا. قبل أن يتأكد من إفلاس سياسته في التقارب مع الفرنسيين ومن الصداقة مع الإنجليزي بدأ يشعر بتغير جذري في أشكال التنظيمات والجمعات التي تقود المجتمع داخل الأناضول. وبدأ يفكر في احتواء ذلك حتى أن رؤوف بك كان أيضًا يعمل قليلاً دون أن يلاحظه أحد في أن سياسة التقارب مع دول الحلفاء وأسلوب اللين والموادعة لن يجدي نفعاً. وأنه لابد من تهيأ أنفسنا لأي طارئ قد يحدث من قبلهم لنا. لهذا بدأ يبعد نفسه رويداً رويدًا عن سياسة التصالح التي يتبعها السلطان محمد وحيد الدين مع الحلفاء. ورؤوف باشا هذا بدأ يؤمن أنه لم يتبقِ للأتراك في أيديهم سوى الأناضول وأنه لابد لهم من المحافظة عليها للحفاظ على وجودهم فيه. ومن أن عهد السلطنة قد أنتهى؛ وأن العمل على تحرير الأناضول يعني الوداع للسلطان محمد وحيد الدين وللعائلة العثمانية الحاكمة وفتح صفحة جديدة في تاريخ الأناضول. ولهذا السبب كان فريد باشا دائمًا ما كان ينصح السلطان محمد وحيد الدين بعدم إرسال رؤوف باشا للقتال على جبهات الأناضول. لأن هدفه من تحرير الأناضول هو

تقويض أركان الدولة العثمانية..فلما بدأ السلطان يعتمد على مصطفى كمال باشا واجهه السلطان بما ثار عنه ذات مرة من انه من أنصار النظام الجمهوري ومن أنه سوف يستغل تحرير الأناضول إن انتصر في هدم الدولة العثمانية؛ إلا أن مصطفى كمال باشا قبل الخروج للحرب قد أنكر أمام السلطان كل هذا. وكان هذا هو الجواب الطبيعي لمصطفى كمال باشا على السلطان. إذ أن مصطفى كمال باشا لم يكن في يديه من السلطة التي وعده بها السلطان شيء. وكان ما يزال في استانبول إلى جوار السلطان. ويمكن للسلطان تغيره واختيار أي أحد مكانه لتأدية هذه المهمة؛ لهذا كان يتحلى بالصبر لاسيما يعبر إلى الأناضول ويأخذ كل المهام والتكليفات من السلطان التي تخوله عزل من شاء وتعين من شاء وقتما شاء ورسم الخطط الحربية دون الرجوع لأي أحد ورسم سياسته الخاصة في رسم طريق تعامله مع الأوروبيين. وأنا من معرفتي بما كان يدور في القصر السلطاني وداخل أروقة الحكم أن هناك غيرة وحقد من بعض القادة الذين كانوا يرون انفسهم اكفأ من مصطفى كمال باشا ولم يأخذوا ربع الصلاحيات التي أعطاه له السلطان محمد وحيد الدين. حتى أن فريد باشا ذات مرة وهو يتمشي معي في حديقة القصر السلطاني يلدز قال لي:" لولا أنني أنا الصدر الأعظم الذي يرأس مصطفى كمال باشا؛ لأستثارة الغيرة في نفسي؛ جراء كل الصلاحيات الواسعة التي أعطاها له السلطان محمد وحيد الدين. وأنا أراه لا يستحقها". وفي هذه الأثناء قام السلطان محمد وحيد الدين بعزل فريد باشا من الصدارة العظمى وتعين توفيق باشا مكانه والذي قابلته حينها في مقصورته الخاصة وأخبرني أنه يشكل الحكومة وأن الحكومة مازال بها 12 مقعد وزاريًا خاليًا. ودعاني حينها للاشتراك في حكومته. وقال لي حينها: " لقد أخترتك يا أحمد عزت باشا كأحد أعضاء حكومتي الجديدة". وقبل خروج مصطفى كمال باشا مع الجيش من استانبول لتأدية مهمته العسكرية التفتيشية ولتنفيذ حاكمية صلاحياته على أرض الواقع؛ عرضت هذه الصلاحيات على مجلس المبعوثان والذي أعلن أعضائه أنه سيتناقشون في أحقية مصطفى كمال باشا لهذه الصلاحيات من عدمها في مدة لا تقل عن أسبوع إلى عشرة أيام قبل التصديق عليها. حينها دعى السلطان محمد وحيد الدين مصطفى كمال باشا وصدق له على فرمان يخوله كل هذه الصلاحيات دون الرجوع إلى مجلس المبعوثان. وبهذا الحل كانت مأمورية مصطفى كمال باشا لأداء مهمته التفتيشية العسكرية ليس مأمورية رسمية تامة وذلك لعدم وجود تصديق مجلس المبعوثان عليها. لقد كان السلطان محمد وحيد الدين أسير الفكر والتدبير لأجل انقاذ الدولة العثمانية من الزوال؛ لهذا لم يراعي الرسميات كثيرًا التي قد تعيقه عن تحقيق هدفه. وكلما دعى السلطان محمد وحيد الدين أعضاء الحكومة والبرلمان للقصر السلطاني ليتناقش معهم فيمن يتولى نظارة الحربية يختلفون فيما بينهم. لهذا قد أتخذ السلطان محمد وحيد الدين قراراه الخفي بتعين

مصطفى كمال باشا ناظرًا للحربية. بيد أنه لم يعلن لهم ذلك صراحة. لكنه وضع كل الأمور والصلاحيات التي لناظر الحربية العثمانية في يد مصطفى كمال باشا؛ وبذلك تعامل السلطان بمكر وبدهاء مع مجلس المبعوثان وأعضاء الحكومة من الوزراء. وفي هذا الوقت الحرج والناس تنتظر إلى من ينقذها من الأعداء لم يكن أمام السلطان محمد وحيد الدين إلا استخدام المكر والذكاء مع أعضاء الحكومة ومجلس المبعوثان. نعم كان هناك غلظة في الحديث من بعض من رفضوا الإنصياع لمصطفى كمال باشا؛ وكانوا يرون أنهم أحق منه؛ حتى من بعض مسؤلي مؤسسات الدولة المدنية حينها؛ إلا أن سرعة استخدام السلطان للخديعة دون أن يشعروا ولعبه على أوتار الصراعه والخلاف بين أعضاء الحكومة ومجلس المبعوثان وبين أعضاء مجلس المبعوثان أنفسهم؛ وعرضه أمام اعين الحكومة الأوضاع السيئة التي وصل لها العامة. واستخدام السلطان محمد وحيد الدين سلاح الخلافة لانهاء كل المناقشات والإعتراضات؛ فنتج عن كل ما سبق تحقيق مراد السلطان لمصطفى كمال باشا. وكان السلطان محمد وحيد الدين حينها يقول للمعترضين على سياسته:" فليكن ما يكون". لقد كان السلطان محمد وحيد الدين يسابق الزمن ويتوقع من الدول الأجنبية الغربية الغدر في أي لحظة. ولا يعلم أي لعبة قد يلعبونها معه؛ ولهذا كان يخاف من هذه المسألة".

وفي أثناء استعداد مصطفى كمال باشا للخروج من القصر السلطاني للسفر إلى سامسون مر بمقصورة الصدر الأعظم فريد باشا. وكان إلى جواره كاتبه ومساعده رضا توفيق باشا؛ وحينها قال فريد باشا لمصطفى كمال باشا: **" فلتتذكرنا إذا تحققت النبوءة".** وعن هذا اللقاء يذكر رضا توفيق باشا في مذكراته: **" ...في أحد الأيام كنا قد حضرنا إلى مجلس الوزراء وكانت هناك مناقشة حامية الوطيس.وكان سبب هذه المناقشة هو أنا. فقال الصدر الأعظم:" أيها الباشاوات هل تريدون أن يبتعد مصطفى كمال باشا عن استانبول؟ حينها سيتوجب عليكم أن توافقوا على مهمته العسكرية التفتيشية وعلى الصلاحيات الموسعة التي أعطاه السلطان له في جعل كل الموظفين في مختلف الهيئات والمؤسسات الحكومية تحت أمره. حتى أن انقاذ إزمير من الإحتلال اليوناني الغاشم ستوكلونه إليه. أنا فقط أعرض عليكم الآن الوضع. فهل توافقون على أن يذهب أم لا توافقوا أو أنكم ستكتفون بالدعوة لتقليص بعض صلاحياته التي أعطاها له السلطان محمد وحيد الدين. فلتتخذوا قراركم الآن. وبناءًا على قراركم سنتحرك". وفي أثناء إقامة فريد باشا لهذا المزاد وعرض هذه المزايدة على أعضاء مجلس الوزراء؛ كنت أعلم علم اليقين بنتيجتها. وكنت متأكد من أن اليونانيين سوف يخرجوا من الأناضول برضاهم أو بغير رضاهم. لكن فقط لم أكن أظن أن مجلس الوزراء سوف يوافق بالإجماع**

على مهمة مصطفى كمال باشا وعلى إعطائه كل هذه الصلاحيات. حينها قولت لأعضاء مجلس الوزراء:" إذا كنتم ستعطون مصطفى كمال باشا كل هذه الصلاحيات فما لزوم بقائكم هنا في هذا المجلس؟! وأنظروا إلى ما سوف يقوم به؟! من العمل لنفسه بناءًا على هذه الصلاحيات الموسعة". ثم قمت وكتبت على حائط غرفة اجتماع مجلس الوزراء: " يا أصدقائي ستكونون جميعًا شهودًا على ما أقول". ثم نظرت لهم وقولت:" إن من يأخذ كل هذه الصلاحيات الموسوعة من التفتيش العسكري ومن قيادة الجيش ومن إخضاع كافة مؤسسات الدولة المدنية في الأناضول للأمر المباشر له دون الحاجة للرجوع إلى السلطان أو مجلس الوزراء أو مجلس المبعوثان؛ ويكون معه كافة الإمكانيات المادية لإنجاز كل أهدافه؛ فإنه بالتأكيد سيعمل لنفسه؛ وسيسعى إلى تقويض أركان الحكم القائم؛ وسيعمل على انقاذ الوطن ولكن لأجل نفسه وستشهدون التغيير الذي سيحدث؛ عندما يعلن العصيان علينا. ولكنه ليس في مرحلة إعلان العصيان بعد. ففكروا جيدًا قبل اتخاذ أي قرار مصيري بشأن الدولة وشكل نظام الحكم القائم". حينها نظر إلي فريد باشا وقد تحول لونه إلى اللون الأصفر الفاقع؛ كأنه يتميز من الغيظ؛ وعقب عليَ قائلاً:" أنسيت يا سيد أنك أنت من أوصى لنا مسبقًا بهذا الرجل. وأنك قولت عنه أنه قائد محنك وبأنك تعرفه معرفة جيدة؛ وصورته لنا جميعًا بصورة جيدة نقبلها. حتى أنك رأيته هو أنسب شخص لنظارة الحربية. وأوصيتنا أن نجعله من ضمن الشخصيات المرشح لتولى منصب ناظر الحربية. الآن تراه غير لائق لأن يتولى منصب التفتيش العسكري؛ هذا أمرٌ غريبٌ منك بكل تأكيد". حينها قولت له:" نعم، هكذا كنت أراه؛ ولكني أردت أن أعرض عليكم الحقيقة مجردة؛ حتى وإن كنت أعرفه. إن مصطفى كمال باشا يرى أنه من الضروري أن تتظهر استانبول من الإتحاديين؛ وكان يقول:" أنا استطيع أن أطهر استانبول من الإتحاديين في بضعة أسابيع". هكذا كان جوابي على فريد باشا؛ ولأعضاء مجلس الوزراء معه. ثم جلست".

ولكي تكتمل الصورة حتى نهايتها في موضوع إرسال مصطفى كمال باشا في مهمة التفتيش العسكري إلى سامسون؛ علينا أن نضيف إلى ذلك ما ذكرته صبيحة سلطان ابنة السلطان محمد وحيد الدين في مذكراتها عن هذا الموضوع. فلقد حصلت علي هذه المعلومات من الصدر الأعظم السابق سعاد خيري أورجوبلو Suad Hayri Ürgüplü وذكرت هذه المعلومات على شكل عدة نقاط في مذكراتها؛ إضافة إلى ما عرفته من والدها على الشكل التالي:"**...والدي قبل أن يصبح السلطان كان أكثر شخص يحبه ويقدره هو مصطفى كمال باشا؛ وكان ذلك منذ أول تعارف بينهما. فكان يقربه منه باعتباره الياور المسؤول عن تنظيم المراسم الرسمية لسياحة الهيئة العسكرية العثمانية إلى ألمانيا. وكان**

مصطفى كمال باشا من جهة أخرى على تواصل مستمر بوالدي ويعظمه ويقدره ويحترمه كثيرًا. لهذا لما حدثت الفاجعة باحتلال غرب الأناضول وبسقوط إزمير كان أول اختيار لوالدي لأجل هذه المهمة الصعبة وهي تحرير غرب الأناضول يقع على مصطفى كمال باشا. وكان دائمًا والدي ما يحفظ مصطفى كمال باشا على حفظ الأناضول وعدم الهروب منه؛ وانقاذه من يد الأعداء. وكان والدي دائمًا ما يقول لي نفس هذا الكلام. في ذلك الوقت بعد أن أقنع والدي مصطفى كمال باشا بالذهاب إلى الأناضول للتفتيش العسكري ثم للقتال على جبهة إزمير؛ كان ينتظر والدي أمام مدخل حجرته التي كان يتحدث فيها مع مصطفى كمال باشا الياور ناجي باشا الملقب بناجي آل دنيز " ناجي يد البحر" حيث قال لوالدي السلطان محمد وحيد الدين أثناء إهمامه بالخروج من حجرته وقد ظهر على وجهه البشر والفرح:" أنا ابشر السلطان بالنصر بعد أن استطاع اقناع مصطفى كمال باشا بالذهاب إلى جبهة الأناضول. ورحم الله يمني باشا Yümni Paşa فقد كان هو الأنسب لنفس مقام مصطفى كمال باشا في الحرب على جبهة الأناضول ضد اليونان المحتلين".

" وكانت اللقاءات بينهما بسبب هذا الخصوص لا تنقطع؛ في أول الأمر كان يعمل بأمر السلطان ومن المقربين منه؛ ثم رويدًا رويدًا بدأت الوحشة بين السلطان ومصطفى كمال باشا. وبعد تحريره لغرب الأناضول ولإزمير بدأ مصطفى كمال باشا يرى الوضع من وجهة نظره هو؛ لا من وجهة نظر السلطان. وبدأ العمل لوحده دون الرجوع إلى السلطان. وكان السلطان يصمت لأجل ألا تحدث فتنة؛ ولكي يحافظ على سلامة الوطن ووحدة أراضيه؛ وينتظر الفرصة التي يقابله فيها مصطفى كمال باشا ليشرح له لماذا أتخذ بعض القرارات الفردية دون الرجوع إلى السلطان. غير أن مصطفى كمال باشا بدأ يستغل نصره في إزمير لترتفع أسهم مكانته وشهرته لدى سكان الأناضول؛ محاولاً بذلك الوصول إلى غايته الكبرى؛ فلم تكن غايته سلامة الوطن فقط؛ بقدر ما كانت غايته الإستقلال عنا وتكوين عصر جديد خاص به".

"بعد مدة عندما علم والدي السلطان محمد وحيد الدين أن مصطفى كمال باشا لم يلتزم بوعوده وأيمانه المغلظ التي أعطاه له؛ وبدأ يعلن أن السلطان محمد وحيد الدين خائن وأن عصر الإمبراطورية العثمانية قد انتهى. تأسف وتحصر والدي كثيرًا وتحير في أسباب انقلاب مصطفى كمال باشا عليه؛ ولم يستطع أن يهضم ويستصيغ ما يصله عنه".

"نحن قبل أي شيء علينا أن نعترف بأننا قد أخطائنا سياسيًأ كثيرًا؛ وبأننا كنا نجهل الكثير من الأمور التي كانت تدور حولنا؛ وبأننا قد جلبنا إلى أنفسنا الضرر. إلا أن يعلن أحد أتباعنا أن ابن العثمانيين خائن للوطن كيف تجرأ على هذا؟! فقد كان مصطفى كمال باشا أقرب شخصية مقربة إلينا؛ وكنا نعرفه كثيرًا معرفة عن قرب. فكيف استطاع أن يقول هذا ويعلنه في حق السلطان محمد وحيد الدين وفي حقنا! لقد أصبنا جميعًا بحزن عميق وبخاصة والدي السلطان. وهكذا القدر له سننه التي نسير عليها؛ ودوام القدر على حال واحد من المحال. ففي أحدى الليالي قد يتمزق في عقلك أحد الأوردة الناقلة للدم بدون سبب؛ ولكنه السبب الذي سينقلك من الدنيا إلى الآخرة ويجعلك تنفصل عن هذه الحياة الفانية. فإنها أقدار؛ وكل ميسر لما خلق له. ومصطفى كمال باشا كان هو العرق الذي قطع؛ فنقلنا ونقل دولتنا من الحياة إلى الموت".

"وأنا فتاة وأنا شابة وحتى وأنا في سكرتي الأخيرة على سرير الموت أقر بأن شرفي وعزي وهو أنني ابنة السلطان العثماني صاحب السلطنة العثمانية صاحبة المجد والشرف على مدى أيام وجودها. والذي أريد أن أقوله:" والدي السلطان محمد وحيد الدين لم يكن أصلاً خائنًا؛ وهو الذي كان وقت الشدة حالكة السواد يحب وطنه أشد الحب؛ وكان يريد السلامة لوطنه بأي ثمن. هكذا عاش والدي؛ وهكذا مات والدي".

31.2. الأشهر اليسر القمرية وما بعدها

في الفترة الممتدة من شهر مايو 1919م إلى شهر نوفمبر 1922م كانت العلاقة بين حكومة استانبول والأناضول علاقة قطيعة واستياء وإن تخللها بعض السلام القاتم أحيانًا. وكانت السلطة في حالة اضطراب في استانبول كنتيجة طبيعية لتعدد الحكومات فما بين حكومة علي رضا باشا وصالح باشا على مدار ستة أشهر نجد حكومة فريد باشا قبلهم وبعدهم وفي المدة الزمنية الفاصلة بين الحكومتين؛ كأن خلال هذه الفترة المتحكم الوحيد في الصدارة العظمى هو فريد باشا صهر السلطان. وفريد باشا هذا كان يسعى دائمًا إلى التقارب مع حكومة أنقرة. فلما تأكد السلطان محمد وحيد الدين من ذلك عزله وأحضر بدلاً منه توفيق باشا للصدارة العظمى.

ومنذ هذا التاريخ أي منذ إرسال مصطفى كمال باشا بباخرة بندرما Bandırma Vapuru في مهمة التفتيش العسكري بمدينة سامسون على ساحل البحر الأسود؛ وحتى العداء بينه وبين مصطفى كمال باشا حول اسلوب إدارة الدولة؛ وكيفية انقاذ الأناضول من الإحتلال؛ حدثت المناقشات والمجادلات حول السلطان

محمد وحيد الدين. وحتى بعد حدوث الثورة والإنقلاب على السلطان محمد وحيد الدين. كأن الجميع ينظر للسلطان على أنه متهم بالإطلاق؛ ولا يحق لأحد دراسة ما حدث معه دراسة موضوعية. والذين يتهمون السلطان محمد وحيد الدين بالخيانة خلال هذه المرحلة يركزون على عدة أمور لاثبات تهمة الخيانة عليه منها:

1- قراره وفتوى شيخ الإسلام بضرورة القضاء على حكومة أنقرة القومية التابعة لحركة الأناضول برئاسة مصطفى كمال باشا.
2- توقيع معاهدات ماندراوس وسيفرس وغيرها من المعاهدات في عهده.
3- علاقاته المتواصلة مع الإنجليز.
4- إرساله جيوش الخلافة في استانبول لحرب حكومة أنقرة؛ وإصدار الفتاوى في عهده من مشايخ الإسلام بتكفير حكومة أنقرة واتهام حركة تحرير الأناضول بالخروج على ولي الأمر الشرعي في البلاد.

إن الحديث في مثل هذه المسائل التفصيلية ليست مهمة الآن؛ فقد اكتفينا منها بالعرض السابق؛ وما عرضناه من وثائق يكفي لشرح الكثير من الأمور والشبهات التي ألصقت بالسلطان محمد وحيد الدين على ظاهرها دون التدقيق من أصل أفعاله ومغزاها والتحقيق من وثائق العصر. فأخذ الأمور على علتها دون إيضاح ما فيها من ملابسات ينتج عنها ذهنية مشوشة وأحكام خاطئة...

عندما كان مصطفى كمال باشا يرأس حركة تحرير الأناضول؛ كانت حكومة استانبول وبقيادة الباشا المتولي الصدارة العظمى مهما أختلف اسمه ليس له من هم واحد سوى استدعاء مصطفى كمال باشا إلى استانبول. وفي كل هذه الإستدعاءات يرفض مصطفى كمال باشا الحضور؛ تحت دعوى أنه يخاف من الإعتقال على يد الحكومة الإنجليزية؛ وأن استانبول تحت الحصار؛ وقد تسقط في أي وقت. وفي الحقيقة كان مصطفى كمال باشا لا يستصيغ مسألة دعوته للقاء السلطان محمد وحيد الدين وحده في استانبول؛ بعد كل ما حصل بينهما من خلاف وعداء.

ففي تاريخ 8 يوليو 1919م نفذ مصطفى كمال باشا آخر أمر أراده السلطان محمد وحيد الدين منه وكان ذلك بعد منتصف الليل وهو الذهاب مباشرة من مدينة أرض الروم Erzurum؛ إلى جبهات القتال في الأناضول؛ ولقد ذكر في هذا التلغراف الذي أرسله السلطان محمد وحيد الدين إلى مصطفى كمال باشا المتن التالي: **" الآن أنا بصفة السلطان وخليفة المسلمين أكلفك يا مصطفى كمال باشا برفع العار والذل والمر**

عن كاهل الأناضول ومقامي الخلافة والسلطنة. وذلك بعد قراري لك بتعينك ناظرًا للحربية وقائدًا عامًا لقيادات الجيوش العثمانية. فعليك أن ترفع الحزن عن الأمة وعنا وأن تدرس الوضع جيدًا. كي نستطيع أن نطوي هذه الصفحات المرة من تاريخ أمتنا. وأنا قد شرحت لك في لقاءتنا المستمرة ماذا يجب عليك أن تفعل؟! فعليك أن تحافظ على وحدة ترابنا المقدس؛ وعلى مقدسات هذا الوطن وشرفه. وأنا أتحدث معك بنفس عاجزة عن أن تحتمل؛ أكثر مما تحتمل. لهذا عينك على رأس أعلى الوظائف من أجل تحقيق هذه الغاية؛ وانا مستريح الضمير". هكذا بدأ خطاب السلطان محمد وحيد الدين إلى مصطفى كمال باشا. حينها أجاب مصطفى كمال باشا السلطان محمد وحيد الدين بهذه الرسالة:**" إن الوضع الذي وصلت إليه الحكومة والسلطنة العثمانية الصعب والفترة الحرجة التي تمر من عمر الخلافة أعلمها جيدًا؛ وأعلم مدى الشروط الظالمة التي فرضت فرضًا على مقام الحكومة المركزية في استانبول...غير أنني أفتخر بأنني من وكل إلي أمر إعادة الهيبة للوطن وللأمة ولمقام الخلافة الذي واسند إلي أن أكون أنا المنقذ له. فأعلم يا جناب السلطان أنني منذ أن كنت ضابطًا صغيرًا في العسكرية العثمانية وأنا أحب دولتي مستعد أن أضحي بحياتي من أجلها".**

"...إنني أعلن من خلال هذا الخطاب المرسل إليكم يا جناب السلطان بصفتك الإمام الأعظم والخليفة الشرعي للمسلمين بأنني أحب مقام الخلافة؛ ولن تجد من هو مثلي شديد الإخلاص لمقام الخلافة ويريد الحفاظ عليه وعلى السلطنة من الزوال؛ ومستعد أن يفدي دولته وخلافته بروحه. وسوف أظل على هذا العهد ما حييت؛ والأمر في النهاية مخول إليكم. وأنا أطمئنكم يا جناب السلطان بأنني لن أخون السلطنة والخلافة؛ فأرح بالاً من هذا الأمر. ولقد استفدت كثيرًا من عملي في مجال الحربية والعسكرية العثمانية؛ والآن سأطبق كل الخبرات العسكرية التي تعلمتها على مدار السنوات السابقة؛ ولم أستطع أن أطبقها من قبل على أرض الواقع؛ وذلك بسبب ثقتكم في؛ هذه الثقة التي خولتني لأن أكون ناظر الحربية العثمانية. وأنا أدعو الله الحق لك يا جناب السلطان محمد وحيد الدين عند كل صلاة أن يديم عليك تمام الصحة والعافية؛ وأن يحفظك من كل الآفات والأمراض... وأتمنى أن تأتي اللحظة التي تفرح بها يا جناب السلطان عندما أعيد مجد الخلافة والسلطنة العثمانية من جديد...".

وبعد إرسال مصطفى كمال باشا هذا الخطاب للسلطان محمد وحيد الدين بشهر أي بتاريخ 9 أغسطس 1919م؛ قام السلطان محمد وحيد باتخاذ قرار آخر وهذا القرار ذكره في مذكراته بالمنفى على النحو التالي:**"...يمنح مصطفى كمال باشا وظيفة المفتش العسكري العام على كافة قطاعات الجيش العثماني المختلفة؛ كما يحق لمصطفى كما باشا أن يختار ما يشاء من الضباط والقيادات العسكرية الذين يمكن**

الإعتماد عليهم في ميدان القتال دون الحاجة لأخذ الإذن المباشر من السلطان. كما تلغى رتبة المساعد الفخري الشرفية الممنوحة له؛ ويعطى بدلاً منها قلادة عسكرية " نيشان عسكري" مكافأة له على عمله برتبة المساعد الفخري الشرفي مع السلطان". ولقد كلف السلطان محمد وحيد الدين صهره فريد باشا بتنفيذ إرادته السلطانية في هذا الفرمان وإرسال الفرمان بعد التصديق عليه من السلطان والصدر الأعظم إلى نظارة الحربية للتصديق عليه؛ وهكذا خرج الأمر السلطاني لمصطفى كمال باشا من قصر يلدز إلى نظارة الحربية. غير أن الصدر الأعظم فريد باشا لم يكن ممنونًا من إعطاء مصطفى كمال باشا كل هذه الصلاحيات؛ ولم يكن يرغب في أن تأخذ منه وظيفة المساعد الفخري الشرفية للسلطان؛ وكان يرفض أن يمنحه السلطان محمد وحيد الدين القلادة العسكرية الفخرية " النيشان العسكري". لهذا بعد أربعة اشهر من إصدار السلطان محمد وحيد الدين فرمانه السابق الإشارة إليه؛ ذهب فريد باشا إلى المحكمة العسكرية بنظارة الحربية بتاريخ 28 ديسمبر 1919م ورفع دعوة قضائية على مصطفى كمال باشا ألزمه فيها وفقاً للقانون العسكري العثماني بالإستقالة من كافة مناصبه؛ إذا كان يريد هذا النيشان العسكري الشرفي الفخري؛ لأن هذا النشان وفق القانون العسكري العثماني لا يمنح إلا للمتقاعدين أو الذين خارج الخدمة. ومصطفى كمال باشا ليس متقاعدًا وليس خارج الخدمة. وكان قرار المحكمة العسكرية في صالح الصدر الأعظم فريد باشا؛ وضد مصطفى كمال باشا. وفي اليوم التالي من صدور قرار المحكمة العسكرية ضد مصطفى كمال باشا بشأن النيشان الفخري؛ تم إقالة فريد باشا من منصب الصدارة العظمى وتكليف توفيق باشا بتشكيل الحكومة.

ولهذا خرج قرار جديد من قبل السلطان محمد وحيد الدين إلى نظارة الحربية نص هذا القرار على أن نظارة الحربية والمحكمة العسكرية فيها؛ لا يحق لها إلغاء أي فرمان من فرمانات السلطان العثماني؛ ولا يحق لها التشاور مع الصدر الأعظم بشأن ما يمنحه السلطان العثماني أو يأخذه من بعض القادة العسكريين. وبعد ذلك بيوم واحد من رسالة السلطان محمد وحيد الدين لنظارة الحربية أرسل توفيق باشا إلى نظارة الحربية لسحب الدعوة القضائية الموجه ضد مصطفى كمال باشا أمام القضاء العسكري العثماني. كما قام توفيق باشا في حكومته الجديدة بتعيين مصطفى كمال باشا ناظرًا للحربية بتاريخ 30 ديسمبر عام 1919م.

غير أن السلطان محمد وحيد الدين بتاريخ 3 فبراير 1920م قام باصدار فرمان عثماني آخر ألغى به فرمان العثماني القديم بمنح مصطفى كمال باشا النيشان الفخري الشرفي وفي هذا الفرمان قال السلطان محمد وحيد الدين: **" على مصطفى كمال باشا الإستقالة من قيادة الجيش العثماني الثالث؛ وفقًا لقرار المحكمة العسكرية العثمانية الصادر بهذا الشأن؛ وذلك بسبب اعتماده على اتخاذ قرارات حساسة تمس وجود الدولة العثمانية وكيانها بدون الرجوع إلى رأس الدولة السلطان العثماني؛ كما يأخذ من مصطفى**

كمال باشا رتبة قلادة النيشان الفخرية الشرفية؛ وذلك وفقًا للقانون العسكري العثماني الذي ينص على أن هذا النيشان لا يمنح إلا للقادة المتقاعدين أو المستقلين من مناصبهم؛ وهذا ما لا ينطبق على مصطفى كمال باشا. ولكن إذا كان مصطفى كمال باشا ليس بعيدًا عن استانبول ويريد أن يبرهن على أحقيته بهذا النيشان فعليه أن يعود إلى عاصمة السلطنة لكي يعود له هذا النيشان العسكري الفخري الشرفي مرة أخري".

في هذا الوقت كان مصطفى كمال باشا قد استقر في أنقرة؛ وأصبحت أنقرة هي مركز نشاطه ومقر حكومته وعمله. وقام مصطفى كمال باشا حينها بعمل مؤتمرات شعبية في مدن أرض الروم وسيواس؛ وكان أثناء هذا المؤتمرات يعلن صداقته للسلطان محمد وحيد الدين؛ وليس تابعيته له. وبتاريخ 12 يناير 1920م أفتتح مجلس المبعوثان الجديد وكان على كل الوزراء من أعضاء حكومة توفيق باشا واجب إلزامي بالحضور. بيد أن الحكومة في استانبول عندما أرسلت إلى مصطفى كمال باشا لكي يحضر إلى مجلس المبعوثان الجديد؛ بصفته وزيرًا في حكومة توفيق باشا وتابعًا لها. حينها أرسل مصطفى كمال باشا إلى الحكومة تلغرافًا يعتذر فيه عن الحضور بحجة أنه في أنقرة يقيم وهي بعيدة عن استانبول. كما أرسل إلى السلطان محمد وحيد الدين تلغرافًا آخر يعتذر فيه عن الحضور لاستابول بجملة واحدة قائلاً فيها:" **فليحفظ الله السلطان المبارك من جميع أنواع الأفات والأمراض".** حينها شعر السلطان محمد وحيد الدين أن لطف مصطفى كمال باشا معه في هذا التلغراف معناه أنه لا يريد أن يقابله وجهًا لوجه. لهذا أرسل له السلطان محمد وحيد الدين تلغرافًا قصيرًا قال فيه: **" أنا ممنون من لطفك معي في الحديث يا مصطفى كمال باشا؛ لكن وجودك بمقر قيادتك في استانبول؛ أولى من وجودك بمقرك في أنقرة".**

في السياسة لا يوجد استقرار على حال واحد. لقد كانت العلاقة بين السلطان محمد وحيد الدين ومصطفى كمال باشا بين شد وجذب خلال عام 1920م. وذلك لرفض مصطفى كمال باشا المتكرر الحضور إلى استانبول عاصمة الدولة العثمانية. لقد قبل مصطفى كمال باشا من السلطان محمد وحيد الدين نظارة الحربية وأضيفت إليه رئاسة أركان حرب الجيش العثماني؛ مما جعله يمتلك ناصية كافة الجيوش العثمانية بيده وحده. مما جعل بعض الولاة الذي أراد عزلهم بدون سبب يذكر يتشككون في قرارات مصطفى كمال باشا؛ ما السبب الذي أدى إلى اقراراه بعزلهم بدون الرجوع إلى السلطان. ومن ذلك التلغراف الذي أرسله والي مدينة آسكي شهير Eskişehir المتصرف حلمي بك Hilmi Bey إلى السلطان العثماني محمد وحيد الدين بتاريخ 17 أيلول 1919م؛ يحذره فيه من خطورة وضع زمام الأمور في يد شخص واحد؛ حيث قال في تلغرافه:"**...من الشرق إلى الغرب ومن الجنوب إلى الشمال إلى الشرق أتوكل على الحق سبحانه وتعالى**

وحده وأقول لجناب خليفة المسلمين السلطان محمد وحيد الدين أنا الشخص الوحيد المخلص لمقامي الخلافة والسلطنة والأمة؛ وسأظل على ذلك إلى الأبد؛ ما أتمناه أن تنتصر خلافة السلطنة على أعدائها وأن تكون حرب الإستقلال باسم الخلافة؛ وليست باسم أي حركة أخرى؛ يا جناب السلطان أنا لا أفكر في أي شيء سوى المحافظة على دولة الخلافة والسلطنة؛ وأمتنا بمختلف أعراقها كالسيل الملتف حولكم بصفتكم خليفة المسلمين؛ فهل أنت يا جناب السلطان من سوف يقود مقاومتنا ضد قوات الأعداء؟ أعرض عليكم هذا لما في هذا الأمر من خطورة وجودية على مقامي السلطنة والخلافة".

وكان مصطفى كمال باشا يهدف إلى تحقيق هدفه الأعظم في أن يكون هو رأس الأمر في كل شئ في الدولة؛ لهذا ذهب إلى مدينة أرض الروم في أقصى شمال شرق الأناضول البعيدة عن أعين حكومة الخلافة في استانبول ليقوم بمؤتمرات شعبية باسم حرب الإستقلال؛ بيد أن فريد باشا عندما كان في منصبه كصدرًأ أعظمًا لم يسترح نفسيًا للمؤتمرات الشعبية التي يعقدها مصطفى كمال باشا؛ لهذا أرسل فريد باشا بتاريخ 18 ديسمبر 1919م إلى مصطفى كمال باشا بمدينة أرض الروم تلغرافًا قال فيه: **" لا تقترب من علاقة السلطان بالأمة؛ فهو خليفة المسلمين وحبيب الأمة؛ كما يشاع ممن حولك أن السلطان لا يتصل بك؛ ولا يدري ما الذي يحدث على الجبهات".** لهذا رد على فريد باشا مصطفى كمال باشا بتلغرافًا آخر قال له فيه:**" إن الذي يتحجج بأنه ممثلاً عن نواب الأمة لكي يتثني له مقابلة ممثلي الدول الأجنبية بصورة رسمية؛فهو من أولئك الخونة المتربصون الذين يبعون ذمتهم للأجنبي بأبخس الأثمان ويطمعون في زيادة ثمن الخيانة من الأجنبي؛ أتراهم يستطيعون خداع السلطان؟! أتراهم يستطيعون أن يقدموا شيء لمقام الخلافة المقدس؟! وهم من أقرب المقربين إلى السلطان. إن الخونة يتشبثون بالخيانة والإجرام الذي مارسوه في حق الأمة. ومعي ما يثبت ذلك من وثائق. فأولئك الخونة الذين يحاولون الآن تجميل صورتهم أمام الخليفة بأنهم يخافون عليه. وعلى مصالح دولته؛ ما هم إلا مجموعة من السفلة. وهم الذين يحاولون أن يمنعوا أن تصل خيانتهم إلى مسامع الخليفة. ويعملون على استثارة غضب الخليفة علي؛ والوقيعة بيني وبينه؛ ويظنون أنهم سيفلحون؛ لكنهم هذه المرة لن يفلحوا أبدًا؛ مهما اجتهدوا".**

ومنذ تلك اللحظة التي بدأ فيها مصطفى كمال باشا يخطط لتحقيق هدفه بتكوين حكومة جديدة مقرة أنقرة؛ بدأ التصادم بينه وبين السلطان محمد وحيد الدين؛ لقد كان مصطفى كمال باشا ينتظر اللحظة المناسبة ليعلن فيها قراره بالإنفصال عن السلطان محمد وحيد الدين؛ ولقد ساعد التيار المحيط بمصطفى كمال باشا على تحقيق هذا الهدف. وفي ذلك يقول مصطفى كمال باشا في أحدى خواطره: **"...الشعب والوطن والسلطان أسرى؛ وجميعهم يحتاج من ينقذهم. فالإنقاذ حينها يعني إنزال السلطان محمد وحيد الدين من على عرشه.**

فالزمان لا يهرب منه أي شيء ولو كان صغيرًا؛ ومن يريد أن يعيش خارج حركة الزمان؛ فلا يجب عليه أن يتوسل لمن يريد من أن ينقذه. لذا كان يجب علي حينها أن أقوم بتشكيلات دقيقة للعصر الجديد. وهذا ما لم يشأ أن يفهمه السلطان".

لقد صبر مصطفى كمال باشا كثيرًا من أجل تحقيق هدفه في انقاذ البلاد؛ إلا أنه كان مشغول الذهن فيمن سيقع عليهم الحساب؛ ومرت الأيام وهو يفكر في ذلك. وهو في ليل أحدى الليالي؛ وتحديدًا في ليلة 7 يوليو 1919م ظل يفكر حتى الصباح؛ وحينها أخرج ورقة وكتب عليها بعد انتصاره في إزمير:" **بعد انتصاري على اليونان في إزمير؛ قد اتخذت قراري بأن الأناضول عليه أن يتجه من الشرق إلى الغرب. وبأن الشكل الجديد للنظام السياسي للحكومة في الأناضول سيكون الجمهورية. حين يأتي الزمن الفعلي لنهاية السلطان محمد وحيد الدين والعائلة العثمانية؛ حينها سأتعامل بنفسي معهم؛ لأن الزمان سيكون قد تخطاهم. سينتهي عصر التستر والستر بالحجاب والنقاب لنساء الأناضول. سيرتدي كل الرجال الطاقية الأوروبية مثل سائر الشعوب المدنية. وسيقبل الجميع الكتابة بالحروف اللاتينية عوضًا عن الحروف العربية؛ هذه هي ملامح العصر الجديد".**

وبالفعل طبق فكر مصطفى كمال باشا على أرض الواقع وبدأ عصر الجمهورية التركية؛ عقب الإنقلاب على الخلافة والسلطنة في المدة الممتدة من 1922-1924م ؛ وانتهى بذلك عصر الخلافة والسلطنة العثمانية. وفي هذه الموضوع الخاص بالانقلاب وتغير أساسيات ومفاهيم الدولة يذكر رأفت باشا باله Refet Paşa Bele الآتي: **"...قام الغازي مصطفى كمال باشا بالعبور إلى الأناضول واجتمع معنا وقام بتأسيس هيئة المقاومة الأناضولية بقرار منه. وكنا نتناقش ونفكر معه ونسأله كيف سيكون الطريق المناسب لانقاذ البلاد من الأعداء؟! وكانت هذه الفترة من الأيام التي كنا نلتقي فيها مع مصطفى كمال باشا هي نفس الفترة التي أتى فيها التكليف له بالتفتيش العسسكري رسميًا من قبل كل من الصدر الأعظم فريد باشا ووزير الداخلية محمد علي بك؛ وحين أخذ مصطفى كمال باشا التصديق بالتفتيش العسكري بين يديه ؛ بدأ ينظر إلينا ويعرض علينا أفكارًا جديدة لم تكن مطروحة للنقاش من قبل بشأن شكل الدولة...ثم خرجنا مع الغازي مصطفى كمال باشا إلى مدينة سامسون. وكانت قوات الجيش الإنجليزي متمركزة في مدينة سامسون. غير أننا وجدنا عساكرنا التي تقابل عساكر الإنجليز وجهًا لوجه على الجبهات كانت في حالة إعياء وأنهاك شديدين؛ كأنه ذاهبون إلى الفناء. ولأجل هذا الإصلاح لحال قواتنا العسكرية كان يجب علي أن أمكث في سامسون مع عساكرنا لأعيد تنظيمهم؛ وتهيأتهم للأعمال العسكرية من جديد. لأجل هذا أجبرت على المكوث في سامسون. ولكن هذه المرة لم يكن قائدنا العام الذي يقودنا في المعارك ونرجع**

إليه في كل كبيرة وصغيرة هو السلطان؛ بل كان قائدنا العام الذي نرجع إليه في كل كبيرة وصغيرة يقود حركتنا التحريرية في الأناضول؛ دون الحاجة للرجوع إلى حكومة السلطنة في استانبول لاستشارتها هو الغازي مصطفى كمال باشا. لقد رجوته أنا ومن معي من القادة العسكريين كثيرًا أن يعلن ذلك فيمن حوله؛ ليعلموا أن هناك رأس جديد يقود الحركة التحريرية غير السلطان. وبالفعل قبل رجاؤنا ورجائي وأعلن ذلك. وفي أثناء تفكر مصطفى كمال باشا ماذا سيفعل لأجل تحرير الأناضول من قبضة الأعداء أتاه خبر استيلاء الإنجليز على مدينة استانبول عاصمة الخلافة والسلطنة. وحينها قامت حكومة استانبول بدعوة مصطفى كمال باشا لزيارتها. وبعد ذلك بعشرون يوماً ذهبنا إلى مدينة أماسية Amasya وجلسنا في حجرة مظلمة حالكة الظلام مع مصطفى كمال باشا. فقال لنا مصطفى كمال باشا:" بماذا تفكرون؟!" وكان معنا حينئذ في الاجتماع كل من علي فؤاد باشا Ali Fuad Paşa و رؤوف بك Rauf Bey القادمان من أ نقرة و القائد كاظم قره بكر Kazim Karabekir الذي تشرفنا بالقتال إلى جواره فأجبناه جميعًا بسؤال: "ماذا يجب علينا أن نفعل؟!" في هذه الليلة كنا خمسة أشخاص وقد وضعنا مع مصطفى كمال باشا خطة العمل للمرحلة السياسية الجديدة التي سوف تبدأ في الأناضول؛ ووقعنا على عهد بذلك. وفي اليوم التالي ذهب كل منا إلى عمله..فمثلا قام مصطفى كمال باشا معنا بدفع صائلة عدوان الأعداء عن الأناضول في نفس الوقت الذي كان يخطط فيه لما نحن وصلنا له اليوم من انقلاب على ثوابت السلطنة والخلافة. لهذا كان في هذه الأثناء قبل أن يحقق حلمه بتأسيس عصر جديد في الأناضول؛ كان يبحث عن الطرق التي تساعده لتحقيق حلمه. وفي هذا الوقت كنت أدفع قوات الأعداء عن مراكزنا وقد تكثف هجومهم علينا بكثافة. وبعد طرد الأعداء من الأماكن التي سيطرنا عليها؛ كان لابد من الإعلان عن الخونة الذين ساعدوا الأعداء علينا. حينها اجتمعنا وفكرنا جميعًا بأن عصر الخلافة والسلطنة قد انتهى؛ وأنه لابد من الإنقلاب والثورة على الدولة العثمانية؛ واتخذنا قرارنا بذلك. الآن وبعد أن حققنا ما كان يصبوا إليه الباشا وما كنا نهدف إليه؛ لا يوجد مكان لمناقشة من كان معه الحق؛ ومن كان معه الباطل بكل تأكيد. لأن خصمنا قد انتهى عصره. ولا يوجد فائدة من الحديث في مثل هذه المسألة".

31.2. هل قام بالتوقيع؟ أم لم يوقع!

في هذه المسألة التي سوف نتناولها بالبحث قد حدثت مناقشات عديدة؛ ومازالت المجادلات والمناقشات مستمرة حولها حتى الآن. وهذه المسألة هي؛ هل بالفعل تم توقيع اتفاقية سرية بين القصر السلطاني والإنجليز بموجبها يحمي الإنجليز القصر السلطاني؛ أم أن هذا لم يحدث! يوجد وثيقة في الأرشيف الإنجليز تتحدث عن أن السلطان محمد وحيد الدين قد قابل ممثلي الحكومة الإنجليزية مرتان بصورة سرية؛

خلال ربيع عام 1919م. وحاول خلال هذان اللقاءان أن يوقع اتفاقية سرية مع الإنجليز خارج الاتفاقيات الدولية المعلنة. ويستفاد من هذه الوثيقة بأن السلطان محمد وحيد الدين قد بدأ تواصله مع الإنجليز منذ آواخر سنة 1918م. ونص الوثيقة الإنجليزية عن هذا الإتصال بين السلطان محمد وحيد الدين والإنجليز كالتالي:"**...كان أول لقاء بيني وبين الإنجليز في نهاية شهر نوفمبر. وكان الصدر الأعظم حينها يستغل صداقته ببعض الأوساط في البلاد الأوروبية لتحقيق هذا الهدف فاستعان لأجل التواصل مع الإنجليز بصورة سرية ببعض الأصدقاء للإنجليز. بحيث يتم الإجتماع السري بين الدولة العثمانية وإنجلترا وحدها. لهذا أرسلنا للتواصل مع لندن صحفي برتبة عسكرية كبيرة. ولم يكن من الضروري أن نذكر اسمه في هذه الوثيقة. ولكن كان علينا أن نعلمه أنه عندما يذهب إلى لندن عليه أن يكون على دراية بكل التفصيلات والنقاط التي يجب أن نتواصل فيها مع الإنجليز. فذهب مندوبنا وقابل المسؤولين في وزارة الخارجية الإنجليزية التي كانت تعرف حينها باسم كاديستون Kiston . لقد حاولنا حينها اللعب على خيوط اللعبة القديمة التي كانت تتبعها الدولة العثمانية في تعاملها مع الحكومة الإنجليزية. وكان يجب علينا التواصل المحلي داخل انجلترا؛ وليس خارجها؛ لأجل تحقيق هدفنا...غير أنهم ردوا تواصلنا معهم؛ وأجابونا بأنهم هم الذين سيتواصلون معنا حين يحتاجون إلينا؛ وبأنه يجب علينا أن ننتظر تواصلهم. وبأنهم سيعلمونا في الوقت المناسب متى سيتواصلون معنا. وكان رد الحكومة الإنجليزية علينا ردًا دبلوماسيًا؛ حيث قالوا لنا:" عندما نجتمع في المرة القادمة سنجتمع من أجل مناقشة أمران في الدولة العثمانية الوضع السياسي والوضع الإقتصادي؛ وبعد حل هذا الأمران سوف نتفق معكم".**

"وكان تواصلي الثاني مع الإنجليز بتاريخ 16 ديسمبر. ولكن هذه المرة أتى الإنجليزي إلى لقائي؛ ولم يرسلوا إلي قائدهم العسكري؛ بل أرسلوا إلى هيئة دبلوماسية معها حزمة من القرارات التي عرضوها علي؛ وطلبوا مني أن أختار ما هو الأنسب منها لي. وقالوا لي أن الذي سيحضر اللقاء مع السلطان والهيئة الإنجليزية سامي بك بصفته وزير خارجية الدولة العثمانية الجديد؛ وعلى السلطان أن يقبل بتعينه في هذا المنصب. ثم قال لنا الإنجليز:" إن الحكومة الإنجليزي ترى الوضع المتردي والمنحدر الذي وصلت إليه الأوضاع في الدولة العثمانية؛ وبناءًا على ذلك فعلى حكومة جناب السلطان باستانبول أن تقبل المعونات الإنسانية المقدمة لها من قبل الحكومة الإنجليزية؛ وأن تخول للمندوبين الإنجليز الذي سيقومون بتوزيع هذه المعونات التجول في جميع أنحاء أجزاء الدولة العثمانية دون رقابة. لقد كان الإنجليز ينظرون إلينا حينها على أننا متسولين منهم. وقالوا لنا أن زمان انتظار السلام الحقيقي قد انتهى. وإذا أرادت الحكومة العثمانية تحقيق السلام في الأناضول فعليها بأن تقبل بوصاية الإنجليز السياسية عليها؛ وذلك لأجل تحقيق

الرفاهية لملايين المسلمين من سكان الأناضول؛ وبذلك تكون الحكومة الإنجليزية قد فتحت بابًا من نور للحكومة العثمانية في استانبول. وهكذا يمكننا مساعدة تركيا كي تسترد عافيتها من جديد. وطلبوا مني أن يكون هناك ممثلاً عسكريًا إنجليزيًا في كل مؤسسة وفي كل إدارة من مؤسسات وإدارات الدولة العثمانية؛ أو بمعنى آخر أن يكون المسؤول العثماني هو الواجهة والمندوب العسكري الإنجليزي هو المسؤول والحاكم الفعلي لكل مؤسسة. وقالوا لي هذا رجاء الحكومة الإنجليزية من السلطان العثماني".

وفي نفس هذا اليوم أرسل قائد الأسطول الإنجليزي بمنطقة البحر الأسود قرب ساحل سامسون اللواء ميل General Mile يخبر الحكومة الإنجليزية برغبة السلطان محمد وحيد الدين في تحقيق السلام مع الإنجليز؛ إلا أن القائد ميل قال في تلغرافه للحكومة الإنجليزية:" **إذا أراد السلطان محمد وحيد الدين السلام؛ فعليه أن يخضع كافة إدارات ومؤسسات الحكومة العثمانية للإشراف الإنجليزي المباشر...وأنا أنصح الحكومة الإنجليزية بضرورة السرعة في الإستيلاء على تركيا؛ قبل أن يصبح هذا الأمر غير ممكنًا...كما أطالب الحكومة الإنجليزية في تعيين حكام من قبل الحكومة الإنجليزية مباشرة للإدارة القسم الداخلي من بلاد الأناضول؛ والذي يقع تحت السلطان المباشر للحكومة الإنجليزية؛ وأرجوا أن توافق الحكومة الإنجليزية على اقتراحي".**

أما عن التواصل الثالث بين السلطان محمد وحيد الدين والإنجليز ففي الأرشيف الإنجليزي وثيقة تنص على الآتي: **"...كان اللقاء الثالث بين السلطان محمد وحيد الدين وبين الإنجليز بعد سنوات من حكمه؛ فتحدث مع الإنجليز عن ضرورة استقلال تركيا وعن خروج القوات الأجنبية من الأراضي التركية. حينها أرسلت إليه الحكومة الإنجليزية أحد رجال الأعمال لزيارته. وقال له:" يا جناب السلطان ما أتيت إلى استانبول؛ إلا لأجل أن أنهي كل الخلافات والأزمات التي تتعرض لها دولتكم". وكان من ضمن الحضور مع رجل الأعمال الإنجليزي هذا قائد قوات الإحتلال الإنجليزي لاستانبول فيما بعد القائد الكالثروف Caltrophe لأجل التباحث عن مستقبل الدولة العثمانية. لقد شعر حينها السلطان محمد وحيد الدين بمدى المرار الذي وقع عليه من قبل ممثلي الحكومة الإنجليزية؛ حيث شعر بأنه بالرغم من كونه السلطان؛ غير أنه خاضع للوصاية الأجنبية. حينها بدأ يتحدث محمد وحيد الدين مع ممثلي الحكومة الإنجليزية وهو في حالة نفسية تجمع بين الغضب والحزن قائلاً:" منذ عام 1908م وكل الإتحاديين مخترقين بالجواسيس من قبلكم؛ وكانوا هم السبب في المر الذي أتجرعه أنا الآن منكم. لقد تجرعت مرًا كثيرًا كما تجرعته الدولة العثمانية...والآن جعلتم أملي وأمل الدولة متعلق برضاكم عنا...هكذا تحدثتم...ولكن إذا كان هناك خوف وحيد لدي؛ فهذا الخوف ليس منكم؛ بل من الإتحاديين الذين يساعدونكم على تدمير الدولة؛ ولربما قاموا**

بعزلي أو قتلي بأي حجة؛ لكي يفتح لهم طريق الحكم المباشر من جديد. كل هذه الجراح التي حدثت لنا ولدولتنا ومكنتكم منا؛ سببها كان الإتحاديين. وبالرغم من شدتهم معي وعنف حركتهم؛ إلا أنهم يخشونكم؛ ويريديون أن يعرفوا هل ستدعم دول الحلفاء السلطان في مواجهتهم أم لا؟ "هكذا كان الوضع الداخلي للأتراك". فإذا لم أوجههم؛ فإنهم سيسحبون البساط من تحت قدمي. فيا ترى هل كان لدى القائد العام لقوات الإحتلال الإنجليزي اقتراح لحل هذه المشكلة؟". حينها صمت القائد الإنجليزي الكالثروف Caltrophe؛ ولم يحر جوابًا. وبعد ذلك نظر السلطان محمد وحيد الدين إلى ممثلي الحكومة الإنجليزية وفتح معهم مسألة الخلافة. وقال:" الآن أنا لدي سلاحان في يدي. الأول أملكه؛ وهو سلاح الخلافة. والثاني لا أملكه؛ ألا وهو دعم الإنجليز لي. لذا فأنا اريد أن أعرف هل ستدعم الحكومة الإنجليزية مقام الخلافة؟ أم أنها تريد أن تجعل مقام الخلافة تحت الوصاية؟! أم ما هي نية الحكومة الإنجليزية ناحية نظام الخلافة؟! فأنا أريد أن أعرف منكم؛ بماذا تفكرون في حق الخلافة؟ لأنني حقيقة لا أعرف".

لقد أرسل القائد الإنجليزي **الكالثروف Caltrophe** إلى الحكومة الإنجليزية بتاريخ 10 يناير 1919م يخبرها بتفاصيل اللقاء مع السلطان محمد وحيد الدين. وفي نفس هذا الوقت أرسل من استانبول النائب الإنجليزي ويب إلى الحكومة الإنجليزية في لندن بتاريخ 10 يناير 1919م تلغرافًا قال فيه:" **من المندوب السامي البريطاني بالوكالة ويب إلى الحكومة الإنجليزية في لندن؛ نخبركم بالأوضاع في استانبول؛ إن الأمور تحت سيطرتنا؛ ونحن نفرط في تدريب حصان مطيع لنا. وإذا تم اعتقال الكثير من القيادة والأعضاء من مندوبي الحكومة العثمانية في استانبول؛ فإن هذا سوف ينتج عنه استقالة هذه الحكومة. ولم أجد أفضل من اقتراح رئيس الوزراء العثماني لأعرضه عليكم. يريد رئيس الورزاء " الصدر الأعظم" أن يعين إلى جوار كل والي عثماني مشرف إنجليزي؛ وهو يقول لنا نحن مجبورين على ذلك؛ فما الرأي لديكم في لندن؟!"**

يوجد وثيقة إنجليزية جديدة عثر عليها تتحدث عن نفس الموضوع السابق الإشارة إليه. هذه الوثيقة قد اطلعت عليها وهي تنص على: أن الصدر الأعظم فريد باشا بتاريخ 30 مارس قد ذهب إلى لقاء القائد العسكري الإنجليزي العام المحاصر لاستانبول القائد ويب Webb في مركز قيادته. وأثناء هذا اللقاء تحدث كل منهما عن السلطان محمد وحيد الدين. والصدر الأعظم فريد باشا وفقًا لهذه الوثيقة يرى أن الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى قد غلبت من إنجلترا فقط لا غير؛ وبناءًا عليه لا يجب أن تتفق الدولة العثمانية أثناء اتفاق الهدنة والسلام إلا مع الحكومة الإنجليزية فقط؛ وليس مع أي دولة أخرى من دول الحلفاء. حيث قال:" **إن الدولة التي انتصرت على الدولة العثمانية؛ هي الدولة الإنجليزية فقط لا غير. ولهذا إن كانت**

الدولة العثمانية ستعترف لأحد بأنها هزمت وستنحني أمام؛ فلن تنحي أو تعترف إلا أمام الحكومة الإنجليزية فقط لا غير...ولهذا فإني قد سعيت لمقابلتك يا جناب وكيل القائد العام الأعلى للجيوش الإنجليزية ويب Yüksek Komiser Vekili Amiral Webb. لهذا جئت إليك لنضع حل نهائي لهذه الحرب؛ ولإصلاح وضع الدولة العثمانية معًا".

وفي أثناء هذا اللقاء السري اتفق كل من الصدر الأعظم فريد باشا والقائد الإنجليزي ويب على المواد التالية:

1- **سيطرة السلطان العثماني بصفته خليفة للمسلمين على الأماكن الواقعة بين الأناضول وشبه الجزيرة العربية في الأماكن التي يسكنها الأتراك فقط لا غير؛ على أن الحكومة الإنجليزي ستتولى عملية تنسيق طرق المواصلات بينهم وبين استانبول؛ بصورة تشعرهم بالإندماج مع حكومة استانبول.**
2- **ستكون البلدان العربية مستقلة سياسيًا عن السلطان العثماني. مع الحفاظ على الدعاء للسلطان العثماني يوم خطب الجمعة والعيدين وفي سائر المناسبات الدينية؛ باعتباره خليفة المسلمين. وهكذا سينظر العرب للسلطان العثماني من الناحية الدينية الروحية فقط لا غير. ولا يحق للسلطان العثماني التدخل في البلدان العربية سياسيًا أو عسكريًا. كما أن العملات الورقية ستطبع في البلاد العربية وتحمل اسم السلطان العثماني بصفته الخليفة واسم حاكم البلد العربي معًا. على أنه سيكون لكل بلد عربي علم خاص به؛ وسيلغى الإعتراف بالعلم العثماني في كل البلاد العربية. وسيمنع رفعه فيها.**
3- **في منطقة إقليم الحجاز ستستمر عائلة الشريف حسين المعاونة للحكومة الإنجليزية في حكم الحجاز؛ ولكن سيبقى إلى جوارهم 100 عسكري تركي كنوع من التمثيل السياسي للخليفة العثماني في مكة وما جاورهما من مدن الحجاز باستثناء المدينة المنورة. ومن أجل الإنسجام السياسي سيكون لإقليم حكومة الحجاز وزارة خارجية تمثله في استانبول.**
4- **سيبقى في المدينة المنورة قائد الجيش العثماني والحامية العسكرية العثمانية كما هي. وستكون على تواصل مباشر مع السلطان العثماني.**
5- **سيرجع وضع اليمن كما كان قبل الحرب العامة؛ تحت السيادة الإنجليزية المباشرة.**
6- **ستقام دولة مستقلة للأرمن في شرق الأناضول؛ وستكون الدولة العثمانية المسؤولة عن حمايتها والحفاظ على استقلالها.**

7- **يحق للحكومة الإنجليزية أن تحتل ما تشاء من مدن وبلاد الدولة العثمانية لمدة خمسة عشر عامًا؛ دون اخبار السلطان العثماني بالمدن التي ستحتلها؛ على أن هذه المدن التي ستخضع للإحتلال الإنجليزي ستكون من المدن الإستراتيجية الساحلية والداخلية. وعلى السلطان العثماني أن يقبل بذلك دون اعتراض. بالمقابل ستتولى الحكومة الإنجليزية حماية الدولة العثمانية والحفاظ على استقلالها داخليًا وخارجيًا.**

8- **ستقوم قوات الجيوش العثمانية المتمركزة في منطقة مضيق جناق قلعة Çanakkale بفك كافة التحصينات العسكرية وبتسليم القلاع لقوات الجيوش الإنجليزية للإحتلالها.**

9- **سيكون الوضع السياسي الداخلي في جميع أنحاء ولايات الدولة العثمانية في الأناضول؛ مثل الوضع السياسي الداخلي في مصر تحت الحكم الإنجليزي. بمعنى أنه سيعين من قبل الحكومة الإنجليزية مستشار إنجليزي في كل مؤسسة وولاية؛ كما سيكون إلى جوار السلطان العثماني عدد من المستشارين الإنجليز سيساعدونه على الحكم. وهؤلاء المستشارين الإنجليز سيتم اختيارهم عبر نظارة الإستشارية الإنجليزية التي ستأسس في استانبول.**

10- **في كل ولاية من ولايات الأناضول سيعين لمدة 15 عامًا إلى جوار الولاة العثمانيين مستشارين انجليز؛ سيقوم باختيارهم وبتعينهم القنصل الإنجليزي في استانبول؛ بدون الرجوع إلى السلطان العثماني.**

11- **مجلس المبعوثان انتخابات واختيار أعضائه سيخضع خضوع مباشر للقناصل الإنجليز.**

12- **تسيطر الحكومة الإنجليزية سيطرة مباشرة على حركة التجارة في استانبول؛ دون الرجوع للسلطان العثماني أو الحكومة أو مجلس المبعوثان. كما تشرف الحكومة الإنجليزية إشراف مباشر على نظارة المالية العثمانية؛ والحكومة الإنجليزية هي التي تحدد طريقة انفاق الفائض من الدخل وتوزيعه.**

13- **ستعدل بعض مواد القانون الأساسي العثماني بما يخدم مصالح سكان المنطقة الشرقية في الأناضول. على أن المواد المعدلة ستكون مواد مناسبة بسيطة تعطي الحق لسكان المنطقة الشرقية من الأناضول؛ إما الإندماج مع الدولة العثمانية أو الإنفصال عنها.**

14- **على أن الحكومة الإنجليزية ستترك كامل الحرية للسلطان العثماني في تأسيس شكل سياسته الخارجية.**

غير أن الحكومة الإنجليزية قد أعطت أثناء التوقيع على هذا الإتفاق مع فريد باشا رشوة مالية ضخمة؛ غير أنهم شروطوا أن توافق كل دول الحلفاء على هذا الإتفاق. ثم عادة الحكومة الإنجليزية بعد خمسة أشهر واستدعت الصدر الأعظم فريد باشا. وأعلنته عبر مندوبها القائد ويب في الأناضول قبولها الإتفاق السابق أعلاه. ثم بتاريخ 12 ديسمبر 1919م وقع الإنجليز اتفاقية سرية أخرى مع فريد باشا. والتي ستكون سببًا في نفيه في المستقبل إلى خارج البلاد. وكانت هذه الاتفاقية السرية ترتكز على عنصرين رئيسيين هما:

1- **على الحكومة العثمانية أن تقبل بأن يكون كامل التراب العثماني تحت الحماية الإنجليزية المباشرة؛ بما في ذلك عاصمة الخلافة استانبول؛ على أن الحكومة الإنجليزية ستعتبر قبول الحكومة العثمانية بذلك لطفًا كبيرًا منها.**
2- **يحق للحكومة الإنجليزية أن تخضع ما تشاء من ولايات الدولة العثمانية لحمايتها المباشرة. وبناءًا على ذلك فعلى السلطان العثماني أن يعطي حق الحماية الإنجليزية نيابة عن الخلافة العثمانية للإنجليز على مصر وجزيرة قبرص؛ كما أنه يجب على السلطان العثماني عدم الإعتراض على قيام دولة كردستان في شرق الأناضول. كما أن السلطان العثماني بصفته خليفة للمسلمين عليه أن يأمر المسلمين الذين يعيشون داخل الإمبراطورية الإنجليزية بالسمع والطاعة التامة للحكومة الإنجليزية؛ بصفتها نائبة عن الخلافة العثمانية في حماية الأمن في البلدان الإسلامية الواقعة تحت حكمها. على أن يبقى هذا الاتفاق سريًا بين الحكومة العثمانية والإنجليز.**

لقد نتج عن هذا الإتفاق اضطراب الوضع في الأناضول كثيرًا عن ذي قبل. في هذه الآونة قد أتى إلى مصطفى كمال باشا أثناء وجوده في مدينة سيواس تلغرافًا بتاريخ 12 ديسمبر من كاظم قره بكر باشا Kazim Karabekir Paşa يخبره فيها بأخبار هذا الاتفاق بين الحكومة في استانبول والإنجليز. ولقد وقعت في يد مصطفى كمال باشا بنود الاتفاق السري الذي وقعه الصدر الأعظم فريد باشا مع ممثلي الحكومة الإنجليزية في استانبول. هذا الاتفاق الذي نصت مواده على:

1- **تعلوا الحكومة الإنجليزية الحكومة العثمانية؛ وتشرف الحكومة الإنجليزية على أعمال الحكومة العثمانية إشراف مباشر. على أن تتعهد الحكومة الإنجليزية بالحفاظ على استقلال تركيا ووحدة أراضيها.**
2- **ستستمراستانبول عاصمة للخلافة والسلطنة العثمانية؛ على أن كافة تحصينات استانبول العسكرية في المضائق البحرية ستكون تحت الإشراف المباشر للجيش الإنجليزي.**

3- على أن تركيا عندما تسمح بفصل كردستان عنها؛ وعلى تركيا أن تقضي على كل مظاهر معارضة استقلال كردستان في الأناضول.

4- على الحكومة العثمانية أن تركيا الجديدة تمنح الإنجليز وحدهم دون غيرهم حق الحماية لحكم سوريا والجزيرة الفراتية دون غيرهم. على أن سيكون للسلطان العثماني الإشراف المعنوي عليهما باعتباره خليفة المسلمين؛ وبالمقابل ستقوم الحكومة الإنجليزية بالحفاظ على مقام الخلافة الديني تحت حميتها؛ على أن تمنح الخلافة العثمانية حق حماية المسلمين في الولايات الإسلامية التي تخضع للإحتلال الإنجليزي المباشر؛ على اعتبار أن الحكومة الإنجليزية نائبة عن الخلافة العثمانية وصاحبة القوة في تنفيذ هذا الحق على أرض الواقع. وبذلك يحدث الإنسجام وعدم التصادم بين الحكومة الإنجليزية والخلافة العثمانية. (بمعنى أن الحكومة الإنجليزية ستحكم بلدان العالم الإسلامي الواقعة تحت سيطرتها العسكرية باسم الخلافة العثمانية؛ وبذلك يتم شرعنة الإحتلال الإنجليزي للبلدان الإسلامية بصورة دينية).

5- على الحكومة العثمانية أن تتعهد بانهاء المقاومة ضد قوات الإحتلال الإنجليزي. بالمقابل ستقوم الحكومة الإنجليزية باعادة تأسيس مؤسسات تركيا الجديدة؛ وفق القانون الإداري الجديد الذي ستضع الحكومة الإنجليزية في تركيا. على أن الحكومة الإنجليزية سوف تنشر قواتها في كل المدن والقرى والأقاليم والمقطاعات العثمانية لضبط الأمن؛ لذا على السلطان العثماني أن يتحمل مسؤلياته ناحية مقام الخلافة ويعلن بصفته خليفة المسلمين أنه لا يجوز مقاومة الجيش الإنجليزي؛ مما يعني تهدأت الأوضاع في الأناضول.

6- ستعطي الحكومة العثمانية للحكومة الإنجليزية حق الحماية المباشرة على مصر وجزيرة قبرص؛ وفصلهم عن الخلافة العثمانية سياسيًا. على أن تتعهد الحكومة الإنجليزية بحماية حق السلطان العثماني الديني باعتباره خليفة المسلمين بالإشراف المعنوي على كل من مصر وجزيرة قبرص؛ على أن يعرض هذا الأمر في شكل صياغة قانونية في مجلس المبعوثان وأن يقر به كل من السلطان وحكومته ومجلس المبعوثان.

7- بما أن الحكومة الإنجليزية ستتعهد بحماية الدولة العثمانية؛ ووفقًا للمادة الرابعة من هذا الاتفاق؛ فإن الحكومة الإنجليزية ستبدأ في تنفيذ شروط السلام الموقع مع الدولة العثمانية على أرض الواقع. على أن يتم تبادل بنود الاتفاق بين الدولة العثمانية والحكومة الإنجليزية؛ بعد مراجعة الحكومة الإنجليزية له وبحثها توسعة بعض بنوده. على أن تتعهد الحكومة الإنجليزية أن يبقى هذا الاتفاق سري بين الحكومة الإنجليزية والدولة العثمانية.

وهكذا ذهب ممثلي الإنجليز إلى استانبول وقاموا بتوقيع هذا الاتفاق مع الحكومة العثمانية؛ وبعد تعديل بعض البنود في الاتفاق؛ تبادلوا منه نسختان؛ ولقد تعهد كل طرف بقبول هذا الاتفاق وبالحفاظ على بنوده. ويعد هذا الاتفاق من الهزائم الكبرى في تاريخ الدولة العثمانية؛ وذلك لأن قوات الحلفاء كانت مازالت محاصرة لاستانبول ولم ترفع عنها الحصار. وباعتبار أن الدولة العثمانية هي الطرف المغلوب في الحرب العالمية الأولى؛ فلقد أصر الإنجليز على استغلال نصرهم في حرمان الدولة العثمانية من باقي قوتها. لهذا خضعت الدولة العثمانية لشروط الغالب المنتصر؛ والذي فرض سياسته وأملى شروطه عليها. ولقد حاولت دول الحلفاء جميعها أن تحصل على مثل هذا الاتفاق منفردة مع الدولة العثمانية؛ إلا أن الإنجليز هم من استطاعوا أن يحصلوا على حق امتياز هذا الاتفاق وحدهم؛ دون سائر دول الحلفاء؛ ولأن إنجلترا كانت أقوى هذه الدول حينها عسكرياً؛ ولأن الحكومة في استانبول قد وقع اختيارها على الحكومة الانجليزية دون غيرها لتنفيذ هذا الاتفاق. وبناءًا على هذا الاتفاق ستحصل تركيا على سلام ناقص؛ وستفقد كثيرًا من أراضيها بموجب هذا الاتفاق؛ بخلاف اتفاق سيفروس Sevres. وبموجب هذا الاتفاق سيستطيع السلطان محمد وحيد الدين أن يحافظ على استمرار مقامي الخلافة والسلطنة بتأمين الإنجليز؛ ولكن هذه المرة ستكون خلافة معنوية شكلية بحماية إنجليزية؛ وستلغى السلطنة فعليًا؛ إذا أنه بناءًا على هذا التعهد ستكون كل صغيرة وكبيرة في البلاد تخضع للإشراف المباشر من الإنجليز. بحق السيطرة السياسية والعسكرية والاقتصادية المتنوعة التي منحها هذا الاتفاق السري للإنجليز.

غير أن هذا الاتفاق لم يكن عليه توقيع السلطان العثماني محمد وحيد الدين. لهذا السبب حدثت بين المؤرخين مناقشات ومجادلات. هل حقًا وقع السلطان محمد وحيد الدين على هذا الاتفاق؟ أم أنه بالرغم من اعتباره صاحب الدولة لم يكن لديه خبر وأن الصدر الأعظم فريد باشا قد تصرف دون علمه؟ ولكن الوثيقة التي بالأرشيف الإنجليزي ليس عليها توقيع السلطان محمد وحيد الدين. غير أن المؤيدين بوجود علم مسبق للسلطان محمد وحيد الدين بهذا الإتفاق يدعون بأنه قد خول الصدر الأعظم فريد باشا بالتوقيع نيابة عنه؛ لذا فتوقيع السلطان ليس هامًا. بينما المعترضين على هذا الراي يؤكدون أن السلطان ليس لديه علم بما قام به الصدر الأعظم فريد باشا. والدليل على ذلك عدم وجود توقيع السلطان على هذا الاتفاق؛ مع العلم بأن الإنجليز قد أصروا على وجود توقيع السلطان على هذا الاتفاق كي يكون ساري المفعول. أما بالنسبة لي فأنا أرى أن السلطان محمد وحيد الدين لم يوقع على هذه الوثيقة لعدة أسباب:

1- أن السلطان محمد وحيد الدين لم يكن توقيعه موجودًا على هذا الاتفاق.

2- أن الاتفاق وقع بين الصدر الأعظم فريد باشا وممثلي الحكومة الإنجليزية بتاريخ 12 أيلول 1919م؛ وذهبت أوراق الاتفاق مباشرة إلى لندن؛ ولم تذهب منها نسخة إلى السلطان محمد وحيد الدين؛ مما يؤكد عدم درايته به.

3- لو فرضنا معرفة السلطان محمد وحيد الدين بمثل هذا الاتفاق؛ فهو لم يرَ أوراق هذا الاتفاق؛ ولم لذا لم يوقع عليها. ولدينا احتمال ضعيف أنه قرأها ورفضها لذا توقيعه غير موجود على هذا الاتفاق. بيد أن السلطان محمد وحيد الدين في أوراقه ومذكراته يصمت عن هذا الاتفاق؛ اللهم إذا كان هناك شيء في الأوراق التي أحرقت. ولكن وجود شيء عن هذا الاتفاق في الأوراق التي أحترقت احتمال ضعيف أيضًا؛ لأنه لو كان هذا الأمر واردًا لذكرته الخارجية الإنجليزية في أرشيفها. ففي الأرشيف الإنجليزي يتحدثون عن اتفاق وقع بين الصدر الأعظم فريد باشا وممثلي الحكومة الإنجليزية في الأناضول. ولم ترسل الحكومة الإنجليزية من قبلها وفد دبلوماسي إنجليزي لتوقيع هذا الاتفاق مع السلطان في قصر يلدز باستانبول؛ وحتى اليوم وبعد مرور 70 عامًا[65] على مثل هذا الاتفاق؛ الخارجية الإنجليزية لم تعلن صراحة قبل السلطان محمد وحيد الدين لمثل هذا الاتفاق. ولم تعرض لنا من أرشيفها وثيقة واحدة بخط يد السلطان محمد وحيد الدين تثبت قبوله هذا الاتفاق؛ فلماذا صمتت الخارجية الإنجليزية عن الإعلان بهذا الاتفاق؛ مدام معها مهر وتصديق وتوقيع السلطان محمد وحيد الدين.

وختامًا لكي تحل هذه المسألة ونعرف هل السلطان محمد وحيد الدين ظالمًا أم مظلومًا فيها فعلينا أن نستمع إلى شهادة زوج ابنة السلطان محمد وحيد الدين؛ الأمير إسماعيل حقي بك. والذي صمت مدة طويل عن مناقشة إعاء وجود اتفاق سري بين السلطان محمد وحيد الدين والإنجليز. ولكن في نهاية حياته كتب بعض الملاحظات والخواطر حول هذا الموضوع. ومن ذلك ما ذكره في إحدى خواطره قائلاً: **"...لقد توقف السلطان محمد وحيد الدين في قمة مباحثته مع الإنجليز عند نقطة حماية سياسة الدولة العثمانية. ورفض التنازل عن حق الدولة في ذلك. غير أنه في أحدى الصحف الأمريكية بتاريخ سنة 1919م قد نشرت أن السلطان العثماني أصبح في حكم المطرود؛ وأن الحكومة الإنجليزية استطاعت أن تتفق معه على اتفاق سلام خاص بينها وبين الدولة العثمانية؛ بعيدًا عن باقي دول الحلفاء. وهذا الاتفاق بموجبه يتحقق للإنجليز حلمهم في حكم الأناضول. وهذا الاتفاق أعظم ما حققته الحكومة الإنجليزية في تاريخ دبلوماسيتها. ولم يتبق على هذا الاتفاق سوى التوقيع من السلطان محمد وحيد الدين ليدخل حيز التنفيذ. وقالت الصحيفة**

[65] يقصد الكاتب 70 عامًا منذ قيام الجمورية وحتى نشر هذا الكتاب في نوفمبر 1993م، المترجم.

الأمريكية أن الخارجية الإنجليز لم تكن لتتخيل في تاريخها أنها ستحصل من الدولة العثمانية على مثل هذا الاتفاق. غير أن هذا الاتفاق الذي استخدم في تشويه صورة السلطان محمد وحيد الدين وسمعته السياسية لدى شعبه وأمته؛ لم يكن سوى مسودة مشروع اتفاق وضعها كلٍ من الصدر الأعظم فريد باشا مع القائد الإنجليزي العام بالوكالة الكالثروف Caltrophe. وصنع من هذه المسودة نسختان. وكان مساعد السلطان محمد وحيد الدين طرفًا في هذا الاتفاق. غير أن مساعد السلطان عندما علم ببنود الاتفاق انسحب منه؛ خلافًا من فريد باشا الذي استمر. وبموجب هذا الاتفاق على الدولة العثمانية أن تعترف بسيادة دول الحلفاء على الولايات العثمانية التي اقتطعوها من أرضها. على أن تعطى السيادة للإنجليز وحدهم دون غيرهم من قبل السلطان العثماني على ولايات الدولة العثمانية في آسيا وأوروبا الشرقية في البلقان خصوصًا دون غيرهم لمدة خمسة عشر عامًا. تحت مسمى الصداقة الإنجليزية العثمانية. وبذلك ستحتل إنجلترا كل هذه الولايات العثمانية احتلال مباشر بموافقة الدولة العثمانية. على أن الحكومة الإنجليزية ستعين مفتشًا إنجليزيًا إلى جوار كل والي ومسؤول دولة عثماني؛ على أن يمنح هذا المفتش لقب المستشار. على أن يكون لهؤلاء المفتشين الإنجليز الكلمة العليا في كل ولايات ومؤسسات الدولة العثمانية؛ ولا يقطع بأي أمر من أمور الدولة في أي مقاطعة دون الرجوع إليهم. على أن تمنح أرمنيا استقلالها أو أن تكون دولة ذات حكم ذاتي داخل الدولة العثمانية. ولكن بعد مرور خمسة أشهر على مسودة مشروع هذا الاتفاق قام الصدر الأعظم فريد باشا والقائد الإنجليزي ويب Webb بتوقيع اتفاقية سرية أخرى غير الأولى. فلما علم السلطان محمد وحيد الدين بهذه الاتفاقيات حزن كثيرًا في نفسه. إذا أن الصدر الأعظم فريد باشا كان يتصرف من نفسه دون الرجوع إليه. هذا ما دفع السلطان محمد وحيد الدين إلى طلب مقابلة القائد العام الأعلى لقوات الجيوش الإنجليزية بالأناضول اللواء روبيك Rubik مباشرة دون مقابلة مساعديه. غير أن القائد روبيك رفض طلب لقاء السلطان محمد وحيد الدين. وفي ذلك يذكر ريان Ryan[66]:" بأن تركيا بعد أن غلبت في الحرب العالمية الأولى أن تحافظ على وحدة وسلامة تراب الأناضول من التمزق والتشرذم؛ وذلك من خلال الحفاظ على نظام السلطنة والخلافة؛ وإلا ستنتهي الدولة وستعرض السلطان العثماني ذاتًا للنفي". ولكن في مقابل هذا الرأي نجد لوقا Luke يقول رأي آخر مقارنة بالأحداث السابقة التي مرت بالسلطان محمد وحيد الدين والدولة العثمانية؛ ويعلق تعليقًا جيدًا على هذا الموضوع. حيث يقول:"اتفق كل من السلطان محمد وحيد الدين والصدر الأعظم فريد باشا على ضرورة انقاذ تركيا من المأزق الذي تمر به بعد غزو جيوش قوات الحلفاء لأراضيها. لهذا السبب اتبعوا

[66] ريان Ryan؛ المترجم الخاص بالمندوب السامي العسكري الإنجليزي المتواجد في الأناضول، المترجم.

سياسة الصداقة مع الإنجليز. غير أن حظهم كان سيء للغاية. حيث ان دول الحلفاء وبخاصة الإنجليز لم يعودوا في درجة الأصدقاء؛ بل في درجة صاحب الكلمة العليا؛ وصاحب الأمر الآمر الناهي". في الحقيقة الحكومة الإنجليزية لم تعد ترى في السلطان العثماني صديق لها؛ ولم تكن تنظر له من منظور الصداقة؛ ولم يكن في نية الحكومة الإنجليزية أن تعرض هذا الأمر على السلطان محمد وحيد الدين أبدًا. وبالرغم من ذلك حاول السلطان محمد وحيد الدين أن يكسب صداقة الإنجليز؛ وقد فعل كل شيء بيده لأجل تحقيق هذا الأمر. حتى أنه بدأ يشرف بنفسه على قانون تهجير الأرمن أصحاب الجرائم في شرق الأناضول بنفسه؛ ليميزهم عن السكان الأرمن المسالمين. حتى أنه أمر بإعدام إثنين شنقًا من أعضاء الجماعة الأرمينية المسلحة من أصحاب الجرائم في حق السكان الأناضوليين الآمنين؛ وذلك بعد أخذ فتوى شيخ الإسلام في ذلك. في هذه الأوانة ثار أنصار جماعة تركيا الفتاة " جون ترك Jön Türk" في وجه قرار السلطان بتهجير الأرمن المسلحين وإعدام إثنين من الأرمن القتلة. وذهبوا إلى مقصورة عزت باشا رئيس الوزراء وقالوا له:" إن السلطان محمد وحيد الدين بدأ يتصرف في الأمور وحده ويتخذ قرارات من نفسه دون الرجوع إلينا". وطلب جماعة تركيا الفتاة من عزت باشا أن ينقذهم وينقذ البلاد من السلطان محمد وحيد الدين. غير أن محب الوطن والقريب منهم والذي يعرفونه عن قرب طلعت باشا قد شهود منفصلاً عنهم؛ ولم يؤيدهم في رغبتهم في إثارة العداءات ضد السلطان محمد وحيد الدين".

32.2. الطريق إلى السلام من خلال الاحتلال

ما كان يخشاه السلطان محمد وحيد الدين قد حدث. وهكذا بدأت نهاية الطريق باحتلال الرأس. ففي تاريخ 16 مارس 1920م تم احتلال استانبول من قبل الأعداء. ففي يوم 16 مارس 1920م في تمام الساعة الـ9:25 صباحًا ذهب رئيس المترجمين للمندوب السامي العسكري الإنجليزي بالأناضول أندرو رايان Andrew Ryan إلى قصر صالح باشا الصدر الأعظم. وأبلغ الصدر الأعظم بأنه:**" قد أتخذ قرار باحتلال عاصمة الدولة العثمانية من قبل قوات الحلفاء. وأنه قد حضر للقائه لأجل إبلاغه قرار احتلال استانبول. وأنه على الحكومة العثمانية تسليم النقاط المركزية المشتركة ذات الإدارة المشتركة بين قوات الحلفاء والجيش العثماني للقادة العسكريين الإنجليز".** فرد عليه الصدر الأعظم صالح باشا:**"بأن القوات الإنجليزية ذاتًا متواجدة في استانبول؛ حسب الاتفاقات السابقة المبرمة مع الحلفاء؛ فما الداعي من الإحتلال المباشر لاستانبول؟! أم أنكم تريدون أن تضعوا حد للإستقلال النسبي للحكومة العثمانية عنكم؟ وذلك بالقضاء عليها؛ عبر الإحتلال المباشر".** فرد رئيس المترجمين أندرو رايان Andrew Ryan على الصدر الأعظم قائلاً:**" نأمل ألا يحدث ذلك".** ولكنهم في الحقيقة كانوا يريدون من هذا الاحتلال المباشر

لاستانبول أن يسيطروا على منطقة كليكيا[67] بين بلاد الشام والأناضول. في نفس هذا الوقت الذي تم فيه اللقاء بين الصدر الأعظم صالح باشا و رئيس المترجمين أندرو رايان Andrew Ryan الإنجليزي. كان المستشار العسكري الأعلى الفرنسي في قوات الحلفاء القائد ليدولكس Lidulex'e قد ذهب إلى القصر السلطاني للقاء السلطان محمد وحيد الدين في تمام الساعة الـ9:30 صباحًا ليبلغ بقرار قوات الحلفاء احتلال استانبول. غير أن السلطان محمد وحيد الدين لم يقابله مباشرة وجعله ينتظر 45 دقيقة وقد أرسل إليه حينها باشكاتب القصر ليفهم منه ما الأمر. فأخبره بضرورة إبلاغ السلطان أن قوات جيوش الحلفاء ستحتل استانبول اليوم. وأنه على السلطان تسليم النقاط العسكرية المشتركة بين الجيش العثماني وقوات جيوش الحلفاء إلى إلى جيوش الحلفاء. حينها ذهب الباشكاتب إلى السلطان محمد وحيد الدين وتأخر على القائد الفرنسي ليدولكس Lidulex'e ثم عاد إليه بعد ما يقارب من نصف ساعة. وقال الباشكاتب للقائد الفرنسي:" **إن السلطان محمد وحيد الدين قد تأسف كثيرًا على رغبة قوات الحلفاء أخذ النقاط العسكرية المشتركة وسحب الجيش العثماني منها. وقال السلطان:" ألم يكن هناك تعاون مشترك بيننا وبينكم؟! فما الداعي لاحتلال هذه النقاط العسكرية مباشرة من قبل جيوش الحلفاء؟ أم أنكم تريدون من احتلال هذه النقاط احتلال استانبول مباشرة؛ وذلك لكي يمكنكم اعتقال القادة المقاوميين لكم؛ لكي تستريحوا منهم ومن هجامتهم على قواتكم؛ كما سمعت. ومن المحال أن تتخذ دول الحلفاء قرارًا أحادي الجانب؛ دون المشاورة معنا. لقد وضعتنا دول الحلفاء بهذا القرار في وضع صعب".**

لم يكن الأمر متعلق باحتلال قوات الحلفاء للقادة المقاومين من أبناء الشعب التركي في استانبول كما توهم السلطان محمد وحيد الدين. بل الأمر كان له منحى آخر في ذهن الإنجليز. وهذا ما وضحه اللورد كورزون Lord Curzon في مذكراته. حيث كتب يقول:" **ما بقت استانبول محررة وبعيدة عن أيدي الإحتلال المباشر لقوات الحلفاء؛ ما بقى التهديد الإسلامي بثورة المسلمين في الهند تلبية لنداء الخليفة العثماني وارد قوائم لدينا. ولكي تنكسر الروح المعنوية لمسلمي الهند؛ وتنقطع صلتهم بالخليفة العثماني كرمز روحي معنوي وقائد سياسي لهم؛ يجتمعون حوله؛ ويمتثلون لأوامره؛ فلابد للخليفة العثماني أن**

---

[67] كليكيا، هو الاسم القديم لمنطقة نفوذ الأرمن على الأراضي الإسلامية المحتلة من قبلهم بين بلاد الشام والأناضول الإسلامي والبيزنطيين في الفترة الممتدة منذ التهجير الروم الشرقيين لهم إلى هذه المنطقة في القرن الـ5هـ/11م وحتى نهاية القرن الـ8هـ/14م؛ حيث قام السلطان الأشرف شعبان المملوكي البحري بفتح مملكتهم وضمها لأرش الإسلام من جديد بعدما كانت مركز دعم للصليبيين والروم والمغول الوثنيين والإيلخان للهجوم على أراضي الإسلام في الشام. وكليكيا اليوم هي المنطقة التي تشمل مناطق أضنة وكوزان "سيس" وكرمان وأرمناك "المهدية المحمدية" شمال سوريا وجنوب تركيا، المترجم.

يقع يقع تحت أيدينا وأن تحتل عاصمة دولته احتلال مباشر. لأن عدم احتلالها يعني بقاء رمز استقلال المسلمين في الهند؛ قائمًا ويمثل تهديدًا بالثورة علينا في الهند في أي وقت".

ومما يؤكد مخاوف الإنجليز من ثورة المسلمين عليهم في الهند لاعتبارهم الخليفة العثماني هو ممثلهم الحقيقي وقائدهم الأعلى؛ هو أن اللورد كورزون Lord Curzon أثناء زيارته للسلطان محمد وحيد الدين في قصره وجد لديه من ضمن الحضور الولاة الأتراك ومن بينهم رجل مسلم هندي أتي ليمثل المسلمين ويؤكد تبيعتهم له؛ لا للإنجليز في القصر السلطاني. ولقد رفض هذا الرجل الهندي الوقوف على قدميه عند دخول اللورد كورزون Lord Curzon إلى اللقاء السلطان محمد وحيد الدين. مما جعل اللورد كورزون Lord Curzon يرسل إلى لندن ليخبر الحكومة الإنجليزية ويصر عليهم بضرورة التعجيل باحتلال استانبول؛ ووضع السلطان محمد وحيد الدين تحت الرقابة المباشرة؛ للقضاء على أي خطر من قبله على استقرار أمن الحكومة الإنجليزية في الهند.

لقد أرسل أحد ضباط الإستخبارت الإنجليزية في استانبول بعد احتلالها بخمسة أيام رسالة يقول فيها:**" يجب علينا أن نلقي بالأتراك خارج استانبول؛ كما ألقينا بهم خارج أوروبا؛ فالأتراك الآن كالأطفال الرضع الذين يمكن التخلص منهم بسهولة. ولا معنى لاحتفالنا باحتلال استانبول ما بقى الأتراك يعيشون فيها".** وفي أحدى رسائله الأخرى إلى الحكومة الإنجليزية في لندن كتب يقول:**"إن أعداؤنا الأتراك عليهم أن يودعوا استانبول بعد مكوث طويل لهم فيها؛ فإننا إن تركناهم سيكونون أخطر علينا من أعداؤنا اليونانيين".**

ومنذ احتلال استانبول في عهد السلطان محمد وحيد الدين وحتى توقيع اتفاق السلام مع قوات الحلفاء؛ كان لابد من إصلاح الوضع داخل استانبول. فبدأت المقاومة ضد تواجد قوات الحلفاء في استانبول. وبدأ الأتراك يشعرون بأن استانبول سوف تذهب من أيدي الأتراك كغيرها؛ لذا كان لابد من تغيير الوضع القائم وإصلاحه لأجل انقاذ استانبول بأي ثمن. لهذا صدر منشور رسمي من قيادة قوات الحلفاء في استانبول لتهدأت الوضع بالمدينة قيل فيه:

" قبل خمسة سنوات ونصف كانت كل الأمور بيدي جمعية الإتحاد والترقي والتي عملت على الاتفاق مع الألمان وتقليدهم وجرت الدولة العثمانية للاشتراك في الحرب العامة؛ بدلاً من أن تقف الدولة العثمانية على الحياد من هذه الحرب. فأنظروا كيف أوصل الاتحاديون الدولة العثمانية إلى ما وصلت إليه؟ لقد جلبت جمعية الإتحاد والترقي إلى الدولة والأمة العثمانية المصائب تلو المصائب. وبدلاً من أن يحاولوا أن ينقذوا

الدولة العثمانية؛ من الحال الذي أوصلوها إليه. قام الإتحاديون بالفرار من جبهات القتال ومن الدولة العثمانية لتغرق؛ وأجبرونا على وجوب توقيع اتفاق الهدنة ثم القبول بما نحن فيه الآن. لقد سعى الإتحاديون إلى تمزيق الدولة العثمانية من الداخل عندما دعوا إلى ضرورة وجود هوية مستقلة لكل عرق من أعراق الدولة العثمانية؛ بدلاً من أن يعيش الجميع معًا في محيط الدولة العثمانية بأمن وسلام مهما اختلف مذهبه أو دينه أو جنسه. وحسب فهمهم العرقي الضيق هذا أدعوا بأن التمزيق لأعراق الدولة سيجلب السعادة للجميع في الحياة الاجتماعية والإقتصادية؛ وستعيش الدولة العثمانية على أسس من السلام والأمن والعدالة والحرية؛ وهذا ما لم يحدث. وقام الإتحاديون بعمل المحاضرات عن نظرتهم لشكل الدولة العثمانية الجديدة؛ غير أنهم عند الجد فروا من ساحات المعارك والقتال فاستحقوا لقب الإتحاديون الفارون. غير أن القسم السياسي الذي ظل يعمل منهم في مؤسسات الدولة سعى لاخضاع الدولة لأعدائها؛ وقاموا بعمل المظاهرات والاضطرابات بغرض زلزلة أركان الدولة من الداخل؛ في ذلك الوقت الحرج الذي تمر به الدولة من عمرها. بدلاً من التكاتف مع السلطان لانقاذ الدولة من المخاطر المحيطة بها. انشغلوا بمصالحهم الدنيوية والشخصية على حساب الدولة؛ وأعجزوا السلطان عن قيادة زمام الأمور في الدولة بنفسه؛ مما نتج عنه بحث الأمة عن من ينقذها؛ من الحال الذي وصلت إليه. حينها بدأت تظهر القيادات القومية والتي رفضت أن تنصاع هي الأخرى لأمر الخليفة السلطان. فكانت النتيجة من جراء كل هذه الأحداث أن استنفذ السلطان كل الأوراق التي في يده. حيث تركه الإتحاديون والقوميون المعارضون لهم والمنافقون وحده في الميدان أمام الأعداء. وبذلك تركت الخلافة والسلطنة وحدها أيضًا في وجه المخاطر دون ناصر أو معين من أبناء الأمة. والذين بدأوا ينحنون المنحنى القومي العرقي في الفعل والتفكير وبدأوا يتجرأون مقام الدولة العثمانية. بهذا الشكل لم يكن سلام الإتحاديون أو غيرهم مع الأعداء سلامًا حقيقيًا؛ بل بدأ أعداء الدولة من الداخل يعدون العدة للثورة عليها من الداخل لتكون حرب أهلية بين أبناء الأمة لصالح أعدائها. ورغم كل هذه التحريكات والعدائيات والتشكيلات المنظمة ضد الدولة العثمانية. استطاعت الدولة العثمانية ان تبقى استانبول مدينة للأتراك يعيشون فيها؛ رغم كل المحاضرات والمؤتمرات التي أقيمت ضد الدولة. لهذا السبب فإن قلب الدولة العثمانية سوف يكون مستريح من الداخل لبقاء استانبول مدينة للأتراك وبقيادة تركية. بالطبع أن القرار الذي أتخذ بدخول قوات الحلفاء استانبول من جانب واحد كان صدمة للجميع. غير أن الحكومة العثمانية بقيادة السلطان محمد وحيد الدين استطاعت أن تتفق مع قوات الحلفاء بعدم المساس بالمواطنين الأتراك. وأن تبقى استانبول عاصمة السلطنة والخلافة. غير أن السلطان لو رفض دخول قوات الحلفاء؛ فإن قوات الحلفاء ستستمر بالهجوم على استانبول وقصفها بدون توقف. مما سيتنج عنه ضياع الأمن والأمان وإهلاك الأنفس والأرواح. كما أن دعاة الفتنة بين المسلمين

والنصارى سيشعلون الفتن الطائفية داخل استانبول بغرض أن يعطوا لقوات التحالف الحجة لاقتحام استانبول؛ وحينها ستكون قد أتت الفرصة للأعداء لطرد الأتراك من استانبول. ولهذا السبب تم القبول بدخول قوات الحلفاء إلى استانبول لحفظ الأمن والدماء. وإن الحكومة المركزية في استانبول مستريحة لما قامت به ونيتها صادقة في هذا الأمر. وفي هذا الوقت الحرج ترجوا الحكومة العثمانية من التشكيلات الشعبية التي تقاتل في الأناضول أن تكف عن التحريض على الحكومة المركزية في استانبول؛ لأنهم يستغلون عواطف الناس وجهلهم ببواطن الأمور للثورة على السلطنة. بل على العكس من ذلك الحكومة من حركتها هذه تستشرق مستقبل أفضل ببقاء استانبول ضمن الأراضي التركية. والحكومة المركزية باستانبول تسترشد بكل رأي صادق يأتيها. وهكذا تم إثبات أن السلام قد يحفظ الأرواح والدماء بدلاً من الإعتقاد السائد بأن السلام مع العداء يعني الموت المحقق. ولكن مع الأسف نتيجة أن دول الحلفاء ترفض كامل شروط السلام التي عرضنها عليهم. ونظرًا لوضع الدولة العثمانية الضعيف باعتبارها مغلوبة في الحرب العامة من الحلفاء. فإن الدولة العثمانية مجبورة قبلت بشروط الحلفاء للسلام. لهذا السبب لما صمم الحلفاء على التمسك بشروط السلام الظالمة لحقوق الدولة العثمانية فإن الدولة العثمانية استمكست بحقها في بقاء مدينة استانبول عاصمة الدولة ضمن الأراضي التركية في الأناضول. ومن خلال نقاط العرض القادمة سوف نعرض على كل من يقرأ هذا البيان الرسمي شروط اتفاق السلام مع الحلفاء وهي كالتالي:

1- الإحتلال لاستانبول سيكون مؤقت من قبل قوات الحلفاء.
2- ليس في نية دول الحلفاء المساس بمقام السلطنة العثمانية أو إلغائها أو التقليل من مقام نفوذ السلطنة. على العكس من ذلك ستبقى العائلة العثمانية وأعضاء الحكومة العثمانة في إدارة البلاد؛ وستقوم دول الحلفاء بدعم السلطنة العثمانية؛ لتكون في موقع القوة لا الضعف.
3- ليس في نية قوات الحلفاء حرمان الأتراك من السكن والحياة في استانبول. لكن الله الحافظ لو حدثت أي مقاومة ضد قوات الحلفاء أو اي مذبحة بينهم وبين الأتراك فإن هذا الشرط محتملاً قابل للتغيير من قبل قوات الحلفاء.
4- في هذا الزمان الآمن يجب على المسلمين وغير المسلمين النظر إلى أعمالهم فقط لا غير. وألا ينشغلوا بأمور السياسة. وعلى الجميع أن يعلم أن ما قامت به الحكومة العثمانية بقبول دخول قوات الحلفاء إلى استانبول لأجل انقاذ السلطنة والخلافة العثمانية من الزوال. وإلا إذا لم تطع الجماهير السلطان بصفته الخليفة فإن دول الحلفاء ستساعد في زوال السلطنة العثمانية؛ وتشكيل دولة تركية جديدة. لذا حافظوا بطاعتكم للسلطان على دولتكم وعاصمة دولتكم المركزية استانبول

من الزوال. فاستانبول مازالت هي مركز الحكم وبطاعتكم للسلطان ستستمر مركز الحكم في الأناضول ولن ينتقل منها مركز الحكم لأي مكان آخر.

بعد هذا الإعلان الرسمي نحث الجميع على المشاركة في تنفيذ هذا الاتفاق على أرض الواقع. وأن تضطغى المصلة العامة على المسلحة الشخصية لدى بعض الأفراد. وبناء على ردود أفعالكم في استانبول مع قوات الحلفاء؛ سيتحدد موقفنا النهائي منكم. فلا تجلبوا لأنفسكم سوء الحال؛ ولا تسألوا في السياسة؛ لأن هذا سوف يعرضكم للأعتقال.

قوات احتلال استانبول

لقد استطاع السلطان محمد وحيد الدين أن يتفق مع قيادة قوات الحلفاء المحتلة لاستانبول ألا يقتربوا من السراي السلطاني. وألا يتدخلوا في أي شأن يحدث فيها. ولقد كان السلطان محمد وحيد الدين يعلم أن قوات الحلفاء لا يريدون أن يذهب الإشراف على مدينة استانبول بعيدًا عن أيديهم. لهذا حاولوا الحفاظ على علاقة ودية مع السلطان محمد وحيد الدين وأن يتمسكوا بتنفيذ بنود الاتفاق. كي لا تبدأ المقاومة ضدهم. حينها قال السلطان محمد وحيد الدين:**" علينا أن نكسب الزمان لصالح السياسة؛ فالآن قد بدأ عملنا الحقيقي".**

كانت الأمور في استانبول بعد الإحتلال لها هادئة؛ باستثناء رجل يدعى فوزي باشا المرعشي من مدينة مرعش؛ ترك استانبول وذهب إلى حكومة أنقرة بعد احتلال استانبول عام 1920م؛ وبتاريخ 27 إبريل 1920م أي بعد افتتاح مجلس نواب حكومة أنقرة بأربعة أيام ذهب فوزي باشا المرعشي إلى هذا المجلس وألقى فيه خطبة وصف فيها أوضاع استانبول تحت الإحتلال فقال: **" لأجل انقاذ مقام الخلافة من كل مصيبة وبلاء قام السلطان محمد وحيد الدين بالتضحية باستانبول. حتى أن السلطان الممثل للخلافة الجامعة للمسلمين يذهب إلى صلاة الجمعة مع قوة عسكرية مسلحة من عساكر الإنجليز وهو يحمل علامات الخلافة. فلو منعته عساكر الإنجليز من الخروج أو من الحركة؛ ماذا سيفعل الخليفة حينها؟! إنني أري أن آخر خمسون عامًا من عمر الدولة العثمانية؛ هم أسوأ خمسون عامًا في تاريخها. حيث يجلس السلطان العثماني بصفته خليفة المسلمين في مقصورة عالية بعيدة عن الناس؛ والناس تعمل من قلوبها فوق العادة. رغم كل جراحها؛ لا لشيء سوى لابقاء مقام الخلافة باستانبول...غير أنَّ استانبول تقول لكم أنقذوني انا مدينة محطمة... لذا فعليكم أن تحافظوا على مدينة استانبول مرتبطة بالأناضول؛ ولا يتم ذلك إلا باتمام عودتها لنا".**

33.2. من الشهيد؟ وما معنى إقامة الفرض؟

عندما حدثت حادثة احتلال قوات الحلفاء لاستانبول أعلن قادة حكومة أنقرة العصيان على السلطان محمد وحيد الدين. وأعلنوا عن تشكيل الحكومة الملية القومية في أنقرة لتحرير الأناضول. وانتخبوا رئيسًا لهذه الحكومة هو مصطفى كمال باشا. حينها خرج شيخ الإسلام دري زاده عبدالله أفندي قائلاً فتواه بتكفير القوى القومية التي شكلت حكومة أنقرة. وحينها لم تكن الجمهورية قد أعلنت بعد. وقد أصدرت هذه الفتوى بتاريخ 10 مايو 1920م في حق مصطفى كمال باشا ورفاقه والتي ورد التالي: **"كل من ينتسب إلى القوى القومية رافعًا شعارًا آخر غير شعار الدين؛ فهو كافر. وقتالهم فرض عين؛ وقتلهم مشروع. لأن الخروج أمام هؤلاء ومواجهتهم واجب؛ وهم الذين شقوا عصا الطاعة على السلطان. ومن لم يفر من عساكرهم فهو مرتكب ذنب. ومن يقتل من القوى القومية من أتباع حكومة أنقرة فهو غازي في سبيل الله".**

عندما بدأت الحرب العالمية الأولى صدرت فتوى المشاركة في الحرب إلى جوار الألماني وبضغط من الإتحاديين؛ فكانت فتوى شيخ الإسلام حينها صناعة ألمانية. كذلك الوضع من قبل حكومة استانبول. لقد استغل مصطفى كمال باشا وضع استانبول تحت احتلال قوات الحلفاء وأخرج من أنقرة فتوى أخرى مواجهة لفتوى شيخ الإسلام درى زاده عبدالله؛ وعرفت هذه الفتوى باتهام حكومة الخلافة والسلطنة في استانبول بالعمالة والخيانة للإنجليز. وبخاصة بأن فتوى دري عبدالله زاده أفندي كانت ضد حكومة أنقرة لكونها هي الأخرى فتوى صناعة إنجليزية. والذي يؤكد ما ذهبنا إليه هو أن ضابط المخابرات الإنجليزي في استابول حينها بينيت Bennett قد أخذ هذه الفتوى من رئيس المترجمين للمندوب السامي العسكري الإنجليزي بالأناضول والسفير البريطاني أندرو رايان Andrew Ryan وسلمها لشيخ الإسلام. وكان الغرض من هذه الفتوى إظهار أنه لا يجوز شرعًا وجود حاكمين للأمة المسلمة في آن واحد. وأن أحدهم واجب القتل. وبما أن السلطان محمد وحيد الدين هو الحاكم الشرعي للبلاد وخليفة المسلمين؛ فأن مصطفى كمال باشا ورفاقه يقع عليهم حكم القتل لعصيانهم للحاكم الشرعي للبلاد وتكوين حكومة بأنقرة غير الحكومة المركزية في استانبول. ولقد طبعت قوات الإحتلال في استانبول فتوى شيخ الإسلام دري زاده أفندي ونشرتها بين أبناء الأناضول.

بيد أن شيخ الإسلام دري زاده عبدالله أفندي قد نسي أو تناسى أن أول من يستحق فتوى القتل هو الصدر الأعظم فريد باشا. والذي قابل قيادة الجيش الإنجليزي وممثلي الحكومة الإنجليزية ثلاث مرات دون علم السلطان محمد وحيد الدين لرسم مستقبل الدولة العثمانية مع أعدائها. كذلك استطاع الإنجليز أن يحصلوا من شيخ الإسلام دري زاده عبدالله أفندي على عدة فتاوى بوجوب طاعة ولاة الأمر الإنجليز على مسلمي

الهند. ولا يجوز الخروج عليهم. ولقد أخذ الإنجليز هذه الفتاوى الدينية المصنوعة من قبلها من الأناضول إلى الهند عبر الطائرات. كذلك أثرت هذه الفتاوى بالسلب على سكان الأناضول المقاومين للإحتلال الإنجليزي. والذي يدل على أن هذه الفتاوى مسيسة أنها فتاوى كانت دائمًا تأتي لصالح لندن؛ على حساب الأمة. غير أن مصطفى كمال باشا هذه المرة لم يصمت على ما يجري؛ لأنه قد عبر مرحلة الصمت.

وستكون هذا الفتاوي من أسباب المشاكل الرئيسية التي ستقع بين حكومتي استانبول وأنقرة. وبخاصة أن هذه الفتاوى وأمثالها من أكبر المشاكل التي أثرت في المجتمع التركي بين حرب اليونان وتحرير أزمير. كأن هذه النوعية من الفتاوى تطالب بالإتحاد مع اليونان على حساب المقاومة التركية.[68] هذا دفع حكومة أنقرة للرد على فتاوى شيخ الإسلام دري زاده عبدالله أفندي بمثلها من الفتاوى. فنجد حكومة أنقرة بتاريخ 16 إبريل عام 1920م تعلن أن مفتي الحكومة في أنقرة هو بوركشيزاده محمد رفعت أفندي Börekcizade Mehmed Rıfat Efendi (والذي سيعين أول رئيس لمؤسسة الديانة التركية فيما بعد). حينها سيقوم المفتي بوركشيزاده محمد رفعت أفندي بتجميع 81 توقيع من 81 مفتي من مسؤولي الإفتاء في 81 مدينة تركية ومقاطعة. وثلاث توقيعات من ثلاث قضاة؛ ومن النواب العلماء الأتراك في المقاطعات المختلفة. ومن 52 معلم شريعة. ويضاف عليهم 147 شخص من مختلف التخصصات والإتجاهات سيوقعون على رد فتوى شيخ الإسلام دري زاده أفندي باستانبول. ونقتبس من فتوى الرد على شيخ الإسلام هذا المتن:**"إن الذين يقاتلون الأعداء ويواجهونهم بكل ما أتت إلى أيديهم من قوة؛ يقومون بفرض جهاد العين عن الأمة. والذين يسقطون أثناء هذه الحرب في مواجهة الأعداء شهداء. والماكث منهم في الحياة سيكونون من الغزاة في سبيل الله".** غير أن شيخ الإسلام دري زاده عبد الله أفندي سيظل يسبب المشاكل لحكومة أنقرة بفتاويه؛ ولن ينقطع عن ذلك أبدًا. لذا سيعلن مصطفى كمال باشا ردًا على شيخ الإسلام؛ أن حركة تحرير الأناضول؛ ما هي إلا حركة تحريرية هدفها تحرير السلطان العثماني من قيد الأسر بيد أعداء الأمة. لهذا ستخرج فتوى من مفتي حكومة أنقرة تعبر عن وجهة نظر مصطفى كمال باشا ورأيه في السلطان محمد وحيد الدين حينها. ونص هذه الفتوى: **" إن حكومة أنقرة تريد أن تسمع رأي السلطان محمد وحيد الدين فيها من لسانه؛ لا من لسان شخص آخر. وأن حكومة أنقرة تعمل على تحرير سلطانها وتحريره من يد الأسر".**

[68] هنا الكاتب يعبر عن وجهة نظره في تأييد حكومة أنقلاة على حساب حكومة الخلافة، المترجم.

لهذا قامت حكومة أنقرة بتاريخ 23 إبريل 1920م يوم الجمعة عقب الصلاة الجامعة بعمل مظهر إعلاني ديني يؤكد ولاءها للسطان العثماني بصفته خليفة للمسلمين. وتؤكد من خلاله أن حكومة أنقرة لم تخرج على حكم السلطان العثماني. حيث قاموا برفع الصلوات المحمدية عقب الآذان في جميع أنحاء الأراضي الخاضعة لحكومة أنقرة؛ ثم بدأوا بالدعاء على جيوش المحتلين في استانبول مع سائر الولايات التي راسالوها لتلتحق بحكومة أنقرة وإن لم تدخل تحت سلطانها فعلياً. ثم بدأوا يقرأون ختمة قرآنية بنية الإنتصار على الأعداء وتحرير استانبول وسائر أراضي الأناضول. ثم بعد ختمة القرآن أخذوا يقرأون صحيح البخاري بنية النصر على الأعداء. وبعد ذلك بدأت خطبة الجمعة في نهايتها بذكر اسم السلطان محمد وحيد الدين والدعاء له. وبذلك أحيت حكومة أنقرة شيء من ميراث شارات الخلافة الذي قامت حكومة الإتحاد والترقي بإلغائه عقب سيطرتها على الحكم. ففي أنقرة يوم الجمعة بجامع حاجي بيرم ولي Haci Bayram Veli Camii أقام مصطفى كمال باشا صلاة الجمعة مع أعضاء حكومة أنقرة وأعلنوا من هناك إحياء ميراث الخلافة الذي قضي عليه الإتحاديون منذ تسلمهم الحكم؛ فبعد تأدية الصلاة عرضوا للناس بردة الرسول-صلى الله عليه وسلم- الشريفة وعلمه الشريف رمز استحقاق أسرة آل عثمان بالخلافة. ورمز سلطانهم السياسي على العالم الإسلامي. وكان قبل خروج البردة والعلم الشريفين؛ تلهس الألسنة بالدعاء للسلطان محمد وحيد الدين بالنصر والتأييد وبالدعاء على حكومة الإتحاديين بالخزي ثم ذبحوا عدة أضحيات ووزعوها على الفقراء ثم أخرجوا للناس البردة والعلم الشريفين. لقد استمر هذا الفعل منذ صباح يوم الجمعة حتى نهايته. ولقد ختمت صحيح البخري في أنقرة قراءة في نفس اليوم كما غضت دماء الأضحيات الشوارع؛ ووزعت على الناس في البيوت. وكانوا يضعون دماء حمراء بأكفف الأيادي على المنازل تعبيرًا أن هذه المنازل قد نالت من أضحية الخلافة والجهاد من قبل حكومة أنقرة.

لقد قامت حكومة أنقرة بهذا الفعل؛ لتظهر بأسلوب إعلامي ديني أن فتوى شيخ الإسلام ضدها بالخروج على السلطان العثماني محمد وحيد الدين باطلة. ولكن هذه المرة كسبت حكومة أنقرة الجماهير الشعبية من شيخ الإسلام. كما أنها أعلنت بذلك أنها تريد انقاذ الخلافة والسلطنة العثمانية من أيادي أعداء الخارج المتمثلين في قوات الحلفاء ومن أيادي أعداء الداخل المتمثلين في حكومة الإتحاد والترقي. وبهذه المناسبة التي أعلنت فيها حكومة أنقرة إحياء مراسم شعارات الخلافة أفتتح أكبر مجلس نواب قومي للأتراك في أنقرة. وبذلك استطاع مصطفى كمال باشا أن ينقل مراسم شعارات الخلافة من استانبول إلى أنقرة لأول مرة في تاريخ الدولة العثمانية. لهذا جعل مصطفى كمال باشا قراء صحيح البخاري يذهبون إلى مراكز

الإتحاديين ومبانيهم ونواديهم في أنقرة ويقرأون فيها صحيح البخاري. ثم أخذ أكبر مباني الإتحاديين والذي لم تكتمل فعليات إتمام أنشائه بعد وخصصه ليكون مقر مجلس نواب الأمة لحكومة أنقرة.

ولم يحدث مثل هذا الحفل الديني بمثل هذه الطريقة منذ عصر سلاجقة الأناضول ولم يحصل بنفس هذا الأسلوب في أي زمن من أزمان حكم العثمانيين. لقد كان هذا التجمع الديني شاهدًا على الميلاد الحقيقي لحكومة أنقرة المستقلة؛ وإن لم تعلن ذلك؛ كما نتج عنه عدم قبول فتاوى شيخ الإسلام دري زاده عبدالله أفندي من أواسط جموع الناس. لقد كسب مصطفى كمال باشا وحكومته بهذا العمل قلوب الناس واستطاع هدم ما تبقى من سلطان الإتحاديين في النفوس؛ كما أثبت ولائه للخلافة والسلطنة وللسلطان محمد وحيد الدين ذاته.

من الجهة الأخرى بدأت الأوضاع في استانبول بالتأزم حيث اقتحمت قوات الإحتلال الإنجليزي لاستانبول مبنى مجلس نواب المبعوثان بتاريخ 16 مارس 1920م. وقاموا بتوقيف بعض النواب واعتقالهم وإرسالهم إلى مدينة ملاطية وعلى رأس هؤلاء النواب رؤوف باشا. وبعد ذلك انقطعت أخبارهم حتى وقت متأخر من نهاية حرب الإستقلال. مما دفع السلطان محمد وحيد الدين إلى إعلان بدء إجازة مجلس المبعوثان بتاريخ 11 إبريل 1920م. هذا الأمر نتج عنه اتجاه أنظار الأمة والمقاومين وتحولها من مجلس نواب المبعوثان في استانبول إلى مجلس النواب القومي في أنقرة؛ وأعتبره الكثيرين حينها بأنه المجلس الشرعي الوحيد المستقل الذي يمثل نواب الأمة. وبذلك حل مجلس الأمة التركية القومي محل مجلس المبعوثان في استانبول.

ولم يكن حينها رئيس مجلس الأمة القومي في أنقرة مصطفى كمال باشا فقط. بل أعلن مصطفى كمال باشا بأن السلطان العثماني محمد وحيد الدين بصفته خليفة المسلمين هو المشارك الفعلي والحقيقي في رئاسة مجلس الأمة التركية القومي بأنقرة. وبما أنَّ لا يستطيع الحضور إلى المجلس ليرأسه بنفسه فإن من ينوب عنه في هذا العمل حتى يتم تحريره من اسر قوات الحلفاء هو مصطفى كمال باشا.

لذلك أرسل مصطفى كمال باشا إلى رئاسة ديوان السلطان محمد وحيد الدين في استانبول تلغرافًا بتاريخ 27 إبريل 1920م بهذا الشأن يقول فيه: **" إذا كان العرش العثماني خالي ممن يؤيده وينصره في هذا الوقت؛ فإننا نعلن نصرتنا له أكثر مما سبق؛ ونريد أن يتواصل معنا السلطان محمد وحيد الدين مباشرة. وكلما وجدنا أن عساكر الأعداء لا تريد أن تخرج خارج وطننا العزيز وبخاصة من عاصمة الخلافة؛ زاد اصرارنا على استمرار حرب الاستقلال حتى يتحرر سائر التراب التركي من يد الأعداء؛ ولن**

يتم هذا إلا بسحب جيوش الأعداء عساكرها من استانبول وسائر الأراضي الأناضولية المتواجدين فيها. وأعلم يا جناب السلطان محمد وحيد الدين أن حكومة انقرة صادقة في نصرة الخلافة والأمة".

ولكن بعد إرسال مصطفى كمال باشا هذه الرسالة إلى السلطان العثماني محمد وحيد الدين بمدة قصيرة؛ أعلن مصطفى كمال باشا رفضه لسياسات السلطان العثماني محمد وحيد الدين في التواصل الدبلوماسي مع دول الحلفاء؛ ثم أعلن أن السلطان محمد وحيد الدين خائن.

34.2. هل يوجد فرمان إعدام؟

وبعد إعادة فتح مجلس نواب المبعوثان بتاريخ 24 مايو 1920م أي بعد شهر من إغلاقه؛ أتى إلى استانبول خبر غريب. بأن السلطان محمد وحيد الدين قد قام بالتصديق على قرار المحكمة العسكرية بإعدام مصطفى كمال باشا مع خمسة من أصدقائه وهم قره واصف Kara Vasıf وعلي فؤاد باشا وسفير واشنطن الأسبق ألفريد رستم Eski Wahington Elçisi Alfred Rüstem والطبيب عدنان الملقب بأدي فر Adıvar وخالدة أديب هانم Halide Edib Hanım.

ولكن هذا القرار الصادر المحكمة العسكرية المصدق عليه من السلطان محمد وحيد الدين حتى الآن يوجد من المؤرخين مناقشات ومجادلات بشأنه؛ هل حقًا صدق السلطان على قرار المحكمة العسكرية بإعدام مصطفى كمال باشا ورفاقه؟ وهل حقًا عقدت محكمة عسكرية في استانبول لأجل ذلك؟ وإذا كان هذا الحكم وذلك التصديق من السلطان محمد وحيد الدين صحيحًا؛ ما الذي أوقف هذا الحكم بإعدام مصطفى كمال باشا ورفاقه. لكي نفهم ما حدث علينا أن نرى الأمور بوضوح ونرى تحركات منهم من خلف السلطان محمد وحيد الدين ضد مصطفى كمال باشا ورفاقه. فالصدر الأعظم فريد باشا ووكيل ناظر الحربية قد استطاعوا اصدار قرار بإعدام مصطفى كمال باشا ورفاقه بتاريخ 24 مايو 1920م. ونص هذا القرار الذي أصدروه من المحكمة الحربية بالتركية الحديثة اليوم كالتالي:**"إن القوة القومية لحركة تحرير الأناضول تعمل على إثارة الفتنة والفساد في الأرض. ويجمعون من الناس التبرعات والأموال من أجل القتال في خارج نصوص الدستور العثماني. ويأخذون العساكر لتحارب باسمهم؛ لا باسم الدولة. ويقومون بتعذيب واضطهاد كل من يعارضهم من سكان الأناضول في المدن والمقطاعات التي يسيطرون عليها. مما عرض الكثير من الأناضولية وسكانها للضرر والأذية. مما هدد الأمن والسلام الإجتماعي داخل مدن الأناضول. وكان حكومة أنقرة هي المرتبة عبر أعضاءها إلى كل هذه الأحداث وتقوم بتحفيز جنودها للتنكيل بالمواطنين المستضعفين. لهذا كان لابد من فتح دعوة قضائية بشأن هذه الأحداث. والمسؤول الرئيس عن كل هذه**

الأحداث القائد العام للجيش الثالث العثماني والذي منح مهمة التفتيش العسكري العام في الأناضول مصطفى كمال أفندي السالونيكي. ومعه رئيس الفرقة العسكرية السابعة والعشرون باستانبول القائد المتقاعد قره واصف بك Kara Vasıf Bey وقائد الجيش العثماني العشرون المولود بمقاطعة ميرليفا سلاجقلي باستانبول فؤاد باشا. ومعه السفير الأمريكي السابق باستانبول وعضو مجلس النواب بمجلس الأمة القومي بأنقرة ألفريد رستم Eski ABD Elçisi Alfred Rüstem والمدير السابق لمديرية الصحة في استانبول الطبيب عدنان بك والمدرسة الأستانبولية خالدة أديب هانم Halide Edib Hanım معلمة الأدب الغربي بالجامعة. وقد صدر حكم المحكمة العسكرية ضدهم بالقرار رقم 20 بتاريخ 11 مايو 1920م. وذلك وفقًا لقانون العقوبات العسكرية رقم 45 من الفقرة الأولى من المادة الخامسة والخمسون؛ والفقرة الرابعة من المادة السادسة والخمسون؛ ووفقًا لذلك تسحب منهم الرتب والنياشين " القلادات" العسكرية والدرجات الوظيفية ويحكم عليهم بالإعدام. وبما أنهم قد فروا خارج استانبول؛ فقد قررت المحكمة العسكرية مصادرة كل أصول أموالهم وأملاكهم داخل استانبول لصالح الدولة. وقد صدر هذا الحكم الغيابي على الفارين من الدائرة الأولى من المحكمة العسكرية رقم 1؛ ويرفع قرار الحكم إلى الجهات العليا المسؤولة في الدولة للتصديق عليه. ويعرض على السلطان محمد وحيد الدين لاتمام التصديق عليه من قبل ناظر الحربية".

وكانت أهم فقرة في هذا القرار الصادرة من المحكمة العسكرية بشأن إعدام مصطفى كمال باشا ورفاقه الفقرة النهائية من القرار والتي ذكر فيها: **"... أن قرارات الإعدام بحق الفارين الغائبين من المحكمة العسكرية لا تسقط بالتقادم؛ وأنه في حالة وقوعهم في أيدي رجال الدولة من العسكريين وغيرهم؛ يجب عرضهم فورًا على أقرب محكمة عسكرية لتصديق الحكم عليهم وتنفيذه".** وهذا المتن نصها الأصلي باللغة التركية العثمانية كالتالي: **" في حالة العثور على الموقوفين المحكومين غيابيًا؛ تنزع منهم الرتب العسكرية والقلادات "النياشين" والدرجات الوظيفية. ويعرضون في نفس اليوم بعد التأكد من هوياتهم على المحكمة العسكرية. وينفذ فيهم حكم الإعدام بنفس يوم الحالي للقبض عليهم. على أن تحجز على أصول أموالهم وتصادر لصالح أملاك الدولة وفق قرارات الأحكام القانونية الصادرة عن الدائرة الأولى لمحكمة دار السعادة العرفية بديوان نظارة الحربية للأحكام الغيابية. وقد صدر قرار المحكمة بالحكم على المغيبين بالإعدام؛ وفي حالة القبض على الفارين يعرضون على أقرب محكمة عسكرية لتصديق على حكم إعدامهم".**

لقد أعتمد قرار المحكمة العسكرية في استانبول في الحكم على مصطفى كمال باشا ورفاقه بالإعدام على أمرين الأول جمع الأموال والتبرعات والقتال باسم حركة عسكرية مستقلة بعيدًا عن السلطة المركزية في استانبول. والأمر الثاني إهمالهم لحياة الناس وما يتعرضون لهم من ضرر وأذية على يد قوات حركة تحرير الأناضول القومية. ولكن السؤال هل حقيقة كان قرار المحكمة العسكرية بشأن إعدام مصطفى كمال باشا ورفاقه مبني على هذه الأدلة السابق الإشارة إليها فقط؟ والتي اعتبرت جرائم في نظر المحكمة. إن الناظر لأول وهلة إلى قرار المحكمة العسكرية من حيث الشكل يجده محق في إعدام مصطفى كمال باشا ورفاقه. ولكن من حيث المضمون يجده غير محق في إصدار هذا الحكم بالإعدام. ومن الغريب أن المحكمة العسكرية بعد أن صدقت على القرار؛ قالت في حكمها بأن قرار إعدام مصطفى كمال باشا ورفاقه قدر صدر غيابيًا عليهم. ولكن في حالة ضبطهم واحضارهم؛ فإنهم يتم عرضهم على أقرب محكمة عسكرية للتصديق على حكم الإعدام من جديد؛ فلماذا التصديق مرة أخرى؟! وقد صدر بحقهم تصديق أول من المحكمة التي أخذت على عاتقها إصدار الحكم بالإعدام.

إن المدقق في حكم هذه المحكمة العسكرية يجدها قد أصدرت قرارًا بمصادرة أموال مصطفى كمال باشا ورفاقه داخل استانبول. وذلك لأن الصادر في حقهم الحكم متغيبين. وهذا الحكم بمصادرة أموال المحكوم عليهم غيابيًا لم يصدر مسبقًا من قبل القضاة العسكريين. فلماذا صدر الآن؟! يبدوا أن الأمر برمته متعلق بموضوع الردع النفسي لا التطبيق. وهذا الردع لكل من تسول له نفسه أن يكون حركة مسلحة مستقلة بعيدًا عن الدولة. لهذا ألحقوا بالقرار الخاص بالإعدام أن يتم عرضهم على أقرب محكمة عسكرية في حالة القبض على المحكوم عليهم؛ على أن يتم إعدامهم في نفس اليوم.

وفي نهاية هذا الموضع نقول كلمتنا الأخيرة بأن المادة رقم 382 من القانون العسكري العثماني حينما تنص على: **"أنه في حالة صدور حكم عسكري بحق متهمين مغيبين ولم يقبض عليهم أو لم يسلموا أنفسهم خلال المدة القانونية لتنفيذ الحكم؛ فإن هذا الحكم يسقط أو يعلق مع الزمن. ويصبح غير قابل للتنفيذ. لأنه من أمثلى الأحكام الغيابية التي لم يحضر فيها المتهمون للدفاع عن أنفسهم. كما أن المادة 371 من القانون تنص على:" أنه في حالة أن أحدهم قد سلم نفسه؛ فإنه يجب أن يحاكم محاكمة عادلة. وأن يعامل بالجملة من جملة من يحاكمون من جديد؛ لذا يجب أن تعاد له الدعوة القضائية أمام المحكمة من بدايتها مرة أخرى ولا ينفذ عليه الحكم السابق اصداره بحقه".** وهذه المادة نصها اليوم باللغة التركية الحديثة كالتالي:**"أن الحكم الغيابي الصادر بشأن المحكوم عليهم في الجرائم التي تخالف بنود القانون؛ يسقط عنهم الحكم بالتقادم؛ في حالة عدم التمكن من ضبطهم وإحضارهم خلال المدة الزمنية القانونية.**

وتنص المادة رقم 371 من القانون على:" أنه في حالة إذا سلم المحكوم عليه بالحكم الغيابي نفسه ؛ فإن الحكم يسقط عنه؛ وتعاد الدعوة القضائية له من جديد في أي وقت؛ وذلك لأن الزمان الذي صدر عليه في الحكم الغيابي لم يكن مناسبًا لإصدار مثل هذا الحكم عليه نظرًا لتغيب المتهم عن المحاكمة".

لهذا السبب رفض السلطان محمد وحيد الدين التصديق على قرار إعدام مصطفى كمال باشا ورفاقه. الصادرعن المحكمة العسكرية بنظارة الحربية باستانبول. حيث أنه في حالة تسليم أنفسهم سيلغى القرار بإعدامهم؛ وستعاد المحكمة لهم من جديد. ولأجل ذلك رفض السلطان محمد وحيد الدين ما عرض عليه من قبل خصوم مصطفى كمال باشا في استانبول من إصدار فرمان بإعدام مصطفى كمال باشا ورفاقه. من أعضاء حركة تحرير الأناضول القومية. لهذا السبب لم يعثر على تصديق السلطان محمد وحيد الدين وتوقيعه على قرار المحكمة العسكرية؛ كما لم يعثر على أي فرمان إعدام صادر بحق مصطفى كمال باشا ورفاقه من قبل السلطان محمد وحيد الدين. لقد كان صدور مثل هذا الحكم من المحكمة العسكرية في استانبول في حق مصطفى كمال باشا ورفاقه من الأمور المرة التي لم يستطيعوا أن يستصيغوها. أما ما فعله السلطان محمد وحيد الدين مع مصطفى كمال باشا ورفاقه بشأن رفض التصديق على حكم إعدامهم؛ إلا إذا أجريت لهم محاكمة عادلة؛ كان من القرارات الصائبة للسلطان محمد وحيد الدين.

35.2. معاهدة سيفرس ألم حاد ورجفة مخيفة

في عام 1920م حدثت الفاجعة الكبرى بقبول الدولة العثمانية معاهدة سيفرس Sevres بكافة بنودها؛ وذلك لأن المغلوب في الحرب العالمية الولى عليه أن يخضع لحكم الغالب. وكانت الدولة العثمانية هي المغلوبة أمام دول الحلفاء في هذه الحرب. نعم انتهت الحرب وأتى السلام؛ ولكنه كان سلامًا مرًا؛ إذ أنه جرد الدولة العثمانية من حق استرداد أراضيها؛ مع الحفاظ على سيادة اسمية للدولة العثمانية فقط في هذه الأراضي المسلوبة.

بحلول العشرينات من القرن الماضي، كان المنتصرون في الحرب العالمية الأولى قد أنهوا حسابهم مع المهزومين، واكتمل العمل في إبرام معاهدات التسليم التي قبلتها البلدان التي تنازلت بسبب هذه الحرب العالمية عن بعض أراضيها للحلفاء، ففي ألمانيا بتاريخ 28 يونيو 1919م في مقاطعة فرساي Versailles وقعت ألمانيا معاهدة الإستسلام، وكذلك وقعت بلغاريا في 27 نوفمبر 1919م في نويي Neuilly معاهدة استسلامها أمام دول الحلفاء، كما تم التوقيع على معاهدات مع النمسا في سان جيرمان Sait-Germainبتاريخ 10 سبتمبر 1919م، ومع المجر في تريانون Trianon في 4 يونيو 1920 م، وكانت

الهزيمة الوحيدة غير المعلنة هي هزيمة الدولة العثمانية والتي وقعت معاهدة استسلامها بتاريخ 10 أغسطس 1920م. حيث وقع ثلاثة مدراء تنفيذيين أتراك معاهدة استسلام الدولة العثمانية في تمام الساعة الثامنة والدقيقة الرابعة عصرًا في قاعة المؤتمرات بالمصنع في سيفرس Sevres بإحدى ضواحي باريس الشهيرة بصناعة خزف البورسلين.

إن أحد المدراء الأتراك الذين وقعوا على معاهدة التسليم سيفرس Sevres مع دول الحلفاء قال في أحدى ملاحظاته: **" عندما يتم فحص نص المعاهدة بالتفصيل؛ وخاصة عندما تؤخذ المقترحات المضادة من قبل الدولة العثمانية ووثائق عرضها في الاعتبار، بالإضافة إلى وثيقة الهزيمة التي أعدها الأوروبيون، سيجد أن معاهدة الاستسلام سيفرس Sevres ما هي إلا حرب تدمير وجودي للدولة العثمانية؛ وأن هذه الإتفاقية أعدت خصيصًا وصممت من قبل القوى الإمبريالية الأوروبية لأجل ذلك. وبخاصة أنهم أصروا على طردنا من أوروبا. حيث اعتبرت الدول الأوروبية أن الأراضي الغائبة عن الدولة العثمانية هي منطقة نفوذها فقط؛ ولا يحق لأي أحد العبث بها دون إذنها. وأعتبروا أن الدولة العثمانية قد شارفت على الموت وأنها في مرحلة النزع النهائي للروح. إن الناظر إلى معاهدات الإستسلام التي وقعتها دول الحلفاء مع الدول النصرانية المنهزمة الأخرى لن يجد بإحدى هذه الوثائق التي أنهت الحرب أي شرط من الشروط التي فرضت على الدولة العثمانية، لا تحتوي معاهدة فرساي Versailles ولا معاهدتا سان جيرمان Sait-Germain ونويي Neuilly على مثل هذه الأحكام القاسية التي لا تغتفر التي صدرت بحق الدولة العثمانية".**

إن الناظر إلى معاهدة سيفرس Sevres التي وقعت من قبل دول الحلفاء مع الدولة العثمانية؛ يجدها ليست معاهدة سياسية لانهاء الحرب فقط. بل يجدها معاهدة قد تطرقت لكل شيء داخل الدولة العثمانية من الناحية الإجتماعية والسياسية والعسكرية والمالية. لكن كان بهذه المعاهدة شروط غريبة فصلت خصيصًا من قبل دول الحلفاء للدولة العثمانية. حتى ان بعض المواد منها كانت تهدف إلى تغير ثقافة وسلوك المجتمع العثماني. وكانت بعض بنود الإتفاقية كالتالي: **" وفقاً للمادة 359 من المعاهدة:" على تركيا أن تقوم بإبطال وبتدمير خطوط السكك الحديدية لقطار الحجاز". ووفقاً للمادة 421 الفقرة الـ7: " على تركيا أن تسمح لعلماء الآثار الأجانب بالتنقيب في كافة أرجاء أراضيها بكامل الحرية المطلقة لهم؛ على أن توفر لهم الأمن والأمان؛ ولهم كامل الحرية في اختيار أعوانهم؛ ولا يحق لتركيا الإعتراض على أي شخص من أشخاص البعثات الأثرية أو معاونيهم". ووفقًا للمادة 422:"على تركيا أن تعيد القطع الأثرية التي أخذتها من بعثات التنقيب الأجنبية في أراضيها قبل عام 1914م وتسلمها إلى دول الحلفاء؛ وتمنح مكافأت مالية من قبل**

تركيا لمن يجدون قطع أثرية ويرسلونها للدول الأوروبية". وفقًا للمادة 421 الفقرة الـ2:" تمنع تجارة الرقيق الأبيض للجواري بجميع أنحاء تركيا". وفقًا للمادة 273 الفقرة الـ6:" تمنع جميع المطبوعات والمنشورات التي تستهين أو تسخر من دول الحلفاء". وفقًا للمادة 273 الفقرة الـ7:"تمنع تربية بعض أنواع طيور الحقول الزراعية والتي يتوافر مثلها بدول الحلفاء". وفقًا للمادة 273 الفقرة الـ11:"على تركيا أن تكشف عن كل ثرواتها وما تملكه من مواد معدنية للدول الأوروبية؛ على أنه لا يحق لتركيا استثمار هذه المواد التي توجد في أراضيها دون الدول التي وقعت معها المعاهدة".

ذات دون الحاجة إلى مثل هذه المعاهدة فإن الصدر الأعظم قبل توقيع هذه المعاهدة؛ كان يفعل لدول الحلفاء كل ما يأمرون به دون أي اعتراض؛ وكان سيعطيهم كل ما يريدون سواء وجد هذا الاتفاق أم لا. ولكن السؤال الذي كان يلوح حينها في الذهن: بعد هذه الحرب العالمية إلى أين ذاهبة تركيا ؟!

وسوف نعطي مثالان على محاولة السلطان محمد وحيد الدين تخفيف آثار هذه الاتفاقية على الدولة العثمانية. حيث أرسل السلطان الوالد محمد وحيد الدين تلغرافًا بتاريخ 27 مايو 1920م إلى الملك الإنجليزي جورج الخامس Kral V.George والذي طلب منه مداخلته شخصيًا للتخفيف من شروط معاهدة سيفرس Sevres. وقال السلطان محمد وحيد الدين في هذا التلغراف للملك الإنجليزي:" **إن الإمبراطورية العثمانية في أيام عزها وقوتها كانت تعامل الجميع بما في ذلك الإنجليز بالعدالة والإنصاف؛ وهذا ما يشهد به التاريخ العثماني في التعامل معكم. لهذا أطالب الملك الإنجليزي جورج الخامس Kral V.George أن تكون له الجرأة بعد أن أصبحت دولته هي صاحبة القوة؛ أن يعامل الدولة العثمانية بنفس شعور العدالة والإنصاف في تخفيف شروط اتفاق الهدنة عن الأتراك".** حينها رد الملك الإنجليزي جورج الخامس Kral V.George تلغرافيًا على السلطان محمد وحيد الدين قائلاً:" **إن الأتراك والأسرة العثمانية؛ سيكونون ممنونون بعد ذلك إلى الأبد من الملك الإنجليزي".** لقد كان الملك الإنجليزي جورج الخامس Kral V.George يستخدم أسلوب التمويه والممايعة في التعامل مع الدولة العثمانية بحيث لا يمكن لأحد ان يعرف منه إذا كان قد وافق على تخفيف شروط اتفاق الهدنة أم لا.

وبتاريخ 5 يونيو 1920م أرسل الملك الإنجليزي جورج الخامس Kral V.George عدة تلغرافات إلى السلطان العثماني محمد وحيد الدين. فقال في التلغراف الأول:"**إن حكومات دول الحلفاء فعلت ما بيديها؛ لأجل مستقبل الأتراك".** وقال في التلغراف الثاني:" **على الرغم من ذلك سوف تبذل حكومات دول**

الحلفاء ما في وسعها للتعامل بانصاف مع الدولة العثمانية؛ لأجل تحقيق السلام". وفي التلغراف الثالث أرسل جملة واحدة فقط إلى السلطان محمد وحيد الدين قال فيها:**" فليرضى القدر عنا"**.

ومن أجل تقريب وجهات النظر بين العثمانيين والإنجليز في شأن التخفيف من شروط اتفاق الهدنة القاسية على الدولة العثمانية؛ كلف السلطان محمد وحيد الدين الصدر الأعظم فريد باشا بالتواصل مع وزير الخاريجية الإنجليزي كورزون Gurzon. لهذا أرسل فريد باشا إلى وزير الخارجية الإنجليزي كورزون Gurzon خطاباً قال فيه؛ بأن مندوب الدولة العثمانية السفير العثماني ببرن رشاد خالص بك Reşad Halis Bey في الطريق إلى لندن لأجل التواصل مع خارجية الحكومة الإنجليزية بشأن تخفيف شروط الهدنة مع الدولة العثمانية. وعندما وصل السفير العثماني رشاد خالص بك إلى لندن حاول التواصل مع الخارجية الإنجليزية عبر إرسال خطاب لها من مكتب بريد مركزي بلندن يكون أمين وسريع في إرسال الخطاب إلى الخارجية الإنجليزية.

وعندما لاحظ دول الحلفاء رغبة واصرار الحكومة العثمانية في استانبول بقيادة السلطان محمد وحيد الدين في تخفيف شروط اتفاق الهدنة؛ أرسلت دول الحلفاء حينها خطابًا إلى الحكومة العثمانية يعبر عن حقيقة نظرتهم للدولة العثمانية قالوا فيه:**"...إن دول الحلفاء راعت مع الدولة العثمانية كافة الأصول والأعراف الدولة بكل شفافية أثناء توقيع اتفاق الهدنة معها. بيد أن الدولة العثمانية تريد بعد قبولها بهذه الشروط للتهدئة والسلام أن تقوم بإبطالها. لهذا يبدو أن الدولة العثمانية ربما شاركت في اتفاق الهدنة بنية سوء القصد. إن الدول الكبرى منذ ما يقارب من نصف قرن لم تلاحظ أن الدولة العثمانية قد أخلت بشروط اتفاقتها الدولية معها؛ كما تحاول الآن؛ إن هذا يهدد معنى الصداقة ويشعر الدول الكبرى بالخيانة من قبل الدولة العثمانية. ويدفع الدول الكبرى دفعًا للبحث والتحقيق في الأعمال الإجرامية التي أرتكبت داخل الدولة العثمانية. فما هو الرأي لديكم؟!...إن القائمين على الدولة العثمانية يسألون في تفاصيل دقيقة يحاولون منها الحفاظ على سعة أراضي الدولة العثمانية؛ لكن يبدوا أن الدولة العثمانية تناسب أن جيوش الحلفاء قد هزمت الجيوش العثمانية. وبناءًا على ذلك فلا يحق للمغلوب أن يملي شروطه على الغالب؛ لقد ضحى جنودنا بالغالي والنفيس لكي ننتصر؛ لهذا لا نستطيع أن نقايض على دمائهم أو أن نتفاوض عليها بأي حال من الأحوال. إن الأسطول الروسي والروماني كان على مقربة من سواحل الدولة العثمانية. ودول الحلفاء قامتا بدفع هذا الخطر عنكم. لهذا يجب ان تقدروا أن ما يقارب من مليون مقاتل من جيوش الحلفاء يدافعون عنكم منذ عامين؛ وأن ملايين البشر من عساكرنا وغيرهم قد قتلوا من أجل فتح الطريق للحفاظ على حياة مليار إنسان على سطح الأرض...غير أننا نطمئن الدولة العثمانية بدون شروط أو قيود مأخوذة**

علينا بأننا قد حاربنا لأجل حرية الإنسان؛ لهذا يجب على تركيا أن تلتزم بما ابرمته من شروط اتفاق الهدنة كاملة مع دول الحلفاء. إن ما سوف تدفعه الدولة العثمانية بهذه الشروط قليل بالنسبة لما دفعته دول الحلفاء. وفي النهاية تعلن دول الحلفاء أن للدولة العثمانية أن زمانها قد أوشك على الأفول؛ وأن دول الحلفاء هي التي مازالت تحاول أن تحافظ على بقاء الدولة العثمانية على قيد الحياة؛ لأجل ذلك فكلمة دول الحلفاء الأخيرة للدولة العثمانية هي:" إلتزموا بشروط اتفاق الهدنة دون قيد أو شرط؛ لأننا لا نريد أن نرى الزمان الذي لا توجد به الدولة العثمانية على قيد الحياة"...في بداية الحرب نحن لم نطلب من الدولة العثمانية أن تكون معنا أو علينا؛ لكن الدولة العثمانية هي التي اختارت بيديها فتح الطريق الخاطئ والسير فيه؛ وتجاوزت في هذا السير كل الخطوط الحمراء. لهذا كان الحكم على الدول العثمانية أن تلتزم بما وقعت عليه من اتفاق الهدنة. كذلك لدى دول الحلفاء توثيق ووثائق لكل الأعمال الوحشية والهمجية التي أرتكبتها الجيوش العثماني في حق غير الأتراك؛ من الإفساد والقتل والتهجير والترويع؛ وإلى غير ذلك مما قصرت الدولة العثمانية في حق ضبطه. لهذا كان على دول الحلفاء أن تمنع تكرار مثل هذا الإفساد وتلك الجرائم من قبل الدولة العثمانية في حق غير الأتراك. وهكذا أتخذت حكومات دول الحلفاء قرارها بأغلبية ساحقة بأنه لا يحق للدولة العثمانية التخفيف من شروط الهدنة؛ بخاصة الشروط المتعلقة بالأراضي والولايات المنتزعة من الدولة العثمانية أو أن تفتح باب التفاوض عليها مع دول الحلفاء...وبناءًا على اتفاق الهدنة لا يحق لحكومة الأتراك بالدولة العثمانية أن تعترض على بنود اتفاق الهدنة أو أن تغير فيه أو أن تطالب باسترداد الأراضي والولايات التي غابت عنها؛ وإلا ستعرض الدولة العثمانية نفسها إلى الزوال المحقق...وهكذا كانت دول الحلفاء تعتقد في الأتراك بأنه لا يوجد تركي يمكن الثقة فيه والاعتماد عليه في تنفيذ بنود اتفاقيات السلام الدولية؛ لهذا أتخذت حكومات دول الحلفاء قراراها بأن الأتراك إذا أرادوا العيش بسلام وسعداء فعليهم أن يلتزموا بما أبرموا الإتفاق عليه؛ فليس في مراعاة الأصول والأعراف التركية بالإلتزام بالاتفاقات الدولية خطر على بقاء دولتهم...إذا رفضت الدولة العثمانية التوقيع على باقي شروط الهدنة والصلح؛ فإن دول الحلفاء حينها ستتخذ قرارها الصحيح الحاسم في التعامل بالشكل الذي يتناسب مع وضع الدولة العثمانية".

36.2. الخوف مما ستأتي به اتفاق السلام

والسؤال الذي يطرح نفسه بالرغم من كل الشروط المجحفة والظالمة لحقوق الدولة العثمانية في اتفاقية سيفرس Sevres لماذا وقعت عليه الدولة العثمانية؟!

لأن الصدر الأعظم فريد باشا قد تسرع وأتخذ قرار الموافقة على الهدنة دون الرجوع للسلطان محمد وحيد الدين؛ فأوقع بالسلطان وبالدولة العثمانية أمام دول الحلفاء. لأن الصدر الأعظم فريد باشا كان يخاف من دول الحلفاء؛ وبعد الهزائم المتكررة لجيوش الدولة العثمانية كان يخشى على نفسه وعلى بقاء الدولة العثمانية ذاته. لهذا رأى أن يحافظ على بقاء الدولة ولو شكلاً؛ لا موضوعًا. عبر إرضاء دول الحلفاء على حساب الدولة العثمانية. وفي ذلك يقول فريد باشا:**"لم يتبقَ في أيدينا ما نوفره للدولة سوى الثلج؛ فقد ضاع كل شيء".** فبعد أن وقع فريد باشا الاتفاق مع الحلفاء بصفته الصدر الأعظم أتى بالاتفاق إلى السلطان محمد وحيد الدين في قاعة الخزف البورسلين الزرقاء ليوقعه السلطان ويصدق عليه؛ ولكي لا يرفض السلطان التصديق على الاتفاق أخبر فريد باشا السلطان محمد وحيد الدين بأن كل دول الحلفاء قد وقعت على هذا الاتفاق للهدنة معه؛ ولم يتبقَ سوى توقيع السلطان فقط. وبذلك أجبر الصدر الأعظم فريد باشا السلطان محمد وحيد الدين على القبول باتفاقية سيفرس؛ لأن معنى رفضها بعد توقيع الجميع بما فيهم الصدر الأعظم هو استمرار الحرب.

لقد كان يخشى السلطان محمد وحيد الدين على ضياع مدن الأناضول واقتسامها بين دول الحلفاء بسبب اتفاق الهدنة سيفرس. لهذا كان يحاول أن يخفف من شروط هذا الاتفاق غير أن دول الحلفاء رفضت ذلك بشدة. فقد كان رأي السلطان محمد وحيد الدين أن هذا الاتفاق لن يخرج الأناضول بسلام من أيدي أعداء الدولة العثمانية. وكان أكبر خوفه أن تسقط استانبول عاصمة الدولة العثمانية بيد جيوش الحلفاء بسبب اتفاق هدنة سيفرس؛ والذي يخولهم احتلال ما يشاؤون من اراضي الأناضول ومدنه؛ إذا شعروا مجرد شعور بالخطر على جيوشهم. وفي ذلك يقول السلطان محمد وحيد الدين في مذكراته:

"...إذا ردت دول الحلفاء طلبي في تخفيف شروط اتفاق سيفرس؛ فإن الطريق قد فتح لليونان في الحال للاستيلاء على استانبول عاصمة الدولة العثمانية. لقد أتتني بنود الاتفاق بعد التوقيع عليها بالتلغراف لكي أقرأها؛ إلا أن قيادة دول الحلفاء أرسلت إلي مع هذه البنود عبارة:" لا تخشى من استيلاء عساكر اليونان على استانبول؛ فإن دول الحلفاء لن تسمح بذلك؛ بمقابل أن يتعاون السلطان مع دول الحلفاء للقضاء على المقاومة في الأناضول ضد جيوش الحلفاء. لأن الحق سبحانه لا يريد أن يكلف الناس أكثر مما يستطيعون؛ ولأجل أن ننشر الأمل والتفاؤل معًا في الأناضول. وليس هناك طريق للأمل؛ إلا بقبول اتفاق الهدنة وبالتعاون مع دول الحلفاء".

37.2. إما التوقيع على بنود الاتفاق أو التنصل منه

بتاريخ 10 اغسطس 1920م كانت جلسة التوقيع على اتفاق هدنة سيفرس؛ فلما قرأ السلطان محمد وحيد الدين بنود اتفاق الهدنة انزعج وأرتجف وغلب عليه شعور الاحباط. حتى أنه قال:" **لقد شعرت عند قراءة بنود اتفاق الهدنة بالرجفة والاحباط والانزعاج في بدني وبلمرار في حلقي؛ وبدلاً من أن يقف أعضاء مجلس المبعوثان إلى جواري بشأن التنصل من هذا الاتفاق؛ إذا بهم يتخلون عني؛ ويأتون لي بمصيبة جديدة؛ ألا وهي قبولهم لنصوص اتفاق هدنة سيفرس دون مناقشة أو اعتراض منهم".** ولقد حاول السلطان محمد وحيد الدين أن يؤخر التوقيع النهائي على اتفاق هدنة سيفرس قدر المستطاع؛ لا سيما يجد مخرج من هذا الاتفاق الذي يعني التوقيع عليه؛ التوقيع على نهاية الدولة العثمانية والقبول باحتلال أراضيها من قبل دول الحلفاء. لهذا تعلل السلطان محمد وحيد الدين عند احضار فريد باشا له بالاتفاقية مع مندوبي دول الحلفاء بأنه لن يصدق عليها الآن لا سيما يقوم بدراستها بتمعن ويقوم بتحقيق بنودها.

لقد رأى السلطان محمد وحيد الدين أن اتفاق هدنة سيفرس ليس اتفاق هدنة؛ بل اتفاق هدم الدولة العثمانية. لأن هذا الاتفاق لا يعد في صالح لدولة العثمانية في اي وقت وفي أي زمان على الإطلاق. وفي ذلك يقول السلطان محمد وحيد الدين:" **لقد حاولت أن أؤخر التصديق على اتفاق سيفرس قدر استطاعتي؛ لا سيما أجد مخرجًا للتنصل من هذا الاتفاق. لقد أردت أن أكسب الوقت بعدما أوقعني من أوقعني في مواجهة التصديق على هذا الاتفاق. غير أن أعداء الداخل والخارج قالوا لي:" إذا لم يتم التصديق على اتفاق هدنة سيفرس؛ فإن هذا يعني تنصلي من مهامي كسلطان للبلاد؛ فإما التوقيع وإما أن يسقطوني عن العرش".**

إن الناظر إلى بنود اتفاق هدنة سيفرس لن يجده بأي حال من الأحوال اتفاق هدنة بين غالب ومغلوب؛ بل اتفاق يمضن حقوق للغالب ليست من حقه؛ ويحرم المغلوب من أبسط حقوقه. لهذا لم يكن هناك من حل للتغلب على هذا الاتفاق؛ إلا بحمل السلاح في وجه جيوش الحلفاء في مدن الأناضول المختلفة. فإن انتصار حركة تحرير الأناضول هو الإلغاء الحقيقي لاتفاق سيفرس؛ لأن قواعد اللعبة ستكون قد تغيرت على أرض الواقع. لقد كان الأولى عدم التصديق على اتفاق هدنة سيفرس وتحمل العواقب ورفع غائلة هذا الاتفاق المذل الذي لا يحفظ للدولة العثمانية اي حقوق أو سيادة على أرضها. غير ان الذي حدث غير ذلك.

فبينما كانت بعض الدوائر الشعبية التي انهكتها الحرب ترى ضرورة التوقيع على هذا الاتفاق لوقف استنزاف الأمة ولرأب صدع الجراح؛ كانت هناك شرائح اخرى من المجتمع في الأناضول ترى أنه لا اتفاق

مع الأعداء؛ إلا بعد الأنتصار عليهم. وفي ذلك يقول السلطان محمد وحيد الدين:" **فبينما كنت أرى أنني قد أجبرت على اتفاق هدنة سيفرس؛ إلا أنني كنت أشجع وأدعم الحركات التحررية ضد قوات الغزاة من الحلفاء في الأناضول. لقد كنت محاصرًا بالخونة من كل جانب في استانبول؛ فقبل أن يأتوا لي بالاتفاق لأقراه وأصدق عليه ثم يتبعني الصدر الأعظم في التصديق ثم يتبعه أعضاء مجلس المبعوثان؛ حدث العكس. فصدق عليه الصدر الأعظم قبلي أنا السلطان. ثم ذهب لأعضاء مجلس المبعوثان وصدقوا عليه. ثم أتوا به مع مندوبي دول الحلفاء إلي للتصديق عليه كنتيجة حتمية لما قاموا به؛ لقد خالف الصدر الأعظم وأعضاء مجلس المبعوثان القانون الأساسي العثماني بهذا التوقيع؛ إلا أن قانون الواقع؛ غير القانون المكتوب. فقد أنهوا كل شيء قبل أن يعلموني".**

حينها رأى السلطان محمد وحيد الدين أنه بالرغم من تصديقه على هذا الاتفاق؛ إلا أنه يوجد شيء لابد من القيام به. لقد كان يفكر في توقيع اتفاق آخر مع دول الحلفاء يخفف فيه من حدة الشروط التي فرضت على الدولة العثمانية في اتفاق سيفرس؛ وفي ذلك يذكر السلطان محمد وحيد الدين في مذكراته:"**على الدول أثناء توقيع الاتفاقات الدولية أن تراعي حقوق الآخرين قبل أي شيء آخر. إلا أن اجبار المغلوب على قبول شروط الغالب بدون قيدٍ أو شرط؛ يعني نصرًا للغالب فقط. لقد طلبوا مني أن أخدر الأمة؛ لتقبل بمثل هذا اتفاق. لقد كان يعني القبول باتفاق هدنة سيفرس أن تبتلع الدول الكبرى الدولة العثمانية؛ وبخاصة أن من نصوص القانون الأساسي العثماني؛ أنه قبل قبول أي اتفاق دولي؛ لابد من عرضه على مجلس المبعوثان ومناقشة بنوده. ثم رفع قرار المجلس إلى الصدر الأعظم. ثم لي بصفتي السلطان؛ وأنا بناءًا على ما أتخذوه من قرارات؛ أبدأ في التفاوض مع الأعداء باسم الأمة العثمانية؛ إلا أن الذي حدث العكس فقد قبلوا باتفاق دون مناقشته ثم أتوا به إلي لأصدق عليه؛ ليقال عني بعد ذلك أنني أن السبب في كل ما حدث للدولة العثمانية من مهالك. وعبثًا حاولت أن ألعب على وتر الإلتزام بالاتفاقيات الدولية التي وقعت بين الدولة العثمانية ودول الحلفاء قبل الحرب؛ وعلى ما يشابها من اتفاقيات مع الدول الأوروبية الأخرى؛ وأن أجد حلاً قانونيًا يكون مناسبًا للدولة العثمانية ويقبله قادة دول الحلفاء".**

غير أن مخابرات دول الحلفاء استطاعت أن تشيع بين سكان الأناضول بنود اتفاق الهدنة سيفرس. بل زادوا على ذلك أن الحقوا باتفاق الهدنة شرطًا يمنع السلطان محمد وحيد الدين من التملص أوالتنصل من الاتفاق. حيث أرفقوا بالاتفاق المادة رقم 433 والتي نصت على:"**...يجب التصديق من قبل السلطان العثماني على وثائق اتفاق هدنة سيفرس في أقصر وقت ممكن. وبعد التصديق سيتم التوقيع النهائي على بنود الاتفاق في باريس...ثالثاً عند توقيع الاتفاق النهائي يجب أن يكون المجتمعون الممثلون لدول الحلفاء**

وللدولة العثمانية خارج تركيا للتصديق على هذا الاتفاق النهائي؛ ولا يجب أن تعدل أو تستبدل أو أن تنقل الدولة العثمانية اي بند من بنود اتفاق الهدنة؛ بالمقابل سيقوم ممثلي دول الحلفاء بتعديل ما يرونه مناسبًا من اتفاق الهدنة؛ دون الحاجة للرجوع إلى الدولة العثمانية. منذ تاريخ التوقيع النهائي على اتفاق هدنة سيفرس؛ يصبح ساري التنفيذ اعتبارًا من يوم التوقيع. وبعد التوقيع النهائي على هذا الاتفاق ستحاسب دول الحلفاء الدولة العثمانية على أي تقصير أو اخلال أو تأخير في تنفيذ بنود اتفاق هدنة سيفرس. يعتبر تاريخ هذا التوقيع النهائي على اتفاق الهدنة هو تاريخ دخول المعاهدة حيز التنفيذ".

لقد اعتبرت دول الحلفاء أن المادة 433 السابق الإشارة إلى بنودها هي المادة الحقوقية التي تضمن الحقوق للغالب والمغلوب في الحرب العالمية الأولى. على الرغم من كل ما تضمنته بنودها من ذل وإذلال وتدمير لحقوق الدولة العثمانية. ولكن هنا يطرح سؤال؛ إذن من كان له سلطة التصديق على المعاهدات في ذلك الوقت؟

إن القانون الأساسي العثماني الذي أقره الإتحاديون ينص على:" **أنه عند اي اتفاق دولي يعرض أولاً الاتفاق على السلطان فإذا وافق عليه السلطان يرسله إلى مجلس المبعوثان لاقراره؛ فإذا أقره مجلس المبعوثان؛ يرفع للسلطان مرة أخرى؛ للتصديق النهائي عليه".** غير ان الذي حدث أن مجلس المبعوثان فعل غير ذلك. حيث أقر الاتفاق الصدر الأعظم ثم أرسله إلى أعضاء مجلس المبعوثان فصدقوا عليه دون مناقشة ثم أرسلوه إلى السلطان للتصديق عليه دون أن يعلم السلطان أن الصدر الأعظم ومجلس المبعوثان قد أنهوا اتفاق الهدنة مع الحلفاء. فأصبح ضرورة تصديق السلطان على بنود الاتفاق أمر واقع. لقد كان يعلم السلطان محمد وحيد الدين أن ما قام به أعضاء مجلس المبعوثان خدمة ومكسب كبير لدول الحلفاء على الدولة العثمانية. على الرغم من أن مجلس المبعوثان كان في عطلته الرسمية منذ تاريخ 11 إبريل 1920م؛ ويحق للسلطان محمد وحيد الدين قبول او رفض التصديق؛ إلا أن أعضاء المجلس قد اجتمعوا لقبول اتفاق هدنة سيفرس ثم العودة لإتمام عطلة مجلس المبعوثان. وبالرغم من أن السلطان محمد وحيد الدين حاول أن يماطل دول الحلفاء في التصديق على اتفاق الهدنة؛ متعللاً بأنه لم يرسل شيء حول اتفاق الهدنة إلى مجلس المبعوثان ليصدقوا عليه ويرفعوه إليه. لقد اراد السلطان محمد وحيد الدين بهذه الحجة أن يكسب بعض الوقت من الدول الحلفاء؛ لا سيما يجد مخرجًا من اتفاق هدنة سيفرس كما سبقت الإشارة. وفي ذلك يقول عوني باشا: "**...لقد كان الوضع في الدولة العثمانية صعب للغاية. لقد كان الأعداء من قادة دول يتفننون كل يوم في تفصيل عقاب جديد خاص بالدولة العثمانية. وبخاصة من لويد جورج Lloryd George وكليمنصو Clemenceau واللذان كان يقومان كل يوم بتأنيب المسؤولين العثمانيين بلسانيهما الحادين كأنهما**

يقذفان من فمهما أحجارًا في وجوهنا. وفي كل يوم يقومان بتذكرينا بأن المغلوب عليه أن يلتزم بما يفرضه عليه الغالب؛ وليس له الحق في الإعتراض أو الشكاية. نعم لقد غلبنا في الحرب؛ إلا أن لويد جورج Lloryd George وكليمنصو Clemenceau يذكرنا بأن مسؤولي الدولة العثمانية هم من أقبلوا على توقيع اتفاق هدنة سيفرس Sevres وقبلوها وتعهدوا بالإلتزام بها. حتى أن أوراق هدنة سيفرس أول مرة كانت تقع في يدي وقرأتها احسست بالمرار في حلقي وبرجفة في بدني وبالخوف مما تحمله في طياتها من دمار للدولة العثمانية؛ وبالرغم من ذلك حاول السلطان محمد وحيد الدين مع بعض رجال السطنة أن يناقشوا دول الحلفاء لتغير بعض بنود الاتفاق. وأن يكسبوا الوقت من الحلفاء لأجل ذلك ودارت مناقشات ومحاولة لتحقيق بنود الاتفاق وتفسيره بصورة تناسب الدولة العثمانية ويقبلها قادة دول الحلفاء. لقد قرأنا التلغراف الذي أتى من أوروبا من طرف وزير الداخلية العثماني رشيد بك Reşid Bey الذي يصف فيه موقف دول الحلفاء من محاولة تخفيف حدة شروط اتفاق الهدنة. وفي محاضرة الهدنة التي أعدت من قبل دول الحلفاء في إيطاليا قام رشيد بك وزير الداخلية بالتوقيع على المبادىء الأولى لاتفاق السلام مع دول الحلفاء. وأرسل رشيد بك في تلغرافه لنا يقول:" إنني ما وقعت على اتفاق مبادئ السلام؛ إلا لأمنع إحتلال استانبول من قبلي جيشي الطليان واليونان متحدين بدعم من دول الحلفاء. وذلك خوفًا أن تتكر مأساة إزمير في استانبول مرة أخرى. لقد كان موقف الطليان من احتلال اليونانيين لإزمير ضبابي؛ وغير واضح. لهذا خشيت أن يحدث اتفاق بين اليونانيين والطليان على استانبول فبمقابل أن يأخذ اليونانيين إزمير وغرب الأناضول؛ يأخذ الطليان استانبول. ولقد كنت أفكر في ذلك دائمًا وعقلي متحير؛ كيف لي أن أمنع حدوث مثل هذا الاتفاق بين اليونانيين والطليان على استانبول. فلما وصل خبر هزيمة اليونانيين في غرب الأناضول وتحرير إزمير أثناء وجودي هناك لإتمام اتفاق السلام؛ تشجعت بسبب تغير الوضع على الأرض في غرب الأناضول لصالح الدولة العثمانية. فعرضت على الطليان حينها معرضًا بكلامي؛ أن مصير من يقترب من استانبول؛ كمصير من يحاول أن يقترب من إزمير أو أن يتجرأ على احتلالها. لقد كان اتفاق هدنة سيفرس بالنسبة لي عبارة عن حزمة من الأوراق الممتلئة بالعفن وليس مجرد اتفاق لوقف إطلاق النار. لقد كنت أنظر إلى اتفاق سيفرس على أنه ليس اتفاق هدنة؛ بل اتفاق موت وتدمير للدولة العثمانية". فبينما يقوم ممثلي دول الحلفاء بالضغط على رشيد باشا وزير الداخلية ليقبل باتفاق سيفرس؛ وهو يحاول مقاومتهم؛ ومجادلتهم؛ أتى خبر إلينا كالصاعقة إذ قام مجلس شورى المبعوثان بالتوقيع على الاتفاق وقبوله؛ وأبلغوا الحلفاء بذلك. فمن يتحمل الخطأ والضرر الذي وقع علينا حينها؟! ولم يستطع حينها السلطان محمد وحيد الدين أن يمسك بزمام الأمور؛ لأن زمام الأمور قد خرجت تمامًا عن كلتا يديه. بالنسبة لي لقد حاولت أن أكسب بعض الوقت؛ لعدم تمرير قبول اتفاق سيفرس للهدنة؛

إلا أنني لم أستطع فعل شيء. وعبثًا حاول السلطان محمد وحيد الدين أن يوقف أثر ضرر قبول مجلس شورى المبعوثان ببنود هذا الاتفاق. والذي زعم نوابه أنهم ما وافقوا على بنود هذا الاتفاق؛ إلا لأن الدولة العثمانية مغلوبة على الأرض وضعيفة؛ ولا تستطيع مواجهة جيوش الحلفاء. حينها قام السلطان محمد وحيد الدين بتكليفي أن أقوم على الأرض بتكوين وحدات مسلحة من القبائل التركية في الأناضول لمواجهة أي ظرف طارئ؛ قد يأتينا من قبل جيوش الحلفاء. والذي شحذ همتي على ذلك الإنتصار في غرب الأناضول على اليونانيين؛ وتحرير إزمير وما جاورها منهم. لهذا السبب قال لي السلطان محمد وحيد الدين:" إن كنت قد عجزت عن أن أدفع الآثار الدبلوماسية السيئة الواقعة علينا من قبول اتفاق سيفرس؛ إلا أنني قد حاولت أن أغير الاتفاق عبر تغير وضعنا على الأرض. حينها ستكون لنا الجرأة في أن نطالب برد هذا الاتفاق أو تغير بنوده المدمرة لوجود الدولة العثمانية. إلا أنني كنت احتاج إلى كسب الوقت من الحلفاء لأجل تغيير ذلك. لهذا السبب قمت بإرسال بنود اتفاق سيفرس إلى الرابطة الإسلامية لمسلمي الهند؛ ليضغطوا على قوات الجيش الإنجليزي هناك باسم خليفة المسلمين؛ وذلك لأجل الضغط على الحكومة الإنجليزية؛ للتخفيف من بنود اتفاق الهدنة مع الخلافة العثمانية؛ لهذا السبب عقد مؤتمر الخلافة بقيادة قادة مسلمي الرابطة الإسلامية في الهند بعلم مني. ولقد كنت أرى أن ثورة مسلمي الهند هي السبيل الوحيد الذي يمكنه أن يغير كفة بنود هدنة سيفرس من ضدنا إلى معنا". ولقد وافق السلطان محمد وحيد الدين على كل ما سعيت إليه. ودعمني فيه. إلا أنه قال لي:" في حالة إذا حدث أي شيء سيء فإن الذي سوف يتحمل عاقبة ذلك أمام دول الحلفاء هو أنا. لأنهم سينتقمون مني بحجة؛ أنني رجل لا أحب السلام؛ وأرفض التوقيع على اتفاق الهدنة. وحينها سيجبروني على التنازل عن العرش العثماني".

على الطرف الآخر حاول السلطان محمد وحيد الدين أن يستغل وضع مكة المقدسة ومشاعر الحج بأن يخاطب من خلال الحج مسلمي العالم؛ للضغط على الحكومة الإنجليزية وباقي دول الحلفاء لأجل تغير البنود المدمرة لوجود الدولة العثمانية؛ لهذا أرسل إلى مكة منشورًا وأمر بتوزيعه هناك. خاطب فيه السلطان محمد وحيد الدين مسلمي العالم قائلاً:**"...بالرغم من هزيمة اليونان في إزمير أمام الجيش العثماني؛ إلا أن دول الحلفاء لم تغير موقفها السياسي طبعًا من اليونان. واصرت على دعمها في وجه الدولة العثمانية. لقد حاول بعد الأنتصار على اليونان في إزمير أن أقوم بتغير بنود اتفاق سيفرس لصالح الدولة العثمانية؛ إلا أن دول الحلفاء قد هددتني بأن خلال أربع وعشرين ساعة؛ إذا لم يتم الموافقة على بنود اتفاق هدنة سيفرس؛ فإن هذا يعني إعلان الحرب على الحلفاء. لقد أردت أن أغير بنود اتفاق سيفرس لصالح الدولة العثمانية؛ وكنت أحاول أن أكسب الوقت منهم؛ إلا أنهم حاولوا أن يجبروني على التوقيع فرفضت. ولقد**

طلبت أن يعرض الأمر على مجلس البمعوثان لأكسب بعض الوقت من الحلفاء. إلا أنني فوجئت بأنه بعد تهديد الحلفاء قد وافق على بنود الاتفاق مجلس الحلفاء ومن قبل وافقت الحكومة برئاسة الصدر الأعظم عليه؛ وتواصلوا مع الحلفاء بأنهم قد قبلوا الاتفاق؛ دون الرجوع إلي وأعتدوا بذلك على حق السلطان الدستوري الذي خوله لي الدستور العثماني. لقد كانت موافقة مجلس المبعوثان والحكومة على اتفاق سيفرس يلزمني ان أصدق على هذا الاتفاق بالموافقة. وبالرغم من ذلك حاولت أن أكسب بعض الوقت لأجل تغير بنود اتفاق الهدنة سيفرس".

لقد كان السلطان محمد وحيد الدين صادق في محاولة عدم قبول اتفاق سيفرس للهدنة. وحاول رد هذا الاتفاق او على اقل تقدير تغير بنوده الظالمة بحق الدولة العثمانية. وفي ذلك يذكر صهر السلطان إسماعيل حقي بأن السلطان محمد وحيد حاول أن يتنصل من التوقيع على اتفاق هدنة سيفرس. إلا أن ما قام به الصدر الأعظم فريد باشا بقبول بنود الإتفاق دون عرضه على السلطان؛ ثم دعوته لمجلس شورى السلطنة والمبعوثان بقبول بنود هذا الاتفاق؛ جعل موقف السلطان محمد وحيد الدين أمام القوى الغربية في مأزق؛ فالشخص الوحيد المعترض أمام دول الحلفاء على اتفاق سيفرس هو السلطان محمد وحيد الدين بينما كل أركان دولته قد اتفقوا مع الحلفاء على قبول هذا الاتفاق. وفي موقف السلطان محمد وحيد الدين من اتفاق هدنة سيفرس يذكر إسماعيل حقي بك في مذكراته:"**...بتاريخ 22 يوليو 1920م قام نواب مجلس شورى المبعوثان بإرسال رسالة إلى السلطان محمد وحيد الدين في شكل نصيحة لأجل قبول اتفاق هدنة سيفرس قالوا فيها:" بما أن الدولة العثمانية في حالة ضعف ولا تقدر على دفع الأعداء عن أراضيها؛ وبما أنها تتعرض لتهديد وجود؛ فإنه بالرغم من أن شروط اتفاق سيفرس مجحفة في حق الدولة العثمانية؛ وتعتدي على حقوقها الخصوصية؛ إلا أننا قد وافقنا عليه حفاظًا على بقاء الدولة العثمانية". وبالرغم من ذلك حاول السلطان محمد وحيد الدين أن يكسب بعض الوقت من دول الحلفاء لابطال هذا الاتفاق الذي وقع عليه الصدر الأعظم فريد باشا وأعضاء مجلس شورى المبعوثان بالقبول. وفي مراسلة السلطان محمد وحيد الدين لقادة دول الحلفاء بشأن تأخير تصديقه بقبول اتفاق هدنة سيفرس قال لهم السلطان محمد وحيد الدين تلغرافيًا:" إن القانون الأساسي العثماني يخولني أن أبحث الشروط مع أعضاء مجلس المبعوثان قبل قبولها وعرضها على الحكومة. لهذا أحتاج بعض الوقت لأجل أن أتناقش فيها مع أركان دولتي". وبالرغم من محاولة السلطان محمد وحيد الدين هذه إلا أن اتفاق سيفرس قد مر؛ وقبلته الدولة العثمانية. وبالرغم من رد السلطان محمد وحيد الدين لاتفاق سيفرس؛ إلا أن الظروف قد أجبرته على قبوله؛ بسبب ما قامت به حكومة صهر السلطان الصدر الأعظم فريد باشا مع أعضاء مجلس المبعوثان**

بقبول بنود اتفاق سيفرس؛ دون استشارة السلطان؛ لقد كان فريد باشا يعتبر نفسه أنه في مقام السلطان. وأن قبول السلطان للاتفاق بعده؛ ما هو إلا مسألة شكلية".

لهذا السبب حاول السلطان محمد وحيد الدين أن يستخدم مقام الخلافة لردع الحلفاء وأعوانهم. لأن قبول اتفاق هدنة سيفرس؛ ليس تهديدًا فقط لمدينة استانبول؛ بل تهديد وجودي لوحدة العالم الإسلامي؛ التي ستنتهي بمجرد قبول هذا الاتفاق. لهذا عول السلطان محمد وحيد الدين على اللعب بمسألة الخلافة وبثورة مسلمي الهند على الحكومة الإنجليزية لوقف اتفاق هدنة سيفرس؛ لهذا السبب أرسل السلطان محمد وحيد الدين إلى الرابطة الإسلامية في الهند باسم الخلافة أن الذي سوف يمثلهم في اتفاق التفاوض على استقلال الهند الإسلامي عن الإنجليز؛ كل من طلعت بك وكبير مساعدي السلطان محمد وحيد الدين ورئيس ديوانه عوني باشا من قبل الدولة العثمانية؛ لهذا السبب أرسلهما السلطان محمد وحيد الدين إلى لندن من طرفه لبحث مسألة استقلال الهند الإسلامي؛ وذلك ليشغل السلطان محمد وحيد الدين الحكومة الإنجليزية بمسألة اخرى؛ تلهيها عن التباحث معه بشأن توقيع اتفاق هدنة سيفرس. ليكسب بذلك السلطان محمد وحيد الدين بعض الوقت؛ حيث أنه يرفض القبول بتوقيع اتفاق الهدنة بهذه الشروط الظالمة في حق الدولة العثمانية. وفي ذلك يذكر السلطان محمد وحيد الدين في مذكراته:" **أنا لن أوقع على اتفاق هدنة سيفرس؛ مهما مارسوا علي من ضغط من قبل دول الحلفاء...وكانت كلمتي الأخيرة للموافقين على اتفاق سيفرس من أركان دولتي؛ بأنني أعلم ما سأفعل؛ وسأفعل ما أريد. لقد كنت أريد من ذلك الاعتراض الظاهري أمام أركان دولتي أن أكسب الوقت؛ لكي أستطيع أن أنقذ الدولة العثمانية من الفناء. وأعلم أن هذا الاعتراض كان وسيلتي لتغير بعض بنود الاتفاق...ولكن الذين وقعوا الاتفاق؛ وأوقعوا بالدولة العثمانية أمام دول الحلفاء هل استراحت ضمائرهم؟!؟"**

لقد كانت الحرب داخل القصر السلطان بين طرفان رئيسيان الطرف الأول هو السلطان محمد وحيد الدين وأعوانه الرافضين لاتفاق الهدنة جملة وتفصيلاً؛ ويرون أنه لابد من تغيرات جوهرية في بنوده. والطرف الثاني هم المؤيدين لاتفاق الهدنة مع الحلفاء؛ حتى لو كان به ظلم لحقوق الدولة العثمانية السيادية. لهذا كان اللعب بينهم وبين السلطان محمد وحيد الدين داخل القصر السلطاني على أشده. لهذا السبب كان فريد باشا يقول للسلطان محمد وحيد الدين أنه من الضروري قبول اتفاق هدنة سيفرس؛ لأنه الوسيلة الوحيدة لأن تعود الحكومة الإنجليزية في لندن إلى سابق عهدها معنا في المعاملة بلطف؛ وبذلك سوف تقدر الحكومة الإنجليزية تركيا. فالأصول ان يدلل الطفل من الشخص الكبير؛ والحكومة الإنجليزية هي الطفل الذي يحتاج إلى تدليل من قبل الشخص الكبير أي الحكومة العثمانية. لهذا السبب حاول السلطان محمد وحيد الدين العودة

إلى سياسة القصر العثماني القديمة بالضغط على الحكومة الإنجليزية عبر ورقة الخلافة. فالرغم من اصرار فريد باشا وأعوانه على قبول اتفاق هدنة سيفرس بدون قيد أوشرط من قبل الدولة العثمانية؛ إلا أن السلطان كان يقول له؛ لو أنني قد قبلت بهذا الاتفاق؛ فهل ستنسحب جيوش الحلفاء من الأناضول؟ وهل سيرفع عن استانبول الحصار؟ وما هي الضمانات التي سيعطيها لنا الإنجليز وحلفائهم لضمان استمرار بقاء الدولة العثمانية؟ وقد اخذ فريد باشا هذه الأسئلة وعرضها على ممثلي الحكومة الإنجليزية بالأناضول؛ بحجة أن السلطان يحتاج غلى إجابة مثل هذه الأسئلة؛ لكي يصدق بالقبول على اتفاق هدنة سيفرس. غير أن الحكومة الإنجليزية قد قابلت كل استفسارات السلطان بالرفض؛ وبأنه لا يحق للمغلوب ان يسأل الغالب أو أن يأخذ منه أي ضمانات لبقاء سلامته.

لهذا السبب قام المندوب السامي العسكري الإنجليزي في استانبول الأدميرال دي روبيك Amiral de Robeck بعد توقيع اتفاق الهدنة مع أعضاء الحكومة العثمانية بشهرين أي في تاريخ 20 أكتوبر 1920م بالذهاب إلى القصر السلطان والمطالبة بمقابلة السلطان محمد وحيد الدين؛ والإصرار على تصديق السلطان العثماني على وثيقة اتفاق سيفرس للهدنة حالاً. متذرعًا بأن كل أعضاء الحكومة العثمانية؛ ليسوا في مقام خليفة المسلمين؛ الواجب عليه قبول اتفاق الهدنة؛ كما قبلت بها حكومة رئيس وزرائه. حينها رد السلطان العثماني محمد وحيد الدين على الأدميرال دي روبيك Amiral de Robeck قائلاً:" **الآن لن أستطيع أن أصدق بالموافقة على اتفاق سيفرس؛ والحكومة القومية في الأناضول تتصارع معي؛ أفتريدون أن تعطوا للحكومة القومية ذريعة علي لضرب الدولة العثمانية ومقام الخلافة في مقتل؛ عبر قبولي لمثل هذا الاتفاق".** لهذا السبب بدا الإنجليز في اللعب بورقة الخلافة القريشية في وجه السلطان محمد وحيد الدين. حيث قالوا للسلطان محمد وحيد الدين أن قبولك باتفاق هدنة سيفرس لن يمثل تهديدًا وجوديًا على بقاء استانبول عاصمة الخلافة الإسلامية للعالم الإسلامي. ولو أراد الإنجليز الضرر بمقام الخلافة العثمانية؛ لسمحوا للشريف حسين بمكة أن يعلن نفسه خليفة للمسلمين وهو قرشي وليس تركيًا؛ غير أن الحكومة الإنجليزية حفاظًا على مقام الخلافة واستمراريته في استانبول؛ وضعت الشريف حسين وكل تحركاته تحت المراقبة في مكة؛ كي لا يعلن نفسه خليفة للمسلمين في وجه الخليفة العثماني محمد وحيد الدين. وفي ذلك يقول التلغراف الذي أرسلته الحكومة الإنجليزية إلى السلطان محمد وحيد الدين:"**...منذ عام 1919م والشريف حسين يرسل للحكومة الإنجليزية يستأذنها في إعلان نفسه خليفة للمسلمين. وانتم بصفتكم يا جناب السلطان محمد وحيد الدين خليفة المسلمين القائم؛ فإن الحكومة الإنجليزية رفضت أن تدعم الشريف حسين في ذلك حفاظًا على وحدة المسلمين تحت راية خليفة واحد. ومنعًا ألا يتشتت ولاء مسلمي الهند**

بين ملك العرب الخليفة القرشي الراغب في توحيد كل البلاد العربية بآسيا تحت سلطانه؛ وبين السلطان الخليفة العثماني التركي؛ فإن الحكومة الإنجليزية قد قامت بوضع الشريف حسين تحت المراقبة المشددة؛ ولم تسمح له بإعلان الخلافة والحرب على مقام الخلافة العثمانية في استانبول. لهذا السبب على جناب السلطان العثماني محمد وحيد الدين أن يصدق بالموافقة على بنود اتفاق هدنة سيفرس؛ تقديرًا للحكومة الإنجليزية على منع انتقال الخلافة من الترك للعرب؛ ولمحافظتها على استمرار بقاء خلافة آل عثمان في استانبول".

بيد أنه عندما وصلت اخبار بنود اتفاق هدنة سيفرس إلى الحكومة القومية في أنقرة؛ وعلمت بقبول الصدر الأعظم فريد باشا ببنود اتفاق هدنة سيفرس. قامت الحكومة القومية في أنقرة بتشكيل محكمة الاستقلال بتاريخ 7 أكتوبر 1920م برئاسة كل من مبعوث ولاية أضنة صاحب الجبة والعمامة إخلاص Cebelibereket Mebusu İhlas ومبعوث ولاية عنتاب قلج علي Ayintab Mebusu Kılıç Ali والنائب عن قرية العزيز حسين بك Elâziz Mebusu Hüseyin Bey واصدروا قرار محكمة الإستقلال رقم 1؛ بإعدام كل الموقعين على اتفاق هدنة سيفرس بما فيهم الصدر الأعظم وصهر السلطان فريد باشا.

38.2. السياسات تتغير

في بداية حركة تحرير الأناضول دعم السلطان محمد وحيد الدين مصطفى كمال باشا بكل ما أوتي من قوة. ولقد تعاهد الإثنان على أمران؛ فقال مصطفى كمال باشا في عهد للسلطان محمد وحيد الدين:**"أتعهد بالحفاظ على مقام الخلافة والسلطنة وعلى الولاء للسلطان".** بينما تعهد السلطان محمد وحيد الدين لمصطفى كمال باشا قائلاً:**" أتعهد بدعمك وبدعم حركة تحرير الأناضول لأجل انقاذ الأمة والدولة من الاحتلال".** وبالرغم من كل الخلافات بين حكومة فريد باشا الصدر الأعظم ومصطفى كمال باشا؛ إلا أن العلاقات والمراسلات بين مصطفى كمال باشا والسلطان محمد وحيد الدين لم تنقطع. فمثلاً قام مصطفى كمال باشا بتاريخ 19 يناير 1920م بمراسلة رئيس الديوان السلطاني ناجي بك (والذي سيكون فيما بعد بعدة سنوات قائد البحرية العام) تلغرافيًا؛ وأعلن له إن هدف الحركة التحريرية القومية ليس حرب السلطان محمد وحيد الدين؛ بل العكس من ذلك المحافظة على استقلالية وحكم السلطان من تدخلات الأعداء. لهذا عندما أسسنا حكومة أنقرة كان الغرض من تأسيسها هو أن يكون هناك مركز مستقل عن نفوذ الأعداء في اتخاذ القرارات المصيرية. وقال له أيضًا:**" عليك أن تخبر السلطان بأن كل حركتنا المسلحة وكل جهادنا لتحرير الأناضول يتم باسم السلطان؛ لأنه لا معنى لجهادنا إلا برعاية السلطان له".** ونص رسالة مصطفى كمال باشا إلى ناجي بك للعرض على السلطان محمد وحيد الدين كالتالي:

"السيد البك المحترم؛

قبل كل شيء نشكر الله تعالى الذي مكنا من توحيد صفوفنا في الأناضول؛ ومن الحفاظ على استقلالية الحركة القومية التحريرية الأناضولية من سيطرة الأعداء؛ وأنا اخبركم بأن تشكيلات قواتنا المسلحة بخير وبسلام؛ وبأنها قادرة على تحرير الأناضول من الأعداء. إن الهدف الرئيس من وجود الحركة القومية التحريرية في الأناضول هو دعم السلطان محمد وحيد الدين صاحب الشوكة والحق الشرعي علينا في قيادة حركتنا؛ ونحن لا نبغي من حركتنا تقسيم الرأي السياسي في الأناضول أثناء الصراع من الأعداء؛ بل على العكس من ذلك توحيد الرأي السياسي في الأناضول. وإن كنا نتصرف أحيانًا دون الرجوع للسلطان؛ فذلك نظرًا للظرف السياسي القائم. إن هدف حكومة الحركة القومية في الأناضول هو تحرير جناب السلطان محمد وحيد الدين والأمة العثمانية من غائلة الأسر؛ ومن تسلط الأعداء. ونحن على العهد حتى يستقل السلطان في قرارته؛ وتعود له كامل سلطات السلطان الزمني " السلطان السياسي" إليه. إن الحركة القومية التحريرية الأناضولية ليس من شعاراتها كما يدعي عليها الأعداء الإكتفاء بحدود ومساحة معينة من الأناضول؛ بل على العكس من ذلك تهدف الحركة التحريرية القومية الاناضولية الاستمرار في المحافظة على مقام الخلافة المقدس؛ وذلك لاستمرار الدعم المعنوي والمادي ولاستمرار وجود رئاسة موحدة لجميع أقطار العالم الإسلامي؛ وليس الأناضول فقط. إن غاية الحركة القومية التحريرية الأناضولية هو إعادة بسط سلطان ونفوذ الخليفة محمد وحيد الدين على كل أرجاء آسيا من جديد؛ وأن يتردد اسم الخليفة العثماني خفاقًا في جميع اجزاء قارة آسيا من مشرقها الأقصى إلى شرقها الأدنى؛ لأن هدفنا هو الحفاظ على وحدة الأمة الإسلامية بمختلف أعراقها؛ تحت راية الخليفة العثماني محمد وحيد الدين. وغايتنا أن يستقل مقام الخلافة المقدس من تدخلات الأعداء؛ ليكون بحق رمز وحدة العالم الإسلامي من جديد. ونحن في تحقيق غايتنا هذه نستخدم كل أنواع السبل والحلول لأجل تحقيقها؛ وبالرغم من عجزنا الكامل عن تحقيق بعض الأهداف؛ إلا أننا نبذل ما في وسع طاقتنا؛ وضمائرنا مستريحة إلى ذلك. وفي لقائي الأخير مع سلطاننا العزيز محمد وحيد الدين قد عرضت عليه خطتي لأجل تحرير الأناضول؛ وقد وافق عليها؛ وفي قناعتنا أن السلطان داخليًا غير معترض على ما تقوم به حكومة الحركة القومية التحريرية في الأناضول؛ لأنها تصب في مصلحة الأمة والدولة وفي الحفاظ على مقام الخلافة. وسيأتي اليوم الذي سيتحرر فيه كامل التراب الأناضولي كاملاً تحت اسم السلطان محمد وحيد الدين. وأنا ورفاقي لا ننسى الدعم المعنوي والمادي الذي قدمه لنا السلطان محمد وحيد الدين قبل بدء تأسيس حركتنا

لتحرير الأناضول. وليكن في معلومك ناجي بك نحن لم ولن نغير قناعتنا وموقفنا من السلطان محمد وحيد الدين. لهذا السبب أرجوا منك ناجي بك أن تعرض هذه النقطة الأخيرة التي توضح موقفنا على السلطان. إن كل القرى والمدن والمقاطعات التي استولت عليها القوى القومية لتحرير الأناضول؛ كلها تلهث بالدعاء للسلطان محمد وحيد الدين باعتباره خليفة المسلمين؛ وبالرغم من كثافة الضغط والأعباء المحملة على أكتافنا؛ إلا أننا لا ننسى أبدًا الحفاظ على قدسية مقام الخلافة في كل أعمالنا؛ وليعلم جناب السلطان محمد وحيد الدين ان كل قرية أو مدينة تدخل في الأناضول تحت سيطرتنا؛ إنما هي في الحقيقة تدخل تحت سيطرت وسلطان السلطان محمد وحيد الدين. لهذا لا يجب ان يقلق جناب السلطان من هذا الجانب؛ ويعتقد بأننا سوف نستقل بكل ما وقع تحت أيدينا عنه. لقد اتفقت كل القوى القومية التحرورية على الولاء المطلق للسلطان محمد وحيد الدين؛ لهذا أرجوا منك ناجي بك أن تعرض هذه البشارة أيضًا على جناب السلطان محمد وحيد الدين. وليعلم أن جناب السلطان أن عزة الأمة وسبب انتصارها على أعداءها هو وحدة صفوف أبناءها واجتماع كلمتها على سلطان واحد تقاتل باسمه لأجل أن يأتي اليوم الذي يتحقق فيه أمل السلطان وأملنا من طرد الأعداء وتحرير الأناضول منهم. وإننا نعلم يا جناب السلطان ما يقوم به نواب مجلس المبعوثان من مخالفتك وعدم الإنصياع لأمرك؛ وهذا على خلاف القوى القومية الأناضولية التي تنصاع لأمرك وتحارب باسمك؛ وليس لها من هدف إلا استقلال إرادة السلطان عن أعدائه ومعارضيه؛ لهذا ندعوا الله أن ينصرنا لأجل تحقيق أملنا في تحرير سائر التراب الأناضولي ومن أجل توفير الأمن والأمان والحماية الكريمة لجناب السلطان محمد وحيد الدين من قبل أمته؛ وجنوده في الحركة القومية التحريرية الأناضولية. فاستقلالنا؛ يعني استقلال السلطان. وانتصارنا؛ يعني انتصار السلطان. وحريتنا؛ تعني حرية السلطان. لهذا السبب ولأجل شرح ما نقوم به في خدمة السلطان؛ وتحرير سائر ترابنا المحتل من قبل الأعداء؛ أرسلت إلى جناب السلطان محمد وحيد الدين ناظر البحرية القديم رؤوف بك مع نائب مجلس القوى القومية بحكومة انقرة بكر سامي Bekir Sami ممثلاً عن نواب مجلس حكومة أنقرة؛ وقد ذهبا بالفعل إلى استانبول؛ لهذا أتشوق إلى عطف ومرحمة السلطان محمد وحيد الدين بأن يغمرهما بشرف المثول بين يديه؛ لعرض ما تقوم به الحركة القومية لتحرير الأناضول على جنابه الشريف. وأعتذر عن المثول بين يديكم الكريمة؛ وذلك لأن الظروف لا تسمح لي بذلك. وأعلن من خلال رسالتي هذه وفائي وصداقتي وولائي للسلطان محمد وحيد الدين؛ وكثيرًا ما أفكر في كيفية لقاءكم جناب السلطان؛ كما كنا نتقابل من قبل؛ إلا أنني إن لم أستطيع لقائكم الآن؛ فأعلم يا جناب السلطان بأنه حتى آخر نفس في حياتي أنا على ولائي لك؛ لأن مقام الخلافة والخليفة هي السماء التي نستظل بها في حرب الأعداء. وإن كنت محرومًا من لقائكم الآن؛ إلا أنني على يقين بأنه سوف يأتي اليوم الذي نلتقي فيه. لهذا أطلب من جناب السلطان محمد وحيد

بصفته الخليفة أن يصرف معونات شهرية لأسر العلماء المجاهدون معنا على جبهات القتال من رعاياك؛ وما أنا إلا وسيلة للتوسط في ذلك الأمر. مع خالص إحتراماتي وتقديراتي ورجائي لسطاني العزيز.

مصطفى كمال باشا".

لكن مع الأسف قد وقعت محتويات هذا الخطاب في يد المخابرات الإنجليزية باستانبول بتاريخ 12 فبراير 1920م وأرسلت ما تضمنه هذا الخطاب نصيًا إلى الحكومة الإنجليزية في لندن. وذلك مع التقارير الدورية والأسبوعية التي كانت ترسلها عناصر المخابرات الإنجليزية في استانبول إلى لندن. وكان في تقرير المخابرات الإنجليزية المرسل إلى لندن تلغرافيًا تحليلاً من قبل عناصر المخابرات الإنجليزية في استانبول؛ حيث أرسلوا إلى لندن يقولون:" **إن التلغراف الذي وصل من طريق مصطفى كمال باشا إلى السلطان محمد وحيد الدين؛ يمنح السلطان الثقة في نفسه. ويطمأنه على أوضاع عمليات القتال في الأناضول؛ وبأن الحركة القومية ليست ضده بل معه. ولقد تسلم التلغراف باشكاتب الديوان السلطاني وسلمه للسلطان؛ على أن هذا الباشكاتب سيكون هو وسيلة رد السلطان محمد وحيد الدين على مصطفى كمال باشا".**

لكن السؤال هنا هل أرسل السلطان محمد وحيد الدين جوابًا بالرد على رسالة مصطفى كمال باشا أم لا؟! حقيقة لا نعرف. فإن كان قد أرسله فأين هذا الخطاب؟ حتى هذا اليوم مازال رد السلطان محمد وحيد الدين على خطاب مصطفى كمال باشا مجهولاً وليس معنا دليل قطعي بين أيدينا هل رد السلطان على الباشا أم لا!

بيد أنه من الغريب أن هدف حكومة أنقرة تغير فجأة من المحافظة على مقام حكومة الخلافة إلى غير ذلك. فبعد دخول قوات الحلفاء إلى استانبول بدأت حكومة أنقرة تنادي بالمحافظة على مقامي السلطنة والخلافة؛ ولكن من دون وجود الخليفة محمد وحيد الدين. وكان ذلك الإعلان منهم أثناء اشتداد القتال بين الحركة القومية التحريرية للأناضول وقوات الحلفاء. ثم أتت المرحلة الثالثة لدى حكومة أنقرة والتي أعلنت فيها أن الزمان قد عبر من نظام السلطنة أنه أولى بنا الحفاظ على مقام الخلافة دون السلطنة؛ لهذا السبب لم يعد في حسبان حكومة أنقرة انقاذ السلطان محمد وحيد الدين من عدمه. لقد رأت حكومة أنقرة أن مقام السلطان السياسي للسلطنة قد أسقط عنها بفعل الواقع المتمثل في حكومة أنقرة التي أصبحت هي الممثل الشرعي الأقوى في البلاد؛ لهذا بعد كل هذه التضحيات على مقام السلطنة أن يلغى وأن يصبح مقام الخلافة مقام شرفي مجردًا عن سلطات السلطان السياسي للسلطنة والذي أنتقل بحكم الواقع فعلاً إلى القائمين على حكومة أنقرة. والذي ساعد مصطفى كمال باشا على تحقيق وجهة نظره في فصل السلطان السياسي

"السلطنة" عن السلطان الروحي الديني "الخلافة"؛ هو توقيع حكومة السلطنة في استانبول على اتفاق الهدنة سيفرس؛ مما دفع القوى التحريرية القومية في الأناضول إلى أن تعلن عدائها لحكومة استانبول؛ وبذلك اختلفت وجهات النظر السياسية حول أسلوب تحرير الأناضول والذي سيتحول إلى صراع عسكري محتدم فيما بعد. وفي ذلك يقول مصطفى كمال باشا:**" إن ما أقترفت ايادي حكومة استانبول بقبول التوقيع على اتفاق هدنة سيفرس؛ فتح الطريق إلى فكرة عهد يجمع بين النظامين الجمهوري والخلافي معًا؛ ولم يعد من الضروري المحافظة على مقام السلطنة إلى جوار مقام الخلافة".**

وفي فصل الربيع من عام 1920م أختلف مصطفى كمال باشا عن مصطفى كمال باشا السابق الذي كان يتعهد بالمحافظة على السلطنة والخلافة وحماية وسلطات السلطان محمد وحيد الدين؛ إلى شخص آخر أعلن أن هدف حرب الإستقلال إعلان النظام الجمهوري. بل زاد على ذلك ففي تاريخ 24 إبريل 1920م دخل مصطفى كمال باشا إلى المجلس القومي للأمة التركية في أنقرة وأعلن الآتي:**" لم أكن أتخيل أن يوافق السلطان محمد وحيد الدين على معاهدة سيفرس؛ ولم أكن أتصور أنه لم يعد يهتم بالمحافظة على شرف وإرث أجداده وأجدادنا؛ إذ وافق على دخول قوات الحلفاء إلى استانبول وأخذها وهي عاصمة السلطنة والخلافة معًا...أنا شخصيًا لا أستطيع أن أفكر حاليًا في أي شيء؛ حتى أستمع إلى حجة سلطاننا؛ إذا كانت لديه حجة فيما فعل؟! لا أريد أن يقول السلطان محمد وحيد الدين لي ولكم أنه اجبر على كل ما حدث؛ ووافق على اتفاق الهدنة واحتلال استانبول تحت الضغط الذي قد وقع عليه؛ لهذا علينا أن نحدد موقفنا من السلطان محمد وحيد الدين بعد كل ما حدث. فهو مازال سلطان البلاد الشرعي".** لقد كان هذا الخطاب آخر خطاب استخدم فيه مصطفى كمال باشا كلمات مثل سلطاننا وسلطان البلاد. لأنه بعد هذا الخطاب بفترة وجيزة ستبدأ شخصية مصطفى كمال باشا الأخرى في الظهور؛ وفي إعلان العداء للسلطان محمد وحيد الدين.

39.2. في الجلسة السرية تصبح الكلمات قاسية

بسبب توقيع الحكومة العثمانية اتفاق هدنة سيفرس؛ عقدت جلسة سرية لمجلس الأمة التركية القومي في أنقرة؛ تحديدًا بتاريخ 25 سبتمبر 1920م. حينها أعلن مصطفى كمال باشا بأن تركيا قد عبرت إلى العصر الثاني. وقال:**" وقال لم يعد الزمان مناسبًا لبقاء نظام السلطنة والخلافة معًا. ولم يعد الوقت مناسبًا أن نقدم لهذا النظام كل الأعمال والتضحيات التي قمنا بها لأجل أن يستمر على قيد الحياة؛ كيف للقائمين على سدة الحكم في أنقرة أن يمكنهم انقاذ سلطان وخليفة أسير في يد الأعداء؟!".** حينها عقب بعض أعضاء المجلس بعد أن بدأت أصواتهم في العلو والإختلاف بشأن السلطنة والخلافة والسلطان محمد وحيد

الدين. وقالوا لمصطفى كمال باشا:" **على الباشا أن يعرض وجهة نظره".** حينها نظر إليهم مصطفى كمال باشا مخاطبًا لهم:" **أيها السادة إن هذه الأمة مازال في ذهنيتها الطاعة العمياء للسلطان الخليفة. ويرون أن بيعة الخليفة وطاعته من العقائد. لهذا السبب بالتفكر في هذا الأمر نجد أنفسنا مجبرين على طاعة السلطان الخليفة وعدم عصيانه. غير أننا يجب أن نمسك زمام الفكر من ناحية أخرى؛ غير التي يفكر بها العوام. وذلك لكي لا نخضع في سلطاتنا وقرارتنا لسلطان وحكومة أسيرة بيد الأعداء في استانبول. لهذا أعلن بأنه اعتبارًا من الآن فهدفنا الحفاظ على مقام الخلافة دون مقام السلطنة. ودون المحافظة على انقاذ السلطان محمد وحيد الدين. وأعلن أنه بدءً من هذا الاجتماع فإن الأوامر ستخرج إلى كل الجهات من أنقرة؛ وليس من استانبول. فالأوامر ستخرج من عند أنفسنا؛ وليست من عند السلطان".**

حينها قام نواب مجلس حكومة أنقرة بالتعقيب على مصطفى كمال باشا. فنجد البصري بك Basri Bey المشهور بلقب الكراسي Karesi يقول:" **لقد تم احتلال مركز الخلافة؛ مما يعني أن الخليفة غير مؤهل للإستيفاء بمهام وظيفته كخليفة للمسلمين؛ وحاشا وكلا أن أكون أنا الشخص الذي يسقط مقام الخلافة. لكن اختيار الخليفة يحتاج إلى شورى بين كل المسلمين؛ وهذا غير متوفر في السلطان محمد وحيد الدين".** أما تونالي حلمي بك Tunali Hilmi Bey فقال:" **يا أصدقائي الأعزاء في هذا المقام علينا أن نذكر الحق بانصاف؛ لقد وافقت الحكومة وأعضاء مجلس المبعوثان على اتفاق هدنة سيفرس. وأجبر السلطان على الموافقة عليها. وخليفة المسلمين لن يستطيع الهرب من ذنب التوقيع على مثل هذا الاتفاق؛ لكنهم رأوا في استانبول أن هذا هو الحل الأنسب لهم. والحق سبحانه وتعالى قد ألزم في شروط اختيار الخليفة أن يكون صاحب عقل وكمال ودراية بأمور الدنيا والدين؛ وهذا ما لا يتوافر في خليفتنا مع الأسف".** حينها عقب عليه بصري بك قائلاً:" **نعم، صحيح. منذ الآن السلطان محمد وحيد الدين غير موجود بالنسبة لنا؛ ولا يمثل خليفة المسلمين. لكن مقام الخلافة هو الموجود فقط".** حينها نظر نواب مجلس الأمة التركية في أنقرة إلى مصطفى كمال باشا الذي قال لهم:"**المهم واللطيف في هذا الأمر أن أنقاذ الخلافة والسلطنة متوقف علينا نحن؛ وبالتالي علينا نحن أن نحدد شكل النظام السياسي الذي يناسب المحافظة على مقام الخلافة. لهذا نرى أنه يجب الفصل بين مقامي السلطنة والخلافة؛ وذلك بفصل السلطان السياسي عن السلطان الروحي الديني المتمثل في الخلافة. ولن نجد أفضل منك مصطفى كمال باشا من تولى إدارة أمور شؤون البلاد السياسية. وبناءًا على ذلك فلابد من إلغاء مقام السلطنة مع المحافظة على مقام الخلافة. غير أننا إلى ألان لا نستطيع أن نحدد الموقف من شكل مقام الخلافة ومهام الخليفة. فأنتم يا مصطفى كمال باشا تعلمون أن العالم الإسلامي؛ لا يستطيع أن يحي دون مرجعية أساسية تقوده. وهذه المرجعية تتمثل**

في مقام الخلافة والخليفة. فالمسلمن لا يتقبلون المنطق العقلي من أن مقام الخلافة لم يعد له أهمية في العصور الحالية. وبالرغم من ذلك فإن من مهام الخليفة وشروط توليه الحكم ألا يقع في المحظور؛ وقد فلت من السلطان محمد وحيد الدين عدة محظورات جعلته من المخلين بمقامي الخلافة والسلطنة معًا. لقد حاربنا باسم الخلافة والسلطنة معًا؛ وسيكون علينا الآن أن نوضح للأمة ما هو موقفنا من السلطنة والخلافة ومن السلطان محمد وحيد الدين. نحن نعلم أن الأمر سيكون صعب على الناس لكي يتقبلوه. لهذا نرى بصفتنا قادة الجهاد الفعلي لتحرير الأناضول من الأعداء؛ أن مقام مناقشة حكم الخلافة والسلطنة؛ وشرعيتها من عدمه؛ وحكم اختيار الخليفة ليس جائزًا في هذا المجلس... لكن مع الأسف بما أن مركز الخلافة في استانبول سقط في أيدي الأعداء وأصبح الخليفة أسير؛ وأهان مقام السلطنة السياسي باتخاذ القرارات الخاطئة؛ لهذا نرى أن السلطان الخليفة محمد وحيد الدين خائن للأمة وللوطن بكل تأكيد...فالسلطان الخليفة من صفاته أن يكون قوي وشجاع وجسور ولا يخاف من مواجهة الأعداء؛ لا أن يخاف منهم ويخشى مواجهتهم وينشغل بالافساد بدلاً من الإصلاح. لهذا لما رأينا تجرء السلطان الخليفة محمد وحيد الدين على الافساد في الأرض والجهر به؛ أعلنا بأن هذا الرجل قد أخل بمهمام السلطنة والخلافة وأنه لم يعد له سلطان أو حكم أو ولاء علينا. لقد رسم السلطان محمد وحيد الدين نهاية حكمه بكلتا يديه. ونحن إذ نرد بيعته علينا وطاعتنا له؛ لا نردها بالدليل العقلي؛ بل بدليل الغباء السياسي الذي وقع فيه...إن هذه الأمة في ذهنيتها وفكرها دائمًا إطاعة السلطان والخليفة. ويرون أن مقام الخلافة مقام مقدس لا يجب أن يمس. لكنهم لا يفكرون أنه إذا كان الخليفة ذاتًا مخل بمقامي الخلافة والسلطنة هل تجب طاعته؟! لقد انتهى عصر الإجبار على الطاعة والولاء لحكومة وخليفة استانبول. ومنذ الان فصاعدًا فإن كل القرارات والأوامر لكافة الأنحاء في الأناضول ستخرج من عند أنفسنا دون الحاجة للرجوع إلى حكومة استانبول وخليفتها. وما سوف نريد القيام به سوف نفعله. فالمرجعية منذ الآن هي أنفسنا. لكن علينا ألا نتعجل في عرض هذا الأمر على الأمة في الأناضول. بل علينا أن نثبت العلاقة بين السلطان محمد وحيد الدين والإنجليز؛ وأنهما معًا يعملان ضد مصلحة البلاد والعباد. حينها سيكون هناك أمل في أن تلتف حولنا الأمة في حرب أعدائها السلطان والإنجليز معًا. وحينها فقط نستطيع أن نسقط منزلة السلطان محمد وحيد الدين وصحة خلافته من النفوس...حينها سنسأل المعترضين علينا عدة أسئلة:" أين هو خليفتكم؟ هل خليفتكم أسيرًا؟ وأين موقف خليفتكم وسلطانكم من كل الحروب التي وقعت في الأناضول؟ وما هو جوابكم الذي سوف تعطونه لنا؟ هل ستقولون أن الخليفة أسير؟...فالخليفة الأسير؛ لا يستحيل أن يكون سلطانًا".
ومن جهة أخرى سوف نخاطب المعترضين علينا قائلين لهم:"إن السلطان الذي تتوافر له القوة؛ ولا يستخدمها؛ لا يستحق أن يكون هو الخليفة الشرعي للمسلمين؛ بل سيكون الخائن الأول لحركة تحرير

الأناضول. وبناءً على ما سبق لا يستحق الخليفة الذي ساعد الأعداء على احتلال بلاده أن يكون هو السلطان والخليفة معًا؛ وهذا غير جائز شرعًا طاعته حينها. لأنه كيف سيحكم المسلمين وهو في كنف الأعداء؟ ولكن أين نجد خليفتنا وسلطاننا الحقيقي؟! فإذا كان الخليفة محمد وحيد الدين يريد أن يحافظ على مهابة مقامي السلطنة والخلافة؛ فعليه أن يخرج من الأسر في استانبول ويثبت حسن نيته لنا؛ وينتقل إلينا في أنقرة على الفور؛ لإنه إن لم يفعل يحق لنا أن نختار خليفة آخر غيره؛ لا يخل بمهام شروط السلطنة والخلافة". وهكذا لن يستطيع أحد أن يعترض علينا؛ لأنهم بماذا سيجبون علينا؛ إذا سألناهم أين السلطان الخليفة؟! وبماذا سيجبون علينا إذا قلنا لهم أن يقع مقام الخلافة والسلطنة الآن؟! هل سيستطيعون أن يقولوا لنا بأنهما تحت الاحتلال والأسر؟! فشرط السلطان ألخليفة أن يكون صاحب القوة والقدرة على قتال الأعداء وأن يكون على رأس كافة الأمور بنفسه؛ فإذا لم يفعل ذلك وسلم البلاد والعباد للأعداء لم يعد له علينا فرض السمع والطاعة والولاء... يعني نحن سوف نثبت للمعترضين علينا في جعل الأوامر تصدر من أنقرة بدلاً من استانبول؛ أننا ما خلعنا طاعة مقامي السلطنة والخلافة في أي وقت؛ وأنهما فوق رؤوسنا؛ ولكننا خلعنا طاعة السلطان الخليفة محمد وحيد الدين لممالأته للأعداء على حساب الأمة والسلطنة والخلافة...فمقصدنا ليس فناء العداء داخل هذه البلاد؛ ولكنا مقصدنا أن نحقق معنا السعادة الحقيقية والسلامة لأفراد أمتنا. لهذا السبب فكرنا في وضع خطوط وحدود معينة في التعامل بين سلطتنا وبين سلطة استانبول؛ وما فكرنا في ذلك؛ إلا من أجل نهضة أمتنا ومن أجل تحقيق الاستقلال. ولا نهوض لنا إلا باستقلال قرارتنا عن حكومة استانبول. لهذا السبب لم يكن في نيتنا في أي وقت من الأوقات أي قصد سيء ناحية مقامي الخلافة والسلطان؛ ولم نفكر في يوم من الأيام أن يكون السلطان محمد وحيد الدين هو عدونا. لكن بعد التصديق على اتفاق هدنة سيفرس من قبل السلطان وأركان دولته؛ لم يكن أمامنا من طريق إلا رد هذا الاتفاق والعداء لكل من وقع على هذا الاتفاق. لأن من صدق على هذا الاتفاق انتقل من صف الأمة إلى صفوف الأعداء...أيها السادة فكما ننظر مثلاً إلى الإعتماد على القوة ؛ علينا أن نأخذ بعين الاعتبار حساب نقطة الأخلاق إلى جوار القوة. أيها الأخوة والأخوات يجب علينا أن نأخذ زمام الأمور بالقوة والحسم؛ فالضعيف دائمًا محكوم من قبل القوي صاحب القوة. فكل مبادئ الإنسانية والعادلة تبقى في الدرجة الثانية بعد مبدأ القوة. فقبل أي شيء لابد من القوة ثم القوة ثم القوة".

وفي عام 1921م بدأت الأوضاع بين حكومتي استانبول وأنقرة في التصادم والتعقيد. وفي تاريخ 8 فبراير 1921م عقدت جلسة سرية في مجلس الأمة القومي بأنقرة وأرسلت منه شروط السلام إلى مجلس العموم البريطاني الذي عقدت فيه هو الآخر جلسة سرية عنوانها محاضرة السلام في نفس اليوم؛ وحدثت

بمجلس العموم البريطاني مناقشات ومجادلات بشأن الموقف من السلطان محمد وحيد الدين؛ إلا أن المجلسان بأنقرة وبلندن قد اتفقا على ضرورة عزل السلطان محمد وحيد الدين عن العرش العثماني. ففي مجلس أنقرة؛ قال حاجي أحمد أفندي الموشلي Muşlu Hacı Ahmed Efendi:**"...الآن أصبح اسم الخليفة منعزلاً عن اسم السلطان؛ فمقام الخلافة مقدس؛ ومقام السلطنة غير مقدس. ومقام الخلافة يكن حاضرًا لدى السلطان محمد وحيد الدين عند توقيع اتفاق هدنة سيفرس؛ فإن قبول مثل هذا الاتفاق جعل الأمة تبحث لها عن خليفة آخر يقودها في مثل هذا الظرف الصعبة...وأنا لن أتكلم على مقامي الخلافة والسلطنة من بابي المدح أو السوء؛ ولكن إذا قمت بعرض هذا الأمر عليكم أو على الأمة سأجد أن الخلافة أصبحت عاجزة عن انقاذ مقام السلطنة؛ ومقام السلطنة عاجز عن انقاذ الخلافة؛ وهذا العجز نتج عنه تسليم كل شيء للأجنبي المحتل؛ ولم يعد بعد ذلك اي أمر أخر يحتاج إلى شرح ووضوح أو عدم فهم".**

أما إسماعيل صفا بك المرسيني Mersinli İsmail Safa Bey فقال:**"بعد سحق وخداع حكومة استانبول لحكومة الأناضول؛ لم يعد هناك شيء آخر نستطيع أن نفعله للتواصل معهم. فقد قطعوا كل خطوط الاتصال والتواصل معنا؛ مرة بالفتاوى التي تكفرنا ومرة بتسليم مواقع السلاح العسكرية في استانبول لجيوش الأعداء؛ بل والسير في حماية الأعداء وفي فلكهم. لا يوجد أي واسطة الآن قد تنجح في إصلاح العلاقات بيننا وبين حكومة استانبول؛ فبعد هزيمة الجيوش العثمانية؛ نحن الذين قمنا بتجميع أنفسنا للقتال ضد الأعداء. و بغض النظر عن الناس في اسطنبول ومهما كانت طبيعتهم. فإن الملاحظ أنهم على نفس ملة حكامهم؛ ويرون أن حكومة أنقرة حكومة خارجة عن الخلافة والسلطنة حسب دعواهم في حقنا...لقد قال سكان استانبول بكل صراحة أنهم قد اختاروا البعد عن الوطن أو الالتحاق بركبه وبركب حركة مقاومة تحرير الأناضول؛ لهذا فالوطن كله في الأناضول قلق من موقف استانبول وأهلها من الأناضوليين. فالنسبة لهم نحن عبارة عن مغنيين وقطاع طريق كما يقولون عنا...الآن الحقيقة قد كشفت في استانبول وتغير وضعها إلى عكس ما كان يتوقعه سكانها؛ نحن لسنا ضدهم في أي شيء ولم نعمل على حربهم. وسيأتي الزمان الحق الذي سيتبين فيه لسكان استانبول أن كل ما أقدموا عليه هو الخطأ؛ وأن حكومة أنقرة وسكان الأناضول على صواب؛ وسيأتي زمان ستدخل استانبول تحت سلطاننا؛ وحينها سيكون القرار المطلق فيها لنا؛ لكنهم يظنون أن هذا الزمان لن يأتي؛ لكنه سيأتي".**

أما حمدي نامق بك الإزميتي İzmitli Hamdi Namık Bey فقال:**"...إذا لم نكن على طاعة السلطان محمد وحيد الدين؛ فلا يجب أن نتركه يستمر على العرش؛ بل علينا أن نعزله عنه. هذا ليس وقت اللعب الصحيح؛ بل وقت الحسم".**

من ناحية أخرى قال محي الدين باحا بك البورصوي Bursali Muhiddin Baha Bey فقال:"**إن أذهان الناس في استانبول مختلفة عن أذهاننا في الأناضول. فذهنيتنا أن ننقذ أمتنا مما هي واقعة فيه؛ أما ذهنيتهم هي الخوف والحفاظ على مصالحهم الشخصية على حساب مصالح الوطن. فنحن الأناضوليين نفكر في تحرير الروح وفي طريقة الميلاد الجديدة للوطن؛ وهم يتمسكون بإرثهم القديم " يقصد أنهم مركز الخلافة والسلطنة". ونحن لهذا لا نستطيع أن نتفاهم مع الإستانبوليين أو أن نتفق معهم".**

أما مصطفى كمال باشا الأنقراوي[69] فقال:"**...إن قبول السلطان محمد وحيد الدين لاتفاق هدنة سيفرس يعني؛ أن السلطان قد طلق مقام الخلافة. وبخاصة أن مجلس شورى السلطنة قد وافق على الاتفاق؛ ولم يبدي السلطان أي أعتراض عليهم؛ على الرغم من أن هذا الاتفاق يكبله ويجعله أسيرًا؛ وبناءًا على ذلك ليس بأيدينا أي شيء نقدمه لسلطانٍ قد كبل نفسه. إن ما حدث إهانة لمقام الخلافة؛ فإذا أراد السلطان محمد وحيد الدين أن يحافظ على قدسية مقام الخلافة فعليه أن يتنازل عن العرش ويتركه؛ لأنه بالفعل قد تركه منذ أن قبل بالأسر. بيد أننا لم نكن نرغب في أن نقر بمثل هذا الإعتراف...فنحن لا نستطيع أن نحارب تحت قيادة السلطان محمد وحيد الدين في استانبول؛ وهو ليس لديه القدرة أن يدفع عن نفسه الأسر أو أن يدفع الإحتلال عن مدينة استانبول؛ يعني بعد أن أصبح السلطان أسيرًا عند جيوش الحلفاء. وبناءًا على ذلك لا يحق لأسير أن يقود حربنا في وجه الأعداء. لأن هذا أصلاً ليس بالأمر الصحيح".**

على الرغم من أن مصطفى كمال باشا قبل سنة من هذا الحديث في مجلس الأمة التركية بأنقرة قد قال:"**إن السلطان محمد وحيد الدين أثمن إرث أجدادنا؛ بالنسبة لنا".** وفي ذلك يعلق السلطان محمد وحيد الدين على شخصية مصطفى كمال باشا قائلاً:" **أنه كان يلعب الدور المناسب لكل شخصية يحتاجها الزمان الذي هو فيه؛ ففي كل وقت كان له شخصية أخرى؛ ودور آخر؛ مختلف عن دوره الأول".** وعن هذه الأدوار والشخصيات المختلفة التي لعبها مصطفى كمال باشا يقول السلطان محمد وحيد الدين في موضوع آخر من مذكراته بعد النفي:"**ففي المرحلة الأولى وهو يتصارع مع قوات الحلفاء في الأناضول؛ كان دائمًا ما يجعلني على رأس الأمر ويتابعني بالأخبار؛ حتى عندما أسس الحركة القومية أرسل لي ليبلغني بذلك. في المرحلة الثانية بدأ يعقد المؤتمرات الشعبية؛ والتي بدأ من خلالها يثير الشعب في الأناضول ضد حكومة استانبول.**

---

[69] على الرغم من أن مصطفى كمال باشا من سالونيك؛ إلا أن الكاتب نسبه إلى مدينة أنقرة؛ دون ذكر اسم مدينته الحقيقية في شمال اليونان؛ والتي تحركت منها العناصر الإنقلابية لخلع السلطان عبد الحميد الثاني 1908م؛ ولا أعرف ما سبب عدم ذكر الكاتب حقيقة مدينة مصطفى كمال باشا، المترجم.

وبدأ يستخدم أساليب متعددة ومتنوعة لتنقية صورته أمام الشعب؛ ولإلصاق كل إخفاق بي وحدي دون غيري. حتى أنه عندما أنجز مهمته في حقي؛ حصل على المال من الأجانب".

40.2. الإنضباط وعدم الانضباطات

لقد قطع جسر الاتصال الدبلوماسي بين أنقرة واستانبول؛ وبدأ الوضع يأخذ منحنًا جديدًا منذ ربيع عام 1920م؛ حيث أعلنت الحكومة في استانبول عن تشكيل القوة الإنضباطية Kuvâ-yı İnzibatiyye في مواجهة قوات القوة القومية التحريرية الأناضولية المسلحة بقيادة مصطفى كمال باشا. ولكن نظراً لاخفاقات الصدر الأعظم فريد باشا المتكررة في حفظ الأمن في استانبول؛ وفي الفشل السياسي المتكرر له الذي اوقع الدولة العثمانية في المصائب؛ قبل فريد باشا اقتراح القيادة العامة العسكرية للحلفاء في استانبول؛ بنشر قوات الحلفاء في جميع أنحاء استانبول لضبط الأمن بها. ومن الغريب أن فريد باشا لم يستغل القوة الإنضباطية المسلحة التي شكلها في استانبول لضبط الأمن؛ واستعان بقوات جيوش الحلفاء لأجل اتمام ذلك. في غضون ذلك اصرت قيادة جيوش الحلفاء في استانبول على إرسال القوة الانضباطية المسلحة من استانبول وإرسالها لحرب قوات حركة الأناضول القومية التحريرية. أما في حالة رفض السلطان محمد وحيد الدين والحكومة قرار قيادة جيوش الحلفاء بإرسال القوة الإنضباطية المسلحة إلى أنقرة؛ فإن القيادة العامة لقيادة جيوش الحلفاء تعلن بأنها سوف تستعين بقوات حفظ الأمن والإنضباط اليونانية المسلحة Yunan İnzibat ve Asayiş Kuvvetleri في جزيرة كريت Girid adası لحفظ الأمن في كلٍ من استانبول وأدرنة وسوف تفتح لهم جيوش الحفاء كافة الطرق البحرية والبرية للإستيلاء على استانبول وأدرنة. غير أن السلطان محمد وحيد الدين قد رفض ذلك؛ لأنه قد فهم الشرك الذي يريد أن يوقعه فيه الإنجليز باظهاره بمظهر السلطان المحارب لأمته والرافض لاستقلالها. ولم يكن لدى السلطان محمد وحيد الدين في نفس الوقت القوة العسكرية التي تستطيع أن تدفع غائلة قوات الحلفاء من فتح أبواب استانبول وأدرنة للقوات اليونانية. حينها أحدث فريد باشا اخفاقًا سياسيًأ جديدًا إذا قبل بالحل الوسط الوسط الذي عرضته عليه الحكومة الإنجليزية من إرسال قوات حفظ الأمن والإنضباط اليونانية مع القوات الآنضباطية التركية المسلحة إلى حرب قوات الحركة القومية التحريرية الأناضولية في أنقرة؛ وكان قائد ومؤسس القوة الإنضباطية التركية المسلحة أقرب المقربين من فريد باشا حينها طارق ممتاز كَوز تبه Tarik Mümtaz Göztepe والذي كتب في بعض خواطره عن العلاقة بين القوة الإنضباطية التركية المسلحة و قوات حفظ الأمن والإنضباط اليونانية المسلحة قائلاً:**"...إن الناظر إلى هذا الفعل الذي حدث من الاتفاق بين القوة الإنضباطية التركية المسلحة و قوات حفظ الأمن والإنضباط اليونانية المسلحة عبر قوات الحلفاء سيجده**

كان موعظة لنا بكل تأكيد. لأن السلطان محمد وحيد الدين والصدر الأعظم فريد باشا وناظر الداخلية رشيد بك كانوا يعلمون جيدًا أن نسبة 99% من سكان استانبول يؤيدون الحركة التحريرية القومية الأناضولية بقيادة مصطفى كمال باشا؛ وكذلك يؤيدهم نسبة لا تقل عن 80% من سكان الأناضول. وكنت أقول لفريد باشا ناصحًا إن تكوين جيش من ضواحي استانبول الملاصقة للأناضول والمؤيدة إلى الحركة القومية التحريرية الأناضولية أمر جد خطير؛ لأن هوى الناس هناك ليس مؤيدًا لنا؛ وعند حدوث أي نزاع مسلح مع القائمين على الأمر في أنقرة؛ فأخشى أن يفر عساكرنا من صفوفنا؛ وينضمون إلى صفوف الحركة التحريرية القومية الأناضولية. لهذا رفضت تكوين جيشًا من ضواحي استانبول الآسيوية؛ لأن تكوين مثل هذا الجيش من أبناء القرى والمقطاعات هناك يكاد يكون شبه مستحيل. كما أن الحكومة في استانبول ليس لديها المال الذي يمكنها انفاقه على مثل هذا الجيش إذا أصرت على تكوينه؛ بل لا تملك الخزينة المالية في استانبول عشرة ليرات للإنفاق على مشروع تأسيس هذه القوات المسلحة. فهؤلاء ليسوا من موظفي الدولة الذين يمكن أن تتأخر الدولة عنهم في صرف مستحاقتهم المالية الشهرية؛ بل هؤلاء عساكر مسلحين. وبالرغم من ذلك أصر الصدر الأعظم فريد باشا على تأسيس هذه القوات؛ وبدأ يشن حربًا نفسية مع قيادة دول الحلفاء ضد الحركة القومية التحريرية الأناضولية؛ وكان فريد باشا يعتمد على القوة التركية الإنضباطية المسلحة أثناء تهديده لحكومة أنقرة؛ غير أنني كنت أرى أن هذا التهديد في الحقيقة تهديد لنا وهلاك كبير سيقع لنا إن استمررنا في المضي خلف فريد باشا والذي ينفذ كل ما يطلبه منه قادة دول الحلفاء دون أي اعتراض؛ حتى لو كان في ذلك خطرٌ علينا. وكنت أقول لنفسي إننا أمام هلاك حقيقي إن أرسل مثل هذا الجيش لحرب قوات حكومة أنقرة".

لقد بدأ الإنجليز يرون أن فريد باشا قد أدى ما عليه من واجبات وإلتزامات ناحية الحكومة الإنجليزية؛ غير أن خيوط اللعبة الآن لم يعد مناسبًا لها الصدر الأعظم فريد باشا لحرب القوى القومية التحريرية الأناضولية بقيادة مصطفى كمال باشا؛ لذا أرتئ الإنجليز أنه من الضروري أن تأخذ صبغة الحرب ضد حكومة أنقرة الصبغة الدينية؛ وفريد باشا كان في وجهة نظرهم غير مناسب لأداء هذا العمل؛ لهذا بدأ الإنجليز يعتمدون على شيخ الإسلام دري زاده عبد الله أفندي وفتاويه المتكررة ضد الحركة القومية التحريرية للأناضول وحكومة أنقرة؛ والتي بدأ الإنجليز ينشرونها بأنفسهم بين سكان استانبول وسائر مدن الأناضول؛ ومثالاً من هذه الفتاوى نجد فتواه المؤرخة بتاريخ 10 إبريل 1920م والتي قال فيها:" **في هذا الخصوص قد بين لنا مدى استمرار حركة القوى التحريرية القومية الأناضولية من مخالفة أمر السلطان محمد وحيد الدين السلطان الشرعي للبلاد ومعارضة كافة سياسته والاستمرارهم في اتباع طريق سياسة**

التواطؤ؛ هذه السياسة التي يظهرون فيها ظاهرًا وجهًأ غير وجههم الحقيقي؛ حيث يدعون انهم يريدون انقاذ السلطان ويرفضون بنود مؤتمر الصلح مع دول الحلفاء نصًا وموضوعًا؛ بالرغم من أن الذي أبرم هذا الصلح مع دول الحلفاء هو صهر السلطان وصدره الأعظم فريد باشا؛ والذي يعني تصديقه بالموافقة على بنود اتفاق الهدنة أن السلطان محمد وحيد الدين قد وافق عليها؛ وقد عرض الصدر الأعظم فريد باشا في مقصورته على أعضاء حكومته بنود اتفاق الصلح والهدنة ووافق عليها الجميع..إلا أن أعضاء الحركة القومية التحريرية للأناضول يرون غير ذلك؛ ويصرون على رفض بنود اتفاق هدنة سيفرس؛ فلا يريدون أن يرسلوا مندوبًا عنهم ناطقًا باسمهم يوقع مع الحكومة اتفاق الصلح أمام الحلفاء؛ ولا يريدون أن يناقشوا ولي الأمر الشرعي في البلاد ما الأسباب التي دفعته لقبول اتفاق الهدنة. ويتعللون كلما دعوا إلى استانبول من قبل السلطان أو الحكومة بالأعذار والتي منها عدم استطاعتهم الحضور إلى استانبول نظرًا للظروف السياسية والوضع القائم؛ وإنما هم في الحقيقة يفرون من مواجهة ولي الأمر الشرعي في البلاد كي لا يقع منه عليهم العقاب؛ لذا فالرأي الشرعي لحكومة أنقرة وكل من عاونها وناصرها بأنها خارجة وعاصية لولي الأمر الشرعي في البلاد".

لقد اتخذت حكومة الصدر الأعظم فريد باشا بتأسيس القوة العسكرية الإنضباطية في استانبول بتاريخ 18 إبريل 1920م؛ وأعلنت حكومة فريد باشا أنها قد خصصت لتكوين هذا الجيش الجديد مليون و250 ألف ليرة تركية. وستوزع هذه النقود على الشكل التالي 30 ليرة شهرية أجرة للعساكر و60 ليرة شهرية أجرة للضباط و 150 ليرة شهرية معاش لقادة هذا الجيش في القطاعات العسكرية المختلفة. وأعلن الصدر الأعظم فريد باشا بتاريخ 29 إبريل 1920م أن القائد لهذا الجيش في حرب حكومة أنقرة هو سليمان شفيق باشا Süleyman Şefik Paşa والذي رفض تكوين هذا الجيش غير التقليدي؛ ولم يتفق سليمان شفيق باشا مع أعضاء حكومة الصدر الأعظم فريد باشا على وظيفة هذا الجيش؛ حتى أن النقاش بينه وبين أعضاء الحكومة حول أسباب تكوين هذا الجيش المسمى بالقوى الإنضباطية كان في شكل كوميدي مضحك للغاية على الشكل التالي:**"...يوجد في استانبول الكثير والعديد من ثكنات العساكر الكبيرة؛ فلماذا والحال على هذا المنوال تصرون على أن تكون ثكنات عساكر القوة الإنضباطية الجديدة على شكل مجموعة من الخيام تقام في ساحة ميدان نظارة الحربية " اليوم ميدان السلطان بايزيد في استانبول"؛ هل تعلمون ماذا حدث بعد ما أقمتم هذه الخيام كثكنات للقوة الإنضباطية المسلحة الجديدة؟ لقد بدا الجنود الجدد في حالة من عدم الإنضباط وعصيان للأوامر العسكرية. وحالة الفوضى عارمة بين صفوفهم. وكان بالأحرى بكم أن تسموا هذا الجيش الجديد بالقوة غير الإنضباطية؛ ولقد امتدت هذه الفوضى لهؤلاء الجنود من ميدان نظارة**

الحربية حتى بوابة السلطان بايزيد ومن بوابة السلطان بايزيد إلى جهة اليسار من القصر الصغير المخصص لأعمال نظارة حربية هذا الجيش " المخصص للقيادة العامة لقيادة القوات الإنضباطية"...ولم أشاهد في حياتي مهرجان عسكريًا داخل نظارة الحربية في استانبول؛ مثلما رأيت جنود هذه القوة المسماة بالقوة الإنضباطية؛ إنهم يغنون ويرقصون ويقذفون أنفسهم بالتراب الذي يغطي ثيابهم ووجوهم ولا يستطيعون التميز بين درجات اللباس العسكري؛ فيثابهم ووجوهم جميعها متسخة؛ ويظلون يذهبون ويعودون في ميدان الحربية ذهابًا وإيابًا بلا انضباط أو رادع لهم؛ إن أشكال وأوضاع هؤلاء العساكر في وضع كوميدي مضحك للغاية. وانا متأكد من أن قيادة جيوش الأعداء لن تنطلي عليهم خدعة تكوين مثل هذا الجيش الجديد؛ فإن قيادة جيوش الحلفاء ذات الخبرة والتجربة العسكرية الطويلة تستطيع أن تقضي على مثل هذا الجيش في أقل مما تتخيلون؛ وإن القيادة العامة لجيوش الحلفاء لا تستطيع أن تهضم أن مثل هذا الجيش هو القوة الإنضباطية التي ستواجه جيش القوة التحريرية القومية الأناضولية المنظم ذو الخبرة الحربية في ميادين القتال؛ وبالرغم من ذلك أراكم تصرون على تعييني قائدًا عامًا لقيادة مثل هذا الجيش. الذي سيهزم عند نشوب أي قتال ضده بكل تأكيد؛ إن قادة القيادة العامة لجيوش الحلفاء إن لم يضحكوا على هذا الجيش لرأيتهم المهرجانات التي يقوم بها هذا الجيش بأم أعينهم؛ إلا أنه قد وصل إلى مسامعهم كوميديا هذا الجيش؛ واستمروا في الضحك عليه بملأ أصواتهم وشفاههم".

وبشان خصوص هذا الجيش يظهر اسم آخر على الساحة؛ مترابط اسمه باسم هذا الجيش أنه أحمد آنزور Ahmed Anzavur:

"في سؤال السنة من قبل الدولة عن القوة الإنضباطية الجديدة؛ جائها الرد أنه جيش للموسيقى أقرب منه جيشًا عسكريًا؛ وإن النتيجة الحاصلة من تكوين مثل هذا الجيش؛ أن هذا الجيش سوف يسحب الصدر الأعظم فريد باشا معه إلى المنحدر. لابد أن الصدر الأعظم فريد باشا أراد أن يذكره التاريخ بأنه أحد مؤسسي جيوش الدولة العثمانية؛ فصنع من لا شيء مثل هذا الجيش الذي أسقط هيبته وهيبة الدولة معًا في نظر أعدائها. لهذا رأي الصدر الأعظم فريد باشا أن أفضل من يقوم بتدريب وضبط هذا الجيش وليس لديه اي أعتراض على ذلك هو الشركسي أحمد آنزور والذي حصل نتيجة قبوله بتدريب مثل هذا الجيش على رتبة الباشا الفخرية وفي نفس الوقت تم تعينه أيضًا متصرفًا لولاية قارس Karesi Eyalatı".

لقد بدأ أحمد آنزور باشا حياته العسكرية كأحد ضباط الشرطة العسكرية في مقاطعة بالي قصر BalıKesir بتاريخ 21 أيلول 1919م؛ وشعر بخيبة أمل هناك لأنه كان يرى في نفسه أنه أحق برتب عسكرية وبمهام وظيفية أكثر من كونه ضابطًا صغيرًا؛ غير أن اتصاله بالصدر الأعظم فريد باشا وتعقبه له؛ هو الذي مكنه من أن يتم تعينه متصرفًا؛ وأن يحصل على لقب الباشاوية؛ وذلك عندما قبل تدريب جيش القوة الإنضباطية الجديد والإشراف عليه. إلا أن أحمد باشا أنزور أصيب بخيبة الأمل للمرة الثانية حيث لم يستطيع أن يسيطر على جيش القوة الإنضباطية؛ وعاش معهم أسوأ لحظات حياته؛ لهذا قام فريد باشا في حزيران 1921م بإرسال هذا الجيش إلى إزميت İzmit وأختار له علي فؤاد باشا قائدًا عامًا له؛ والذي أرتئ ضرورة تسريح مثل هذا الجيش الذي عدم وجوده أخف وطأة وضررًا على الدولة من وجوده؛ ولقد استمر هذا الجيش في الفوضى وعدم الإنضباط حتى أن الحكومة رأت قبل سنة وشهران ضرورة إلغاء هذا الجيش؛ وبالفعل بتاريخ 25 حزيران 1921م صدر قرار الحكومة بإلغاء هذا الجيش؛ أي تم تسريحه بعد إرساله إلى مدينة إزميت بخمسة أيام.

41.2. لمن هذا الجيش؟

غير أن عساكر القوة الإنضباطية رفضوا التسريح من قبل حكومة فريد باشا؛ وذهبوا إلى القصر السلطاني وقاموا باقتحام الجزء القابع فيه الصدر الأعظم فريد باشا وأخذوه أسيرًا بين أيديهم؛ وبدأت عساكر القوة الإنضباطية تنادي على السلطان محمد وحيد الدين للخروج إليهم؛ بيد أن السلطان محمد وحيد الدين كان ينظر إلى كل ما يحدث على أنه مخطط من قبل فريد باشا خطه بكلتا يديه؛ ليجبر السلطان على القبول بمثل هذا الجيش.

وكان السلطان محمد وحيد الدين يشعر بكثير مما كان يدور حوله؛ إلا أنه كان مكتوف الأيدي؛ فرجال أركان دولته دائمًا ما يوقعونه في الكوارث؛ ومثال ذلك أن رضا توفيق باشا وهو أحد الذين وقعوا على قبول اتفاق هدنة سيفرس مع فريد باشا؛ عندما علم بأن فريد باشا يسعى لتكوين جيش القوة الإنضباطية ليكون جيشًا خاصًا به؛ سعى رضا توفيق باشا هو الآخر إلى تكوين جيش يكون مواجهة لهذه القوة الإنضباطية؛ وعلى الفور ذهب رضا توفيق باشا إلى قصر فريد باشا بمنطقة بلطه ليمان Baltaliman ليخبره بضرورة تكوين جيش آخر؛ يوجه الجيش الذي يقوم بإنشائه في حالة إذا أحدث عصيان؛ ولكن في الحقيقة كان يريد أن يكون جيشه الآخر على حساب مصلحة الدولة العثمانية. وبعد أن ذهب رضا توفيق باشا من لقاء فريد باشا؛ أتى ابن زوجة فريد باشا الأمير سامي بك إلى مكتب فريد باشا ودارت بينهما مناقشة حامية الوطيس أرتفعت فيها أصواتهما حول القوة الإنضباطية وأهمية وجودها بالنسبة للدولة العثمانية. غير أن فريد باشا

حاول أن ينهي النقاش مع الأمير سامي بك بقوله:" **في الأصل لا يوجد مناقشة؛ فلماذا نحتد في الحوار؟!"** غير أن الأمير سامي بك صرخ في وجه فريد باشا؛ حينها قال له فريد باشا غاضبًا عليك أن تستمع إلى ما أقول:" **فلتكن نهاية هذا الجيش كيفما تكون! إلا أن الدعاوى القضائية التي سوف تلاحقني بسبب هذا الجيش ستكون شرف لي بكل تأكيد. وهذا الجيش رسميًا لا يستطيع أن يحمي نفسه. لكنني لا أنكر أنني بذلت كل ما في وسعي بشتى الطرق لتأسيس هذا الجيش وتنظيمه؛ لكي يحميني؛ فإذا كان هذا في إمكاني؛ فما الذي يمنعني".** حينها عقب عليه الأمير سامي بك قائلاً:**"إنه في ذلك الوقت العصيب الذي تمر بها دولتنا وسلطتنا ذاتًا مهددة بالزوال؛ ولا نستطيع أن ننهض من امتصاص الأجانب لمدخرات وثروات بلادنا؛ وما فرضوه علينا من جزاءات مالية؛ تجعلنا نعيش في ديون إلى الأبد وتكبل ايدينا وأرجلنا عن النهوض؛ تأتي أنت بعد كل ذلك وتتشبث ببقاء هذا الجيش وتحاول أن توفر له مدخرات مالية بشتى الطرق لكي تنفق عليه. أليس هذا الجيش بذلك الشكل عبارة عن تجمعات جماهيرية مؤقتة؛ استمسكت به حفنة من الشعب لأنها تبحث عن وظائف ومعاش لها. فقط أنت تريد بهذا الجيش أن تستمر على رأس الحكومة وأن يكون هذا الجيش في خدمة الأعداء لا في مواجهتهم؛ وإلا ما سمحوا لك بإنشائه؛ أليس هذا صحيحًا؟! فما الحكمة والمصلحة من بقاء هذا الجيش لصالح دولتنا؟! كل ما أطلبه منك يا فريد باشا أن تفكر؛ مرة واحدة فقط في حياتك فكر؛ قبل أن تتخذ أي قرار. ثم بعد ذلك هل تستطيع أنت أن تتحمل كل أعباء ومشاكل ومسؤليات هذا الجيش وحدك؟! هذه ملاحظة أخرى تستدعيك للتفكير بتمعن يا فريد باشا".**

لم يكن الأمير سامي بك المعترض الوحيد على هذه القوة النظامية الجديدة التي أسسها فريد باشا بل هناك من المحيطين بفريد باشا من أعضاء حكومته من كان يعترض على تأسيس هذا الجيش؛ مثل الدكتور جميل باشا طبوزلو Topuzlu Dr.Cemil Paşa وزير الأشغال العامة Bayındırmak Bakanı والذي أرسل خطابًا إلى فريد باشا يقول له فيه إن جيش القوة الإنضباطية يشبهون كثيرًا قطاع الطرق. ونص خطاب الدكتور جميل باشا طبوزلو Topuzlu Dr.Cemil Paşa إلى فريد باشا كالتالي:**"...نحن نحتاج إلى أشخاصًا موهوبون لقيادة جيش القوة الإنضباطية؛ ولكن تكمن المشكلة في سلوك هؤلاء الأشقياء؛ والذي يعتبر تكوين هذا الجيش بالنسبة لهم عبارة عن تجمع لمجموعة من قطاع الطرق؛ افترقت بهم السبل؛ وألتقوا في الجيش...فعندما كنت في زيارتك الأخيرة إلى باريس يا فريد باشا اجتمع الوزراء وتشاوروا مع وزير الداخلية. وقرروا أن يعطوا قرار تسريح وحل هذا الجيش إلى السلطان محمد وحيد الدين لكي يخلصنا منه ومن شروره. لأنه هو الوحيد القادر على ذلك. لكن قبل أن يرفع الوزراء هذا القرار إلى**

السلطان محمد وحيد الدين أنت عدت حينها من باريس. وعقدت معنا اجتماعًا وأعلنت في هذا الاجتماع قرارك باستمرار جيش القوة الإنضباطية؛ وقاومت كل من حاول أن يخالفك وأسكته".

والآن سوف ننتقل إلى صهر السلطان محمد وحيد الدين الأمير إسماعيل حقي ورأيه في هذه القوة الإنضباطية هذا الرأي الذي كتبه في خواطره والذي سنقرأه معًا؛ حيث كتب قائلاً:**"إن الجيش الذي أسس باسم الخليفة محمد وحيد الدين وباسم الخلافة لمواجهة جيش القوة التحريرية القومية الأناضولية بقيادة مصطفى كمال باشا؛ ما هو في الحقيقة إلا الجيش الخاص بفريد باشا وهو العائد في تكوينه إليه وحده فقط. وهو الذي يجب أن يحاسب ويسأل عنه وحده. إن صهر السلطان الصدر الأعظم فريد باشا اراد تكوين جيش باسم الخليفة والخلافة لحرب جيش الحركة التحريرية القومية الأناضولية بقيادة مصطفى كمال باشا؛ وأعلن عند تأسيس هذا الجيش أن السلطان محمد وحيد الدين كان لديه خبر بتأسيس هذا الجيش؛ غير أنه تبين لي بعد ذلك أن السلطان لم يكن لديه خبر بتأسيس هذا الجيش. لقد كنت أشعر بمرارٍ بكثرة في حلقي نتيجة إعداد هذا الجيش؛ الذي سوف يذهب لقتال أتراك مثله؛ فالأتراك سيقاتلون الأتراك إرضاءًا للأعداء من قادة دول الخلفاء. فنحن في هذه الحرب سنحارب نيابة عن الأعداء أبناء وطننا. هكذا قد واجهت فريد باشا وقلت له ذلك الكلام في وجهه. وبعد أن قولت هذا الكلام للصدر الأعظم فريد باشا باربع وعشرين ساعة أرسل إلى السلطان محمد وحيد الدين كما أرسل إلى الصدر الأعظم فريد باشا يطلب لقائنا في حجرته؛ وقال السلطان محمد وحيد الدين لفريد باشا أمامي:" أنا لا أريد هذا الجيش؛ ولم ءأمر بتأسيس جيش يحمل اسم الخلافة؛ وأقرر لك يا فريد باشا كلامي على مسامعك مرة أخرى؛ أنا لا أريد تأسيس جيش الخلافة هذا الذي قمت بتأسيسه". حينها ظهرت علامات الغضب على ملامح وجه الصدر الأعظم فريد باشا أمام السلطان محمد وحيد الدين وبدأ يتكلم بعصبية وبكذب مع السلطان وقال له:"أعلم يا جناب السلطان أن هذا ما هو إلا محض أفتراء. وإن الذين أخبروك بمثل هذه المعلومات عن تأسيس مثل هذا الجيش إنما يريدون أن يوقعوا بينك وبين أصهارك بالنميمة؛ والذين أبلغوك بمثل هذه الأخبار إنما هم مجموعة من الكذبة أو من خونة الوطن؛ فهم ينقلون لك الأخبار يا جناب السلطان بدون معنى وبلا فهم؛ لأن هؤلاء الكذبة لا ينقلون إلا الهراء المحض فور سماعه". وبالرغم من اعتراض السلطان محمد وحيد الدين على تأسيس جيش الخلافة المسمى بالقوة الإنضباطية؛ إلا أنه بعد مرور أسبوع من لقائي بالسلطان مع الصدر الأعظم فريد باشا؛ أصدر الصدر الأعظم فريد باشا قراراه بتأسيس جيش القوة الإنضباطية وأسماه جيش الخليفة والخلافة. ولقد عرف السلطان محمد وحيد الدين بخبر تأسيس هذا الجيش متأخرًا؛ حيث كان الصدر الأعظم فريد باشا يخفي عن السلطان أي معلومات عن هذا الجيش؛ ولم يكن في علم**

السلطان أن هناك جيشًا قد أسس يحمل اسمه واسم الخلافة. ولكنه عندما علم حاول أن يقوم بتسريح هذا الجيش؛ إلا أن الصدر العظم فريد باشا قد رفض. وهذا إن دل؛ فإنما يدل على ضعف في شخصية السلطان محمد وحيد الدين. ذاتًا السلطان محمد وحيد الدين كان يرفض أن يحارب الأتراك بعضهم البعض والبلاد تحت الاحتلال والعدو ينتظر الفرصة المناسبة لكي ينحر الدولة العثمانية ويقضي عليها؛ ولن تأيته مثل هذه الفرصة؛ إلا إذ حارب الأتراك بعضهم بعضًا لأجله. مع الأسف حتى جهاز المخابرات الجديد الذي أسسه السلطان محمد وحيد الدين كان يخفي عنه أدق وأصغر المعلومات؛ ولا يعطونه صورة صحيحة عم يحدث في الدولة؛ مما جعل السلطان محمد وحيد الدين أحيانًا يتخذ بعض القرارات السياسية الخاطئة بناءًا على المعلومات المغلوطة التي كانت تأتيه. وكان أهم ما في داخل هذا الجيش شيئين الشيء الأول السلاح الذي بين أيديهم والشيء الثاني ترسانة السلاح " مخازن السلاح"؛ ومن الغريب أن عناصر هذا الجيش بدات تبيع في سلاح وتهرب الأسلحة من مخازن السلاح إلى جيش القوة التحريرية القومية الأناضولية. والسبب في ذلك أن هذا الجيش كانت عساكره وضباطه تأخذ أعلى مرتبات مالية شهرية من قبل حكومة الدولة العثمانية؛ ولكن هذا كان في أول شهر فقط من تأسيس هذا الجيش؛ ثم بدأ العساكر والضباط يهربون من هذا الجيش بسلاحهم بعدما بدأت الرواتب تأتيهم متقطعة ومنخفضة عن أول شهر من تأسيس هذا الجيش. لهذا السبب أصدر الصدر الأعظم فريد باشا قراراه بعد مدة من تأسيس جيش الخلافة بإلغاء هذا الجيش وبتسريحه. لقد كانت الإنفاقات المالية على جيش الخلافة هذا السبب في حدوث أزمة مالية حادة للحكومة العثمانية بقيادة الصدر الأعظم فريد باشا؛ وذلك نتيجة المبالغة المالية الضخمة الإستثنائية التي أنفقت على تأسيس هذا الجيش".

لقد قام فريد باشا بتأسيس هذا الجيش دون إذن السلطان محمد وحيد الدين وتصرف كأنه السلطان الفعلي الحاكم للدولة العثمانية من دون السلطان. بل زاد فريد باشا على ذلك أن أخفى عن مسامع السلطان تأسيسه لمثل هذا الجيش. ولكن السؤال الذي يطرح نفسه هنا أسس فريد باشا هذا الجيش من تلقاء نفسه دون الرجوع إلى السلطان؟ نترك الجواب هنا إلى فريد باشا نفسه ليجيب:**" عندما تم تعين مصطفى كمال باشا المفتش العسكري العام في الأناضول من قبل السلطان محمد وحيد الدين؛ أتصل بي الإنجليز ونصحوني ببدء السعي لتكوين جيش يستطيع أن يواجه أي خطر قد يظهر في الأناضول. لكن هذه المرة كان الضغط الحقيقي علينا هو ضغط القوة التحريرية القومية الأناضولية برئاسة مصطفى كمال باشا؛ هذا الضغط هو الذي نتج عنه تأسيس جيش الخلافة. لأننا كنا في حيرة من كيفية التصرف مع حركة التحرير القومية**

الأناضولية؟ فقد كانت في يدها كافة إمكانيات الجيوش العثمانية؛ ولم يكن في أيدينا أي شيء ندفعها به عن أنفسنا".

ذاتًا قول فريد باشا في الفقرة الأخيرة من هذه الخاطرة:" **لأننا كنا في حيرة من كيفية التصرف مع حركة التحرير القومية الأناضولية؟"** يوحي ويؤكد بأن خلف تأسيس جيش الخلافة هذا أمرٌ آخر سري.

42.2. في القصر عاصفة و زواجان

بعد نهاية عام 1919م وفي بداية العام الجديد حدثت للسلطان محمد وحيد الدين مشكلتان. ولندع السلطان محمد وحيد الدين بنفسه يتحدث عن هاتان المشكلتان:" **كنت قد تعرضت إلى مشكلتان الأولى أنني أصبحت خليفة في مقاطعة معرضة للهلاك وأن مركز الخلافة كان تحت المحاصرة والمواجهة مع قوات دول الحلفاء. والثانية هي تهديد اليونان لنا بإجتياحهم لأرضينا بطريقة سرية ومفاجئ وما ترتب على ذلك من ظهور مصطفى كمال باشا كمنقذ للبلاد بعد أن ارسلته أنا بيدي ليكون المفتش العسكري العام في الأناضول؛ مما نتج عنه إلتفاف الشعب حوله".** وبالرغم من خطورة هاتان المشكلتان على حياة الدولة العثمانية؛ إلا أن السلطان محمد وحيد الدين بالرغم من الإنشغال بهاتان المشكلتان كان مشغولاً قبلهم بكونه وليًا للعهد؛ بعد أن كان اصغر أبناء السلطان عبد المجيد الأول. وكان أخوته وأبناء عمه الكبار يسبقونه للعرش العثماني؛ إلا أن التقدير الإلهي هيأ له الظروف ليتولى هو العرش؛ لكن ظهرت مشكلة أخرى أنه كان متزوج من واحدة؛ وهذه الزوجة لم تأتِ له بولي العهد له الذي يمكنه أن يرث العرش العثماني.

حتى أن الأمير محمد وحيد الدين قبل تولى العرش كان ابن عمه الأمير عبد المجيد[70] بن السلطان عبد العزيز خان يصغر عنه بسبع سنوات. وكان الأمير عبد المجيد أفندي يسعى إلى أن يتولى العرش العثماني وكان غير مقتنعًا بموضوع انتحار والده السلطان عبد العزيز خان؛ لهذا كان يريد أن يتولى العرش العثماني لكي يتمكن من الإنتقام من قتلة أبيه. لقد قتل السلطان عبد العزيز خان وعمر ابنه الأمير عبد المجيد

[70] الأمير عبد المجيد بن السلطان عبد العزيز بن السلطان محمود الثاني؛ آخر خلفاء المسلمين من الأسرة التركية العثمانية؛ حيث عزل عن الخلافة ونفي إلى فرنسا عام 1924م. وهو أول خليفة عثماني روحي ديني وليس صاحب سلطان؛ حيث أنتزع منه أنصار حكومة أنقرة السلطة السياسية وذلك بإلغائهم السلطنة العثمانية عام 1922م؛ وإعلانهم الجمهورية؛ مع الحفاظ على مقام شكلي رمزي للخلافة في استانبول مجرد من السلطات لمدة عامين في الفترة من 1922م -1924م. وبعزل الأمير عبدالمجيد أفندي عن مقام الخلافة وإعلان حكومة أنقرة إلغاء مقام الخلافة؛ أنتهت الخلافة العثمانية وأعتبر بذلك أن الخليفة عبد المجيد الثاني هو آخر خلفاء المسلمين خلال هذه المرحلة؛ وبعزله لم يعد مقام الخلافة إلى الآن، المترجم.

أفندي لم يتجاوز الثامن من عمره. وفي ذلك يقول الأمير عبد المجيد بن السلطان عبد العزيز خان:**"يقولون قطع سلام الصباح؛ مع انتحار السلطان عبد العزيز".**

كان في قرية أورطه " القرية المتوسطة" Ortaköy بأحدى القصور الفرعية هناك يقسم الأمير عبد المجيد أفندي فترة شبابه في أحد الأجنحة الخاصة؛ منفصلاً عن أمراء البيت العثماني. ثم انتقل إلى منطقة جاملي جه Çamlıca وهناك سكن في منطقة إجادية İcadiye حيث استطاع أن يأخذ قصرًا صغيرًا هناك ليسكن فيه. وأستمر منعزلاً عن من حوله من الأمراء بهذا القصر الصغير حتى خرج عن هذه العزلة بعد أن تولى ابن عمه ولي العهد الأمير محمد وحيد الدين عرش السلطنة العثمانية. لقد كان الأمير عبد المجيد أفندي على معرفة تامة بعدة لغات؛ ويتحدث بضعة لغات بطلاقة؛ إلا أنه بالرغم من ذلك كان على ثقة تامة من نفسه؛ ومن كل ما يفعل؛ وكان يرفض أن يستشير أي أحد عند اتخاذ أي قرار يحتاج فيه إلا الاستشارة. ومن ذلك تصوره عن حركة أنقرة القومية لتحرير الأناضول؛ وما ترتب على هذا التصور من محاولته الجمع بين نظامي الخلافة الذي اختاره وبين نظام الفكر الجمهوري لحركة أنقرة.

ولقد تفوق الأمير عبد المجيد أفندي في عدة أمور فنية نخص منها الأمور الموسيقي وكان يتخصص في الموسيقى؛ ليس بالشكل الهاوي بل بصور متنوعة من الشكل الأكاديمي. كما أنه عشق الرسم وانضم إلى جمعية الراسمين العثمانيين. وكان اسم الأمير عبدالمجيد أفندي من ضمن أربع رسامين معدودين موهوبين مشهورين على مستوى الدولة العثمانية. وكان مشهورًا عنه الرسم بالأسلوب الغربي الحديث.[71] ولقد ترك كذلك يقال أنه عثر في حجرته قبل وفاته على؛ ما يقارب من ثلاث أو أربع نوت موسيقية من عمله. ولقد سرقت هذه النوت الموسيقية من ضمن ما سرق من قصره؛ حتى أنه لم يبقى في قصره شيء؛ وذلك عقب حركة النهب التي تعرضت لها قصور السلاطين والأمراء عقب نفي العائلة العثمانية الحاكمة خارج البلاد. وكان الأمير عبدالمجيد أفندي يحب التشبه بالرجال الفرنسيين كثيرًا؛ حتى قيل عنه:**" أنه حين يخلع الطربوش؛ يكاد لا يعرف من شدة الشبه بينه وبين الرجال الفرنسيين".**

وفي عام 1920م أرسل مكتب المخابرات الإنجليزية في استانبول إلى لندن تقريرًا حول شخصية الأمير عبدالمجيد أفندي قيل فيه:**"...بالرغم من بعده عن عرش السلطنة العثماني؛ إلا أنه الأمير العثماني**

[71] الأسلوب الغربي الحديث في الرسم؛ يقصد به رسوم ذوات الأرواح من الكائنات الحية من إنسان وحيوان وطير بصورة تراعي النسب التشريحية؛ ومضاهة لخلق الله تعالى في الشكل؛ كأنها نسخة مصورة عن الأصل؛ ويعرف هذا الأسلوب بأسلوب التصوير الجريكورومان أي أسلوب التصوير الإغريقي الروماني؛ وهذا الأسلوب لا يراعي الإحتشام عن تصوير مفاصل عورة جسم الإنسان، المترجم.

صاحب العلم ومتعدد المواهب والمتأثر بالثقافة الأوروبية في كل شيء من أنماط حياته. وكان يرسل ابنه إلى معلم لغة إنجليزية ليعلمه اللغة الإنجليزية كأهلها. وكان من ضمن الموافقين على اتفاق هدنة سيفرس. وعندما قامت الحركة القومية التركية لتحرير الأناضول كان متعاطفًا معهم ومناصرًا لهم أكثر من أي أمير آخر في البيت العثماني. وعندما حدث الصدام بين حكومة استانبول وحكومة أنقرة؛ وبدأت حكومة أنقرة في التشنيع والهجوم على السلطان محمد وحيد الدين؛ كان كثيرًا ما يتهم بإخلاصه لحكومة أنقرة هلى حساب السلطنة. غير أنه في آخر عامين من تطور علاقته بالسلطان محمد وحيد الدين؛ بدأت مواقفه تتغير من حكومة أنقرة وبدأ يطلع على بواطن للأمور لم يكن يعلمها من قبل. كان قبل عدة سنوات يتشاجر مع صهر العائلة العثمانية فريد باشا قبل توليه الصدارة العظمى؛ وكان دائمًا ما يتهم فريد باشا قبل وبعد توليه الصدارة العظمى بالخيانة؛ ويعتبر فريد باشا أكبر أعداء السلطنة والخلافة؛ وكان بينه وبين فريد باشا عداء شخصي؛ لهذا حدثت بينهما عدة مشاجرات عنيفة. ورفض أن يدعم سياسة فريد باشا المؤدية إلى ذل وتدمير الدولة العثمانية. كان يشعر في داخله بالحيرة والتشتت كنتيجة طبيعية لتأثره بالثقافة الإنجليزية؛ فبينما يرى ان الإنجليز هم أعداء الدولة؛ عندما يتقابل مع اي إنجليزي يشعر بعلاقة دافئة وحميمة معه؛ ولا يعتبره عدوه. لهذا كان في طرف تأييد الوحدة في العلاقات السياسية بين الحكومة التركية في استانبول والحكومة الإنجليزية في لندن. لقد تعلم عدة علوم جيدة؛ وحصل فيها على عدة إجازات علمية. وهو متمكن من جميع التخصصات التي درسها. ولكنه كان مشغولاً كثيرًا بالأمور السياسة وقلق على مصير الدولة العثمانية. صاحب أخلاق ممتازة ويتحدث الفرنسية بطلاقة؛ كأنها لغته الأم".

في بعض الأوقات كان يفضل الأمير عبد المجيد أفندي الذهاب إلى بعض الملاهي الليلة. ففي العدد الصادر بتاريخ 7 ديسمبر 1918م نشر خبر بجريدة الصباح بوست الإنجليزية Morning Post Gazeresi نقلاً عن لسان الأمير عبد المجيد أفندي قال فيه:" **نحن الأتراك قد أخذنا ثقافتنا كلها من الفرنسيين والإنجليز...إلا أن حزب الإتحاد والترقي كان هو سبب العداء بيننا وبين الإنجليز والفرنسيين. فإذا أتيحت لنا الفرصة في القدرة على السيطرة من جديد على زمام الحكم دون تدخل من الإتحاديين؛ فإننا سنعود إلى سابق عهدنا في علاقاتنا الدبلوماسية مع الإنجليز والفرنسيين. لهذا لا يجب أن يترك السلطان وحده؛ ولا يجب أن يتخلى عنا الإنجليز والفرنسيين. فنحن نحتاج إلى مساعدتهم لتعود الأمور إلى نصابها في الداخل العثماني... ولكن المساعدة التي نحتاجها؛ ليست مساعدة شكلية؛ بل مساعدة فعلية من القلب من قبل الحكومتين الإنجليزية والفرنسية لنا".**

وفي عام 1920م بدأ ألأمير عبد المجيد أفندي يخط مذكراته عن حياته بكلتا يديه؛ فكتب يقول عن حياته في مرحلتي الطفولة والشباب الآتي:"**..في عهد والدي السلطان عبد العزيز خان رحمه الله كنت ألعب وأنا عندي أربع سنوات في فصلي رياض الأطفال بالمدرسة على أني عسكري مدفعية. ومع الزمن تم اختياري إلى بعثة عسكرية إلى أوروبا لتعلم فنون الحرب الحديثة. وكان قد سافر قبلنا في هذه البعثة خليل باشا ثم تبعه في السفر إلى بلجيكا سعيد باشا Said Paşa وبك أوغلو Beyoğlu وهناك ألتقوا بحسين باشا Hüseyin Paşa والذي كان يشرف على كل المبعوثين في أوروبا. ولقد تعلمت تحت إشراف حسين باشا. لقد كان حسين باشا من اكبر علماء الرياضة في عهدي السلطان عبد العزيز خان ثم في عهد السلطان عبدالحميد الثاني. وكان من أشهر ثلاثة رماة عثمانيين في استانبول في ذلك الزمان. وكان معنا من العرب في هذه البعثة الشريف علي حيدر بك Arap usulünde Binen Şerif Ali Haydar Bey وأنا وخالد باشا Halid Paşa . وكنا من ضمن العسكريين المحظوظين بالتدريب على ركوب الخيل والرماية عن سائر الشباب العسكريين الآخرين في البعثة. وكلما سنحت الفرصة للذهاب إلى مكتب تعليم القرآن الكريم الخاص بالأمراء Şehzadeler Mektebi كنت أذهب إلى الصيد وانشغل به ولا أذهب إلى كتاب تعليم القرآن الكريم. وكان أخي الأكبر من اشد المحبين للفروسية والرماية والصيد وكان صاحب قوة وعزم في ذلك. وكان يعتني بأبنائه أشد العناية ويهتم بهم؛ ويعلمهم الرياضة مثله ليكونوا أشداء ومن اهل القوة. وكنت أحب أن ألتقي به تحت المقعد الخشبي المخروط عندما يأتي ليستريح لأستأنث بحديثه. لهذا السبب أردت أبنائي أن يكونوا مثل أبنائه. إن تعليم الشباب القوة بالرياضة وجعل أوزانهم أخف دفعني أن أمارس أنا ايضًأ الرياضة لأنزل من وزني الذي بلغ مائة كيلو جرام. وقدرًا وأنا في أوروبا تصادفت مع أحد الضباط العسكريين في سويسرا؛ والذي بدأ بتدريبي وتمريني. وكنت أمارس معه رياضة ركوب الخيل والرماية والتصويب على الأهداف من بعد؛ وكنت أصيب الهدف من أعلى دائمًا في نهاية كل رمية. وعندما بلغت الفترة ما بين الثلاثيني إلى الأربعين من عمري بدأت أشعر بأنني شخص آخر متفكر وزيحتاج غلى مراجعة نفسه ليحاسبها عن حياته السابقة. فوجدت أنني قبل أن ابلغ سنة الثلاثين قد وقعت في خطئين. قد شرحتهم بالتفصيل في مذكراتي مسبقًا. ولقد كنت محبًا لرياضة السباحة".**

أما السلطان محمد وحيد الدين كان لا ينظر إلى الأمور من المنظار الذي ينظر منه الأمير عبد المجيد أفندي. ولهذا قبل السلطان محمد وحيد الدين أن يزوج ابنته صبيحة سلطان من ابن الأمير عبد المجيد أفندي فاروق افندي. ولقد انجب فاروق أفندي منها ثلاثة بنات. وبذلك صار هؤلاء الفتيات أحفادًا لكل من السلطان محمد وحيد الدين والأمير عبد المجيد أفندي بن السلطان عبد العزيز خان. ولقد اختار السلطان

محمد وحيد الدين اسم حفيدته الأولى من هذا الزواج وأطلق عليها اسم فاطمة. أما الحفيدة الثانية فقد اختار اسمها الأمير عبدالمجيد أفندي وأطلق عليها اسم نصيل شاه Nesilşah؛ ثم اتفق الجميع على اختيار اسم خان زاده Hanzade للحفيدة الثالثة؛ والتي ولد بعدها الأميرة نجلة Necla والتي اختاروا لها اسم هبة الله Hibe-tullah.

وبعيدًا عن وضع الحياة الإجتماعية الداخلي في الأسرة العثمانية بدأت الأمور تأخذ في السياسة منحنى آخر؛ فتوقيع اتفاق هدنة سيفرس؛ نتج عنه أن اعلن مصطفى كمال باشا في شهر يناير 1921م؛ أنه أعلن أنه يقدر محاولات السلطان محمد وحيد الدين في محاولة تلافي اتفاق هدنة سيفرس؛ إلا أن الأمر لم يعد بيده فسواء شاء السلطان أم لم يشاء فقد وقع الاتفاق؛ مما يعني أن الأمور الحربية أصبحت عائدة في قرارتها لحكومة أنقرة وحدها دون غيرها. وفي ذلك نشرت الصحيفة الفرنسية لاغولواز Fransız La Gauloise Gazetesi عن الأوضاع السياسة والحربية في الأناضول قائلة:**"هل حقًا فقط مصطفى كمال باشا هو من يرفض معاهدة اتفاق هدنة سيفرس؟! أم انه لم يرفضها! أم هل أنه يريد أن يكسب من هذا الاتفاق بعض الأمور لنفسه؟! سواء وافق مصطفى كمال باشا على اتفاق هدنة سيفرس أم لم يواف؛ فإنه الشخص الوحيد الذي اختار طريق الحرب من أنقرة.لقد أعطى أصدقائه وعدًا بأنه بالانتصار. ونحن نعمل من خلف مصطفى كمال باشا لاسقاطه.فهل حقًا اصدقائه يطعونه؟! نعم إنهم يطيعونه".**

وفي عام 1800م وكان ذلك قبل سنوات من تولى السلطان محمد وحيد الدين السلطنة؛ حسب ما ذكرت الأميرة صبيحة سلطان في مذكراتها؛ أن أقرب شخص للسلطان محمد وحيد الدين قبل توليه ولاية العهد والسلطنة هو الأمير عبد المجيد أفندي, والذي اختار مع أبيها السلطان محمد وحيد أن ينزوي منعزلاً هو الآخر في قرية جاملي جه Çamlıca كما اختار والدي من قبل أن ينعزل في قرية جانجلÇengelköy. لقد كان الأمير عبد المجيد أفندي يلتقي مع السلطان محمد وحيد الدين قبل توليه السلطنة بالساعات في قريته؛ ويمارس معه رياضة الصيد؛ ثم يذهبون إلى القصر السلطاني معًا في المناسبات. وكانوا يتشاركون في تكوين الفرق الفنية والموسيقية واختيار أعضاءها من دمن الخدم والعبيد. وكانوا يستمعون بكل انتباه إلى فريقهم الفني أثناء العزف الموسيقي.

في فترة الشباب لم يكن هناك ما يدعو للتصادم بين السلطان محمد وحيد الدين والأمير عبد المجيد أفندي. والذي يؤكد ذلك أن كل من السلطان محمد وحيد الدين قبل توليه السلطنة والأمير عبد المجيد أفندي كانوا يذهبون معًأ لأداء صلوات الفروض في مسجد العزيزية ويعودون منه معًا. لقد كانت العائلة العثمانية

تتكون في داخلها من عائلات شبه مستقلة ولكل عائلة منها لكل ثاقتها وحياتها الخاصة. غير أنه عندما تولى الأمير محمد وحيد الدين السلطنة العثمانية بدات وجهات النظر تختلف بينه وبين صديقه القديم الأمير عبدالمجيد أفندي. فقد كان لكل منهما رأي ووجهة نظر أخرى تخالف الآخر حول حل بعض الأمور والأزمات. فمنذ القرن التاسع عشر الميلادي لم يتبقى من العائلة العثمانية سوى فرعان. هذان الفرعان هما فرع السلطان عبدالمجيد الأول وأبنائه وأما الفرع الثاني هو فرع السلطان عبد العزيز خان وأبنائه. وهم جميعًا من نسل السلطان محمود الثاني والد كل من السلطان عبدالمجيد الأول والسلطان عبد العزيز خان. فعند حضور الوفاة للسلطان محمود الثاني أوصى بالملك من بعده لابنه عبدالمجيد أفندي؛ والذي تشبث بأن يكون الملك من بعده لأحد ابنائه وليس لأخيه عبدالعزيز؛ غير أنه في أيامه الأخيرة غير رأيه وفكر في الوصاية بالملك من بعده لأخيه عبدالعزيز لعدة أمور منها انه أكبر أبناء العائلة العثمانية ولأن أحوال الدولة العثمانية حينها تحتاج إلى سلطان قوي يسوسها؛ لهذا اختار السلطان عبدالمجيد الأول أخيه عبدالعزيز للسلطنة. فلما تولى السلطان عبد العزيز خان تمسك هو الآخر باعطاء الملك لأحد أبنائه من بعده؛ إلا أن هذا لم يحدث؛ بسبب الإنقلاب عليه وعزله عن تحت الملك والسلطنة.

وبعد عزل السلطان عبدالعزيز خان عن السلطنة والخلافة بتاريخ 30 مارس 1876م بأربعة أيام قتل السلطان عبد العزيز خان وأعلن أنه قد انتحر. وبذلك ابتعد العرش العثماني وسلطان الحكم عن أبناء السلطان عبد العزيز خان وضاع أمل الأمير عبدالمجيد أفندي في أن يتولى السلطنة بعد أبيه. وتولى السلطان مراد الخامس العرش العثماني وهو أكبر الأبناء الذكور للسلطان عبد المجيد الأول؛ إلا أنه عزل بعد توليه السلطنة بـ93 يومًا. ثم تولى السلطنة السلطان عبد الحميد الثاني بن السلطان عبد المجيد الأول وأخو السلطان مراد الخامس مدة 33 سنة. ثم عزل عبد الحميد الثاني في انقلاب وتولى العرش بعده السلطان محمد رشاد وكان آخر من تولى السلطنة من ابناء السلطان عبد المجيد الأول؛ هو السلطان محمد وحيد الثاني. وستختم العائلة العثمانية بالفرع العزيزي عندما يتولى الخلافة الأمير عبد المجيد أفندي كخليفة فقط؛ وليس كسلطان. لقد كان السبب الحقيقي في رأيي في بداية النفرة بين الأمير عبد المجيد أفندي والسلطان محمد وحيد الدين قبل توليه السلطنة العثمانية هو قرب العرش العثماني منه وبعده عن الأمير عبدالمجيد أفندي ثم تأكد ذلك باختيار الأمير محمد وحيد الدين وليًا للعهد ثم توليه السلطنة. وستستمر النفرة بين الأمير عبدالمجيد أفندي والسلطان محمد وحيد الدين وإن لم يظهرها للسلطان محمد وحيد الدين في وجهه حتى نهاية الدولة العثمانية. وعندما نفي الأمير عبد المجيد أفندي إلى باريس بعد عزله عن عرش الخلافة؛ أوصى حين حضرته الوفاة ألا يدفن في بلاد الكفار لأنه مسلم؛ والمسلم يجب ان يدفن في ارض الإسلام؛ لهذا كان يريد أن يعود جسده

ليدفن في الأناضول؛ إلا أنه لم يختار سوريا ودمشق تحديدًا ليدفن فيها؛ ولم يكن يريد ذلك؛ ولكن للقدر أحكام. لأن سوريا هي البلد الوحيد التي كانت تقبل بدفن سلاطين آل عثمان فيها؛ لهذا كانت سوريا هي البلد الأكبر المرجع لدفن الخليفة عبدالمجيد أفندي. إلا أن الذي حدث غير ذلك؛ حيث الذي دفن هناك في سوريا بمدينة دمشق هو السلطان محمد وحيد الدين في المكان الذي كان معدًا لدفن الخليفة عبد المجيد أفندي.

43.2. عصيان ولي العهد

في عام 1918م ترك السلطان محمد وحيد الدين قصر دولما بهتشه Dolmabahçe وانتقل إلى قصر يلدز Yıldız ليجعله مقرًا لحكمه. وبالفعل قد اختار السلطان محمد وحيد الدين المقر المناسب لحكمه؛ وذلك لأن قصر دولما بهتشه Dolmabahçe على ساحل مضيق مرمرة وقريب من خطوط السكك الحديدة التي قد يعتمد عليها الحلفاء إذا ارادوا اقتحام استانبول؛ وهذا على خلاف قصر يلدز البعيد نسبيًا عن ساحل مضيق مرمرة. والقريب إلى داخل مدينة استانبول من خارجها. وبالمقابل كان الأمير عبدالمجيد أفندي ابن عم السلطان محمد وحيد الدين يقيم في قصر دولما بهتشه Dolmabahçe في أحدى أجنحته باعتباره وليًا للعهد؛ إلا أنه لم يشعر بالراحة في هذا القصر؛ بسبب كثرة البراميل المتفجرة التي كان يلقيها الحلفاء بالقرب من مكان إقامته بقصر دولما بهتشه Dolmabahçe. وفي تلك الأثناء حاولت أحدى النساء الفرنسيات وكانت تعمل برتبة ضابط في جهاز المخابرات الفرنسية من فتح قناة اتصال بولي العهد الأمير عبدالمجيد أفندي؛ وفي ذلك كتبت في تقريرها إلى مركز الاستخبارات الفرنسية في باريس عن وضع الأمير عبد المجيد أفندي وعن إقامته في قصر دولما بهتشه Dolmabahçe قائلة:" **يسكن الأمير عبدالمجيد أفندي ولي العهد العثماني في قصر دولما بهتشه Dolmabahçe. وهذا القصر يطل على ساحل المضيق ومكسوة واجهاته الخارجية بالوزرات الرخامية. ويوجد أمام هذا القصر مباشرة عدد من الزوارق الحربية الأمريكية المحملة بالعديد من الرعدات البحرية "الطوربيدات"؛ والتي يسمع دوي أصوات انفجاراتها بين الحين والآخر. الأمير عبد المجيد أفندي دائمًا ما يصحوا على اصوات انفجارات هذه الطوربيدات؛ وفي المساء يشعر بعدم الراحة حيث أن أصوات انفجارتها تجعل الليل مضياً كأنه حفل انفجارات ليلية مقام إلى جوار قصر دولما بهتشه. وكانت هناك سفينة حربية تمر أمام قصر؛ فاستغرب جدًا من ذلك. وعلى الجهة الأخرى من قصر دولما بهتشه قطار السكك الحديدية الذي إن مر من جوار القصر؛ سبب مزيدًا من الإزعاج والضوضاء إلى الأمير عبد المجيد أفندي. وبالرغم من ذلك هو لا يرى قصرًا آخر افضل من هذا القصر ليسكن فيه".**

منذ صيف 1919م بدأ الأمير عبدالمجيد أفندي في العمل السياسي. لم يكن عبدالمجيد أفندي لينظر إلى نفسه على أنه وليًا للعهد فقط؛ بل كان ينظر إلى نفسه على أنه صاحب الإدارة وبأنه أحق بالحكم من

غيره؛ إلا أنه تلافى الصراع المباشر مع السلطان محمد وحيد الدين؛ وأكتفى بالصراع مع الصدر الأعظم فريد باشا؛ والذي كان يعارض سياسته دائمًا. وكان أول ما فعله عندما علم بأن السلطان محمد وحيد الدين سوف يختار فريد باشا صدرًا أعظم؛ أن أرسل إلى السلطان محمد وحيد الدين رسالة قال له فيها؛ إذا أردت أن تنهى حكمك وعهد السلطنة العثمانية بالفناء فكيفيك أن تولى فريد باشا الصدارة العظمى بالدولة العثمانية. وبالرغم من ذلك تولى فريد باشا الصدارة العظمى بتاريخ 4 مارس 1919م. غير أن الأمير عبد المجيد أفندي بحكم منصبه كولي للعهد كان يراقب أفعال الصدر الأعظم فريد باشا؛ وكان يقول للسلطان محمد وحيد الدين عن فريد باشا أنه لا يراعي حرمة حق ولي العهد في الإطلاع على أعمال رئاسة الوزراء ولا يأخذ برأيه في أي شيء؛ وبما أنه قد تجرأ على ولي العهد؛ فما الذي يمنعه من التجرأ على السلطان نفسه.وبعد تولى فريد باشا الصدارة العظمى أكثر من مرة كان ولي العهد الأمير عبدالمجيد أفندي والصدر الأعظم فريد باشا دائما الشكوى إلى السلطان محمد وحيد الدين من بعضهما البعض.

وفي أحدى هذه الشكايات كتب الأمير عبدالمجيد أفندي إلى السلطان محمد وحيد الدين قائلاً:**"إن تولى فريد باشا مقام الصدارة العظمى؛ حجب بين السلطان والإطلاع على أحوال العامة بستارة سوداء. ولقد أطلعت على أحوال العامة بنفسي؛ وعلمت منهم ما لم يعلمه أحد. فأنزع هذه الستارة التي تعزلك عن الناس...إنهم يتساءلون فيما بينهم:" لما يكون سلطاننا هكذا؟!" ويقولون:" إن لماذا سلطاننا لا يستعملنا في أعمال الدولة؛ ولا يتواصل معنا ويطلع على أفكارنا؛ لنعرفه ويعرفنا. غير أنه حجبنا عنه بالصدر الأعظم فريد باشا". وأنا أقول لك يا جناب السلطان بكل تأكيد؛ أنني لا أستطيع أن أفهم منطق هذا الرجل المسمى فريد باشا أو كما يقال الوقود ينفذ من السفينة[72]".**

ولقد أراد الأمير عبد المجيد أفندي أن يظهر على الساحة السياسية دون السلطان محمد وحيد الدين؛ فبدأ يتخطى السلطان محمد وحيد الدين ويراسل الدول الأوروبية وينسق معهم السياسات المتعلقة بالدولة العثمانية؛ دون الرجوع إلى السلطان محمد وحيد الدين. فلما احتلت إزمير من قبل اليونانيين أرسل ولي العهد الأمير عبد المجيد إلى ملوك إنجلترا وإيطاليا ورئيس فرنسا عدة خطابات. قال فيها:**" إن السلام مع الدولة العثمانية؛ يطلب ألا يأتي الضرر الزائد من قبلكم إليها؛ فالدولة لن تتحمل أكثر من ذلك".** بيد أن الرئيس الفرنسي لم يرسل له الجوزاب منه مباشرة وجعل وزير الخارجية الفرنسي القائم في استانبول بيشون

[72] الوقود ينفذ من السفينة؛ مثل تركي يقصد به؛ وجوب إدراك المسؤول الواقع وحل مشاكله؛ قبل أن يأتي الوقت الذي ينفذ فيه الوقود أي يسبق السيف العزل؛ وينتهي الوقت؛ ويصبح من الصعب تدارك الأمر؛ فتتجمد الحياة أو الدولة كما تتوقف السفية عن العمل؛ وبمصر يوجد مثل مشابه له؛ "لا توقف المراكب السائرة؛ وأجل المركب تمشي"؛ ولن تسير المركب وتتدارك الأمور في الدولة العثماني إلا بعزل فريد باشا عن الصدارة العظمى؛ حسب وجهة نظر ولي العهد الأمير عبد المجيد أفندي حينها، المترجم.

Pichon يرسل له الرد على رسالته حيث قال له:**"لن يكن هذا الأمر من الأمور المهملة لدى السياسة الفرنسية".** حينها أرسل ولي العهد عبد المجيد أفندي إلى وزير الخارجية الفرنسي بيشون Pichon تعقيبًا على رده قائلاً فيه: **" يبدو أن الرئيس الفرنسي لم يعطني الرد؛ بيد أنكم من رد على رسالتي؛ على الرغم من كون رسالتي ليست موجهة لكم. أليست هذه اللمسة الدبلوماسية ليست في محلها؟".**

وبعد عزل ونفي السلطان محمد وحيد الدين كتب السلطان محمد وحيد الدين في مذكراته بالمنفى عن النصائح الشفوية المتبادلة بينه وبين الأمير عبد المجيد أفندي؛ حيث كتب يقول:**" لقد قال لي الأمير عبد المجيد أفندي؛ إن القبول باتفاق هدنة سيفرس؛ يعني القبول بقرار إعدام الدولة العثمانية؛ لأن القبول بشروط هذه المعاهدة ينهي الوجود الفعلي للسلطنة والخلافة العثمانية؛ وهذه المعاهدة سيترتب عليها؛ ضرورة إخراج بيان رسمي من دار الخلافة إلى العالم الإسلامي؛ بأن السلطنة العثمانية؛ ما قبلت بهذه المعاهدة إلا لتحفظ مقام خلافة المسلمين الجامعة من الزوال؛ بيد أن هذه المعاهدة ستجعل مقام الخلافة معلق".** لهذا السبب رأي ولي العهد الأمير عبد المجيد أفندي ضرورة أن تتشكل هيئة من الأمراء العثمانيين وأن تتواصل بنفسها مع حركة التحرير القومية الأناضولية في أنقرة؛ وأن يتم اختيار أمير عثماني يرأس الأمراء العثمانيين في التواصل مع حركة التحرير القومية الأناضولية؛ وأن يكون هذا الأمير قريبًا منهم جدًا. لقد رأي ولي العهد عبدالمجيد أفندي أن الحركة القومية التحريرية تسحب كل السلطات والنفوذ من بيت الحكم العثماني من الشرق؛ بيتما في استانبول يسحب فريد باشا ومن معه من ممثلي حكومات دول الحلفاء ما تبقى من سلطات الحكم من يد السلطان محمد وحيد الدين؛ لذها رأى أن يتقارب مع الحركة القومية. حتى إذا ما انقلبوا على السلطان محمد وحيد الدين؛ لايعلنوا إسقاط الأسرة العثمانية؛ ويختاروا من بينها ولي العهد سلطانًا للبلاد؛ لهذه الأسباب كان يستغل ولي العهد الأمير عبد المجيد أفندي الظروف لصالحه.

لقد أرسل عبد المجيد أفندي عدة رسائل سرية إلى حركة التحرير القومية الأناضولية؛ ولقد تسربت أحدى هذه الرسائل؛ وهي الرسالة المؤرخة بتاريخ 16 يوليو 1919م؛ وكان ذلك عقب إعلان العصيان الجيلالي Cilâli İsyanı[73] على الدولة العثمانية في الأناضول عقب قبول فريد باشا باتفاق هدنة سيفرس؛

[73] العصيان الجيلالي Cilâli İsyanı؛ هو العصيان الذي قاده أحد مشائخ النصيرية الرافضة في شرق الأناضول؛ بعد أن ظل مدة يتظاهر بالتصوف؛ ولقد عمل هذا الشيخ الشيعي النصيري مدة من الزمن في كتاتيب تعليم الصبيان للأطفال التركمان؛ وفي عهدي السلاطين بايزيد الثاني وسليم الأول وسليمان القانوني أعلن هو وأتباعه العصيان؛ نصرة لدولة الشيعة الصفوية الرافضة في إيران؛ إلا أن الدولة العثمانية قضت على عصيانهم المسلح بالقوة؛ غير أنه أصبح اسم هذا الشيخ الشيعي النصيري علم على أي حركة تعلن العصيان أو الإنفصال في الأناضول عن الحكومة العثمانية المركزية باستانبول؛ فلما قامت الحركة التحريرية القومية الأناضولية

بعد مؤتمر السلام مع دول الحلفاء. وبخاصة بعد أن أعلن فريد باشا أنه عرض المواد من اتفاق السلام والهدنة على السلطان محمد وحيد الدين وقبلها. مما أدى إلى العصيان وبخاصة داخل استانبول بعد الاحتلال لها من قبل قوات الحلفاء؛ مما أعجز ناظر الداخلية العثماني عن تدارك الأمر. لقد أعتبرت الحركة التحريرية القومية الأناضولية أن حكومة فريد باشا مفسدة وناهبة لمقدارة البلاد والعباد وخائنة للدولة؛ لهذا أخرجت حكومة أنقرة مواد سبع لإقرار السلام في الأناضول مقابل بنود اتفاق سيفرس؛ والتي أرسلوها تلغرافيًا من الأناضول إلى القصر السلطاني باستانبول؛ ونصت هذه المواد على الشكل على التالي:

1- لا يوجد أي حزب من أحزاب الأمة يقبل بما حدث لمقامي السلطنة والخلافة بعد اتفاق الهدنة هذا؛ وخارج الأشخاص ونواب البرلمان؛ فمقام السلطنة والخلافة أعلى من الجميع؛ لهذا السبب لا سيبل لانقاذ مقامي السلطنة والخلافة إلا بالحركة التحريرية القومية الأناضولية.

2- في هذا العصر المهم تعلن الحركة التحريرية القومية الأناضولية أن الأمة لن تفر هذه المرة من مسؤوليتها؛ وأنها ستحاسب الجميع عم فعلوا في حقها؛ وستسألهم بأعلى درجات العقل والمنطق؛ لهذا يحق للأمة من الآن على الفور أن تختار مصيرها بيديها.

3- يعزل كل من شاركوا في اتفاق الهدنة من أحزاب سياسية وحكومات ونواب؛ وتوكل مسؤولية قيادة الأمة للحزب الذي يدافع عنها وعن استقلالها؛ صاحب التجربة والذي يمكن أن تعتمد عليه الأمة في تحقيق العدالة والمساواة؛ والذي يذخر بالكثيرين من رجال الدولة والذين سيشكلون الحكومة المركزية الجديدة.

4- لقد أصبح واضحًا بعد ما حدث أن الحكومات التي تقود البلاد ووقعت على اتفاق هدنة سيفرس؛ إنما تعمل لصالح الأعداء؛ ضد مصلحة الدولة والأمة؛ لهذا لا بد من اسقاط هذه الحكومات ومن ينوب عنها وتأسيس الهيئات الجديدة التي ستقود البلاد وتنقذها مما هي فيه.

5- تعلن الحكومة في أنقرة بأنها ستعفوا عن كل من يتنصل من هذا الاتفاق من أعضاء حكومة استانبول وينضم إلى الحركة التحريرية القومية الأناضولية في الأناضول؛ على أن يبرهن لدى حكومة أنقرة على اعتراضه على اتفاق الهدنة بالطرق العملية.

وأعلنت عصيانها على حكومة السلطنة العثمانية المركزية في استانبول؛ لقبها الأمير عبد المجيد أفندي بالعصيان الجيلالي تشبيهًا لها؛ نسبة للعصيان النصيري القديم؛ ل، اسم الشيخ الجيلالي أصبح لدى الأتراك السنة بالأناضول اسم علم على أي عصيان في أي عصر يخرج على الدولة العثمانية؛ أنظر Mücteba İlgürel, Cilâli İsyanı, İslam Ansiklopedisi, C.7, Diyanet Yayınları, İstanbul, 1993, s.252-257; https://islamansiklopedisi.org.tr/celali-isyanlari؛ المترجم .

6- **تقبل الحركة التحريرية القومية الأناضولية جميع الحركات والجمعيات والمقاومين الذين يعملون على تحرير الأناضول من قبضة جيوش احتلال قوات الحلفاء؛ على أن يقوموا بقبول القيادة الموحدة لحكومة أنقرة لهم.**
7- **كلما أظهر الأهالي العصيان والنفرة بقوة ضد حكومة الخونة بالفعل الجماعي والعصيان قبل القول؛ كلما أدى هذا إلى الحفاظ على وحدة الأمة الإسلامية تحت راية الخلافة بعد تطهيرها من أعوان الخونة والعملاء؛ أصحاب المنافع الشخصية على حساب أمتهم ودولتهم.**

لهذا السبب أرسل ولي العهد عبد المجيد أفندي إلى السلطان محمد وحيد الدين يقول له:" **إني أخطرك يا جناب السلطان أن هذه المواد السبع التي أعلنتها الحركة التحريرية القومية الأناضولية؛ جرأة ما بعدها جرأة على الحكومات العثمانية؛ ولم يحدث في تاريخ آل عثمان أن تجرأ أحد على سلاطينهم بهذا الشكل؛ فالله الحافظ يا جناب السلطان من تطبيق هذه الشروط؛ والتي يعني تطبيقها حدوث الفاجعة الكبرى من تحقيق هدف الخيانة السري لأنصار الحركة القومية المتستر بنقد اتفاق الهدنة لاسقاط السلطنة والخلافة؛ لهذا أعرض عليكم يا جناب السلطان هذه الجرأة".**

لم يخرج أي فعل من قبل القصر السلطان على الشروط السبع التي أعلنها أنصار الحركة التحريرية القومية الأناضولية لتحقيق سلام بين حكومة استانبول وحكومة أنقرة؛ إلا أنه بتاريخ 22 سبتمبر 1919م أرسل ولي العهد عبد المجيد أفندي إلى مصطفى كمال باشا خمسة عشر تلغرافًا لاسلكيًا؛ بدون أن يعلم أحد؛ وهو يتحرى الدقة والكتمان في ذلك؛ حيث قال لمصطفى كمال باشا في هذه التلغرافات:" **إن الإدعاءات التي أعلنتها في حق السلطان محمد وحيد الدين يا مصطفى كمال باشا غير صحيحة؛ ولم يصدر عن السلطان محمد وحيد الدين أي شيء ضد الحركة التحريرية القومية الأناضولية من قول أو فعل؛ فعليك ان تتحرى الدقة عند اصدار تصريحاتك...وأختم كلامي لك يا مصطفى كمال باشا؛ بأنني أشعر بأنك تستغل ظروف توقيع اتفاق الهدنة لإحداث الضرر بالسلطنة. وجلب المنفعة لنفسك؛ لهذا عليك أن تحترس من ذلك. لأنك تذيع عن السلطان ما ليس فيه. وتنشره بين العوام".**

ولقد حاول ولي العهد الأمير عبد المجيد أفندي ان يقضي على الفتنة التي حدثت في الأناضول عام 1919م كنتيجة لمنشور المواد السبع للسلام مع حكومة استانبول في صفوف سكان الأناضول؛ ولقد عمل الأمير عبدالمجيد أفندي بكل جد وإخلاص في هذا الأمر مع السلطان محمد وحيد الدين؛ إلا أن السلطان قد

تفاجأ في العام التالي من هذه الفتنة أي في خريف عام 1920م بمصيبة أخرى؛ ألا وهي إصابة ولي العهد عبدالمجيد أفندي بسكته قلبية؛ غير أنها كانت مؤقته.

44.2. الخصي يسترق السمع من أبواب الحرملك

بالرغم من كل ما عاشه السلطان محمد وحيد الدين مع ولي العهد من عدم الراحة ومن الصراع والإختلاف السياسي؛ ومن اتخاذه بعض الإجراءات المنفردة لوحده كأنه هو السلطان؛ إلا أن السلطان محمد وحيد الدين كان يحاول أن يحتويه؛ لدرجة أنه قبل أن يعطي ابنته صبيحة سلطان زوجة للأمير عمر فاروق بن ولي العهد عبد المجيد أفندي. لقد كان كثير من نساء العائلة العثمانية العذروات يتمنون الزواج من الأمير عمر فاروق؛ لقد كن ينظر إليه على أنه مختلف عن باقي أمراء البيت العثماني؛ حتى أنهن كنا يتهامسن فيما بينهم قائلين:" **إنه أمير مختلف عن الآخرين"**؛ لهذا السبب قبلت الأميرة صبيحة سلطان الزواج من الأمير عمر فاروق؛ وبخاصة أنها هي من كانت تسمع نساء القصر والعائلة يتهامسن فيما بينهن بأدبه وخلقه؛ حتى صار فارس أحلام كثير من نساء القصر.

قبل الأمير عمر فاروق كان بطل سفينة الحميدية العثمانية[74] القائد رؤوف أورباي Rauf Orbay قد تقدم بطلب يد الأمير صبيحة سلطان للزواج إلا أنه رفض. ولقد رشح مستشار نظارة الحربية محمود كمال باشا الأمير عمر فاروق بناءًا على طلب السلطان محمد وحيد الدين؛ لكي يعمل مستشارًا بنظارة الحربية؛ غير أن التقارير الإستخباراتية الواردة عن نشاط والده ولي العهد الأمير عبد المجيد أفندي السياسي؛ جعلت نظارة الحربية تحجم عن اختيار الأمير عمر فاروق لهذا المنصب. كذا حاول أحد أمراء البيت العثماني الأمير فؤاد بك Fuad Bey أن يتزوج الأميرة صبيحة؛ إلا أنها قالت عنه في مذكراتها:" **لما رايت الأمير فؤاد بك وجدته بدين زيادة عن الحد المتوقع؛ لهذا رددت طلبه".**

وفي هذه السنة التي خطبت فيها الأمير صبيحة من قبل الأمير عمر فاروق؛ تقدم لها قبل الخطبة العديد من الأمراء والضباط والقادة والقائمة تطول؛ ومن هؤلاء يوزباشي الحماية شوكت آريقان Kurmay Yüzbaşı Şevkat Arıkan وكذلك تقدم معه لخطبتها اليوزباشي صبحي بك الدمشقي Şamlı Yüzbaş

---

[74] سفينة الحميدية؛ هي سفينة حربية وصلت إلى استانبول من أوروبا عام 1903م؛ وانضمت حينها لقطع الأسطول البحري العثماني المرابطة للدفاع عن مصيق استانبول بين البحرين الأبيض المتوسط والأسود؛ وكانت تعرف بطراد عبد الحميد الثاني؛ وبعد الإنقلاب على السلطان عبد الحميد الثاني عام 1908م؛ أطلق عليها الإتحاديون اسم سفية الحميدية؛ ولقد كان قبطان هذه السفينة في الحرب العالمية الأولى هو القائد رؤوف أورباي والذي استطاع أن يمنع بهذه السفينة مرور سفن الحلفاء الحربية بين البحرين المتوسط والأسود؛ لذا لقب القائد رؤوف أورباي بلقب بطل الحميدية؛ أنظر https://www.turkcebilgi.com/hamidiye_kruvaz%C3%B6r%C3%BC#post

Suphi Bey وغيرهم الكثير من القادة والضباط الذين كانوا يعملون في القصر السلطاني؛ غير أنها لم توافق إلا على الأمير عمر فاروق.

كذلك من قبل حاول دركان إيران الشاه أحمد قاجار خان Derken İran Şahı Ahmed Kaçar Han أن يطلب يد الأميرة صبيحة سلطان للزواج وارسل إلى السلطان محمد وحيد الدين في طلب يدها سفير إيران في استانبول مولى آدوس Molohados؛ بيد أن السلطان محمد وحيد الدين رد طلب شاه إيران بالرفض. وقال في رسالته إلى شاه غيران أحمد القاجاري مع السفير الإيراني مولى آدوس:**"إن خليفة الإسلام السني؛ لا يعطي ابنته أبدًا لحاكم شيعي".** وبعد هذه الزيارة للسفير الإيراني ورد السلطان محمد وحيد الدين عليه؛ لم يقرر الشاه أحمد القاجاري طلبه من السلطان محمد وحيد الدين وأغلق هذا الموضوع؛ ولم يفتح مرة أخرى إلى الأبد.

ولم يكن لدى السلطان محمد وحيد الدين علم بالتأكيد؛ أن شاه إيران أحمد ووالده الشاه محمد علي القاجاري سيتقابل معهم بعد عدة سنوات في المنفى بإيطاليا؛ فيا عجبًا لو كان يعلم السلطان محمد وحيد الدين المستقبل؛ هل كان سيزوجه ابنته؟! وكان من ضمن الطالبين للزواج من يد الأميرة صبيحة سلطان مصطفى كمال باشا؛ والذي لم يتجاوز عمره الأربعين بعد حينها. وكان يهدف من زواجه من ابنة السلطان محمد وحيد الدين أن يوثق علاقته بالسلطان؛ لكي يستطيع من خلال هذه المصاهرة أن يطيح بأنور باشا مع على كرسي نظارة الحربية. غير أن صبيحة سلطان رفضت طلب مصطفى كمال باشا من الإرتباط منها؛ ربما لأنها علمت نوايا مصطفى كمال باشا من الإرتباط بها؛ ربما! من يعلم! غير أن صديق مصطفى كمال باشا سعاد خيري أورجبلو Suad Hayri Ürgüplü بعد أربعين سنة من طلب مصطفى كمال باشا الزواج من الأميرة صبيحة سلطان بحث هذا الأمر في مذكراته وكتب قائلاً:**" نعم كان يريد مصطفة كمال باشا أن يتزوج من الأميرة صبيحة سلطان؛ كان يقول دائمًا هذا لي. لكنها لم تكن تتحدث معه؛ رغم أنه كان يظهر أمامها متعمدًا. وكان يريد الزواج منها؛ وكان يقول:" هذه إرادتي ورغبتي واريدها أن تتحقق". غير أن الذي أعاقه عن تحقيق حلمه أنها كانت تقارن بين أثنين ألا وهما أنور باشا وناجي سلطان بك ولا تفكر في أي شخص ثالث حينها. وبخاصة أن الإثنين كانا يظهران لها أنهما على استعداد أن يقدما حياتهما من أجلها. ومرت الأيام واستطاع مصطفى كمال باشا أن يتعرف على الأميرة صبيحة سلطان؛ إلا أنها ردت طلبه من الزواج منها قائلة:" لا يمكنني أبدًا ان اربط مصيري** بمصير **قائد يحرص على حياته أكثر من حياة عائلته؛ وبخاصة أنه إذا وضع في وضع الإختيار بين أن ينقذ نفسه أو أن ينقذ عائلته؛ سيختار انقاذ نفسه وترك عائلته بكل تأكيد".** ونجد السلطان محمد وحيد الدين قد بحث نفس المسألة في مذكراته وقال بأنه عندما قابل

مظهر بك في المنفى بسان ريمو قال له:" **لقد عرض مصطفى كمال باشا علي ان يتزوج ابنتي؛ ويتصاهر معي كي تتوثق علاقتنا أكثر؛ بيد أني رددت عليه قائلاً:" إن ابنتي صبيحة سلطان تحب شخصًا أخرًا؛ وبعد ذلك خرج مصطفى كمال باشا من حجرتي وهو يقول لنفسه: " لقد أتيتك بنفسي؛ تذكر ذلك جيدًا". غير أنني رددت عليه ردًا كله حب؛ وحاولت أن أتلافى أن يغضب؛ غير أن الذي حدث غير ذلك. ولقد كنت أتسائل كيف عمت أخبار رفضي لطلب مصطفى كمال باشا من الزواج من ابنتي صبيحة في الحرملك؟! غير أن الجواب قد علمته عبر تتبعي للأغوات الخصيان بحرملك القصر السلطاني؛ في ذات مرة استمعت إلى الأغوات الخصيان وهم يتحدثون في هذا الأمر من خلف أحد الأبواب؛ فعلمت أنهم هم من يسترقون السمع بين أركان القصر السلطاني".**

وقبل أن توافق صبيحة سلطان على الإرتباط بالأمير عمر الفاروق كان هناك قبل من تقدم لخطبتها ووافقت عليه إنه محمد علي بك ابن أخو الغازي أحمد مختار باشا؛ أي ابن السفير العثماني في لندن شوكت باشا؛ وبعد أن أعلن في القصر السلطاني عن خبر خطوبة صبيحة سلطان من محمد علي بك وتم استدعائه من لندن إلى استانبول؛ لأجل اتمام إجراءات الخطبة؛ إلا أنه مرض فجأة ودخل تحت الحجر الصحي؛ لهذا السبب لم يستطع أن يأتي إلى استانبول؛ لأجل اتمام إجراءات الخطبة؛ وبعد ذلك انقطعت أخباره؛ ولم يرد حتى على القصر السلطاني بجواب يشرح فيه وضعه؛ كأنه قد غرق في البحر؛ فلم يحر جوابًا.

لقد كانت صبيحة سلطان تتخيل نفسه أنها ستتزوج من فارس الأحلام الغني الذي سيسعدها؛ ويحملها على فرسه الأبيض؛ لكي يذهب بها بعيدًا على غرار قصص ألف ليلة وليلة؛ إلا أن الذي حدث غير الذي كان في مخيلتها. فلقد حاول أنور باشا وكذلك ابن عمها الأمير ناجي سلطان بك أن يرتبطا بها؛ غير أن انور باشا قد تقدم لها عندما كان والدها السلطان محمد وحيد الدين وليًا للعهد. ,اصر على الإرتباط بها؛ وأحضر لها فستان الزفاف من فينا عاصمة النمسا؛ غير أنه وجهها كان عبوسًا ورفضت الإرتباط بأنور باشا بشدة. وبعد أن اصبح والدها محمد وحيد الدين هو السلطان الشرعي للبلاد؛ لم يتغير موقفها من أنور باشا؛ حينما أعاد طلبها عليها من جديد.

أما ولي العهد الأمير عبد المجيد أفندي فكان لديه ولدان. الأول 1898م ولد ذكر وهو الأمير عمر فاروق والثانية هي الأميرة دروشاهور Dürrüşehvar والتي تصغر عن أخيها الأمير عمر فاروق بستة عشر عامًا. في فصل الخريف عام 1919م طلب ولي العهد الأمير عبد المجيد أفندي من السلطان محمد وحيد الدين أن يقابله في أمرٍ هام على إنفراد. فقال له السلطان محمد وحيد الدين:" **تفضل في أي وقتٍ**

يناسبك". فدخل الأمير عبد المجيد أفندي ولي العهد من قسم المباني الصغيرة في قصر يلدز ومنها إلى قاعة مبين الذي يجلس فيها السلطان محمد وحيد الدين. فلما رأى السلطان محمد وحيد الدين قال له:**" ابني الأمير عمر الفاروق يريد أن يتزوج من ابنتكم الأميرة صبيحة".** غير أن السلطان محمد وحيد الدين كان في حيرة من أمره؛ بماذا يجيب عليه؟! فقد كان الأمير عبد المجيد أفندي دائم النقد لسياسات السلطان محمد وحيد الدين. والأولى ان يتم الزواج خارج العائلة السلطانية؛ كي تتشعب أفرع العائلة وتكبر؛ وكيف الحال إذا تعرضت ابنته إلى نقد حماه الأمير عبد المجيد أفندي ولسانه اللاذع. وبالرغم من كل ما كان يفكر فيه السلطان بينه وبين نفسه؛ نظر إلى ولي العهد الأمير عبد المجيد أفندي وقال له:**" ابنتي مخطوبة... ولا يوجد في نيتي أن أجعلها ترتبط بأي أحد من أبناء العائلة السلطانية".** حينها عقب عليه الأمير عبد المجيد أفندي وقال للسلطان محمد وحيد الدين:**" كيف يكون هذا؟! هذا الزواج يستحيل أن يتم! إن ابني عمر فاروق قد تخرج روحه من جسده؛ إن تم مثل هذا الزواج وتزوجت صبيحة سلطان؛ لا يجب أن تعطي إذنًا باتمام هذا الزواج. عليك أن تنقذ حياة ابني من الموت".** حينها عقب عليه السلطان محمد وحيد الدين قائلاً له؛ إن مثل هذا القرار ليس بيده؛ والحب من طرف واحد؛ لا يمكن أن ينجح الزواج. فرد عليه الأمير عبد المجيد أفندي معقبًا: فإذا تبين لك أنها تعشقه وتحبه؛ كما هو يعشقها ويحبها. وبعد عدة سنوات من النفي كتبت الأميرة صبيحة سلطان عن زواجها من الأمير عمر الفاروق؛ في مذكراتها قائلة:**" قبل ان اتزوج الأمير عمر فاروق كنت مخطوبة. وكان خطيبي يعمل في نظارة الخارجية العثمانية. وكان ابن سفيرنا في لندن شوكت باشا. وكان خطيبي يجهز كل شيء لأجل اتمام استعدادات الزفاف. في هذا الوقت عاد الأمير عمر فاروق من ألمانيا إلى استانبول. وتعرفت عليه وتحدثنا اثناء وجودي في القصر السلطاني باعتباره من أبناء عمومتنا. غير انني لم أكن اعرف ان هذا اللقاء الوحيد بيني وبينه؛ سيكون سبب في عشقه لي من اول نظرة. حتى أن والدي أتي إلي بعد هذا اللقاء وقال لي:" إن الأمير عمر فاروق يريد أن يتزوجك؛ فماذا أقول له؟!" فقلت لوالدي:" إن خطيبي على وشك الوصول؛ وسنتزوج". فقال لي والدي:" إن والي العهد الأمير عبد المجيد أفندي يصر؛ إصرارًا وبإلحاح على زواج ابنه منكِ؛ فماذا يجب عليا أن أفعل معه؟! إنه لا يراني؛ إلا ويتحدث معي في امر زواجك من ابنه". فقلت لوالدي:" إنني مخطوبة؛ ولا يحق له أن يطلبني للزواج وانا مخطوبة". غير أن الأمير عمر فاروق قد عمل عدة اتصالات له عبر أحد اصدقائه المقربين في لندن وعمل منه أن أن وضع شوكت باشا ليس جيدًا؛ وأنه لا يستطيع أن يعود إلى استنانبول؛ وأنه وضحه الصحي في خطر. وعندما علم والدي بصحة الأخبار التي أتي بها الأمير عمر فاروق إليه؛ دخل علي وقال لي:" انتهى الأمر؛ سوف تتزوجين من الأمير عمر فاروق". حينها كنت في حيرة وكان موقف والدي مني محير؛ إلا أنني قلت له:" تمام؛ أنا موافقة على الزواج من الأمير عمر فاروق";**

وتزوجنا بعدها؛ وأرسل لتجهيز كل شيء لأجل استعدادات الزفاف؛ بما يليق بزفاف أميرة ابنة سلطان؛ وأمير من بيت الملك. وبعد ثلاثة أشهر من الخطبة ترك الأمير عمر فاروق الوطن إلى الخارج. وعندما عاد وجدته قد أعد حفل الزفاف على أكمل وجه. وكان حفل الزفاف بحضور شيخ الإسلام في قاعة الخرقة النبوية الشريفة بقصر طوبقابي " قصر باب المدفعية"؛ وكان ذلك بتاريخ 5 ديسمبر 1919م. وبعد صلاة العصر كتب شيخ الإسلام حيدر زاده إبراهيم أفندي وثيقة زواجنا. وكان مهري المعجل في الوثيقة 1001 ليرة ذهبية؛ ومؤخر صداقي 1000 كيس من الذهب. وكان وكيل الأمير عمر فاروق في الزواج مني هو سركارين عمر ياور باشا Serkarin Ömer Yaver Paşa؛ وكان وكيلي علي فؤاد؛ وبحضور الشاهدان مع والدي السلطان محمد وحيد الدين؛ وهما صهراه؛ زوج ابنته الكبرى الأمير إسماعيل حقي بك؛ وصهر إسماعيل حقي بك؛ باش ياور ناجي باشا. وكان ممن شهد عقد نكاحي كلٍ من مدير الخزينة الخاصة رفيق بك Refik Bey وأغا الجواري جوهر؛ وكان جوهر أغا الجواري لا يستطيع أن يقرأ أو يكتب؛ لهذا السبب بصم على عقد النكاح بخاتمه. ولقد فصلت ثياب زفافي عند أفضل خياط في استانبول حينها؛ إنه الخياط كاليف روزي Kalivruzi. وكان من عادات الزواج السلطاني بين أبناء العائلة الحاكمة حينها ان تعطى العصمة من الزوج إلى يد الزوجة؛ إلا أنني رفضت ذلك؛ وأعطيت العصمة لزوجي المستقبلي الأمير عمر فاروق".

وفي موضوع حق العصمة تذكر الأميرة صبيحة سلطان في مذكراتها الآتي؛ بخاصة بعد أن طلقها الأمير عمر فاروق في القاهرة بتاريخ 5مارس 1948م بسبب الحالة المادية:" **كتب لي زوجي الأمير عمر فاروق رسالة الطلاق على الشكل التالي:" إلى الأميرة صبيحة سلطان صاحبة السعادة؛ نظرًا لأن حياتنا في الفترة الأخيرة المادية والمعيشية أصبحت لا تطاق؛ وأنتهى التفاهم بيني وبينك؛ فقد طلقتك بعلم أبنائي وبحضور شاهدين على ورقة الطلاق؛ لأني حياتي معك من المستحيل أن تستمر على هذا الوضع. أرجوا ان تفهمي أنني مع الأسف قد أجبرت على تطليقك؛ بسبب أوضاعنا المادية والنفسية. وأرجوا ألا تفهمي انفصالنا عن بعضنا البعض من وجهة نظر خاطئة.**

القاهرة – المعادي- 5 مارس 1948

الأمير عمر فاروق".

غير أن الأمير صبيحة سلطان بعد طلاقها من المير عمر فاروق؛ كانت سوف تتزوج من احد أحفاد السلطان عبد العزيز خان وابن عم زوجها السابق الأمير عمر فاروق؛ بيد أن هذا الزواج هذه المرة لم يتم

بسبب اصرارها عند عقد النكاح أن تكون العصمة في يدها؛ ورفض العريس الأمير مهري شاه Mihrişah ذلك.

45.2. أجمل الأمراء على الإطلاق

لقد ولد الأمير عمر فاروق في عام 1898م باستانبول؛ وكان أصغر من الأمير صبيحة سلطان بأربع سنوات. وكان أجمل الأمراء تخرج من المدرسة الأكاديمية العسكرية في بلاروسا؛ ثم ذهب إلى ألمانيا وهناك تعلم الشدة والقوة من الألمان. وفي شهر أكتوبر من عام 1920م؛ قام السلطان محمد وحيد الدين بأخذ مبلغ قدر 35 ألف ألف ليرة من الخزانة الخاصة بالقصور السلطانية؛ وذلك لأجل دفع مصاريف تجهيزات صبيحة سلطان وملابس أختها ونساء القصر السلطاني. حتى أن قائد المنطقة العسكرية في رومللي حصار زكي باشا Zeki Paşa قال:**" لأجل تجهيزات زقاق صبيحة سلطان ونساء القصر؛ صرف السلطان كل ما كان بخزانة القصر".**

وكانت ابنتها الأولى من نتاج زواجها من الأمير عمر فاروق هي الأميرة فاطمة نصلي شاه Fatma Naslişah والتي ولدت بتاريخ 4 فبراير 1921م؛ وكانوا ممن كتبوا لها تذكرة تهنئة ميلادها؛ ثلاث قدماء من الصدور العظام بالباب العالي[75]؛ الأول صالح خلوصي باشا Salih Hulusi Paşa و الثاني أحمد عزت باشا Ahmed İzzet Paşa والثالث وكيل الصدر الأعظم الحالي حينها علي رضا باشا Vekili Ali Rıza Paşa؛ ومن طرف العائلة العثمانية أحضر لها كراسة بتاريخ 12 مارس كتب فيها 51 تهنئة من طرف أفراد العائلة العثمانية الحاكمة؛ في 31 صفحة مختلفة.

وكانت آخر من قيد اسمها في دفتر المواليد العثماني من أحفاد الدولة العثمانية هي الأميرة نصلي شاه. أصلاً كان عمر فاروق بك ينتظر أن يأتيه والدًا ليرثه ويحمل اسمه من بعده؛ ولم يكن يعتقد أنه سيرزق بفتاة. حتى أنه اختار اسم المولود قبل أن يولد فسماه أوغوز عثمان Oğuz Osman؛ إلا أنه عاد فغير اسمه إلى اسم والده الأمير عبد المجيد أفندي. وكان الأمير عمر فاروق يلعن أنه يريد أبناء ذكور كثر من أجل العرش العثماني. حتى أنه أعد لائحة بأسماء أبنائه الذكور؛ غير أنه زرق بثلاث إناث على عكس ما كان يتمنى ويتوقع؛ وهم على الترتيب نصلي شاه وخان زاده Hznzade ونجلا Necla؛ عندما تزوجت صبيحة

---

[75] الباب العالي؛ يقصد به منصب الصدراة العظمى أي منصب رئاسة الوزراء، المترجم.

سلطان كان مصطفى كمال باشا في مدينة سيواس؛ ولم يجرأ أحد حينها أن يخبره بخبر زواح صبيحة سلطان؛ فقد كان مصطفى كمال باشا يريد نظارة الحربية؛ ولم يكن هناك من طريق يوصله إليها سريعًا؛ أسهل من زواجه بالأميرة صبيحة سلطان. غير أن السلطان محمد وحيد الدين وابنته صبيحة سلطان لو كان قبلوا عرض مصطفى كمال باشا بالزواج من صبيحة سلطان؛ كيف حينها سيكون التاريخ يا ترى؟! وكيف كنا سنكتبه الآن؟!

46.2. الرفض وخيبة الأمل

بعد أن ولدت البنت الأولى للأمير عمر فاروق جلس في استانبول بضعة أشهر. وكان فكره مشغولاً لوقت طويل بأنه لم يستطع أن يحقق ما يريد لأجل أن يستطيع أن يذهب إلى الأناضول؛ لهذا أتخذ قراره بعد الذهاب إلى ألأناضول. ولكن السبب الحقيقي في عدم ذهاب الأمير عمر فاروق إلأى الأناضول ليس هو. إنما أبيه ولي العهد الأمير عبدالمجيد أفندي؛ حتى أنه كان يقول له؛ هل تعتقد أنك يمكن مستقلاً أن تحكم الدولة من أنقرة. في تلك الآوانة وصل من طرف مصطفى كمال باشا إلى استانبول يمني بك Yümni Bey (في أوائل عصر الجمهورية سيترقى حتى يصبح لواءً بالجيش ثم سيعين كوزير للمواصلات واسمه ولقبه يمني أوراسن Yümni Üresin) ويمني بك وهو أحد كبار ضباط المراسيم السلطانية؛ إلا أنه أنضم إلى حركة التحرير القومية الأناضولية بأنقرة؛ وكان الغرض من إرسال مصطفى كمال باشا له إلى استانبول أن يقابل ولي العهد الأمير عبد المجيد أفندي. وأن يدعوه إلى زيارة أنقرة وكان ممكن وقعوا على مكتوب الدعوة للزيارة لأنقرة مصطفى كمال باشا ووكيل وزراة الداخلية بحكومة أنقرة جامع بك Camii Bey ورئيس مخابرات الحركة التحريرية القومية الأناضولية حمدالله صبحي Hamdullah Suphi[76]؛ غير أن ولي

[76] حمد الله صبحي Hamdullah Suphi من مواليد استانبول لأم شركسية اسمها ألفت حواء هانم كانت من أسرى بلاد القوقاز. وبعد تحريرها أتت إلى استانبول. ولأب تركي اسمه عبد اللطيف صبحي باشا؛ تعلم في المرحلة الإبتدائية في كتاتيب الصبيان السلطانية؛ ثم تبع ذلك أن أنهى تعليمه الثانوي في مدرسة المترجمين الثانوية الفرنسية؛ لهذا عمل بمكتب آيا صوفيا بقلم المترجمين؛ ثم دخل كلية الفنون العثمانية الإسلامية الجميلة وحصل منها على الليسانس. وكان من مؤيدي ومناصري النظام الدستوري؛ لهذا في عهد المشروطية الثانية زمن السلطان عبد الحميد الثاني؛ كان أحد أهم المنظرين لحقوق السلطان ونواب الشعب؛ حسب وجهة النظر الحقوقية القانونية الفرنسية. انضم لحكومة حركة التحرير القومية التركية الأناضولية. وبعد احتلال إزمير عام 1919م؛ نادى بالإصلاح الدستوري الثالث في استانبول. له ميل إلى الحركات القومية أكثر من ميله إلى مفهوم الأمة المسلمة الواحدة المتعددة العرقيات. وكان يرى أن الأمة هي العرق؛ لهذا أسس المجلة الوطنية العثمانية؛ وأسس جمعية وطن الأتراك وحزب الوطن التركي في مدينة أدرنة 1913م. وكان عضو آخر مجلس مبعوثان برلماني بالحكومة العثماني؛ ومن أوائل أعضاء برلمان الجمهورية التركية. وأول مدير لمتحف الأعراق البشرية بأنقرة. وكان أول سفير للجمهورية التركية في بوخارست من 1923-1939م. كما أنه عمل مديرًا لمكتب الإستخبارات التركية القومية لحكومة أنقرة أثناء حرب الإستقلال؛ وفي أثناء عمله رئيسًا لهذا المكتب قابل الشاعر العثماني الألباني محمد عاكف أرصوي؛ وقبل منه شعره كنشيدًا لحرب الإستقلال؛ الذي سيصبح فيما بعد النشيد الوطني التركي؛ كون عدة أحزاب سياسية بعد وفاة مصطفى كمال باشا؛ مثل الحزب الديمقراطي الذي مثله في برلمان حكومة أنقرة عن مدينة استانبول وحزب الحرية الذي أسسه عام 1957م؛ وفي

العهد عبد المجيد أفندي لم يقبل هذه الدعوة؛ وأعتبر ان قبوله لها كأنها إنهاء للوجود العثماني في استانبول؛ وأن هذه الدعوة تخفي ورائها شيئًا غير معلوم. ولكنه فهم من الدعوة أن مصطفى كمال باشا كان يريد أميرًأ عثمانية يمكن أن يستخدم اسمه في جمع باقي الأقاليم الأناضولية الغير مؤيدة لحركة التحرير القومية الأناضولية؛ وبذلك ينهي باسم هذا الأمير العثماني الجدل القائم بشأن موقف حكومة انقرة من السلطان محمد وحيد الدين؛ وبأن الحركة التحريرية القومية الأناضولية ليست معادية للسلطنة والخلافة العثمانية. بيد أن ولي العهد الأمير عبد المجيد أفندي كان يرى أنه مفعول به؛ لا فاعلاً في هذا الأمر؛ وأن مثل هذه الزيارة تمثل خطر وجودي على الدولة العثمانية؛ وتحقق لحكومة أنقرة؛ ما تعجز عن تحقيقه وحدها؛ فإذا انتهى الأمر واستتب الوضع لحكومة أنقرة؛ ما الداعي الذي يدفعهم للحفاظ على الأسرة العثمانية. وفي ذلك يذكر يمني بك في مذكراته عن لقائه بولي العهد الأمير عبد المجيد أفندي قائلاً: **"...لم يبدي الأمير ولي العهد عبد المجيد أفندي أي سرور تجاه دعوة مصطفى كمال باشا له لزيارة أنقرة. لقد رايت ذلك في نظرات عينيه عندما قرأ رسالة مصطفى كمال باشا والتي كانت تبرق كالرعد أمامي. غير أنني بصفتي أحد الياور العثماني " ضباط التشريفات العثمانية"الذين كانوا يعملون في القصر السلطاني منذ عامين؛ كانت خبرة في التعامل مع أفراد العائلة العثمانية؛ لهذا تحدثت معه بأسلوب وبكلمات أعلم أنها قد أثرت فيه نفسيًا؛ بكل تأكيد. ثم تركني وذهب. وبعد نصف ساعة استدعاني للقائه. ثم قال لي:" لقد قرأت في الرسالة أن ما قام به كل من السلطان محمد وحيد الدين وصهر السلطان الصدر الأعظم فريد باشا من أعمال وإجراءات سياسية خلال الفترة الأخيرة تعتبر أعمال منفية وغير مثبتة القبول لدى حكومة أنقرة؛ وأن هذه الأعمال والإجراءات السياسية ذات ضرر كبير؛ من هذه النقطة علينا أن نقف ونتحدث:" عليك أن تعطيني فرصة لأفكر لعدة أيام. لكي أستشير المخلصين من حولي من المقربين لدي.لأنني بحاجة إلى مشورتهم الفكرية؛ لكي أعتمد عليها في ردي على مصطفى كمال باشا. وبعد ذلك سوف نتحدث. وأعلم بأنني سوف أستشير في هذا الأمر كلٍ من الصدر الأعظم القديم أحمد عزت باشا؛ صهري وناظر داخلية الدولة العثمانية القديم شريف باشا وصهري الآخر خليل باشا". وبعد يومان من هذه المحادثة مع ولي العهد عبد المجيد أفندي؛ قمت بزيارته. فوجدته مرتدد في القبول وحزين في نفس الوقت. وكانت حالته النفسية في منتهاها. وبالرغم من ذلك قال لي:" نعم أرغب في الذهاب إلى الأناضول؛ ورغبتي أشد في الإشتراك في حرب التحرير مع الحركة التحريرية القومية الأناضولية؛ وكنت أريد تحقيق ذلك. لكني فكرت مع نفسي وطرحت عليها عدة أسئلة وأطرح نفس هذه الأسلة عليك يمني بك:" بماذا سأفسر لعائلتي سبب سفري إلى الأناضول؟! وكيف**

نهاية حياته جلس في قصر جده صبحي باشا؛ والذي وافته المنية فيه بتاريخ 19 يونيو 1966م، أنظر موسوعة المعارف الإسلامية التركية https://islamansiklopedisi.org.tr/tanriover-hamdullah-suphi

سيكون وضعي داخل العائلة العثمانية من الناحية السياسية وكيف سينظرون إلي عندما يرون هذا التغير مني وإنتقالي إلى جوار حكومة أنقرة؟ وبماذا سأفسر لهم ذلك؟! وهل سيكون هذا إنتقالي إلى جوار حكومة أنقرة في صالح الأمة أم لا؟! حقيقة اسئلة لا أعرف؛ وحاولت الترجيح كثيرًا بين بقائي في استانبول والذهاب إلى الأناضول؛ فوجدت أنه من الأفضل للحفاظ على وحدة تمساك العائلة العثمانية هو بقائي في استانبول".

بعد نفي الخليفة عبد المجيد أفندي بعدة سنوات كتب منقول عن كاتب الخليفة عبد المجيد أفندي الخاص حسين نقيب تورخان Hüseyin Nakib Turhan وقد نقل فيه الكاتب هذه الرواية نقلاً عن كاتب الخليفة:" **بسبب السلطان محمد وحيد الدين؛ أرسل مصطفى كمال باشا يمني أورسن بك مع بعض ضباط التشريفات للقاء ولي العهد الأمير عبد المجيد أفندي. وكان لابد على يمني بك والوفد الذي معه قبل لقاء الأمير ولي العهد أن يقابلوا كاتبه الخاص ليحدد لهم موعد للقائه. فعندما سألتهم عن سبب الزيارة. أجابوا علي قائلين:" بسبب اتفاق هدنة سيفرس قد أتينا لنعرف موقف ولي العهد الأمير عبدالمجيد أفندي منها". وبخاصة أنه كان هناك تواصل مستمر بين حكومة أنقرة وولي العهد عبد المجيد أفندي. غير أن حكومة استانبول نظرت إلى على أنني المتواصل الوحيد مع حكومة أنقرة. مما دفعني في ذلك الوقت للجوء إلى سفارة حكومة إيطاليا؛ وحصلت منها على جواز سفر إيطالي؛ وبهذا الجواز استطعت السفر إلى أوروبا عندما علمت بخبر إعتقالي. غير أن حكومة أنقرة أرسلت إلى وأنا في خارج البلاد مجيد أفندي Mecid efendi لاقناعي بضرورة اقناع الأمير ولي العهد عبد المجيد أفندي بضرورة الرحيل من استانبول إلى جوار حكومة أنقرة. غير أنني قولت له:" لا أستطيع أن أقنع ولي العهد بمثل هذا الأمر". وفي هذه الأثناء وصل إلي وكيل الخليفة محمد وحيد الدين إلى برلين؛ وقال لي:" لعدم اقناعك لولي العهد عبد المجيد أفندي بالإنتقال إلى جوار حكومة أنقرة؛ فالخليفة محمد وحيد الدين يأمرك بالعودة إلى استانبول. ويأمنك على حياتك". حينها عدت من برلين إلى استانبول عبر جواز السفر الإيطالي. غير أن مندوب حكومة أنقرة يمني بك ومن معه قالوا لي عندما قابلوني في استانبول:" إن ولي العهد عبد المجيد أفندي إذا انتقل إلى جوار حكومة أنقرة؛ فإنه من السهل إعلانه سلطانًا وخليفة على البلاد؛ بدلاً من السلطان محمد وحيد الدين". ثم قالوا لي خطة نقل ولي العهد لحكومة أنقرة كالتالي ستكون:" سوف ينتقل ولي العهد الأمير عبد المجيد أفندي إلى أنقرة؛ إذا وافق؛ عبر وسيلة مواصلات إيطالية ستنقله إلى بيكوز Beykoz في شمال استانبول الآسيوية. وبعد عبوره سيجد هناك طابور عسكري لحمايته سيسير معهم. وهم سيتكفلون بنقله إلى أنقرة". في هذا الوقت كانت الحالة النفسية لولي العهد الأمير عبد المجيد أفندي سيئة للغاية.**

وكان يفكر كثيرًا بماذا سيكون عليه الوضع إذا فعل ما يطلبه منه مصطفى كمال باشا؟ وكيف سيكون الوضع إذا رفض عرض مصطفى كمال باشا؟ لهذه الأسباب كان مترددًا في القبول؛ ثم أتخذ قراره النهائي برفض عرض مصطفى كمال باشا. وكنت أنا ايضًا ممن يشعرون بالخوف من البقاء في استانبول؛ لهذا عودة إلى برلين مرة أخرى".

لقد علم السلطان محمد وحيد الدين بما كانت تدبره حكومة أنقرة من الإنقلاب عليه. كذلك علم بموقف ولي العهد عبد المجيد أفندي من هذا الإنقلاب؛ وبرفضه لعرض حكومة أنقرة من الإشتراك فيه. لهذا تغير فكر السلطان محمد وحيد الدين من القائمين على حكم حكومة أنقرة؛ إذا تحول من التأييد والصمت أحيانًا عن أفعالهم إلأى العداء. لقد كان رد ولي مندوب حكومة أنقرة من استانبول على مصطفى كمال باشا وأعوانه بأن: **"ولي العهد الأمير عبدالمجيد أفندي لن يأتي إلى أنقرة"**؛ سببًا في فتح مسار آخر لدى حكومة أنقرة. ولقد كانت المخابرات الإنجليزية في استانبول على علم بكل الاتصالات السرية بين ولي العهد الأمير عبد المجيد أفندي وحكومة أنقرة. وهي التي أبلغت السلطان محمد وحيد الدين برفض ولي العهد الأمير عبد المجيد أفندي لعرض حكومة أنقرة. غير أن السلطان محمد وحيد الدين مازال مشتبهًا فيه لدى الحكومة الإنجليزية بأنه يعمل ضدها في الأناضول منذ سنوات؛ وزادت هذه الشبهة لدى الحكومة الإنجليزية منذ عام 1919م. وفي ذلك يقول المندوب السامي العسكري الإنجليزي الأميرلاي الأدميرال كالثروب Amiral Calthrop ردًا على استفسار الإستخبارات الإنجليزية عن وضع السلطان محمد وحيد الدين وتحركاته؛ فأجابها بتاريخ 5 أغسطس 1919م قائلاً:" **إن محمد وحيد الدين يتظاهر بأنه في طرف الإتحاديين وبأنه زعيمهم؛ وذلك ليستخدمهم في الحفاظ على العرش العثماني؛ كي لا ينقلبوا عليه. لكن في القريب العاجل مثل هذا التظاهر من قبل السلطان ذو نتائج وخيمة عليه؛ لهذا يجب علينا في هذا الموضوع أن نتخذ الطريق الصحيح ونتواصل مع ولي العهد الأمير عبد المجيد أفندي".** وبنفس الفترة الزمنية أرسل وكيل القائد العسكري العام لجيوش الحلفاء بالأناضول ويب Webb بتاريخ 9 أغسطس 1919م إلى الترجمان ريان Ryan يأمره فيها بدراسة تفصيلية نفسية عن ولي العهد الأمير عبد المجيد أفندي. وبالفعل أرسل ريان إلى القائد ويب هذه الرسالة التي احتوت على كل صغيرة وكبيرة متعلقة بولي العهد الأمير عبدالمجيد أفندي. حينها أرسل القائد ويب تقريره إلى الإستخبارات الإنجليزية في لندن قال فيها:" **حقيقة لا نستطيع أن نمسك كل من ولي العهد الأمير عبد المجيد أفندي والصدر الأعظم فريد باشا إذا اجتمعوا معًا على رأيٍ واحد. فإفادات الصدر الأعظم فريد باشا عن ولي العهد عبد المجيد أفندي تخالف المعلومات التي تجمعها عنه**

عيوننا هناك. فهو سريع الغضب؛ ولكن في نفس الوقت شخصية متقلبة المزاج". هذا التعليق من قبل القائد ويب استقاه من الكاتب الإنجليزي والترجمان الخاص بولي العهد في نفس الوقت المترجم ريان.

بعد ذلك طلب القائد ويب من المترجم ريان أن يحدد موعد مع ولي العهد الأمير عبد المجيد أفندي لكي يتقابلا معه. وبالفعل قابل ريان والقائد ويب ولي العهد عبد المجيد أفندي وواجاها بمعلومات المخابرات افنجليزية عن تواصله مع حكومة أنقرة وعن عرض حكومة أنقرة عليه الإنتقال إلى أنقرة. غير أن ولي العهد عبد المجيد أفندي أنكر كل ذلك. وأقسم أن هذه المعلومات التي وصلت إلى افنجليز معلومات كاذبة. من قبل في زمان السلطان عبد المجيد أفندي واجهت المخابرات الإنجليزية كل من الصدر الأعظم مصطفى رشيد باشا وعلي باشا بواقعة مشابهة لتلك الواقعة غير أنهما أنكرا ذلك حينها.

السلطان محمد وحيد الدين يعتقد أن الإنجليز أصدقاء للدولة العثمانية منذ 45 سنة. غير أن الحقيقة كانت على غير ذلك. والذي ساعد في تغير وجهة نظر السلطان محمد وحيد الدين من الإنجليز أفعال الصدر الأعظم فريد باشا معه ومع الإنجليز. فبالرغم من قبول فريد باشا لمعاهدة الهدنة في باريس مع الدولة العثمانية؛ وعلى الرغم من كونه هو السبب الأول في حدوث جريمة احتلال اليونانيين لإزمير وأعترافه للسلطان بذلك؛ إلا أن السلطان محمد وحيد الدين بعد عزل فريد باشا من الصدارة العظمى لأجل ذلك؛ أعاده مرة أخرى إلى الصدارة العظمى. والناس في استانبول والأناضول كانت تبغض فريد باشا؛ وتنادي بالسلطان محمد وحيد الدين أن يتولى زمام الأمور في الدولة بنفسه. وبالرغم من أن حركة التحرير القومية الأناضولية قد بدأ لها تأثير شعبي بين الأناضوليين وسكان استانبول؛ إلا أن الناس كانت تنظر إلى السلطان محمد وحيد الدين لكي يغير حكومة فريد باشا بأنها بحكومة أخف وطأة عليهم من حكومة فريد باشا. على الطرف الآخر كانت رغبات الناس واحتاجاتهم في الأناضول واستانبول ترفع إلى مصطفى كمال باشا وأعوانهم؛ عبر جهاز المخابرات الخاص بهم. لهذا قال مصطفى كمال باشا ذات مرة لأعوانه بأنه لابد من وجود رأس واحدة للسياسة التركية لكي تتفاوض مع الإنجليز. وبخاصة بأنه بعد إعلان المشروطية الثانية كانت الحكومة الإنجليزية تنظر إلى الأتراك على أنهم حمقى بتفضليهم الألمان على الإنجليز في الحرب العالمية الأولى. مما سبب ضغط نفسي على حكومة الخلافة في استانبول وجعل الدولة العثمانية تسحب يدها من يد الدبلوماسية الألمانية.

في الحقيقة بعد الحرب العالمية الأولى كانت القوى المنتصرة الحقيقية هي كل من الحكومة الإنجليزية ومن ورائها الحكومة الأمريكية. بيد أن هناك خلاف وقع بين الحكومة الإنجليزية والأمريكية بسبب تركيا.

فالحكومة الإنجليزية لا تريد أن تترك تركيا تخرج عن يدها وتذهب إلى يد الأمركيان. لأن هذا يعني فقد السيطرة على الطرق المؤدية إلى كل من الهند ومصر والجزيرة الفراتية " شرق الأناضول"؛ كما أن ذلك سيجعل تركيا الجار الشمالي للحكومة الإنجليزية في مصر وقبرص خارجة عن يدها؛ وقد تدفع الحكومة الإنجليزية تكاليف باهظة إذا سحبت يدها عن تركيا ثم أعادت محاولة سيطرتها عليها من جديد.

وبعد عرض كلام ولي العهد عبد المجيد أفندي من قبل القائد ويب على الورد بالمرستون Lord Palmerston؛ ولكن بعد سنة من هذا التقرير الإنجليزي بحق ولي العهد عبد المجيد أفندي؛ دخلت قوات الحلفاء استانبول عام 1920م. حينها بتاريخ 25 يوليو 1920م انتشرت اشاعات في استانبول بأن ولي العهد عبد المجيد أفندي قد إلتقى سرًا مع كل بطل معركة مدينة شبكا ببلغاريا المشير فؤاد باشا Şipka Kahramanı Müşir Fuad Paşa والصدر الأعظم القديم علي رضا باشا وابن توفيق باشا وصهر السلطان محمد وحيد الدين إسماعيل حقي بك وكتب معهم وثيقة تنازل عن العرش قال فيها: **" بأنه بعد إحتلال عاصمة الدولة العثمانية استانبول من قبل الأعداء؛ فلم يعد هناك أهمية فعلية للعرش العثماني؛ لهذا أتنازل عن العرش العثماني إلى سليم أفندي. والذي يمثل ابني الأكبر وينوب عنه في ذلك التنازل؛ لأن الدولة إذا كانت تحت الإحتلال فيستحيل على حكمها أن يستيقظون".**

بعد الإشاعة عن هذا التنازل وموقف ولي العهد عبد المجيد أفندي من دخول القوات الإنجليزية استانبول. بدأت المخابرات الإنجليزية في تعقب الأمير عبد المجيد أفندي. وتحسب عليه أنفاسه. وتكتب تقارير دورية إلى الحكومة في لندن عن حركاته وأفعاله وإتصالته ومقابلاته...وغير ذلك.

بتاريخ 5 أغسطس 1920م أرسلت الحكومة الإنجليزية في استدعاء وزير الحربية الإنجليزي الذي شارك في القضاء على الوجود العثماني في البلقان إلى استانبول. والذين أطلقت عليه إنجلترا حينها اسم بطل احتلال البلقان. حيث كتب إلى المخابرات الإنجليزية في لندن عبر شفرة خاصة عن ولي العهد الأمير عبد المجيد أفندي الرسالة التالية: **" إن ولي العهد الأمير عبد المجيد أفندي يرفض مساعدة الفرنسيين والإيطاليين له في العبور بطريقة آمنة إلى الأناضول. ويقول بأنه إن فعل ذلك وانضم إلى حكومة أنقرة فمصطفى كمال باشا لن يستطيع أن يأتمنه. وليس بالشخص الثقة بالنسبة له. ويقول فإنه إنما سيكون بذلك السبب الحقيقي في قوة مصطفى كمال باشا؛ حيث سيتخذه مصطفى كمال باشا كطائرته السريعة أو كغواصته الخاصة؛ التي يحقق بها حلمه في الوصول إلى هدفه الذي يطمح إليه من القضاء على العائلة العثمانية. لهذا السبب يقول بأنه لا يستطيع أن ينتقل إلى الأناضول في جوار حكومة أنقرة".**

غير أن وزير الخارجية الإنجليزية عقبت على رسالة المخابرات الإنجليزية عند الحكومة البريطانية في لندن قائلة فيها:" **إن السلطان محمد وحيد الدين يرفض التخلي عن استانبول والإنتقال إلى جوار حكومة أنقرة؛ على الرغم من أن حكومة أنقرة تقول بأنها ستعلنه سلطانًا للبلاد هناك. لأن السلطان محمد وحيد الدين يعتبر نفسه السلطان الفعلي للبلاد؛ ويرفض أن ينصاع لأوامر مصطفى كمال باشا وإرادته".**

لقد نتج عن هذه الأوضاع السياسية والإتصالات بين عبد المجيد أفندي ولي العهد والأوروبيين ومن اتصالاته مع حكومة أنقرة؛ أن أمر السلطان محمد وحيد الدين بحبس عبد المجيد أفندي في قصر دولما بهتشه؛ وبعدم خروجه منه. وبعد 38 يومًا أي بتاريخ 7 سبتمبر 1920م قامت الشرطة بمحاصرة قصر ولي العهد الأمير عبد المجيد أفندي؛ ومنعت اتصاله مع العالم الخارجي. حتى أن ابنته دورالشهور Dürrüşehvar عندما مرضت رفضت أن تسمح لهم الشرطة بإحضار الطبيب لكي يراها ويعاينها.

وفي تلك الآونة أرسل قائد الجيش الإنجليزي في البلقان سابقًا؛ ومدير المخابرات الإنجليزية باستانبول حينها؛ رسالة تلغرافية سرية إلى الحكومة الإنجليزية بتاريخ 16 سبتمبر 1920م قال فيها:" **إن الأمير عبد المجيد أفندي ولي العهد العثماني يرفض الإنتقال إلى جوار حكومة أنقرة القومية. على الرغم من أن حكومة أنقرة حاولت إغرائه بشتى الطرق؛ حتى أنها عرضت عليه 50 ألف ليرة مقابل الإنتقال إليهم".**

وتحت الضغط الإنجليزي؛ لم يكن لأي أحد أن يفعل شيء داخل مؤسسات الدولة العثمانية في استانبول؛ إلا وعين رجل الإنجليز الأول الذي ينفذ تعليماتهم وصهر السلطان محمد وحيد الدين في نفس ذات الوقت الصدر الأعظم فريد باشا موجودة. وعلى الرغم من ذلك كان الإنجليز والصدر الأعظم فريد باشا في حيرة من موقف ولي العهد الأمير عبد المجيد أفندي؛ ومن تطور المواقف السياسية سريعًا معه. لهذا كان الإنجليز يضعون اختمال فرار الأمير عبدالمجيد أفندي إلى حكومة أنقرة؛ وقد أستعدوا لكل احتمال. وفي ذلك نجد الرسالة التي أرسلها قائد قوات الإحتلال الإنجليزي في استانبول إلى حكومته بلندن بتاريخ 13 سبتمبر والتي قال فيها:" **من المحتمل فرار ولي العهد الأمير عبدالمجيد أفندي إلى حكومة أنقرة. لهذا نجده قد أعد في قصر دولما بهتشه كل ما يحتاجه لأجل السفر لأنقرة؛ إلا أن الصدر الأعظم فريد باشا بتاريخ 16 يونيو كان يصر على ولي العهد الأمير عبدالمجيد أفندي أن يعود إلى مقر إقامته من جاملي جه Çamılıca إلى قصر دولما بهتشه Dolmabahçe عبر يخت أعد خصيصًا له. وكان غرض فريد باشا من ذلك أن لا يجعل ولي العهد يشك فيه أنه يراقبه؛ وأنه يريد معرفة كافة تحركاته؛ لكي يبقى تحت**

عينيه. لقد قام فريد باشا خلال هذه المرحلة بمحاولة كسب ثقة ولي العهد عبد المجيد أفندي؛ لكي يستطيع أن يعرف حقيقة نواياها. وبتاريخ 7 سبتمبر طالب ولي العهد عبد المجيد أفندي من الصدر الأعظم فريد باشا أن يجهز له المركب الذي أعده له لكي يتنزه به؛ بصورة سرية؛ غير أن فريد باشا أعتذر لولي العهد عن عدم قدرته على تجهيز المركب المخصصة له لتنزه؛ وذلك لأن رغبة الإنجليز كانت عدم السماح له بركوب المركب الخاص به. غير أن كل المعلومات التي قالها فريد باشا لولي العهد عن لسان الإنجليز كلها غير صحيحة؛ كما أن المعلومات الواردة عن رغبة ولي العهد في الإنتقال إلى جوار حكومة أنقرة كانت أيضًا غير صحيحة".

وبدأت الإشاعات تنتشر بين سكان استانبول بأن ولي العهد عبد المجيد أفندي القاطن في قصر دولما بهتشه؛ قد أعد له الإنجليز باخرة صغيرة لكي تنقله إلى الأناضول؛ لكي يلتحق بحكومة أنقرة؛ وليعلن من هناك عصيانه على السلطان محمد وحيد الدين. وبدأت اصوات الناس تعلوا بالغضب لأجل ما تنامى إليهم من قول على ولي العهد الأمير عبد المجيد أفندي. لهذا السبب قام الصدر الأعظم فريد باشا بتحديد الإقامة الجبرية لولي العهد عبدالمجيد أفندي في قصر دولما بهتشه ومنعه من الخروج والإتصال بأي أحد. مما أغضب القيادة الإنجليزية لقوات الإحتلال؛ إذا أن الصدر الأعظم فريد باشا بدأ يتصرف في الأمور داخل استانبول دون الرجوع إليهم.

مما نتج عنه زيارة المندوب السامي الإنجليزي لقيادة قوات الحلفاء باستانبول الأدميرال روبيك Amril Robeck بتاريخ 23 أيلول إلى مكتب الصدر العظم وصهر السلطان فريد باشا؛ ومقابلته معه وجهًا لوجه؛ واصداره أمرًا لفريد باشا بإنهاء الإقامة الجبرية عن ولي العهد عبد المجيد أفندي. وقال القائد الإنجليزي روبيك لفريد باشا حين الزيارة: **" أن الحكومة الإنجليزية تؤمن بأن ولي العهد المير عبد المجيد أفندي من المحال أن يهرب إلى جوار حكومة أنقرة".** غير أن الصدر الأعظم فريد باشا لأول مرة يرفض طلب للإنجليز؛ حيث قال للقائد روبيك: **" إذا كانت الحكومة الإنجليزية لديها ثقة في عدم فرار ولي العهد إلى أنقرة؛ فإني متأكد من أنه سيفر إلى هناك".** غير أن القائد الإنجليزي روبيك غضب على الصدر الأعظم فريد باشا وأمره بتنفيذ الأوامر الإنجليزية فورًا وبدون أي تأخير. وحينما علم الصدر الأعظم فريد باشا بأن روبيك جاد في تهديده؛ أراد أن يخفف من حدة التوتر في الحوار فقال له: **" حسنًا! سأرفع الإقامة الجبرية والحصار عن ولي العهد عبد المجيد أفندي؛ ولكن إذا هرب إلأى جوار حكومة أنقرة؛ فالمسؤول سيكون الإنجليز وحدهم؛ وليس أنا".**

في هذه الفترة كانت سياسة الحكومة الإنجليزية ترتكز على ضرورة دراسة كل الشخصيات السياسة التي تعمل على الساحة في الأناضول دراسة نفسية دقيقة. فكانت تضع لهم الاختبارات التي تحدد من خلالها درجة ولائهم للأتراك في الأناضول أو عدم ولائهم لهم؛ دون أن يشعر الشخص الذي يقع في الاختبار؛ أنه في امتحان من قبل المخابرات الإنجليزية. وكانت بناءًا على ذلك تحدد من الذي يمكن الإعتماد عليه. فمن يفضل مصلحته الشخصية على مصلحة قومه؛ هو رجلها في الأناضول الذي تستخدمه لتحقيق مصالحها.

وفي تلك الآونة أرسل وزير الخارجية الإنجليزي كورزون Curzon من لندن إلى المندوب السامي الإنجليزي لقيادة قوات الحلفاء باستانبول الأدميرال روبيك Amril Robeck رسالة استخباراتية عاجلة مشفرة؛ وكان نص الرسالة الآتي:**"إذا تم خلع السلطان محمد وحيد الدين من على العرش؛ وانتقل ولي العهد عبد المجيد أفندي إلى جوار حكومة أنقرة؛ فإن الأمور سوف تزداد تعقيدًا في الأناضول. لهذا السبب عليك أن تحفز ولي الصدر الأعظم وصهر السلطان فريد باشا أن يتخذ كافة التدابير اللازمة؛ لكي يمنع ولي العهد الأمير عبد المجيد أفندي من الفرار إلى جوار حكومة أنقرة. ولكن هذه التدابير التي يجب أن يتخذها الصدر الأعظم فريد باشا؛ لا يجب أن تفهم بأنها بإيعاز من الحكومة الإنجليزية؛ بل يجب أن تعرض أمام الناس وكافة رجالات الدولة العثمانية؛ أنها من تدابير الحكومة العثمانية في استانبول وحدها؛ دون أي صلة للإنجليز من قريب أو من بعيد بهذا الأمر. فتحرى الدقة عند تنفيذ هذا الأمر".**

وبالرغم من كل ما أثير حول ولي العهد عبد المجيد أفندي؛ غير أنه كان يخشى من إثارة حفيظة السلطان محمد وحيد الدين ضده. لهذا أرسل بتاريخ 16 سبتمبر 1920م رسالة إلى السلطان محمد وحيد الدين قال له فيها:**" بعد الله سبحانه وتعالى؛ لا أخاف من أحد؛ ولا أريد من أي أحد مساعدة".** ثم ذكر له خلال متن الرسالة بعد هذه الإفتتاحية أن الناس في الطرقات قد خنقت من سياسات الصدر الأعظم الماسوني فريد باشا؛ حتى أنهم يريدون أن يفروا من أي أرض يوجد فيها فريد باشا. ثم قال للسلطان محمد وحيد الدين في باقي الرسالة:**"هل تتذكر يا جناب السلطان الزمان الذي جئتني فيه؛ تطلب مني المساعدة في وضعك العصب الذي تمر فيه بسبب فريد باشا، وأنا حينها قد ساعدتك".** وكانت من نتائج مساعدة الأمير عبد المجيد أفندي للسلطان محمد وحيد الدين كما يفهم من رسالته؛ أنه قدم بالرغم من ذلك فريد باشا عليه؛ ولم يأخذ بنصائحه؛ وعينه صدرًا أعظم. وفي ذلك يقول ولي الخليفة عبد المجيد أفندي في مذكراته بعد النفي:

" لا أريد من أي أحد مساعدة؛ تكسر كبريائي. فحقوقي أرجوا من الله جل جلاله صاحب العزة أن يحافظ عليها؛ كما أنني أثق في نظافة أمتنا العثمانية؛ بأنها لن تقبل في كل ما اشيع عني. لأنني أثق في

أمانة أمتنا العثمانية. ولقد كنت أعمل في نصائحي لجناب السلطان الخليفة باستشارة العلماء المخلصين قبل أن ينتقل من الدار الدنيا (يقصد هنا السلطان محمد رشاد) بكل إخلاص له ولدولته. ولهذا كنت أول المبايعين لجناب السلطان الراحل. وأحمد الله أنه لم يكن من طرفي أي سوء نية ناحية السلطان رشاد حينها. ولم فراستي لتخيب في نصح السلطان في المصائب والمهالك وفي الإرشاد للطريق الصحيح له وكنت دائمًا أنصحه من خلال تجربتي وفكري الخاص؛ دون أي تأثير من أي أحد علي. ولقد تبين للسلطان حينها صحة كلامي وإصابته. وأعلم يا جناب السلطان محمد وحيد الدين بأنني لست خائنًا لعائلتي العثمانية أو لدولتي؛ بل أريد أن أخدمهما وأن أنقذ دولتنا وأمتنا من كل المحن التي تتعرض لها؛ والله على ما أقول شهيد. وأنا لست من هؤلاء الذين ينادون بالإنفصال الكارثي عن إسلامنا وحضارتنا الإسلامية؛ بل على العكس من ذلك أنا أؤمن بالوحدة الأممية لأمتنا الإسلامية. وأنا اؤمن أن الفكر الضعيف يكمن في تفرقة أمتنا وكلمتها. وأنا حينما أقول لك يا جناب السلطان محمد وحيد الدين ذلك؛ فإنما أتكلم من منطلق النظر إلى ستة عصور مضت من تاريخ دولتنا العثمانية؛ ولكني أرى الآن أن الإسلام ينزف دمًا. ولا تنتظر مني يا جناب السلطان أي جواب؛ فأنا ابذل كل ما في وسعي لكي أبطل ألاعيب الصدر الأعظم فريد باشا الذي لا أعرف كيف تصدقه؟! وكيف تتحمل حقارته لعائلتنا العثمانية الشريفة؟ ولكني أعلم سر غضب فريد باشا مني؛ لأنه أعجز من أن يستطيع أن يعرفني على حقيقتي أو أن يفهمني. وكما يقول المثل:" من لا يعرف سليمان؛ لا يعرف قيمة وزيره؛ فقيمة الوزير من قيمة السلطان. ومن لا يؤمن؛ لا يقدر قيمة الإنسان".
ونحن الآن نمثل العالم الإسلامي؛ ونقود الأمة الإسلامية في ذلك الظرف الحساس من تاريخها. ونواجه هجوم العالم الأوروبي النصراني كاملاً علينا؛ كيف يحق لك يا جناب السلطان أن تولي منصب حساس كالصدارة العظمى لعديم الشرف والذي يتخذ كثير من الإجراءات دون الرجوع إليكم؟ وحينما يأتي الزمان إلي وأصبح أنا السلطان؛ حينها سيعلم هذا الخائن قدره " يقصد فريد باشا". فأعلم يا جناب السلطان أنه كما يقال في الحكم:" قد يكون عمل بطيئًا؛ لكنه أنجح في التأثير والبقاء". وأنا أسألك يا جلالة السلطان محمد وحيد الدين وأقول:"كيف الحال الآن ومئات الملايين من المسلمين وكل أمتنا العثمانية تخضع لسلام مذل؛ لأجل مساعدات غير معترف بها منهم رسميًا لنا؛ قد أوقعنا فيها فريد باشا؛ فصارت الأمة الإسلامية كلها كأنها ذاهبة فداءًا له؟ وهذا الفداء لا يجب أن يكون. فعلي السلطان الخليفة أن يحافظ على مقام الخلافة المقدس ويرأس دولته في كل صغيرة وكبيرة بنفسه لكي يحافظ إلى جوار مقام الخلافة على مقام السلطنة.
فكل ما أتمناه أن تكون أن يا جناب السلطان محمد وحيد الدين على رأس كل كبيرة وصغيرة في الدولة العثمانية؛ وأن لا تترك جزء من حقوقك السلطانية في يد من يعرض حياة الخلافة والسلطنة إلى الزوال. فهذا أملي؛ وأتمنى أن تتذكر نصحي هذا قبل فوات الآوان. ولم يحدث في تاريخ دولتنا و أمتنا أن اوقف

ولي العهد وحبس في جناحه الخاص بمنزله. ومنع من الإتصال بالخارج أو مع أقاربه. دون إذن فرماني من السلطان؛ مثلمكا فعل فريد باشا معي! فبأي حق يفعل ذلك؛ غير أنه لا يوجد لديه في هذه المسألة سوى قوة واحدة يستطيع أن يعتمد عليها لحبسي؛ ألا وهي قوة الإنجليز. الذين تفاني فريد باشا في خدمتهم؛ أكثر من خدمته للسلطان وللدولة العثمانية وللأمة. فلولا أن الإنجليز ذهبوا إليه في مقام الباب العالي " رئاسة الوزراء" وكلفوه بذلك؛ لكي يتأكدوا من حسن نواياي؛ ما كان ليجرأ أن يفعل ذلك معي. غير أنه كان من الذكاء بمكان؛ حيث أظهر أن هذا الأمر صدر عن الحكومة العثمانية خوفًا على مقام السلطنة والخلافة؛ وأخفى أنه حبسني في جناحي بقصري بأمر الإنجليز؛ فظهر الأمر للقريب والبعيد على أن الدولة والسلطنة حبستني خوفًا من خيانتي؛ بينما في الحقيقة الخائن هو فريد باشا. حتى أنه قال في قرار رفع الإقامة الجبرية عني:" أن الحكومة قد رفعت الإقامة الجبرية عن ولي العهد؛ غير أنه في حالة إذا تبين لها أنه يريد الذهاب إلى الأناضول للإنضمام إلى العصيان؛ فإنه حينها سيحاسب أشد الحساب". ولكني أرد على افترائه علي وأقول:" نحن أمراء البيت العثماني؛ وعلى الأخص أنا بصفتي ولي العهد؛ قد تبين لي أنني إن ذهبت إلى جوار حكومة أنقرة؛ فإنما أكون كمن يعطي السكين للإنجليز لكي ينحروا الدولة العثمانية؛ فيكون لهم ذلك حجة للقضاء علينا؛ وعندما أرتيت ذلك؛ أردت من عدم ذهابي إلى الأناضول بجوار حكومة انقرة أن أحافظ على مقام الخلافة والسلطنة متماسكًا أمام العدو باستانبول. ولم أرى في أي وقت أن الإنضمام إلى الحركة القومية التحريرية في الأناضول من العمل المناسب بالنسبة لدولتنا. كذلك رجح كثير من أمراء البيت العثماني فعلي؛ وهذا ما علمته منهم بالخبر القطعي؛ لا الظني. والآن يا جناب السلطان محمد وحيد الدين قد علمت الحقيقة؛ وتبين لك ماهية حيل فريد باشا". وأنا اتذكر يا جناب السلطان محمد وحيد الدين حينما توليت العرش أقسمت بالقرآن أن تكون صادق ومخلص للقانون والدستور العثماني؛ وأقسمت على ألا تضر بالمسلمين في جميع أنحاء الدولة العثمانية وخارجها؛ بصفتكم خليفة المسلمين. وبناءًا على ذلك أسألك يا جناب السلطان وحيد الدين وأقول: هل ما قام به الصدر الأعظم فريد باشا من حبسي تحت الإقامة الجبرية دون أي دليل؛ أليس ضررًا بأحد المسلمين؟! وهل أنت راضي عن فعله في حقي؟! لقد نتج عن ذلك نهاية اعتباري أمام الداخل والخارج فإذا أتى اليوم الذي ستأتولي فيه الحكم؛ ستيذكر الجميع أن الصدر الأعظم فريد باشا قد حبسني في بيتي؛ ولن ينصاعوا لي. وفي الحقيقة يا جناب السلطان محمد وحيد الدين السر في عدم نجاح سياستك دائمًا في قيادة البلاد ترجع إلى اعتمادك على الصدر الأعظم فريد باشا؛ الذي دائمًا ما كان يفسد كل ما تقوم به من أعمال سياسية دون الرجوع إليك. ولقد نتج عن اعتمادك عليه يا جناب السلطان أن انتقلت عائلتنا العثمانية وأمتنا الإسلامية من مصيبة إلى مصيبة؛ ومن هلاك إلى دمار أكبر؛ وهو فريد باشا يقذف بنا إلى هذه المصائب دون محاسب

أو رادع له. وبالرغم من الشدة التي كان يتعامل بها محمود شوكت باشا مع أخوكم السلطان الراحل محمد رشاد. ومه ولي العهد المرحوم يوسف عز الدين أخي؛ إلا أنه كان يدافع عنكم يا جناب السلطان ويحاول أن يحافظ عليكم من أن تقعوا في المهالك المتنوعة. ولكني كنت أنا السد المنيع بالرغم من ذلك أمام قلة أدب كلٍ من محمود شوكت باشا وفريد باشا مع السلاطين؛ كما تعلمون. لكن مع الأسف والحصرة كسرتم يا جناب السلطان محمد وحيد الدين بسكوتكم على فعل فريد باشا بحبسي؛ ودون اصدار أي فرمان من قبلكم في حقي هذا السد المنيع. فهل هكذا تكون مكافأتي يا جناب السلطان وحيد الدين؟! فيا جناب السلطان الأعظم! هل ما حدث معي يليق بكم وبعائتنا وبدولتنا ومكانتها؟ أن أعامل بتك المعاملة السيئة بلا دليل سوى احساس الصدر الأعظم فريد باشا؛ لقد عاملني معاملة الخونة الذين يعدون للإنقلاب على السلطنة. لقد قيد حريتي وعاملني بالظلم؛ بدون أي وجه حق.وأنا أقسم بالله الخالق الواحد الأحد؛ بأن ما حدث معي لم يؤثر في بقدر ما أثر على اعتبار عائلتنا في أعين الداخل والخارج. وبذلك سترجع كل المصائب التي ستتعرض لها الدولة والسلطان؛ بسبب الشبهات التي أثارها حولي صدركم الأعظم فريد باشا؛ عبر بث الإشاعات بين الناس عني؛ إلى وحدي؛ فعندما أصعد لرأس السلطة؛ لن أكون سعيدًا بمدحٍ غير صادق من الأمة لي. فإذا كان هناك سبب لعذابي في حياتي؛ فإنه بسبب أن أحفاد السلطان محمد شلبي الأول والسلطان محمد الفاتح والسلطان القاطع سليم الأول وغيرهم من سائر السلاطين العظام؛ قد عجزوا عن أن يمنعوا دولتهم وأمتهم من أن تقع في مثل هذه المصائب والبلايا؛ وأصبحوا حتى عاجزين عن أن يأخذوا حقهم ممن هم دونهم قدرًا ومقامًا من معاونيهم.

يا سلطاني العزيز! أرجوا منك أن تستخرج فرمان إعدامي بعنايتكم الكريمة! لأنني لم أعد أتحمل ما حصل لي؛ ولم أعد أريد أن أرى نظرات الشفقة والشماته في عيون كل من حولي. فلقد أصبحت تعيسًا، وبائسًا؛ لدرجة أنني أصبحت أتمنى الموت. وأنا اعرض عليكم طلبي الأخير هذا؛ وأقول لكم لقد وثقتكم ثقة مقدسة وفي رأس الخونة فريد باشا؛ وجعلتموه محل ثقتكم وأعتمادكم؛ وأعطيته يا جناب كل الصلاحيات؛ ليفعل كل ما يحلوا له دون الرجوع إليكم. وهو الذي يقدم مصلحته الشخصية عليكم، وعلى الدولة. وأقول لكم في نهاية خطابي إليكم هذا الدعاء:" جعلكم الله ذخرًا للأمة؛ وحافظ على دولتكم الكريمة؛ ونشر في عهدكم العدل. وجعلكم تختارون الرجال الثقات؛ الذين يمكن الإعتماد عليهم بفراستكم". وأتمنى أن تكون يا جناب السلطان محمد وحيد الدين موفقًا في حفظ أمانة الأجداد الموكلة إلينا من السلطنة والخلافة المقدسة؛ وأن يعطيكم الله سبحانه القوة أن تنقذ مقامي الخلافة والسلطنة والأمة من المهالك. 2 محرم 1339هـ (16 أيلول 336- " 1920م").

لم يكن أمام ولي العهد الأمير عبد المجيد أفندي للإنتقام من الصدر الأعظم فريد باشا؛ ومن تنبيه السلطان محمد وحيد الدين لخطر فريد باشا على السلطنة والعائلة؛ غير أن يكتب هذا الخطاب الثقيل الكلمات. غير أن ولي العهد عبد المجيد أفندي كان هدفه الحقيقي من ذلك الإطاحة بفريد باشا بيد السلطان محمد وحيد الدين. ولم يكن ليستطيع أن يفعل حينها غير أن يكتب هذه الرسالة القوية للسلطان؛ بتلك الشدة. وبالرغم من ذلك؛ إلا أن فريد باشا ظل مستمرًا في حصار وزلي العهد شهرًا أخرًا في جناحه الخاص بقصر دلما بهتشه. غير أن ولي العهد عبدالمجيد أفندي خلال هذا الشهر تحول جناحه في مقر إقامته الجبرية إلى مركز زيارات دبلوماسية دورية باستمرار.

ففي تاريخ 2 أكتوبر 1920م ذهب رئيس شعبة المخابرات الإنجليزي باستانبول اليوزباشي جون بينيت John Bennett إلى قصر دلما بهتشه وقابل ولي العهد عبد المجيد أفندي. وقال للأمير عبد المجيد أفندي في اللقاء إن السلطان محمد وحيد الدين أصبح دكتاتورًا وحضر معه في اللقاء كاتب سر السلطان محمد وحيد الدين؛ رشاد باشا والذي قال لولي العهد:" **بأن العمل على خلع السلطان محمد وحيد الدين قد بدأ؛ وبأنه إن ذهب لن يعود مرة أخرى".** وفي تلك الآوانة بدأ الأمير عمر فاروق بالإتصال مع الإنجليز لرفع حصار فريد باشا عن والده ولي العهد الأمير عبد المجيد أفندي؛ والذي نتج عن إتصاله بهم في النهاية؛ أن سمحوا بتاريخ 16 أكتوبر 1920م برفع الأسلاك الشائكة من حول قصر دولما بهتشه؛ الذي يسكن الأمير عبد المجيد أفندي. ومن الغريب أن الذي رفع الأسلاك الشائكة عن قصر ولي العهد عبد المجيد أفندي؛ هو اليوزباشي جون بينيت بنفسه. كذلك سمح لولي العهد بالإتصال مع العالم الخارجي. وبالرجوع لسائر حياته الطبيعية. وبركوب المراكب.

لم تكن هذه هي نهاية المسألة؛ لأن الأمير عبد المجيد أفندي عندما يصبح هو الخليفة بعد خروج السلطان محمد وحيد الدين من استانبول؛ سيكون مستائًا جدًا من السلطان محمد وحيد الدين؛ وسيتستخدم معه كلمة هرب؛ ولهم يحفظ الأمانة التي وكلت له من قبل الأمة؛ وسينعته بالخائن. حتى في أيام المنفى بعد نفي كل من السلطان محمد وحيد الدين والخليفة عبد المجيد أفندي. ستستمر المشاحنة بينهما؛ وسيذكر كل واحدٍ منهما الآخر بما حدث معه؛ وسيلقي كل واحدٍ منهما بمسؤولية إنهيار السلطنة والخلافة العثمانية على الآخر.

وبعد ذلك أتى الربيع الأول لسنة 1921م؛ وبلغ حينها عمر نصلي شاه Neslişah شهران. غير أن والدها عمر فاروق قد استطاع الذهاب؛ ليدق جميع الأبواب داخل العائلة العثمانية وخارجها من أجل أن يرفع الحصار عن والده الأمير عبد المجيد أفندي. ولأجل ذلك كتب أكثر من رسالة؛ وأرسلها لأكثر من

شخصية هامة داخل البيت الحاكم. وقال لو لم أجد طريق غير طريق الإنجليز لأسلكه لفك أسر والدي من قبضة فريد باشا؛ فإنني مجبورًا حينها سأسلكه. وذلك إذا تبين لي أن الإنجليز ليسوا هم من امروا بحبس والدي في قصره. ثم أرسل إلى صهره السلطان والأخ الأكبر محمد وحيد الدين رسالة بعد أن استيقظ للصباح وبدأ يكتب فيها؛ وعدلها أكثر من مرة. وكان شكل الرسالة النهائي للسلطان محمد وحيد الدين على النحو التالي:" **أعرض على جناب السلطان الأعظم محمد وحيد الدين بعض الأمور الجسام. التي وقعت لوالدي الأمير عبد المجيد أفندي بدون وجه حق. وأن أعرض عليكم يا جناب السلطان ما لم تراه أعينكم الكريمة؛ ولا وصل إلى مسامعكم؛ من باب المحبة وصلة القربى والمصاهرة التي بيننا. إن الشخص الذي لديه استعداد أن يضحي بحياته لأجل الدولة العثمانية وبقائه. ولأجل الحفاظ على وحدة الأمة ووحدة العائلة العثمانية من التصدع والفتن. محجورًا عليه الآن. فهل هذا مناسبًا أن يقع هذا الأمر أمام عيني السلطان دون تدخل منه؟ ولم يحدث في تاريخ العائلة والدولة والأمة أن حصل لولي عهد من أولياء عهود السلطنة العثمانية من الحجر؛ مثلما حدث مع والدي ولي العهد الأمير عبد المجيد أفندي. إن الذي لا يرى أنه في قتال الحركة القومية لتحرير الأناضول ضد الأعداء حق مشروع؛ يعجز اللسان عن وصفه. ومن هذا الباب كان تواصل والدي الأمير عبد المجيد أفندي معهم من باب أن يحفظ للسلطنة العثمانية ولمقام الخلافة حقه في النفوس لدى سكان الأناضول؛ وألا يسمح لأي أحدٍ من أبناء هذه الحركة من نسبة النصر لنفسه؛ واتهام العائلة العثمانية وسلاطينها بالخيانة؛ وترك الأمة فريسة أمام أعدائها. غير أن والدي ولي العهد الأمير عبد المجيد أفندي لم يتطرق في اتصاله مع الحركة التحريرية القومية بالأناضول إلى غير ذلك. ولكنه فقط أراد خدمة الدين والأمة والسلطنة والخلافة. ورفض أي عرض من شأنه أن يهدد وحدة وسلامة الخلافة والعائلة العثمانية. لهذا يا جناب السلطان محمد وحيد الدين كل ما قيل بشأن والدي من الكذب والإفتراء؛ أرجوا منكم ألا تصدقه؛ وأن تأمر برفع الحجر الذي فرضه عليه الصدر الأعظم عنه. فالعناية الإلهية ترعاه في هذه المؤامرة التي دبرت ضده. فقد كان هدفه حفظ دماء الأتراك وإعادة وحدة الأمة من جديد وتحرير دولتنا من الأعداء بكافة الوسائل المتنوعة. وكان لديه أمل كبير في ذلك. ولهذا لا يوجد لدى والدي الأمير عبد المجيد أفندي أي رغبة في عصيان ولي الأمر سلطاننا المعظم محمد وحيد الدين أفندي أو الخروج عليه. ولا يكن لدى السلطن أي شبهة في قلبه ناحية هذا الأمر. فالسلطان بالنسبة له هو مركز الدولة والعائلة والأمة.**

لهذا يا جناب السلطان أعرض عليكم ذلك لنتدارك الأمر قبل فوات الآوان؛ فإن ما حصل مع والدي ولي العهد الأمير عبد المجيد أفندي؛ يهز صورة العائلة العثمانية في أذهان الناس ويكسرها في قلوبهم؛

مما يهدد بزوال العائلة والسلطنة والخلافة والدولة معًا. لهذا أرجوا من سيادتكم أن لا تعطوا الفرصة لأعداء العائلة العثمانية والخلافة والسلطنة؛ بموافقتكم على حبس والدي قيد الإقامة الجبرية في قصره. ففي قناعتي أن الأمة تنتظر موقف السلطان وتدخله لتتخذ موقفها منه ومن الدولة ومن ولي العهد. لهذا ففي تاريخنا لم يترك العرش العثماني خاليًا يومًا واحدًا. ولم يأتِ ولي عهد ويخلع السلطان أو حجر السلطان على ولي عهده. لهذا أدعوا الله أن يمن على السلطان محمد وحيد الدين بالصحة والعافية وداوم الملك وألا يترك والدي على هذا الحال؛ لأن هذا الوضع بالتأكيد لا يعجب السلطان. فلا تعطي الفرصة يا جناب السلطان للأشخاص سيء النوايا؛ ليستغلوا هذا الأمر في تشويه سمعة العائلة العثمانية؛ وفي النيل من البيت الحاكم؛ رغبة في تحقيق هدفهم الأعظم في اسقاطنا واسقاط الدولة. وذلك عبر التشنيع علينا مستغلين ما حدث لوالدي. لهذا يجب عليك يا جناب السلطان وحيد الدين أن توقف هذه المهزلة؛ وتخرس هذه الألسنة؛ بالإفراج عن والدي وإنهاء إقامته الجبرية في قصره. وهذا هو ميدان التحدي الأكبر الذي تتعرض له العائلة لأول مرة في تاريخها. لهذا فالحل لرأب الصدع بين الأمة والعائلة العثمانية وبين أفراد عائتنا ذاتًأ بيدك أنت يا جناب السلطان. وأنا مقتنع بذلك. ولأجل ذلك أنا مقتنع أن ما حدث مع والدي ولي العهد سوي تدبير؛ دبر بليل للإقاع بنا؛ ولإنهاء دولتنا؛ حفظها وحفظنا الله من شر كل مهلكة. لهذا يا جناب السلطان عليك أن تفك أسر والدي وأن ترأس دولتك وعساكرك بنفسك؛ دون أن تستعين بأي أشخاص آخرين تشاركهم في الحكم؛ فيمثلون تهديدًا على بيت الحكم والدولة معًا. ولا يوجد في أي تاريخ من التواريخ أن الشخص الذي يؤمن بأنه على استعداد أن يضحي بنفسه لأجل أمته؛ أن يكون من الخائنين وفي نفس الوقت من الأصدقاء؛ فالأمر إما أن يكون صديق أو يكون خائنًا ومن الأعداء.

ولهذا الأمر أريد أن اعرض عليكم يا جناب السلطان عدة تحركات تحدث؛ قد حسبتها بنفسي. أنه لا يوجد أمير عثماني في أي عصر من عصور دولتنا قد وكلت له أي مهمة خاصة وقد خانها. ولم يرأس أي أمير عثماني أي فيلق عسكري وقاتل به؛ وإلا وقدم نفسه قربانًا وفداءًا للأمة الإسلامية البالغ تعدادها ثلاثمائة مليون مسلم. لهذا فأي أمير يتولى ولاية العهد؛ من المحال عليه أن يخون خليفة المسلمين وأن يطعن السلطان من الخلف. لأنه يريد دائمًا عزة ورفعة السلطان. لأنه الخليفة الأعظم ورمز وحدة المسلمين؛ والذي يعد نصره وتأييده من باب إدخال الفرح والسرور إلى قلوب مسلمي العالم. ونحن وإن كنا لم نتولى السلطنة والتاج بعد؛ إلا أننا لا نعمل على قرب هذا الأمر منا بسرعة؛ ونتمنى للسلطان دوام العمر المديد والصحة والعافية؛ ولا يوجد اي ولي عهد أو أمير عثماني يتمنى للسلطان محمد وحيد الدين غير ذلك. لذا فوحدة البيت العثماني وعدم الصراع بين أمراؤه من الأمور الهامة التي تساعد على بقاء

السلطنة والخلافة وسبب من أسباب حفظهم من الزوال؛ وهذا ما سوف يتبين لك يا جناب السلطان وحيد الدين مع مقبل الأيام. فأحفظ شرف العائلة العثمانية يا جناب السلطان من أن يلحق بها وصمة عار؛ وحافظ على وحدة بيت الحكم وشرفه من التصدع والتشهير؛ وأرأب صدع ذلك بشتى الطرق والوسائل. لما في ذلك من نفع لبيت الحكم وللسلطنة وللدولة وللأمة. ولا تترك ولي عهدك عبد المجيد أفندي وحده فريسة أمام الأعداء. وأنا فقط فكرت بهذه الطريق لأن هذا الأمر إذا حدث مع أي أمير لن يمحى من تاريخه أبدًا. فما بال السلطان وهذا الأمر قد حدث لولي عهده. وهكذا أعرض عليكم يا جناب السلطان وحيد الدين هذا الأمر الجلل لكي تحقق سعادتي وسعادة زوجة برفع حجر الإقامة الجبرية بأسرع ما يمكن عن جد ابنتي حفيدتكم وحفيدة ولي عهدكم؛ وأنا أترك والدي وأمتنا ودولتنا وسلطاننا في عناية وحفظ الله. وأدعوا الله أن يحفظ عائلتنا العثمانية بحق حرمة نبينا محمد –صلى الله عليه وسلم- وكل أفرادها وسلطاننا من المهالك والشرور؛ كما حفظها على مر الأيام والدهور؛ وذلك لكي نحافظ على ميراث الأجداد بحفظ مقامي السلطنة والخلافة؛ وذلك بحفظ روح الأمة موحدة وملتفة حول الخليفة المعظم؛ لأجل أن يأتي اليوم الذي تتحرر فيه أراضينا من احتلال الأعداء؛ لتعود للأمة العثمانية سيادتها وسابق استقلالها؛ لتعود وتقوم بوظيفتها الموكلة لها في الأرض باستعلاء المؤمنين على الكافرين؛ وبتحقيق مظهر أستاذية قيادة العالم نحو ما يريده الله خالقها. ولن يحدث ذلك إلا براب الصدع فيما بيننا وتحرير سائر أرضنا من يدي الأعداء. وأدعوا الله أن يحافظ دائمًا وأبدًا على وحدة بيت الحكم العثماني من الشرور والفتن وأن ينزل عليه روح المحبة وأن يجعل الأصدقاء المخلصين ملتفين من حوله؛ كما كانوا دائمًا في كل زمان ومكان. وأن تكطون الصداقة حول بيت الحكم العثماني ظاهرة حقيقة على الوجوه؛ ولهذا أرجوا من جناب السلطان أن يحقق أمل الأمة وبيت الحكم في ذلك؛ باصدرا فرمان رفع الإقامة الجبرية عن ولي عهده؛ وأنا منتظر ذلك من سلطاننا في أقرب وقت.

مقدمه للعرض عليكم

الأمير عمر فاروق "

ولقد ترك الأمير عمر فاروق لزوجته الأميرة صبيحة سلطان هذا الخطاب لتعطيه لوالدها السلطان محمد وحيد الدين. وقد أعطت الجواب لوالدها؛ حسب ما ذكرته في مذكراتها قائلة: **" لقد أعطيت خطاب زوجي إلى ولي نعمتي والدي العزيز".** غير أنها عادة وقالت إن والدي السلطان محمد وحيد الدين عندما قرأ رسالة زوجي عن والده؛ كتب هو الآخر رسالة لزوجي؛ وأرسلها إلى قصرنا. ذكرت منها في مذكراتها:

" قلت يا ولي نعمتي يا أبي الحبيب؛ هكذا قد ظننت أنك دائم التقدير والمحبة والمحافظة على الروابط الأسرية والعائلية. ولم تخيب ظن ابنتك صبيحة بك. لأنني أشعر بك؛ وأعلم أنك يا والدي رجل متزوج وحنون وكما أنك رجل دولة؛ أنت ايضًا محافظًا على الروابط الأسرية من الشقاق. ولأنني كنت أعلم أنه في هذا الأمر كان يكتم أحزانه عنا؛ ويبقيها في صدره؛ ولا يجعل أحد يطلع عليها. وأعلم أنه قد سائه ما حدث لولي العهد كثيرًا. وكادت روحه تخرج من بدنه من فعل الصدر الأعظم فريد باشا مع عبد المجيد أفندي صهرنا وولي عهد أبي السلطان محمد وحيد الدين. لهذا أريد اليوم أن أعرض ما عرضه علي والدي العزيز؛ بعد أن عرضت عليه رسالة زوجي عن فك أسر والده بلطف. حيث قال:" لا أعرف إلى اي حد قد وصل الحال بنا. لقد فكرت في الأمر من كل الزوايا طولاً وعرضًا؛ كيف أتت لفريد باشا الجرأة على اعتقال ولي العهد في قصره؛ وإجباره على الإقامة الجبرية في جناحه الخاص؛ وقطع اتصالته مع العالم الخارجي. ولكن فريد باشا تعلل إلى عندما سألته عن قبيح فعله هذا؛ بحجة أنه معذور فهو يريد أن يحافظ على وحدة الأسرة والدولة العثمانية وعرشي من الزوال. وأعلم أن ابننا عمر فاروق أرسل إلي يطلب مني التدخل واصدار قرار بالعفو عن والده مسترحمًا إياي بحق الروابط الأسرية والعائلية بيننا. غير أن الأمر ليس بالبساطة التي يظنها ابننا عمر فاروق. فهو يفكر من ناحية العاطفة والشفقة والمرحمة ناحية والده؛ ولا يقدر عواقب الأمور. فالمخابرات الإنجليزية لديها خبر. وهي التي أوعزت لفريد باشا بالحجر على ولي عهدي ووالد زوجك في قصره. على أن يظهر الأمر بصورة أن هذه رغبة الحكومة العثمانية؛ ولا دخل للأنجليز بالأمر لا من قريب أو من بعيد. ولكني أقارن بين الأخبار التي تصلني وأقارن فيما بينها؛ لكي أصل إلى الحقيقة. وأنا أشعر ان صفاء روح ولي عهدي الأمير عبد المجيد أفندي وصدقه أسمى واصدق من أن يرتكب مثل هذا الجرم الكبير؛ من الإنشقاق عنا وإعلان الخروج والعصيان علينا. لكن النفس يا بنيتي آمرة بالسوء. كنت أريد أن أحضر لك بنفسي يا بنيتي العزيزة ردي على رسالة زوجك. ولكن حضوري لكي الآن وأنا السلطان في ظل هذا الجو الشاحب السواد حولنا يدفعي؛ إلى عدم الحضور. لأنني عندما أحضر؛ لن يفسر الأمر على أنه حضور لبيت ابنتي وصهري لزيارتها. بل سيفسر الأمر بأنه زيارة من السلطان لابن ولي عهده في قصره؛ لإعلان تأييده لفعل ولي العهد عبد المجيد أفندي بالسفر إلى الأناضول بجوار حكومة أنقرة. وحينها ستتأكد الشبهة على والد زوجك الأمير عبد المجيد أفندي. وهذا ما لا أريده. أنا أيضًا يا بنيتي أريد أن أعرف الحقيقة. وأعلم يا بنيتي بأنني حققت في الأمر وبحثت فيه جيدًا؛ غير أنه تبين لي أن قرار اعتقال حماكي ولي العهد عبد المجيد أفندي في قصره؛ قد أتى من جهات عليا أقوى مني؛ وليس مني أنا السلطان صاحب الحق مباشرة. وأعلم أنك قد كتبتي لي مقدمات طويلة وكلمات

عاطفية تطلبين مني العفو والإستراحم؛ وتقولين لأجل أسرتنا يا والدي الحبيب أفرج عن الأمير عبد المجيد أفندي".

السلطان محمد وحيد الدين بعد عدة ايام من حجز ولي العهد تحت الإقامة الجبرية؛ أرسل إلى زوج ابنته وابن ولي عهده الأمير عمر فاروق وقال له:" **هل أنت صغيرًا في السن لتدخل زوجتك فيما حدث بيننا".** ولكن السؤال الذي يطرح نفسه؛ هل كان الأمير عمر فاروق على علم بأن حضوره إلى القصر ليس لمناقشة موضوع حبس والده قيد الإقامة الجبرية بل لبحث موضوعًا آخر؛ ألا وهو إبداء إعلان السمع والطاعة للسلطان في كل ما يرى؟! لهذا عندما خرج الأمير عمر فاروق من لقاء السلطان كتب إلى حماة السلطان محمد وحيد الدين؛ آمينة نازيك آده Emine Nazikeda رسالة قال لها فيها:" **أريدك أن تستغلي قربك من السلطان محمد وحيد الدين في التوسط عن الإفراج عن والدي؛ ونحن سندعوا لك؛ وسنكون من أسراء فضلك".** ونص رسالة الأمير عمر فاروق إلى آمينة نازيك آده هانم Emine Nazikeda كالتالي:

"إلى والدتي المحترمة صاحبة الرحمة والشفقة،

لأجل سلطاننا ولأجل المحافظة على استقلال الأناضول؛ ووحدة أراضيه من أن يقتسمها الأعداء؛ ومن أجل الحفاظ على مهد حضارتنا في الأناضول؛ أطالبك يا أمنا العزيزة بالتدخل لإنقاذ الرجل الوحيد الذي يضع روحه على كفه؛ ولا يستكثر أن يقدمها قربانًا فداءاً لأمته. ولكي لا تتصدع الأسرة العثمانية؛ ولكي يرأب الصدع بينها؛ أطلب منك التدخل لفهم لب الموضوع. إن والدي الأمير عبد المجيد أفندي كان يرى أنه في حالة عدم وجود أمير عثماني إلى جوار الحركة التحريرية القومية في الأناضول أثناء حربها الأعداء؛ يمثل خطرًا وجوديًا على الدولة والأسرة العثمانية؛ إذ أن الناس سوف تنظر إلى المنتصر على أنه صاحب الحق الشرعي في حكم البلاد؛ من هذه الزاوية فقط اتصل والدي بالحركة القومية بانقرة. لأجل أن يحافظ على الوجود العثماني في هذه الحرب؛ أما غير ذلك مما اشيع عن والدي؛ وأفضى إلى حبسه تحت الإقامة الجبرية في قصر؛ فكل ما قيل عنه في هذا الأمر اشاعات ومحض كذب وافتراء. وفقط بسبب اندفاع هذه الرغبة والطموح لدي؛ أحاول الوفاء بواجبي من خلال ترك كل أنواع الراحة هنا؛ وقد أتخذت قراري بشأن ذلك. وأطلب منك التدخل لدى السلطان ليسمح لي بالإنضمام إلى جبهة حرب الاستقلال، لم أجرؤ على طلب هذا الإذن من السلطان كي لا يفهم الأمر بصورة أخرى. لكن المساعدة في أعمال الهلال الأحمر؛ ومحاولة انقاذ حياة من يقدمون دمائهم وأرواحهم رخصية فداءًا لهذا الوطن؛ عمل جلل؛ لا يقل أهمية عن الاستشهاد دفاعًا عن الوطن وحرمه. وهذا الأمر قد توصلت إليه باقتناع تام وبراحة فكرية من

المشاورة والتفكير بين قلبي وعقلي؛ لكي ابتعد عن مؤامرات القصر؛ بعد الذي حدث لوالدي؛ وليكون لي عمل جاد في خدمة الأمة. ولهذا السبب أريد أن أعرض عليك الوضع بالتفصيل أكثر. لقد كانت الأسرة العثمانية وأفراد أمرائها دائمًا على رأس مهام الأعمال فيها. ويشتركون مع الأمة في كل كبيرة وصغيرة. أما ما يحدث الآن من عزل الأمراء عن العمل مع الأمة وبين أبنائها؛ فهو سيكون له تهديد وجودي على الأسرة والسلطنة؛ إن لم يتم تداركه الآن. ولأجل تحقيق هذه الغاية من الحفاظ على وجود أسرتنا العثمانية متصلة بأبناء أمتها؛ أريد الإنضمام إلى جبهة حرب الإستقلال. ولأجل هذا إذا لم يأذن لي السلطان بالذهاب إلى جبهة حرب الإستقلال في الأناضول؛ فإني مضطرًا سأذهب إلى هناك وحدي؛ ولي العذر في ذلك؛ لأجل الحفاظ على دولتنا وأسرتنا وأمتنا متحدة متماسكة. لهذا إذا شنع على أسباب ذهابي إلى الأناضول المتآمرون عند السلطان محمد وحيد الدين. أن تتدخلي أنتِ؛ وتطلبي منه طلب الرحمة والشفقة والعذر لي في هذا الأمر. وأقبل يديكي وأطلب دعواتك لي؛ وسأكون دائمًا أسير فضلك في ذلك. وأرجوا ألا ترفضي رجائي".

لقد أوضع الأمير عمر فاروق أفندي أسباب رغبته في السفر إلى جبهة حرب الاستقلال في الأناضول؛ إلى المقربين من اصدقائه ومن أفراد عائلته. حتى أن الأميرة علوية الأخت الكبرى لصبيحة سلطان؛ قد أرسلها لها رسالة موضحًا موقفه من هذا السفر؛ قال لها فيها:" **ممرضتي العزيزة! أنا أريد أن أنفصل عن وظيفتي معكم؛ وأذهب إلى الوظيفة الأعظم؛ فلا تنسي أخوك من الدعاء. فأدعوا لي؛ وأنا أقبل يديكي؛ وقبلي لأجلي الأميرة الصغيرة العزيزة حميراء. أخوكي عمر الفاروق"**. وكتب كذلك الأمير عمر فاروق إلى علي نوري بك صهر زوج أخته؛ وأخو إسماعيل حقي بك زوج الأميرة علوية سلطان؛ بأسلوب الرسائل الألمانية للوداع وبحروف بسمارك الألمانية[77] Bismarck harfleri التي كانت عادة العصر حينذاك الآتي: "

46.2. ماذا لو تم فتح باب خزانتك؟

[77] حروف بسمارك الألمانية Bismarck harfleri؛ أسلوب كتابي ألماني متأثر بالخطوط العربية الزخرفية بخاصة الخط الكوفي الأندلسي المائل المستدير وخطي الرقعة العباسي والعثماني وخط النسخ المملوكي في كتابة الحروف اللاتينية فيكتبون فيه حرف Z هكذا ʒ ؛ فيشبه في كتابته رقم 3 من الأرقام العربية الغبارية؛ ويكتبون فيه حرف B هكذا ß وهكذا، أنظر https://tr.wikipedia.org/wiki/%C3%9F؛ المترجم.

كان الأمير عمر فاروق أفندي في طريقه إلى يلدا في روملي حصار، وبعد وصوله إلى هناك تناول مشروب واستراح حتى ظهور شفق صباح اليوم التالي. وبتاريخ 26 أبريل 1921م تحرك من روملي حصار وذهب إلى إينيبولو İnebolu. وكان هدفه أن يصل إلى أنقرة بعيدًا عن أعين الإنجليز. ولكن قد وصلته برقية تلغرافية من أنقرة إلى استانبول في اليوم التالي من سفره، وهذه البرقية أرسلت بتوقيع توقيع مصطفى كمال باشا وكان يقول فيها للأمير عمر فاروق:" **إنه سيكون من الأنسب لأفراد الأسرة العثمانية الحاكمة البقاء في اسطنبول في الوقت الحالي، وعدم الخروج منها. حتى يحين الوقت المناسب للاستفادة من خدماتهم – مصطفى كمال باشا-".**

وفي هذه المسألة شرح الأمير عمر فاروق بعد عدة سنوات في مذكراته؛ عن مغامرته للوصول لأنقرة للإنضمام إلى جوار حركة تحرير الأناضول القومية؛ ولكي يشارك في حرب الإستقلال التفاصيل الآتية:

" كانت هذه الأيام من الأيام السوداء الكاحلة السواد على الدولة العثمانية؛ فلقد كانت استانبول تحت الإحتلال؛ وكان اليونانيين متقدمون داخل الأناضول؛ ويحتلون قسمًا كبيرًا من الأناضول الغربي. والصدر الأعظم فريد باشا يجلس في مقصورة ويبحث عن مشكلة جديدة؛ يجلبها للدولة العثمانية. وذات مساء ونحن نجلس بحفل خطوبة بالقصر. وجدنا أن الوقت قد مر بنا إلى ما بعد منتصف الليل. غير أننا سمعنا طرق الباب. واتى الخادم وقال لنا:" يوجد عسكري يريد مقابلتكم"؛ فنزلتُ إلى الطابق الأسفل. فوجدت صغيري العزيز بنباشي المدفعية فايق بك Faik Bey قد جلب لي خبرًا مهمًا؛ عن الأناضول لهذا أراد مقابلتي على عجل؛ في ساحة الحي؛ وقد علمت ما كان معه في الخطاب. وفي نفس الليلة في تمام الساعة الثالثة صباحًا أرسلت له من خلف باب القصر رسالة. ولقد أتى على موعده معي في تمام الساعة الثالثة تمامًا. ثم أعطاني أخبارًا سرية عن أحوال الأناضول. وكانت هذه الأخبار آتية من رئيس المراسم الرسمية القديم لوالدي ولي العهد الأمير عبد المجيد أفندي؛ يمني بك. ولقد قال لنا:" أنا اتيت من طرف مصطفى كمال باشا" ثم أعطانا ظرفًا مغلقًا. فقام والدي ولي العهد الأمير عبدالمجيد أفندي بفتح الظرف. فوجد به رسالة مكتوبٌ بها:" لأجل استكمال حرب الإستقلال؛ لابد من أن تأتي إلينا في الأناضول؛ لأن هذه الحرب تحتاج إلى رأس عثمانية؛ تمثل سكان الأناضول. لهذا أتمنى منك أن تأتي إلينا يا سيديولي العهد؛ أرسله إليكم رئيس مجلس الأمة التركية بأنقرة؛ مصطفى كمال باشا". أما الخطاب الثاني فقد أتنا من حمدالله صبحي بك Hamdullah Suphi Bey. أما الخطاب الثالث والأخير فقد وصل إلى والدي من السفير العثماني بروما وقتئذ جامع بك Cami Bey. وكل الخطابات كانت بنفس المعنى؛ في ضرورة

سفر والدي إلى الأناضول وأعلانه من هناك رئيسًا لحرب الإستقلال؛ وخليفة للمسلمين وسلطانًا للدولة العثمانية. بيد أن والدي عندما قرأ هذه الخطابات تحير كثيرًا؛ ولم يستطع في بادئ الأمر أن يتخذ قرارًا حول هذا السفر إلى الأناضول.

يمني بك:" اليوم أنا ساذهب بردك على مصطفى كمال باشا. وكل شيء معد لك. ولأجل سفرك إلى الأناضول للإنضمام إلى حكومة أنقرة يا مولاي ولي العهد؛ فقد اتخذنا كافة التدابير والإحتياطات اللازمة؛ لأجل تأمينكم". غير أن والدي ولي العهد الأمير عبد المجيد أفندي أجاب على يمني بك معقبًا:" إن الأناضول تحت الإحتلال المباشر؛ وجيوش وعيون الأعداء في كل مكان؛ فكيف تستطيعون تأميني؛ لكي أذهب إلى الأناضول كما تدعون. فأنا متحير من قدرتكم على ذلك!".

فقام يمني بك بالتعقيب على كلام والدي وقال له:" فقط قل:" سأذهب؛ والباقي علينا نحن". غير أن والدي الأمير عبد المجيد أفندي تردد كثيرًا في منحه الإجابة. فقام يمني بك بتوجيه الحديث إلى واتلدي ليقطع عليه تردده. فقال له:" لا تتردد يا مولانا. لأنك إذا توفقت في ذلك؛ فإنما تنقذ الدولة العثمانية والعرش والسلطنة والعائلة والأمة العثمانية؛ من الزوال. لأن وجود محمد وحيد الدين على عرش السلطنة يمنعنا من فعل أشياء كثيرة. ووجوده على رأس الدولة العثمانية؛ يعني أنه لن يتغير شيء في وضع الأناضول. فإذا انضممت إلينا؛ وكنت أنت السلطان؛ كان هذا جيدًا لك ولنا". ثم نظر والدي إلى يمني بك وختم حديثه إليه بهذه العبارات:" كل فعل يقوم به مصطفى كمال باشا؛ لا يجب أن يكون محل شك وشبهة في قلبي؛ كما تقول. وتعدني بأنني ستأتي معك إلى أنقرة. ولكن من هناك سوف أعلن خليفة للمسلمين. وكلا الأمرين سواء السفر إلى الأناضول أو قبول الخلافة منكم؛ لا أستطيع أن أقبلهما. لهذا لا تنتظر مني ردًا بالإجاب على هذين الأمرين".

حينها قال يمني بك لوالدي ولي العهد الأمير عبد المجيد أفندي:" في هذه الحالة؛ يجب عليَ أن أرحل". وفي خلال خضم هذا الأمر؛ ولدت ابنتي نصلي شاه خلال هذه الظروف الكاحلة السواد؛ وأنا في هذه الظروف المتلاطمة الأمواج؛ ما كان باستطاعي ان أترك عائلتي وحدها؛ بخاصة بعد ميلاد ابنتي. لهذا غبت ثلاثة أشهر عن كافة الأحداث السياسية والعسكرية بالبلاد؛ غير أنني فوجئت بأن الأوضاع قد تغيرت. واصبح مصطفى كمال باشا ليس في حاجة أي فرد من أفراد الأسرة العثمانية. غير أنني لم أستطع أن افهم رسالته إلي التي لم يصرح فيها بأنني تابعٌ له؛ غير أن فحواها يعني مقصده هذا. ولقد تحدثت مع زوجتي في أمر رحيلي للإشتراك في حرب الإستقلال في الأناضول. غير أنني لم أكن مرتاحًا نفسيًا؛ لا أعرف

لماذا؟! لهذا أحببت أن أقابل نهاد بك وأتحدث معه. فلقد علمت منه عندما قابلته أن عناصر التشكيلات الخفية " عناصر المخابرات" قد أعطته خبرًا بأنني أرغب بالسفر إلى أنقرة؛ للإشتراك في حرب الإستقلال. وأمام سؤالي لناجي بك؛ وجدته يواجه سؤالي؛ بسؤال. وحينها قولت له:" أنا لا أريد الذهاب إلى الأناضول؛ ولم أقبل اي دعوة من أحد. ولا يمكني قبول مثل هذا العمل". كان أستاذي نخاد بك يرفض أن انضم إلى جبهة التحرير القومية الأناضولية ويتشكك في السر الحقيقي وراء استمرار حرب الإستقلال ومراكز الحركة القومية في الأناضول دون أن تهاجمها قوات الحلفاء هجومًا مباشرًا؛ غير أنه في نفس اللحظة كان يرفض أن يشكك في نزاهة من يقومون بحرب الإستقلال؛ لكن كانت بعض الأسئلة تدور برأسه. لهذا نهاني عن الإلتحاق بجهبة حكومة أنقرة. بيد أنني أصررت وتواصلت مع الجهاز السري لحركة تحرير الأناضول؛ عن طريق رجب بيكار **Recep Peker** والذي رفض أول الأمر ان يعطيني جوابًا بالقبول أو بالرفض. ثم أتخذت قراري وأصررت هلى الإلتحاق بجبهة حرب الإستقلال في الأناضول. غير أنه لم يسمع لي أحد ممكن حولي في استانبول؛ ولم يوافقني أحد؛ فالكل كان مرتابًا في حقيقة حكومة أنقرة. كما أن حكومة أنقرة نفسها كانت مرتابة في شخصي. فلما أصررت على رأيي في الإلتحاق بجبهة حكومة أنقرة. أرسلت إلى روشان أشرف **Ruşen Eşref** مسؤول أمن الحريم السلطاني؛ وطلبت منه أن يعطي هذا الخطاب لزوجتي صبيحة سلطان ابنة السلطان محمد وحيد الدين؛ ولقد كتبت في هذا الخطاب أن سبب تركي الرئيس للإستانبول ما تعرض له والدي ولي العهد الأمير عبد المجيد أفندي من إهانة؛ وأنه لن يرفع هذه الإهانة عنه؛ إلا شرف القتال؛ وقولت لروشان أشرف:" لو قابلت السلطان محمد وحيد الدين يومًا عليك أن تشرح له موقفي". ثم وجدت الجهاز السري لمخابرات الحركة التحريرية لجبهة الأناضول يتواصل معي؛ ويطلب مني أن أرجب سيارة أجرة قد أعدت لذلك من أمام السفارة الإيطالية في استانبول. والذي أحضر لي هذه السيارة وأعد أوراقي للسفر؛ حيث لم أكن أملك إذنًا للسفر حينها هو رئيس الجهاز السري لحركة تحرير الأناضول باستانبول اليوزباشي نجم الدين بك. غير أنني فوجئت بوجد فايق بك ونهاد بك أمام السفارة الإيطالية بانتظاري؛ وقاموا بمعانقتي قبيل الرحيل. ثم ذهبنا معًا إلى ميناء جالاتا **Galata**؛ وهناك توقفنا أمام وكالة لويدز **Lloyd’s Acentasi**؛ وأخبرت منهم بأن هناك رجل بدين سينتظرني هناك ليصطحبني للحاق بالباخرة. فعندما نزلت وقابلت هذا الرجل؛ نظر إلي وقال لي:" عليك أن تعلم بأننا قد أعددنا كل شيء لك. فلا يكن لديك فضول". ثم وضعني في سيارة أجرة وأغلق علي بابها؛ وتركني وحدي. وبعد فترة سمعت أمام باب السيارة المغلق علي صوت الرجل البدين؛ ثم فتح باب السيارة وقال لي:" هل أنت المسافر الخاص بي؟!" وكان إلى جواره شابًا يعمل ترجمانًا؛ كان يترجم فيما بيننا. ثم قال لي أنت ستركب باخرة روما. بينما كنت أسير على الطريق، نظر إلي بعناية وفجأة قال لي: "عفواً ،

لم أتعرف عليك". ركبنا على متن العبارة رمنو Remno التابعة لشركة لويدز Lloyd مع المترجم. و كنا نأمل أن يتم وضعنا في واحدة من كبائن الدرجة الأولى أو الثانية، إذ بنا ننزل إلى مقدمة العبارة والطابق السفلي. – حيث كانت رائحة كريهة تخرج من داخل الخزانة. وكنت مصدومًا مما يحدث معي وأنا الأمير حفيد السلاطين. وكان أمامي أربعة بحارة يرتدون عباءات ، مربوطين بأوشحة؛ وينظرون إلي وجهي منذ فترة طويلة، ثم نظر إليهم الرجل البدين المدني الذي كان معي وقال لهم:" هذا هو الرجل الهارب"؛ فظلوا ينظرون إلي وإلى هيئتي بعناية شديدة حتى نهاية الرحلة. وأثناء نظرهم إلي نظروا إلى الرجل البدين الذي حضرت معه وقالوا له:" لا نريد أن نحضره؛ ولا نريد أن نقبله". حينئذ حدثت مناقشة حادة بين الرجل البدين وبين البحارة المعترضين علي بسببي. لقد هاجت في نفسي التصورات والأحزان والأفكار المختلفة. فالأن بعد أن تركت قصري وزوجتي؛ واصبحت معهم على هذه الباخرة. لو أراد هؤلاء البحارة إنزالي منها إلى الماء أو إلى اي مكان؛ ما الذي يمنعهم؟ وكيف سيكون حالي وقتئذ؟ ويا سمح الله ماذا لو تم القبض علي من قبل الأعداء أو تسليمي إليهم؟ ماذا سأفعل؟ ولم استطع أن اتبين وضعي إلا الآن. ثم بدأوا يغمزون ويتلمزون ويسخرون مني وقالوا لي:" أنت لست تركيًا؛ ولست أيضًا إنجليزيًا". ثم قالوا لي:" ربما تكون ضابطًا ألمانيًا". ومن شدة ضغطتهم علي وسخريتهم مني كنت سأبكي؛ لولا أن الله قد ملكني نفسي. ثم أقترب مني أحد الرجال الألمان؛ وسألني: " هل أنت ضابط ألماني؟"؛ ولكني صمت وبعد أن شكوا أنه ربما اكون ضابطًا المانيًا هاربًا؛ بدأوا يتعاطفون معي. زبدأوا يتقبلون وجودي. غير أنني لم اذكر لهم اسمي. ولم أؤكد أو أرفض قولهم لي بكوني ضابطًا ألمانياً. ثم قولت لهم:" لقد أنتهت وظيفتي. ثم أتاني أحد الضباط وقال لي:" لا تفر من البطولة إذا أتتك؛ وعندما يأتي وقت التفتيش العسكري على الباخرة عليك أن تختفي. وبعد أن نعبر إلى البحر الأسود سنتعرض إلى تفتيش عسكري آخر؛ وعليك أن تختفي؛ والآ يراك أحد هنا. ولكننا سوف نخفيك في مكان تستريح فيه؛ لأنه ربما لا تستطيع أن تخفي نفسك فتقع في مشكلة. وأعلم أن وضعك يتابعه أحد الضباط ويسمى عاصم جون دوز بك Asım Gündüz Bey". وحتى الصباح ظللنا نجمع فيما نحتاجه من أشياء. ثم قال لي مرافقي:" أجلس". ثم قاموا بإغلاق الكاميرا التي كانت أمامي؛ ثم ذهبوا. غير أن هؤلاء البحارة ومن كانوا معي قد اثروا على شخصيتي سلبًا؛ فبعد أن كنت لا أقرب السجائر ولا أشربها؛ تعلمت منهم شرب السجائر. وفي النهاية أقبل الصباح؛ وأتوا هم أيضًا معه. ثم أجلسوني على أحد المقاعد؛ كالذي يجلس هيكلاً عظميًا على مقعد. وفي تمام الساعة السابعة صباحًا؛ أتوا إلي مسرعين وقالوا لي:" بسرعة أنهض"؛ ثم أحضروني إلى غرفة طعام تسمي إيفرادين Efradın Yemek Odası . ثم قالوا لي هنا أنف السفينة. ومن هذا المكان فتحوا بابًا حديدًا. وخلف هذا الباب الحديدي كان يوجد دولابًا صغيرًا. ثم قالوا لي:" أدخل إلى هذا الدولاب"

فقولت لهم:" كيف لي أن أدخل إلى هذا الدولاب الصغير؟"؛ فنظروا إلى بسخرية وأمسكوني ووضعوني بداخله بالقوة. وأغلقوا علي. لقد جلست لأول مرة في حياتي بمكان ضيق؛ ذو ظلمة كاحلة السواد؛ خالية من أي منفذ للضوء أو للهواء؛ أغلقوا علي هذا الباب الحديدي بالقفل؛ حتى كدت أن أختنق؛ فلو تركوني هنا وتنساوني؛ فإني هالك لا محالة. فكانت كل دقيقة تمر عليا داخل هذه الخزانة الحديدية؛ كأنها ليست سنة تمر عليا فقط؛ بل كأنها عصر كامل يمر علي. ثم مرت نصف ساعة ولم يأتِ أي أحد ليخرجني من هذه الخزانة. ثم مرت ساعة؛ ولم يأتِ أي أحد؛ ولم أسمع حتى صدي الصوت. وبدأ ينقص الأوكسجين؛ وبدأت قوتي في الإنهيار. كنت أتلوى بداخل هذه الخزانة من الحصرة والألم. فبداخل هذه الخزانة الحديدية رأيت لأول مرة في حياتي عذابًا لا يصدق. وفي النهاية بدأت الباخرة في التحرك في تمام الساعة العاشرة. ثم سمعت صوت سحب السلسلة الحديدية " الجنزير" من على الخزانة التي كنت أقبع بداخلها. ثم أخرجوني من الخزانة. وظللت ما يقارب من عشرين دقيقة أحاول أن آخذ نفسي؛ حتى أستطعت أن آخذ نفسي بكل حرية. ثم نظروا إلي وقالوا:" بالتأكيد كنت معجبًا بوضعك داخل الخزانة الحديدية؛ أليس كذلك؟"؛ ثم توقفت الباخرة مرة ثانية؛ وبدأوا بسحب السلسلة المعدنية؛ التي كانت على الخزانة التي كنت أقبع بها. فبدأت معنوياتي في الهبوط إلى أسفل سافلين؛ غير أن الذي حدث غير ذلك فقد أستصدمت الباخرة أثناء سيرها بشيء عالق في البحر؛ لهذا السبب توقفت. فحمدت الله على ذلك. ثم سحبت غدارتي " مسدسي" وأمسكتها بيدي؛ وقولت لنفسي:" لو أتى أحدهم وحاول وضعي في هذه الخزانة من جديد؛ فإما أن أطلق النار عليه أو أطلقها على نفسي"؛ هكذا فكرت حينها. فلما أتوا إلي سألوني:" ما سر وجود هذه الغدارة بيديك؟" فأجبتهم:" كنت أفكر أن أقتل نفسي؟"؛ وبعد انتظار طويل سمعت أصوات أناس تتحدث الإنجليزية؛ فأختفيت وأختلستوا النظر إليهم؛ فوجدتهم؛ مجموعة من ضباط الجيش الإنجليزي يقومون بعملية تفتيش على الباخرة. وفي تمام الساعة الثانية عشر تحركت الباخرة مرة أخرى. غير أنني خلال هذا الوقت الذي كان يتواجد فيه الضباط الإنجليزعلى متن الباخرة للتفتيش؛ كنت جالسًا داخل الخزانة الحديدية. فكان مجموع الوقت الذي جلست فيه بداخلها حوالي سبعة ساعات وعشرة دقائق؛ كأنني كنت كعود الثقاب بداخل علبة الكبريت. وبعد ذلك أحضروني إلى مكان كان به مقعدًا جيدًا. فجلست عليه لألتقت أنفاسي؛ فجلست عليه كأنني مجموعة من الأشياء المتراكمة فوق بعضها البعض بلا حركة. فعندما شممت نسمات الهواء العليل ورأيت أشعة الشمس التي كنت محرمًا منها بداخل هذه الخزانة المعدنية؛ أيقنت بأنني قد تم انقاذي من الموت المحقق. ولم أستطيع داخل هذه الخزانة المعدنية أن أشرب أي سيجارة. غير أنني سرعان ما شربتها بعد أن ألتقت أنفاسي. وبعد ذلك أتاني أحد الضباط وقال لي:"أتمنى لك دوام الشفاء العاجل يا سيدي". ثم قل لي:" الآن أنت قد عبرت من الجزء المؤلم من الرحلة، فلكي نمنع عنك

أي شبهة قد تصدر من عمال الصيانة السبعة عشر داخل الباخرة؛ كان يجب علينا أن نجلعك في هذا الموقف حفاظاً على أمنك وسلامتك". ثم صعدت معه على سطح السفينة وأكلت بعض الطعام. فقولت لهذا الضابط:" لقد قابلت كل من يعملون على ظهر هذه السفينة من البحارة وغيرهم؛ ولقد كانوا يتعجبون من ملابسي المدنية؛ وفي النهاية ظنوا بأنني أحد العمال بهذه الباخرة". وفي الصباح التالي قد وصلنا إلى إلى إينيبولو İnebolu ثم نظر إلي هذا الضابط وقال:" أنا ذاهب إلى الشاطئ؛ فهل لديك أي أوامر تكلفني بها؟"؛ فقولت له:" أبلغ رئيس مجلس الأمة التركية في أنقرة مصطفى كمال باشا بالآتي عبر التلغراف:"بأنني ما أردت الحضور بنفسي إليكم؛ إلا لأكمل مهام وظيفتي الوطنية وأرى وضع عساكرنا على الجبهات"؛ لهذا فأرجوا أن يسمح لي مصطفى كمال باشا بذلك! ثم نزلت إلى أحد المنازل منتظر رد مصطفى كمال باشا علي؛ ولقد نزلت إلى حديقة المنزل الذي أعد لي لأتناول الغداء عند الظهيرة؛ بعد هذه الرحلة الشاقة؛ غير أنني سرعان ما وصل إلي تلغراف من رئيس مجلس الأمة التركية الكبير في أنقرة مصطفى كمال باشا؛ والذي ذهلت منه عندما قرأته. وكان نص التلغراف الذي أرسله إلي مصطفى كمال باشا كالتالي:

"لقد أخذنا تلغرافك بسعة صدر ومنة منا. عليك أن تعلم أنه بعد احتلال الأعداء لاستانبول أصبح كل من في العائلة العثمانية محل شبهة لدينا؛ لأننا لا نعرف إذا كان يتعامل مع الأعداء أم لا؛ وهذا الأمر قد يضر بحرب الإستقلال؛ كما أن الحركة التحريرية القومية للأناضول ليست بحاجة إلى مشرف من طرف العائلة العثمانية؛ وليست بحاجة إلى رئيس ليرأسها. كما أن إشراف العائلة العثمانية أو أحد أفرادها أو مشاركته بصفته وماهيته العثمانية في جبهات حرب الإستقلال سيضر بالأمة التركية؛ وبحركة التحرير الوطني؛ وسيخفض معنويات المقاتلين على الجبهات من طرفنا؛ لهذا السبب إذا أردت أن تنضم إلينا يا جناب الأمير؛ عليك أن تنضم إلينا بعد أن تعلن تنازلك عن سائر ألقابك السلطانية وعن درجة الإمارة؛ على أن تكون فردًا عاديًا يمثل نفسه؛ ويشترك تحت إشرافنا وبتوجهنا في هذه الحرب. لهذا السبب أعرض عليك يا سيدي أمران لا ثالث لهما؛ إما أن تقبل بما عرضته عليك؛ فتأتي إلينا. وإما أن ترفض ما عرضته عليك فتعود إلى استانبول".

لهذا السبب لم يكن أمامي أي خيار إلا أن أرسل لمصطفى كمال باشا على الفور تلغرافًا آخر؛ وكان هذا هو التلغراف الثاني مني له. فقلت له فيه:" بناءًا على قولك يا مصطفى كمال باشا لا يحق لي أو لغيري من العائلة أن يتابع عساكرنا العثمانية على الجبهات. حسنًا يا مصطفى كمال باشا عليك أن تعلم أنني ما أتيت إلا لأؤدي واجبي الوطني بالجهاد مع عساكرنا على الجبهات؛ وليس لي أي رأي سياسي. فإذا عدت

إلى استانبول فإن لي مكانتي السياسية والعسكرية؛ وأعلم أنني ما أتجهت إلى شرق أوروبا بالبلقان إلا لرغبتي أن تتسع دائرة الحرب مع الأعداء في أراضينا المغتصبة هناك؛ غير انني أشعر بأنك تستصغر سني؛ لأنني أبلغ من العمر 23 عامًا؛ فتتسائل كيف يكون لمثلي تجربة سياسية أو عسكرية؟! لكنك لم تشأ أن تستفيد من قدراتي؛ ولم تترك لي أي طريق آخر سوى العودة إلى استانبول. بيد أنني أعلم بأنه حين عودتي إلى استانبول؛ فإن الإنجليز سيقومون بالقبض علي وحبسي في أحد الفنادق أو سيرسلونني إلى المنفى في ملاطية لأنهم سيخافون مني ومن وجودي في استانبول؛ بعد رغبتي في الإنضمام إليكم؛ ولربما قاموا بقتلي".

وبعد ثلاثة أيام من إرسال هذا التلغراف الثاني إلى مصطفى كمال باشا؛ ركبنا باخرة يوغوسلاف Yugoslav Vapuru في طريقنا إلى العودة لاستانبول. وقد أقتربنا من مضيق البوسفور؛ وكلما أقتربت الباخرة أكثر؛ كلما زاد رعبي وأرتجفت من الخوف؛ مما ينتظرني على يد الإنجليز من عقاب. وعندما وصلنا إلى ميناء الهبوط؛ رفعت عني حزام الأمان. ودخلت إلى حجرة الحجر الصحي للكشف علي. ورست الباخرة عند رصيف سركيجي Serkici Rıhtım. وأعطيت أشيائي إلى أحد الحمالين ليحملها عني. وعلى الفور ذهبت مستقيمًا إلى بيت زوجتي صبيحة سلطان. والحمد لله الذي أذهب عني الخوف.

ولكن بعد بضعة شهور من عودتي إلى استانبول أرسل إلي مجلس النواب العثماني في استانبول ليستجوبني؛ فذهبت إليهم. وكنت أفكر في جواب لا يستعدي علي القصر السلطاني ولا يثير ضدي حفيظة الإنجليز. لهذا كنت مجبورًا أن أذهب إلى مجلس النواب؛ ولكنهم هم أنفسهم من أجبرونا على المكوث في استانبول؛ دون أن نتابع ما يحدث في أرجاؤ البلاد".

لقد وصل إلى الأمير عمر فاروق من أنقرة بعد مدة من الزمن شهادة تقدير عرفت بشهادة شرف لرغبته في الإنضمام إلى جبهات القتال في حرب الإستقلال. وكان يفتخر دائمًا بهذه الشهادة أثناء وجوده في المنفى. حتى أنه سيقوم بتعليقها في مكان بارز من زاوية حجرة مكتبه بمنزله بالمنفى.

من الجهة الأخرى كانت الأميرة صبيحة سلطان تشعر بالعذاب لبعضها عن الأناضول؛ وكانت تقول لنفسها طفح الكيل وأمتلأت النفس بالعذاب. حسب ما يفهم من مذكراتها. وكانت تتحدث بأنه لا راحة لأسرتها من آل عثمان؛ إلا بالعودة إلى الأناضول والعيش فيه. وفي بحث هذا الموضوع تذكر بمذكراتها الآتي:" **لقد عشنا حياة بائسة قاهرة وتجرعنا فيها من المرار ألوانًا. كنا دائمًا في منزلنا بالمنفى نتحدث عن رغبتنا في العودة إلى منازلنا بالأناضول. فزوجي عمر فاروق كان شديد الحب لوطنه. وكان ذو جرأة وتهور في**

شخصيته. وكان دائمًا ما يقول يجب علينا أن نفعل اي شيء لكي نعود إلى وطننا. ولن أنسى هذا اليوم الذي أرسل فيه مصطفى كمال باشا نيابة عنه كبير رؤساء المراسم الرسمية القديم المرحوم يمني جوراسن باشا Yümni Güresin Paşa الذي سيصبح وزيرًا للمواصلات فيما بعد إلى صهرنا ولي العهد الأمير عبد المجيد أفندي. ليطلب منه الذهاب إلى الأناضول. لقد كان ولي العهد مترددًا في ذلك. على الرغم من أنه كان على تواصل سري بحكومة أنقرة. ففي بادئ الأمر قبل ولي العهد عبد المجيد أفندي الذهاب إلى أنقرة. ثم تردد. ثم أخر الجواب على يمني باشا ثم رفض. لقد كان ينظر ولي العهد عبد المجيد أفندي إلى كونه صديق والدي السلطان محمد وحيد الدين المقرب؛ وأننا أصهار فابنه عمر فاروق افندي هو زوجي والد بناتي. غير أنهم حاولوا مع ولي العهد وإغرائه للذهاب إليهم بأكثر من وسيلة. وحاولوا معه عبر إرسالهم له اكثر من شخص ليشجعه على اللاحق بهم في أنقرة. ومن هؤلاء الأشخاص الذي أرسلهم مصطفى كمال باشا إلى حماي والد زوجي وولي العهد؛ حقي بك Hakkı Bey و بعض رؤساء المراسم السلطانية الملتحقين بحكومة أنقرة. كما أرسل إلى ولي العهد أيضًا كَول عاصم جون دوز بك Gül Asım Gündüz Bey (والملقب باللواء الأصلع). كما كان من ضمن المرسلين إلى ولي العهد الأمير عبد المجيد أفندي لاقناعه بضرورة الالتحاق بحكومة أنقرة جودت باشا Cevdet Paşa وكذلك روشان أشرف Rüşen Eşref أيضًا. هؤلاء من كنت أعرفهم. كذلك حاولوا اقناع زوجي عمر فاروف للإلتحاق بهم عبر أحد أصدقائه المقربين. وكان زوجي عمر فاروق يرى ضرورة وجود رأسي عثماني في حركة التحرير القومية الأناضولية؛ حفاظًا على وحدة تماسك الدولة العثمانية في وجه أعداؤها. وكلما أتخذ حماي ولي العهد عبد المجيد أفندي قرارًا بعدم الإلتحاق بحكومة أنقرة. كلما زاد غضب زوجي عمر فاروق من والده. حتى أنه قال لوالده:" إذا لم تذهب إلى حكومة أنقرة؛ ففي هذه الحالة عليِ أن اذهب أنا وألتحق بهم. لأنه لابد من وجود رجل يصطدم بمصطفى كمال باشا؛ وينظر ماذا يفعل؟" فالكل كان في حيرة مما يحدث لنا. وفي هذه الآونة كنت حاملاً بابنتي نصلي شاه Neslişah. غير ان زوجي أصر على السفر؛ فأعددنا كل شيء وكل ما يحتاجه من احتاجات السفر. وكنت قلقة حتى الصباح. وفوجئنا بوجود سيارة أجرة قد أتت لتأخذه. فقولت له عندما تذهب وأنا حامل؛ إذا ولدت الوليد؛ من سيكون والده الذي سيحتضنه عند ميلاده. ثم تركي لي خطابان لوالدي السلطان محمد وحيد الدين. وخطابات أوجههم لأعضاء الحكومة والبرلمان. وكنت سوف أعطي لهم هذه الخطابات. وهكذا بدأت حركت؛ ووكنت أريد الذهاب بالفعل إلى القصر لأقابل والدي للمرة الثانية. وأرسلت لوالدي لكي أراه. فأرسل إلي والدي عربة لتأخذني من قصري إليه. وكنت منزعجة من اللقاء مع والدي السلطان محمد وحيد الدين. فبماذا سأوضح له موقف زوجي من الالتحاق بحكومة أنقرة؟" وكنت أقول لنفسي:" هذا يمكن وهذا محال!". ثم أتى والدي بعد مدة وقال لي:" تحدثي؛

أنا أسمعك". فلما علم بذهاب زوجي عمر فاروق. نظر إلي وقال لي:" كيف يستطيع زوجك انقاذنا؛ وهو يرمى نفسه بين أحضان القدر المجهول؟! ألم تفكروا في ذلك؟"؟ فقولت لوالدي السلطان وحيد الدين:" يقولون أنهم اعدوا له خطة سفر آمنة لكي يأتي إليهم. ولهذا ركب الباخرة التي أعدوها إليه لكي يسافر إلى إينيبولو İnebolu بإيطاليا". لقد أعد عمر فاروق زوجي كل شيء ليأخذه في رحلته فجهز لباس الإمارة والقلادات العسكرية التي قد حصل عليها؛ ليرتديها عندما يصل إلى أنقرة. وقال لي:" بأنه عندما يصل إلى إينيبولو İnebolu سوف يرسل لي من هناك السلام. غير أن والدي لم يقتنع. وقال لي:" إذا أراد الذهاب فعلينا نحن أن نرسله. وأن نعد له هذا الأمر؛ وهذا هو الأمر الذي لم يستطيع زوجك أن يعلمه". ثم نظر إلى والدي وقال لي مخاطبًا:" ستعلمين عندما يعود إليك زوجك؛ وعندما تفرض عليه حكومة أنقرة شروطها؛ أنه أخطأ حينما صدقهم. وذهب إليهم بدون علمي. ولنرى إن كان سيعود قويًأ أم لا". ثم عاد زوجي عمر فاروق بك بالفعل. عاد إلى منزلنا في سرية. وكان يقول السلطان السلطان لقد أغلقت مائدة السلطان. ولم نرِ في حياتنا مثل هذا القدر المؤلم الذي مر بنا. لقد كانت كل الأحداث ضدنا وتنتقضنا. ولم أرى وضع ميأوس لحالنا؛ مثل هذا الوضع. ولما عاد زوجي قابل حماي والده ولي العهد. غير أنني استطعت أن أخذ الآمان له. فلم يسلمه أحد بسوء بعد عودته.

ثم أرسل مصطفى كمال باشا إلى زوجي عمر فاروق بك تلغرافًا ليخبره فيه؛ بأنه قد قبل تعينه في جبهات القتال؛ على الرغم من كونه من العائلة العثمانية. وفي كل سطر كان يخبره فيه مصطفى كمال باشا:" بألا يتأخر في الوصول إلى أنقرة". غير أنه كان من طرف ووالد زوجي ولي العهد عبد المجيد أفندي؛ أحد رجال المخابرات الذي كان يتعقبه. ولقد أرسل ولي العهد الأمير عبد المجيد أفندي إلى زوجي مكتوبًا؛ في نفس الوقت الذي وصلت فيه رسالة مصطفى كمال باشا إلى زوجي. وكان نص رسالة مصطفى كمال باشا إلى زوجي كالتالي:" على كافة رجالات البيت العثماني مع نساؤهم وبناتهم أن ينتقلوا إلى أنقرة وأن يشتركوا في جبهات القتال مع الجيش التركي؛ وهذا الحق ممنوح إليكم متى انتقلتم من استانبول إلى أنقرة!" غير ان زوجي عمر فاروق نظر إلي وقال لي:" سوف يجعلنا ننتقل ويأمن لنا طريق سفر؛ كالذي أمنه لي؛ بأن جعلني أمكث سبعة ساعات داخل خزانة حديدية. وهذا الأمر لم ولن أنساه أبدًا. إنه يريد أن يبلي العائلة العثمانية كلها من كبيرها إلى صغيرها بمرض الفوبيا من الأماكن المغلقة!"

في تاريخ 21 إبريل من عام 1933م خرجت الجريدة القومية ملي جزاته Milli Gazetesi لتعلن أن الأمير عمر فاروق ما خرج إلى إينيبولو İnebolu بإيطاليا؛ إلا بايعاز من الإنجليز. غير أن هذا الإدعاء في حق الأمير عمر فاروق؛ دفعه إلى أن يرسل إلى الجريدة القومية وقتئذ تكذيب لهذا الإدعاء. لهذا قام حينها

الكاتب المعارض عارف أوروتش في شوموند Arif Oruç'un Şumunu'da بطباعة كتيب صغير نقل فيه نص رسالة الأمير عمر فاروق في تكذيب الجريدة القومية. والذي نشر أيضًا رد الأمير عمر فاروق في العدد السادس من الجريدة جريدة طريق الغد Yarin'a Yolladı؛ بعد وصول التكذيب بيوم. ومن الغريب أن الجريدة رفضت نشر اسم الأمير عمر فاروق؛ مما دفع الكاتب المعارض عارف أوروتش أن يستخدم اسم مستعار؛ لكي يستطيع نشر تكذيب الأمير عمر فاروق لافتراء الجريدة القومية عليه.

" السيد البك المحرر؛

بتاريخ 21 إبريل 1933م قرأت في جريدتكم مقال به أمور موضوعة كذبًا علي وغير حقيقية؛ وتستند فيها إلى ما تزعم أنه وثيقة سجل أنقرة. وبما أنكم قد أفتريتم في حق شخصي؛ ما لم اقم به كذبًا وزورًا. كان لازمًا علي الرد. بعد زوال نظام الخلافة بعشرة سنوات؛ وتدمير صروح سجلات القيود وكراريس مدونات القيد العثماني؛ كان لازمًا عليكم لغياب التاريخ الحقيقي؛ أن تتبعوا درب الكهانة في الكشف عمَ وقع في نهاية عصر الخلافة. ونحن نعلم أن سبب ما تقومون به من تشويه لتاريخ الأسرة العثمانية؛ هو الإفلاس الواقع لكم في إقناع الخلق بأنفسكم؛ عبر نسبة ما ليس فينا إلينا. لهذا فالصادق العالم المثقف من أمتنا عندما يقرأ هذا الكلام؛ فهو سيسخر منه بكل تأكيد. وذلك لما يعلمه من كذب ما أفتريتموه علي؛ غير أن العامي الغير مطلع على بواطن الأمور سوف يصدق إفترائاتكم بحقي. لهذا السبب أتخذت قراري بالرد على كذبكم في حقي؛ ليس دفاعًا عن نفسي؛ بقدر ما هو دفاعًا عن حقائق التاريخ؛ وفتح طاقة نور وأمل للوصول إلى هذه الحقائق؛ التي يراد لها الإندثار. أنا لم أتحرك للإلتحاق بحركة التحرير القومية الأناضولية إلا لثلاث أسباب لا غير؛ وهم على النحو التالي:

1- **لإحساس بضرورة أن يشترك كل كبير وصغير سواء كان من العائلة العثمانية الحاكمة وقتئذ أم من أفراد الشعب في حرب الإستقلال. وذلك دفاعًا عن الوطن والأمة. وهذا الإحساس هو الذي دفعني لأرسال حركة التحرير القومية الأناضولية بأنقرة؛ وأشرح لهم رغبتي في الإنضمام عليهم.**
2- **لقد رأيت أن الحركة التحريرية القومية الأناضولية تعمل على اتخاذ كافة الإجراءات من قيادتها في أنقرة؛ دون الرجوع إلى الحكومة المركزية في استانبول. كما أن قادة الحركة في أنقرة كانوا يخفون عن الحكومة المركزية في استانبول كثير من أنشطتهم؛ كما أنهم كانوا يتصرفون ويكأنهم هم أصحاب الدولة وليس نحن؛ لهذا السبب كان علي أن أقوم بدور الواسطة بين قيادات الحركة التحريرية القومية التركية الأناضولية بأنقرة وبين حكومة السلطنة والخلافة؛ وكذلك للإطلاع على**

حقيقة وضع هذه الحركة وحقيقة الإجراءات التي تتخذها بين شعبنا في الأناضول؛ فالمعاين؛ غير السامع.

3- **كما أن الحركة التحريرية القومية في الأناضول كانت تعمل على اثبات أن أفراد العائلة العثمانية في كنف الأعداء؛ والدليل أنه لا يوجد أحد افراد العائلة العثمانية مشاركًا في هذه الحرب؛ فأردت بمشاركتي في هذه الحرب أن أقطع الشك باليقين في الشبهات التي كانت تثار حولنا.**

وهكذا يتبين مما سبق؛ أن الأسباب الثلاث كانت هي وراء محاولة التحاقي بجبهة التحرير القومية الأناضولية؛ وهذا ثابت من خلال سجل جان قيا Çankaya dosyası. لقد كان السلطان محمد وحيد الدين وأنا وغيرنا من أفراد العائلة قلقون مما يحدث في الأناضول. وكنت أريد أن أعرض على السلطان باليقين وبالدليل حقيقة الأوضاع في الأناضول. ولأجل انهاء هذا القلق راسلت مصطفى كمال باشا. غير أنه قام بتحطيم معنوياتي؛ ومنعني من الإلتحاق الفعلي بجبهة التحرير القومية الأناضولية؛ حتى أستطاع أن يعزلنا ويزيلونا جميعًا من أعمال الدولة ومن التاريخ؛ وكان هذا أكبر بلاء قد وقع لنا.

وأنني بعد سفري بيومين قد تركت خطابًا عن سبب سفري وانضمامي لحركة التحرير القومية في الأناضول. حتى أن المرحوم سابق خاقان Sabık Hakan تحدث مع بعض الخواص في القصر السلطاني عن سبب رحيلي. ولقد سجل خطابي هذا في سجلات الباب العائلي لأعضاء مجلس الوزراء العثماني؛ وإذا لم تعامل هذه السجلات معاملت سجلات البقالين لديكم؛ فبالتأكيد يمكن لكم أن تجدوا خطابي هذا. لقد قمت في بداية عرض مقالك بإظهاري بأنني شخص أعمل لحساب الإنجليز. وأنني ما تحركت إلا بأوامرهم. كأنني كنت أعمل عند الأعداء ولحساب جيوشهم بالأناضول. كما أنك أدعيت بأنني كنت أعمل في خدمة الجيش الإنجليزي المحتل لاستانبول. ومطلقاً هذا الأمر لم يحدث. لهذا أقول لك أن المقدمة التي وضعتها في بداية مقالك؛ إنما هي مقدمة من بنات أفكارك. وهي مقدمة كاذبة؛ لا تمت إلى الحقيقة بصلة. كما أنني أريد ان اسألك كيف لي أن أكون عميلاً للإنجليز وأنا أرغب في حربهم في جبهات الأناضول مع جبهة حركة تحرير الأناضول القومية؟! كما أنه لو كان الأمر كذلك فلما أرسل لي مصطفى كمال باشا يؤمن لي طريق الخروج إليه؟ فأرسلني أول ما أرسلني عبر الباخرة إلى إيطاليا؛ لكي يؤمن رحلتي؛ لكي أعبر إليه. فكيف له أن يصدقني ويؤمن هو وأصدقائه سفري إليهم؛ ثم اكون مسافرًا بعلم وامر الإنجليز؟!

مع الأسف في ذهنية بعض الكتاب والصحفيين اليوم أن المفهوم المدني يعني لهم إلصاق التهم بالغير والتشهير بهم. من أجل تحقيق أهداف دنيوية رخيصة على حساب سمعة الآخرين. وإن هذا الأمر

يجعلنا لا نؤمن ولا نصدق بمفهوم المدنية الحديثة. فصاحب الحق إذا لم يكن لديه القوة التي يدافع بها عن نفسه؛ تقومون بالتشهير به كذبًا؛ ثم تهاجمون عائلته وأبنائه وتشهرون بهم بلا دليل؛ ثم تتناقلون هذه الأخبار الكاذبة فيما بينكم؛ كأنها حقيقة مسلمة. فيالك من نمرود أنت وأمثالك؛ عرفون الحق؛ ثم تنكرونه لأجل منافع دنيوية بغضية. ولكنك تدعي أن ما تستند إليه من معلومات قد حصلت عليه من سجل أنقرة. حقيقة أنا لا أعرف سجل أنقرة هذا؛ ولا أعرف ما دون به. ولم أراسله أو أكتب به أي شيء؛ لهذا يبدو أن سجل أنقرة هذا؛ مما يحتويه من معلومات ملفقة وكاذبة؛ إنما يعبر عن تبيض صفحة القادة الحاليين بالأناضول؛ وتشويه القادة السابقين؛ لأجل إضفاء صورة ناصعة البياض عليكم. ولكني أقول لكم:" إن ما تفعلونه اليوم مستغلين مواقعكم في السلطة بالأناضول؛ لأجل اضفاء صورة غير حقيقية على اناس أبرياء؛ لم يقترفوا أي أثم؛ إنما حسابه سيكون عند صاحب الجلال والقدرة سبحانه؛ في يوم لن يستطيع أن يخفي فيه الكاذب كذبه؛ وسيأتي اليوم الذي تنكشف فيه الحقيقة للجميع؛ ونحن ننتظر مثل هذا اليوم...وحينها سوف نستخدم حقوقنا المشروعة في القصاص من كل من أفترى علينا كذبًا بالبهتان؛ ونحن ننتظر تجلي نور هذا اليوم".

الأمير عمر فاروق"

وبالفعل بدأت الأيام تكشف الكثير؛ مما كان مجهولاً عن نهاية الدولة العثمانية في تلك الفترة؛ وعن أفراد العائلة العثمانية؛ وحقيقة لم يكن هناك مثل جرأة الأمير عمر فاروق في الدفاع عن نفسه وعن شرف العائلة العثمانية بعد زوال دولتهم؛ بمثل ما كتب.

47.2. التأشيرة للعريس؛ وليست للأمير

في اوائل عام 1922م كان هناك عائلة تعيش أيامًا درامية. وهذه العائلة هي عائلة صهر السلطان محمد وحيد الدين. فإن زوج علوية سلطان ابنة السلطان محمد وحيد الدين؛ الأمير إسماعيل حقي قد استطاع الفرار إلى أنقرة لللإلتحاق بجبهة قوة التحرير القومية الأناضولية. وبالفعل قد استطاع الإنضمام إليهم. وكان إسماعيل حقي بك ابن الصدر الأعظم حينئذ توفيق باشا. فبعد إنتهائه من الأكادمية العسكرية ببرلين؛ عاد إلى استانبول؛ ومكث برهة. ثم التحق بحركة التحرير القومية الأناضولية. قبل سنة من انضمامه لحركة التحرير القومية؛ كانت حالة الأمير عمر فاروق زوج الأميرة صبيحة سلطان تشبه حالة إسماعيل حقي بك. غير أن إسماعيل حقي بك؛ لم يكن لديه نفس القدر الذي أمكن الأمير عمر فاروق من العودة إلى استانبول. إذا أن قدره قد اختلف؛ فلم يستطع العودة إلى استانبول. ففي اختلاف قدره عن قدر الأمير عمر فاروق؛ أن

الأول هو من أرسل إلى حكومة أنقرة وطلب منهم الإنضمام إليهم. أما إسماعيل حقي بك فحكومة أنقرة هي من أرسلت إليه وطلبت منه الإنضمام إليهم. حيث أرسلت غليه حكومة أنقرة رسالة مفاداه أن الضباط بجبهات حرب الإستقلال بحاجة إلى خبرته العسكرية؛ لكي يستفيدوا منها من الناحية التنظيمية والتكتكية في حرب الأعداء. وأن كثير من الضباط يحتاجون إلى إعادة تنظيم وتشكيل؛ لهذا السبب دعت حكومة أنقرة إسماعيل حقي بك للذهاب إليها مع بعض ضباط الجيش العثماني في استانبول؛ والذين استطاعوا الهروب سرًا عبر بعض قنوات المصارف المائية إلى الأناضول. فصهر السلطان محمد وحيد الدين؛ إسماعيل حقي بك قد هرب إلى جوار حكومة أنقرة بتاريخ ليلة الـ27 ن يناير 1922م؛ وذلك بخروجه من قصره بمنطقة نيشان طاش Nişantaş سرًا؛ ولقد فر مع كبير ضباط المراسم والمدفعية حسين حسني بك Hüseyin Hüsnü Bey للصدر الأعظم والده. لقد فر الإثنان؛ ولم يكن لزوجة إسماعيل حقي بك الأميرة علوية سلطان اي خبر؛ بما يدبر زوجها. وقبل سفره قامك بإحداث مشكلة مع زوجته علوية سلطان ليتمكن من خلال هذه المشكلة من أن يترك لها حجرة النوم؛ لينام وحده في غرفة أخرى. وبذلك عندما هرب لم يكن أحد ليشعر به. لقد أعد إسماعيل حقي بك خطة الهروب قبل سفره بأسبوع. لقد كان لوالده الصدر الأعظم توفيق بك خبر بما يعتزم عليه ولده من الفرار إلى أنقرة للألتحاق بالقوة القومية؛ غير أنه لم يبح باي كلمة لأي أحد. غير أنه سيبحث هذا الموضوع في مذكراته بعد زوال الدولة العثمانية بعدة سنوات.

قبل أن ينتقل إسماعيل حقي بك إلى جوار حكومة أنقرة. كان يعمل في السر معهم. حتى أنه أسس في الخفاء داخل استانبول الفرع الإستخباراتي لحكومة أنقرة؛ دون علم السلطان أو أعضاء الحكومة. ومن خلال هذا الذراع الإستخباراتي لحكومة أنقرة باستانبول الذي أسس إسماعيل حقي بك أستطاع أن ينقل الكثير من المعلومات عن استانبول والقصر السلطاني والحكومة وغير ذلك. لقد استغل إسماعيل حقي بك هذا الذراع الذي قام بتشكيله؛ ليحصل على بعض الملازم والأسلحة والمواد الضرورية التي كانت تحتاجها حكومة أنقرة؛ واستطاع أن يرسل لحكومة أنقرة كل ما يحتاجونه. غير أن الأمر قد تسرب إلى الصحف في استانبول؛ فبدأت تكتب فيه.

غير أن الأميرة علوية سلطان لم تعرف باختفاء زوجها وهروبه إلى جوار حكومة أنقرة إلا من الصحف. حتى أن السلطان محمد وحيد الدين نفسه؛ لم يعلم بحقيق هروب زوج ابنته إسماعيل حقي بك إلا من الصحف. مما دفع السلطان محمد وحيد الدين أن يستدعي والد زوج ابنته علوية؛ الصدر الأعظم توفيق باشا إلى القصر السلطاني؛ وسأله سؤالاً مباشرًا:" **أين ابنك إسماعيل حقي بك؟".** غير أن الصدر الأعظم أجاب السلطان قائلاً:" **غالبًا سنجده بقصره يا مولاي".** حينها أخرج السلطان محمد وحيد الدين الجرائد

التي تتحدث عن فرار إسماعيل حقي بك إلى جوار حكومة أنقرة وعرضها على والده الصدر الأعظم توفيق باشا. ثم نظر إليه قائلاً:" **إن هذه الصحف تقول بأنه قد عبر إلى الأناضول؛ هل هذا صحيح؟".** فلم يستطع أن يعطي توفيق باشا أي جواب للسلطان.

من جهة أخرى كان حق الطلاق بيد علوية سلطان ابنة السلطان محمد وحيد الدين. فلما حدث ما حدث وفر إسماعيل حقي بك للالإلتحاق بحكومة أنقرة. ذهبت علوية سلطان لتعلن طلاقها من إسماعيل حقي بك. غير أنها صرحت لوالدها بأنها كانت قد طلقته منذ خمسة أشهر. وأتفقت معه ألا يعلنا ذلك الآن؛ حفاظًا على الشكل الأسري للعائلة السلطانية. ولكن ما السر الذي جعل علوية سلطان وزوجها إسماعيل حقي يكتمون خبر طلاقهم خمسة أشهر؛ حتى عن أقربائهم من الدرجة الأولى؟! غير أن هذا الطلاق كان طلاقًا بينًا شفويًا وليس طلاقًا رسميًا على الورق. فلما علم السلطان محمد وحيد الدين بخبر طلاقهم شفويًا منذ خمسة أشهر. أرسل إلى قصر ابنته علوية سلطان بتاريخ 22 يونيو 1922 بمنطقة نيشان طاش كلٍ من شيخ الإسلام محمد نوري أفندي Mehmed Nuri Efendi والذي حضر بصحبة معاوناه الأغا عنبر Anber والأغا مظهر Mazhar وبحضور رئيس أئمة المساجد السلطانية الشيخ الحافظ عثمان باسم أفندي Osman Besim Efendi والذي شهد على شهادة الأغوات أمام شيخ الإسلام على طلاق ابنة السلطان علوية سلطان من إسماعيل حقي بك. وللحقيقة فقد أنتشر خبر هذا الطلاق وخبر فرار إسماعيل حقي بك إلى جوار حكومة أنقرة بين أفراد العائلة العثمانية؛ وأعضاء الحكومة بمجلس الوزراء وسجل هذا الطلاق والفرار لإسماعيل حقي؛ بسجلات العائلة العثمانية وبسجلات قيد رئاسة الوزراء.

وبالتقريب بعد أن أقر السلطان محمد وحيد الدين طلاق ابنته من إسماعيل حقي بك بما يقارب من خمسة أشهر ترك السلطان محمد وحيد الدين استانبول. ويبدو أن أحد أسباب هذا الترك هو طلاق ابنته علوية سلطان من إسماعيل حقي؛ وفراره إلى جوار حكومة أنقرة ضد السلطان. والذي يؤكد ذلك أنه في ليلة استعداد السلطان محمد وحيد الدين للرحيل من استانبول أصر على أن يأخذ نسخة من اوراق طلاق ابنته علوية سلطان من إسماعيل حقي بك بن الصدر الأعظم توفيق باشا. غير أنه بعد طلاق علوية سلطان من إسماعيل حقي بك بعدة أسابيع؛ أتاها خبر من جبهات حرب الإستقلال في الأناضول من أن طليقها إسماعيل حقي بك يفتري على والدها السلطان محمد وحيد الدين بأنه كان سبب طلاقهما. لكن كيف وصل هذا الخبر إلى استانبول؟! لم يكن ليعرف أحد؛ حتى بعد نفي العائلة العثمانية بعدة سنوات حتى تبينت حقيقة كيفية وصول هذا الخبر إلى استانبول.

وفي ذلك يذكر السلطان محمد وحيد الدين في مذكراته:"**... بعد عدة اسابيع من طلاق ابنتي علوية تسربت إلى أحد قوادنا القائد علي بك أحدى الصحف التي حملها إلي. وعندما قابلني قال لي:" يا جناب السلطان يوجد بهذه الصحية أمرًا ما يخصكم". ثم أعطاني الصحيفة لكي أقرأها. فوجدت بها ان زوج ابنتي السابق إسماعيل حقي بك يدعي علي قائلاً:" بأنه بأمر السلطان قد انفصلت عن ابنته". حينها نظر إلي العقيد علي بك وقال لي:" يا مولاي السلطان لا تحزن. فإن ابنتكم مازالت صغيرة وجميلة؛ وعسى الله أن يرزقها بمن هو أفضل منه".**

غير أن الأميرة علوية سلطان لم تعفوا عن زوجها السابق إسماعيل حقي بك في أي وقت. حتى أنه بعد عدة سنوات من النفي؛ لم يستطع إسماعيل حقي؛ أن يرضي الأميرة علوية سلطان. ولم يستطع أن يجدها إلا بصعوبة؛ وحتى عندما وجدها؛ لم يكن ليجرأ أن ينظر في وجهها وجهًا لوجه. وبصعوبة بالغة حاول مقابلتها فلم يستطيع. حتى أنه عندما تزوج زوجته الثانية بعد طلاقه من علوية سلطان؛ وكانت زوجته الثانية ذات صداقة مع الأميرة علوية سلطان. فلما سألتها عن إسماعيل حقي بك أن تعفو عنه فيما حدث بينهما سابقًا. فأجابتها الأميرة عليوة سلطان قائلة:" **يستحيل أن أسامحه أبدًا...لقد احتج علي بدون سبب ليتشاجر معي؛ لكي يفصل نفسه عني ويهجرة حجرة معيشتنا إلى حجرة مستقلة خاصة به؛ وبينما هو يتظاهر بالنوم في سريره؛ إذا به يخادعني ويذهب مثل الهاربين دون أن يخبرني أنه ذاهب؛ ولأين سيذهب؟!؛ لقد خدعني؛ لهذا فمن المحال علي أن أعفو عنه أو أن أسامحه في كل وقت وحين".**

48.2. مرساة الفرص

لقد كانت تعني حرب الإستقلال إنشاء دولة جديدة عاصمتها أنقرة؛ تخالف الدولة القديمة التي بلغت من العمر ما يزيد عن 600 عام؛ وهي تكافح عوامل الزمن للبقاء. لهذا فمعنى إنتصار حكومة أنقرة في حرب الإستقلال؛ هو زوال السلطنة والخلافة العثمانية من الوجود. لهذا السبب كانت تصر حكومة أنقرة على ألا يعرف السلطان محمد وحيد الدين وحكومة الباب العالي " رئاسة الوزراء" في استانبول أي شيء عن الأحداث الجارية داخل الأناضول حربًا أو سلمًا؛ لأن هذا يعزل الأناضول عن سيطرة السلطنة والخلافة العثمانية؛ ويجعل الآمر الناهي في شأن الأناضول هو حكومة أنقرة. لذلك لم تقبل حكومة أنقرة ولم تسمح لحكومة استانبول بالتدخل في شؤونها وفي شؤون حرب الإستقلال من قريب أو من بعيد. وهذا الطريق الذي اتبعته حكومة أنقرة هو طريق الكبراء الذين يريدون أن يبنوا مجدًا خاصًا بهم؛ وعلى العكس من ذلك عجزت حكومة استانبول من تدارك الموقف في الأناضول بسبب الصراعات الداخلية وتفسخ الدولة العثمانية ذاتًا في

نهاية عهدها؛ فلم يبقى منها سوى الاسم والروح؛ وهذا ساعد كثيرًا حكومة أنقرة على التمدد وفرض سيطرتها على الأرض؛ وإحداث واقع جديد مغاير للواقع القديم.

هناك خمسة أسباب منعت السلطان محمد وحيد الدين من التوافق من الناحية السياسية مع حكومة أنقرة. وهذه الأسباب أدت إلى سياسة الحرب الباردة بينه وبين حكومة أنقرة. وتتمثل الأسباب الخمس في التالي:

1- **أن السلطان محمد وحيد الدين عندما تولى العرش العثماني عام 1918م؛ كانت الدولة العثمانية تمر بفترة صعبة من تاريخها؛ وكان الإتحاديون قبل أن يتولى السلطان محمد وحيد الدين العرش يضعونه دائمًا تحت المراقبة ويحسبون عليه أنفاسه؛ وعندما تولى السلطان محمد وحيد العرش العثماني؛ كانوا يشاركونه في الحكم ويعارضونه عند اتخاذ أي قرار سياسي وحده؛ بينما كان يحق لهم أن يتخذوا هم كثير من القرارات السياسية دون الرجوع إليه. فلما قام حركة التحرير القومية الناضولية. أكتشف السلطان محمد وحيد الدين أن العداء بين هذه الحركة في الأناضول وحركة الإتحاد والترقي عداء ظاهري ليس أكثر؛ وألا هدف الإثنين واحد؛ مهما أختلفوا في الرؤية؛ وهذا الهدف هو إزالة الدولة العثمانية؛ وإحلال دولة جديدة مكانها؛ حتى أن فريد باشا رغم عداء لمصطفى كمال باشا؛ غير أنه أسس حزب الحرية والإتلاف Hürriyet ve İtilaf Partisi لأجل دعم الحركة التحريرية القومية بالأناضول بقيادة مصطفى كمال باشا؛ مما جعل الشك يقع في قلب السلطان محمد وحيد الدين في كون الحركة التحريرية القومية الأناضولية في أنقرة ما هي إلا الوجه الآخر لحزب الإتحاد والترقي؛ لكي يجدد نفسه بدماءًا جديدة ليتمم بذلك أكثر من عشرة سنوات في حكم البلاد؛ ولكي يقبله الناس. فيقول أصحاب الحركة التحريرية القومية خلاصناكم من حزب الإتحاد والترقي؛ الذي أوقع البلاد في المصائب والمهالك؛ بينما هم في الحقيقة حزب الإتحاد والترقي ولكن بوجوه جديدة وباسم آخر؛ وهم على الحقيقة لم يتخلصوا من الإتحاديين بقدر رغبتهم أن يعلنوا للناس أنهم خلصوهم من السلطنة والخلافة العثمانية.**

2- **أن كثير من الإتحاديين كانوا يعلنون أن الرئيس الحقيقي لحركة التحرير القومية الأناضولية هو الصدر الأعظم فريد باشا صهر السلطان محمد وحيد الدين. وأن فريد باشا يعمل على إزاحة السلطان محمد وحيد الدين من السلطة للقضاء على الدولة العثمانية؛ وإنشاء دولة جديدة. وأنه يراسل سرًا مصطفى كمال باشا وأعوانه في حكومة أنقرة وينسق معهم الوضع. وكانوا يعلنون أن السلطان محمد وحيد الدين مثله كمثل عضو من أعضاء حزب الإتحاد والترقي تم فصله. لهذا كان**

يرفض السلطان محمد وحيد الدين أن يراسل حكومة أنقرة بأي فرمان يحمل أي أمر مباشر لهم. لأنه يعلم بأنهم لن ينصاعوا لأوامره؛ وسيضربون بها عرض الحائط. ولأنه كان يرى أن الحركة التحريرية القومية بالأناضول تنمو على حساب صالح الدولة العثمانية.

3- أن السلطان محمد وحيد الدين كان يرى أن ميراثه من والده السلطان عبد المجيد الأول ومن أخيه الأكبر السلطان عبد الحميد الثاني هو أن يتبع سياستهم في الحفاظ على صداقة مع الإنجليز والتقارب مع الفرنسيين. وهذه السياسة التي قبلها السلطان محمد وحيد الدين رفضها أعضاء حكومة أنقرة. بل سولت لهم أنفسهم في إغراء ولي العهد الأمير عبد المجيد أفندي للمجيء إليهم؛ ليعلنوه سلطانًا وخليفة للمسلمين في أنقرة؛ وليعلنوا عزل السلطان محمد وحيد الدين. مما جعل السلطان محمد وحيد الدين لا يستطيع أن يتوافق مع حكومة أنقرة.

4- لقد أدت هزيمة الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى أمام الحلفاء؛ إلا خروج كثير من الأمور عن السيطرة؛ ليس عن سيطرة حكومة استانبول فقط؛ بل خروجها عن السيطرة في سائر أنحاء البلاد عن يد الولاة والموظفين؛ فقط أدت هذه الحرب إلى انفراط عقد السلطة المركزية وضياع هيبتها أمام شعبها. ولقد أجبرونا بعد أربع سنوات من الحرب العالمية العامة على القبول باتفاق هدنة سيفرس والذي يحرم الدولة العثمانية من كافة حقوقها الشرعية؛ مما دفع السلطان محمد وحيد الدين إلى كسب الوقت وتخدير الغربيين؛ لا سيما يستطيع أن يغير الوضع على أرض الواقع؛ فيستطيع بذلك أن يغير من بنود اتفاق هدنة سيفرس؛ فبينما كان السلطان محمد وحيد الدين يجادل في قبول اتفاق شروط هدنة سيفرس؛ ويتظاهر أحيانًا امام الحلفاء بأنه قبل شروط الهدنة؛ كان يقوم بإعداد العدة لشن حرب كبيرة ضد وجود جيوش الحلفاء في الأناضول؛ وبخاصة أنه في ذلك الوقت كانت استانبول تحت الحصار وليست تحت الإحتلال المباشر؛ غير أن الخيانة؛ وشيطنة حركة التحرير القومية الأناضولية للسلطان؛ أفضت إلى الوضع الذي وصلت إليه حال الدولة العثمانية؛ من القبول بجعل استانبول تحت الإحتلال المباشر؛ فلقد جردت الدولة العثمانية بحيلة شديدة الزكاء من سائر جيوشها الفاعلة؛ وتركت استانبول وحدها في الميدان؛ بلا مدافعٍ عنها. لهذا السبب؛ كان السلطان محمد وحيد الدين يمتنع عن التوافق مع حكومة أنقرة. لنهم كانوا يتصرفون أنهم الند بالند؛ فالدولة ذات الرأسين تغرق لا محالة.

5- أن السلطان محمد وحيد الدين كان ينظر إلى مصطفى كمال باشا على أنه عاصي وخارج على الخلافة والسلطنة. وفي ذلك يذكر السلطان محمد وحيد الدين بمذكراته في المنفى قائلاً: ***" أنا من اعددت كل شيء لأجل حرب الإستقلال؛ وأنا من أرسلت مصطفى كمال باشا إلى الأناضول؛ وأنا***

من عينته قائدًا ومتصرفًا عامًا في كافة أحوال الجيوش العثمانية والدوائر الحكومية السياسية والمدنية في الأناضول؛ ثم بعد ذلك كلما أرسلت له بأمر لا ينفذه؛ بل يقوم بعمل الضد من هذا الأمر؛ ثم يخرج قرارات وأوامر من رأسه تهدد أمن وسلامة الأناضول والسلطنة والخلافة العثمانية. كأنه صاحب الأمر الحقيقي في البلاد. ثم قام بحملة تشويه ضدي وبمحاولة شيطنتي أمام شعبي؛ ليهز مكانتي وسلطاني في نفوس الناس؛ لكي يحقق ما يريد". **لهذا السبب كان السلطان محمد وحيد الدين يعتبر مصطفى كمال باشا عاصي وخارج عليه وخائن له في كل وقت؛ ويرفض أن ينعته بغير ذلك. وحتى نهاية حياته كان السلطان محمد وحيد الدين يرفض أن يسامح مصطفى كمال باشا أو ان يعفوا عنه. وكان دائمًا ما ينظر إليه على أنه عاصي وخائن لوعوده التي قطعها على نفسه للسلطان.**

وبالرغم من كل ذلك فإن السلطان الوالد محمد وحيد الدين لم يكشف عما بقلبه ناحية مصطفى كمال أتاتورك لأحد؛ غير أن القائد العام الأعلى لقوات الإحتلال الإنجليزي في اسطنبول السير هوراس رومبولد يشرح الموقف من حكومة أنقرة ومصطفى كمال باشا بطريقة أخرى حيث كتب في أحدى رسائله إلى لندن:"**...مع الأسف الثورة قد بدأت...وكان بكر سامي أحد الشراكسة؛ غير أنه كان لا يختلف عن الباقين كثيرًا من العصيان -ضد الدولة العثمانية-؛ والحكومة المركزية في اسطنبول ضعيفة؛ وليس لديه القوة التي تمكنها من السيطرة على الموقف".** غير أنه عندما تحدث عن مصطفى كمال باشا تحدث بطريقة جيدة حيث قال:"**عندما كنت في لندن تذكرت أن حال مصطفى كمال باشا الآن أفضل بكثير من حاله القديم بعد مرور عشرين أو ما يقارب من ثلاثين سنة-لا أتذكر-"**؛ وفي موضع آخر من نفس خواطره تناول مسألة الخلافة الإسلامية وانتقالها إلى خارج اسرة آل عثمان حيث قال:"**من الصعب على المسلمين الآن أن يتفقوا بعد أسرة آل عثمان على خليفة لهم؛ لأن الخلافة إذا ذهبت عن اسطنبول؛ فإن أثر هذه الكارثة على العالم الإسلامي لن يكون له مثيل. ونحن لا نستطيع أن نعلن أننا أسقطنا الخلافة الإسلامية؛ لذا على بوصلة الاتجاه العام للمسلمين أن تتجه إلى بطل يريد انقاذ الخلافة؛ حتى إذا ما أنقذها؛ قام هو بإلغائها؛ وليكن هو الآلة التي بأيدينا التي نحقق بها هذا الغرض".** ثم تحدث في موضع آخر عن طمع الشريف حسين في منصب الخلافة؛ حيث ذكر:"**نحن بحاجة إلى إعداد شخص يكون هو الواجهة التي تطمع في مقام الخلافة؛ ويعلن عن ذلك صراحة أمام المسلمين؛ حتى إذا أنتهى دوره في اسقاطها؛ قمنا نحن بالتضحية به. ولا أعتقد أن الشريف حسين يصلح لهذه الوظيفة أن يكون هو المنقذ للخلافة ثم يقوم بالقضاء عليها؛ لأنه يرى أن الخلافة حقه الشرعي وميراثه من أجداده؛ لهذا تسليم هذه المهمة لمثل هذا الشخص "الشريف**

حسين" أمر في غاية الخطورة؛ كما أنه سينظر إلى فعل إلغاء الخلافة على أنه عار في سجل أعماله وأعماله وأعمال أجداده". وفي موضع آخر ذكر السير هوراس رومبولد بمذكراته:"**...نحن من ارسلنا مصطفى كمال باشا إلى الأناضول؛ ونحن من اتفقنا معه على إعلان العصيان ضدنا في الأناضول. وفي إحدى الأيام كان فريد باشا صهر السلطان محمد وحيد الدين يطمع في أن يأخذ منا الوظيفة التي كلفنا بها مصطفى كمال باشا؛ وفكر في ذلك؛ وصارحنا "صارح الحكومة الإنجليزية بما يدور في ضميره بشأن هذه المسألة"؛ غير أنه لم يوفق؛ لأننا لم نقبل به؛ لأنه لم يكن الرجل المناسب لمثل هذه المهمة. بيد أننا أظهرنا له أن مصطفى كمال باشا هو عدونا الحقيقي؛ وأننا نحاربه ونحتاج إلى أن يكون هو الوسيط بيننا وبينه؛ غير أن الصهر السلطاني فريد باشا لم يوفق للوساطة بيننا وبين مصطفى كمال باشا؛ ثم كلفنا توفيق باشا بالقيام بهذه المهمة؛ غير أنه لم يوفق في دوره الدبلوماسي للوساطة...حينها أعلنا أن مصطفى كمال باشا يرفض الوساطة مع الحلفاء؛ مما زاد من شعبيته ومؤيديه".**

لقد كان لانتصار جيوش أنقرة على قوات الحلفاء في داخل الأناضول أبلغ الأثر السيء في نفوس المسلمين بشأن مسألة الخلافة؛ فتوزعت أنفسهم بين تأيد الخليفة الشرعي المبايع له القائم في اسطنبول السلطان محمد وحيد الدين والذي لم يعد يملك من أمر نفسه أو دولته شيء؛ وبين البطل المغوار الذي يقاتل الإنجليز والخلفاء وينتصر عليهم؛ والذي تلقى لأجل ذلك الدعم والتأيد من جميع أرجاء العالم الإسلامي لأجل انقاذ مقام الخلافة وتحرير مركزها من أيدي أعداء الإسلام والمسلمين؛ غير أن فريد باشا بسبب سياسته غير المتزنة ناحية مصطفى كمال باشا؛ جعل أغلب المسلمين في العالم الإسلامي يتجهون إلى تأييد حكومة أنقرة ضد حكومة الخلافة في اسطنبول؛ وبخاصة أن فريد باشا كان يشكك في حقيقة انتصارات مصطفى كمال باشا وحكومته في أنقرة بين الحين والآخر ويلعن على الملأ نفرته من مصطفى كمال باشا وأعضاء كل حكومة أنقرة؛ مما نتج عنه العكس حيث نفر شعب الأناضول والمسلمون خارج الأناضول من حكومة الخلافة في اسطنبول؛ وأعلن الكثيرين منهم تأيد حكومة أنقرة ضد حكومة الخلافة. من ناحية أخرى كان الصهر السلطاني فريد باشا يرى أن انتصارات مصطفى كمال باشا وحكومة أنقرة على الحلفاء في الأناضول ما هي إلا بداية النهاية لدولة العثمانية؛ وأن الخلافة إلى زوال عن أسرة آل عثمان ولن تذهب لغيرهم. وفي إحدى التقارير الاستخباراتية التي أرسلت إلى لندن عن الأوضاع في الأناضول ذكر أحد التقارير أن العداء لمصطفى كمال باشا وحكومة أنقرة بدأ يظهر بين طبقة معينة من المثقفين الأتراك؛ وبدأوا يرونه لا يعمل تحت راية حكومة الخلافة في اسطنبول ولا ينسق معاها؛ حتى أن أحد الجنود التابعين لحكومة أنقرة عندما أسر من قبل القوات الإنجليزية وأثناء إجراء التحقيقات معه لم يعر اهمية لمصطفى كمال باشا؛ بل أكد أنه

يقاتل مع مصطفى كمال باشا ضد قوات الحلفاء لأجل انتصار الخلافة؛ وأن مجد مصطفى كمال باشا وشهرته ليس بانتصاراته فقط على الحلفاء؛ بل، لأنه يناصر قضية الحفاظ على الخلافة. وأنه لولا ذلك لأنفض عنه الكثيرون. وفي تلك الآوانة تتابع التقارير الاستخباراتية الإنجليزية إلى لندن عن اتجاهات الناس وموقفهم من الخلافة في الأناضول. ولوحظ في هذه التقارير أن الكثير من الناس قد نفروا من السلطان محمد وحيد الدين بعد توقيعه اتفاقية سيفرس مع الحلفاء على الاستسلام؛ وأثبت أحد التقارير الاستخباراتية النفسية أن كثير من سكان الأناضول وعاصمة الخلافة اسطنبول بدأوا يرجحون كفة مصطفى كمال باشا على كفة السلطان العثماني؛ وبدأ بعض السكان في اسطنبول يراسلون حكومة أنقرة للعمل معها سرًا؛ ظننًا منهم أن حكومة أنقرة ستنقذهم من الاحتلال وستحرر مقام الخلافة من الأسر. مما يدل على أثر حكومة أنقرة القوي داخل اسطنبول؛ وانعدام أثر حكومة اسطنبول على حكومة الثورة في أنقرة. اللهم إلا من الشعور الديني الغالب على المسلمين؛ فهم في هذه الفترة يريدون أن يحرروا الأناضول ويحافظوا على مقام الخلافة؛ حتى لو ذهبت عن اسرة آل عثمان. وبخاصة بعد أن دعى مصطفى كمال باشا السلطان محمد وحيد الدين إلى الخروج من اسطنبول وتركها والتوجه إلى أنقرة ليكون إلى جواره؛ فرفض السلطان محمد وحيد الدين عرض مصطفى كمال باشا. مما دفع مصطفى كمال باشا إلى أن يعلن أن السلطان محمد وحيد الدين ممثل مقام الخلافة والسلطنة أصبح غير لائق لمنصبه؛ وأعلن أن الخليفة الأسير؛ ما هو في الحقيقة إلا الخليفة الخائن.

حسنًا؛ إذا كان هذا هو رأي مصطفى كمال باشا في السلطان محمد وحيد الدين؛ فما هو فكر الإنجليز ورأيهم في السلطان محمد وحيد الدين؟

ولمعرفة افجابة على هذا السؤال علينا أن ننظر إلى تقارير المخابرات الإنجليزية عن الأوضاع في الأناضول؛ ففي عام 1920م أرسلت المخابرات الإنجليزية من الناضول إلى لندن تقريرًا عن ذلك؛ وكان من ضمن هذا التقرير قسم يخص السلطان محمد وحيد الدين؛ حيث ذكروا فيه:"**...أن السلطان محمد وحيد الدين من أشد أعداء حكومة الاتحاد والترقي التي أغتصبت الحكم الفعلي من السلطان العثماني؛ غير أنه بالرغم من ذلك لم يأخذ الفرصة في حياته السياسية لإظهار مواهبه الحقيقية. فكانت شخصيته تتميز بالحيرة والتردد والصبر على تجمل الصعاب التي تواجهه؛ حتى وإن لم يكن له يد فيها. يحب بلده كثيرًا؛ ويرفض خيانتها ويفكر بإخلاص في انقاذها منا. وبعد توليه مقام الخلافة والسلطنة وجد أنه حدث فصل بين مقامي الخلافة والسلطنة؛ فقد أغتصب الاتحاديون مهام مقام السلطنة من السلطان العثماني؛ مع ابقاء الاسم منها للسلطان؛ فهو السلطان اسمًا لا فعلاً؛ وتركوا له مقام الخلافة الديني الروحي مجردًا من**

صلاحيات السلطنة. كان يفكر دائمًا في الطرق التي يسترد بها السلطان الزمني السياسي من الاتحاديين. غير أن تردده وخوفه من المجازفة وقلة رجاله المخلصين الذين يمكن الاعتماد عليهم؛ والظروف الدولية والداخلية والأسرية التي كانت تحيط به؛ مع ضعفه الشخصي؛ لم تمكنه من إعادة الوحدة بين مقامي الخلافة والسلطنة من جديد. لهذا سقط. كان محمد وحيد الدين يؤمن بأنه يمكن الاتفاق معنا على انقاذ تركيا. وأحيانًا كثيرة كان شديد العصبية غير أنه؛ كان يتمالك نفسه ويكتم غضبه ويشرح ما يريد لمعارضيه ولأعداؤه بكل هدوء؛ لقد أبتعد عن حياة الهدوء والسكينة الخاصة به تمامًا. وبالرغم من ذلك كان يشرح لزوجاته ما يعانيه نفسيًا؛ مما يحيط به وبهم من مخاطر؛ لأنه لم يكن له صديق مقرب يكون قريبًا منه ليأتمنه؛ وأحيانًا كان يهون الأمور على زوجاته ويقوم بألعاب التسلية معهن".

49.2. جهود التقارب

بعد توقيع الصهر السلطاني فريد باشا على اتفاقية سيفرس؛ بدأت الصدارة العظمى تذهب عنه؛ ووجها السلطان محمد وحيد الدين إلى توفيق باشا؛ لأجل أن يتلافى توفيق باشا الأخطاء التي وقع فيها الصهر السلطاني فريد باشا أثناء مدة حكومته مع الحلفاء؛ ولكي يتقارب مع حكومة أنقرة. مع العلم ان حكومة انقرة الآن أصبح بيدها الأوراق الرابحة؛ وبدأت في إظهار العداء للحكومة المركزية في اسطنبول؛ بل أخذت حكومة أنقرة تواجه حكومة اسطنبول؛ ولا تلتزم بالأوامر الموجه إليها من حكومة اسطنبول؛ حتى أن توفيق باشا الصدر الأعظم عندما ذهب إلى لندن لحضور مؤتمر لندن بتاريخ 28 يناير 1921م؛ وجد أن الحكومة الإنجليزية بدأت تعتمد على أن الحكومة الرسمية الواجب التعامل معها والاتفاق معها في الأناضول هي حكومة أنقرة وأن حكومة اسطنبول لم يعد لها أي وزن دولي أو سياسي حتى على الصعيد الداخلي. لأجل هذا انسحب الصدر الأعظم من مؤتمر لندن وأرسل برقية إلى حكومة اسطنبول يبلغها بخطورة الوضع. حيث ذكر في هذه البرقية التالي:**"إن الحكومة الإنجليزية طلبت مني أن أطلب من جناب السلطان أن يفوض كافة الصلاحيات لحكومة أنقرة لكي تتفاوض هي مع الحكومة الإنجليزية؛ على أن يصدر السلطان محمد وحيد الدين بذلك فرمانًا بتوقيعه وخاتمه".** غير أن السلطان محمد وحيد الدين أوضح في برقيته للصدر الأعظم توفيق باشا أن ما يريده من الإنجليز عدة شروط يجب أن يتعهد الإنجليز بتنفيذها قبل أي اتفاق؛ وهذه الشروط هي:

1- **على الحكومة الإنجليزية أن تتعهد بعدم المساس بمقامي الخلافة والسلطنة؛ وأن تتعهد بالحفاظ عليهما.**

2- إذا أرادت الحكومة الإنجليزية أن أفوض المجلس النيابي لحكومة أنقرة في إدارة شؤون البلد؛ فلكي يتحقق هذا الطلب؛ على الحكومة الإنجليز الموافق على وضعي شرط أنه لا يحق للمجلس النيابي أو لحكومة أنقرة المساس بمقامي الخلافة والسلطنة العثمانية.

3- على أن توافق الحكومة الإنجليزية ومعها مجلس الأمة التركي بأنقرة على أن باسطنبول سيكون هناك مجلس بديل؛ ومراقب لأعمال مجلس حكومة أنقرة؛ وذلك لمنع هذا المجلس من ان يقوم بالإخلال بالشروط المتفق عليها.

4- لا يحق للمجلس النيابي التركي في حكومة أنقرة القيام بأعمال التفتيش في مدن السلطنة العثمانية بدون الرجوع إلى السلطان العثماني والحصول على موافقته. ولا يحق له اصدار أي مرسوم دون مناقشته ومراجعته مع رأس البلاد السلطان العثماني.

غير أن مصطفى كمال باشا عندما علم بما تحويه برقية السلطان محمد وحيد الدين إلى الحكومة الإنجليزية في لندن؛ قال: **"إذا أراد السلطان محمد وحيد الدين تحقيق هذه الشروط؛ فلا مناع إلا بشرط واحد؛ ألا وهو أن ينتقل مقر السلطنة من اسطنبول إلى أنقرة؛ على أن يكون السلطان وحيد الدين إلى جوار الحكومة والنجلس النيابي في أنقرة. فإذا لم يوافق السلطان وحيد الدين على ذلك؛ فهو يعني بذلك اعلانه انفصال حكومة أنقرة ومجلسها النيابي نهائيًا عن حكومة اسطنبول في اتخاذ كافة التدابير الخاصة بقيادة شؤون البلاد. لأن المجلس النيابي الثوري الحر في أنقرة لا يمكن أن يخضع لأي إشراف خارجي عليه؛ لأنه ممثل للأمة التركية. لهذا السبب يستحيل على حكومة أنقرة ومجلسها النيابي القبول بإشراف هيئة حكومة اسطنبول عليهما. كما أن مجلس حكومة أنقرة النيابي يحق له أن يكون هيئة تكلف السلطان بمهامه أو تسحبها منه؛ كما أن السلطان قد تعهد في السابق بدفع رواتب أعضاء المجلس النيابي لحكومة أنقرة؛ وحتى الآن لم يفِ بوعده؛ ونحن ننتظر منه الإيفاء بوعده؛ بدفع رواتب نواب الأمة التركية في المجلس النيابي لحكومة أنقرة".**

كان غرض السلطان محمد وحيد الدين من شروطه أن يكون له دور رسمي وفعلي في تحرير البلاد من جيوش الحلفاء ورفع تهمة الخيانة التي ألصقها مصطفى كمال باشا به. غير أن مصطفى كمال باشا فهم ما يرمي إليه السلطان وحيد الدين لهذا أرسل إليه يقول له:**"إن القوة القومية الثورية لا يمكن أن يكون لها راسًا بعيدةً عنها؛ وتخضع لحماية قوات الأعداء"**؛ وفي برقية أخرى أرسل مجلس نواب أنقرة للسلطان محمد وحيد الدين الرسالة التالية:**" إذا اردت أن تكون رأس الأمر في قيادة حرب الإستقلال؛ فعليك أن تلحق بمصطفى كمال باشا بالجبل وتحارب معه من هناك... وعليك أن تذهب إلى مدينة سامسون على ساحل**

البحر الأسود لتقاتل باسم السلطنة العثمانية من هناك". فرد عليهم السلطان محمد وحيد في برقية قال لهم فيها:**"ولمن سوف تترك اسطنبول؟"**

وفي مذكرات عوني باشا التي كتبها بعد النفي في سان ريمو عقب إلغاء الخلافة والسلطنة العثمانية نجده يقول: **"....إن السلطان محمد وحيد الدين حاله المتردي هذا كان سببه أنه أراد أن يحافظ على دينه ووطنه وأمته. وأن يخدمهم بكل إخلاص؛ غير أنه كان الرجل المناسب في الزمان والمكان غير المناسبين؛ فهو أصلاً لم يخن أمته؛ بل هو الذي غدر به. ولوقبلت فكركم الذي يدعوني إلى أعلان أن السلطان محمد وحيد الدين خائن؛ فإنني أعلم أنكم ستحضرونني إلى انقرة وستكرمونني؛ غير أنني لن أفعل هذا؛ لهذا لا أستطيع العودة إلى تركيا. انتم تعلمون أكثر مني حقيقة الوضع في البلاد وحقيقة من كانوا حول السلطان وحيد الدين؛ لقد دار الزمان وصارت السلطة في أيديكم؛ ومن بيديه السلطة؛ فبالطبع سيكون إلى جواره الحق. لقد كنت أكبر المخالفين للصدر الأعظم توفيق باشا؛ وكنت معارضًا لتسليم كثير من الصلاحيات ليد شخص واحد فقط؛ دون رقيب؛ مما يمثل تهديدًا وجوديًا على كيان الدولة؛ حتى أن كلامي أزعج الكثيرين حتى قام الصدر الأعظم توفيق باشا بتحويلي إلى عزت باشا وعلي باشا للتحقيق معي. وهم جميعًا حينها كانوا يصرون على أن يكون مختار باشا بعيدًا عن القصر السلطاني وعن منصب الصدارة العظمى؛ كي يستمر المنصب في يد توفيق باشا؛ وفي النهاية انتصروا علي وكنت أنا المغلوب؛ لقد قالوا لي؛ إننا نواجه مصطفى كمال باشا وبعد الإنتصار عليه ستبايعنا على ما نريد؛ غير أنني كنت أراهم يسيرون في طريق صهر السلطان فريد باشا؛ لأنهم إذا انتصروا على مصطفى كمال باشا حينها لا قدر الله فإن مقامهم في الدولة سيكون كمقام أنور باشا قائد الجيوش العثمانية وطلعت باشا الصدر الأعظم؛ ولن يكون للسلطان وحيد الدين حينها أي شأن يذكر. إنني وانا أكتب هذه المذكرات اقول بكل وضوح أن توفيق باشا وعزت باشا وعلي باشا ومن معهم كانوا ينسقون مع الدول الأجنبية لحرب مصطفى كمال باشا؛ فإذا هزموا مصطفى كمال باشا؛ لا أمكنهم الله من ذلك؛ فمن حينها سيكون منقذ الأناضول؟!"**

ولكن بعد وقوع الكارثة لم يتحمل أحد نتائج ما حصل إلا السلطان محمد وحيد الدين وحده دون غيره؛ وفي ذلك نجد السلطان محمد وحيد الدين يذكر بمذاكراته بالمنفي:**" أن رئيس المراسم السلطانية عوني باشا كان يشرف بنفسه على كمل شيء في القصر السلطاني وكان يتحسس من وجود جواسيس وخونة؛ خاصة في تلك المرحلة العصيبة من تاريخ الدولة العثمانية؛ حتى أنه ذات مرة قابلني وطلب مني أن أتعهد له بأنني سوف أقوم برئاسة كل شيء في البلاد بنفسي؛ وبأنني لن أتخلى عن اسطنبول ولن أذهب إلى الأناضول؛ وبان قيادة الجيوش العثمانية بالأناضول سوف تخضع لرئاستي مباشرة وليست لرئاسة قائد**

الجيش المكلف في الأناضول. لأن الأعداء قد احتلوا عاصمة الدولة العثمانية؛ واصبح من الصعب اخراجهم بدون القوة. وقال لي:" لهذا لا يجب عليك ترك اسطنبول فريسة لهم"؛ إن عوني باشا كان يظن ان المسألة سهلة بالنسبة لي باعتباري السلطان؛ ولا يعلم حقيقة الوضع بدقة. لقد حاولت أن اصل بين أنقرة واسطنبول وان أوحد الجهود وأن ارسل بعض الأمراء العثمانيين للمشاركة في العمليات العسكرية بمناطق المضائق وساحل البحر الأسود وفي داخل الأناضول. وبذلت قصارى جهدي لأجل ذلك. غير أن النتائج ذلك. حيث أن حكومة أنقرة أصرت على أنني سلطان للأتراك فقط ولست خليفة للمسلمين؛ وأنني بناءًا على ذلك علي أن أحارب باسم القومية التركية؛ وأن أحمل راياتها؛ وهذا ما لا أستطيع أن أعلنه؛ لأن هذا يعني؛ موت مقام الخلافة الممثل الجامع الوحيد لجميع المسلمين بمختلف أعراقهم ولغاتهم وأوطانهم. فعندما فرضت عروضهم؛ أرسلت حكومة انقرة إلي رسالة مفاداها:" أنك وعدت بالخروج إلينا لتقاتل إلى جانبنا الأعداء؛ غير أنك فضلت الجلوس في قصرك على النوم على حصى الجبال؛ لهذا تمتع بقصرك؛ ونحن معنا مصطفى كمال باشا يقود المعارك على الجبهات. وبما أن السلطان قد عين مصطفى كمال باشا قبل سفره للأناضول رئيس عام المراسم السلطانية وحاجب الحجاب؛ فإن الوضع الآن أختلف فلا يستطيع مصطفى كمال باشا أن يقوم بمهامه القديمة التي كان يقوم بها إلى جوار الذات السلطانية العلية؛ حيث أن تحرير البلاد أولى من ذلك". فتعجبت في نفسي من رسالتهم هذه؛ ألم يعلموا أنني قبل ان أرسل مصطفى كمال باشا ليقود المعارك في حرب الإستقلال قد عزلت من منصب رئيس المراسم السلطانية وحاجب الحجاب؟! وإنما طلبت منه ألا يقوم بأي هجوم ضد الأعداء في ساحل البحر الأسود؛ حيث أن سفن الأعداء متمركزة هناك ويمكنها قصف الساحل وتدمير المدن والقرى؛ وليس لدينا ما يدفع ضررها على مدن ساحل البحر الأسود. أنا بنفسي من عزل مصطفى كمال باشا من منصب المراسم السلطانية وحاجب الحجاب وعينت بدلاً منه عوني باشا؛ وبالغرم من شدة عوني باشا في نصحه إلي؛ إلا أنني لم أكن لأستطيع أن أسيطر على جيوش الدولة العثمانية في في سامسون وطرابزون وإزميت والأماكن المجاورة لهم إلى العمق الداخلي للأناضول. حتى أنني لم يكن لي بين هذه الجيوش رغم كوني السلطان نصيرًا بينهم؛ وليست لي عليهم كلمة مطاعة؛ بل زاد الأمر سوءًا أن ولي عهدي عبد المجيد أفندي بدا يتأثر بكلام توفيق باشا حول ضرورة أن يذهب هو إلى عمق الأناضول إلى جوار حكومة أنقرة. وأتي إلي عبدالمجيد أفندي وعرض علي هذا الرأي؛ غير أنني كنت أرى أن هذا الراي به خطا جسيم؛ وتهديد وجودي للدولة العثمانية. وفي هذه الأثناء بدات اشعر بحركة انقلابية داخل القصر السلطاني؛ حيث دخل علي الصدر الأعظم توفيق باشا ومعه عزت باشا ومعهم أربعة عساكرم مسلحين؛ وأقسموا أمامي أنهم لا يردون الضرر بالسلطان؛ ولكن هذا الأمر يرجع إلى إلى إرادة السلطان؛ وبإمكان السلطان حل هذه المشكلة وذلك بموافقته على عزل

عوني باشا من رئاسة المراسم السلطانية وحاجب الحجاب؛ فلما رفضت؛ تعاملوا معي بشدة وقالوا لي: إما أن توافق؛ وإما أنك سوف ترى منا ما لا يرضيك؛ وبخاصة أن المشير العسكري عزت باشا وعلي باشا أصرا بشدة على عزل عوني باشا وعدم منحه أي منصب في القصر السلطاني. مع الأسف أضطررت حينها أن أوافق على عزل عوني باشا؛ الذي تبين لي بعد عزله بشهرين؛ بأنه كان أصدق صديق لي داخل القصر السلطاني؛ وأنني بعزله؛ إنما عزلت نفسي عن آخر المخلصين لي وللسلطنة والخلافة وبقيت وحيدًا بين المنافقين والخونة. لقد تعهد لي عزت باشا بأن مصطفى كمال باشا صادق الولاء لي وللدولة العثمانية؛ غير أنه تبين لي فيما بعد أن عزت باشا كان يخدعوني. حتى أن الصدر الأعظم توفيق باشا ومعه عزت باشا قالوا لي:" غن مصطفى كمال باشا صادق في وعده لنا ولك يا جناب السلطان؛ غير أنه يريد منك شيء واحد كعربون لهذه الصداقة؛ وهذا الشرط هو رأس صهر السلطان فريد باشا الصدر الأعظم السابق". الجميع من هؤلاء المنافقين والخونة من حولي في كل وقت يدعون بأنهم يخدمونني ويخدمون السلطنة؛ غير أنهم في الحقيقة لا يخدمون إلا منافعهم الشخصية؛ وقطعيًا ليس بينهم شخص مخلص. لقد انتظرت ما يقارب من عام ونصف وحدي بدون معاون مخلص لي؛ وبحثت بين الكثيرين؛ فلم أجد من بطانة الحكم ومن بين من في القصور أحد مخلص لي أو للسلطنة أو للخلافة؛ فالجميع خونة".

في هذه الأيام كانت السياسة افنجليزية تقوم على التواصل مع الشخصيات التي كانت تحاربها وتظهرها للشعب على أنهم حلفاء للإنجليز؛ لذا نجد الإنجليز استدعوا رئيس جمعية المحاربين سعيد الملا للقاء القائد العام الأعلى للقوات الإنجليزية روم بولد بتاريخ 22 أغسطس 1921م وجعلوه يكتب تقرير عن فريد باشا قال فيه أن فريد باشا صهر السلطان الخصم الدود لمصطفى كمال باشا؛ وهو من أرسل مصطفى كمال باشا وتشكيلاته للحرب ضد الإنجليز ببطن الأناضول؛ وبخاصة أن الشيخ أحمد الشريف السنوسي قال في أحدى خطبه في مسجد مدينة ماردين الجامع الكبير:" **أن مصطفى كمال باشا هو إيقاظ السلطان محمد وحيد الدين كثيرًا؛ وبالرغم من ذلك لم يستمع السلطان وحيد الدين وانعزل عن عنا"**. لهذا السبب أرسل فريد باشا مصطفى كمال باشا بتشكيلاته إلى الأناضول.

50.2. تفريغ الحقائب

لقد شرح لي أحفاد العائلة العثمانية عن حادثة؛ هذه الحادثة هي أنه قبل انتقالهم من مدينة سقاريا بما يقارب من شهرين ونصف في أحدى الليالي في تمام الساعة العاشرة مساءًا قام سامي بك ابن مديحة سلطان قام بجمع أغراضه وضب أغراض عائلته وأبنائه في حقائب للسفر؛ ثم نظر إلى ابنائه وقال لهم:"**استعدوا سوف نترك اسطنبول ونغادر إلى الأناضول...وسوف نسافر بيخت الصفصاف"**؛ حينها تفاجأت أمه مديحة

سلطان بفعله وقالت له:"**يا بني لقد تفاجأت بما كنت تخطط له؛ لكن كن حذرًا وأنتبه على زوجاتك أمهات ابنائك؛ وخذ معك مسدسك؛ حتى إذا هاجمكم الروم أطلق عليهم الرصاص".** فلما سمعت ابنة سامي بك الصغيرة خديجة سلطان قول جدتها اخذت في البكاء؛ ثم نظر سامي بك إلى أمه وعائلته وقال:"**لقد أعددت كل شيء؛ الطريق مؤمن؛ سوف نتحرك في الرابعة صباحًا؛ وإذا سألك أحد عنا يا أمي قولي بأننا سافرنا لزيارة أحد أقاربنا".** ولم يكن أحد يعلم بخبر سفر سامي بك؛ ولا حتى القائد العام الأعلى للجيوش الإنجليزية رومبولد والذي استدعى سامي بك عند الثلث الأخير من الليل؛ وقال له سوف نذهب لزيارة السلطان محمد وحيد الدين في قصر يلدز الآن؛ وتفاجأ سامي بك مما يحدث معه؛ ثم صارا الإثنان إلى قصر يلدز وأمروا الخدم بإيقاظ السلطان؛ فاستيقظ السلطان وقابلهم والشمس كادت أن تقارب على الإشراق. حينها سأل السلطان محمد وحيد الدين؛ روم بولد وقال له:" **ما الأمر العاجل الذي جعلك توقظني لأجله الآن"**؛ فرد روم بولد على السلطان وحيد الدين قائلاً:"**أعلم أن العائلة العثمانية إذا تركت اسطنبول؛ لن يبقى فيها جندي انجليزي واحد؛ غير أن هناك خمسة ألاف من العساكر اليونانيين يترقبون الفرصة لاحتلال اسطنبول؛ وهم شوكة في ظهركم؛ والذي يعني ضياع اسطنبول منكم للأبد؛ لو فكرتم في ترك اسطنبول والرحيل عنها لأي مكان. فالقرار قراركم؟ هل تريدون اسطنبول أم لا؟"**؛ ثم أدى التحية العسكرية وأنحنى أمام السلطان وانصرف دون استئذان. حينها عاد سامي بك إلى قصره وأمر عائلته بافراغ حقائب السفر من الألبسة؛ وأمر بإلغاء الرحلة إلى الأناضول؛ وتيقن حينها أن أعين الإنجليز في كل مكان وأن العائلة العثمانية جميعها تحت الأسر؛ غير أن السؤال هنا كيف عرف روم بولد بذلك السفر؟ غير انه تبين فيما بعد أن أعين الخدم الروم؛ هي نفسها أعين المخابرات الإنجليزية؛ فهم يعيشون بيينا ويتحدثون لغتنا ويتراسلون مع العدو؛ لهذا تيقن سامي بك وعائلته حينها أنه لا خلاص من أيدي الإنجليز؛ إلا بعد موافقتهم؛ غير أن السلطان محمد وحيد الدين حينها لم يكن ليعرف لماذا ذهب إليه القائد العام الأعلى للقوات الإنجليزية في ذلم الوقت المتأخر؟ ولماذا قال له هذا الكلام؟ ولماذا انصرف غاضبًا؟

وبالرغم من كل ما حدث وكان يحدث حول السلطان وبالرغم من الوحشة التي ظهرت بين الحركة القومية التركية الثورية في الأناضول وبين السلطان محمد وحيد الدين؛ إلا أنه كان يفكر دائمًا في الوسائل التي تخذل عن الحركة القومية أعين الأعداء؛ ويتمنى النصر لها في حرب الإستقلال؛ وكان لديه أمل أن تأتي يد العون من داخل الأناضول لاسطنبول لأجل انقاذها وانقاذ الخلافة. لهذا نجد السلطان محمد وحيد الدين يكتب في مذاكراته بالمنفى:"**نحن بالطبع كنا في جانب النصر الذي تحققه الحركة القومية الثورية في الأناضول ضد قوات الحلفاء؛ غير أننا كنا نبارك هذا النصر ونخذل عنهم الأعداء دبلوماسيًا دون شرط**

أو قيد منهم لنا أو علينا...وياليتهم أعطوني ضمانًا وموافقة على ألا يمس الدستور الذي يعدونه في أنقرة بمقامي الخلافة والسلطنة...أنا كنت حزينًا في قلبي بسبب وصف مصطفى كمال باشا لي بالخيانة والعمالة وبأني عدو اسطنبول وعميل الإنجليز واليونان؛ بينما كنت أحاول انقاذ اسطنبول ألا تزول من أيدينا؛ فبدلاً من شكري؛ اتهمت بالخيانة. لقد كنت أفرح كلما كانت تأتيني الأخبار بانتصار مصطفى كمال باشا على قوات اليونان؛ وكنت أتمنى أن يرسل لي دائمًا ويبشرني بالأخبار السارة عن انتصارات قواتنا على قوات الأعداء؛ بيد أنه لم يفعل!!! على الرغم من تسخيري كل ما أملك في اسطنبول وتسخير كافة امكانيات اسطنبول لأجل الاعداد لحرب الاستقلال؛ قبيل دخول قوات الحلفاء إلى عاصمة الخلافة؛ غير أن هذا لم يذكره له مصطفى كمال باشا ولا أعوانه الثوريين في أنقرة". وفي هذه الفترة كان من الغريب فعل حكومة قوات الإحتلال الإنجليزي في استانبول حيث كانوا يروجون أن فريد باشا صهر السلطان هو من يساعد القوى القومية الثورية بقيادة مصطفى كمال باشا لحرب الإنجليز في الأناضول. وأن فريد باشا هو الذي ينقل السلاح من اسطنبول إلى القوى التركية الثورية في الأناضول؛ وبخاصة ان المخابرات الإنجليزية كانت تعمل على نشر هذه الإشاعة بقوة في الطرقات وفي النوادي وفي الأسواق وفي كل مكان باسطنبول بين الناس. وكانوا يشيعون ان فريد باشا ارسل شخصًا يدعى مراد وهو أحد الخبراء في ترميم الطبايا العسكرية وأن مراد هذا هو الذي كان ينسق بين القوى القومية الثورية في الأناضول وبين سامي بك بن مديحة سلطان. ولكن ما غرض الإنجليز من وراء هذه الإشاعة؟!!

عند البحث في هذه المسألة من خلال الأرشيف العثماني نجد أن هناك وثيقة عثمانية أخرى تتحدث عن مساعدة حكومة اسطنبول للقوة العسكرية القومية الثورية في الأناضول؛ حيث وجدت وثيقة عثمانية صادرة من وزارة الحربية من إدارة الدعم العامة الشعبة الثانية كتب فيها:" **تم تكليفكم بتوفير مستلزمات الإعاشة والأرزاق للقوى الثورية القومية في داخل الأناضول؛ وعليكم أن تحاولوا الحفاظ على استمرار الدعم لها؛ صدرت الأوامر بذلك في نواحي إزمير بتاريخ 4 ديسمبر 1919م".**

غير أننا بتحليل الخطاب السابق أعلاه؛ نتسائل كيف كانت تتم عملية إرسال الأرزاق والمعونات العسكرية للقوى الثورية داخل الأناضول؟ وما اسماء الضباط الذين كانوا يرسلونها؟ وما هي نوعية هذه المساعدات؟ هل كانت مساعدات أرزاق فقط؟ أم أنها كانت مساعدات أرزاق وسلاح؟ لم نعسر على اي شيء خاص بذلك؛ وغالبًا أن هذا الأمر كان من أعمال المخابرات حينها؛ لذا من الطبيعي ألا يعسر ‘لى أسماء هؤلاء الأبطال الذين قاموا بهذا الدور. غير أننا رغم الأزمة افقتصادية التي كانت تعانيها الدولة العثمانية أثناء الحرب وجدنا؛ حركة غير مسبوقة في بيع بعض الأغراض والأثاث والمحال والمنازال

والعقارات لبعض الأشخاص المتغيبيين في الأناضول؛ ومن الغريب أن هذه الأموال من البيع كانت لا ترسل إلى خزانة السلطنة في اسطنبول بل طانت ترسل إلى داخل الأناضول. لكن لمن أرسلت؟ لا نعرف؟ كذلك لاحظنا أن نظام الاقطاع الزراعي العثماني كان يخصص المال الناتج من بيع كل المحاصيل الزراعية حينها ويرسلها إلى داخل الأناضول وبخاصة في الأماكن التي كانت بها المعارك. مما يعني أن مصدر الأموال المرسل من وزارة الحربية لثوار الأناضول أثناء حرب الإستقلال كان يحصل بهذه الطرق.

51.2. جهود المصالحة كانت على الورق فقط

أرسلت القوى القومية من حكومة انقرة إلى السلطان محمد وحيد الدين رسالة قالت له فيها:"**إن من عجائب الأمور أن يصبح قلب السلطنة العثمانية وعاصمتها اسطنبول في أيدي قوات الإحتلال من قبل دول الحلفاء! بل ويزاد الأمر سوءًا في أن الأمور بداخل بلدانهم وبلدان حلفائهم من اليونان تتغير؛ ليس في صالحنا وصالح الدولة العثمانية؛ بل ضدنا. إذا كنا قد انتصرنا على اليونان؛ فإن اليونان دولتهم التي خلقوها على أيديهم؛ لهذا هم من يتدخلون في عزل الملوك هناك أو أعادتهم وها قد راينا أن الحكومتين الإنجليزية والفرنسية قد قامتا بتعين ألكسندر ملكًا على اليونان؛ فلما توفى أحضر رئيس الوزراء لديهم فينيزيلوس عدو الملك اليوناني السابق وصديق دول الحلفاء قسطنطين وولاه عرش اليونانيين؛ فلما عاد قسطنطين إلى العرش الذي سلبه منه مسبقًا على بأيدي من سلبوه منه الحلفاء؛ أظهر لهم السمع والطاعة؛ لذا لا يجب الثقة والاعتماد على السياسة الفرنسية واتخاذها قاعدة في الحوار السياسي؛ ومن هنا يجب على جناب السلطان محمد وحيد الدين أن يخرج خارج قالب الفكر السياسي الفرنسي لكليمنصو؛ وعلى تركيا أن تغير من سياستها في التعامل مع كل الدول المحيطة بها؛ فاليونان أقرب للحلفاء منا؛ ولهذا لن يحافظوا على الدولة العثمانية".**

في تلك الآوانة بتاريخ 16 أكتوبر 1920م قدم صهر السلطان فريد باشا استقالته من الصدارة العظمى؛ واختار السلطان محمد وحيد الدين توفيق باشا لتولى منصب رئاسة الوزراء وتشكيل الحكومة؛ غير أن اليوم التالي لاستقالة فريد باشا اعقبه زيارة القائد العام الأعلى للقوات الإنجليزية روم بولد للسلطان العثماني محمد وحيد الدين والذي طلب منه في أثناء هذه الزيارة أن يقم السلطان محمد وحيد الدين بالتصالح مع القوى الثورية في الأناضول على ان يكونوا معًا حكومة مشتركة. على أن يكون توفيق باشا هو الصدر الأعظم لهذه الحكومة المشتركة. وأقترح القائد افنجليزي كذلك أن يتم إلغاء قرارت الإعدام التي صدرت بحق مصطفى كمال باشا ورفاقه من القوى القومية الثورية وأن يفرج عن المعتقلين لدى الدولة العثمانية من الضباط الموالين للقوى الثورية القومية؛ بل يجب على الدولة العثمانية إرسالهم إلى مصطفى كمال باشا؛

كإظهار لحسن النية من قبل الدولة العثمانية تجاه الحركة الثورية القومية. وفي ذلك يذكر السلطان محمد وحيد الدين في مذاكراته:" **من الغريب أن يسعى القائد الإنجليزي العام لدي في هذا السعي أليسوا هم من يحابون القوى القومية؟ أليسوا هم من كانوا وراء إصدار قرارات الإعدام بحق مصطفى كمال باشا ورفاقه؟ أليسوا هم من كانوا وراء اعتقال الضباط العثمانيين المؤيدين للثورة ضد دول الحلفاء في الأناضول؟ فريد باشا ما هو إلا الأداة التي نفذت ما طلوبه هم منه. لقد كنت أفكر كثيرًا في دعوة الإنجليز هذه. لقد حاولت من قبل إلغاء قرارات افعدام بحق مصطفى كمال باشا ورفاقه والإفراج عن الضباط الموالين للحركة القومية؛ لكنني لم اقدر ولم يطاع أمري؛ فأمر القوى المنتصرة في الحرب العامة "العالمية الأولى" والمحتلة لعاصمة دولتي هو النافذ. وما كنت لأرى أبدًا مهما اختلفت مع القوى القومية الثورية حول المرجعية والمنطلقات والثوابت أن من** يدافع **عن وطنه وبلده لا يستحق العدالة والتأييد. لكني كنت أريد أن أعرف لماذا أنقلب الإنجليز هكذا فجأة؟! وكنت أفكر في ذلك كثيرًا"**. بل أن السلطان محمد وحيد الدين كان يأمر باحتفالات النصر داخل مساجد اسطنبول بعد انتصار أنونو أحد قادة القوى القومية على جيوش الحلفاء مرتان. غير أن أفنجليز كانوا يمنعون ذلك. في هذه المرة راي الإنجليز أن يخرج الاحتفال بانتصار القوى القومية الثورية في الأناضول من داخل مساجد اسطنبول إلى شوارعها وأن تقام الزينات وأن يفرح الشعب في اسطنبول بهذه الإنتصارات؛ بل كان الإنجليز بأنفسهم هم من ينشرون هذه الأخبار بين عامة سكان اسطنبول. حتى انهم سمحوا للسلطان محمد وحيد الدين أن يقوم بعمل ختمة لقراءة القرآن وصلاة وحفل عام بسبب هذه الإنتصارات للقوى الثورية القومية داخل قصر دولمه بهتشه؛ وكذلك سمحوا لكل أفراد العائلة العثمانية أن يحتفلوا بهذه الإنتصارات في قصورهم التي تطل على ساحل مضيق مرمرة.

في هذه الآوانة دعى السلطان محمد وحيد سامي بك بن مديحة سلطان غلى أن يأتي من سقاريا وأن يستقر إلى جواره في اسطنبول؛ على أن يحزم متاعه ومتاع كامل أسرته وعائلته وابناؤه وأن يحضرهم معه؛ وأن يشارك بالزي الرسمي العسكري في الإشراف على الصفوف العسكرية العثمانية للجيش العثماني؛ غير أن القائد العسكري المعين من قبل الإنجليز في اسطنبول اللواء هارينجتون؛ عندما علم بدعوة السلطان لسامي بك؛ ذهب إلى السلطان محمد وحيد الدين وقال له:" **اليوم سوف ننقل مراكز القوات العسكرية للمدفعية؛ لذا لا حاجة لسامي بك أن يأتي إلينا اليوم؛ فالغد فليأتي؛ لكننا سوف نستقبله والأسلحة في أيدينا"**. ففهم السلطان محمد وحيد الرسالة ولم يرسل سامي بك.

من ناحية أخرج أراد آخر حكمدار عثماني أرسله السلطان محمد وحيد الدين كحاكم عام لولاية الأناضول والمدعوا رفعت بك والذي أنتصر في أحدى المعارك على الحلفاء أن يكرم السلطان ؛ غير أن

التلغراف الذي أراد أن يرسله للسلطان محمد وحيد الدين لم يرسل؛ وكان نص هذا التلغراف الآتي:" **في آخر مولد نبوي لي باسطنبول وأنا عند قصر تشيد السلطاني الصغير؛ وكنت إلى جوار حجرة السلطان وأردت الدخول غير أن البشكاتب علي فؤاد بك منعني من التواصل معكم؛ مما جعلني أترك قصر تشيد الصغير واذهب. وكان في يدي ورقة كنت أريد ان أعطيها لجناب السلطان؛ لكن كان دائمًا على فؤاد بك يخرج أمامي. ولكني عندما دخلت إلى القصر في المرة التالية ووجدت علي فؤاد بك غير حاضرًا؛ تقدمت إلى حجرة جناب السلطان ولما فتحتها ودخلت؛ وجدتك يا جناب السلطان أمامي؛ وقلت لي:" تفضل تفضل يا رفعت بك وأجلس على هذا المقعد. ثم أعطيتك يا جناب السلطان الورقة التي كتبتها لك؛ وطلبت منك أن تقرأها؟ وتقول لي ما رأيك فيما تحتويه؟ غير أن علي فؤاد بك قد أتي وأخذ الورقة؛ وأدعى أنه سيعرضها عليكم يا جناب السلطان؛ ولا أعرف إن كان عرضها أم لا. إن هذه الورقة كانت تحتوي خطة للإنتصار على الأعداء وتوحيد جبهة اسطنبول وثوار الأناضول خلف السلطان وإعادة تأهيل الجيش للحرب؛ يا جناب السلطان لا يجب فصل السلطة السياسية في اسطنبول عن السلطة العسكرية للمقاومة داخل الأناضول".**

لم يصل محتوى التغراف إلى السلطان محمد وحيد الدين غير أنه علم بما كان يحتويه. وفي ذلك يذكر السلطان محمد وحيد الدين في مذكراته بالمنفى:"**أتذكر أن هناك برقية قد أتاتني. فسألت هل أتاتني برقية؟ وهل أطلعتم عليه؟ وما فكركم عما تحتويه هذه البرقية؟ غير ان المعاونيين الذين سألتهم لم يجيبوني عن هذه البرقية بشيء. بل على العكس من ذلك أدعوا أنه لم ترسل أية برقية. غير أنني كنت متأكدًا من إرسال هذه البرقية إلي. لقد كنت أفكر في أن هذه البرقية قد أتتني من قبل الأناضول. وقد أقول لو أن حكومة الثوار تشكرني على دعمي لها أولاً. فإن النتيجة الثانية هي حتمية التواصل معهم لتوحيد جهودنا للحفاظ على استقلال البلاد. غير أنني لم أعرف بوصول هذه البرقية وبحجبها عني إلا بعد عزلي عن العرش وفي أثناء وجودي في المنفى. لقد علمت أن علي فؤاد بك هو من حجب عني هذه البرقية. على الرغم من كونها موجهة إلى شخصي السلطان. ولكني فوجئت بأنه قد عرضها على توفيق باشا الصدر الأعظم وهو من رد نيابة عني وبأسمي؛ دون الرجوع إلي. وكان أولى به أن يسألني عن رأيي في مثل هذا الأمر الخطير. حتى عندما كانت البرقية في يد توفيق باشا. وسألته عما تحتويه قال:" إنما هي مسودة أعدها بشكاتب القصر "رئيس الكتبة" ولم أطلع عليها يا جناب السلطان بعد". وبعد فترة أستدعت توفيق باشا وقلت له ما الذي أعده علي رأفت بك بشكاتب القصر في مسودته لتعرضه علينا؟ وهل قرأته؟ فقال :" لقد أعد ترتيبات الإحتفال بأعياد النصر على الأعداء في الأناضول؛ وكان يريد أن يعرض ذلك عليكم يا**

جناب السلطان". ثم خرجنا من قصر تشيد الصغير Çit Köşkü وأمام الباب الخارجي للقصر وجدنا فؤاد بك ينتظرنا؛ وذهبنا معًا. ثم قال لنا فؤاد بك يا جناب السلطان ويا أيها السادة الكرام هل تريدون الذهاب إلى منطقة الأسكودار بالعربات السلطانية؟! وفي هذه الأثناء نظر إلي فؤاد بك وقال لي:" يا جناب السلطان هل وصلتكم البرقية؟ وما هو الجواب الذي أعدتموه للرد عليها؟ لأرسله. فقلت له حينها:" أي برقية يا فؤاد بك؟" فقال:" علينا الذهاب لحضور مراسم احتفالات انتصارات قواتنا في الأناضول فقد تأخرنا. وسوف نخرج من قاعة الياور سركان إلى الخارج. ثم نعود ونحضر بعض الأشياء. ثم أقترب مني فؤاد بك وهمس في أذني. فقلت بعدها أن البشكاتب علي رأفت بك هو المسؤول عن احضار المستلزمات التي نحتاجها. غير أن الباشكاتب علي رأفت بك قال له أحد معاوني توفيق باشا: " عندما ينتهي الاحتفال من المولد النبوي؛ عليك أن تذهب إلى قصر تشيد الصغير وتدخل إلى الحجرة المعهودة للقائنا وأنتظرني هناك. فلما وصل علي رأفت بك حسب اتفاقه معه. قال معاون الصدر الأعظم توفيق باشا:" يا علي رأفت بك. إن الصدر الأعظم قال للسلطان محمد وحيد الدين أنه لم تأتِ أي برقيات إليه؛ وأنا أيضًا قد استلهمت جرأتي من جرأت الصدر الأعظم فيما فعل مع السلطان؛ لذا عليك أن تنبه على فؤاد بك بألا يخبر السلطان عن هذه البرقية؛ لأن السلطان محمد وحيد الدين حينها سيرتاب بنا؛ والآن استريح هنا بعض الوقت"؛ وبعد ذلك وجدت الجميع يحاول منعي من السؤال عن هذه البرقية؛ ويكأنها لم ترسل. ولكني فكرت كثيرًا فيمن يمكن له أن يقوم باخفاء هذه البرقية ومنعي من الوصول إليها. فعلمت أنها الأيادي الخفية[78] التي أوصلتنا إلى ما نحن فيه الآن".

ولأجل الاحتفال بانتصارات الثوار على جيوش الحلفاء في الأناضول قام السلطان محمد وحيد الدين باعداد العديد من الاصمطة وأتى بالمداحيين الدينيين للإنشاد الديني وإلقاء الشعر بمناسبة هذه النصر؛ وأحضر أضحية وقدمها لله تعالى قربنًا إليه بمناسبة هذه النصر ولم يتناول منها شيئًا؛ وأمر الباشوات ان يفعلوا مثلما فعل. فقام جميع الباشوات بذلك؛ حيث أحضروا الأضاحي وأمروا بذبحها وتزيعها على الناس بمناسبة انتصارات الثوار على قوات الحلفاء في جوف الأناضول.

وبشأن موقف السلطان محمد وحيد الدين من هذه الإنتصارات نجده يذكر في مذكراته بالمنفي الآتي:"**...بعد توقيع اتفاق الهدنة بعدة سنوات؛ وجدت أن إدارة الحكومة في أنقرة بدات تلصق بي تهمة الخيانة؛ على الرغم من أن الخونة الحقيقيين هم فريد باشا وتوفيق باشا وعزت باشا ورضا باشا؛ والذين**

---

[78] يقصد السلطان محمد وحيد هنا الدولة العميقة والماسونية التي أسقطت السلطان عبدالحميد الثاني؛ والله أعلم.

تم تكريمهم بقلائد ذهبية من قبل حكومة أنقرة على الرغم من أن هؤلاء الحمقى هم الذين خانوني وخانوا الخلافة العثمانية؛ ولم يشفقوا على أنفسهم كي يرحمهم المولى سبحانه ويرحمهم التاريخ فالرغم من شيخوختهم استمروا في الكذب والإفتراء علي؛ وتصوير أنفسهم أنهم فرسان المرحلة؛ بينما هم في الحقيقة خونة وعملاء للأعداء. أولم يعلموا وهم يعلنون خيانتي أنني ورثت الخلافة وهي في آخر مراحل عمرها؛ لقد حاولت انقاذها بقدر ما أستطيع من السقوط؛ لكن الخيانة تغلغلت داخل القصور حتى وصلت إلى حجرات نومنا؛ ثم يدعون أنني سبب كل ما حدث للدولة العثمانية وأنها سقطت بسببي".

52.2.الاستعداد للغربة

عندما بدأت حرب البلقان وأشتدت وأمتدت لعشر سنوات متتالية؛ وكانت الحرب في بلاد البلقان على أشدها وتزداد شدة كل يوم؛ ولم تكن الدولة العثمانية كسابق مجدها تجول وتصول به لتنقذ البلاد والعباد؛ إذ أن الخيانات والحرب العامة "العالمية الأولى"؛ والاضطرابات الداخلية والخيانات والهزائم المتكررة على كثير من الجبهات؛ حالت دون أن تقوم الدولة العثمانية بدورها المعهود. وفي تاريخ 11 أكتوبر 1922م في الساعة السادسة صباحًا كانت بداية النهاية. وفي يوم 15 أكتوبر 1922م تواصلت الأخبار بانتصارات ثوار الأناضول على كل الجبهات وتقهقر الأعداء؛ بينما رأفت باشا يحمل إلي هذه الأخبار السارة بانتصارنا في داخل الأناضول حمل لي معه أيضًا أخبارًا سيئة بتاريخ 19 أكتوبر 1922م أنتهى الوجود العثماني في البلقان وبخاصة في منطقة ترقيا الغربية وأن الأعداء متمركزين في منطقة قباطاش Kabataş من اسطنبول؛ لذا حان وقت الرحيل عنها. فبينما كنت أعيش لحظات الفرح بانتصار الثوار في الأناضول كنت أعيش كذلك لحظات من الإضطراب والخوف؛ بسبب ما يحدث في اسطنبول؛ والكل يحثني على أن أتركها وأرحل. لم أسمع صوتًا واحدًا يطالبني بالبقاء والمقاومة من كل من كانوا حولي. لقد كنت أشعر بأن دفت الحكم بدأت تصير لصالح حكومة أنقرة أكثر من صالح حكومة اسطنبول. وعندما قالبني رأفت باشا قالي لي مرحبًا بالسلطان؛ فعقب عليه كل من توفيق باشا الصدر الأعظم وابنه علي نوري بك بقولهم:" **يا رأفت باشا الآن هذا مقام النداء بالخلافة؛ وليس مقام النداء بالسلطنة. فنادي الخليفة محمد وحيد الدين وولي عهده عبدالمجيد أفندي بلقب الخلافة فقط؛ فقد سقطت السلطنة. وعلينا من الآن فصاعدًا أن نحافظ على مقام الخلافة من الزوال".** ثم نظر توفيق باشا إلى رأفت باشا وقال له:"**لم يعد هناك مكان للسلطنة الآن فقد عاد الحكم للشعب؛ فلم يعد هناك حق للحكومة العثمانية في السلطنة؛ لأن الحق الآن حق الشعب؛ ولن نعود للوراء من جديد يا رأفت باشا؛ فالفرد الآن من الأمة وحقوقه الإنسانية أهم من مقام السلطنة الذي اسقط**

على يد حكومة أنقرة؛ لقد نتج عن حكم الأسرة العثمانية في الفترة الأخيرة الكوارث التي حلت بالبلاد والعباد". ويكمل السلطان محمد وحيد الدين رواياته لهذه الأحداث فيقول:**"لقد كانت هذه هي أصعب أيام تمر بي؛ فبدلاً من تأييدي على الحفاظ على السلطنة وجدت كل من حولي يؤيدون قرار حكومة أنقرة في إعلان الجمهورية واسقاط السلطنة؛ ويتمنون أن تترأف بنا حكومة أنقرة وألا تسقط مقام الخلافة. بل سمعت بعض من حولي يهمس ويقول عندما ينزل محمد وحيد الدين من على عرش الخلافة سيقدم إلى المحاكمة بتهمة الخيانة؛ وبعضهم بدأ يطالب باعدامي بحجة أن نحاج الثورة سيكون في ذلك. قلت في نفسي وأي ثورة وأنا من أمددت الثوار بالمال والسلاح لأجل حرب الاستقلال؛ الآن يتنكرون لي ويدعون أنهم هم من قاموا بكل شيء. غير أنني سمعت البعض الآخر يقول عني:" نعتقد أن الإنجليز سيحمون محمد وحيد الدين من المحاسبة ومن الإعدام؛ فهو حليفهم". كنت اشعر بالمرار في نفسي؛ مما كنت أسمع؛ شعرت حينها أن عقد الدولة العثمانية انفردت حبيباته وأصبح من الصعب جمعها من جديد. والأمر من ذلك أن قوات الحلفاء أعلنت في 29 من سبتمبر 1922م عن تشكيل قوات شرطة خاصة بهم في اسطنبول؛ وارسلوا لي تقريرًا بذلك وطلبوا مني الموافقة عليه. حينها شعرت بأن الدولة العثمانية بدأت تزول من الوجود؛ وأن المسألة ما هي إلا مسألة وقت ويعلنون اسقاطها. حينها اجتمعت بتوفيق باشا وبالوزراء وأعلنت لهم رغبتي في التنازل عن العرش لولي عهدي عبدالمجيد أفندي؛ لأنني لم أكن لأرضى أن أكتب في صفحات التاريخ باسم من سقطت في عهده الدولة العثمانية. كانوا يسعون إلى إلصاق هذا العار بي. لذا كان يجب علي أن أفر مما يخططونه ضدي. ولكن بعد عرضي التنازل عن العرش على وزراء حكومة توفيق باشا؛ إذا به يقول:" سوف نكون هيئة ترأس البلاد لحين مبايعة عبدالمجيد أفندي على الخلافة. على أن الحكومة الإنجليزية عليها أن تعلم بذلك وتوافق عليه". وبالفعل راسل السير مليسوريس ليخبره بأمر رغبتي في التنازل عن العرش. وبالفعل أرسل الوزراء سعيد بك ليقوم باعداد وثيقة التنازل عن العرش. وسعيد بك هذا كان أحد ضباط الاحتياط في الجيش العثماني. غير أنني فوجئت بالإنجليز يقولون سوف نسمح لك بالتنازل عن العرش ولكن ليس الآن؛ وأنهم قد أعدوا لجنة لرصد ممتلكاتي وأموالي وحصرها قبل أن يوافقوا على تنازلي عن العرش. حينها علمت أنهم هم الحاكم الحقيقي للدولة العثمانية وليس نحن. وأن الدولة العثمانية في أفول".**

على الرغم من أن السلطان محمد وحيد الدين لم يستطع أن يهنئ النصر أبطال حرب الإستقلال بالنصر مباشرة، إلا أنه كان واثقًا دائمًا من أن النصر يأتي من عند الله. لكنه كان ضحية لكل شيء؛ فقد كانت الخيانة من حوله في كل مكان، وكان السلطان وحيد الدين دائمًا ما يكتب في مذكراته أنه لم يكن ضحية إلا

لشيئين **الأول** تردده في اتخاذ القرارات القاطعة خوفًا من المجازفة، و**الثاني** أنه كان ضحية الباشوات الذين سلمهم نفسه وكل شيء؛ ولهذا نجد يكتب في مذكراته بالمنفى:

"...في السنوات التي أعقبت الهدنة الرابعة، لم يكن ينبغي أن أعطي إدارة الحكومة لفريد وتوفيق وعزت ورضا باشا الذين خانوني وخانوا البلاد. ولكن ما حيلتي وقد هرمت ولم أعد أقدر أن أميز بين الأشخاص الجديرين والأمناء وبين المنافقين والخونة؛ فقد كنت في وقت اختلط فيه الحق بالباطل حتى عجزت عن التفريق بين الأمين والخائن...". وذكر أيضًا رأيه فيهم بشكل قاطع فقال:**"هؤلاء الأفراد الأنانيون وعديمي الشرف لا يشعرون بالشفقة على البلد ، ولا يعترفون لحكامهم بأنهم لا يملكون القدرة على التغلب على الكارثة التي تعيشها الخلافة. لم يشعروا بالأسف على أنفسهم الضالعة في الخيانة والنفاق".**

53.2. استعدادات المغتربين

القتال الذي بدأ مع معركة دلكان ، اشتد مع الحرب العالمية واستمر لمدة عشر سنوات طويلة ، وانتهى في حوالي الساعة السادسة من صباح 11 أكتوبر 1922. دخلت الهدنة الموقعة في مودانيا حيز التنفيذ بعد منتصف ليل 15 أكتوبر؛ وأسكتت المدافع ، وأنهت المعاناة ، وإن كان ذلك على الورق فقط.

في تلك الأيام بدأت المخاوف الحقيقية الكبيرة والصعوبات التي يواجهها السلطان محمد وحيد الدين.

ووجدت وزارة الداخلية منشورات توزع في الطرقات ولا يعرف مصدرها تشير ومحتوى هذه المنشورات كان لافتًا للنظر حيث تشير إلى أن السلطان محمد وحيد الدين يرغب في التنازل عن العرش وترك البلاد والرحيل عنها إلى الخارج وقد أبلغ وزير الداخلية حينئذ الصدر الأعظم توفيق باشا بالموضوع بخطاب رسمي في اليوم التالي.

ولكنني بحثت في السجلات التي بالأرشيف لدينا " يقصد الأرشيف التركي" فلم أعثر على سجل ذي صلة بالتحقيق بشأن هذه المنشورات.

ولعل أقوى هذه الإشاعات هي الإشاعة التي رواها رضا توفيق باشا في مذكراته عن حالة القصر السلطاني الذي كان يعيش في حالة ذعر بسبب هذه الشائعة والتي تقول:

"... سيأتي مصطفى كمال باشا ويطيح بالسلطان محمد وحيد الدين ويقضي عليه الإعدام. لأن هذه الثورة التركية هي نفسها الثورة الفرنسية بالضبط. ما فعله الفرنسيون بلويس السادس عشر، سيفعله الثوار الأتراك بالسلطان وحيد الدين؛ فلا فرق لديهم بين لويس ووحيد الدين فكلاهما من وجهة نظرهما رمزًا للطغيان!...هكذا كانت تقول الإشاعة".

ونتيجة هذه الإشاعات بدأت أسئلة كثيرة تتدفق من القصر؛ حتى أن السلطان وحيد الدين سأل كبير الأطباء رشاد باشا الذي كان ينعته "بصديقي اللطيف" قبيل وفاته عن هذه الشائعات.

ذهبت وتحدثت إليه في إشارة إلى هذه الشائعات المتداولة فقال الباشا:

"يا سيدي السلطان هذه الإشاعات ونحن في هذه المرحلة العصيبة التي تمر بها السلطنة والخلافة والأمة كلها؛ إنما هدفها أن يتزعزع بيت الحكم بالخوف؛ فلا يستطيع أن يتخذ السلطان القرارات الصائبة؛ وبخاصة أن الحريم السلطاني من نساء العائلة العثمانية في حالة ذعر من هذه الإشاعات؛ لذا على جناب السلطان أن يهدأ من روع النساء بالقصر وأن يمنع تدفق الإشاعات إليهن؛ لأن النساء أسرع في نقل الإشاعة وإن لم تصح؛ عن غيرهن؛ وهذا يربك كل أفراد العائلة الحاكمة؛ وليس السلطان وحده" فعلق عليه السلطان محمد وحيد قائلاً:"**هل سمعت بإشاعة خطفي ونفي عن اسطنبول يا باشا؟"**؛ فأجاب رشاد باشا:" **بغض النظر عما يحدث يا مولاي السلطان؛ فقد وصلتني إشاعة خطفكم ؛ وقلت لمن حولي حين وصول هذه الإشاعة إلي :" ياه أوقد أخطف مولانا السلطان...فلا تجعل مثل هذه الإشاعات تؤرق نساء قصرك".** فعقب عليه السلطان محمد وحيد الدين:**"بالفعل إنهم لا ينامون من كثرت مثل هذه الإشاعات".**

فعقب رشاد باشا على السلطان قائلاً:

"أعتقد أن البريطانيين يريدون اختطاف السلطان من هنا. بالطبع ، لطالما كانوا معاديين للغاية للخلافة ويسعون للقضاء عليها وتمزيقها. وبالرغم من أنهم يعلمون أن الخلافة الآن أصبحت أكثر الألقاب جفافًا وليست كسابق عهدها منذ مبدأها على يد الخليفة العثماني الأول سليم ياوز، إلا أنهم يخافون من بقاء هذا السلاح بأيدي المسلمين. وهم يعلمون مدى تأثير الخلافة عليهم إذا ردت إليها الروح. لهذا نجد أن السلطان عبد الحميد الثاني يرفض تمامًا سياسة والده تجاه البريطانيين وجعل من الخلافة سلاحًا يلجأ إليه كلما دعت الحاجة للحفاظ على استقلاله في بلاده. في وقت إعلان النظام الملكي الدستوري الثاني ، كان البريطانيون يأملون عن حق في أن يفعلوا ذلك بشكل جيد يطيح لهم إسقاط الخلافة. لكن عبد الحميد الثاني استطاع بسبب مفهوم الخلافة الذي لا يوازي مفهوم الإمبراطور في الغرب أن يلاعبهم ، لأن السلطان قد يخضع لمسائلة القوانين الوضعية أما الخلافة فلا تخضع لقوانيين قرارات البرلمان؛ بل لقواعد القرآن

الثابتة، ولا يمكن للخليفة تغيير هذه القواعد، بل يمكنه فقط تفسيرها. وبعبارة أخرى ، فإن القانون في إدارة الخلافة هو قانون إلهي بطبيعته وأصله. ومع ذلك ، فإن الدستور يمكن لأعضاء الجمعية الوطنية القيام بوضعه بأنفسهم ، بناءً على الخبرة وبأغلبية الأصوات ، ويمكنهم إبطاله بأنفسهم. أما مع مفهوم الخلافة فلا يستطيعون إبطالها برلمانيًا؛ لهذا استخدم عبد الحميد الثاني سلاح الخلافة، التي كانت عبارة عن لقب جاف وقتئذ ضد الأوروبيين وضد أعدائه من الماسونيين في الداخل، ويكأن سلاح الخلافة كان العصا السحرية في يده والت أعاقت السياسة البريطانية بإلحاق ضرر كبير بنا وجعلت البريطانيين يتألمون منها. وعندما ذهب أمل البريطانيين خلال إعلان النظام الدستوري الملكي الثاني في إسقاط لقب الخلافة عن السلطان العثماني سدى ، أصيبوا بخيبة أمل شديدة. وفي هذا الصدد هم الآن يريدون إذلال الخليفة بأيديهم؛ حتى لا يكون للخلافة سمعة في الخارج بين المسلمين وغيرهم".

وجد رشاد باشا هذه الإجابة منطقية في رده على السلطان محمد وحيد الدين؛ ثم نظر إلى السلطان وحيد الدين وقال له:**"لم أكن أعرف أنه يمكنني أن اقول ما قلت يا جناب السلطان؛ ولكني أختم قولي: بأن الحكم لله".** ثم نظر رشاد باشا للسلطان وقال له:**" وداعًا"**

وكان أول من فارق السلطان محمد وحيد الدين وغادر البلاد هو الصهر السلطاني فريد باشا. وكان سامي بك قد عهد بزوجته المتبقية وسريته وأطفاله الأربعة إلى أحد رجال فريد باشا الجديرين بالثقة وهو طاهر بك أميرالاي يانيالي. حيث أنطلقوا جميعًا بعد يومين من رحيل فريد باشا ، على متن سفينة شحن بريطانية إلى مرسيليا. والتقوا هناك ببعض أفراد العائلة العثمانية.

ولم تبلغ مديحة سلطان شقيقها السلطان محمد وحيد الدين بمغادرتهم اسطنبول. وعلم السلطان وحيد الدين بمغادرة عمه الصامتة من خلال مذكرة أرسلها مسؤول القصر إليه. وكتب كذلك في المذكرة أن **"مديحة سلطان غادرت إلى أوروبا منذ ساعتين، حيث كان الروماتيزم لديها يزداد لأنها مكثت هنا ولم تستطع مقاومة إصرار زوجها على الذهاب إلى أوروبا للعلاج".**

عندما قرأ وحيد الدين المذكرة ، قال فقط عن صهره فريد باشا: **"إنه كاذب! .. وضع الدولة في هذه الحالة وغادر"** وألقى بالورقة التي كتبت عليها المذكرة على الطاولة. منذ تلك اللحظة فصاعدًا، لم يقل كلمة واحدة عن صهره، الذي عهد إليه ذات مرة ليس فقط بتاجه وعرشه، بل كل شيء.

54.2. نشر الإعلان

في اليوم التالي لوصول رفعت باشا إلى اسطنبول ، زاره الصدر الأعظم السابق عزت باشا ، الذي كان وزير خارجية حكومة توفيق باشا. لم تكن الزيارة رسمية بل خاصة. أدرج رفعت باشا خطط أنقرة للمستقبل في ستة بنود لقائده السابق ، والذي يحظى اسمه في أنقرة وكذلك في اسطنبول بالاحترام:

1. ستزال الازدواجية في السلطة بين أنقرة واسطنبول؛ لهذا لا يمكن تقييد الحرية التي اكتسبتها أنقرة من خلال النضالات والانتصارات الكبيرة؛ بحاكم أسير في اسطنبول.

2. عدم التخلي عن السيادة الوطنية على أن شؤون السلطنة ستكون من اختصاصات حكومة أنقرة. لذا ستعلن الجمهورية مع الحفاظ على منصب الخلافة. وسيكون الخليفة العثماني ملك دستوري يملك ولا يحكم وسيمكث في مكتب الخلافة وفق قانون وسلطة الملوك الدستوريين في أوروبا؛ اي أن الخليفة منصبه شرفيًا.

3. لن يتم انتخاب وتعيين رئيس الحكومة من قبل الخليفة ، كما هو الحال في الإدارات الدستورية الأخرى: البرلمان سينتخب رئيس الحكومة وزملائه، وأنقرة مصممة على عدم الاستسلام في هذا المبدأ بأي شكل من الأشكال. وبذلك تم اتخاذ إجراء احترازي من تكرار مثل هذه الحوادث التي وقعت للدستوريين في عهد عبدالحميد الثاني، مع الانتقام من الصدر الأعظم فريد باشا بسبب الشرور التي ارتكبها ولكنه المعين من قبل الخليفة والمفوضة إليه السلطة.

4. يصدر السلطان إعلانا في إطار هذه المبادئ ويؤكد وجود مجلس أنقرة.

5. إذا تم القضاء على الازدواجية ، فإن وجود حكومة اسطنبول سيكون غير ضروري ، وبالتالي فإن الوزير الأعظم سوف يستقيل ، ولن يتم إنشاء أي حكومة أخرى مكانها ، وسيدير اسطنبول حاكم من قبل الحكومة الوطنية في أنقرة.

6. الجمعية الوطنية ليست مؤقتة، بل ستبقى دائمة.

كما تطرق رفعت باشا إلى مؤتمر السلام المنتظر عقده قريباً. وقال إنه إذا دعا الحلفاء في اسطنبول إلى المؤتمر؛ وقررت اسطنبول المشاركة ، فيجب على الحكومة في اسطنبول ألا ترسل مندوبين بأي شكل من الأشكال لهذا المؤتمر؛ كي لا يكون هناك ازدواجية في السلطة أمام المؤتمر وبالتالي حينهالا يمكن تحقيق السلام.

أوضحت أنقرة أنها لن تقبل شركاء في تركيا في المستقبل. حقيقة أن رفعت باشا تحدث عن وحيد الدين باعتباره الخليفة وليس السلطان، في لقائه مع عزت باشا ، كما في كل خطاب ألقاه في اسطنبول ، أظهر بوضوح أن القرار قد اتخذ بالفعل: السلطنة قد انتهت؛ ولا مكان للسلطان العثماني بيننا في الدولة الجديدة؛ مع الحفاظ على مقام الخلافة؛ مقامًا شرفيًا.

لكن رفعت باشا أصر على قضية واحدة في هذا الاجتماع وفي اتصالات أخرى أجراها مع أهل اسطنبول: لكن ما هذا الموضوع الذي كان يصر عليه؟ المقالات التي كانت تصدر في انقرة خلال تلك الفترة لا تسعفنا للإجابة على هذا السؤال؛ غير شيئ واحد أن عصر الحكومات الدينية قد انتهى؛ وأن رفعت باشا سيذهب إلى بورصة ليوم واحد لينسق مع مندوبي حكومة أنقرة؛ حول الحل النهائي للعلاقة بين مصطفى كمال باشا والخليفة العثماني وذلك من خلال الاتصال بمصطفى كمال باشا والتنسيق معه. وفي نفس الاجتماع أهدى رفعت باشا قوس السلطان وحيد الدين لعزت باشا. مع إعطائه إعلان نص إلغاء السلطنة. مع الاصرار على الاحتفاظ بمكتسبات جيش أنقرة في السلطة وقيادة البلاد. لذا قال رفعت باشا لعزة باشا ولممثلي دول الحلفاء باسطنبول إن على الخليفة محمد وحيد الدين أن يخرج على الناس ليذيع عليهم هذا البيان:" **إن رغبتنا الوحيدة هي أن نجتهد من أجل إسعاد وطننا الحبيب الذي دُمِّر بالصراعات الصعبة، على أساس الانتصار العظيم لأمتي بصفتها أمة مستقلة؛ وباعتباري خان هذه الأمة العظيمة وصاحب الخلافة الإسلامية فإني أسلم السلطة لممثلي الشعب وأتمنى منالله سبحانه وتعالى أن تكون أمتنا سعيدة".**

أبلغ سار سازين عن لقائه مع رفعت باشا بتقرير إلى الصدر الأعظم.

كما قام بإحضار النص إلى الحكومة ، حيث أجرى العديد من التغييرات. واعظي عزت باشا التصريح بالشكل التالي:

" نتيجة للأوضاع الصعبة التي ظهرت نتيجة الحرب العامة "العالمية الأولى"؛ لذا لقد فضلت أن تفصل السلطة السياسية عن السلطة الدينية؛ على أن يكون مركز السلطة السياسية معبرًا عن مركز الحكومة. إن النجاح الحاسم الذي تحقق نتيجة النضال الطويل والصعب والمشرف للغاية الذي خاضته الأمة في هذه الأوقات الصعبة من خلال تولي الإدارة والمصير فعليًا ، أثبت النضج السياسي لأمتي الحازمة بالخبرة وأظهرت قدرتها بنجاح وقوتها على حكم نفسها بنفسها. هكذا حادث. وإن رغبتي الوحيدة هي السعي لإسعاد واستعادة وطننا الحبيب الذي دمره الصراع الشاق الذي دار بصفته خان الأمة العظيمة وصاحب الخلافة الإسلامية وممثلي قادة حرب الإستقلال، ومعتمداً على القوة التي اكتسبتها منهم. فإنني أعلن أن سبب هذه الإنتصارات والنجاح هي أن الأمة صارت تحكم نفسها بنفسها؛ ولم تعد بحاجة إلى وصيًا عليها.

لهذا فإن السلطة من الآن بيد الشعب بارك الله في وطننا وأمتنا. والحكم من الآن فصاعدًا بيد الشعب؛ والملك بيد الله يؤتيه من يشاء".

وهذا النص السابق أعلاه الذي تركه عزت باشا لمجلس الوزراء نُشر في صحف أنقرة في اليوم التالي.

لكن لم يستطع عزت باشا نشره في صحف اسطنبول؛ لأن السلطان العثماني هو خليفة المسلمين؛ وهناك قطاع من الشعب سوف يفرض هذا الإعلان. لهذا قبل شهر من كل هذه الاتصالات ، ألتقى عزت باشا مع المندوب السامي البريطاني والقائد العام للقوات البريطانية رمبولد في اسطنبول بتاريخ 16 سبتمبر وقال له **" يا جناب المندوب السامي إن "مصطفى كمال باشا لا يمكنه الإطاحة بالأسرة العثمانية لاستقرار منصب الخلافة فيها، لكن من الممكن أن يقوم بتغيير السلطان".**

55.2. نهاية الاجتماع

كان قدوم رفعت باشا إلى اسطنبول يوم 19 أكتوبر وانتظر عشرة أيام للذهاب إلى القصر للقاء الخليفة. لم تستطع أنقرة أن تجد وسيلة تعبير أفضل من هذا التوقع لإظهار ما تعتقده بشأن السلطان وحيد الدين وحكومة اسطنبول.

ظل هذا الاجتماع في قصر يلدز أحد أكثر الاجتماعات غموضًا في التاريخ التركي الحديث، فلا نعرف أغلب أسماء من حضروا في هذا الاجتماع. والذي حقق نتائج مهمة. لم يتم الكشف عن تفاصيل ما ناقشه القاضي السابق والشخص الذي يمثل القاضي الجديد للبلاد وما الذي تفاوضوا عليه لمدة أربع ساعات. لم يتم تعيين الضابط في الاجتماع. اليوم ، لدينا فقط ما كتبه وحيد الدين عن الخطوط الرئيسية للموضوعات التي تمت مناقشتها وما قاله رفعت باشا لدائرته المقربة بعد سنوات.

يمكن أن يُفهم من بيان الخليفة محمد وحيد الدين: كما طلب رفعت باشا من وحي الدين أن يستوفي البنود التي أدرجها لوزير الخارجية عزت باشا.

والسلطان محمد وحيد الدين في وصفه للأحداث التي أعقبت وصول رفعت باشا إلى اسطنبول والاجتماع في قصر يلدز، يقول:

"كما هو معروف ، جاء رفعت باشا إلى اسطنبول بعد النصر بجلالة عظيمة. لقد أوفت حكومة الصدر الأعظم توفيق باشا بالتزامها بترك منصبها لذلك الرجل الصغير دون تردد.

رفعت الذي وجد الساحة حرة أمامه أتى إلي وهو يغني ثم نظر إلي وقال بصوت أجش. ربما سمعت ما قالوه بنفسك. أكتب في الصحف باسطنبول ما تم إملائه عليك. كنت. لأنه لم يعد أحد يسمعك أو يطيعك"

وهذه الإنجازات التي يراها الثوريين في أنقرة هدفها كما هو معلوم ، تطبيق قوانيين الدستور والتي تعني إقامة الجمهورية بدلاً من الملكية الدستورية؛ مما يعني ضرورة إلغاء منصب الخلافة.

في هذه الأثناء ، كانت الخلافة والسلطنة ، التي علقتها حكومة توفيق باشا ، تنتظر المستقبل. ثم في أحد الأيام ، تقدم رأفت باشا بطلب إلى القصر وطلب إجراء مقابلة مع السلطان محمد وحيد الدين. وحدد الوقت وجاء حسب الموعد؛ وعن هذا اللقاء يقول السلطان محمد وحيد الدين:**"ظل يقول رأيه؛ وأنا أستمع إلى هذا الرجل الصغير الي كان يخفي نفسه وراء طموحات كبيرة ومخفيًا بذلك غرضه الحقيقي ، فهو يهدف إلى أن ايام الخلافة أصبحت ضيقة ومعدودة ، ويكأنه ليس له أساس يتكأ عليه ، ثم قال لي:" بدلاً من الملكية الدستورية التي حددها القانون الأساسي ، والذي أقسمنا جميعًا على حمايته. ما رايك إذا قمت بإنقاذ الوضع وقمت بإعلان قانون التشكيلات الأساسية وتخبر حكومة أنقرة بذلك ببرقية حيث تعلن أنك تقلد مصطفى كمال باشا السلطة كاملة". رداً على ذلك ، قلت ببساطة إنه كان عرضًا خبيثًا يجب النظر فيه ومناقشته في ذلك اليوم. لأنهم يهدفون إلى إلغاء الخلافة وفي اليوم التالي عندما رأيت كلمات مصطفى كمال القاسية ضدنا وضد أسرتنا العثمانية في الصحف، قلت فقد آن الأوان لاتخاذ قرارًا أيضًا بشأن ما يحاك ضدنا ".**

وفي ذلك يذكر السلطان محمد وحيد الدين:**" أنني استدعيت الحاكم الإنجليز رولوت Rolot إلى قصر يلدز؛ وأمرت بإغلاق القصر؛ وحذرته من وجود جواسيس وخونة؛ وأن حياته قد تكون في خطر؛ فأنحتى على قدمي حتى كاد أن يقبل حذائي؛ فنصحته بضرورة مغادرة القوات الإنجليزية لاسطنبول؛ كان ‘لي أن أحقق أي أنتصار يمكني من وقف مؤامرة اسقاط السلطنة والخلافة؛ لكن جاءت تلك الأيام بآخر وظيفة متوقعة لي في نهاية أكتوبر. لم يكن لدى حلفاء في الأناضول أوفياء لدي أي خيار سوى الجلوس على السجاد والسلام؛ فما سعيت إلى تحقيقه أصبح ينسب لغيري؛ ضاع كل ما كنت أحلم به طوال سنوات وأصبحت أنتظر النهاية المتوقعة".**

حضرت حكومتا اسطنبول وأنقرة مؤتمر السلام ، وأرسل الصدر الأعظم توفيق باشا ، الذي تلقى الدعوة، برقية إلى الأمم المتحدة بتاريخ 17 أكتوبر: وألتقى وفدي أنقرة وإسطنبول هناك؛ ولما علم في اليوم التالي مصطفى كمال باشا بوصول وفد اسطنبول؛ قال للصدر الأعظم توفيق باشا إن الممثل الوحيد لتركيا هو الجمعية الوطنية الكبرى، ونصح توفيق باشا بالتخلي عن حضور المؤتمر. وفي تلك الآوانة أرسلت الأمم المتحدة إلى اسطنبول بأن توفيق باشا لم يحضر المؤتمر وأن ممثل تركيا الآن هي الجمعية الوطنية فقط؛ وحينها سعى ممثلي الجمعية الوطنية في أنقرة على إنهاء وجود الدولة العثمانية؛ تلك الدولة التي كانت ممتدة على مدار ستى قرون.

في ذلك الوقت ، التقى السلطان وحي الدين مع رافت بك في قصر يلدز. قبيل سفره بالقطار. وتحدثت معه أن حكومة أنقرة كانت القشة الأخيرة التي دمرت برقيات توفيق باشا للأمم المتحدة. وحاول توفيق باشا التصالح مع حكومة أنقرة وفي توحيد الوفدين؛ لكن عبثًا حاول؛ فحكومة أنقرة حينها كانت تريد القضاء على حكم سلالة آل عثمان للأناضول.

وفي ذلك يقول محمد وحيد الدين:" أن مصطفى كمال باشا الذي كان يتحدث عن الحفاظ على مستقبل الخلافة والسلطنة ويعتبرني سلطان الأمة وخليفة المسلمين؛ الآن يتهموني بالخيانة وبأبشع الألفاظ حتى أنه قال عني: "في عهد وحيد الدين ، السلطان السادس والثلاثين والأخير للعثمانيين ، وُضعت الأمة التركية أمام أعمق حفرة من العبودية. الأمة التركية ، التي كانت الرمز النبيل لمفهوم الاستقلال لآلاف السنين ، يريد بعض أبناؤها أن تستمر به الحياة في أعماق تلك الحفرة من جديد. لكننا سنركل هؤلاء؛ كما سنركل غيرهم لنعيد بناء الدولة".

وأعلن مصطفى كمال باشا:

1- بالنيابة عن دولة تركيا ، أُنشئت حكومة الجمعية الوطنية الكبرى على أساس مبادئ حكومة شعبية وطنية شابة وقوية.

3. الحكومة التركية الجديدة هي الوريث الوحيد للخلافة العثمانية التي انتهت، وهي الوريث الوحيد لها داخل الحدود الوطنية؛ وليس خارجها.

4. مع مع تشكيل القانون الأساسي ، منحت حقوق السيادة للأمة. و أعطيت الروح لها من جديد ، وأختفت السلطنة في اسطنبول والقي بها إلى صفحات التاريخ.

5. لا توجد حكومة شرعية في اسطنبول ، وإسطنبول ومحيطها تابعون للجمعية الوطنية الكبرى؛ لذلك ينبغي أن يُعهد بإدارة تلك الأماكن لمسؤولي الجمعية الوطنية الكبرى.

6. ستحرر الحكومة التركية حق الخلافة المشروع ممن أغتصبوها من غير أهلها[79].

7- سيحدد مصير الخلافة التي بدأت منذ القرن الـ16م بالتصويت على إلغائها؛ لتنتهي هذه الصفحة من صفحات التاريخ التركي.

[79] يقصد أن الأئمة الخلفاء من قريش وأن الأسرة العثمانية مغتصبة لحق الخلافة من أهلها المستحقين الأصليين؛ الباحث.

وبالفعل في المجلس النيابي بأنقرة وأمام حكومة الجمعية الوطنية صوت 136 نائبا لإلغاء مقام الخلافة مقابل 134 صوتا وامتناع عضوين عن التصويت. وكان نواب المجموعة الثانية المعارضة قد انسحبوا من المجلس، وكانوا يفتقرون إلى الأغلبية ويملكون 25 صوتًا.

تم تأجيل التصويت بعد يومين إلى 1 نوفمبر. وفي 31 أكتوبر ، عقدت المجموعة الأولى ، التي طالبت بإلغاء السلطنة والخلافة، والمعارضة اجتماعات للمصالحة. وفي غضون ذلك ، اجتمعت مجموعة الحقوق الدستورية وأعطت الشكل النهائي للنص الدستوري من خلال معالجة مقترحات التعديل.

قبل التصويت في 1 نوفمبر ، تمت مناقشة نصوص مختلفة مرة أخرى في اللجنة. وبينما قال نواب المعارضة والحجج إنه لن يكون من الممكن فصل السلطنة عن الخلافة، وقف رئيس المجلس مصطفى كمال باشا، الذي تابع المحادثات ، على أحد المقاعد وألقى خطابه الشهير:

"السيادة والسلطنة لا يمنحهما أحد من خلال التفاوض والحجة ، لأنها ضرورة للمعرفة. الهيمنة ، السلطنة تؤخذ بالقوة والسلطة إنما هي حقنا لأننا أصحاب القوة. استولى ابناء عثمان بالقوة وهيمنوا على ألمة التركية وحكموها؛ لقد استمروا في هذا المكر لمدة ستة قرون. الآن ، اتخذت الأمة التركية حقها منهم لنفسها بيدها؛ لذا يجب أن نحذر من هؤلاء المعتدين على حق الأمة والمتمردين على أن تعود السلطة للأمة من جديد. إنها ليست مسألة شخصية. إنما هي مسألة مصيرية؛ فإما أن تحكم الأمة نفسها بنفسها؛ وإما أن تسلم الأمة مكتسباتها لمن خذلوها وباعوها. الهدف هو تحقيق حقيقة الأمر الواقع الذي نحن فيه بالفعل؛ وليس لآل عثمان الآن اي قوة تؤهلهم للحكم؛ لذا أبدأوا عملية التصويت من بين الأعضاء المجتمعين الباغ عددهم 235 عضواً الآن بشأن فصل السلطنة عن الخلافة؛ وإعلان الجمهورية وإلغاء السلطنة؛ وهذا التصويت يجب أن يذاع على الناس؛ لأن حقيقة الثورة أن تقطع بعض الرؤوس لتؤسس للعهد الجديد".

بعد هذا الخطاب جمعت اللجنة بين مقترحين منفصلين أعدتهما الحكومة والمعارضة وأعطت شكلهما النهائي. في الجمعية العامة للقانون؛ ولقب السلطان محمد وحيد الدين في هذان المقترحان بـ **"اللعنة عليك!"** تم قبول قانون إلأغاء السلطنة وفصلها عن الخلافة بعد خطابات مليئة بأمثلة من السباب مثل **"متوج خائن"** و **"هديم الدين".**

الإمبراطورية العثمانية والسلطنة؛ السلطنة دخلت التاريخ رسمياً في 1 نوفمبر 1922 ، عندما تم التصويت على إلغاءها ، ولكن اعتبارًا من 16 مارس 1920 ، عندما احتلت اسطنبول سقطت السلطنة فعليًا، أصبحت ملكًا للتاريخ:

المادة 1. مع قانون التشكيلات الأساسية، قرر شعب تركيا استخدام حقوق سيادته الشخصية الروحية بالجمعية الوطنية التركية الكبرى ، والتي لا يمكن التخلي عنها وتفكيكها ولا غنى عنها ، وعدم الاعتراف بأي القوة أو التفويض الذي لا يستند إلى الإرادة الوطنية. ولا يعترف بأي شكل من أشكال الحكومة بخلاف حكومة الجمعية الوطنية الكبرى لتركيا داخل حدودها الوطنية ، لذلك اعتبر الشعب التركي الحكومة في اسطنبول التي كان مقرها السيادة الشخصية ، التي دخلت إلى صفحات التاريخ منذ 16 مارس 1336 (الموافق 1920 وإلى الأبد) نسيًا منسيا.

المادة 2. تنتمي الخلافة إلى الأسرة العثمانية ، ويتم اختيار الخلافة من قبل الجمعية الوطنية التركية الكبرى لتكون الخلافة الأكثر نضجًا وصلاحًا من حيث العلم والأخلاق. الجمهورية التركية هي ممثلة السلطنة وسلطة الخلافة سلطة روحية شرفية ".

56.2. من يصنع الأبطال

المثير للاهتمام أن قرار إلغاء السلطنة أعده شخص يوصف بأنه "أحد الأبطال الحقيقيين للتاريخ التركي الذي طغت عليه بعض الأوساط اليوم ، وخاصة بين معارضي ممارسات العصر الجمهوري". : بقلم رضا نور.

يشرح رضا نور كيف وبأية أفكار كتب نص القرار الخاص بإلغاء السلطنة العثمانية:

"المجلس الآن متحمس للغاية لدرجة أنهم يصرخون ضد حكومة اسطنبول. لكن لا توجد كلمة عن الحل.

اعتقدت. الأمر متروك لمصطفى كمال باشا لأخذ الأمر على عاتقه. حقيقة إن فصل السلطنة عن الخلافة يعني فصل الدين عن الدولة. وهذا يعني أن الدولة والدين منفصلان عن بعضهما البعض فلا ريب في رأيي أن أهم سبب لكوارث تركيا كان الخلط بين السياسة والدين.... لم يذكر في المجلس اسم الخلافة قط. أعتقد أنه من الضروري تحديد وضع موقع الحكومة؛ إذا كيف سنكون جمهورية دستورية وطنية قومية ولدينا خليفة يمثل ويرأس كل المسلمين. لهذا السبب علينا وضع مقام الخلافة بصورة شرفية بشكل مستقل وبطريقة دينية. اعتقد أن هذا سيمهد الطريق للإلغاء الخلافة أيضًا. هكذا نضرب عصفورين بحجر واحد. إلى جانب ذلك ، سأقوم بإلغاء هذه السلالة العثمانية وسلطنتها، وسلطانها وحيد الدين ، الذي لم يعد لديه مجال للمضي قدمًا فليس لديه أي مستقبل سياسي. أنا أنتقم منهم. لذا أنا أفصل بين الدين والدولة. أنا أجعل الدولة علمانية. عندما رأيت أنني قد دعوت ولي العهد الأمير عبد المجيد إلى أنقرة؛ ورفض أن يأتي؛

قلت في نفسي لم يحن الوقت بعد؛ وبدأت أشعر بكراهية شديدة وانتقامًا تجاه هذه العائلة العثمانية. أنا أعاقب محمد وحيد الدين وأعاقبهم".

ويقول رضا نوري في مذكراته:" **عندما بدأت أكتب ما يجول في نفسي ناحية الأسرة العثمانية والسلطنة والخلافة انسحبت على الفور إلى الغرفة المجاورة للجمعية. أكتب المذكرة التي أتحدث عنها. لقد كتبتها دفعة واحدة. بينما كنت أكتب ، وصل عدة نواب. قرأوا وراء ظهري. لقد انتهينا أيضًا. قالوا: دعونا نوقع هذه العريضة. قلت: ـ حسنًا. فلنوقعها. ثم جاء النواب بأعداد كبيرة. " وقالوا: أوه ، دعنا نوقع هذه المذكرة معك أيضًا. هذا هو توقيعنا على مثل هذه المذكرة الهامة. قالوا: لنذهب. كان الموقعين على إلغاء السلطنة حوالي ثمانين شخصًا. ركضت على الفور إلى داخل الجمعية الوطنية. ليستمر التفاوض بطريقة ساخنة. أعطت تقريري. تمت قراءته على الفور. هبط رأيي. الرؤوس الغاضبة. لقد كانت أنسب لحظة للقيام بمثل هذا الشيء العظيم. تصويت. تم قبوله بالإجماع وصفق له بقوة. كان العمل المنجز ثورة مهمة وهائلة في تاريخنا".**

57.2. وجهة اسطنبول؛ رفعت باشا نقل قرار الجمعية إلى السلطان محمد وحيد الدين:

على الرغم من ذهاب رفعت باشا إلى قصر يلدز وقبوله في حضور السلطان وحيد الدين وحاول تقديم قرار الجمعية الوطنية الكبرى بأحكام مشرقة إلى السلطان الذي استقبله باحترام ولطف كبيرين، إلا أنه خاطبه قائلاً: **"قداسة الخليفة.."**؛ حينها رد عليه السلطان محمد وحيد الدين: **"يمكنك أن تتأكد من أنه حتى أضعف عضو في من اسرتنا العثمانية لن يقبل خلافة بدون سلطنة يا باشا!" قل وتحدث فيما جئت..":" انتهت المقالة أنصرف".**

الخلافة ، التي يدعي وحيد الدين أن **"حتى أضعف عضو في الأسرة العثمانية لن يقبلها بدون سلطنة"** ، **ستقبل الخلافة بعد 19 يومًا فقط بدون سلطنة، من قبل عضو آخر من نفس الأسرة العثمانية هو ابن عمه عبد المجيد أفندي ولي العهد.**

58.2.الختم الذهبي المتبقي

مرت الأيام التالية بانتظار معذّب في ظل المقالات المهينة في الصحف للسلطان محمد وحيد الدين، والمظاهرات في الساحات التي دمرت نفسية من قصر يلدز ومحاولة اقتحام القصر من قبل بعض المتظاهرين، ومنشورات أخبار إعدام السلطان وحيد الدين؛ علي يد مصطفى كمال باشا التي تملأ شوارع اسطنبول.

كان قرار مجلس أنقرة بمحاكمة ومعاقبة السلطان العثماني وحكومته قد وصل بالفعل إلى اسطنبول. على الرغم من أن النص كان مكتوبًا بشكل غامض، إلا أنه كان مثل سيف حاد معلق من الأعلى بالنسبة لوحيد الدين.

الصحف تكتب عن **"خيانة القصر"**. كانت هناك عناوين تقول: **"ظهر السلطان على المسرح مرة أخرى"**، والسياسيون القدامى في اسطنبول أصبحوا الآن **"أموات غير أحياء"** وانتشرت شائعات بأن السلطان محمد وحيد الدين تخلى عن جميع ألقابه، ونُشرت مقالات عن هجرته لخارج البلاد ، واشتدت حدة الشائعات لدرجة أن القصر شعر بأنه مضطر للإدلاء ببيان. أعلن الصدر الأعظم توفيق باشا في 3 نوفمبر / تشرين الثاني: **" أن السلطان لا يريد أن يستقيل، بل أنه يدافع عن نفسه أمام الأمة"**. في اليوم التالي ، قام توفيق باشا بخطوة فاجأت الجميع وخاصة وحيد الدين: استقال بعض الوزراء في اليوم السابق، واستقال توفيق باشا نفسه بعدهم مباشرة.

لكن كان هناك شيء غريب حول هذه الاستقالات.

التقليد الذي استمر لقرون لم يتحقق: اعتاد الصدور العظام حمل أختام السلطان الخاصة بالسلاطين، المسماة أختام همايون ، على أعناقهم، وإعادتها إلى السلطان العثماني فور استقالتهم أو إقالتهم. ولسبب ما ، لم يتم اتباع هذه العادة من توفيق باشا آخر صدر أعظم ، وظل ختم السلطنة الأخير مع الوزير الأعظم الأخير. لهذا السبب تبدو قضية استقالة توفيق باشا مثيرة للجدل.

إذا قدم الصدر الأعظم استقالته رسميًا في القصر ، فعليه إعادة الختم إلى السلطان العثماني. حقيقة أن عملية التسليم هذه هي قاعدة تم تطبيقها منذ قرون وهي أحد الأسباب التي تدل على ولاء الصدر الأعظم أو الباشا للسلالة العثمانية ويجب أن يفعل الشيء نفسه كل باشا يتولى الصدارة العظمى.

هل كان توفيق باشا يريد أن يحتفظ بالخاتم العثماني كذكرى من السلطنة البائدة؟ إذ كان من المستحيل التفكير بخلاف ذلك. لكن هناك راي أنا اميل إليه أ، توفيق باشا لم يعطي الختم للسلطان العثماني الأخير محمد وحيد الدين لأنه ربما لأن توفيق باشا لم يظهر أمام السلطان وحيد الدين وأعلن أنه استقال. على الرغم من أنه بعد الاستقالات المتتالية لوزرائه، قررت الحكومة أيضًا الاستقالة بعد اجتماع استمر ثلاث ساعات في 4 نوفمبر 1922 وانسحبت عن إدارة شؤون البلاد. لكن توفيق باشا لم يبلغ السلطان محمد وحيد الدين بقرار استقالته، فقد أغلق على نفسه باب منزله ، وقطع الاتصال بالسلطان محمد وحيد الدين ولم يلتق به مرة أخرى، وقد مكث في اسطنبول لمدة 13 يومًا بعد هذه الواقعة. فإما أنه لم يستطع إقناع نفسه بالذهاب إلى قصر يلدز والقول إن وزرائه قد تخلوا عنه وأنه ترك واجبه أو أنه لم يستطع إظهار الشجاعة لنقل مثل هذا

الخبر إلى آخر السلطان وحيد الدين والأسرة العثمانية تمر بمثل هذه الظروف الحرجة، وبخاصة رأى السلطان محمد وحيد الدين ورأى كرمه وأمانته وعاشره عن قرب ما يقارب من ثلاثة أرباع قرن، وبالرغم من ذلك تركه في أصعب لحظاته.

ومهما حدث؛ فقد حدث ما لم يكن في الحسبان؛ وأصبح السلطان محمد وحيد الدين وحيدًا بلا حكومة أو وزراء؛ بل أمتنع كل الباشوات في اسطنبول عن قبول الوزارة أو المشاركة فيها؛ حتى لو برئاسة السلطان. واعتبر السلطان محمد وحيد الدين حينها استقالة رئيس الوزراء-الصدر الأعظم توفيق باشا خيانة عظمى. ولكن بعد سنوات تحدث السلطان محمد وحيد الدين عن توفيق باشا في مذكراته بالمنفى قائلاً: **"توفيق باشا، الذي شغل منصب الصدر العظم لمدة ثلاث سنوات؛ تبين لي فيما بعد أنه كان في الواقع خادمًا مخلصًا لمصطفى كمال باشا، فقد خانني بطبيعة الحال في النهاية. لقد أدنت فعله؛ لكن لم يكن بيدي سلطان لأعاقبه. لكنه تركني وحدي في مواجهة أصعب الصعوبات من خلال الاستقالة؛ عندما كان من المفترض أن يكون في السلطة. لأنه في الأيام التي استقال فيها، تمت دعوة ممثل عن العرش إلى أوروبا . ومع ذلك ، كان الوضع كارثة كاملة ؛ توفيق باشا لم يكن في مكانه وبالطبع لم تكن هناك حكومة؛ يتفاوض معها الغرب باسم السلطنة والخلافة تمثل الأتراك وسائر المسلمين؛ لذا كان الجو مهيأً لأن تكون الجمعية الوطنية الكبرى برئاسة مصطفى كمال باشا هي ممثلة الأتراك دون سائر المسلمين؛ وبدون تمثيل عن السلطنة والخلافة؛ فلقد غاب لأول مرة في التاريخ من يمثل السلطنة والخلافة أمام دول الغرب الأوروبي؛ والذين كانوا يخفون حقدًا دفينًا على الدولة العثمانية؛ ظهر في مؤتمر الصلح؛ حيث كانوا جميعًا إضافة إلى الجمعية الوطنية التركية الكبرى مصرين على اسقاط السلطنة والخلافة"**.

في ذلك اليوم (4 نوفمبر 1922) بدأت اسطنبول تتحدث ليس فقط عن نهاية الحكومة العثمانية، ولكن أيضًا عن مغادرة السلطان محمد وحيد الدين بهدوء لاسطنبول. في اليوم التالي ، نفى قاضي القضاة عمر باشا الشائعات عن هروب السلطان وحيد الدين وقال: **"جلالته لم يتخل عن كونه سلطاناً أو خليفة للمسلمين".** وحسب كلمات السلطان وحيد الدين عن هذه الظروف الحالكة**:" فإن الخلافة والسلطنة التي علقتها حكومة توفيق باشا كانت تنتظر المستقبل المجهول".**

وفوق كل هذا ، جاءت أنباء الإعدام خارج نطاق القانون من إزميت: فقد تم قطع رأس علي كمال باشا رئيس تحرير جريدة بيمه صباح Peyâm-ı Sabah ، في إزميت. علي كمال الذي كان وزيرا للداخلية لفترة من الوقت كان معروفًا بأنه من أشد المعارضين للنضال الوطني لمصطفى كمال باشا. ولم يتوقف عن الكتابة ضد أنقرة منذ سنوات، وكان يتهم مصطفى كمال باشا وحكومة أنقرة بالتعامل مع الإنجليز لإسقاط السلطنة

والخلافة العثمانية؛ ولكن في مقالته المؤرخة في 10 سبتمبرمن عام 1922م، والتي كتبها بعد الانتصار العظيم للثوار على قوات الحلفاء؛ قال: **"أهدافنا كانت ولا تزال واحدة"** واعترف بأنه ارتكب خطأ في الماضي.

كانت هذه المقالة هي آخر مقالة لعلي كمال باشا . حيث اعتُقل في 5 نوفمبر / تشرين الثاني بينما كان يحلق عند حلاق في بيوغلو ، وأثناء نقله إلى أنقرة للمحاكمة ، نُقل إلى إزميت ، حيث أُعدم دون محاكمة بأمر من قائد الجيش الأول نور الدين باشا. ونُشر الخبر في الصحف في اليوم التالي: "مزق أهل إزميت لعنة علي كمال باشا بحد السيف؛ والموت للخونة والعملاء ". لقد كانت حادثة مقتل علي كمال باشا أول حادثة إعدام في بداية عهد الجمهورية خارج إطار القانون؛ بدعوى بداية العصر الجديد؛ تحتاج إلى بداية نظيفة خالية من رموز العصر القديم؛ الذي وصفوا من قبل حكومة أنقرة:**"بالخونة والعملاء"**؛ وسوف تفتح هذه الحادثة فيما بعد الباب لتصفية المعارضين للنظام الجمهوري إما بمحاكم شكلية أو بقرارات إعدام عسكرية خارج إطار القانون. فقد تم تصفية أولئك الذين وقفوا إلى جانب القصر السلطاني العثماني ضد حركة ثوار الأناضول؛ والذين تبين لهم فيما بعد أن الكفة في السلطان كانت لصالح حكومة أنقرة وليس لصالح حكومة اسطنبول؛ لذا لذا سارع بعضهم إلى الهرب خارج البلاد حيث تمكنوا من الحصول على تأشيرة من السفارات الأوروبية وكانوا في عجلة من أمرهم للعثور على شخص ليأخذهم إلى أوروبا؛ حيث أعظتهم الدول الأوروبية تصاريح للسفر لكنها لن تنقلهم إلى أوروبا؛ وعليهم أن ينقلوا أنفسهم ؛ لا يزال فيسازي الماران الذي كان يتولى عمليات التهريب من تركيا إلى أوروبا تحت الحراسة المشددة في ثكنات تحت سيطرة الجنود البريطانيين.

وفي هذا الوقت ، جاءت أقوى ضربة للسلطان محمد وحيد الدين من ولي العهد الأمير عبد المجيد أفندي؛ حيث عرضت عليه حكومة أنقرة الخلافة دون السلطنة؛ فوافق ولي العهد على كتاب **الحاكمية ميلي** "حكم الأمة" ، الذي نُشر في صحيفة لا تامبيس Le Temps الفرنسية بتاريخ 11 نوفمبر 1922م، حيث صرح عبدالمجيد أفندي لهذه الجريدة قائلاً:" **إنه ينبغي دعم إرادة الشعب؛ وأنه مستعد للمساهمة في تنمية تركيا. وأنا أعلم أن هذا القرار سيسبب اضطرابًا عميقًا في العالم الإسلامي...لكن بما أن الجمهورية التركية أبدت دائمًا احترامًا كبيرًا لمقام لخلافة ، فلن تنكسر الوحدة الإسلامية حول رابطة الخلافة. وهذا بسبب النصر الذي أنقذ الوطن من الإحتلال و أنا متفائل بالمستقبل الذي يجمع بين مقامي الجمهورية في يد الشعب والخلافة في فرد يمثلها من آل عثمان".**

أصبح الرجل الوحيد في القصر الآن بمفرده أكثر من ذي قبل. قال أحد أولئك الذين كانوا على وشك الذهاب إلى بلد آخر؛ وهو أحد الذين قاموا بخلع باب القصر من أجل الحصول على المال إلى السلطان محمد وحيد الدين:**" تقاعد إلى الحريم، فقد نزعوا عنك السلطنة باسم الجمهورية؛ ونزعوا عنك الخلافة بابن عمك وولي عهدك عبدالمجيد أفندي؛ فماذا تبقى لك لكي تبقى في اسطنبول أو تدافع عنه".**

59.2. السلطان وحيدًا وحياته في خطر

وأقيمت تحية الجمعة الماضية يوم 10 نوفمبر في مسجد الحميدية في يلدز. في الخطبة ، قيل فقط **"أمير المؤمنين؛ خليفة رسول رب العالمين"** ولم يذكر لأول مرة منذ قرون اسم السلطان الخليفة.

كان هذا وحده كافياً لإثبات اقتراب ساعة رحيل السلطان محمد وحيد الدين عن اسطنبول؛ حتى إمام مسجد القصر أرتضى بحكم المجلس النيابي لحكومة أنقرة ولم يدعم سلطانه؛ على الرغم من أنه يأخذ معاشه من السلطان؛ لا من حكومة أنقرة.

وفي تلك الساعات العصيبة ، كان السلطان محمد وحيد الدين يعتني بعمل شخصي دون أن يخبر أحدًا:

فقد كان يشارك زوجته الأخيرة نيفزاد الشركسية والتي كانت تبلغ من العمر 19 عامًا.

ضب المتاع السلطاني من القصر في الحرملك؛ فلم يعد هناك خدم يساعدونها أو يساعدوا السلطان، غير حريم زين الدين أفندي ابن السلطان محمد رشاد. وفقًا للتقاليد، أثناء تغيير العرش، كان المرافقون للسلطان السابق يتركون القصر حتى آخر عضو، تاركين مكانهم لأولئك الذين سيأتون مع السلطان الجديد للعرش. كانت النساء إما متزوجات أو يرسلن إلى أقاربهن. لكن هذه المرة كان في الحريم السلطاني ، فقط كبار السن من محيط محبي السلطان القديم الذين يعرفون تقاليد القصر جيدًا ، والذين قاموا بالإدارة والاحتفالات؛ لكنهم بالرغم من ذلك كانوا قلة ولم يكونوا على الكثرة المعتادة؛ فالكل غادر السلطان وحيد الدين.

60.2. "لم أهرب ، لقد هاجرت!"

في الفترة التي أعقبت احتلال اسطنبول ، كانت القضية الوحيدة التي ظهرت على جدول الأعمال فيما يتعلق باتصالات السلطان محمد وحيد الدين الرسمية مع الإنجليز هي توفير الأمن الميداني. وازدادت أهمية هذا الأمر مع الوقت ، خاصة بعد نجاح النضال الوطني، وتحول إلى جدل حول ما أهمية بقاء السلطان في اسطنبول؛ بعد انتصارات حكومة أنقرة؛ وبخاصة أن الإنجليز أصروا بعد دخول اسطنبول على تجريد السلطة العثمانية من كل قوة تمكنها من أي فعل ميداني على الأرض؛ بدعوة حفظ الأمن؛ ومنع الإعتداء على قوات الحلفاء.

وفقًا للوثائق الإنجليزية ، تمت مناقشة مسألة أمن السلطان وحيد الدين لأول مرة في 30 يوليو 1919 ، عندما التقى الصدر الأعظم فريد باشا بهولر Hohler مسؤول السفارة البريطانية. قال الصدر الأعظم إن بعض الوزراء خانوه بأوامر من أنقرة ، واشتكى من ولي العهد عبدالمجيد أفندي: خلال زيارته للسلطان في اليوم السابق ، تخلى ولي العهد عن قواعد البروتوكول التي كان يتعين على أفراد الأسرة اتباعها. اتبع بدقة وعلنا إهانة السلطان محمد وحيد الدين لسماحه باستمرار حكومة فريد باشا.

سأل فريد باشا؛ هولر في نفس الاجتماع عما إذا كان يمكن حماية أمن السلطان ونفسه من قبل إنجلترا. أشار Hohlerهولر إلى أن هذا طلبًا مهمًا للغاية؛ لكن يجب عرضه على لندن، لكن المفوضية العليا للحلفاء ستكون قادرة على الامتثال إذا كان هناك حدث يتطلب الحماية ومتعلق بالسلطان.

من ناحية أخرى، كرر فريد باشا عبارته القديمة وقال: **" إنه لا يثق في أي أحد آخر غير الله وإنجلترا".**

أرسل المفوض السامي البريطاني في لاتانبول ، الأدميرال دي روبيك ، برقية سرية إلى لندن ، في 1 أكتوبر 1920، إلى اللورد كرزون ، وزير الداخلية الإنجليز؛ يطلب فيها حماية حياة السلطان محمد وحيد الدين؛ لأن القوميون الأتراك وأنصارهم والمتعاطفون معهم قد يعرضون حياة السلطان للخطر أو ربما يحاولون قتله.

وفي الرابع من أكتوبر ، أرسل الأميرال برقية أخرى حول نفس الموضوع بمزيد من التفاصيل. كان يقول فيها: **"فريد باشا قال إن السلطان كان يفكر في التنازل عن العرش، لكن المندوب السامي لم يفهم ما إذا كانت هذه مبالغة. أخبر المفوض السامي الصدر الأعظم أنه إذا أراد مغادرة البلاد ، فسوف يساعدونه ، وإذا بقي، فسيتم محاكمته هو والسلطان معًا، ولكن في ظل ظروف اليوم ، لن يكون التنازل عن العرش جيدًا للبلاد ، وسيصبح الوضع أكثر تعقيدًا. كتب الأدميرال أنه يعتزم إعطاء ضمان "إذا أصر السلطان وحيد الدين على التنازل ، فسوف يساعدونه على الخروج من تركيا" ، فورين أفيرز با. وكان ينتظر تعليمات من لندن بهذا الشأن ".**

أرسل اللورد كرزون رده في 6 أكتوبر. ينص على أنه يرى الضمانات مناسبة ؛ وقال: **"يمكن القول إننا سنساعد السلطان وحيد الدين على مغادرة تركيا في حالة التنازل عن العرش، لكن يجب ممارسة ضغوط شديدة حتى لا ينسحب من السلطة الآن؛ فلم يتخذ قرارًا نهائيًا بعد بشأن وضع الأسرة العثمانية".**

61.2."الانقاذ" وليس "الهروب"

بدأ البريطانيون الاستعدادات لأولى الاحتمالات؛ وهي أخذ السلطان وحيد الدين بعيدًا اسطنبول في نهاية أغسطس 1922.

بعثت وزارة الحرب الإنجليزية برسالة إلى الجنرال هارينغتون Harington قائد قوات الاحتلال في اسطنبول في 22 آب / أغسطس مفادها أن هارينغتون أصدر تعليماته باتخاذ كل الاحتياطات اللازمة لضمان أمن السلطان وحيد الدين. وأمر بإجراء الاستعدادات الأولية مع البحرية الإنجليزية. بحيث يمكن استضافته. على أحدى قطع الأسطول الإنجليزي. في 7 سبتمبر 1922 طلب الجنرال هارينغتون من المفوض السامي البريطاني رومبولد في اسطنبول إبلاغه **"بكيفية استقبال السلطان وحيد الدين من أجل اتخاذ كافة الإجراءات اللازمة المصاحبة أثناء نقل السلطان إلى سفينة حربية بريطانية من الساحل وأي سفينة سيتم تخصيصها له".** وفي 11 سبتمبر رد المفوض السامي على هذه المسألة وقال **:" إذا طلب السلطان العثماني الحماية أو رغب في مغادرة اسطنبول فسأتصل بك وبقائد البحرية البريطانية في اسطنبول لاتهاذ التدابير اللازمة".**

لقد حان الوقت لاختيار المكان الذي سيؤخذ فيه السلطان وحيد الدين من اسطنبول. كانت مالطة متاحة لتكون المحطة الأولى ، ولكن كان هناك بعض التردد. قلقًا من أن رعاية خليفة المسلمين من قبل حكومة لندن النصرانية قد ينتج عنها رد فعل بين مسلمي الهند وبخاصة أن الفرنسيين كانوا يخططون لبعض المؤامرات ضد حلفائهم الإنجليز في تلك الفترة بشأن الهند. وفكر الإنجليز حينها في إرسال وحيد الدين الماء ليكون في مأمن من مؤامرات الاغتيال من المتأثيرين بصحف حكومة انقرة؛ وفي نفس الوقت ليكون أول خليفة مسلم تحت الحماية الإنجليزية؛ مما يعني أن مقام الخلافة الجامع لوحدة المسلمين ضد أعدائهم قد أنتهى لذا فكر الإنجليز بدلاً من أن يكون وحيد الدين في البحر ويدير شؤون اسطنبول من أحدى سفنهم أن يأخذوه إلى جزيرة مالطة بعيدًا عن اسطنبول، ثم بعد مالطة إلى مكان آخر بعد على سبيل المثال، إلى مدينة طنجة؛ حيث أن بالمغرب أميرًا آخر للمؤمنين؛ ولا يستطيع حينها وحيد الدين أن يعلن عن نفسه هناك بأنه خليفة للمسلمين. وبذلك يتم الحفاظ على الوضع الجديد في الأناضول؛ وينتهي عهد آخر سلطان عثماني السلطان محمد وحيد الدين.

ذهب إلى الجنرال هارينغتون إلى السلطان محمد وحيد الدين في قصر يلدز وقال له:" **لابد من نقلك إلى مكان آخر خارجاسطنبول على الفور لأن التقارير الإستخباراتية الإنجليزية تشير إلى أن حياة السلطان في خطر".**

الجنرال هارينغتون ، القائم بأعمال المفوض السامي في اسطنبول نيفيل هاندرسون **Neville Henderson** قام على الفور بإبلاغ لندن بأمر مغادرة السلطان وحيد الدين. حينها ارسل السلطان وحيد الدين زكي بك ليخبر الإنجليز الدين بقرار رحيله عن اسطنبول؛ لكنه كان يريد أن يدير المدينة من سفينة إنجليزية على البحر فقط؛ غير أن البريطانيون لم يعرفوا زكي بك جيدًا، وللتأكد من حقيقة هذا الرجل له قرروا التحقيق في طلب السلطان وحيد الدين عن الرحيل عن اسطنبول بعد أن افزعه الجنرال هارينغتون من أن حياته في خطر من طبيبه الشخصي رشاد باشا.

"رأى نائب رئيس المترجمين للمندوب السامي البريطاني ماثيوز Matthews الطبيب رشاد باشا في نفس اليوم. وأكد رشاد باشا أن السلطان وحيد الدين كان صعب المراس؛ ولكنه أراد الابتعاد عن اسطنبول في نفس الوقت. ثم التقى هارينغتون مع ماثيوز والملازم كيندال Kendall في قصر يلدز للقاء زكي بك. استأجر البريطانيون سيارة أجرة من طراز فورد بين غلاطة سراي وتقسيم في حوالي الساعة 20:00 مساء يوم 15 نوفمبر؛ حيث كان الجو ممطرًا، ولم تكن الشوارع مزدحمة ولم تجذب سيارة الأجرة كثيرًا من الاهتمام. وكانت المنطقة المحيطة بالقصر مهجورة؛ أخبر زكي بك خدمه أن صحفيين أجانب قادمون، ووجدوا زكي بك دون إثارة الشبهات يعمل معهم بكل إخلاص، وتم نقل رسالة الجنرال هارينغتون بأنه يمكنهم أخذ السلطان في غضون ساعات قليلة وفي نفس الليلة قال زكي بك للجنرال هارينغتون أن السلطان يريد الذهاب في أسرع وقت ممكن، لكنه صبيحة يوم الجمعة".

الجنرال هارينغتون كان لديه طلب أيضا ؛ حتى ذلك الحين ، كان يجب تقديم الطلب الشفوي كتابة.

أرسل السلطان وحيد الدين رسالة كتابية بعد يوم واحد مع زكي بك موجهة إلى الجنرال هارينغتون بتاريخ 16 نوفمبر 1922م قال فيها:

"إلى سعادة الجنرال هارينغتون القائد العام لجيوش الاحتلال في اسطنبول؛ بناءًا على التقارير الإستخباراتية الإنجليزية التي تقول أن حياتي في خطر داخل اسطنبول. فلإني لجأت إلى حماية الدولة البريطانية من الآن فصاعدًا وبأسرع وقت ممكن أطلب نقلي إلى مكان آخر ، مع خالص تقديري؛ 16 نوفمبر 1922م.

محمد وحيد الدين ، خليفة المسلمين "

ووقع السلطان وحيد الدين الرسالة بصفته الخليفة وليس بصفته السلطان. وتم تلبية طلبه في اليوم التالي ...

62.2. لكن لماذا ذهب؟

السؤال الآن ، "**لماذا غادر وحيد الدين البلاد؟**" مطروح منذ أكثر من 70 عامًا. فلنأخذ إجابة هذا السؤال من السلطان وحيد الدين نفسه. دعونا نعيد قراءة جزء من مذكراته منذ وصول رفعت باشا إلى اسطنبول حتى مغادرته لها:

"... كما هو معروف ، بعد الانتصار ، جاء رفعت باشا إلى اسطنبول بافتخار متعاليًا على السلطنة ، وقد أوفت حكومة توفيق باشا بالتزامها بترك منصبها لهذا الرجل الصغير دون تردد؛ وبدون الرجوع إلي. وبدأ هذا الرجل يغرد بحلو الكلام مخفيًا حقيقة هدفه الحقيقي؛ محاولاً نزع صفة السلطنة عني؛ بحجة أن سلطات السلطنة نقلت إلى الأمة بعد انتصارات الثوار وحكومة أنقرة؛ وأن تشكيلات القانون الأساسي الصادر في أنقرة قد ألغى القانون الأساسي العثماني؛ وأن الشعب يريد جمهورية بدلاً من ملكية دستورية؛ مما يعني أن مقام الخلافة ايضًا إلى زوال في هذه الأثناء ، كانت الخلافة والسلطنة ، اللتان أوقفتهما حكومة الصدر الأعظم توفيق باشا في طريق مسدود، في انتظار المستقبل المجهول. ثم في أحد الأيام ، تقدم رفعت باشا بطلب إلى القصر وطلب مني إجراء مقابلة. وحددت وقتًا له. أتى فيه. أعطى رأيه. أنا استمعت إلى هذا الرجل الصغير الخبيث؛ الذي كان يختبئ وراء طموحات كبيرة تهدف إلى اسقاط اتلسلطنة والخلافة معًا وليس السلطنة فقط؛ لكنه كان يخفي هدفه الحقيقي وراء الكلمات الرنانة البراقة لتضليلي، وأعلن لي أن سلطات السلطنة في النظام الملكي الدستوري يحدده مبدأ القانون الدستوري الأول، والذي أقسمنا جميعًا على حمايته في برلمان حكومة أنقرة، والذي يعني أن الخليفة يملك ولا يحكم؛ لأن المة هي من تحكم؛ وكان هو ومن خلفه يريدونني أن أقبل بهذا لأصبح صورة ، وقال إنني إذا وافقت على القانون الأساسي وتنازلت عن سلطات السلطنة لحكومة أنقرة ، فسيكون قادرًا على إقناع مصطفى كمال باشا على ابقائي في مقام الخلافة دون تغييري. رداً على ذلك ، قلت ببساطة إنه كان عرضًا يحتاج إلى التفكير والمناقشة طوال اليوم. في اليوم التالي ، عندما رأيت كلمات مصطفى كمال القاسية ضدنا وضد أسرتنا في الصحف ، حان الوقت لاتخاذ القرار...ظهر الوضع المحزن الذي ظهر بعد إلغاء السلطنة بقرار 2 نوفمبر 1922م بالكامل. هذا القرار الغادر فصل السلطنة والخلافة غير المنقسمة عن جسد الدولة وألغى الحاكمية عن الحكومة. أي أنه أسقط حكم الشرع وأعلن عالمانية الدولة؛ دون أن يعلن ذلك صراحة؛ لكنه أعلنها فعلاً؛ وذلك لكي يمتص غضب المسلمين في الأناضول وخارجه من خلال جعل وحدة رابطة العالم الإسلامي الخلافة كلمة جافة مجردة من السلطات لا معنى لها، مما يعرّض أيضًا مركز الخلافة للخطر مستقبلاً؛ لهذا فكرت في أن أهاجر خارج اسطنبول وأديرها من البحر بعيدًا عن مراكز المؤامرات والخيانة؛ بمعنى آخر

أن أهاجر كهجرة الرسول-صلى الله عليه وسلم- لكي أستطيع أن أختار أعوان جدد يساعدونني في حماية السلطنة والخلافة من الزوال؛ ولم يكن هناك وقتئذ قوة من المسلمين يمكنها أن تساعدني؛ لقد علمت أنني سأطرد بالقوة إن بقيت؛ وسيقولون طرد السلطان الخليفة العثماني؛ ومع الأسف ولي عهدي عبد المجيد أفندي ابن عمي لم يكن إلى جواري؛ لهذا بدلاً من ان يقولوا " تم طرد السلطان العثماني وحيد الدين" خرجت بكرامتي؛ ولكي لا أشكل عقبة أمام البلاد؛ وعبثًا حاولت انقاذها؛ غير أنني ما تحسبت أنهم سيفعلونه معي؛ فعلوه مع عبدالمجيد أفندي بأبشع الصور".

تقول حفيدة السلطان محمد وحيد الدين حميرة أوزباش؛ وهي واحدة من الأعضاء القلائل الباقين على قيد الحياة من قافلة السلطان وحيد الدين في المنفى: **"لقد علم أنه سيُطرد. أعتقد أنه ذهب بمحض إرادته وفعل الشيء الصحيح حتى لا يجعل الناس يقولون "تم طرد السلطان" فيهان مقام الخلافة ولا يشكل عقبة أمام البلاد؛ في وضعها السياسي الجديد... أعتقد أنه فعل الشيء الصحيح. في الواقع ، لست في وضع يسمح لي بالحكم على ذلك الوقت ، لأنني لا أعرف بالضبط ما هي الظروف التي أحاطت به. ولكن ما يهمني هو مشاعره الخاصة".**

وقالت لي أيضًا في حوار خاص: **"كان من الأفضل له لو بقي. حتى لو تم طرده ، كان يجب أن يبقى؛ كي لا يوصم بالخيانة. هل كان سيقتل وحيد الدين لو بقي؟ لست متأكدا من ذلك. أنا لا أعرف مشاعره وقتئذ. لكني ا؛لم أن الإنجليز وارء كل ذلك وهم من سعوا إلى تهيئة البيئة من حوله لإقناعه بالخروج ؛ عبر تخويفه من الاغتيال؛ لكنه كان بالتأكيد رجلاً أحب بلده كثيرًا. جاء إلى العرش في وقت سيئ الحظ للغاية. من جلس على العرش وقتئذ لم يستطع الوقوف"**

ومن المؤسف أن الصدرة الأعظم توفيق باشا خلال هذه المرحلة هو من كان يشيع في اسطنبول عبر أعوانه أن مصطفى كمال باشا سوف يقتل السلطان وحيد الدين؛ وأنه سيطرد الأسرة العثمانية بعد أن يجردها من كافة ممتلكاتها.

وقالت لي أيضًا حفيدة السلطان وحيد الدين؛ حميرة أوزباش سلطان:
"أن السلطان وحيد الدين كان حنونًأ ويشعر بالشفقة على أمته ويتألم كلما يتذكر ما آل إليه مصير السلطنة والخلافة... ما رأيك في شخص؟ كان لديه 20 ألف ليرة من ماله الشخصي، وكان ينبه على أسرته ألا يصرفوا وأن يقوم بالصرف في حالات الضرورة القصوى؛ وهو السلطان. وإذا أخذنا شيئًا من الخزينة أعاده إليها، لأن البلاد في حاجة إلى هذا المال. حتى أنه أعاد صناديق المجوهرات الخاصة بنا في اللحظة الأخيرة لرحيله عن اسطنبول إلى خزانة الدولة. وكان يظن أن الدول العربية ستساعده احترامًا

لمقام خلافته. ربما كان يأمل أن تفعل له الحكومة التركية معاشًا لمقامه السابق إلا أنها لم تفعل. ولكن على أي حال ، 20 ألف ليرة كل ما كان يمتلكه هو للإنفاق على حريمه وأبناؤه وأحفاده. هكذا عاش عدة سنوات بهم حرمنا وحرم نفسه من متع الدنيا؛ إلا أن المال أنصرف وبدأنا نعيش على الديون؛ هكذا خرج العثمانيون من الأناضول لا يملكون شيئًا سوى هذا المال".

ويؤكد ما سبق السلطان محمد وحيد الدين في مذكراته حيث كتب يقول:**"الأسرة العثمانية التي كان لها الفضل في تأسيس الأناضول الإسلامي؛ أناضولاً إسلاميًا خالصًا للمسلمين؛ تضحي بكل ما تملك لأجل أمتها ووظنها؛ بينما ينتهي بها الحال في بلاد الغرب الأجنبي؛ منفية أسيرة في بلاد الأعداء مطرودة عن وطنها؛ لا تملك المال الذي تنفق منه على نفسها؛ ولا يشفق لحالها أحد؛ حتى ولو لاعتبار مكان الخلافة القديم؛ الذي كانت تتبوأهُ؛ بل يضاف إلى ذلك أنها ألصق بها تهم الخيانة".**

63.2. تحليلاً لما سبق

محمد وحيد الدين نزعت عنه السلطنة بالجمهورية؛ ونزعت عنه الخلافة بغدر عبد المجيد أفندي له وبتحاله مع مصطفى كمال باشا عليه؛ والرجل غدر به وزراؤه وأقرب المقربين له حتى من داخل أسرته؛ والإنجليز والإشاعات تقول أنه سيغتال؛ وأكد له الإنجليز ذلك؛ وأن حياته في خطر؛ سواء بقى داخل اسطنبول أو خرج منها؛ فلن يؤثر بقاؤه في شيئ؛ حتى خدمه تركه؛ إلا الأوفياء منهم؛ وكانوا قلة؛ ومن زاوية أخرى كان هناك سلطة فعلية للبلاد غيره؛ الرجل ومحبيه فقط هم من كانوا ينظرون إليه على أنه السلطان الخليفة؛ لكن هذا الواقع كان اسمًا؛ لا فعلاً. فلم يكن ليمتلك القوة ليواجهى مصطفى كمال باشا وحكومة أنقرة أو ابن عمه الخليفة الجديد؛ لذلك رجل مجرد من السلطات كيف يتهم بالخيانة؛ إذ أراد أن يبقى أو أن يرحل؛ لا يحق لأحد أعتراضه؛ لأنه لم يكن في موضع السلطة.

الفصل الثالث

السلطان محمد وحيد الدين في المنفى

وعن ساعات الرحيل يقول السلطان وحيد الدين:**" كنت أنظر من الشرفة العلوي الضيقة كأنها الفنار من قصر يلدز ينظر إلى قصردولمه بهتشه؛ وأترقب ساعة الرحيل؛ كانت السفن الإنجليزية في خليج مرمرة يعلوها الفرح والبشر؛ بينما القصور العثمانية بالرغم من روعتها؛ كانت الوحشة تسكنها؛ حينها أتى ابني أرطغرل إلي ليبلغني أن كل شيئ معد للرحيل. غير أنني عدت ودخلت إلى قاعة قصر يلدز التي بها المدفأة وأخرجت مذكراتي ومذكرات أخي الأكبر عبدالحميد الثاني ووضعتهم في المدفأة وبدأت المذكرات تشتعل؛ في تلك اللحظة وصلت أختي وسعيد باشا وخير الدين أغا؛ فوجدوا بقايا المذكرات رمادًا على المنضدة. ثم أمرت أختي وكل من لديه وثائق في القصر بحرقها؛ كي لا يكون لحكومة أنقرة حجة في إعدام الأبرياء بحجة التعامل مع الأسرة العثمانية أو بحجة العمالة والخيانة؛ فحرق هذه الأوراق والمذكرات حينئذ؛ كانت سببًا في نجاة أعناق الكثيريين من المشنقة".**

كان هناك درج مزين بالأحجار الكريمة بمكتب السلطان محمد وحيد الدين وبداخله حجر من نوع مانستون الكريم؛ أمر السلطان خير الدين أغا بأخذه وإيداع الدرج والحجر في خزينة الدولة؛ دخل خير الدين أغا على السلطان فوجده لم ينم؛ ووجد أحدى الجواري وقد حضرت في نفس الوقت؛ وسمع خير الدين أغا الجارية تهمهم بكلمات؛ ظن أنها تقول آية أو حديث أو دعاء؛ غير أنه نظر إلى السلطان محمد وحيد الدين وقالله: **"العربة جاهرة"؛**

كان هناك 11 شخصًا في القاعة السفلية من قصر المراسم الصغير. منهم الأمير أرطغرل أفندي البالغ من العمر عشر سنوات ، وقاضي القضاة عمر ياورباشا ، والطبيب الخاص رشاد باشا ، والمصاحب الثاني مظهر أفندي، والمصاحب الثالث خير الدين أغا ، ومشرف الصرفة لطعام السلطان شكري بك ، مسؤول السجاد السلطاني إبراهيم بك الكبير ومسؤول الملابس السلطانية إبراهيم بك الصغير. ورئيس مساعدي السلطان محمود بك ، ونائب الوالي عن مدينة اسطنبول زكي بك.

كانت المجموعة الأولى من مسافري القدر هم هؤلاء الأشخاص الـ 11. ساعد إبراهيم الصغير بك السلطان في ارتداء معطفه المزدوج الصدر بثلاثة أزرار مع وضع طوق من الفراء حول عنقه. أمسك مساعد السلطان محمود بك بعصا مشي من خشب الأبنوس. وخرجوا إلى قصر طوبقابي سراي واجتمع الجميع في قاعة الجلوس.

ثم أتى مساعد السلطان محمود بك وقدم له عصا الأبنوس التي كان يستخدمها السلطان محمد وحيد الدين قبل 1597 يومًا عندما كان يصاب بىلاّم الروماتيزم، وذلك قبل حفل التتويج الذي أقيم في قصر باب المدفعية – طوبقابي سراي في 4 يوليو 1918 ؛ وقال مساعد السلطان محمود بك للسلطان وحيد الدين: **"هل نسيت يا سيدنا عصاك التي كنت تسير بها في قرية جنجل؟!"** حينها نظر السلطان محمد وحيد الدين إلى هذه العصا وقال: **"هذه كارثة" إنها نفس العصا. إنها صدفة غريبة كانت عصا الأبنوس هذه معي عندما كنت أعتلي العرش؛ وهي آخر شيء سأذهب به عندما أغادر مسقط رأسي؛ يبدو أنه ذهبٌ بلا عودة".**

ويكمل السلطان وحيد الدين رواية ما حدث فيقول: **"بدأ خير الدين بك يعد المراسم لرحيلي؛ ولم يكن يعلم أنها آخر مرة سيفتح لي بها الباب أو يعطني المظلة؛ الجو كان ممطرًا علقت المظلة فجأة علقت المظلة ورفضت أن تفتح، حينها واصلت السير تحت المطر الغزير ، غافلاً. وخطيت بضع خطوات أخرى ، وشعرت أن طربوشي كان مبلل بل أنني كنت مبللاً من رأسي حتى نهاية حذائي ، وواصلت مشيه دون أن أقطع أنفاسي. كانت سيارتا إسعاف وكتيبة حراسة تابعة للصليب الأحمر البريطاني تنتظر خارج الباب مباشرة. من عجائب القدر أن يركب سلطان الدولة العثمانية وخليفة المسلمين مع عائلته سيارات الإسعاف لينتقل بها. لم يعد النوادل هم الحراس المألوفون للقصر بالزي الرسمي الملون. وقفت عند باب كتيبة إنجليزية بقيادة كولونيل إنجليزي يدعى ستيل. كما حضر ماثيوز كبير المترجمين بالإنابة في المفوضية العليا البريطانية ، والملازم كيندال. بعد ذلك بقليل ، كانت مفرزة بريطانية أخرى قد بدأت في التدريبات الصباحية، حيث طُلب منهم القيام بالتدريبات بطريقة خرقاء وإعطاء جو من الضغط على سيارات الإسعاف التي كانت تقف أمام باب الكتيبة ليزعجونا. وقد أتت الأوامر إلى كتيبة العقيد ستيل بتوديع الملك الأخير في رحلته الأخيرة عن بلاده".**

1.3. في تمام الساعة الثامنة صباحًا

بعد ذلك غادرت سيارة الإسعاف التي كانت تقل السلطان وحيد الدين ، وبعد عشر دقائق ، غادرت السيارة التي وُضِع فيها الوفد والحقائب. ونزلوا إلى قصر دولمه يهتشه Dolmabahçe عبر نيشان طاشي Nişantaşı مرورًا بمزرعة Balmumcuبالمومجو واستمروا في السير نحو طبخانة Tophane.

تمركزت وحدة مسلحة من الإنجليز قوامها مائة شخص في رصيف دولمه بهتشه.

الجنرال تشارلز هارينغتون قائد قوات الاحتلال البريطاني. كان قد استيقظ في وقت أبكر من المعتاد في ذلك الصباح في منزله في طرابيا وتناول الإفطار في الرابعة صباحًا مع البيض ولحم الخنزير.

وبينما كان في طريقه إلى رصيف طوفان، جاء الجنود المرافقون لمرافقة عربات الإسعاف؛ لكنهم لم يكونوا على دراية بكل شيء. وقال أحد الجنود الإنجليز: **"ما هي هذه المهمة بحق الجحيم في مثل هذا الصباح الرديء؟"** كان الجنود يعتقدون أن الضباط سيوبخونهم.

كان القائم بأعمال المفوض السامي نيفيل هندرسون، ورئيس أركان هارينغتون، والجنرال هاستينغز أندرسون، والعقيد بيرد بالفعل في قفص الاتهام. مباشرة بعد تحيتهم إلي وقولهم لي: **"يا له من يوم رهيب يا جناب السلطان".**

ظهرت سيارة الإسعاف الأخرى، التي استقلت فيها الحاشية، وأصيب هارينغتون بقلق شديد. لم تكن سيارة الإسعاف التي كانت تقل السلطان محمد وحيد الدين، والتي كان من المفترض أن تغادر قبل وصول الأخرى بعشر دقائق في الجوار. بدأ ينظر إلى ساعته في كثير من الأحيان ليغضبويفكر ويقول: **"لا بد أنه حدث خطأ ما"** ، عندما وصل الحراس إلى الرصيف مع السيارة التي كان وحيد الدين يركبها. سأله هارينغتون عن سبب تاخره؛ فأجاب عليه:" **بأن إطار السيارة أنفجر وأضطر للإصلاحه بنفسه"**

بعد ذلك استقبل القائم بالأعمال والقائد الإنجليزي السلطان ببضع كلمات لطيفة ، لم يكن ذلك متوقعًا على الإطلاق. صعد على الفور إلى القارب البخاري وتوجه إلى البارجة الحربية المكشوفة خمس ملايا HMSMalaya.

كان الجنرال هارينغتون يأمل في أن يمنحه السلطان وحيد الدين تذكارًا صغيرًا بينما هو يبحر اسطنبولبأقصى سرعة نحو السفينة الحربية الإنجليزية. على سبيل المثال كان يتمنى أن يعطيه السلطان علبة سجائره الذهبية ويقول له: **"أرجو أن تتقبلها ذكرى لمساعدتكم اليوم لي! .."**؛ لكن هذا لم يحدث بل أخرج السلطان العلبة أخرج سيجارًا وأشعله وشربه ثم أعادها إلى جيبه. وطلب السلطان من هارينغتون أن يراعي أسرته وهي تصعد على سلم البارجة. وعندما صعد على البارجة أبلغه القائد هارينغتون أنه سيتوجه إلى مالطه. لم ينزعج؛ فقد تيقن بأنه قد تم عزله؛ وأنه لم يعد في مقدوره أن يدير اسطنبول من البحر كما كان يتخيل؛ كما أن الملك الإنجليزي جورج الذي يحكم كثير من الرعايا المسلمين؛ لم يكن ليسمح لأحد غيره بالإشراف على اسطنبول. ثم أتى قبطان السفية وقال للسلطان وحيد الدين:**"عليك أن تشكرنا أننا حافظنا على رقبتك من الشنق"**؛ وعن هذه الرحلة يقول رفعت باشا:**"عندما عرضت على السلطان وحيد الدين فكرة تنازله عن السلطنة وفصلها عن الخلافة؛ كنت أظن نفسي بأنني سأفعل عمل يدخلني التاريخ؛ حيث سأقنع السلطان وحيد الدين بالمجيء معي إلى أنقرة؛ وهناك نقوم بمحاكمته وإعدامه"**. ويقول السلطان وحيد الدين عن رفعت باشا:" **عندما علم برحيلي قبل بضعت أسابيع؛ أتى إلي وقال لي:" أذهب وأسترح"؛ وقال لي:" أن يوم رحيلك إذا وافق يوم**

الجمعة؛ سيكون يوم فرح بالنسبة لي"؛ وكم كان مشتاقًا أن يراني خارج البلاد؛ وقال لي:" لا تقلق سنبلغ أنقرة برحيلك". وعن ذلك يقول رفعت باشا في مذكراته عن صباح 17 نوفمبر:

"فكرت في المنصب. كنت أعلم أن كل قوة تبلى بعد فترة. إذا سجننا السلطان أو أعدمناه ، فسيراه الناس ضحية بمرور الوقت؛ وسيعتبروننا مذنبين. هذا الكلب عليه أن يتهم بالخيانة. لقد وجدت أنه من المناسب ترك الأمور تسير مع نفسها. وأعتقد أن الناس لن يغفروا أبدًا لسلطان هارب. في اليوم الذي هرب فيه ، قلت إن التدخل العسكري قد يسبب مشاكل للدولة الجديدة. لم أكن بحاجة إلى أي إعداد لذلك. بعد استقالة آخر حكومة عثمانية ، نمت في فندق ببرالي. كنت متعبا. في الساعات الأولى من الصباح عندما هرب وحيد الدين، جاء مساعد السلطان إلى غرفتي ليخبرني برحيل محمد وحيد الدين شعرت بحالة الاهتزاز والفرح شديد. ثم سألأت مساعد السلطان كم كان ثمن رحيله؟ فبكى وهو يروى القصة بصوت دامع. وطمأنته وقلت إنني على علم بهذا الشعور ".

وفقًا لرفعت باشا ، فإن رحيل السلطان وحيد الدين قد أعفى أنقرة من عبء قتله.
ويقول كذلك رفعت باشا في مذكراته رحيل السلطان وحيد الدين:**"كنا نلتقي في شقة 257 التابعة لمدرسة لونكار الفرنسية وعقد الاجتماع في نفس المكان يوم الاثنين التالي بعد رحيل محمد وحيد الدين. كان هناك لواءًا فرنسيًا إلى جوار القائد الإنجليزي هارينغجتون؛ ومعهم المترجم فوسيتوسي Vusitusi. بعد أن تمت مناقشة مستقبل الأيام ، وقف هارينغتون من وراءه مترجمه ، وبصوت ساخر إلى حد ما قال: "ها. أنا أخجل منك يا رفعت باشا لأننا اختطفنا لفونكار دون أن نسمح له بالرحيل". فقلت له:"كنت سأقدم الشكر لك يا سيادة القائد هارينغتون الآن أيضًا؛لأنك أنقذتنا من العبء محمد وحيد الدين"، ثم قلت له بصوت هادئ للغاية، بينما كنت آكل قفازي من الغيظ. أهدئ يا معالي القائد العام؛ فعند هذه الكلمة اهتز الجنرال هارينغتون وغضب ، ونسي مجاملته السابقة ، وسرعان ما نهض وغادر الغرفة".**

غير أن رفعت باشا لم تكن هذه طبيعته حيث قال أحد أعضاء اللغة الإنجليزية، الذي يعرف الكثير ، عن أسرار رفعت باشا في بعض مقالته التي نُشرت في السنوات التالية : **"قيل لاحقًا أن رفعت باشا كان غاضبًا من خروج السلطان وحيد الدين من اسطنبول؛ وأعتبر فعل محمد وحيد هروبًا من المواجهة. وكان شعوري في ذلك الوقت أنه كان من المستحيل على الكماليين ألا أن تكون لوكسبور دارًا للسلطان محمد وحيد الدين بعد رحيله، نعم كانت مغادرة محمد وحيد الدين هي الأنسب لهم؛ لكن بعضهم كرفعت باشا كان يمتنى موته".**

كتب الجنرال موريس بيلي ، المفوض السامي الفرنسي في إسطنبول ، في التقرير الموجه إلى باريس أنه في اليوم التالي لمغادرة السلطان وحيد الدين؛ ، **سأل رفعت باشا عدة أسئلة لنا: هل اختطف البريطانيون وحيد الدين؟ هل سيلعب دورًا سياسيًا مستقبلاً؟ هل كان مسموحًا له بذلك؟ وهل سيستقر أحدى في المستعمرات الفرنسية أوالإنتداب الإنجليزي؟ ونصح رفعت باشا لنا؛ بألا يسمح لمحمد وحيد الدين بأن يستقر في أي بلد مسلم في الوضع الراهن لأن استقراره في هذا البلد يهدد الأمن العام للحكومتين الإنجليزية والفرنسية؛ حيث أن وحيد الدين عزل بالقوة؛ لكنه لم يعزل نفسه؛ ولم يتنازل عن العرش العثماني بأي وثيقة مكتوبة لأحد؛ وأنه مازال ينظر لنفسه على انه خليفة المسلمين وسلطانهم؛ ولا يعترف بخلافة عبد المجيد أفندي؛ لذا فإن استقراره في أي بلد مسلم؛ قد يجعل الناس تلتف حوله؛ ويجدد المل لديه في إحياء ما ضاع من ملك أجداده".** وقد أخذ الفرنسيين والإنجليز نصيحة رفعت باشا بعين الإعتبار.

بعد سنوات من نفي السلطان محمد وحيد الدين أخبر أحد أقارب رأفت باشا صديقًا له: **"أن الأمير المصري وجدان حلمي يسعى إلى إقناع السلطان وحيد الدين بالذهاب بالذهاب إلى مصر"**؛ فقال رأفت باشا للسلطان وحيد الدين:" **إن الأعداء يتربصون بك في كل مكان فما المناع أن تذهب إلى مصر؛ لاسيما تهدأ الأمور في عاصمة دولتك؛ ثم تعود إليها مرة أخرى".** غير أن القائد العام والمندوب السامي البريطاني لقوات الإحتلال في اسطنبول القائد هارينغتون أصدر بيانًا رسميًا قال فيه:" **إن أوضاع البلاد باسطنبول والأناضول أصبحت تميل إلى الإستقرار؛ ومنعًا من عودة الفوضى إليها أو إحداث فتن في أماكن أخرى؛ لهذا لا يسمع للسلطان محمد وحيد الدين بالتواجد في كلا من اسطنبول ومصر؛ وبما أن السلطان دخل تحت الحماية البريطانية عليه أن يلتزم بشروط تلك الحماية".**

2.3.لغز مرصع بالجواهر

لنأخذ استراحة قصيرة مما حدث في تلك الأيام في قصر يلدز ، البارجة مالايا التي حملت السلطان وحيد الدين للمنفى ومالطة ونذهب إلى أنقرة عام 1951 ، بعد 29 عامًا؛ من رحيل وحيد الدين.

لقد كتب الكثير وتحدثنا عن حقيقة أن وحيد الدين أعاد قطعة ثمينة للغاية تخص خزينة القصر والدولة وبقيت في عهدته قبل أن يغادر البلاد، إلى الخزانة مقابل إيصال.

ما كانت هذه القطعة مختلفة للجميع. قيل أنها صينية من الذهب الخالص ، قيل أنها علبة سجائر مرصعة بالجواهر ، أو القرآن بخط الخطاط عثمان حافظ أفندي أو لوحة العنصر المعني جوهرة. كما تم التغاضي عن أن لديه كل درج وأن قضية التسليم أكدتها الجهات الرسمية بعد سنوات ، في عام 1951.

وقع الحادث على النحو التالي:

في ربيع عام 1951 ، كانت هناك مسألة الخزائن غير المفتوحة على جدول أعمال أنقرة. ثلاثة أقفال منفصلة في البنك المركزي ووزارة المالية؛ ولكن بالبحث والجرد عرضت مجوهرات عائلة السلطان عبدالحميد الثاني المصادرة؛ وأما من عهد السلطان محمد وحيد الدين فقد تبين وجود الدرج المرصع الذي أمر باعادته في قسم الموجوهرات في متحف قصر طوبقابي؛ وأماك الصحفيين تبين براءة محمد وحيد من أخذ شيئ يعود للدولة أثناء رحيله. ولكن الذي حدث أنه في عام 1927م نقلت موجوهرات الأسرة العثمانية من قصورهم؛ وحفظت في كتحف قصر طوبقابي للعرض. وفي تلك الآوانة تم تسليم كافة مفاتيح القصور العثمانية لخزانة المالية بالجمهورية التركية. غير أن المرحوم خليل أفندي مدير عام قطاع المتاحف في الفترة من 1926-1927م؛ قدم تقريرًا للحكومة عن ضرورة وضع مفاتيح القصور العثمانية وموجوهرات العائلة السلطانية في المتاحف؛ لما تمثله من أهمية تاريخية. وكانت محتويات ثروات ما تبقى من حلي عبارة عن دبابيس صدر وعقود وأحجار كريمة ومصاغ وبعض العملات الذهبية والفضية التذكارية التي تخلد أحداثًا سياسية أو اجتماعية في التاريخ العثماني. افتتحت أول خزنة في وزارة المالية في 5 مايو1926م . لنقرأ التفاصيل من جريدة وطن بتاريخ 6 مايو:

"تم وضع الأشياء الفنية الثمينة في خزانة الخزانة العامة لوزارة المالية بالجمهورية التركية بتاريخ 5 مايو 1926م وتحديدًا في تمام الساعة التاسعة صباحًا. وحضر كل من رئيس مجلس النواب ونائب رئيس الوزراء ووزير العدل ورؤساء مجلس الدولة وديوان الحسبة واعضاء بارزين في الجمعية الوطنية وأعضاء من مكتب الرئاسة ونقابة الصحفيين؛ ونزلنا إلى القبو في الطابق الأرضي من مبنى المالية. ولم يحضر نائب رئيس مجموعة حزب الشعب الجمهوري فائق أحمد باروتسو وأفني دوغان على الرغم من دعوتهما ".

3.3.يصف المراسل العناصر الموجودة في الخزنة على النحو التالي

"... بعد إزالة الجمع الأحمر أيضًا ظهر صندوق مربع ودرج مطرز من خشب الجوز ، وعثر بالداخل على صينية ذهبية رائعة وصينية وزنها 843 جرامًا بغطاء مطرز ومزخرف حولها ومقبضها مرصع. وإبريق شاي ذهبي؛ وعند مرور الضوء على هذه الأواني بدأت سلطانية السكر والصحون الذهبية والملاعق الذهبية تتألق بشكل لامع ، وتمت قراءة العلامات التجارية والأرقام .. طقم من الذهب صنع في اسطنبول.

كنا نشهد شيئًا جديدًا مع كل صندوق يتم فتحه. في غضون ذلك ، كان هناك 12 مغلفًا ذهبيًا لفنجان القهوة والصحن، ومجموعة أكواب ذهبية مغلفة. صينية فضية ضخمة بحافة مطلية بالذهب، وطقم شاي من الذهب الخالص، وإبريق بغطاء ووعاء حليب. وخلفه مجموعة صناديق حلويات ذهبية أوروبية الصنع وملاعق معلقة حول وعاء الحلوى الدائري. وتمت مصادرة هذه الأعمال الفنية لصالح ثروة الشعب. وبخاصة السلع الذهبية المحلية التي تنتمي إلى تلك الفترة الحزينة. ومن الصندوق الثالث وجدنا المزيد من التحف. مع فتح كل صندوق ، ارتفعت أصوات الشيش. اسمحوا لي أن أذكر القليل: هزازات الملح المرصعة بالماس والياقوت والخردل. وعاء وملاعق وأكواب ذهبية وصحون ذهبية. لكن الزجاج له غطاء أيضًا. الجزء العلوي من الغطاء مزين بالماس والمينا وماء الذهب. مغلفات كؤوس متماسكة من بار هولندي متلألئ وطبق ومغلفات أكواب مطلية بالمينا في صندوق ومغلفات مطرزة باللآلئ والزمرد. أما الكتب التي كانت تخصهم في فترة الحكم ليست هي نفسها الكتب الـ 31 التي تم نقلها من الأرشيف إلى الهيئة. تم إجراء التحقيق الذي أجريناه في قصر دولمه بهتشه بصفتنا لجنة تدقيق حسابات الجمعية الوطنية الكبرى على الدفاتر وفي عام 1948م انتهت أعمال الجرد ويوجد ما يقارب 785 ألف قطعة أثاث منها ما هو موجود بقصر دولمه بهتشه وقصور أخرى بأنقرة كانت خاصة بالعائلة العثمانية".

بل تم العصور على آثار تعود إلى عهد السلطان سليم الأول وقد قيدت وحصرت في نفس التقرير وفي يذكر صالح كيجحي أيضًا تعدادًا تم إجراؤه في قصور دولمه بهتشه قصر البكلركية بعد نفي الخليفة عبد المجيد أفندي ويستخدم تعبيرات ذات مغزى حول هذا التعداد. يتحدث عن أنها آثار في حالة جيدة للغاية:

"عندما غادر الخليفة القصر، تم تسليم محاضر التصميم التي تم إجراؤها في قصر البكلركية و ودلمه بهتشه إلى لجنتنا. وكان هناك ضباب بسبب إصدر القرارات المتضاربة بين قطاع المتاحف الأثرية ووزارة المالية في ذلك الوقت. حيث كانت القصور تابعة لوزارة المالية. هناك توازن بين الدفاتر التي تم إعدادها بعد إحالتها إلى الجمعية الوطنية الكبرى والقرار الأول. في الدفاتر الأخيرة ، لم تؤخذ في الاعتبار طبيعة البضائع ، والعلامة التجارية التي تحملها ، وتوقيعات اللوحات ، ويتم وصف السلع المعدنية والخزفية بأزهارها البسيطة. مما جعل أشياءًا ثمينة لا تقدر بثمن تباع برخص التراب. منذ أن تم بناء قصر دولمه بهتشة من قبل عبد الحميد عام 1854 ، تمت مصادفة الأثاث والأدوات المنزلية والبورسلين والأشياء الثمينة التي تم إحضارها من جميع أنحاء أوروبا ، بدءًا من ذلك التاريخ ، في هذه الأثناء. التحقيق لا يزال جاريا في القصر. وسيرفع التقرير في نهاية هذا الشهر للجنة الوطنية".

في نفس الأيام ، اهتزت بعض الدوائر في اسطنبول وأنقرة من شائعة المرآة. بطل الحدث هو عضو بارز في الحزب الشعب الجمهوري الحاكم آنذاك. يُقال أنه أثناء زيارة هذا السياسي لقصر دولمه بهتشة كان معجبًا بمرآة بلورية كبيرة الحجم بإطار مطوي وأمر بإرسالها إلى منزله بأنقرة ،.

وتبدو شائعات أخرى على نفس المنوال ، ويقال أنه حدث نهب للقصور في مارس 1924 م، أي بعد نفي الأسرة العثمانية مباشرة. لا نعرف ما إذا كانت الإشارة في تصريح صالح كيججي مرتبطة بهذه الأحداث أم لا.

كتبت صحف 7 مايو أن الخزنة في البنك المركزي ستفتح في اليوم التالي وأن المديرية العامة للصحافة والإذاعة ستقوم بتصوير الافتتاح.

لكن الخزنة لا يمكن فتحها في ذلك اليوم أيضًا ، لأن المفاتيح الموجودة في متناول اليد لا تناسب القفل.

حالة الكتب والأحجار الخاصة بمكتبة يلدز وكنوز قصر طبوقابي سراي ، فضلاً عن كونها غير مكتملة وخصبة مقارنة بقوائم جوهرة القصر؛ إلا أن العالمانيون في تلك المرحلة كانوا يقومون بتحقير الثروات والتاريخ العثماني ثم يستولون عليها لأنفسهم؛ ويقومون ببيعها بثروات طائلة بدعوة أنها غائم من العهد البائد؛ ويكأنها ليست ملكًا للشعب الذين تم تكليفهم بحمايتهم؛ لذا كان على الدولة أن تحل مشكلة النهب الذي حدث للقصور العثمانية. والمشكلة هي أنه لا يمكن فتح الخزنة العامة للمالية لعرض ثروات الأسرة العثمانية إلا في 27 مايو. وهو يوم إجازة من مجلس الدولة، وقرأ من الصحف أن المفتاح الخاصة بالخزينة العثمانية في مجلس الدولة لا يمكن العثور عليه، ويأتي الخبر من الرئاسة إلى وزارة المالية بأن مكان المفتاح المفقود موجود إنه في درج مغلق داخل إحدى الخزائن في مجلس الدولة ... والخزنة مفتوحة، هذه المرة لا يمكن العثور على مفتاح الدرج الخاص بها ويتم كسرها عندما يتعذر العثور عليها. وفي عام 1935 ، بعد جرد قصر طوبقابي، تم نقل بعض الجواهر إلى أنقرة وهذه المرة من قصر Dolmabahçe ، وتم وضع تقرير التحويل في هذا الدرج.

رئيس مجلس الدولة ، صلاح الدين أوده باشي أوغلو يبلغ رئيس المجلس النيابي رفيق كورالتان ، بالوضع وفي 27 مايو ، جنبا إلى جنب مع الصحفيين الذين تديرهم الدولة الذين حضروا الافتتاح السابق ، نزلوا إلى الطابق السفلي من غرفة القبو في البنك المركزي. تناسب المفاتيح الخزنة ، ولكن نظرًا لعدم استخدام الخزنة لسنوات ، يمكن فتحها بالقوة.

أولاً ، يتم فتح الخزنة الرئيسية في القبو؛ الصحف تعطي تغطية واسعة لموضوع ما خرج منها في نسخ اليوم التالي. الإشاعة التي تقول إن المجوهرات أحضرت إلى أنقرة لبيعها في الوقت المحدد أصبحت الآن حقيقة؛ حيث لم يتم العثور على المجوهرات التي جلبت من قصر دولمه بهتشه.

"تمت إزالة العلب والأشياء الموجودة في عبوات مغلفة جزئيًا. في الغلاف الأول غير المغلف ، تم العثور على جوهرة السلطان عبدالعزيز وشعار به حجر كبير مفصول من الماس في الوسط. وفي الصندوق الثاني ، حمل السلطان عبد العزيز ختامه إلى منزله للختم بإصبعه وكانت معه حتى وفاته. تم العثور على خاتم به حجر ياقوت كبير بعد أن تبين أنه قد سرق من قبل. لون هذا الخاتم رائع وقيمته عالية جدا بقيمة 120 ألف ليرة. ومرة أخرى ، حزم صغيرة ظهرت وهي مغلفة بأكياس صغيرة في ضمادة وفهم من الملصق أنها ياقوت سماوي وأحجار كريمة. تقرر فحص محتويات الخزنة التي تحتوي على العديد من العناصر في يوم آخر. تم العثور على تفاحة صانع الملاعق الشهيرة وزمردة صغيرة في الخزائن. يبدو أن هذا الزمرد هو قمة الترصيع بغطاء الصندوق. تمت مقارنة العناصر التي خرجت بالقائمة. عندما تم فتح الخزنة أعلاه ، لوحظ وجود العديد من الصناديق والأدراج بالداخل. تم فتح اثنين منهم فقط. يحتوي أحدهما على كأسين من المينا للشربات والآخر يخص عبد الحميد الثاني وعليه علامة عبد الحميد القديمة".

وكل ما سبق معروض بجريد الوطن بتاريخ 28 مايو ؛ على لسان رئيس لجنة الجرد صالح كيججي
"لقد راجعت معلومات صالح كيججي عن هذه المجوهرات ، وقدم لي الشرح التالي في هذا الشأن:

- تمت مقارنة عدد قليل من العناصر المكتشفة اليوم بالسجلات المتاحة ووجد أنها لا بأس بها. لا يمكن النظر في العناصر الأخرى. على الرغم من أن الزمرد الكبير ، المعروف باسم آبتشاراغ "ebçerağ" ، يزن 3277 كيلوجرامًا ، ولم يتم العثور الزمرد الذي يزن كيلوغرامًا ونصف الكيلوجرام و 500 جرام حتى الآن ، إلا أنه يجب العثور عليهما في هذه الخزنة. درج المسنة والمراسة ، الذي يظهر في الخزنة أعلاه، عبارة عن درج مجوهرات. يُقال أن هذا الدرج كان موجودًا في متحف عبد الحميد الثاني في قصر يلدز. هذا الدرج هو الذي تم إرجاعه إلى خزانة همايون بمساعدة رفيق بك ، ووكيل الخزانة ، قبل هروب آخر سلطان عثماني وحيد الدين. أتوقع بشدة أن العنصر المطلوب سيظهر في هذه الخزائن وفقًا للقوائم. يتضح من الصعوبة في وضع الافتتاح اليوم أن الخزنة الكبيرة من وزارة المالية لم يتم فتحها لفترة طويلة".

- ما هي العناصر الأخرى التي تتوقع خروجها؟

"وفقًا للقائمة ، من المفهوم أن هناك أشياء ثمينة جدًا بخلاف القطع الكبيرة من الزمرد. من بين هؤلاء ، يجب أن تكون هناك مجموعة من الشمعدانات الثمينة التي قدمها السلطان عبد المجيد الأول كهدية إلى إلى المدينة المنورة".

كانت البارجة مالايا في سلالتنا في الساعات الأولى من صباح يوم 20 نوفمبر. راسية في ميناء مدينة Silcma سلجمة . وقال الحاكم العام اللورد بليسمر الذي استضاف المنفيين منأسرة آل عثمان للسلطان وحيد الدين: **أن المالطيين دائمًا ما يستقبلون المنفيين الذين أجبروا على دخول الجيزة تحت سن الحراب لعزلهم عن عروشهم و استضاف ضيوفهم في معسكر الاعتقال أو القلعة"**، وقال له السلطان وحيد الدين ذات مرة:**"أنه لم يتنازل عن العرش أو الخلافة؛ ولم يهرب"**

ويكمل السلطان محمد وحيد الدين فيقول بمذكراته بالمنفى:**" تم تناول الغداء على متن البارجة. كان هناك ثلاثة أشخاص على الطاولة: أنا ، والأدميرال السير أوزموند دي بوفوار قائد البحرية المتوسطية ، واللورد بلومر الحاكم العام. بعد العشاء ، ذهبنا إلى الشاطئ بواسطة باخرة. رافقني الحاكم العام إلى المكان المخصص لمقر إقامتي أي لى ثكنة بيني العسكرية ، التي كانت تستخدم كسكن للضباط البريطانيين في جزيرة مالطة. تم تجهيز شقة من ثماني غرف لي ولمن كانوا معي في ثكنات محاطة بأسوار تمتد إلى الداخل من الشاطئ؛ كأنها السجن العالي الأسوار".**

قضى السلطان وحيد الدين 45 يومًا من منفاه بجزيرة مالطة الذي استمر 1275 يومًا، اي الذي استمر حتى وفاته ، وظل في ثكنة بيني حتى 5 يناير 1923.

يوم الاثنين 20 نوفمبر 1922، عندما وطأت قدم السلطان وحيد الدين جزيرة مالطة ، كتبت صفحة جديدة في التاريخ التركي ، وعقد حفل افتتاح مؤتمر السلام في لوزان في صباح نفس اليوم.

الرسالة الأولى التي أرسلها السلطان وحيد الدين من مالطة إلى روملي حصار حيث ابنته صبيحة تظهر بوضوح نوع الحالة المزاجية التي كان يعيشها. كان عقله غارقا في الأفكار البائسة. الانفصال والألم كافيان لمنعه من تكوين جملة مناسبة. الأب المضطرب ، الذي لديه فضول بشأن الأسرة التي تركها وراءه ، يتحدث في سطوره.

إليكم الرسالة الأولى التي أرسلها محمد وحيد الدين من المنفى:

"ملاكي صبيحة ، العبارة التي ستسلم رسالتي إليك على وشك المغادرة. خربشت هذه الورقة على عجل وأرسلتها بالبريد. أنا تعيس جدًا لفراقكم. أنا متأكد من أنك ستعذري والدك حين تعلمي حقيقة ما حدث

معي. حقيقة أن الجمل في عقلي مثل أفكاري تمامًا بعيدة كل البعد عن الارتباط ببعضها البعض وأن الطريقة التي يتم كتابتها بها لا يتم التعبير عنها بشكل صحيح. اسمحي لي أن أتحدث عن وضعي الخاص أولاً. الحمد لله أنا و أرطغرل ابني الصغير بصحة جيدة وعافية. إقامتنا المؤقتة في مالطة مريحة للغاية وسلامتنا ورضانا استثنائيان. إن التبجيل الذي نراه الآن مطمئن للمستقبل، على ما أعتقد. شاغلي الوحيد هو الوضع الحالي للأسرة ومعاناتي هي الشوق الطبيعي وألم الانفصال عنكم. إن شاء الله ، في القريب العاجل ستصدر منظمة العفو الدولية إقامة دائمة في المستقبل القريب ويجب أن تكونوا معي. أحاول إحضار أفراد عائلتي معي. سأعطيكم تفاصيل عن هذا في رسالتي الثانية والثالثة. على الرحب والسعة يا جميلتي".

قبل يومين من تاريخ هذه الرسالة؛ توجد عبارة

قادم من اسطنبول إلى مالطة ..... الصفحة الثانية مفقودة والرسالة الأولى التي كتبها السلطان وحيد الدين بعد مغادرته البلاد تنتهي هنا.

خلال السنوات الثلاث والنصف التي قضاها السلطان وحيد الدين في المنفى ، كان ينفتح فقط على ابنته ويعبر عن مشاعره في الرسائل التي يرسلها إليها.

رد صبيحة سلطان على هذه الرسالة المؤرخة في 2 يناير 1923 يعكس حالة القصر الذي تركه السلطان وحيد الدين وراءه. الأيام الحزينة للعائلة ورجال الحاشية لم تأت بعد:

"والدي العزيز والغالي لكي لا أزعجك كثيرًا ، لن أكتب مشاعري التي تفيض وتفيض من قلبي إليك؛ وأنا اكتب لك هذه الأسطر من خلال جمع كل قوتي وثباتي هذه المرة. أضع رسالتك أمامي. سأجيب على اسئلتك واحدًا تلو الآخر لمعالجة مخاوفك ، وأعتقد أن هذه الدرجة جيدة جدًا في الرد عليكم جيدة جدًا كي تطمئن. في اليوم الثالث من مغادرتك ، تلقى أخي خطابًا من الجنرال هارينغتون يعلن فيه إشعارك الطبي ووجودك في مالطة. جعلنا نبتسم قليلاً. الآن أفصل لك وضعنا نحن في سلام تام مع رسالتك. شكرا لك نحن سعداء. في أول جمعة ، كانت صحتك في حالة يرثى لها بالفعل. على الرغم من أننا نجحنا في طلباتنا إلا أن القائد الإنجليزي أصر على أن نترك القصر السلطاني يلدز ، وقال لنا:" بأنه يرعانا ولا يستطيع أن يفعل اكثر من ذلك لعائلة السلطان المعزول...لا تشعر بالأسف على وضع أولئك في يلدز. حاليا. حتى الآن، حدث كل شيء بشكل صحيح ، بصرف النظر عما كان يعتقده ويفكر فيه البعض. القصر هو القيادة المركزية منذ اليوم الأول وضع قصر يلدز تحت الحراسة من قبل إدارة الشرطة. قال. تم إغلاق غرفة الضريح ومقر إقامتك الدائمة وبعض الشقق في الخارج. شقتك الخاصة، فهم يحافظون تمامًا على حالتهم القديمة. بقي كل شيء كما كان من قبل في القصر. يتم إدارة إطعام أفراد الاسرة من قبل الحكومة. ورئيس الأطباء رشاد

باشا دائمًا ما يعاودنا. كأنه لم يترك مهامه معك. يوم السبت الماضي مع ممرضتي ، طلبنا من القيادة المركزية الإنجليزية أننا نريد الذهاب إلى قصر يلدز لزيارة والدتنا وما إذا كان ذلك ممكنًا. عندما حصلنا على الجواب ، "لا توجد عقبة" ، ذهبنا. في ذلك الوقت لم نتلق رسائلك بعد. لقد تلقينا الأخبار السارة بصحتك ، والتي علمناها فقط من خلال الجنرال هارينغتون. الحمد لله أن عقوبتهم لك حتى الآن جيدة. يوم الأربعاء الماضي ، أحضر مساعد هارينغتون مظروفين باسمي واسم أختي. كان فيه مظروف لأمي وأمين الصندوق الثاني ورسالة تخص عائلة الطبيب رشاد باشا. عندما تلقيت رسالتك التي جعلتني أبكي لساعات بين الحزن والرضا ، ذهبت مباشرة إلى قصر دولمه بهتشة في اليوم التالي. لقد قدمت أوامرك إلى والد زوجي عبد المجيد أفندي. لن أنسى أبدًا هذه اللحظة في حياتي. من الجميل أن ترى الجزء الذي يخصك. لقد عرضت رسالتك عليه لقد رأيت أنه من الأنسب أن يراها وعندما رآها قرأها بجدية وحزن شديد وبكى. رأيت ذلك بعيني. كن أكثر حساسية في مثل هذه اللحظات. ويبدو أنه كان متعبًا والقدرة على القلق آخذة في الازدياد معه. في مثل هذا الوقت اللطيف والحزين ، الشخص الذي يهتم بألمي ، رؤية عيني تبكي عزاني قدر المستطاع خلال هذا الوقت. لقد وعدوا أنهم سيحاولون تلبية رغباتك قدر الإمكانمن قبل الحكومة فقط. أخبارنا القائد العام الإنجليزي أن امي تتألم؛ وان الطبيب يعاودها؛ يا أبي ، إذا كتبت لي مرة أخرى ، أود الحصول على قائمة بأسماء الأشخاص الذين ترغب في اصطحابهم إلى مالطة. لا أحد يعرف ماذا سيحدث أو ماذا سيفعل بنا؟ فالمستقبل هنا مجهول. ابلغنا القائد العام الإنجليزي أنك تستطيع أن تأخذ ما يقارب من 35 شخصًا من العائلة العثمانية معك؛ فأرجوا منك المشورة فيمن ستأخذه معك غلى مالطة. بينما أكتب إليك، أشعر وكأنني في حضورك. أنا فقط لا أستطيع وضع القلم جانباً.بعد إذنك ، سأتركه هنا لأكتب مرة أخرى في غضون أيام قليلة. عدت للكتابة والدي الذي أحبه أكثر من أي شخص آخر في العالم. ابنتك التي تحتضنها بحب متزايد ، تقدم احترامها وتشريفها وشوقها إليك. 2 إبريل 1922م.

ابنتك صبيحة"

4.3.بريد إمام مرسل من أنقرة

ألغيت السلطنة قبل 16 يومًا من رحيل السلطان وحيد الدين ، لكن الخلافة لا تزال قائمة ومحمد وحيد الدين؛ مازال الخليفة حتى الآن. كان رد أنقرة على رحيل وحيد الدين هو إحضار شخص آخر إلى الخلافة مكانه؛ ألا وهو عبد المجيد أفندي الذي قبل بفصل الخلافة عن السلطنة أثناء وجود وحيد الدين في اسطنبول؛ وقبلت به حكومة انقرة خليفة؛ لكن وجود وحيد الدين باسطنبول حال دون إتمام هذا المشروع؛ حيث أن الخليفة

الشرعي مازال قائمًا؛ ويرفض التنازل عن الخلافة؛ لذا كان رحيل وحيد الدين عن اسطنبول؛ حجة قوية لحكومة أنقرة لاعلان البيعة الرسمية لعبد المجيد أفندي من داخل اسطنبول على الخلافة.

تم نزع صفة الخلافة من محمد وحيد الدين بفتوى في 18 نوفمبر من قبل شيخ الديانة في حكومة الثورة بأنقرة. أعطى نائب قونية وهبي أفندي شيخ الإسلام الفتوى ، وصوت المجلس النيابي بأنقرة على قبول نص الفتوى ولكن بعد تغيير بسيط في هيئتها. وبهذا التصويت كانت تتم دبلوماسية جيدة وتبين أن قرار الجمعية الوطنية الكبرى كان فوق الفتوى. حان الوقت لاختيار الخليفة الجديد. شارك 163 نائباً في الاقتراع السري الذي أُجري في 19 تشرين الثاني / 19نوفمبر ؛ بينما حصل عبد المجيد أفندي على 148 صوتًا ، مقابل عبد الرحيم أفندي وسليم أفندي من أبناء السلطان عبدالحميد الثاني؛ إذ كانت البيعة بين ثلاثة أشخاص؛ واختار المجلس عبدالمجيد أفندي لكونه أكبرهم سنًا حيث حصل عبد الرحيم أفندي على صوتين ، وحصل سليم أفندي على ثلاثة أصوات. وامتنع تسعة نواب عن التصويت.

وبينما كانت المفاوضات جارية ، رحب بعض الأمراء بعبد المجيد أفندي. حاولوا تحذيره من قبول اللعنة. توسلوا إليه ألا يأخذ الخلافة بدون سلطنة أو عرش أو تاج. حتى. حاول سليم أفندي ، الابن الأكبر للسلطان عبد الحميد الثاني، لفت انتباهه إلى ما قد يحدث في المستقبل ، قائلاً له: **"حتى لو قبلت مثل هذا المنصب ، فإن نجاحك سيكون مؤقتًا وسرعان ما ستعاني مصيرًا أكثر كارثيًا من مصير سلفك محمد وحيد الدين خان؛ فإن قبول منصب الخلافة بدون سلطنة يعني إلغاء منصب الخلافة في المستقبل القريب ".**

ورغم كل التحذيرات ، وافق عبد المجيد أفندي على قرار الجمعية الوطنية دون أي اعتراض وأصدر إعلانًا يخاطب العالم الإسلامي في اليوم التالي. وقال إن الجمعية أثبتت نضجها وتفهمها وسيطرتها ، وشكرها على وصوله إلى هذا المنصب ، وتمنى السعادة للعالم الإسلامي.

أقيم حفل البيعة لعبد المجيد أفندي في 24 نوفمبر في قصر طوبقابي سراي كما حضر الحفل مجموعة من النواب من أنقرة ، وتليت خطبة باسم عبد المجيد في مسجد الفاتح. ولم يحضر الشريف المقيم في اسطنبول، أي أحفاد الرسول –صلى الله عليه وسلم-، مراسم البيعة لسبب ما.

حتى أثناء البيع ألف مصطفى بيل نشيدًا خاصًا لعبد المجيد أفندي قال له فيه**:" أسعد الله ايام مولانا الخليفة ودام ظل أمير المؤمنين؛ خليفة عادلاً؛ ورمزًا دينيًا"** أي أنه نزع عنه صفة السلطنة

غير أن قرار أنقرة ببيعة عبدالمجيد أفندي قوبل بالرفض من قبل أكبر جالية إسلامية في العالم أي المسلمون الهند. كان أمير مكة الشريف حسين ، الذي كان قد بدأ الحديث عن الخلافة وحقه فيها في ذلك الوقت يعلوا، بالرغم من كونه خائنًا في خدمة البريطانيين في نظر الهنود، إلا أنه كان مفضلاً لدى بعض ممثلي الجاليات

الإسلامية في اسطنبول. وفي تلك اللحظة أعلن شيخ الإسلام مصطفى صبري أفندي رأيه في خلافة عبد المجيد أفندي وهو أحد شيوخ السلطان وحيد الدين وكان مع السلطان وحيد الدين لفترة من الوقت خلال أيام نفيه:

"... في مثل هذه الخلافة الخارجة عن العقل ، لا يمكن أن يكون قداسة عبد المجيد أفندي ممثلاً للنبي-صلى الله عليه وسلم- ، ولا حتى الشيطان ، لأنه حتى الشيطان لا يقبل مثل هذه الحركات؛ فلا خلافة بلا سلطنة".

وأرسل شيخ الإسلام مصطفى صبري أفندي من المنفى إلى عبد المجيد أفندي يقول له:

"... صاحب السعادة عبد المجيد أفندي ، عندما تمرد مصطفى كمال على السلطان الراحل محمد وحيد الدين وحكومته في الأناضول. لا داعي للتكرار هنا إلى أي مدى دعم مصطفى كمال هذا التمرد سراً وعلناً، وكيف استقبل مصطفى كمال بحماسة القائد المثير للشفقة (رفعت باشا) الذي أجبر السلطان الراحل (وحيد الدين) على الهجرة من اسطنبول؛ ولو ليوم واحد. المادة الموعودة التي ستبقى شاغرة هي من منكما السلطان أنت أم مصطفى كمال؛ إن السلطان محمد وحيد الدين؛ رفض تسليم السلطنة لمصطفى كمال؛ لكنني أعلم أن مصطفى كمال رغبك ومناك وهي غنيمة لن تجد منها شيء؛ فمن غدر بالول يغدر بالثاني؛ فما بالوك وأنت تسلم سلاح السلطنة درع الخلافة إليه؛ إذًا ما الذي يمنعه من إلغاء مقام منصب الخلافة بعد أن صارت شرفية ، الذي أساء إلى من أمنه من أجل تحقيق النصر شخصي، لن يبقى على حكومة الخلافة؛ وخلافة بلا حكومة يعني وضع نهاية لمقام الخلافة وليس لك أنت فقط. وحقيقية بهذه الطريقة؛ بهذه الطريقة سيقضي عليك وعلى الخلافة مصطفى كمال؛ فلا تقبل ما يعرضه عليك".

عُزل والد عبد المجيد أفندي ، السلطان عبد العزيز ، في عام 1876 ، وبعد ذلك التاريخ ، كان أبناء شقيق عبد العزيز الأكبر ، السلطان عبد المجيد ، يجلسون دائمًا على العرش العثماني. حتى بدون العرش ، انتقلت ملكية القصر من أبناء عبدالمجيد الأول إلى أبناء عبدالعزيز خان بعد توقف دام 46 عامًا. عبد المجيد أفندي قال لـ "رأفت باشا" قبل أسابيع قليلة: **"خلافة بلا سلطنة؛ يعني سلطان بلا تاج؛ وعرش بلا دولة". حينها** نظر رأفت باشا إلى عبد المجيد أفندي وقال له:**" تذكرت أن سلفكم السلطان محمد وحيد الدين رفض تسليم صلاحيات السلطنة لحكومة أنقرة؛ حتى أنه قال لرفعت باشا مندوب حكومة انقرة:" يمكنك التأكد من أنه حتى أضعف فرد في عائلتنا لن يقبل ذلك؛ يا باشا! "لقد أثبت الوقت خطأ وحيد الدين؛ وأن هناك من يقبل ذلك من البيت العثماني".** حينها صمت عبدالمجيد أفندي وهو يكتم غيظه؛ فلم يعد بقدرته حتى الرد على باشا ينتقده؛ فقد جرد من سلاح السلطنة.

ولما وصل خبر تولي عبدالمجيد أفندي الخلافة بلا سلطنة إلى السلطان وحيد الدين في المنفى بجزيرة مالطة غضب غضبًا شديدًا من قرار الجمعية الوطنية؛ وقال جملته الشهيرة:**" هل كانت الخلافة والسلطنة معًا مجيدية وليست عزيزية؟!".** غير أن وحيد الدين كتب عن هذه الأيام قائلاً:" **عبدالمجيد أفندي يتولى الخلافة بلا سلطنة؛ مما يعني أن الخلافة إلى زوال".** وبدأت الصحف في اسطنبول تقارن بين عبدالمجيد أفندي ومحمد وحيد الدين؛ وبدأوا يقولون على صفحات جرائدهم:**" الفرق بين الإثنين؛ أن عبد المجيد أفندي قبل أن يكون اسمًا لا فعلاً؛ وأن محمد وحيد الدين رفض أن يكون اسماً فقط؛ فرحل وهو مقهور عن البلاد؛ بعد أن ارغم على ذلك؛ بينما عبدالمجيد أفندي فضل البقاء مع خلافة منزوعة الصلاحيات وتنتظر مستقبلاً مجهولاً".** بالفعل كان عبدالمجيد أفندي يغضب مما يقرأه في الصحف من تهكم عليه؛ كان يظن أنهم سيمدحونه؛ لوقوفه مع حكومة الثوار في أنقرة؛ لكن يبدو لي أن هذا الأمر كان مدروسًا؛ لإجبار العائلة العثمانية على الرحيل وترك الحكم بمحض إرادتها؛ وحقيقة أن العصر الجديد؛ كان من المحال عليه أن يعود بعقارب الزمان إلى الوراء.

5.3. الطريق إلى مكة والحجاز

في تلك الآوانة فكر السلطان وحيد الدين في ترك مالطة والإتجاه للسكن في الحجاز وبخاصة في جدة أو مكة؛ رغم حرارة الشمس الملتهبة فيهما.

بقي وحيد الدين في جزيرة مالطة وحيداً لمدة 45 يومًا وخرج مرتين فقط من الفيلا المخصصة لإقامته ؛ في 27 من نوفمبر ، قام اللورد بلوميرل ، نائب الملك الإنجليزي، برحلة بالسيارة ، وتجول في الجزيرة ، ثم سافر وحيد الدين مع اللورد إلى سان أنطونيو شربا الشاي بعد الظهر في مقهى رافي. في ليلة رأس السنة الجديدة في عام 1923 ، حضر أيضًا القداس الذي نظمته الكنيسة؛ حيث أصرت الكنيسة وممثليها بجزيرة مالطة على حضور السلطان وحيد الدين ثم دعى اللورد سان أنطونيو السلطان وحيد الدين للعب الكرة؛ لم يستطع أن يرفض أي عرض أو دعوة مقدمه إليه من طرف الإنجليز لا داعي للتفكير في كيفية قبوله للدعوة إلى الكرة وكيف شعر أثناء هذه الدعوة ...؛ هذا ما دفع السلطان وحيد الدين في التفكير بالحجاز.

قبل الانتقال إلى تفاصيل الرحلة ، من الضروري معرفة الوضع في الحجاز في تلك الأوقات.

كانت الحجاز تحت حكم الشريف حسين بن علي. كان الشريف حسين قائد الثورة العربية التي اندلعت خلال سنوات الحرب العالمية ألأولى وأعلن أميرًا للحجاز عام 1916 وأميرًا للجزيرة العربية عام 1918. كان له العرش ، وكان شريفًا ، أي أنه من نسل النبي-صلى الله عليه وسلم- ، ولم يبق لديه سوى شيء واحد: الخلافة.

لم يستطع الحصول على أي وعد بالخلافة من الإنجليز بخلاف لقب "الملك" الذي سيُعطى لـه. وهو بالفعل اسم لم يكن على مسمى لم يقبل به المسلمون خليفة عليهم حتى أهل الحجاز كانوا منقسمين حول قبول خلافته، بل قوبل بالكره في العالم الإسلامي ، فمثلاً في نظر المسلمين بالهند أن الإنجليز هم السيف المسلط الذي قطع أواصر الخلافة ونقضوا عرشها في اسطنبول، وبالتالي أصبح متمردًا. في أعين مسلمي العالم.

كان هناك أيضًا الجانب الآخر من المسألة: لم يلق رحيل السلطان وحيد الدين من اسطنبول ترحيبًا في بعض الدول الإسلامية بل لقي رد فعل. بل كان هناك من قال: **"استقال الخليفة بالفعل من الخلافة باللجوء إلى الحماية البريطانية وفقد احترام المسلمين."** لهذا السبب حاول الخليفة الحصول على ميزة سياسية لنفسه بسبب مغادرة مسقط رأسه بسفينة إنجليزية واحتضن الخليفة الحاكم المنفي أعدائه فأصبح كالغريق الذي يعلق بأي بقشة لتنقذه. على الجانب الآخر يريد الشريف حسين تحسين صورته أمام العالم الإسلامي. لم يضيع الوقت ، أرسل رسائل دعوة إلى الخليفة وحيد الدين واحدة تلو الأخرى عن طريق البرق وكان أعيان مكة يكتبون خطابات. حملت رسالة الشريف حسين الأولى تاريخ اليوم الذي وطأت فيه قدم السلطان محمد وحيد الدين جزيرة مالطة.

حتى الآن ، تم إنتاج العديد من السيناريوهات حول رحيل السلطان وحيد الدين إلى الحجاز. حتى أن بعض الكتاب نشروا رسائل دعوة وهمية موقعة من الشريف حسين.

عندما كتب وحيد الدين إلى ابنته صبيحة سلطان ، وصف رحلته في الحجاز بالتفصيل وذكر أنه تلقى أربع رسائل منفصلة.

ثلاثة من الرسائل كتبها الملك حسين وواحدة من أعيان الحجاز.

ومن ذلك مكتوب رقم 278؛ والذي نصه التي:

"يدعو الشريف حين ملك الحجاز وجزيرة العرب حاكم جزيرة مالطة إلى أن يسمح للملك وحيد الدين حفيد البيت العثماني أن يزور الحجاز" ؛ وكتب الرسالة باللغة الإنجليزية ووقعها باللغة التركية كيرال حسين "أي الملك حسين" إلا أن الشريف حسين دعا ببساطة السلطان وحيد الدين في برقيته بصاحب الجلالة الملك ، أي أنه خفض مرتبة السلطان من الإمبراطورية إلى رتبة الملك ولم يتم ذكر لقب الخليفة.

ولم يرد وحيد الدين على الشريف حسين إلا عندما تلقى رسالة الدعوة الثانية ، فذكر أن محل إقامته يجب أن يكون أرضًا إسلامية ، لكنه لم يكتف بالدعوة إلا بشكره ، لأنه لم يقرر بعد إلى أين يتجه. لم يضع عنوانًا

تحت الرسالة ، لكنه وقع عليها باسم محمد وحيد الدين بن السلطان عبد المجيد الأول ، أي محمد وحيد الدين ابن السلطان عبد المجيد خان.

كان وحيد الدين مترددًا. كان يعلم أنه لن يكون من الممكن أو المناسب البقاء لفترة أطول في أرض نصرانية مثل مالطة ، وكان مشغولًا بالبحث عن مكان للاستقرار فيه. في الرسالة التي أرسلها إلى اسطنبول في 12 ديسمبر إلى ابنته صبيحة سلطان ، يروي كل هذا ، بقوة قلبه وعقله. وتحدث عن نقص الروح في بلاد النصارى فقال:

"ملائكي صبيحة؛ لقد استلمت رسالتك في الثاني من كانون الأول (ديسمبر). حتى تاريخ الثاني عشر ، لم تصل رسائل أخرى حتى الآن. الحمد لله أنا و أرطغرل بصحة جيدة. بما أنه ليس من الممكن ولا مناسب لي الإقامة في هذا البلد الأجنبي وبين أكناف العالم النصراني ، أو حتى البقاء لفترة طويلة ، فأنا أحاول اختيار إحدى الدول الإسلامية المناسبة للمغادرة من هنا في أقرب وقت ممكن. ثم سأكون مشغولاً بإحضار العائلة إلى مستقري هناك. وجهتي لم يتم تحديدها بعد ؛ سأعلمك على الفور عندما يتم اتخاذ القرار. لم أستطع كتابة خطاب إلى زوجك عفواً. أشكركم على تضحياتكم وكرمكم ، تحياتي ودعواتي. لقد سألت عن أمناء الصندوق. لتوزيع الميراث بينكم؛ لأنه ربما في المستقبل لا استطيع فعل ذلك. فكرتي هي بمجرد أن تجد مكانًا آمنًا للإقامة في بلد مسلم سأصطحب بعض أفراد العائلة والآخرين في المستقبل القريب. التدرج في رأيي، يجب أن يكون أفراد العائلة والأفراد حاضرين بشكل جماعي قدر الإمكان في الوقت الحالي إلى جوار بعضهم البعض. لكن إذا كان هناك من لا يستطيع الصبر ويريد المغادرة، فمن سيتحمل نتيجة أفعاله؟!"

بعد تلقي الرسائل الأخرى التي بعث بها الملك حسين وأعيان مكة ، اتخذ السلطان وحيد الدين قراره: سيقبل الدعوة ويذهب إلى الحجاز لفترة، ويذهب إلى أرض إسلامية من اختياره للإقامة بشكل دائم.

كان قرار السلطان وحيد الدين بالذهاب من مالطة إلى الحجاز أكثر سعادة لإنجلترا. لأن قضية خروج السلطان وحيد الدين من اسطنبول على ظهر بارجة إنجليزية أصبحت سابقة غير مسبوقة، وأصبح الإنجليز ينتقدون بسببها داخل وخارج العالم الإسلامي. وربما غير مسبوقة في تاريخ حكومة لندن، وتحولت من قضية سياسية إلى صراع على المال بين الوزارات. قلل البريطانيون ، المعروفون بتوفيرهم ، هذه الخصائص إلى نفقات السلطان وحيد الدين ، الذي أطاحوا به إلى مستوى نفقات الطعام والشراب في مالطة فقط.

6.3.الخطوط الرئيسية للمعركة المالية في لندن

عرضت المجلة الإنجليزية ويكلي ديسباتش الجانب المالي للعمل: وكان وحيد الدين والوفد المرافق له تسعة أشخاص. كانت نفقات نومهم وتناول الطعام تكلف إنجلترا 100 جنيه إسترليني في الأسبوع. هل يدفع دافعو الضرائب البريطانيون هذه الأموال؟ سرعان ما تم عرض القضية على البرلمان البريطاني. 27من قبل نائب وسأل السيد كيلي وزير الخارجية اللورد كرزون سؤالًا مكتوبًا: **"كم كانت نفقات وحيد الدين وأين وكيف تمت تلبية هذه النفقات؟ و نائب إنجليزي آخر يدعى سيكستون سأل رئيس الوزراء مرة أخرى: من اين يحصل وحيد الدين على مساعدة مالية؟ لأجل من تدفع هذه المساعدات؟ ولماذا؟ ، يجب أن يتم احتساب الدين ضمن فئة "العاطلين عن العمل" وفقًا للخانات البريطانية وسجل "العاطلين عن العمل". قال إنه يجب أن يوقع عليها. نائب آخر ، أ. جو. أكمل نس هذا الرأي ، فاهي إذا وقع "منفضة سجائر عاطلة عن العمل". وأبلغ ديدين أنه يمكن أن يحصل على 15 شلنًا في الأسبوع ، بالإضافة إلى شلن واحد في الأسبوع لكل زوجة.**

قررت وزارة الخارجية أن السلطان السابق لديه ثروة قدرها 20 ألف ليرة بريطانية في بنك بريطاني. لم يكن هذا المبلغ نقودًا بل صندوقًا للمجوهرات وأول سنة. كان لا بد من تحويله إلى نقود حديدية. قررت الوزارة استخدام هذه الثروة. بينما كان ينمو ، ظهرت عقبة ، قاوم البنك. كان وحيد الدين يعتبر من الناحية القانونية مواطنًا تركيًا ، وكانت تركيا وإنجلترا في حالة حرب من الناحية القانونية ، ولم يتحقق السلام بعد، لذلك كان وحيد الدين مواطناً في دولة معادية. تم تجميد أموال وثروات المواطنين الأعداء. في هذه الحالة ، لم يستطع السلطان وحيد الدين تحمل نفقات المعيشة؛ إذا صادرت الحكومة الإنجليزية أموال بحجة واهية. ... من ناحية أخرى ، بدأت السلطات البريطانية في إصدار كشوف التكاليف كما لو كانت دقيقة. رفضت وزارات الحرب والمستعمرات والبحرية تحمل التكاليف ، وتم تحويل أوراق الإنفاق إلى وزارة الخارجية. وحيد الدين ومن معه أصبحوا بعد مصادرة أمواله عالة في قوائم النفقات الإنجليزية حتى حكومة مالطة رفضت الإنفاق عليه لمدة عشرة أيام هو ومن معه. كانت الرفوف. لكن قوائم النفقات كانت تأتي أيضًا من سلطات أخرى. أنتجت وزارة الحربالإنجليزية ورقة مصروفات أخرى بتكلفة 484 جنيه إسترليني 7 شلن و 4 بنسات وأرسلتها إلى وزارة الخارجية وطالبتها بالدفع. كانت نفقات البحرية أكبر بعشرة أضعاف حيث بلغت 4149 جنيها 2 شلن و 6 بنسات. تم إحضار السلطان المعزول إلى مالطة بواسطة سفينة حربية تابعة لوزارة البحرية الإنجليزية. تم تضمين تكلفة الوقود الذي استخدمته السفينة في هذه الرحلة أيضًا إلى النفقات ، وأرادت البحرية الإنجليزية أن يتم دفع جميع هذه النفقات لها على

الفور.... وزارة الخارجية البريطانية هي مصادرة دبلوماسية. حاول الإفلات مع الجهات المطالبة بسداد ما انفق الخليفة؛ فأجاب عليهم: "أخذنا على عاتقنا حماية الخليفة، لكننا لم نعتني به". هذه الإجابة لم ترضي أحدا. تم تكبد المصروفات وكان ينبغي دفعها. ... أخيرًا ، كانت وزارة الخارجية تميل إلى الدفع، وأرادت سداد المبلغ بموجب قسم "الاعتمادات الدبلوماسية والقنصلية". هذه المرة كانت الخزانة بوزارة المالية أيضًا ترفض تحمل هذه النفقات".

لهذا السبب رحب الإنجليز بإرسال السلطان المعزول وحيد الدين إلى جدة؛ وبخاصة أن وجود الشريف حسين هناك سيمنعه من المطالبة بحقه في الخلافة؛ وبذلك يكونون قد ضربوا عصفورين بحجر واحد. على الرغم من ذلك لما علم الخليفة عبدالمجيد أفندي بأن وحيد الدين متجه إلى جدة من زوجة ابنه صبيحة سلطان؛ كان أكثر الأشخاص إنزعاجًا؛ إذ أنه يعرف أن وحيد الدين يرفض بيعته على الخلافة؛ ومازال يعتبر نفسه الخليفة؛ ولربما من الحجاز مجمع وملتقى المسلمين في الحج والعمرة يطالب بحقه المسلوب في الخلافة والسلطنة. في تلك الآونة أرسل وحيد الدين رسالة إلى ابنته صبيحة وكانت تحمل بداخلها رسالة للخليفة **عبدالمجيد أفندي حيث قال فيها:" ابنتي العزيزة صبيحة سلطان أكتب إليك بتاريخ 3 يناير 1923م وأخبرك أنني ستأوجه إلى الحجاز أو مصر؛ ولا يمكني أبدًا أن أنسى خيانة الشريف حسين. ولكني أرسل إلى الخليفة المعين من قبل حكومة أنقرة في اسطنبول واقول له؛ إذا استجبت لقرارات حكومة انقرة بترك مكان الخلافة شاغرًا في اسطنبول وخرجت خارجها؛ سأكون من ألد أعدائك".**

وفي نفس اليوم كتبت له صبيحة سلطان رسالة بتاريخ وصول رسالته إليها بتاريخ 3 يناير 1923 تقول له فيها: **"أبي العزيز بالرغم من الحالة تمربنا . ستنتقل والدتي من قصر يلدز إلى شقتها بعد وقت قصير من تجهيز شقتها. لا تشعر بالأسف تجاهنا. أؤكد لك أنني مشغول دائمًا لمنحك المزيد من الراحة. أحاول أن أكون مفيدة لعائلتي بكل الطرق الممكنة.**

هناك موضوع هام سأقدمه لك:

اتصل بي والد زوجي أمس. وطلب مني أن أبلغه بالرسالة التي أرسلتها لي؛ فأبلغته؛ فقال لي:

أكتبِ رسالة لوالدك على الفور ، وبعد إضافة تحياتي ، انظر بإخلاص وجدية كبيرين إلى ما ستقوله. اطلب منهك العثور على مكان آخر. حتى الآن ، ورد في الصحف لدينا أنهم سيرسلونك إلى الحجاز أو مصر. لم يمض وقت طويل على نسيان التمرد والخيانة التي ارتكبها الشريف حسين ضد شعبنا أثناء الحرب العامة لذلك ، لا يمكن أن يكون من الممكن والصحيح التوجه إلى الحجاز وقبول دعوة الملك حسين هذا وأنت تعلم أنه يطمع في الخلافة؛ لذا أرى أنه من الأنسب لك أن تذهب إلى مصر لأنه ايضًا من غير المناسب أن

تجلس بين أعداء الإسلام في جزيرة مالطة. وإذا استطعت أن أؤمن لك ولعائلة مكان آمن في اسطنبول ؛ حينها سأدعوك للعودة إليها وسأوفر حياة كريمة لك ولعائلتك. وغذا رفضت فأمكث في مالطة ولا تذهب إلى الحجاز حاليًا. وأعلم ان الوضع الديني والسياسي الآن في العالم الإسلامي مضطرب؛ فلا تعطي لأعدائنا وأعداء الخلافة سلاحًا بأيديهم يهدمون به الخلافة. ومع ذلك ، فإن إقامتك في الدول الإسلامية قد تجلب لك بعض الشائعات وسيكون هذا ايضًا مضر؛ لكن اخف الضررين أن تذهب إلى أي بلد مسلم أولى من الذهاب إلى الحجاز. ومن واجبي الديني والعائلي حماية العائلة والأمة من الإنقسام بكل الطرق. إن شاء الله ستكلل محاولاتي بالنجاح. أنا بالتأكيد آمل هذا. وكرمك النبيل يا ابن النبلاء هو أعظم دعم لي في هذه المرحلة. أعدك بتقديم كل شيء لعائلتك في هذا الصدد. وليس لدي قوة لإضافة كلمة فوق ما ذكرت ربما لا أستطيع التغلب على مشاعري ، لكن هذه هي الطريقة الأفضل والأكثر صلابة. قررت عدم التمسك بمشاعري. اليوم ، أكتب لك. وانتظر ردك. ولكن بعد أن كتبت ما أردت كتابته لك وأعدت القراءة وجدتني لم أكتب بما فيه الكفاية عن مصر، فالوضع في مصر ملتهب؛ وقد يضطرب الوضع السياسي بوجودك هناك يا وحيد الدين؛ لذا أرى انه من الأفضل أن تمدد إقامتك هناك بجزيرة مالطة. وسارسل لك المساعدات المالية التي تحتاجها. سامحني على إزعاجك بمثل هذه الطلبات. الجميع ينتظرون المساعدة مني كما لو أنني بيدي كل القدرة على ذلك". وأنا يا والدي العزيز بعد عرض رسالة الخليفة عبدالمجيد أفندي عليك أنتظر منك إرسال قائمة بمصروفاتك ومصروفات أخي الأصغر أرطغرل لأعدها لكما؛ ابنتك المحبة صبيحة سلطان".

تلقى وحيد الدين هذه الرسالة ليس في مالطة ، ولكن في مكة. حيث وصلت هذه الرسالة إلى مالطة بعد رحيل السلطان وحيد الدين؛ فأعادوا إرسالها من مالطة إليه في مكة بالحجاز.

أرسل السلطان وحيد الدين رده من مكة في 31 يناير 1923. وكتب أنه لم يأت إلى الحجاز أبدًا بأفكار سياسية، وقال إن الغرض من سفره هو الابتعاد عن الوطن والتخفيف من آلام الكارثة وحزنها بالبركات الإلهية في الأماكن المقدسة. وكانت رسالته حزينة وتحمل الرهبة والخوف في نهايتها. حتى قالت صبيحة سلطان عن رده عليها **"لم أشعر بشيء سوى خفقان قلبه** وقد لها كتب:

"ملاكي صبيحة

لقد استلمت رسالتك بتاريخ 3 يناير في 29 يناير. انطلقنا إلى مكة في الخامس من الشهر. منذ أن أُرسلت الرسالة إلى مالطة ثم إلى مكة ، لم تصل إلا في أسبوع وصولنا إلى مكة ، أي بعد 26 يومًا. كانت إقامتي في مالطة مؤقتة بشكل أساسي. لأن البقاء في بلد نصراني لن يكون متوافقًا مع كرامتي الشخصية ولقبي،

ولم أستطع إحضار عائلتي إلى مكان لا يوجد فيه منزل أو منزلين وعائلات أخلاقها لا تناسب أخلاقنا. لذلك كان من الضروري أن أذهب إلى بلد مسلم. لسوء الحظ ، لم أحضر إلى مكة بنية مطلقة للبقاء - والذهاب إلى مصر لم يخطر ببالي أبدًا ولن أفعل ذلك أبدًا. الآن، اسمحي لي أن أشرح لكم قليلاً عن سبب وجودي في مكة المكرمة: لقد وصلنا للتو إلى مالطة ، وثلاث برقيات متتالية من ملك الحجاز وبرقية من أعيان الناس بالحجاز. اشتريت ما أحتاج. لقد دعوني مع العائلة إلى مسقط رأسهم باحترام كبير.

لم أعد على اتصال بالسياسة. قبلت الدعوة بفكر زيارة الكعبة المشرفة ، وهي قبلة كل المسلمين ، كمسلم، بالاستفادة من الدعوة و لإسعاد حزني بألم مغادرة الوطن والكارثة والهجرة ، مع البركات الروحية لذلك المكان المقدس ، وللتخفيف من أحزاني قدر المستطاع. أبدا لم أعد أفكر في السياسية.

كما قلت أعلاه ، غادرنا مالطا في 5 يناير ووصلنا إلى مكة في الواحدة والعشرين من يناير. تشرفنا بزيارة بيت الله. الآن نحن مشغولون بزيارات الأماكن المقدسة في مكة ومحيطها. إذا لم يكن هناك سبب مقنع بعد الانتهاء من زياراتنا والراحة ، يمكنني أن أعيش حياة منعزلة. وهي حياة تلائمني كخليفة اسلامي سابق وبما يتوافق ومرتبتي الدينية سابقًا وبعيدا عن الاضطرابات السياسية. أنا مصمم على الذهاب إلى البقيع. لا يوجد خيار آخر بالنسبة لي. وهذه هي الحقيقة يا ملاكي.

الآن دعنا نأتي للإجابة على الرسالة الذي تلقيته من والد زوجك:

بعد التحيات التحيات والثناءات العظيمة التي تلقيتها ، أود أن تعبر عن حبي ، وأشكرك مئات الآلاف على المشاعر النقية والعالية التي أظهرتها عني وعن وعودك بالمستقبل. ومع ذلك ، وفقًا لقولك: "من وقع في البرد لا يخاف من المطر" ، يمكنك أن تضيف أن كلماتك القاسية في نهاية ما قلته لن تفعل شيئًا سوى عذاب قلبي الحزين. كما قلت من قبل ، كن مخلصًا. في سبيل الله. دعهم لا يعتمدوا على الاتهامات وافتراءات الماضي والحاضر التي ينشرها أعدائي عني. لا يمكنني أبدًا أن أكون أداة للربح والشر والفساد، لا يمكنني إلا أن أكون خادمًا ومدافعًا عن قانون الأسرة الحاكمة، وهو مصلحتنا المشتركة. والإسلام. أتمنى أن أكون قد جاوبت عليك و الشكر لمحاولاتك ونواياك السامية بشأن تعويضي. أنا كيف أعيش بلا أسرة في يد خادم أو خادمين في شيخوختي حتى يحين وقت العودة؟ حتى لو تم التوقيع على السلام قريبًا، فكيف أدخل بيئة لا يزال لها تأثير الغضب والافتراء المنبثق من أعدائي علي؟ "الحق أسمى ، لا هزيمة له" ؛ بالطبع ، في يوم من الأيام ، سوف تسود الحقيقة على السلطة ، وستعرف أمتنا النظيفة الحقيقة. أنا مضطر لإحضار بعض أفراد عائلتي حتى يحين الوقت المناسب. أطلب منهم على وجه التحديد دعم طلبي ومبادرتي المشروعة ومساعدتي. كما طلبت ، يجب أن أكون بالخارج حتى تظهر إمكانية العودة. على الرغم من كل

رغباتهم ، لا أستطيع أن أحمي أسرتي وانا باسطنبول على الإطلاق. ربما سأكون عبئًا كبيرًا عليهم أيضًا. إذًا أنظر في هذه القضايا فقد عرضتها بهدوء عليك ،

في الرسائل التي تلقيتها من عائلتي ، يذكرون بامتنان كبير النعم التي تلقوها في الأكل والشرب وغيرها من القضايا منذ مغادرتنا اسطنبول. أقدم شكري. هذا كل شيء لك ولابنتي ، هذا كل ما عندي من كلمات. بهذه الطريقة ، يمكنك تزويدنا وإخباري فورًا بالإجابة التي ستحصل عليها.

الحمد لله ارطغرل بصحة جيدة. قرأ رسالتك له وكان سعيدًا جدًا وأضاف أنه جاء ليرى أشياء كثيرة ، وأنه يقبل خديك ويديك الجميلتين ، وطلب مني كتابة هذه الرسالة لك، فقبلته بين عينيه أيضًا.

أعبر عن امتناني وتحياتي فاروق بك، وأقبل عيون ووجوه الملاك الصغير نصيل شاه ".

بدأت الاستعدادات لرحلة الحجاز في الأسبوع الثاني من ديسمبر 1922. في هذا الصيف أرسل إلى الأميرالية من وزارة الخارجية البريطانية في 12 ديسمبر رسالة، قيل فيها:" **إن السلطان أراد السفر من مالطة إلى مكة ، وأن الجزء من هذه الرحلة بين مالطا ومصر يمكن أن يتم بواسطة سفينة حربية بريطانية ، لكن ذلك سيكون من غير اللائق ل الأنسب الذهاب إلى جدة على متن سفينة مصرية.** اعتقد البريطانيون أنه سيكون من الخطأ أخذ الشخص الذي يحمل لقب الخليفة إلى الأرض المقدسة بسفنهم الخاصة كما لو كانوا رجلاً خواص رجالهم.

وصل السلطان محمد وحيد إلى بورسعيد في 9 يناير 1923واستقبله أحد أبناء الملك الملك حسين ، عبد الله أمير شرق الأردن. تجاهل العاهل المصري الملك فؤاد والحكومة المصرية الرحلة ، واهتموا بعدم وجود أي شخص رسمي باسم مصر في حفل الاستقبال. وألا يعلم المصريون بحضور وحيد الدين إلى مصر.

غادر وحيد الدين من بورسعيد بواسطة كلاميس Clemais ، وهي سفينة سياحية من الدرجة الثانية ، إلى السويس. استغرقت الرحلة يومًا واحدًا ، وأمضى وحيد الدين والوفد المرافق له ليلة 10 يناير في السويس. في 11 يناير / كانون الثاني ، تم الصعود على متن سفينة أخرى: سفينة سياحية من الدرجة الثالثة تابعة للخطوط البحرية المصرية الخديوية إلى المنصورة.

كانت نوعية السفن التي كان على متنها وحيد الدين تتدهور درجتها عن قصد من قبل الملك فؤاد، حتى لو قالت السلطات البريطانية في القاهرة:" **إن السلطان السابق لا يمكنه الذهاب إلى لندن بهذه السفينة ، فلا يمكن قبولها".**

تم رفع العلم العثماني فوق المنصورة والاتجاه كان إلى جدة وفي 15 يناير

عندما وصلت العبارة أمام جدة في الساعات الأولى من الصباح ورسو على ساحل البحر ، امتلأ البحر بالعديد من القوارب وعدد قليل من القاطرات والمحركات.

أمضى الملك حسين الليلة في جدة مع جميع مرافقيه والتقى برباط العبارات بعيدًا عن الميناء. بمجرد أن رست العبارة التي أحضرت وحيد الدين مرساة ، كان حسين نفسه هو من ركب السفينة.

وصل السلطان وحيد الدين إلى المؤخرة ، متأملاً الصورة الظلية العارية لمدينة جدة ، التي كانت تختنق في طبقة من الضباب.

الملك حسين ، الحاكم المطلق والاستبدادي للحجاز ، كان يرتدي ملابس بسيطة وعارضة متنكرا في زي إمام مسجد. كانت لحيته بيضاء طويلة تتناقض مع وجهه. كان قد لف عمامة بيضاء للعمدة والسيد من سلالة النبي-صلى الله عليه وسلم- وكان على ظهره رداء المعلم.

بمجرد أن صعد إلى العبارة ، جاء إلى السلطان وحيد الدين وانحنى ، وأمسك يده بكلتا يديه وفركها على وجهه وعينيه. كان الأمر كما لو أن السلطان وحيد الدين أراد أن ينقذ يده في مواجهة هذا الشرف المعادي للسلطان القديم الذي ينتمي إلى آل بيت النبي-صلى الله عليه وسلم- ويتمسك بها حجة ليصبح خليفة للمسلمين.

أمسك الشريف حسين بيدي وتظاهر بتقبيله على كتفه.

أظهر الشريف حسين من اللحظة الأولى من الترحيب أنه لا يقبل السلطان وحيد الدين كخليفة ، وأنه لن يعامله إلا كضيف مميز. على الرغم من أنه كان من المعتاد أن يفتح الرسول الراية في الاحتفالات التي يحضرها الخليفة ، إلا أن الحسين لم يرفع راية الخلافة العثمانية.

كان القناصل البريطاني والفرنسي ينتظرون أيضًا لقول "مرحبًا" بالسلطان وحيد الدين. بعد فترة راحة قصيرة في جدة ، انتقلوا إلى مكة على متن عربات الربيع.

من بين الذين استقبلوا وحيد الدين في جدة ليس فقط ملك الحجاز والوفد المرافق له ، ولكن أيضًا الوجوه المألوفة من اسطنبول. أولئك الذين وقعوا معاهدة سيفرس ، مثل الشاعر والفيلسوف رضا توفيق (البكباشي) وشيخ الإسلام السابق مصطفى صبري أفندي ، الذين عارضوا القوات الوطنية ذات مرة وغادروا تركيا على عجل بعد قدوم رفعت باشا إلى اسطنبول.

كان رضا توفيق يصف بطريقة فكاهية الرحلة من جدة إلى مكة على ظهر جمل في رسالة كتبها إلى صديق له في اسطنبول ، وكان يسخر من شيخ مصطفى صبري أفندي بطريقة خفية:

"... أكتب لك هذه الرسالة من على جمل. على الرغم من وحيد الدين يركب أيضًا جملاً على جانبنا، انطلقت قافلتنا إلى مكة المكرمة. تظهر ثرواتنا مثل هذه التقلبات الغريبة التي تجعل من المستحيل اكتشاف ما ستكون نهايتنا. كما تعلم" . وفي ذلك يقول وحيد الدين**:" هناك عبارة باللغة التركية تسمى "النزول من الحصان وركوب الحمار". وفي لقد حدث لي أيضًا مثل هذا على ظهور الخيل في الأيام الأولى للثورة عندما كنت أحكم في اسطنبول سقط موقفي. نزلت من الحصان ، لكن عندما كنت سأركب الحصان ، وضعني الحظ على الجمل... أكبر عذاب للمصلين كان الركوب على ظهر الجمل .. مصطفى صبري أفندي يتدحرج من على الجمل على الأقل ثماني مرات في اليوم .. ولحسن الحظ أرض الأماكن من الرمال الناعمة ولا شيء يحدث. وإلا فقد كنا سلك الطريق إلى الآخرة منذ زمن".**

لكن القرار سيتخذ من لندن وليس الملك.

بصفته مضيفًا ، لم يفشل حسين في إظهار الاحترام لضيفه ، لكنه لم يتخل عن عادته القديمة المتمثلة في طعن ظهره. لقد لامس طرف خنجره ظهر وحيد الدين هذه المرة ؛ إذا قال له وحيد الدين**:" لا استطيع تحمل جو الحجاز الحار أرسلوني إلى حيفا أو قبرص"** فبعث الشريف حسين برسالة إلى المندوب البريطاني في جدة يشرح فيها الوضع قائلاً إن **"السلطان يريد الذهاب إلى حيفا أو قبرص"** وقال إنه **"يشك في وجود أسباب أخرى وراء هذه الرغبة".** وجاءت تعليمات من لندن: إلى وحيد الدين بأن يسكن في الطائف بدلاً من حيفا أو قبرص، والبريطانيون يستخدمون الآن لغة ساخرة مع السلطان السابق قائلين: **"المناخ أفضل في الطائف ، بل هناك أشجار مثمرة".**

ولخص التقرير الذي أرسلته البعثة البريطانية في الجزيرة إلى لندن مغامرة الحجاز:

"سلطان تركيا السابق ، الذي وجد مناخ مكة قاسياً للغاية عليه ، غادر إلى الطائف في 26 فبراير. إلا أنه كان قد التقى الملك حسين من وقت لآخر وتوجه معه لأداء الصلاة المعتادة منذ وصوله. - لم يشعر السلطان بالسوء حيال منزله ، وتجربة أخرى أنه سمع اسم الملك حسين في الخطب وليس اسمه".

عاد السلطان وحيد الدين إلى مكة في 15 مارس. ولم يستطع في الطائف التحمل أيضا. حارة ، على حد تعبيره أسوأ من حرارة الحمام الساخن ، كانت المدينة تشبه الفرن وكان عقله مطبوخًا مثل بيضة مسلوقة.

لقد أدرك الآن أنه لا يستطيع أو لا ينبغي أن يبقى في الحجاز لفترة طويلة. لم يستطع تحمل المناخ على أي حال ، ربما سيحدث شيء ما. لقد ضاع وبدأ في البحث عن مكان يمكنه أن يعيش فيه بشكل دائم.

أرسل برقية إلى اللورد بلومر ، الحاكم العام لمالطة ، يقول فيها إن صحته لن تسمح له بالبقاء في جدة بعد الآن. كتب أنه يريد الانتقال إلى فلسطين ودفع ثمنه من حسابه المصرفي في لندن.

لكن الحكومة الإنجليزية رات أنوجوده يمكن أن يتسبب دائمًا في انتفاضة أو حركة استقلال في البلدان الخاضعة للحكم البريطاني مثل فلسطين أو مصر. كانوا يعرفون ذلك ولا يمكنهم تحمل هذا الخطر. لذلك ، لا يمكن السماح لوحيد الدين الذهاب إلى فلسطين. قالت وزارة الخارجية البريطانية: **"بما أن السلطان السابق لا يزال يصر على الذهاب إلى حيفا ، فلنبلغ دون مزيد من التأخير أن حكومة جلالة الملك لا يمكنها قبوله في فلسطين في ظل الظروف الحالية".** وفي 13 أبريل ، تم إرسال تعليمات إلى غرافتي سميث قنصل بجدة: **"بأن يخبر وحيد الدين بأنه ممنوعًا من دخول حيفا".**

"لا يزال السلطان وحيد الدين لا يفهم أنه غير مرغوب فيه. لقد أراد الذهاب إلى قبرص هذه المرة ، على الرغم من إبلاغه أنه يمكنه الذهاب إلى سويسرا ، بشرط أن يدفع نفقاته الخاصة ، وليس إلى حيفا ، ولهذا الغرض هو غادر مكة المكرمة إلى جدة في 17 أبريل 1923. ومن هناك أراد الانتقال إلى قبرص. وأوضحت بريطانيا أن السلطان السابق لا يمكنه البقاء في أي إقليم بريطاني. قررت وزارتا المستعمرات والخارجية في 28 أبريل "إقامة السلطان السابق على التراب البريطاني غير مرغوب فيه قال البريطانيون عنه وهم الآن يستخدمون كلمة "غير مرغوب فيه - غير مرغوب فيه" علانية.

كانت فلسطين تحت الحماية البريطانية. وحيد الدين لا يمكنه الذهاب إلى هناك. قال. كانت قبرص ومصر مستعمرات بريطانية ، وكان من المستحيل على الخليفة السابق الإقامة هناك. إنه على وشك العودة إلى مالطة! لم يكن كذلك مرغوبًا فيه. تلقى اللورد اللنبي ، الذي كان في القاهرة ، تعليمات بهذه الطريقة في حالة عبوره من الحجاز إلى مصر. **

خلال ستة قرون من التاريخ العثماني ، لم يقم أي سلطان بالحج على الإطلاق ، ولم يفيد الحج السلطان الأخير. وحيد الدين سياسيًا ولا يمكنه فعل هذا إلا في مكة ، لكن كل شيء قد ضاع ...

وفي رسالته المرسلة إلى ابنته صبيحة قال لها فيها:" **اسمحي لي أن أقدم لكم بعض المعلومات الموجزة حول وضعي. لسوء الحظ ، المعلومات التي سأقدمها قصيرة جدًا ؛ لا توجد تفاصيل وتفسيرات ضرورية كما أرغب فيها. السبب ، في المقام الأول ، هو أنني لا أستطيع أن أكتب كثيرًا بسبب الإرهاق الذي تسببه متاعب الرحلة في ذهني. ثانياً ، ليس من الواضح ما إذا كنت سأبقى حيث أستريح الآن ، فذلك من المشكوك فيه! لذلك سيصبح هذا مؤكدًا قريبًا ، وسأرتاح. أتمنى أن تجد التفاصيل التي تريدها في رسالتي التالية ، نور عيني والدك.**

فلننتقل الآن إلى الأحداث التي سأقولها: بعد آلاف الحمد والعرفان والثناء على الله الذي يحفظ كل شيء ويهتم به! على الرغم من كل الأخبار التي ينشرها أولئك الذين يريدون شرًا بنا، فأنا بصحة وعافية جيدة. قاوم دماغي القديم والضعيف جميع أنواع التعب والألم المادي والروحي باعتباره معجزة. أنا فقط بحاجة ماسة إلى الراحة ، هذا كل شيء. لا أستطيع البقاء في بلد كافر؛ وبلاد افسلام يطردني منها الأعداء؛ والشريف حسين في مكة والحجاز يطعني في ظهري عند الإنجليز؛ وفلسطين والشام مشتعلتان بالثورة؛ ويمنعونني عن دخول مصر؛ ثم أعلنوا بأني شخصية غير مرغوب بها علانية داخل المستعمرات البريطانية؛ كل ما كنت أريده أن ارتاح وأستقر فقط بعيدًا عن السياسة والمؤامرات؛ لكن الإنجليز وأعوانهم لا يؤمنون بذلك. لا أستطيع تحمل حر الحجاز ولولا ذلك لتحملت ملل الشريف حسين".

وصلت رسالة وحيد الدين إلى إسطنبول في نهاية يونيو ، وسترسل صبيحة سلطان ردها في 1 يوليو:

"أبي العزيز

إن رسالتك المؤرخة 11 حزيران (يونيو) تريحني من القلق والحزن. و إذا كنت تعرف مقدار ما تحتاجه الأسرة للتعرف على أخبار صحتك. صدقنا الأخبار التي تلقيناها من قبل ، على الرغم من علمنا أنها غير صحيحة ، وشعرنا بالحزن تجاهك. أعظم وأضمن عزاء جاء منك. نحن مستقلون تمامًا.... سمعت أن سان ريمو مكان شاعري. إن شاء الله ، سيجد جسدك وعقلك السلام والراحة اللذين يحتاجانهما هناك وستستفيدان منها تمامًا..."

بقيت وثيقة مهمة للغاية من رحلة السلطان وحيد الدين إلى الحجاز: إعلان موجه إلى العالم الإسلامي في مكة ، أعده وطبعه لكنه لم يستطع توزيعه.

كان وحيد الدين يتحدث بأسلوب الحاكم الذي يتمتع بسلطة مطلقة في الوثيقة. تم إعداد النص بلغتين ، التركية العثمانية والعربية ، لكن تعذر نشره في الحجاز. حيث الشريف حسين ، الذي كان يتشوق إلى لقب الخليفة يجب ألا يكون قد قبل نشر إعلان السلطان وحيد الدين ، الذي أصر على أن الخلافة ملك له في أراضيه. كما كتب دبلوماسيون أوروبيون في جدة في ذلك الوقت أن الملك حسين نفسه منع نشر الإعلان).

الوثيقة ، التي يرد نصها الكامل أدناه ، هي أهم وثيقة سياسية تحمل توقيع السلطان وحيد الدين ، وفي وقت ما الملخص السياسي للحاكم. رداً على الاتهامات الموجهة له منذ توليه العرش وحتى إلغاء الخلافة وخروجه من البلاد. ونصها كالتالي:

"أمير المؤمنين وخليفة المسلمين السلطان محمد وحيد الدين

الإعلان الأول أمام رب العباد

في بداية الحرب العامة لم أكن أوافق على مشاركة دولتنا بها، وطوال الفترة حاولت الحد من الدمار والخراب الذي لحق بنا بكل الوسائل.لكن النتائج الكارثية للحرب العالمية بدأت تظهر. في الوقت نفسه ، حدثت وفاة أخي محمد رشاد المؤسفة وتم تعييني في الخلافة والسلطنة ، بناءً على الحق الذي منحه دستور القانون الساسي العثماني والولاء العام لتقدم الدولة. إذا تم أخذ تلك الأيام في الاعتبار ، والسلطة الحاكمة

في عام 1922 بدأت التحديات التي تواجهني في عجالة رهيبة. وبخاصة بعد هزائمنا المتتالية على كل الجبهات وسقطت جبهاتنا واحدة تلو الأخرى ، واستمرار الحرب الرهيبة بلا نصر ، والطرق الدستورية المعلنة وتحت غطاء التنفيذ كان أعضاء الاتحاد والترقي يخونون الدولة ويراسلون العدو وهم الذين كانوا على رأسها. وكان علي أن أواجه كل هذه المصائب وحدي وعندما استردت حق السلطنة من الاتحاديين دخلت جيوش الحلفاء استانبول؛ وكلما حاولت وضع خطة لردعهم كانت الخيانات من أقرب المقربين لي تلاحقني ولم أكن لأرضي بمعاهدة سيفرس لو خيانة الصدر الأعظم فريد باشا الصهر السلطاني. حاولت اتباع سياسة أخي عبد الحميد الثاني ووالدي عبد المجيد الأول من تخدير الإنجليز والفرنسيين؛ إلا أن العديد من الباشوات كانوا يفسدون خططي ويتصرفون دون الروجع إلي؛ وينبهون الإنجليز إلى كل ما أخطط. لم يتركوا لي فرصة لإنقاذ الخلافة والسلطنة؛ واستمرت الحرب بكل أهوالها المدمرة حتى أصبح من الضروري كتابة هدنة مودروس الشيطانية. المندوبون المسؤولون عن توقيع هذه الهدنة هم الآن في رئاسة مجلس النواب بأنقرة كرؤوف بك رئيس المجلس الحالي، وأعوانه خونة الدولة العثمانية نواب بهذا البرلمان. وأما عن الجيوش المحمدية العثمانية وأهم القوات العسكرية في البلاد في ذلك الوقت ، فقد كانت موجودة في أنقرة. تحت قيادة رئيس المجلس العسكري مصطفى كمال. أنا من مددت مصطفى كمال باشا بالجيوش والمال والسلاح والصلاحيات؛ وبعد الانتصارات التي تحققت في غزوات أضنة والموصل وأنطاليا واسطنبول وإزمير. أدعى مصطفى كمال باشا أن هذا كله بسبب مجهوده الشخصي هو ورفاقه وبسبب كفاح الأمة التركية معه واتهمني بالخيانة وأنا من كنت أخذل عنه الأعداء وأنا من سلمت له كل شيء؛ بل وصل به الأمر أن يطلق الشائعات مع الإنجليز بأنه سيدخل اسطنبول ليقطع رأسي. من هو إذاً مصدر وأساس كل الكوارث؟ لقد أرتفعت رايات مصطفى كمال بسبب انتصاره في حرب إزمير. لكن من هو الذي أمده بكل ما يحتاج لتحرير إزمير؟ هو يعلم علم اليقين أنه أنا. وفي رأي من يجرؤ على اتهامي بالخيانة؛ هو رأس الخونة وليس راس الوطنيين. يجب على القادة الوطنيين اليوم ، مثل رؤوف ، الذين

شاركوا بنشاط في توقيع هدنة مدروس ، التي كانت أساس اتفاقية لوزان ، ومصطفى كمال ، الذي ساهم بجدية في وضع نهاية لحياة الدولة والخلافة العثمانية وأوصلوها إلى مثل هذه الحالة المريرة أن يكونوا هم المذنبين والمسؤولين. ما معنى ملك دستوري يملك ولا يحكم؟ إذا ما هو الملك؟ وهل للخلافة وجود بدون درع السلطنة؛ إن فصل السلطنة عن الخلافة يعني فصل الدين عن الدولة بل عن الحياة؛ وما كنت لأقبل هذا ابدًا. نهاية للكوارث قاموا بقبول شروط الهدنة وبتنفيذ شرزطها التي كتبوها ووقعوها ، وإن كان هناك سبب لا يمكن الاعتراض عليه. لا داعي لرؤوف بك الذي أظهر الجرأة لتولي زمام القيادة في المعارضة ، ولا لأنه لجأ إلى سفوح طوروس بالإذلال من خلال الاستيلاء على معظم القوى الرئيسية الحالية للدولة. لا عذر مقبول لمصطفى كمال الذي جعل توقيع اتفاقية لوزان أمرًا لا مفر منه. إليكم ما شكل الخطورة الوجودية على الدولة بعد اعتلائي العرش العثماني. إنها الخيانة؛ وهذا هو وضعي في مواجهة الأحداث التي حدثت. المسار الذي سلكته بعد الهدنة ، من ناحية ، تسريع العمل بإصلاحات معقولة ومعتدلة في الداخل ، ومواصلة المبادرات السياسية في الخارج ، من ناحية أخرى ، مع الامتناع عن اتخاذ خطوة لا رجعة فيها. انتظر الأوقات المناسبة التي يتبدد فيها الغضب العام فينا. كان مجرد شراء الوقت لتناول الطعام. لم يكن الطريق والهدف اللذان اتبعتهما ضد احتلال إزمير سوى هذا. لأنه سيتم تنفيذه على الفور من قبل الجيش اليوناني. كان علي أن اخدر الإنجليز وأجعلهم يتركون اليونانيين لاسيما يهاجم جيشنا بقيادة مصطفى كمال إزمير ليحررها من هذا الاحتلال، فبدلاً من شكري أتهمت بالخيانة وبالتعامل مع الدول الثلاث الكبرى على حساب الخلافة والسلطنة والأمة. وما كنت لأحقق لحكومة أنقرة وللدول العظمى هدفها في سلخ اسطنبول عن الأناضول، ولولا تغير الوضع السياسي في اليونان وتنسيق حكومة أنقرة مع الحلفاء لعادت اليونان وهجمت علينا. من الذي تجاوز حق الدولة وتجاوز حد الواجب الوطني ، ثم ألحق كارثة لا تطاق بالأمة بإسقاطه السلطنة والخلافة أليس مصطفى كمال. تمامًا مثلما حدث مع احتلال إزمير ، فإن المقترحات الدولية لمعاهدة شور هي أيضًا قبل أن يتغير الوضع السياسي في اليونان وانهيار تحالف الدول العنيف ضدنا. والضغط علينا قبول أو رفض شروطهم بالكامل خلال أربع وعشرين ساعة ، مع عدم السماح بمقترح تغيير. لقد تم بطريقة دقيقة وخطيرة للغاية ، حيث اشتملت على حدودها وقيودها. ومع ذلك ، فأنا لم أقم بالتصديق على معاهدة سيفرس باعتبارها نهاية للدولة؛ وليسأل فريد باشا عن ذلك.. الاستمرار في كسب الوقت حتى يحين الوقت المناسب لاستعادة حقنا كان دوري، لأنني أعلم أن الانتهاء من القضية ينتظر موافقتي بعد موافقة البرلمان ، وأن في مثل هذا الاتفاق الاستثنائي الذي يتعارض مع الحق والعدل ، لا يمكن أن أقبله أو أن أضعه موضع التنفيذ ،

كنت أتصرف دائمًا وفقًا للمتطلبات الدستورية في الأمور التي أعقبت الأحداث التي قبلتها من وجهة نظر استثنائية ، مثل هدنة مودروس ، وحادثة إزمير ، ومعاهدة سيفر. لهذا السبب ، فقد امتثلت لوجهات النظر المختلفة والمتضاربة للحكومات المختلفة. الرغبة في التمسك بالمتطلبات الدستورية للعلاقات المتبادلة بين الحكومة المسؤولة والحكم وبعض الضرورات السياسية دفعتني للتغاضي عن الحكومات لهذا أرسلت مصطفى كمال إلى الأناضول وطالبت بإرسال قوات عسكرية لمعاقبته لأنه لم يعترف بحق الحكومة التي كان تابعًا لها فيما بعد. بالإضافة إلى ذلك ، رأيي الشخصي في حركتي ، سواء في التغييرات الحكومية أو في الإجراءات الأخرى. كانوا يثيرون الرأي العام ضدي والصحف تهاجمني وبخاصة صحف أنقرة؛ أنني أعلم أن الكماليين هم من نسقوا كل ذلك مع أعداء الدولة؛ مع السف التضحيات والبطولات نسبت لغير أهلها. ولنأتي إلى مسألة السلطنة والخلافة؛ إن قبول بفصل السلطنة عن الخلافة يعني قبول بتعطيل الشرع الشريف، وهو أمر خارج عن سلطتي وإمكانيتي ، يتطلب من موكلي التخلي عن نيابة النبي –صلى الله عليه وسلم- ، فخر المرسلين ، والاستسلام للفكر البلاشفي الروحي الذي يطمع من خلاله الروس في احتلال اسطنبول. لهذا كان علي أن ابقي اسطنبول داخل الأناضول؛ ولهذا كنت أرفض تغير عاصمة الخلافة عن اسطنبول لتبقى حاضرة في وجدان المسلمين ولأحميها من الأعداء بسيف الخلافة. لهذا فكر الإنجليز عبر أعوانه في غزو اسطنبول عبر فصل السلطنة عن الخلافة؛ فإذا سقطت السلطنة تمهد الطريق للإلغاء الخلافة فتترك أسطنبول بلا درع يحميها أمام أطماع الأعداء؛ هذه الرغبات المتطرفة والجنونية؛ كانوا يحاولن تطبيقها؛ وكنت أقف وحيدًا في الميدان أواجههم. وبالرغم من ذلك ينسب لي الخونة صفى الخيانة، يجب على كل شخص ذكي وذو فهم أن يعلم أنه لا يوجد طموح للخيانة يمكن أن يقود حاكمًا بالفعل إلى ما وصلت إليه أنا الآن؛ لقد عرضوا علي مملكة مستقلة لي في اسطنبول مقابل إلغاء الخلافة والسلطنة فرفضت، وحاول الإنجليز معي نقض حق آل عثمان في الخلافة بالقريشية وهددوني بذلك ، لهذا كان على الخلافة أن تمتلك السلطنة وليس العكس؛ وكان على الخلافة ألا تفرط في حق السلطنة أبدًا لحكومة انقرة ، ولهذا كانت اسطنبول أعظم مركز في العالم. الخيانة كانت من حولي في كل مكان. إن مقام الخلافة يعني حماية شرف وكرامة تلك المناصب أي السلطنة والخلافة معًا؛ وهذا ما لم يستطع أن يفهمه الشريف حسين؛ إنه يريد أن يصبح خليفة بالنسب؛ ولا يهم لديه فهم تكليف ومكانة هذا المنصب وتباعته؛ لقد رفعت عيني مؤقتًا عن عرشي وعن وطني وعن سلامتي وراحتي لأجل ألا أتنازل عن حقي السلطنة والخلافة. هذا الانفصال ليس في شكل خوف من أن أكون مسؤولاً عما فعلته لأولئك الذين هم في وضع يسمح لهم بتقديم سرد لأفعالهم ، خاصة بعد الحرب العالمية العامة ، لكن ربما لا يكونون ملزمين بأي قانون أخلاقي. فالسياسة الجديدة في الأناضول لا تلتزم بدين أو أخلاق؛ وهذا هو الفرق بينها وبين سياسة مقام السلطنة

والخلافة. وهذا الأمر لا علاقة له بقضايا حسنة مثل الدفاع عن الوطن. بناء على القرارات النهائية التي اتخذتها جمعية أنقرة الوطنية، فإن هذا يعني الثورة ليس على الدولة العثمانية فقط بل على دين الأمة ذاته؛ الخلافة ملك للأمة المسلمة والخليفة ممثل للمسلمين بمختلف أعراقهم فكيف أرضى بفكر الدولة الوطنية الضيق؛ منذ عهد سليم الأول والعالم الإسلامي أمانة بين يدي سلاطين آل عثمان خلفاء المسلمين؛ لهذا كان لقبي ولقب أجدادي السلطان الخليفة؛ لهذا فالخلافة ليست ملك للأتراك وحدهم ولا يحق لهم إبطالها؛ بل هي وقف وملك للأمة عامة؛ وما حدث من حكومة انقرة تخطيط دبر بليل على مدى سنوات وسنوات؛ نعم ربما قد أخطأت لكني لم لأكن لأسمح بفساد الدولة؛ وما كنت لأجعلهم يقولوا طرد آخر سلطان خليفة عثماني؛ لقد دمروا وحدة الترك والعرب؛ ومازالت أتمنى أن تعود الوحدة بيننا من جديد لتعود روح الخلافة؛ لا يهم ما فعله الشريف حسين فهو لا يمثل كل العرب؛ ومن العرب الرسول-صلى الله عليه وسلم- وفي ارضهم القدس ومكة قبلتنا والمدينة موضع ثرى دفن الرسول-صلى الله عليه وسلم-؛ نعم ستفوز الجمعية الوطنية؛ لكن بالمقابل البلاد ستخسر الإسلام؛ إذا كنت مخطئًا فلأنني لم أستطع أن أختار الرجال اذلين يمكن الثقة بهم والاعتماد عليهم في تلك المرحلة الحرجة سواء من العلماء او الأذكياء أو النواب ذوي المواهب؛ ولأنني وثقت في أصحاب المصالح الخبيثة. الدولة أكثر من أي شخص آخر ، لن يسيئون استخدام واجباتهم الوطنية والضميرية إلى هذه الدرجة. باختصار أستطيع أن أقول بوضوح إن حل مشكلة الخلافة مشكوك فيه. إنها قضية كبيرة للغاية ستهتم بالعالم الإسلامي بأكمله الذي يبلغ تعداد سكانه ثلاثمائة مليون نسمة ، وهي ليست من اختصاص خمسة أو ستة ملايين من القبائل التركية الأبرياء ، الذين يجبرهم جزئياً مجموعة صغيرة من الأشرار ، يتألفون من شياطين العسكر والطبقات الأخرى ، وجزئيا غير مدركين ومخدوعين. لذلك ، الآن أنا لا أقبل مطلقًا الحكم غير الضروري والملزم بشأن الخلافة في أنقرة وإسطنبول ، وأرفض وأرد الافتراءات ضدي بأقصى الكراهية ، وأنا ملتزم بسعادة ورفاهية جميع الناس في البلد ، بغض النظر عن الجنس أو الطائفة ، بقلب وضمير مرتاح ، ليس له أطماع أخرى، يريد أن يسود العدل والاعتدال ، ومن حول عبق الكعبة في الوقت الحالي. ومثابري ومقاومة عرض الخلافة بمغادرة السلطنة بهذه الهجرة التي جعلتني فخوراً بها ، والتي أوصلني بها إلى أرض الله ، ستشكل ركيزة وجودي ودعمي في الآخرة.

الحكم النبيل للأراضي العربية المقدسة حيث أنا ضيف. كما أتذكر بامتنان وثناء على كرم الضيافة التي أظهرها أهالي الحجاز الطاهرون لي ولأبناء بلدي الذين انفصلوا عن وطنهم ، مجد الملك وأفراد أسرته الموقرين ، الذين تصرفوا وفقًا لأخلاقهم النبيلة معنا ، وبالتالي الأراضي العربية المقدسة آمل أيضًا أن يتمتع سكانها النظيفون بالتطور السعيد الذي يستحقونه مع ماضيهم التاريخي.

بعد مغادرتي اسطنبول ، هذا هو أول بيان لي. السلام على من اتبع الله. محمد وحيد الدين ، ابن السلطان عبد المجيد خان "

19. فيلا العروش

استقبلت الحكومة الإيطالية السلطان وحيد الدين باحتفال غير رسمي في جنوة. وكان على رأس الوفد الجنرال لادرسي ، مساعد الملك فيتوريو إيمانويل. بعد الكلمات المعتادة ، نقل الجنرال تحيات الملك الصادقة ورسالة: كان لدى فيتوريو إيمانويل خمس قلاع في أجزاء مختلفة من إيطاليا ، وإذا اختار الضيف الموقر إحدى هذه القلاع كمقر إقامة له ، فسيكون الملك مسرورًا وسيدفع الثمن..

313 صهبابا والملك كانا يعرفان بعضهما البعض منذ سنوات. أثناء إقامته ، زار فيتوريو إيمانويل مصر في عام 1887 ، وجاء إلى اسطنبول في عامي 1890 و 1900 ، وقابله عبد الحميد الثاني حاكم ذلك الوقت. تم اخذه.

لكن هذه الزيارة الأخيرة إلى اسطنبول كانت مؤلمة لفيتوريو إيمانويل. في ذلك الوقت فقط ، سمع أن والده، الملك أمبرتو ، قد توفي ، وكان من واجب وحيد الدين أفندي إبلاغ فيتوريو إيمانويل أنه لم يعد ملكًا ، بل أصبح ملكًا ، وقد فعل ذلك بأناقة: في طريقه للذهاب معًا ، تم رفع العلم الإيطالي أمام الضيف ، في منتصف الطريق.وحيد الدين أفندي ، الذي علم أنه لم يكن على قيد الحياة من خلال العلم المنخفض ، ورأى أن فيتوريو إيمانويل أدرك الموقف ، قدم تعازيه على الفور.

وقيل إن هناك علاقة وثيقة بين الملك ووحيد من خلال ذكرى هذا الحادث المؤلم الذي وقع قبل 23 عاما.

قال وحيد الدين للجنرال لادرسي إنه كان حريصًا على مصلحة الملك ، وشكر عرضه فقط وأوضح أن هدفه هو تأمين مكان مناسب والعيش على دخله الخاص. أثناء الاستماع إلى كلمات الجنرال ، لا بد أنه تذكر المصير المحزن لشخص آخر قضى سنوات في نفس الأرض ، مغامرة جيم سلطان ، الابن الأصغر لجده فاتح.

بين المستقبلين في جنوة ، كان هناك وجه آخر مألوف لوحيد الدين : داماد فريد باشا ...

هنا رأى السلطان وحيد الدين وباشا بعضهما البعض للمرة الأخيرة. عندما سمع أن الوزير السابق الذي ترك ثروته وكل ما في يديه باستسلام كبير خلال سنوات الحكم ، غادر اسطنبول بصمت وعشوائية ، قال له وحيد الدين : "**وضع الدولة في هذه الحالة وغادرتها**. "...لم يلتق السلطان السابق بالصدر الأعظم السابق

مرة أخرى. عاد فريد باشا إلى فيلته في مانتون بفرنسا ، على الحدود مع إيطاليا ، ونزل وحيد الدين ورفاقه في فندق ميرامار في جنوة.

تم طرح فكرة الاستقرار في سان ريمو في هذا الفندق. طرح الأمر الأمير المصري ، الأمير عزيز حسن ، الذي كان يعيش في سان ريمو في ذلك الوقت وكان من بين الذين جاءوا إلى جنوة للقاء السلطان وحيد الدين. تحدث عن هدوء البلدة وأجواءها المعتدلة.

تم العثور على المبنى بناءً على نصيحة تورتون ، القنصل البريطاني في سان ريمو ، وكان في شارع تصطف على جانبيه أشجار النخيل. كانت ملكًا لأرملة تدعى بارودي ، كانت واجهتها قريبة جدًا من الشارع، وكان الجزء الخلفي يطل على حديقة كبيرة جدًا تشبه الغابة ، ويتوسطها مسار قطار. كان هناك مبنيان صغيران آخران تم بناؤهما كمباني خارجية في الحديقة.

فيلا ، بعد ساعات من المفاوضات الطويلة مع السيدة بارودي ، تم الإبقاء على راتبه عند 5 آلاف ليرة. مدام بارودي ، أبناء خوليو ، إميليو ، إنريكو وابنتها المريضة ، التي أطلقوا عليها اسم "الفتاة المجنونة" ، التي لم تستطع معرفة اسم المستأجرين ، أخلت المبنى على الفور وانتقلت إلى مكان آخر.

كانت مجموعة من الإيطاليين يرتدون ملابس أنيقة في انتظار القطار من جنوة في 8 مايو في محطة سان ريمو الصغيرة تحت أشجار النخيل ... كان من المقرر أن يتلقى أحد الركاب ترحيبا غير رسمي ...

كان هناك أربعة منهم: نائب الحاكم باراتونو ، ومحامي العمدة بنسا ، ورئيس المحكمة الكونت ناني ، والمدعي العام للتاج نايت مارتيني ...

قبل الإيطاليين بقليل ، كان هناك شخصان آخران ينتظران نفس القطار: تورتون ، القنصل العام البريطاني في سان ريمو ، والأمير عزيز حسن من الأسرة الحاكمة المصرية.

وصل القطار وهبط الراكب المهم المتوقع ، السلطان وحيد الدين ، على الرصيف. وكان معه ابنه شهزاد أرطغرل أفندي وطبيبه رشاد باشا ومساعده زكي بك وخادمتان ...

استقبل القنصل الإيطاليون والبريطانيون وحيد الدين بمصافحة يده ، وقبّل الأمير علي حسن تنورته. بعد أن مكث في فندق مرمرة في كانوفك Cenovac لمدة ستة أيام ، ذهب وحيد الدين من محطة سان ريمو ليركب إلى فيلا أوأوس ميكا بنابولي uus mica Villa Nobel؛ وبعد استقراره في سان ريمون أرسل إلى ابنته صبية وعائلته في استانبول ليحضروا إليه في سان ريمو؛ وكان نص الرسالة كالتالي:

"2 يوليو 1923

أنا أقبل تلك العيون المغازلة لحميراء حفيدتي عناقي وحبي من جانبي لها . أليست روحي

عزيزي حفيدتي

بعد وصولي إلى مقر إقامتي الحالي ، سان ريمو ، كتبت لك ولأفراد أسرتك رسائل تفصيلية وتفسيرية بتاريخ 11 يونيو. كالعادة ، بينما كنت سأرسلها عبر الجنرال هارينغتون ، علمت أن الجنرال لم يكن في اسطنبول. كنت قد أرسلت رسائلي من خلال القائم بالأعمال في السفارات البريطانية - السيد هاندرسون - معتقدًا أنه سيتأخر الوصول إليك - آمل أن يكونوا قد وصلوا قبل أن يضيعوا - وكنت أنتظر ردكم. لأن الحصول على إجابات لتلك الرسائل مهم بالنسبة لي. خطرت لي فكرة الرد حسب ما هو مكتوب فيها ، وترتيب طريقة المراسلات والتواصل حسب حاجة الموقف.

ومع ذلك ، بينما كنت أنتظر وقلق بشأن التأخير في الردود ، تلقيت رسائلكم بتاريخ 14 يونيو. لكن لا تجد رسائل من زوجك والممرضة في الظرف. لم أستطع أن أفهم أي شيء على الإطلاق. بعد ذلك ، أثار التحذير المهم في رسالتك عن صحة نازلي هانم ووجدت رسائلك ورسائل والدتك في مظاريف منفصلة ، لا تقلقوا علي؛ لدي فضول للإطمئنان عليكم".

"إلى ملاكي! ابنتي صبيحة مع هذه الرسالة لن أقدم لكم الكثير من التفاصيل حول حالتي العامة. كما أشرت أعلاه يوم 11 يونيو. أنا في انتظار الإجابات على رسائلي المؤرخة. بينما يأتون إليكم أو سأتلقى رسائلك الأخرى ، ثم أجيب. سأكتب الرد بالتفصيل. لأن هذه الرسالة هي المؤرخة بتاريخ 14 يونيو الخاصة بك. هذا هو الجواب على رسائلك. لذا سأعطيك عذرًا.

أنا فقط يجب أن أكتب بضعة أسطر لتوضيح سوء الفهم. أرى بدهشة كبيرة في رسالتك ، 'سمعنا من زوجة الطبيب أنك تأثرت برسائل العائلة. ولم نكتب رسائل لتجنب مضايقتك. لكنك ذكرت أننا لم نتمكن من الكتابة إلا الآن ، نتشجع من المعلومات التي تلقيناها. فسبحان الله. يا له من سوء فهم وتفسير غريب. الراجح. معا ، يا لها من مزحة. إنه دائمًا مفهوم خاطئ ، نتاج تفكير خاطئ. التراب ، الأشياء المكونة من الأحكام.

نور عيني! شبكة من شخص جاهل وجاهل لم أستشره من قبل بشأن مثل هذه الأمور البعيدة والخاصة للأسرة. هل يستحق الانزعاج وقطع الاتصال مع التأكد من التصور الكاذب لشخص آخر لم يصرح له مطلقًا بدخول السجن ومن رواية ذلك الشخص؟ لا أعرف ما إذا كان الأمر على ما يرام؟ أولاً: تم تفصيل سبب عدم تمكني من كتابة خطاب للعائلة لفترة في رسالتي السابقة. في تلخيص؛ في ذلك الوقت ، لم يعد من الممكن استمرار الاتصال بأمان وسلام وسرعة. لذلك كان من الضروري الاكتفاء بالتلغراف حتى يتحقق الأمن والثقة. ثانيًا؛ بالطبع ، عندما أتلقى رسالة من عائلتي أتشوق إليها ، وسأتأثر بعمق. هل من

الممكن ألا يكون هذا؟ أجل! بالإضافة إلى عذاب نار الفراق وحرارة الهجرة ، مع مراعاة ضرورة واحتياجات أسرتي اليتيمة ، قلت: لك أتمنى أن تستعدي وتأتي إلي في سان ريمو بنابولي؛ أنا و أرطغرل سعداء جدًا بالله سبحانه وتعالى. أرطغرم يقبل يديكي بعشق ويقدم لهما الحب ، ويرسل الكثير من الأشواق إلى حميرة ويقبلها بين عينيها. لديها عيون جميلة. حبيبة جدها استودعها، إلهي العظيم.

سان ريمو ، فيلا نابولي والدك المشتاق؛ محمد وحيد الدين".

سمع السلطان وحيد الدين أن ابنته صبيحة كانت حاملاً في ذلك الوقت وأن الخليفة عبد المجيد أفندي أراد أن تتم الولادة في قصر دولمه بهتشة. في رسالة كتبتها إلى صبيحة سلطان ، وصفت رضاها وتحدثت عن الحزن الذي جلبه عليها العيد القادم، إذا أنها تشعر أنها لم تعد تستطيع المكوث في اسطنبول حيث كانت الصحف تكتب عنها وتهاجمها.

" 19 أغسطس 1923

ملاكي صبيحة

في 17 أغسطس ، تلقيت رسالتين من رسائلك بتاريخ 22 يوليو ومؤرخة في 11 ذي الحجة. ليس لدي القوة لشرح والتعبير عن مشاعر رد الفعل لدي. لذلك لن أتمكن من كتابة أي شيء في هذا الموضوع ، وسأكتفي فقط بتقديم الدعاء لله الرحمن الرحيم ، ليمنحنا الفهم المبارك ولتجتمع عائلتي في عطلتنا الثالثة معًا. . من بشرى صحتك انفتح قلبي وسعيدٌ بذلك بارك الله فيك يا ملاكي الغالي.

قلت إنك ستلدين في قصر دولمه بهتشه، يسرني. إنها مريحة للغاية وضرورية. توقعت بشكل صحيح أن الحاكم سيوافق على هذا. وأتطلع بشوق إلى برقيتك التي وعدت بها إن شاء الله. قبلني خدود نصيل شاه الصغيرة من قبلي ، قبلاتي لكم ، أنقل لكم تحياتي ودعواتي. إذا كنت ترى ذلك مناسبًا ، فقل مرحباً إلى حماكي من أجلي. اسمحي له أن أعرف أنني مسرور بحقيقة أنه سيأخذك إلى قصر دلمه بهتشه ، وأنني مسرور بالطيبة التي أظهرها وأنني أصلي من أجلك.

قرأت ما كتبته عن حالة الأسرة المدمرة. أشياء معروفة بالفعل. وفقنا الله تعالى. وأنا أعمل ليلًا ونهارًا في إعداد طرق لإحضاركم إلي".

حاول شاه بابا إحضار عائلته إلى أسطنبول؛ وراسل القنصلية الإنجليزية في سان ريمو في ذلك؛ إلا أن الخارجية الإنجليزية أرسلت له رسالة بتوقيع الملك الإنجليزي جورج نصها:**"لا علاقة لي بك بعد الآن"**؛ وبعد ذلك راسل السلطان محمد وحيد الدين بعد أحداث التنكيل بالأسرة العثمانية في اسطنبول القنصل

الفرنسي لأجل ان يسهل حضور عائلته إليه؛ إلا أن القنصل الفرنسي أجاب عليه:**"لا شأن لنا لما يحدث في الداخل التركي".** في تلك الآوانة وقبيل اغتيال الطبيب رشاد باشا؛ أتى رشاد باشا إلى السلطان وحيد الدين وطلب منه الصفح والمغفرة؛ إذا كان يعمل مع الإنجليز جاسوسًا عليه. وفي تلك الفترة تكاثرت الديون على السلطان وحيدالدين وأسرته بالمنفى.

بعد أن ألغت أنقرة الخلافة ، انتشرت شائعات حول أن مصر ستعقد مؤتمر الخلافة. أرسل السلطان وحيد الدين ، الذي كان في سان ريمو في ذلك الوقت ، رسالة إلى الشيخ محمد فراق المنيفي ، رئيس اتحاد العلماء المصريين ، في 11 مارس 1924 ، عندما سمعت هذه الشائعات لأول مرة. لقد تجاهل عبد المجيد أفندي، وشرح سبب مغادرته من اسطنبول على أنه "كان يبحث عن مكان يستطيع فيه الدفاع عن الشريعة" وألقى باللوم على الكماليين:

"مصطفى كمال ورفاقه انتصروا على الإغريق بحب المسلمين وغرور بالعثمانيين ولكنهم نسوا فضل الله عليهم (...) وعلى الفور عارضوا الشريعة التي كانت مصدر الانتصار والنتيجة واضحة: تم رفع الحجاب ، وسمحوا للنساء في العمل بالحانة ، في المقهى ، سمحوا للمسلمة أن يتزوجها نصراني ، وألغي الزواج الشرعي وتعدد الزوجات ألغوا الحظر الذي كان يحمي الدين والقرآن ومنازل الدراويش والمساجد ، ومنعوا الحج. تم إلغاء التعليم الديني. حوّلت الخلافة إلى شبح. لقد أذل أحفاد آل عثمان ".

نشر الشيخ المنيفي رده في جريدة المقطم بتاريخ 25 مارس 1924 مع هذه الرسالة. ما كتبه كان من طبيعته أن يدمر كل أحلام السلطان محمد وحيد الدين من أن يتخذ من القاهرة مركزًا للخلافة العثمانية، لأنه لم يخفِ أنه تم البحث عن طريقة للتفاهم مع مصطفى كمال بدلاً من دعم وحيد الدين:

".. لقد قمنا بواجبنا بتوزيع رسالتك على الصحافة المصرية كلها ... الكارثة التي عانينا منها كشفت كل الحقائق. بعد الهجوم الأخير على الخلافة لا يعرف المسلمون بأي خليفة يتمسكون به؟. وكيف نتحد؟.. جاء المسلمون إلى مصر للاتفاق مع الكماليين على تحديد مصير الخلافة وتصحيح الخطأ .. قرروا عقد مؤتمر برئاسة أحد أمرائهم العظماء .. علينا أن نتحلى بالشجاعة .. الاجتهاد والصبر والثبات. "

وحضر الجميع مؤتمر الخلافة بمصر وأصبح حلم كل زعيم مسلم تقريبًا بأن يصبح هو الخليفة ، ولكن تم تجاهلوا نقطة مهمة: يجب أن يكون الخليفة رئيسًا لدولة مستقلة ، ولكن في ذلك الوقت لم يكن هناك دولة مستقلة أخرى في العالم الإسلامي باستثناء تركيا ، لهم مجانا. كانوا إما منتسبين بشكل مباشر إلى إحدى الدول النصرانية أو كانوا محكومين بالولاية أو الوصاية. أظهر عنوان "الدولة التي بها أكبر عدد من المسلمين في العالم" الهند أنها تحت الإحتلال المباشر لإنجلترا هذا الوضع كان واضحًا بوضوح.

وكان من بين الذين حلموا بالخلافة الملك فؤاد الأول ملك مصر والسودان، الذي لم يتذكر أن بلاده كانت تحت الاحتلال البريطاني ونسي أن عرشه مجرد رمز. وكانت مهمة تحقيق حلم الملك تقع على عاتق جامعة الأزهر ، المدرسة المصرية الشهيرة ، والتي يزيد عمرها عن ألف عام. أعلن الأزهر أن "مؤتمر الخلافة" سيعقد في القاهرة في 13 مايو 1926 ودعا العالم الإسلامي كله إلى المؤتمر.

من ناحية أخرى ، عارضت بعض الدول الإسلامية مؤتمر القاهرة منذ البداية ، قائلة إن مصر ليست مستقلة ولا يمكنها تنظيم مثل هذا الاجتماع. وتراجع شيخ الأزهر محمد أبو الفضل الجيزاوي عن ذلك ، معلناً أنه بينما أعلن في وقت سابق أن المؤتمر سينعقد لانتخاب خليفة جديد ، فقد "نُظم هذه المرة لفحص ما إذا كانت الخلافة ضرورية". لكن هذا البيان تسبب في رد فعل أكبر في العالم الإسلامي: أولئك الذين نفوا سابقًا أن الخلافة كانت "فرضًا".

شيخ الأزهر الذي وصف مصطفى كمال باشا بـ **"الكافر"** ، لديه الآن فكرة عن الخلافة؛ أنها ليست فرضًا. كان يُظهر أنه كان يسقط ، لذا فإن المعتقدات لم تكن راسخة لدى مشايخ هذا الزمان.

ونعود إلى سان ريمو حيث بدأ مساعد السلطان زكي بك يتمرد؛ لدرجة أنه سرق مدخرات السلطان وحيد الدين التي كان يعيش بها هو واسرته؛ ليلعب بها في القمار وخسر كل مال وحيد الدين؛ وعجز وحيد الدين عن ردعه. مما جعل السلطان وحيد الدين أن يعجز أن يرسل لابنته معاشها؛ فاضطر ذلك الوضع المؤسف في المنفى أن تبيع صبيحة سلطان أقراطها لتعيش مع ابنائها؛ وبخاصة بعد أن أنفصل عنها عمر فاروك بك بن الخليفة الأخير المعزول عبد المجيد أفندي.

الفصل الرابع

وفاة السلطان محمد وحيد الدين1926م

4.يحدقون في جثة سيدهم

ذهب الأمير سامي بك ، المشهور بالمجاملات إلى زوجة عمه السلطان وحيد الدين ، نيفزاد هانم وقال لها:

- "ماذا فعلت بعمي؟" وكان يسأل أسئلة غريبة ... "

هكذا أخذ السلطان وحيد الدين أنفاسه الأخيرة وفارق الحياة بتاريخ 16 مايو 1926م. وانتهت حياته تلك التي بدأت بصراخه عقب نزوله إلى الدنيا وحيدًا في قصر دلمه بهتشه Dolmabahçe في الرابع من يناير من عام 1861 وبقى بمفردها لمدة 65 عامًا بدون صديق واحد وفي، وفجأة توقف قلبه النابض في القاعة الصغيرة للفيلا في سان ريمو، وفي اليوم التالي تم نقله إلى المشرحة لتشريح جثته لمعرفة سبب الوفاة.

قرر الإيطاليون اصطحاب وحيد الدين إلى طاولة التشريح لمنع أي شائعات مسبقًا. جراح القلب البروفيسور فافا Fava، الذي قام بفحص سلطان وحيد الدين عدة مرات في الأشهر الأخيرة. هو من سيتولى عملية التشريح.

"... كان من المقرر إجراء العملية في الصالة المجاورة للغرفة التي كان ينام فيها السلطان وحيد الدين. من الصعب جدًا شق صدره وخلع فرائه وملابسه ، حيث أن جسده ومفاصل أصابعه متصلبة. و سامي بك ، الذي لا يرغب في تعذيب الموتى ، قطع هذا الفراء الثمين المتلفح به عمه وحيد الدين أثناء موته بمقص الغسيل من الرأس إلى أخمص القدمين. وساعد الأطباء الإيطاليين في شق عروق صدره الذي يبدو أنه كان ضعيفًا جدًا وظهرت علامات كبير السن على وجهه. ويكأن جسد السلطان وحيد الدين صغيرًا جدًا وعضليًا ومناسبًا؛ كأنه شخص آخر. ظهرت بقع أرجوانية كبيرة على جانبه الأيسر الفارغ. وبدأ جسد وحيد الدين الأبيض بعد الموت يميل إلى البياض الزائد؛ وبعد غلق صدره، سامي بك وزكي بك والرفيق الثاني مظهر آغا وأنا أمسكتهم بلطف وضربت على أكتافهم. لكنهم إنزعجوا. عندما لامست أيدينا ووجهنا الجثة ، كان جسمنا مغطى بهواء جليدي.

خرجنا وانتظرنا ، ووضعنا جثمان السلطان وحيد الدين على المنضدة أمام الطبيب ...

أما سامي بك فلم يغادر القاعة بل بقي في الداخل. شهد انقسام صدر عمه ، كاشفة الأوردة التي تصل إلى القلب الواحد تلو الآخر ، دون تردد ، لكنه شعر بأعظم الأحزان حتى النهاية. انتهى الاستاذ الدكتور الجراح

فافا أخيرًا من عمله وأظهر لسامي بك وريدًا دمويًا ولكنه متحجر ، الشريان الأورطي للسلطان وحيد الدين في يده ... كان شريانًا أبهرًا متحجرًا تقريبًا مسدودًا بالنيكوتين ...؟

في صباح اليوم التالي ، علمت سان ريمو بوفاة الخليفة العثماني الذي استضافته لمدة ثلاث سنوات غريبا بين جنابتها.

لطالما كانت تفاصيل الحياة المغلقة لسلطان معزول غامضة ، أي السلطان وحي الدين ، مع نسائه وخصيانه السود خلف الجدران العالية ، مصدر فضول لسان ريموليانز ... انتشر خبر وفاته في ماغنوليا بجوار فيلاته التي توفى فيها وفجأة انتشر الخبر في جميع أنحاء المدينة واحتفلت واجهة الفيلا بيوم مزدحم. كان معظم الذين جاءوا من سكان سان ريمو منفيين ، لكن كان هناك آخرون هرعوا إلى الفيلا عندما سمعوا الخبر: إنهم الدائنون.

بعد أن أهدر زكي بك والمساعدون للسلطان وحيد الدين المبلغ النقدي الضئيل بالفعل ، فقد سقطت على عاتق شقيقة السلطان وحيد الدين ، مديحة سلطان ، توفير مصاريف الدائنين. وكان السلطان قد باع آخر جوهرة ثمينة لديه، وهو حجر زمرد كبير ، في لندن وأعطاها لأخيه دون أن يمس فلسا واحدا ، ولكن عندما توفي وحيد الدين، باع الزمردة وأرسل لهم المال.

كان Hurkosهوركوس أحد الدائنين في الفيلا يأمل الآن في الحصول على عملة أخرى من شأنها أن توفي دينه وفجأة لم يكن معروفًا من ؟ ومن أين ؟ ولماذا أو كم سيرسل؟ ، لكنه كان يأمل أن يكون كل شيء على ما يرام ، وأن تنتهي المشاكل ، وأن الوقت سيكون كما كان من قبل ، واعتمد على فضل الله في ذلك. وهذا كان الأمل الوحيد...

استمر الدائنون في الإصرار على عائلة محمد وحيد الدين؛ أن دينه بعد موته أنتقل إليهم.

لم يكن لدى أحد المال وتم إعطاؤه له. بعد أيام ، تبيع صبيحة سلطان ابنة السلطان وحيد الدين ما تبقى لديها من أقراطها وتدفع جزء من دين الدائنين.

عندما انتشر خبر وفاة وحيد الدين ، كان الدائنون الذين توافدوا على الباب هم البقال شتاينر وبائع الخضار موريني ، الذين لم يتمكنوا من استلام المال مقابل البضائع التي أرسلوها إلى فيلاته منذ شهور. كان مجموع مبلغ الدين لجميع التجار ، بمن فيهم شتاينر وموريني ، 60 ألف ليرة ".

خلفهم مباشرة ، ظهر المحضرين ... كل شيء في فيلا مجنوليئه Magnolia ، والذين قاموا بمصادرة السجاد على الأرض الذي تم إحضاره من قبل السلطان وحيد الدين من اسطنبول وكذلك صادروا جميع

المتعلقات الأخرى والممتلكات الشخصية للمنزل ، وأعلنوا أن المنزل كان محجوزًا ومعروضًا للبيع. في الواقع ، كان هناك حدث آخر لم يسبق له مثيل في التاريخ: تم نقل جنازة السلطان وحيد الدين إلى القاعة الكبرى في الطابق الأرضي من الفيلا وصودرت الجنازة مع متعلقاتها ...

إن ختم الدولة العليا التي يبلغ عمرها ستة قرون والذي يقترب من نهايته ويمر في التاريخ قد تم طبعه بمثل هذا الإذلال. يقع على عاتق ضباط حبس الرهن الإيطاليين ليكونوا بمثابة مانع التسرب ...

قدم سامي بك طلب بعمل تابوت: لشركة برتراند وأولاده ميل International Funeral Warehouse Company في سان ريمو. والذين كان ليهم شركة لبناء نعش من خشب الجوز من الدرجة الأولى. كُتب على اللوحة الموجودة عليها "خان الأتراك وخليفة الإسلام السلطان محمد وحيد الدين السادس بن سلطان عبد المجيد خان توفى بتاريخ 1926". تم وضع الجثة ، التي شهدت تشريحًا ، أولاً في نعش من الرصاص ولحامها ، ثم تم وضعها في تابوت من خشب الجوز صنعه برتراند وابنائه وبقي التابوت يحوي الجثة في قاعة الطابق الأرضي بالفيلا لمدة شهر كامل. الإيطاليون لم يسمحوا بإقامة الجنازة حتى يتم سداد الديون بالكامل ...

بدأ التابوت في فيلا ماجنوليا أيضًا بطريقة غريبة في سان ريمو: جاء الإيطاليون إلى الفيلا كل يوم لزيارة الجنازة:

"... أمام هذا التابوت الذي تزوره كل صباح عائلات المجتمع الراقي في سان ريمو، استغرق الأمر شهرًا كاملاً لإعطاء الأموال للدائنين ... جاءت الدفعة الأولى من المال من نيس: أرسل الخليفة عبد المجيد أفندي مبلغًا صغيرًا مع أحد حاشيته ، الملتحي رشيد بك ...ومن يدري فيما فكر عبد المجيد أفندي في ذلك الوقت، الذي كرس حياته للتنافس مع السلطان وحيد الدين ، وشعر به أثناء سداد ديونه بعد وفاة ابن عمه الذي اعتبره عدوًا أبديًا ...الأموال التي أرسلها الخليفة ذهبت إلى ذمم التجار، ولم تكن كافية للنفقات التي تمت بعد وفاة السلطان وحيد الدين ، وعندما لم تكن كافية ، لم يتم رفع الحجز عن التابوت للدفن. كان إنقاذ الجثة ممكنًا عندما باع السلطان وحيد الدين أحد آخر مجوهراته وزوجًا من الأقراط ، إلى صبيحة سلطان ، التي كانت في سرير النفاس. رفع الإيطاليون امتياز الجنازة بعد أن تم إرسال تكلفة الأقراط إلى سان ريمو وتم سداد جميع ديون الفيلا ...".

1.4.وثيقة صبيحة سلطان

وثيقة عثر عليها ضمن وثائق صبيحة سلطان توضح أين تم إنفاق الأموال من الأقراط:

تعهد صبيحة سلطان:

"المدفوعات بالليرة الايطالية

ثمن الكفن 5200

أجرة المغسلين والمكفنين 150

أجرة الجراح الدكتور فافا وأجرة العملية2200

أجرة من قاموا بصنع التابوت1000

المجموع 8550"

تم إصدار شهادة وفاة للسلطان وحيد الدين في الساعة العاشرة من صباح يوم 17 مايو ، بعد يومين من وفاته. يوجد في أسفل الوثيقة توقيع نائب الوالي نايت ألفريدو لومباردو من المنطقة الأولى بالمقاطعة.

السلطان السابق جلالة الإمبراطور السادس البالغ من العمر 65 عامًا ، ويقيم في فيلا ماغنوليا محمد وحيد الدين خان ، وقع أمام نائب الوالي على وثيقة الوفاة خمسة أشخاص: إنريكو وبيترو وجيوفاني برتراند ومانغوسي والفارس المصدق ألفريدو لومباردو ...

كان إنريكو وبيترو وجوفاني ، الذين يحملون نفس اللقب ، هم أصحاب شركة برتيرانت آن صونص "Bertrand and Sons" التي صنعت نعش وحيد الدين. لا نعرف من هو الشاهد الآخر ، أميديو مانغوسي ، أو ما علاقته بفيلا ماغنوليا ...

في الماضي كان موت السلطان وخلفه الذي يحل محله يعني نهاية عهد وفتح آخر ... اعتُبروا شهودًا من الدرجة الأولى وأدلة للمستقبل ...

شاهد على وفاة آخر سلطان عثماني إيطالي آخر مجهول الهوية ، مع ثلاثة من أفراد عائلة يعملون مديراً للجنازات في بلدة ساحلية بإيطاليا ...

أخبرت حميرة أوزباش هانم سلطان، حفيدة السلطان وحيد الدين في المنفى بسان ريمو، وهي واحدة من الأحفاد القلائل اليوم الشاهدة على بعض الأحداث الخاصة بحياة جدها السلطان محمد وحيد الدين، وقد دونت ذكرياتها عن وفاة وحيد الدين، حيث كتبت تقول: **"في ذاكرتي أن جسد السلطان وحيد الدين حين موته عبارة عن لوح من الجليد المتصلب. ثم كان هناك تابوت لوضع الجسد المتصلب فيه؛ أتذكر وأنا واقفة هناك في تلك الأيام. تقرر وضع التابوت في أرض الطابق السفلي الباضروم؛ لقد وضعوه في هذا التابوت**

بعد أن شروحوا الجسد وأخرجوا جزءًا كبيرًا من أحشاؤه؛ ليتأكدوا من أن موته كان طبيعيًا. ثم تذكرت نعشه وهو ملقى على الأرضية الحجرية في الطابق السفلي. وظل هذا التابوت هناك لأيام وأيام. بالطبع ، عندما كنت طفلاة ، لم أفهم تمامًا سبب تركهم للتابوت بهذا الشكل هناك. طبعا سمعت القصة: منع المدينون الطليان جسد جدي عن الدفن؛ وأرادوا بيع الجسد إيفاءًا للديون واستكمال الباقي من الورثة. في هذه الأثناء بيعت مجوهرات عمتي (صبيحة سلطان)، بعد ذلك أعتقد أن الخليفة عبد المجيد أفندي وجد مصدرًا للمال وإن كان صغيرًا؛ لكنه أرسله؛ ودفع هذا المبلغ للمدينون، تم نقل الجنازة ... قصة حزينة عما حدث لآخر سلطان عثماني والخليفة القبل الأخير للمسلمين ... لكن ذاكرتي فقط بها صرخات من أقاربنا عن ذلك المشهد الرهيب سلطان الإسلام والمسلمين يموت ويمنع دفنه ويشرح بهذا الأسلوب، ونعش التابوت الذي يحمل جسد جدي السلطان يقف هناك لأيام وأيام ممنوعًا من الدفن... "

على الرغم من أنني بحثت في دار المحفوظات في سان ريمو للعثور على وثائق الامتياز الخاصة بتابوت السلطان محمد وحيد الدين؛ إلا أنني لم أجد مستندًا ولو واحدًا بخاصًا بهذه المسألة. كان بحثي وضجيجي ، الذي بدأ في البلدية وامتد إلى أرشيف قاعة المحكمة ومكتبة المدينة ينتج عنه نتائج بلا جدوى. فكل الأوراق المتعلقة بالسلطان محمد وحيد الدين وأيامه في سان ريمو بالمنفى قد أختفت؛ باستثناء شهادة وفاة السلطان وحيد الدين ، لم يتم العثور على وثيقة واحدة في الأرشيف تتعلق بالرهن وقرارات المحكمة بالحجز على بيته وهجوم المحضرين لنهب سجاد بيته الذي حمله معه من اسطنبول كذكرى؛ حتى اين ابتيع هذا السجاد؟ وفي أي مزاد؟ لم أعثر على أي معلومات عن ذلك.

لم يتفاجأ آهالي سان ريمول بهذا الأمر؛ فقد أجريت حوارًا مع كل سكان المنطقة التي عاش فيها السلطان وحيد الدين ايامه الأخيرة بالمنفى؛ حيث قالوا لي:**"إن مثل هذه المعاملة ضد نعش ملك بقي في البلاد كلاجئ سياسي واعتبر ضيفًا في مكان ما؛ لن يعتبر أمرًا لطيفًا للحكومة الإيطالية بأن يشاع عنها بأنها عاملت الملوك اللاجئين لديها بهذه الطريقة، وأن الحكومة كانت قلقة بشأن التاريخ وتداعيات الحادث وبهذه الطريقة ربما تكون قد أتلفت وثائق الامتياز فيما بعد".** كما ذكروا لي:**" أن هناك علاقات ودية بين أنقرة وحكومة موسوليني في ذلك الوقت، مما جعل سلطة موسوليني في روما في ذلك الوقت تخفي أي وثيقة عن اي معاملة سيئة تعرض لها السلطان وحيد الدين، وقالوا إن أنقرة (زمن الكماليين) كان لديها نفس القلق؛ أن تتهم بأنها سعت لدى الحكومات الغربية وبخاصة الإيطالية والفرنسية في اضطهاد آخر سلاطين وخلفاء العثمانيين، ربما اتفقت أنقرة الكمالية مع الحكومة الإيطالية في ذلك الوقت على اخفاء**

وتدمير أي وثائق لها علاقة بالمعاملة السيئة التي تعرض لها السلطان وحيد الدين اثناء سكنه في إيطاليا بالمنفى في سان ريمو".

علمت أنقرة بوفاة السلطان السابق وحيد الدين في اليوم التالي ... في البرقية التي تلقتها من السفير التركي بروما سعاد بك (دافاز) في 17 مايو1926م ، حيث كان نص البرقية إلى أنقرة: **"لقد علمنا الآن أن وحيد الدين توفي فجأة ".**

في نفس اليوم ، جرت محاولة للاتصال بزكي بك ، وأخت زوجة السلطان السابق ... في التعليمات السرية التي أرسلتها السفير سعاد بك إلى قنصل جنوة فؤاد بك ببرقية مشفرة، واتصل بزكي بك وأبدى دعمه للحصول على جميع وثائق المتوفى وعمل حصر لها ، وقال القنصل التركي بجنوة في اتصاله مع زكي بك وأخت زوجة السلطان الموتفي: **"أتوسل إليكم؛ أن يتم الإبلاغ عن أي وثائق تتعلق بالسلطان السابق وحيد الدين".**

لكن زكي بك الذي كان يبيع معلومات وتقارير عن سيده السلطان وحيد الدين لأنقرة مقابل من المال من قبل، لم يعمل لسبب ما هذه المرة في جمع وثائق السلطان وحيد الدين، ونتيجة لذلك ، فإن الوثائق الشخصية للسلطان التي تم تقليصها كثيرًا بالفعل بقت مع عائلته ... وبخاصة بعد تدمير السلطان وحيد الدين نفسه لكثير من الوثائق قبيل وفاته. عندما كان السلطان وحيد الدين باسطنبول أحرق بعض الوثائق ومذكراته في قصر يلدز؛ وعبر عن ذلك كي يحمي رقاب الكثيرين من الأذى إن وقعت في يد الكماليين؛ ثم قام بنفس الفعل في منفاه بسان ريمو حيث أحرق مذكراته للمرة الثانية؛ ولكن هذه المرة أحرق نصفها وترك النصف الآخر بحجة أن بها أسماء أناس كانوا يتعاملون مع الدولة العثمانية ومعه يسكنون الآن في اسطنبول والأناضول مع عائلاتهم؛ وهو يخشى عليهم من فتك الكماليين وأعوانهم بهم؛ إن نشرت هذه المقالات ذات يوم؛ لكن قبيل وفاته بدأ يحرق كثير من متعلاقته الشخصية؛ ولم يعرف السبب حتى الآن.

2.4.منفى حفنة من العظام

كان على عائلة السلطان المتوفى محمد وحيد الدين والوفد المرافق لها العثورعلى بلد مسلم ليتم دفن جثته بها؛ بينما كانوا يحاولون رفع حبس الرهن بعد تجربة شاقة وعصيبة وفي أثناء أكثر اللحظات إذلالًا في تاريخ السلطنة العثمانية التي يبلغ عمرها أكثر من 600 عام؛ ومن على رأس التابوت المصادر في فيلا ماغنوليا. لم يكن من الممكن تصور تركيا بأي شكل من الأشكال أن تكون هي مثواه الأخير؛ حيث سيرفض

الكماليين ذلك بشدة؛ لذا كان يجب اختيار دولة مسلمة أخرى. كان هذا هو الجزء الصعب؛ لأنه في ذلك الوقت لم تكن هناك دولة إسلامية مستقلة باستثناء تركيا. وكانوا إما في الأسر أو تحت حماية العالم النصراني.

أجريت المشاورات واتخذ القرار بأن تدفن جثة السلطان المتوفى في سوريا. سيتم نقل الجثة إلى دمشق عبر بيروت ودفنها في الحرم الخارجي بالمسجد الجامع الذي بناه السلطان سليم الأول هناك. **أحمد نامي بك،** صهر الأسرة السابق، تزوج من عائشة سلطان ، إحدى بنات عبد الحميد ، في عام 1911 وانفصل بعد عشر سنوات ، وكان يشغل منصب رئيس الحكومة السورية في ذلك الوقت ويمكنه توفير جميع التسهيلات للدفن.

على الرغم من أنه يقال إن موضوع الدفن في دمشق هو إرادة السلطان وحيد الدين في المراسلات حول الجنازة ، يجب أن يكون القرار قد تم اتخاذه داخل الأسرة ويجب أن ينعكس في الوثائق الرسمية كما لو كان رغبة السلطان وحيد الدين.

في تلك الأيام في لبنان وسوريا ، كان رؤساء الدول مستقلين اسمًا؛ لا فعلاً؛ وانقسمت بلاد سوريا إلى سوريا ولبنان؛ واصبح لكل منطقة منهما رئيس مستقل وحدود؛ وكان كلاهما يخضعان للإنتداب الفرنسي؛ لذا لم يكن من السهل أن يقبل رؤساء هذه البلدان بدفن جثة السلطان وحيد الدين لديهم دون مراجعة الحكومة الفرنسية. وبالرغم من ذلك لم يشأ الفرنسيون أن يدفن السلطان محمد وحيد الدين في اي من سوريا ولبنان؛ وبالرغم من أنهم يعلمون أن حكومة الكماليين قد طردت ما يقارب من 397 من الأسرة العثمانية ومن العائلات الدينية من تركيا في الأسبوع الأول من مارس 1924 بعد إعلان إسقاط الخلافة؛ إلا أن الفرنسيين حاولوا محاولة غير جادة مع حكومة أنقرة؛ ففي في 13 مارس، أرسل الرئيس الفرنسي ميليران رسالة إلى أفراد عائلة السلطان وحيد الدين يطلب منهم التوسط لدى أنقرة لدفن رفات السلطان وحيد الدين، وتولى روبرت أرمز قنصل فرنسا في فينتيميل المراسلات وأرسل رسالة بمراد الحكومة الفرنسية إلى عائلة السلطان الراحل وحيد الدين في سان ريمو. على الرغم من أن ميليران لم يقم بمحاولات دبلوماسية في أنقرة، إلا أنه لم يرسل قنصله خالي الوفاض حيث ساعد أفراد أسرة السلطان الراحل في سان ريمو بإصدار جوازات سفر دبلوماسية كلاجئين فرنسيين عبر مؤسسة بنديجانا أرمز Bendegânina Armez.

أُبلغت وزارة الخارجية الفرنسية بوفاة السلطان وحيد الدين عبر برقية أرسلها روبرت أرمز ، قنصل فينتيميل إلى باريس صباح 17 مايو. **"توفي سلطان تركيا السابق الليلة الماضية في سان ريمو. نعتقد أنه تمنى أن يدفن في سوريا. طلب مني ابن أخيه ، الأمير سامي بك ، الذي أتواصل معه شخصيًا ، القدوم إلى سان ريمو بشكل عاجل. غدًا سأفعل ذلك. أذهب شخصيًا ، وليس رسميًا ، "قال أرمز. لقد كان يثير موضوعًا**

سيتم مناقشته لمدة شهر خارج فرنسا: كيف سيتصرف إذا تم تنظيم مراسم جنازة للسلطان وحيد الدين في سان ريمو؟ وماذا سأفعل إن تثبث أفراد العائلة العثمانية بدفن جثة السلطان الراحل في دمشق؟"

في اليوم التالي ، أرسل وزير الخارجية الفرنسي بارثيلوت الرد إلى أرمز نفسه: قال الوزير: **"إن القنصل الفرنسي لا يجب أن يحضر لأي سبب الجنازة رسميًا نيابة عن الحكومة الفرنسية أو أن يتعامل مع الأمر على أنه احترام رسمي"؛ على أنه يسمح لك بالانضمام إليهم وأداء واجب التعزية فقط لاغير ... "**

في نفس اليوم ، ذهب القنصل من فينتيميلو إلى سان ريمو ، وذهب إلى فيلا ماغنوليا ، والتقى مع الأمير سامي بك من عائلة السلطان وحيد الدين ، وحتى أنه عند وصوله رأى تابوت السلطان وحيد الدين وشاهد التشريح على الجثة. وبعث برسالة أخرى إلى وزير الخارجية بارثيلوت بعد يوم واحد بتاريخ 19 مايو / أيار 1926م، يبلغه فيها بالرسائل الموجودة في سان ريمو. وبالمراسلات المتبادلة مع بعض الحكومات الأجنبية بشأن السماح بدفن السلطان وحيد الدين؛ إذا تم رفض دفنه في دمشق أو بيروت، و سيتم في المراسلات الخلط بين بيروت ودمشق؛ حيث كتب القنصل الفرنسي لحكومته يقول:

"لقد كتبت في البرقيات أنني أرسلت الوضع بالتفصيل فيما يتعلق بوفاة سلطان تركيا السابق محمد السادس، أن السلطان كان يرغب في أن يُدفن ببيروت بمسجد بيروت الجامع بلبنان. لقد ذهبت يوم الإثنين إلى سان ريمو. وأكد لي هذا الطلب ابن شقيقة السلطان الأمير سامي نجيب بك. وبيني وبين الأمير صداقة طيبة؛ وهو يأمل ألا تضع الحكومة الفرنسية العراقيل أمام دفن جثمان السلطان وحيد الدين في بيروت؛ وأن الصداقة القديمة بين الدولة العثمانية وفرنسا؛ يجب أن يكون لها تأثير في هذا الموقف الإنساني؛ لقد أبلغت أنني لا أمانع ذلك؛ لكنني لا أستطيع أن اقطع في هذا الأمر دون الرجوع للحكومة الفرنسية في باريس لن يكون هناك عزاء في سان ريمو. إنهم ينتظرون رد الحكومة الفرنسية. وسيقومون بحفظ جثة السلطان في الفيلا لحين قرار الدفن. تم التوصل إلى اتفاق مع الإيطاليين. إذا كان القرار إيجابيًا ، فسيتم ببساطة إرسال الجثة إلى مرسيليا ووضعها على متن سفينة بحرية. ولقد اتفقنا مع العائلة العثمانية. أنه لن يحضر أحد مراسم دفن التابوت في بيروت؛ وأن الدفن سيتم بدون مراسم. منذ وفاة السلطان السابق فجأة ، كان مطلوبًا تشريح الجثة، لكن لم يتم التوصل إلى شيء من التشريح. تقول أسرة السلطان محمد وحيد الدين السادس. إنه لم يكن يعاني من مرض في القلب؛ وأن سبب الوفاة لا يمكن أن يكون نوبة قلبية. اتكأت على هذه القضية. وبالرغم من أنني لم أكن أحد أفراد الأسرة ولست مسلمًا ، إلا أنني تمكنت من رؤية الجثة قبل تشريح الجثة مباشرة. تتدهور جثث أولئك الذين يموتون من أمراض القلب على الفور. ومع ذلك ، على الرغم من مرور أكثر من 40 ساعة على وفاته ، لم أتمكن من رؤية أي تدهور في جثة السلطان

وحيد الدين. لقد كان السلطان وحيد الدين متفائل للغاية بالعودة إلى العرش. قال لي بوضوح ذات مرة :" نجم مصطفى كمال ، الذي غير الدين والتقاليد بسرعة كبيرة باسم التحديث ، كان نجمًا يونانيًا آيل إلى السقوط γαυας γαυας οδη. سيثور شعبي وسأعود لأصلح ما أفسده مصطفى كمال؛ كان مهتمًا جدًا باستعادة ممتلكات الخزانة من حكومات دول الحلفاء في منطقة النمرود بجنوب شرق تركيا على حدود العراق منا، وقد بذل جهدًا ليتم قبوله باعتباره الممثل الوحيد المعتمد للعائلة العثمانية في هذا العمل؛ وعلى الرغم من فقره كان يرسل رسائل دبلوماسية لجميع الحكومات وكان يرفض اليأس حتى أن الخليفة العثماني الأخير الذي عاش في نيس بفرنسا أرسل إليه تفويض وكالة ليمثل العائلة العثمانية في المطالبة بممتلكات خزائن بلاده التي فرط فيها الكماليين. كما استمرت المفاوضات بين الجانبين السلطان الخلفية محمد وحيد الدين والخليفة عبد المجيد أفندي بحزم لمدة أربعة أشهر. وكان من نتائجها تنازل عبد المجيد أفندي عن لقب الخليفة لمحمد وحيد الدين ووقع تفويضًا بذلك. جاء التفويض الجديد الذي أعطاه عبد المجيد أفندي إلى محمد وحيد الدين قبل وقت قصير من وفاة السلطان وحيد الدين. وقد رأيت هذه الوثيقة. وكان عرض وحيد الدين من تفويض عبدالمجيد أفندي له بشأن التنازل عن لقب الخليفة أن يحافظ على وحدة العالم الإسلامي؛ وأن للمسلمين خليفة واحد مازال يمثلهم وبخاصة أمام مؤتمر الخلافة الذي سيعقد في القاهرة ، فقد اعتقد السلطان الراحل محمد وحيد الدين أن منصب الخلافة ليس فارغًا ولا داعي لانتخاب خليفة جديد؛ ولابد من تجهيز مكان يناسب مقام إقامة الخليفة في القاهرة؛ فإن محمد وحيد الدين كان لا ييأس ولا يمل من محاولات إعادة إحياء الخلافة العثمانية؛ على الرغم من أن كل الظروف المحيطة به كانت ضده" . ومن مذكرات القنصل الفرنسي في نهاية هذه البرقية وجدته قد كتب؛ **"أنه كان لديه علاقة خاصة طويلة الأمد مع العائلة العثمانية وأن اتصالاته في سان ريمو لم تكن رسمية بل محادثات شخصية وعلى هذا الأساس، وأنه لن يحاول اتخاذ أي إجراء رسمي بشأن مكان دفن جثة السلطان محمد وحيد الدين. دون الحصول على إذن من باريس".**

بينما كانت مثل هذه المراسلات بين باريس وفينتميل تتنقل ذهابًا وإيابًا، قدمت العائلة العثمانية طلبًا رسميًا إلى الحكومة الفرنسية لنقل جثة السلطان وحيد الدين إلى دمشق لدفنها؛ وكان مقدم الطلب للحكومة الفرنسية عبد المجيد أفندي الذي يعتبر الآن رئيسًا للأسرة العثمانية بعد رحيل السلطان محمد وحيد الدين. والذي سافر من نيس إلى باريس في 18 مايو لأجل ذلك. وقد عبد المجيد أفندي الطلب إلى رئيس الوزراء الفرنسي بريان. أرسل برقية موقعة منه باسم الخليفة عبد المجيد الثاني وقال فيها: **"أطلب الإذن اللازم لجنازة ابن عمي المتوفى جلالة السلطان الخليفة محمد السادس ، ليتم إرسالها إلى دمشق وفق رغبته الأخيرة ".**
وفي غضون ذلك، دعا عبد المجيد أفندي المحيطين بالسلطان محمد وحيد الدين إلى نيس لعقد اجتماع لمناقشة

المستقبل. نتعرف على تفاصيل هذا الاجتماع ، الذي عقد في فيلا الخليفة في نيس يومي 20 و 21 مايو، من تقرير رائع أرسله إلى باريس القنصل الفرنسي روبرت أرمز في فينتيميل إلى بارثيلوت، وزير الخارجية. وقال أرمز إنه: **"علم بالمعلومات الواردة في التقرير من أحد المشاركين في الاجتماع بفضل قربه من العائلة"** ، وكتب بإيجاز:

"حضر ترأس مجلس العائلة العثمانية عبد المجيد أفندي ابنه الأمير سامي نجيب ابن شقيق السلطان محمد السادس وابنه بهاء الدين أفندي وأفني باشا ورشاد خالص بك وشخصين أو ثلاثة آخرين. كان هذا الاجتماع صعبًا. الأمير سامي ، الذي كان قد ذهب إلى نيس من حين لآخر دون رغبة ، كان هناك هذه المرة بدافع الضرورة ، لأنه على الرغم من أنه لم يعجبه ، أصبح عبد المجيد أفندي سلطانًا وخليفة شرعيًا بعد وفاة وحيد الدين بالنسبة للأسرة العثمانية. قال عبدالمجيد أفندي قرب الأمير سامي من الخليفة السابق عبدالمجيد أفندي؛ مكنا من معرفة ما يدور. كان وجود الأمير يامب مع من حضروا يعني قبولهم لعبد المجيد ربًا للأسرة بلا منازع. وأعرب المقربون من وحيد الدين عن أنهم سيظهرون للحاكم الجديد نفس الولاء الذي أبدوه لأسيادهم السابقين:

وفي الاجتماع الذي استمر في اليوم التالي تحدث عبد الجميد أفندي بطريقة مختلفة تمامًا. كان بطريقة مختلفة. لقد تخلى عن الإجراءات الشكلية. منفتح وودود وراعي للجميع. وشكر رشاد خاليص على جهوده لاستعادة ممتلكاته الثمينة في العراق وبلاد ما بين النهرين. ثم في اجتماع اليوم السابق، وأعلن انه سيتفاوض مع الحكومات الغربية مباشرة ليس باسم الدولة العثمانية في الثروات المنهوبة من منطقة النمرود من قبل قوات التحالف؛ كما كان يريد السلطان الراخل وحيد الدين؛ ولكن في العقود التي وقعتها شركات هذه الدول مع بعض ممتلكات الأسرة العثمانية في هذه المنطقة جنوب شرق الأناضول؛ على أن يستثمروها باسأسمائنا أمام الجمهورية التركية؛ كي لا يستطيع أن يعترض مصطفى كمال؛ وذلك لتوفير دخل ومصدر مالي للعائلة العثمانية كي تعيش عيشة كريمة في الخارج تمت مناقشة القضية غير المكتملة مع توضيح الوضع المالي المضطرب للأسرة العثمانية؛ كان لدى عبد المجيد دخل يتراوح بين 300-400 ليرة شهريًا، ثلث هذا المبلغ مخصص من أمير أفغانستان ، و الباقي كان يأتيه خان مسلم هندي لم أستطع معرفة اسمه. كان معروفًا بإرساله المال للسلطان وحيد الدين عبر الأمير سامي بك من كل فترة لأخرى حتى يتمكن وحيد الدين من مواجهة صعوبات الحياة، ولكي يعالج وضعه المالي السيئ للغاية في العيش.

عبد المجيد أفندي أعلن أنه سيبيع مجوهراته؛ لأن العائلة تعاني من مشاكل مالية كبيرة؛ وعليه بصفته رب السرة أن يقوم بحلها. عبد المجيد أفندي أعلن أنه يقوم بعمل توكيلات للأشخاص المهمة في الأسرة

العثمانية التي سيقع على عاتقها التفاوض مع الجهات الأوروبية بشأن ممتلكات السرة العثمانية في منطقة النمرود؛ إضافة إلى التوكيل الذي كان قد منحه لرشد خليص في الماضي. لم يعارض رشيد خالص أي من هذه الإجراءات. وأعلن عبدالمجيد أفندي أنه سيصدر توكيلًا جديدًا بالإنابة عنه؛ من شأنه أن يضمن كامل حرية العمل وسيشمل جميع الصلاحيات ؛ كأنه بطاقة مفتوحة؛ لبعض الأشخاص للتفاوض مع الدول الأوروبية في العقود التي وقعوها مع الأسرة العثمانية منذ عهد السلطان عبدالحميد الثاني؛ لإدارة ممتلكاتها في منطقة النمرود "وماردين وأورفا وشمالي العراق حتى الموصل"؛ في وقت لاحق ، تم تمرير موضوع آخر على عبدالمجيد أفندي. ألا هو ضرورة شرح الوضع السياسي للأسرة العثمانية الآن. فالحكومات الغربية بعد إعلان الجمهورية التركية؛ ستسألنا من في أنتم؟ حينها نظر عبد المجيد أفندي وقال لأفراد الأسرة العثمانية إن "أنقرة ولندن اتفقتا على الموصل". وقال إن إيطاليا لن تقوم بمحاولة عسكرية في الأناضول ، ولا داعي للقلق بشأن هذه القضية ، لأنه باتفاق بين أنقرة وإيطاليا ضمنت إيطاليا مزايا اقتصادية كبيرة في الأناضول ، وأعطت إنجلترا وفرنسا ضمانة لإيطاليا. مقابل ألا تتدخل إيطاليا في أفريقيا. كما تحدث عبد المجيد أفندي عن التنظيم المنعقد في تركيا لإحياء السلطنة والخلافة العثمانية. كانت هذه المنظمة تعمل بشكل جيد للغاية ، وكانت فرص عودة الأسرة الحاكمة عالية وقريبة. كان مصطفى كمال في حالة سيئة من الناحية المالية ، حيث ظل في السلطة بدعم مادي من البلاشفة الروس. وإلا ما استطاع أن ينفق على الجيش ومؤسسات الدولة؛ ثم أظهر عبد المجيد أفندي الكثير من الوثائق وقرأ خطابات دعم تنيظم الخلافة من تركيا؛ وأن الثورة قادمة لا محالة لعزل مصطفى كمال والقضاء على الجمهورية وعودة السلطنة والخلافة". وفي برقية أرسلها إلى المندوب السامي الفرنسي جوفينيل في بيروت في 19 أيار / مايو ، قال وزير الخارجية الفرنسي بارثيلوت**:" إن "السلطان السابق محمد السادس ملك تركيا، الذي وافته المنية في سان ريمو ، أراد أن يدفن في دمشق". من الصعب رفض هذا الطلب وكان يسأل المفوض السامي إذا كان لديه أي اعتراضات على نقل الجثة إلى دمشق؟".**

في 21 مايو ، أبلغت وزارة الخارجية الفرنسية حاكم منطقة ألب ماريتيم ، التي كانت تتبع مدينة نيس ، حيث كان يعيش عبد المجيد أفندي :**" أن عبد المجيد أفندي حصل على الإذن بنقل جثة السلطان وحيد الدين الذي وافته المنية من سان ريمو إلى دمشق".** في برقية من عبد المجيد أفندي لأقرابه في سان ريمو قال فيها**:" إن الحكومة الفرنسية قد وافقت على نقل جثمان السلطان الأسبق لتركيا محمد وحيد الدين ليدفن في دمشق".**

نعم؛ قد تم الحصول على الإذن من الفرنسيين لدفن السلطان محمد وحيد الدين في دمشق، لكن الامتياز الذي وضعه الإيطاليون على التابوت بسبب ديون السلطان الراحل لم يرفع بعد ، حيث لم يتم سداد جميع الديون. أما عبد المجيد أفندي فقد نسي هذا الموقف أو تجاهله، لذا تعامل بمنتهى الذكاء مع أصحاب المديونيات؛ حيث كتب عبد المجيد أفندي رسالة إلى الملك الإيطالي يخبره بالوضع، فأرسلت سفينة حربية تابعة للبحرية الإيطالية إلى بيروت لنقل تابوت نعش السلطان وحيد الدين؛ والمشاركة في الجنازة بدمشق.

طلب الخليفة السابق عبدالمجيد أفندي من الحكومة افيطالية أن يذهب مع تابوت السلطان وحيد الدين للمشاركة في أعمال دفنه، وبالطبع لم يتلق أي رد من روما. لأنها خشت أن تقع في أزمة دبلوماسية مع فرنسا بخاصة إذا إلتف المسلمون بالشام حول عبدالمجيد أفندي باعتباره خليفة المسلمين وأعلنوا العصيان؛ وبخاصة أن أحوال الأناضول الداخلية لم تستقر بعد؛ لذا أرتأت روما ألا ترد على الخليفة عبدالمجيد الثاني.

واستغرقت تسوية ديون السلطان الراحل محمد وحيد الدين شهرًا ... وبحلول الأسبوع الثاني من شهر حزيران (يونيو) 1926، استلم البقالون والبائعون والتجار الآخرون مستحقاتهم، واكتملت الاستعدادات لنقل الجثمان إلى دمشق.

تم نقل جنازة السلطان وحيد الدين من الفيلا إلى محطة القطار في 15 يونيو 1926؛ أي بعد شهر واحد بالضبط من وفاته. كان من المقرر أن ينقل إلى تريست، ومن هناك على متن سفينة متجهة إلى بيروت ...

تم سرد العديد من القصص الخيالية حول الجنازة من فيلا ماغنوليا إلى المحطة ؛ تمت كتابة سيناريوهات مختلفة ، ومنها ما فكرت فيه العائلة العثمانية الموجودة في سان ريمو ذاتًا من أن تخرج جثة السلطان الخليفة وحيد الدين التي كانت مهربة من الدائنين؛ ليتم لفها في سجادة وإخراجها من الباب الخلفي للحديقة أو وضعها في صندوق وإخراجها من الفيلا سرًا؛ أحدى الخطط التي جالت في رؤوس بعض أفراد العائلة في سان ريمو حينئذ؛ وذلك في حالة العجز عن سداد الديون؛ وفكرت العائلة العثمانية في أكثر من خطة لرفع أيادي الدائنين عن جثة السلطان الأخير والخليفة قبل الأخير محمد وحيد الدين.

وفي ذلك يقول سامي بك:**"...لكن لم يحدث أي من هذه السيناريوهات عندما غادرنا سان ريمو؛ كانت الديون قد تم سدادها، ورفع الحجز عن التابوت، ونقل الجثة إلى المحطة علانية، وليس سرًا. وبشكل واضح وواضح ولكن بطريقة لا تليق بآخر سلاطين الدولة العثمانية وخليفة المسلمين كما يقول شهود العيان الذين شهدوا رحلة نقل جثة السلطان وحيد الدين للسفر من إيطاليا إلى دمشق الشام..."**.

تم نقل التابوت في عربة تابعة للصليب الأخضر في سان ريمو. حاولوا محو الصليب على السيارة ، لكنهم لم ينجحوا تمامًا ، ولا تزال العلامات بقايا الصليب ظاهرة عليها؛ وكانت من أردأ عربات النقل؛ كذلك كان

على التابوت ورود وصلبان لأنه صنع على عادات الدفن النصرانية؛ ولم تراعي الشركة التي صنعته وأتفق معها سامي بك على صنع تابوت خاص بالسلطان؛ أنه تابوت لخليفة المسلمين؛ فوضعوا الصلبان عليه. والصقوا إلى جوار الصلبان الورود. بينما نجد أن الصحف الإيطالية تقول عن جنازة السلطان وحيد الدين الآتي:**"نقل جثمان آخر سلاطين تركيا وخليفة المسلمين وحيد الدين على عربة وصغيرة سوداء عليها علامات حداد"**؛ وفي خبر آخر تقول أحدى الصحف الإيطالية **"كان نعش السلطان إكليلاً من الزهور موضوعاً على عربة يجرها حصان؛ جلبت خصيصًا لنقل الجثمان..."**

قام بعض أفراد العائلة بنزع أكاليل الزهور والصلبان من على تابوت وحيد الدين، لأنها لا تتوافق مع التقاليد الإسلامية.

ثم جاء نائب الحاكم بسان ريمو السيد ماركيز إنسيسا وقائد الكارابينيري والسيد نايت بورلا والسيد أووفالف لوتي ومراقب المرور ونائب المفوض باريتا. جنبا إلى جنب مع الخدم كان هناك عدد قليل من الناس الفضوليين ينتظرون. ليروا من هذا؟ ثم دخل قطار تريست إلى الرصيف، وربطت العربة الصغيرة بالقطار، وصعد صهر السلطان محمد وحيد الدين، شهزاد عمر فاروق أفندي وعلي خيري بك أحد المرافقين للخليفة إلى القطار والذي غادر في تمام الساعة 14.20. .. في اليوم التالي ستصل مدينة ترييستي وستستغرق الجنازة بضعة أيام؛ ثم تم رفعها بالرافعة إلى متن الباخرة كارنيولو التي كانت متجهة من ترييستي إلى بيروت ... كتبت الصحف في سان ريمو أن **"وصول السلطان وحيد الدين إلى سان ريمو كان مليئًا بالضجيج. ولم يتبع نعشه الآن سوى زوجاته الثلاث المبكيات واثنان من الأمن الخاص اللذان كانا يحرسان الفيلا لسنوات، مشيرة إلى أن الجنازة الفعلية في مسجد صلاح الدين بدمشق وآسيا، وقالوا إن الملوك المسلمين وممثلي الدول الإسلامية في البلاد القريب سيحضرون حفل التأبين. تمت مصادرة فيلا ماغنوليا وتم إغلاق جميع الغرف ، ولكن بعد الجنازة ، اختفى كل شيء في الفيلا في غمضة عين؛ كأنها لم تكن مسكونة من قبل... "**

الإيطالي ، الذي شهد نقل جنازة السلطان وحيد الدين ، سيصف فيما بعد ما رآه في المحطة على النحو التالي:

"... الجنازة التي كانت في ذلك اليوم و{إيتها بالصدفة لم تكن تستحق لأن تكون لتليق بأي ملك على الإطلاق. في عربة صغيرة عبر المحطة كان تابوتًا ملفوفًا بقطعة قماش رخيصة وكان ثلاثة حمالين ينتظرون وعلى رأسهم رجل أسود. وتمت محاولة محو الصلبان الموجودة على جانبي سيارة الصليب الأخضر، لكنها كانت لا تزال مرئية للعيان. وبمساعدة الرجل الأسود ، وضعوها في العربة مثل حقيبة السفر التي تلقى ليوضع فوقها باقي الحقائب...".

مع حركة القطار كانت هناك عدة برقية مكثفة بين فينتيميل وباريس وبيروت ودمشق.

أفاد أرمز القنصل الفرنسي في فينتيميل في برقية إلى باريس: **" أن الجثة كانت في طريقها إلى تريست. غادرت الجنازة من سان ريمو إلى تريست في 15 يونيو. سيتم وضعه في مكان لحفظ الموتى بالباخرة كارنيولو وهي احدى البواخر الإيطالية - المدنية غير الحربية-؛ وفي 24 يونيو من المتوقع أن تصل الباخرة إلى بيروت؛ لكنها وصلت في 2 يوليو / تموز الساعة 6 صباحًا؛ إلى بيروت".** لكن وزارة الخارجية الفرنسية لم تسمع بعد بآخر التطورات من المندوب السامي الفرنسي في بيروت. أرسل المندوب السامي الفرنسي في دمشق إلى باريس يخبر القيادة العليا الفرنسية عن آخر التطورات؛ حيث ذكر في برقيته الآتي: **"الناس في دمشق يقولون الحكومة الصليبية ترسل جثة خليفة المسلمين ليدفن في أرض الشام؛ بعد أن منعوه من أن يمكث فيها حيًا؛ الحكومة الفرنسية الصليبية لم تسمح للسلطان وحيد الدين بأن يحيا حيًا في أرض الشام واكتفت بأن تسمح له بأن يأتي الشام جثة هامدة ليدفن فيها؛ الناس في دمشق تتجمهر وينتظرون وصول جثمان الخليفة إليهم؛ إنهم مازالوا لا يتعترفون بجكم السلطة الفرنسية عليهم ويشعرون بالحنين إلى الدولة العثمانية البائدة؛ لكننا سنتخذ كافة التدابير اللازمة للأ تخرج جنازة السلطان العثماني الراحل عن السيطرة".**

.وصل الجثمان إلى بيروت، وإدارة الإنتداب الفرنسي لم تتلق أي تعليمات حيال ما سوف تفعله مع جثمان السلطان العثماني وحيد الدين، كانت الإدارة الفرنسية في لبنان في عجلة من أمرها؛ ولا تريد أن يبقى جثمان وحيد الدين لديها. و في نفس اليوم الذي وصل فيه رد روما إلى باريس، أرسل ضابط الشحن رافلاي Reflye برقية جديدة إلى وزارة الخارجية الفرنسية قال فيها: **"أبلغت الوكالات المعنية بالشحن في مرفأ بيروت أن جثة السلطان السابق وحيد الدين في الطريق وأنا في انتظار تعليماتكم".**

أرسل وزير الخارجية الفرنسي بارثيلوت ، الأمر الذي كانت بيروت تنتظره منذ أيام ، في اليوم التالي ، أي في 22 حزيران: حيث قال: **"السلطان محمد السادس. تم تحميل جثمانه على السفينة المسماة كارنيولو في تريست في 2 حزيران وستكون السفينة في 2 تموز في بيروت. أتفق مع وجهة نظركم في أن جنازة السلطان العثماني السابق لا ينبغي أن توفر فرصة للتظاهر ضد إدارة حكومة الإنتداب الفرنسي بلبنان وسوريا. لا أرى أي سبب يدعو إلى ترتيب أي ترتيبات رسمية. لن يحضر الإيطاليون جنازة تأبين السلطان العثماني وحيد الدين ، ولن نحضرها نحن ايضًا".**

لم تكن تعليمات وزارة الخارجية الفرنسية لترضي المفوض السامي الفرنسي رافية Reffye ، لذلك أرسل إلى باريس برقية في يومه لمراجعة هذه التعليمات. وأراد بعض المرونة من قبل الحكومة الفرنسية حيث قال في برقيته:

"أنا قلق من أن القرار سيؤذي الشعب المسلم في بيروت ودمشق. وسترحب حكومتا لبنان وسوريا بالجنازة برجال درك الشرف. اقتراحي هو أن تكون فرقة شرف فرنسية حاضرة عند نزول الجنازة عندما يصل القطار الذي يحمل نعش تابوت السلطان الراحل وحيد الدين إلى دمشق ، لكنني لا أعرف كيف أفسر هذه الحركة لحكومة الكماليين في أنقرة؟ أطلب تعليمات أخيرة من معاليكم ". كان رد وزير الخارجية على المفوض السامي الفرنسي رافية Reffye ، الذي طلب بعض المرونة وبعض المجاملة ، في 24 يونيو قاسياً إلى حد ما:

"نفذوا تعليماتي؛ سلوك السلطان الراحل وحيد الدين تجاهنا لا يتطلب من الجنود الفرنسيين الوقوف في حالة صمت واحترام في جنازته".

وفي آخر برقية أرسلتها باريس إلى المندوب السامي الفرنسي بدمشق عن جنازة السلطان وحيد الدين قالت فيها عبارة من جملة واحدة فقط لا غير: **"لا داعي للاحترام!"**

السلطان محمد وحيد الدين الملقب بشاه بابا أي الملك الوالد لشعبه؛ الذي أرجع أُسس سياسته إلى الصداقة البريطانية وسياسة التقارب الفرنسية ، رأى في صحته أن إنجلترا دفعته جانباً ... شهد نعشه نفس سلوك الفرنسيين ... مكافأة لسياسة التقارب الفرنسية كانت الجملة الواردة في نص برقية أرسلت من باريس إلى المندوب السامي الفرنسي بدمشق مفادها: **"أنه من غير الضروري وجود جنود فرنسيين في جنازة وحيد الدين..."**

في البرقيات بين العواصم ، قيل إن العبارة التي ستأخذ الجنازة كانت ستغادر في 24 يونيو ، وتم الاستعداد لكل شيء بناءًا على هذا التاريخ ، لكن باريس وروما فاتهما الجزء الأكثر أهمية من العمل؛ وتوقف فكر رجال العاصمتين؛ إذ أن الزمان لم يتمكنوا من التحكم فيه. فكرت الحكومة الفرنسية في إرسال شخص ما إلى تريست والحصول على معلومات مباشرة، "أبلغت وكالة البحرية الإيطالية أن الجنازة على وشك الوصول. وقد أدى هذا إلى انزعاج الاستخبارات الفرنسية بسوريا ولبنان بقيادة المنوب السامي الفرنسي يافه Yafa، مما دفع المندوب السامي الفرنسي يافه Yafa للسفر إلى بيروت، وسفينة كارنيولو الإيطالية التي تحمل نعش السلطان الراحل وحيد الدين راسية منذ الساعة السادسة بعد ظهر يوم 17 حزيران (يونيو) في مرفأ بيروت، أي قبل أسبوع من الموعد المتوقع لوصولها، وتوجه المندوب السامي الفرنسي العام نحو

بيروت، وهو في حيرة من أمره ولا يعرف هل يتوقف في طريقه ويعود أدراجه إلى دمشق أم يذهب من هناك إلى بيروت ...

3.4.المغامرة الأخيرة لنعش السلطان وحيد الدين من بيروت إلى دمشق

نتعرف على تفاصيل هذه المغامرة الأخيرة لجنازة السلطان وحيد الدين، أي الرحلة من لبنان إلى سوريا من رسائل عمر فاروق أفندي؛ الذي أخذ نعش والد زوجته السلطان وحيد الدين إلى سوريا ، حيث كان يرسل رسائل بطريقة ما إلى مقاطعة نيس بفرنسا حيث كانت تقيم زوجته صبيحة سلطان أثناء هذه الرحلة الشاقة. حيث أن الأمير عمر فاروق تحدث عن الحوادث المجهولة في رسائله لزوجته، وتحدث عن الترحيب في بيروت من قبل السكان، وقدم تفاصيل عن الاستعدادات لاستقبال جنازة السلطان وحيد الدين في دمشق من أهل المدينة ومسؤوليها.

بينما كان عمر فاروق أفندي يستعد للرحيل والركوب إلى طريق بيروت - دمشق أرسلت له زوجته صبيحة سلطان برقية تطلب منه أن يقوم بعمل تركيبة رخامية وشاهد قبر باسم والدها السلطان وحيد الدين؛ وقد وصلت هذه البرقية للأمير عمر فاروق أفندي بفندق قصر سافويا اكسلسيور Savoia Excelsior Palace اثناء وجوده بشرفة حجرته ظهر يوم 17 يونيو ، قبل أن ترسو العبارة الإيطالية التي تحمل جثمان السلطان الراحل مباشرة، وبينما كان الأمير عمر فاروق أفندي يستعد لاستقبال جنازة حماه والد زوجته وابن عم والده؛ أتى من أخبره إن المستندات اللازمة لنقل جثمان السلطان الراحل وحيد الدين إلى بيروت لم تكتمل بعد؛ لهذا أرسل إلى زوجته صبية سلطان ابنة السلطان الراحل مكتوب قال فيه:

"صبيحة العزيزة،

أرسلت رسالة أمس، لا أعرف ما إذا ما كانت قد وصلتك؟ أنا أشعر بالفضول تجاهك. حاولت الاتصال مرتين الليلة الماضية، لم أتمكن من التوفيق في عمل اي شيء للآن. اعتني بصحتك في لأجل الله. كيف حال عائلتنا بالمنزل؟ وصلت برقيتك فتلطفت بصدري المفقود الليلة الماضية، وأنا سعيد للغاية بها. وكان سامي قد أرسل طارق بك إلى سوريا. وانطلق ليلحق بعبارتنا. ماذا يعني فعله هذا؟ ما هو المعنى وما الاسباب التي دفعته إلى ذلك؟ دون التنسيق معي. ذهبت إلى المحافظ بعد ظهر أمس. يبدو أن جميع الأشياء الضرورية تسير على ما يرام في الوقت الحالي. أخشى فقط أنه ليس لدينا وثيقة تفيد بأن الجثة يمكن أن تذهب إلى سوريا، حتى لا نواجه أي صعوبات هناك. بيروت لم تعد تخضع لسيادة الحكومة السورية بدمشق. فقد انقسمت البلاد إلى دولتنا مستقلتان، الآن أنا لست في سوريا كما كان نقول في الماضي؛ الآن

أنا داخل حدود الجمهورية اللبنانية المنشأة حديثًا. لذلك ، يجب علينا أيضًا التقدم بطلب إلى الحكومة المحلية في هذا المكان وطلب عليه أن يكون ملاءمًا. أخبري حسين (32 عما كتبته وحاولي أن تجعليه يساعدني إن أمكن. على الرغم من أن والدي كتب إلى سليم أفندي لتنفيذ المبادرات اللازمة. لكنني لا أعتقد أن مثل هؤلاء الأشخاص يمكنهم فعل أي شيء بمفردهم. إذا ذهبوا إلى بيروت ولم يصلوا إلى الشاطئ، فسيكون ذلك وصمة عار علينا جميعًا. دعي والدي يعرف على الفور أنني كتبت هذا، سيكون من المناسب والجيد على حد سواء إذا أرسل والدي برقية تقول ، "أتوقع من جانبك اتمام كافة الإجراءات اللازمة" عن طريق برقية بخطوط البرق" إذا كان ذلك ممكنا ، أقراي والدي هذه الرسالة بنفسك.

إنها الساعة الثانية الآن. سنركب العبارة في تمام الساعة الرابعة ونغادر الساعة السادسة. لا توجد طريقة يمكنني من خلالها إرسال خطاب إليك بعد ذلك. ربما إذا كانت العبارة التي كنا فيها في طريقها للعودة، يمكنني إرسال برقية أخرى. بالمناسبة لا أنسى أن أقبّل عينيك عزيزتي صبيحة. 17 يونيو/حزيران 1926.

عمر فاروق "

وهناك رسالة أخرى بتاريخ 21 حزيران كتبها الأمير عمر فاروق أفندي على العبارة التي استقلها من يافا إلى بيروت وأرسلها بالبريد من يافا قبل وصوله إلى بيروت، كانت مليئة بالحزن .. كان يسأل القرون الماضية ويناقش أخطاء أجداده؛ كتب فيها:

" 21 يونيو/ حزيران1926

صبيحة العزيزة الغالية،

لا يمكنك تخيل مقدار العذاب الذي تركته عندما غادرت المنزل. خاصة عندما سمعت أن آلام وضعك أنتهت، انتهيت. لقد أرسلت سلامي ولا أعرف هل جاءكِ؟ اضطررت للمغادرة دون أن أودع أيًا منكم هناك. أردت أن أريحكم من عصبيتي ، الآن اكتب لكم هذه الرسالة وأنا اهتز مؤخرًا مع أمواج البحر على متن هذه السفينة ، ولا أعرف ما إذا كنت سأتمكن من النجاح فيما كلفت به بشأن عمي وحماي السلطان وحيد الدين أم لا. الأفكار تتنازعني من جهة، وخطورة وضعنا من جهة أخرى يقلقني، لا تتركيني وشأني. إن الله سبحانه وتعالى يريدنا أن نعاني الكثير من الآلام التي قُدِّر لها بعلمه هذه الأيام، وسيكون الأمر كذلك. الطقس جيدًا جدًا، ومشاهدة البحر الأزرق "البحر المتوسط" المتصاعد والحصول على بعض الراحة كان أمرًا جيدًا، لكن القلق على مستقبل ابنتنا الرضيعة جعلني أتوتر مرة أخرى. هناك العديد من العائلات اليهودية التي هاجرت إلى فلسطين كركاب من الدرجة الثالثة في الجزء الخلفي من العبارة الخاصة بنا. توفيت ابنة أحدهم صباح أمس من البؤس والضعف. أجرينا جنازتها هذا الصباح. تم وضع الجثة في

صندوق خشبي، وعلى الرغم من وجود جميع أفراد طاقم السفينة، تم إطلاق الصندوق الخشبي في البحر كسلة – مهملات- ألقيت فيه؛ وتركت في حضنه. يمكنك التفكير في هذ العائلة البائسة، قبر ابنتهم هو جوف البحر، ومكانها غير معروف، فقد نزلت إلى قاع البحر. لا توجد لدي أيةُ كلمات إضافية يمكنني أن أصف بها هذا الموقف.

و عندما كنا خارج جزيرة كريت؛ بعد أن ركبنا من إيطاليا وأثناء توجهنا إلى يافا أمكنني رؤية الشاطئ من بعيد. كانت العبارة ترسوا قرب الساحل من بعيد لساعات، وأعتقدت أنها ستستمر لساعات أخرى. يا لها من جزيرة جميلة وكبيرة. مقاطعة كريت التابعة للسلطنة العثمانية السابقة. يعلم الله كم أشعر بالحزن وأنا أنظر وأرى؛ كل ما كان في بلادي من أملاك صار لغيرنا؛ وصرنا نحن الغرباء. آه يا حكامنا البائسين الذين لم يعرفوا كيف يحافظون على وحدة تراب وطنهم وأمتهم وروح شموخ كبريائها؟ وباختصار لا شيء يقال الآن!!! لقد فعلوا ما سيحاسبون عليه أمام أمتهم وبلادهم وأنفسهم. هذه البلاد الجميلة اليتيمة المؤسفة! التي صارت في قبضة الأعداء. عبّارتنا ليست كبيرة جدًا، لكنها ليست صغيرة جدًا كذلك؛ طعامهم جيد جدا، ولكن الوحدة سيئة. هناك بريطاني واحد فقط غيرنا بين ركاب الدرجة الأولى، هذا كل شيء. نلتقي عادة مع القبطان والضباط. معظمهم من الضباط النمساويين السابقين وقد تدربوا في النمسا؛ توقيع الأمير عمر فاروق أفندي".

وصلت باخرة جنازة السلطان وحيد الدين في الأسبوع الأخير من شهر حزيران إلى بيروت.

في وقت كتابتي لهذا الكتاب لم يبق على قيد الحياة من الذين شاركوا في جنازة السلطان وحيد الدين سوى شخص واحد فقط ؛ هو محمد أورخان عثمان أوغلو رئيس الأسرة العثمانية في بيروت (توفى في مارس 1994) وهو الذي استقبل مرافقي جنازة السلطان وحيد الدين من شباب الأسرة العثمانية في بيروت ؛ حيث قال لي:

"... ذهبنا إلى بيروت؛ حين وصلت السفينة. كانت الجنازة الحزينة في الطابق العلوي، لكن بدأت رائحة الجثة المتعفنة تخرج؛ حتى أن هناك بعض الأجزاء من عفن الجثة والمواد السائلة بها تتساقط على طول الطريق؛ على ما يبدو أن الحفظ للجثة لم يكن جيدًا؛ لم يقموا بالضرب لإعلان الناس بوصول جثة السلطان خليفة المسلمين، لم يفعلوا أي شيء ، رفضوا أن يخبروا الناس في بيروت إنه قادم. بعد تلك اللحظات العصيبة نظرت فيمن حولي فوجدتنا نحن أنا وسليم أفندي و عبد الكريم أفندي؛ وأخيرًا حضر إلينا عمر بك نامي ، هو هناك بالطبع ممن قاموا بحمل نعش تابوت السلطان وحيد الدين ووضعه في العربة التي كانت تنتظر على رصيف الميناء ببيروت، وأغلقنا العربة جيدًا من الخلف كي لا يتعرض التابوت للأذى

...ثم ربما مر ثلاث أو أربعمائة شخص أمامنا. جاء كل من الحمال والجمال والبائع؛ ولكن عندما انتشر خبر وصول جثمان سلطان الدولة العثمانية وخليفة المسلمين وحيد الدين بين الناس فوجئنا بأن كل أهل بيروت قد حضروا؛ ولكن لا يوجد بينهم صحفي. لم يأتِ أيُ صحفي ويسألنا عن شيء. على ما يبدو أنه كانت هناك أوامر من سلطات الإنتداب الفرنسي بذلك؛ في ذلك الوقت العصيب علينا نفسيًا إذ بكل عوام الناس هؤلاء من أهل بيروت وبخاصة عمال الأعمال الوظيفية من أهل المدينة بدأوا يقترون منا ومن سليم أفندي على وجه الخصوص ويشدون يديه لتقبيلها؛ وهو يحاول أن يبعدها عنهم؛ وبخاصة بعد أن علموا أنه ممن يحملون نعش جثمان السلطان محمد وحيد الدين؛ وبدأ الناس من أهل بيروت يظهرون لسليم أفندي احترامًا زائدًا. حاول سليم أفندي أن يضع يده على رأسه؛ كي لا يسحبها الناس لتقبيلها بالقوة؛ كان الشعور العام لدى هؤلاء البسطاء أن أباهم جميعًا؛ ومن كان يرعاهم هو الذي بداخل النعش؛ بدى عليهم الحزن؛ كأنهم اصبحوا بلا راعي يتحدث باسمهم أمام القوى الغربية؛ شعروا جميعًا حينها بمرارة تفرق الكلمة؛ وبمعنى الإحتلال الحقيقي. لم نشأ أن نسبب أي مظاهرات؛ ولم نستجب لمشاعر الناس الجارفة الغاضبة ضد الحكومة الفرنسية حينئذ؛ إذ أننا لو فعلنا ذلك لضحينا بدماء هؤلاء الأبرياء؛ ولكنا سببًا في منع سلطات الاحتلال الفرنسي لدفن جثمان السلطان وحيد الدين بدمشق؛ ولم يكن لدينا القوة لنردعهم؛ فقد انتهى الوجود الفعلي للسلطنة والخلافة العثمانية على الأرض. وفي تلك اللحظات التي يختلط فيها الحزن بالمهابة ويختلط الإحترام والتقدير بالألم رأينا عمر فاروق بك في الخلف؛ مما اضطرنا أن نعود إليه ليشارك في المقدمة مع من حملوا نعش السلطان وحيد الدين. وحينها سألناه عن سامي بك:" أين هو؟"؛ فأخبرنا أنه ينتظر وصول نعش جثمان السلطان وحيد الدين في دمشق. وأكلنا المسير حتى وصلنا إلى مكتب تمثيل القنصلية الفرنسية في بيروت فقمنا بزيارة النائب الرئيسي للتمثيل الدبلوماسي بالفرنسي؛ كزيارة روتينية؛ لاظهار حسن النية؛ وبخاصة بعد أن بدأ الناس بالهتاف:" بأن أرض الشام أرض واحدة؛ وأن لبنان وسوريا بلدٌ واحد"؛ حينها خشينا من أن ينقلب الوضع في الجنازة إلى مظاهرة عارمة؛ لكننا عندما دخلنا إلى ممثل القنصلية قطعنا أمل الناس في العصيان؛ إذا أننا لم نكن لنعلم هل كان بينهم محرضين من قبل سلطات الإحتلال الفرنسي لبلاد الشام أم لا؟ ولم نشأ أن نعرض نعش جثة السلطان وحيد الدين للأذى أكثر مما تعرض له الجثمان طوال رحلته حتى وصل إلى بيروت. ثم توجهنا إلى المسجد الجامع في بيروت وتركنا نعش السلطان الراحل هناك؛ وتوجهنا إلى احدى المطاعم لنأكل؛ لم نأكل منذ مدة طويلة؛ وقد خارت قوانا؛ ولكن عندما خرجنا من المطعم في فترة ما بعد الظهر وجدنا أن حشد الناس لحضور جنازة السلطان وحيد الدين من مكتب الميناء حتى المسجد الجامع ببيروت لا يصدق؛ لقد كان الحشد لا يمكن تصوره. وبدأ بعض الأهالي ممن يعملون في الفرق الموسيقية الشعبية يخرجوا بالآلاتهم

من أنفسهم ويعزفون للسلطان الراحل تكريمًا لجنازته؛ ولم يكن أثناء هذا التجمهر من آهالي بيروت مكان أكثر من ربع بوصة واحدة يمكنك أن تطأه قدمك؛ كأن بيروت كلها خرجت عن بكرة أبيها لتودع عزيزًا عليها أو فقيدًا لها. لقد حاصروا سيارة نعش السلطان الأتوماتكية من كل جانب، في هذه اللحظات المهيبة دعاني بعض أفراد الأسرة العثمانية إلى المكوث عندهم خارج بيروت بضعة أيام؛ ولكني لم أستطع قبول دعوتهم، في اليوم التالي قبيل وصول قطار دمشق لنقل جثمان السلطان الراحل مكثت في بيت شرف الدين أفندي. وفي صباح اليوم التالي في تمام الساعة الرابعة والنصف انطلقنا إلى دمشق بقطار خاص بنقل الجنائز. ولكنني لا أنسى كيف كان مشهد الجنازة في بيروت رهيبًا؛ ولم يكن هذا المشهد من اعدادنا أو من اعداد سلطات الاحتلال الفرنسي؛ بل من اعداد عوام الناس بعواطفهم الجياشة ناحية سلطانهم وخليفتهم؛ وهذا ما زاد من حنق السلطات الفرنسية وغضبها على الجنازة حينئذ؛ إذا أن كل مسؤول أو موظف فرنسي قابلنا في الطريق عاملنا بجفاء شديد وبعدم احترام؛ لأنهم شعروا بأنهم غير مرغوب بهم في هذه البلاد؛ لقد حضر جنازة السلطان محمد وحيد الدين كل أعيان بيروت حتى كل رجال الدين شاركوا فيها في الحفل الذي أقيم في بيروت؛ وبالرغم من مشاركة الجميع في جنازة السلطان الراحل في بيروت؛ إلا أنه لم يركب معنا من أهل بيروت في القطار الذي ينقل نعش السلطان الراحل إلى دمشق سوى زين الدين أفندي وشرف الدين أفندي؛ ولم يحضر اي شخص آخر معهما من بيروت. وفهمت بعد مجيئي إلى هنا سبب عدم مشاركتهم؛ إذ أن قطار دمشق تأخر أكثر من عشر ساعات عن موعد قدومه؛ بالرغم من كونه قطارًا خاصًا. وفي أثناء هذا الإنتظار الطويل استقبلنا رئيس المحطة وممثل دائرة الحكومة اللبنانية هنا نامي بك والمسؤولون الحكوميون والشعب. حتى أن رئيس محطة القطار سامي بك قال لنا:"أنتم لستم غرباء؛ أنتم لستم في أرض أجنبية؛ هذه هي أرضكم وهذا بلدكم؛ وأنتم في مسقط راسكم؛ أنا أشعر أن السلطان وحيد الدين أحد أقاربي الذين وافتهم المنية". شعرت حينها وكأنني حقيقة في بلدي؛ وكانت سعادتنا الوحيدة! أنه تم نقل نعش جنازة السلطان وحيد الدين من المحطة إلى مسجد السلطان سليم الأول الجامع في بيروت في مراسم مهيبة من قبل الأهالي لأداء صلاة الجنازة عليه؛ ورفض المسؤولون الفرنسيون من حكومة النتداب الفرنسي حضور أي مراسم لجنازة السلطان وحيد الدين في بيروت؛ مع مراسم وانتهى الحفل على هذا النحو. في اليوم التالي ، بعد زيارتنا الرسمية لنامي بك رئيس مكتب المحطة الحكومية ، ذهبنا للقاء المندوب السامي الفرنسي السيد بييار **Mösyö. Piyer** الذي له التأثير كبير على مجريات الأمور في لبنان. لقد استقبلنا بلطف شديد ولم يسمع من الفرنسيين حتى الآن أن أحدهم استقبلنا بهذا اللطف منذ وصول جنازة السلطان الراحل إلى بيروت. وتحدث عن عائلتنا وعن الحب الأبدي بين الأسرتين الملكيتين الفرنسية والعثمانية ، بطريقة لا أحبها. ثم جاء المندوب السامي الفرنسي لزيارتنا

بعد عودتنا من عنده في فترة ما بعد الظهر؛ لتوديعنا. أما بالنسبة لدفن جثة السلطان وحيد الدين، فما زلنا نواجه بعض الصعوبات. ولبعض الأسباب الخارجة عن إرادتنا لم نوفق لبعض في اختيار المكان المناسب لدفن جثمان السلطان وحيد الدين بدمشق. وأخيراً تم اتخاذ القرار بنقل ودفن جثمان السلطان الراحل بمحيط حرم مقبرة السلطان صلاح الدين الأيوبي بدمشق. لاحقًا تقرر دفنها في إحدى الغرف داخل الحرم الخارجي بمسجد السلطان سليم الأول الجامع بدمشق، ولكن عندما خرجت المياه الجوفية من الأرض أثناء التنقيب؛ تم التخلي عن دفنه أيضًا داخل الحرم الخارجي لجامع السلطان سليم الأول؛ وتقرر دفنه في الفناء الملحق بالجامع. على الرغم من أن هذا المكان الأخير هو الأنسب للجميع من حيث موقعه؛ إلا أنني لم أرغب في ذلك؛ بسبب الخوف من عدم إمكانية بناء ضريح أعلى القبر، لكنني اضطررت لاتخاذ هذا القرار بالموافقة على دفنه في هذا المكان بدافع اليأس. على تتعهد الحكومة السورية ببناء ضريح في المستقبل على قبر السلطان إن شاء الله؛ ليستظل به الناس قراءة القرآن والراحة اثناء زيارة قبر السلطان وحيد الدين. لقد وصلنا بمجرد حلول الظلام إلى مدينة دمشق وفي المساء عندما وصلنا إلى دمشق بدأت معارك الشوارع بين قوات الاحتلال الفرنسي والمقاومين، وكانت المعارك عادة ما تستمر التي لفترات طويلة، هنا بينما كنا نتناول العشاء. ولا نعرف ما الذي يجري في الخارج ، وبعد معركة عنيفة بين المقاومة السورية وقوات الاحتلال الفرنسي سمعنا أصوات ضجة كبيرة في المدينة نتيجة قذف المدفعية الفرنسية القنابل على المقاومين. وبعد بضع ساعات من حرب الشوارع الشرسة، ساد الصمت مرة أخرى. في كل ليلة تقريبًا ، يهاجم المدينة المدينة ويقدون مضاجع الفرنسيين بانتظام. هناك صراعات كذلك داخل المدينة ومع القرى والمناطق المجاورة أحدثها الفرنسيون ليشغلوا الناس بصراعتهم الداخلية عن مقاومة قوات الإحتلال الفرنسي. الضجيج المستمر للرشاشات والبنادق الميدانية ذات السبعة والنصف عيار التي تقاوم بها المقاومة في هذه المدينة لا تجعل الناس ينامون بهدوء في الليل. والفرنسيون يلاحقون بطلقات المدافع رجال المقاومة من جزء من المدينة إلى أجزاء أخرى منها، وتطلق النار باستمرار على مداخل دمشق من قبل قوات الاحتلال الفرنسي لمنع المقاومة من دخول دمشق والاستيلاء عليها. حتى الطائرات الحربية الفرنسية التي دائمًا ما تحلق في سماء دمشق لضرب الأحياء الثائرة عبر إلقاء القنابل من أعلى تجعل الضجيج أكثر من أي ضجيج سابق. لقد كانت دمشق جبهة حرب بكل معنى الكلمة. الفرنسيون ولا الأهالي يأمنون على أنفسهم؛ وكل منهم يتربص بالآخر. ولكن أثناء النهار يكون الجو هادئًا؛ وفي الليل دائمًا ما تبدأ المعارك بين المقاومة والفرنسيين مرة أخرى. اعتاد الناس على هذا الموقف الآن إنه أمر طبيعي للجميع. ولكنه في نفس الوقت وضع غير طبيعي لا يمكن تصوره. وحكومة الانتداب الفرنسي تشتبه في الجميع والناس من كثرة الجواسيس لا يأمنون في الحديث مع من لا يعرفون من الغرباء؛ وبهذه المناسبة

، دعني أتحدث عن الجزء المضحك. وبما أن ضياء الدين أفندي الذي لا حول له ولا قوة له؛ لم يعتاد على مثل هذه الأصوات ، فإنه بدأ يشعر بالخوف على حياته عندما تبدأ أصوات البنادق والمدافع بالضرب. كم مرة رأيناه يسقط من على سيريه أثناء إطلاق النيران بين المقاومة وقوات الاحتلال الفرنسي. ضحكنا كثيرا الليلة الماضية عليه. لقد انهارت أعصابه وأخيرًا أصبح غير قادرًا على التحلي بالصبر؛ وعند الصباح لم نجده؛ إذ فر إلى بيروت. حينها سألني من معي من مرافق نعش السلطان وحيد الدين:"هل ستكمل هذه الرحلة رغم كل هذه الصعاب؟" فأجبتهم:" بنعم؛ سأبقى هنا حتى يكتمل الدفن". كان رشيد بك غير يشعر بعدم الراحة بعض الشيء. حيث أرتفعت درجة حرارة جسمه منذ أمس. أعتقد أنه لم يكن معتادًا على تأثير الحرارة الحارقة لشمس دمشق. كانت الحرارة لا تطاق لعدة أيام. أعتقد أن درجة حرارة الجو وصلت إلى ستين درجة وربما أكثر في دمشق؛ حيث كانت أشعة الشمس تلفح الجميع كالهيب. الله أعلم إلى متى سنستطيع أن نتحمل هذه الحراة الشديدة. لكنني سأكون كاذبًا إذا أخبرتك بغير الحقيقة أنني لم أكن غاضبًا من هذه الحراة؛ الجميع كاد يختنق منها؛ ثم سألت الأمير عمر فاروق:" ألا يمكنك إرسال برقية للسلطات الفرنسية لنعلم متي ستحين ساعة الدفن للسلطان الراحل؟ ألا يجب أن تفكر في ذلك؟" كم كنت فضوليًا؛ إذ أنني كنت أريد أن أعرف كيف سينتهي مسار هذه الرحلة؟ ثم سألته: "عن حالته النفسية وفيما كان يفكر؟" فأجابني:" بعد أن تتم مراسم دفن السلطان وحيد الدين؛ سأعود من دمشق إلى بيروت؛ لأمكث فيها بعض الوقت للراحة. وسأتركم في أمان الله وحفظه؛ لقد أرسلت برقية إلى زوجتي قلت لها فيها:"أستودعكم جميعاً الله الذي لا تضيع ودائعه. وأقبّل عيون أطفالي وخدودهم ومعك وأرسل لك ولهم قبلاتي ، دفعة واحدة من كل الجهات". 3 يوليو 1926.

عمر فاروق"

وفي برقية أخرى من الأمير عمر فاروق إلى عائلته في فرنسا قال فيها:" **أقبل يدي والدي وأمي؛ وأرسل قبلات خاصة إلى عيني ابنتي در الشاه فر . أقبلكم وأحيي من في منزلنا كثيرًا. واقول لكم لقد ألتقيت برجل يدعى أحمد نامي بك وهو رئيس الحكومة السورية الحالية وعلى الرغم من أنني لا أعرفه جيدًا، إلا أنني سيفعل الأشياء الضرورية الخاصة بمراسم دفن السلطان وحيد الدين. وختامًا لا أنسى تقبيل يدي العزيز شرف الدين".**

4.4. دفن جثمان السلطان محمد وحيد الدين في باحة جامع السلطان سليم الأول

وفي المكان الذي اختاره عمر فاروق أفندي تم دفن جثمان السلطان محمد وحيد الدين في صحن جامع السلطان سليم الأول بدمشق الملاصق للتكية السليمانية.

كان عمر فاروق أفندي في رسالته الأخيرة إلى زوجته صبيحة سلطان ابنة السلطان وحيد الدين، يتحدث عن مكان القبر وكتب لها يقول: **"... ربما لم أرغب في ذلك بسبب الخوف من عدم إمكانية بناء ضريح عليه، لكن كان علي أن أتخذ هذا القرار من اليأس .. فالحكومة السورية تعد ببناء ضريح عليه قريبًا قريبا إن شاء الله ..."**

كان صهر السلطان الراحل وحيد الديد محقًا في خوفه ، فلا يمكن بناء قبر فوق قبر السلطان وحيد الدين بعد دفنه؛ فحكومة الانتداب الفرنسي لن تسمح بذلك. بقيت جثة السلطان وحيد الدين في كومة من التراب لفترة طويلة ، وبعد سنوات وُضِع عليها تركيبة رخامية؛ ولكنها كانت تركيبة رخيصة نحتت يدويًا؛ لا تليق بلسطان الدولة العثمانية وخليفة المسلمين؛ ونقش علي شاهد قبره المتن التالي **:"هو الباقي؛ السلطان بن سلطان السلطان محمد وحيد الدين خان السادس الفاتحة لروحه. ولد 20 رجب 1277 هـ/ 21 فبراير 1861م؛ وتوفى بتاريخ 18 ذو الحجة 1345 هـ/ 16مايو 1926 م"؛ ونقش حول أطراف التركيبة الرخامية التي تعلو لحد السلطان وحيد الدين آية الكرسي.**

حاولت صبيحة سلطان، ابنة السلطان وحيد الدين ، بناء قبر لوالدها في عام 1945. تم دفع تكاليف البناء من قبل صهر الجديد للسلطان الراحل محمد وحيد الدين، الأمير عبدالمؤمن؛ والأمير عمرو، والأمير محمد علي إبراهيم وجميعهم من العائلة الملكية المصرية. رسم المشروع المهندس المعماري السوري محمد صلاح الدين البوني الذي كان يتحدث التركية بطلاقة. ونظرًا لضيق المساحة، فقد تم التخلي نموذج إنشاء ضريح على الطراز العثماني التقليدي فوق قبر السلطان وحيد الدين وأعد مشروعًا أكثر تواضعًا بارتفاع ثلاثة أمتار. لكن البناء لم يبدأ عندما تدخلت البيروقراطية الروتينية السورية والحروب بالمنطقة والثورة – العسكرية- في مصر عام 1952م.

في السنوات اللاحقة ، تم إحضار جثث بعض أفراد الأسرة العثمانية من الذين وافتهم المنية أثناء وجودهم في المنفى في لبنان وسوريا إلى دمشق ودفنوا في صحن المسجد الجامع للسلطان سليم الأول[80] ، وأصبح الفناء مقبرة عائلية مع مرور الوقت . وكان آخر سكان المقبرة عابد أفندي أصغر أبناء السلطان عبد الحميد الثاني الذي كان يكسب رزقه من بيع الصابون من باب إلى باب في أزقة وشوارع باريس وتوفي في بيروت عام 1972م.

[80] أكمل بنائه السلطان سليمان القانوني وأضاف إليه تكية خاصة للفقراء والحجاج الأتراك القادمين من الأناضول وطلبة العلم الشرعي؛ وصار يعرف البناء ككل بالتكية السليمانية في دمشق؛ لهذا نجد مؤلف الكتاب يذكر أن السلطان محمد وحيد الدين دفن في جامع السلطان سليم الأول بدمشق؛ بينما تذكر المصادر العربية أنه دفن في التكية السليمانية في دمشق؛ فالمشهور الآن لدى أهل دمشق أن السلطان وحيد الدين مدفون بالتكية السليمانية؛ حتى أن البعض يطلق على جامع السلطان سليم الأول بدمشق اسم جامع السليمانية؛ لأنه داخل ضمن حدود حرم التكية السليمانية التي كانت اشبه بكلية اي مجموعة معمارية متعددة الوظائف؛ المترجم.

اليوم بعد أعمال الترميم التي قامت بها الحكومة التركية في جامع السلطان سليم الأول بدمشق، أصبح الصحن الخارجي للجامع الذي يحوي رفات ومقابر السلاطين العثمانيين أكبر مقبرة للسلاطين العثمانيين في دمشق. حتى اشتهرت لدى العامة باسم السلاطين العثمانيين؛ وأكبر هذه الأضرحة حاليًا ضريح السلطان محمد وحيد الدين؛ بصفته رب الأسرة العثمانية، وضريح السلطان وحيد الدين متقدم كثيرًا أمام الجدار الذي يفصل الصحن عن المسجد السلطان سليم الأول؛ فهو لا داخل الجامع ولا خارجه. والعائلة التي تخدم تربة السلاطين العثمانيين تتقاضى راتباً شهرياً من وزارة الأوقاف السورية، تعمل على رعاية وترميم القبور الأثرية، وتنتقل وظيفة خدمة مقابر السلاطين العثمانيين من الأب إلى الابن.

ونعود للماضي قليلاً؛ عقب وفاة السلطان محمد وحيد الدين ووصول خبر وفاته من سان ريمو بإيطاليا إلى تركيا؛ حيث نشرت صحف اسطنبول نبأ وفاة السلطان وحيد الدين في الصفحة الأولى لكن دون تعظيم. وردت تعليقات عليه في الأيام التالية، وكُتب الكثير عنه.

ومن أبرز هذه الكتابات مقال رفيق خالد بك (الملقب بقراي) المدير العام للبريد وخطوط البرق في عهد حكومة الصدر الأعظم والصهر السلطاني فريد باشا؛ وأحد أكثر كتاب الأدب التركي نشاطًا في بداية عهد الجمهورية التركية والذي نشر في جريدة الطريق الصحيح Doğruyol gazetesi التي كانت تطبع بمطابع حسن صادق أفندي والتي كانت تنشر في حلب مقالاً قال فيه **:" نبدأ بقراءة سورة الفاتحة 150 مرة على روح السلطان محمد وحيد الدين".** لقد كان هذا المقال الذي ترحم فيه رفيق خالد أفندي على السلطان وحيد الدين في نفس الوقت محاكمة منه لحياة السلطان السياسية؛ وأنه هو الذي أفضى بنفسه إلى الخوف من هذا المصير المجهول الذي أصبح ينتظره وينتظر كل من له علاقة به من رفقائه ومعاونيه؛ حيث كتب يقول:

"... يبدو لي أن هذا السلطان التركي كان يحتضر في غرفة ضيقة معتمة؛ بقصر صغير في قاعة مفروشة بالرخام، على عكس الصالات المضيئة؛ والواسعة التي كان يحيا فيها؛ حيث تشع من الثريات جميع أنواع الأضواء؛ وتمتد القاعات الرخامية إلى الآفاق كالبحر. نسي هذا السلطان بعض الأخطاء التي ارتكبها تحت ظل القانون، لكننا سوف نبدي بهجة طيبة لوفاته. وسنعفوعن التجاوزات التي ارتكبها؛ احترامًا للنصر الذي تحقق في حرب الاستقلال. وإذا متنا غدًا، سنفعل مثلما فعلنا سابقًا؛ وسنسلم أرواحنا للموت ونحن نؤمن بما نحن عليه! من مبادئ الديمقراطية والحرية والعدل والمساواة".

ومن الجدير بالذكر أن برقية سفير تركيا في روما سعاد بك التي كتب يقول فيها إلى أنقرة: **"لقد علمنا الآن أن وحيد الدين قد سقط ومات"؛** وعندما وصلت هذه البرقية إلى أنقرة عندما كان رئيس الجمهورية الغازي مصطفى كمال في أضنة ...

تم تسليم البرقية على الفور إلى أضنة ...

كان الرئيس مصطفى كمال جالسًا لتناول العشاء مع أصدقائه عند وصول هذه البرقية إليه... عندما سمع النبأ ، قال: **"لقد مات أكثر الرجال الخلقًا وشرفًا... لو أراد لأخذ كل الأموال والموجوهرات بقصر طوبقابي "قصر باب المدفعية"؛ ولأنشأ جيشًا بهذه الأموال كي يحاربنا به؛ ليعود إلى عرشه؛ لكنه لم يفعل..."**

5.الوثائق المستخدمة في تحقيق مذكرات السلطان محمد وحيد الدين

بمتن الكتاب

1.5.الوثيقة: 1

مذكرات السلطان وحيد الدين التي بدأ إعادة كتابتها عام 1925:

أملى السلطان وحيد الدين مذكراته على كبير مساعديه عوني باشا في سان ريمو ، لكنه لم يكملها. النص، كما يمكن فهمه عند قراءته ، ليس مذكرات مفصلة ، بل هو مستند يلامس النقاط الرئيسية للأحداث ويتضمن تفسيرات الإمبراطور لهذه الأحداث. الفقرات الأربع الأولى بخط يد السلطان وحيد الدين والباقي بخط يد عوني باشا. وكان علينا إزالة بعض التعبيرات والجمل أثناء نشر النص.

2.5.النص العثماني لبعض ما أملاه السلطان محمد وحيد الدين على عوني باشا

"اسعه و مواجه مى و ديگر طرفين مستولى براى ناولره مقابل وسائل من ورما نام ا طول مامور ايک مقابل من ورما نام ا طول مامور ايكو مى مور مى مور مى مور مى مور ميور مور ميور مور ميور مور ميور مور مو مى مور مى

بر مقدار وطن عزم مانيكون قراى ما نك بالاخره تبديل شكل و ما علمنا من فدا كامران ملكى امتار وتعديل الدم و صرف برسى و حكمت وكمال ميوعتها - تمام لرمز اقتدار كوردم. و سه لرم قراى ملى و نقره وتنميه الدم. ناطولى طمرد كى فطرات شال سه فروند تهيه را مها - اولين شعر

ام الله به موجب قانون اساسى مقام مكرار مصوت مصر اولاد او را هساره .... من انها حرم رضو اور فام".

3.5. وثيقة:2

"بعد حكم وإلغاء السلطنة العثمانية ، أصبح الوضع الذي نتج عن ذلك الآن متجسدًا ومتراكمًا. أدى هذا القرار الغادر إلى عزل السلطنة والخلافة ، لقد كان هذه القرار غير عادل وظالم؛ ولا يستند إلى أي حجة حقيقية؛ ويعتمد على تزييف الحقائق ، عن الدولة وحكومة؛ إنهم أرادوا اسقاط الحاكمية وتبديلها بالقوانيين الوضعية الغربية . وبوقف دعم العالم الإسلامي للأناضول؛ غير قطع الصلة بين مسلمي الأناضول وباقي مسلمي العالم؛ وحصر العالم الإسلامي كله في عنق الزجاجة ، جعل الخلافة الإسلامية شرفية؛ وهذا أمرٌ خطير يقصدون منه تعطيل أحكام الشريعة؛ وهذا ما لا كنت اقبله أو أرتضيه. وهكذا، قررت رفض أو قبول الخلافة العارية عن السلطنة المعزولة عنها. وواجهت أطماع وتواطؤ وخيانة مصطفى كمال الذي عيناه كموظف حكومي في الأناضول؛ نيابة عنا".

4.5. وثيقة:3

" طردنا الظالم الطاغية من الأناضول ونحن من جعلناه إسلاميًا خالصة؛ وقطع مفاصل أوطاننا ومزقها ؛ وجعل مصيرنا من وطننا مظلم؛ وأخيراً ألقانا بنا إلى أحضان الدول الأجنبية. فماذا نقول غير أن "ذلك تقدير العزيز العليم". كان هذا هو مصيرنا في الواقع ، على الرغم من قدرة الناس على الاستيلاء على مصائرهم ، إلا أنها لا يمكن أن تكون حقيقية؛ ولا يمكن أن تسبق الأحداث. هذه هي الفلسفة الأولى للإسلام. الحمد لله أنا مسلم. كنت لولا أنني أعرف حقيقة ديني لكنت من الهالكين، يا إلهي ، قوني. على الرغم من أنني لم أجد الوقت والفرصة لخدمة ديني وبلدي وأمتي بقدر ما أريد بسبب الوضع الذي وضعت فيه، إلا أنني لم أخون أبدًا. في الحقيقة ، لم أستطع قبول رأي مصطفى كمال بالذهاب إلى الأناضول. كنت أعرف أنهم يدبرون أمرًا مع مع الحلفاء حول اسطنبول؛ ولم أكن لأترك لهم اسطنبول ابدًا؛ لذا حافظت على التمسك بموقعي كخليفة للمسلمين وحافظت على موقع اسطنبول كعاصمة ومركز للخلافة الإسلامية لأبعد عنها أيادي الطامعين. قال لي بعض الخونة نصحًا يهدف إلى هلاكي وضياع اسطنبول؛ نصيحة ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب حيق قالوا لي:" بدلاً من البقاء هنا في الخراب والبؤس، كان يجب أن نكون على ظهور الخيل في الأناضول. كما كان أسلافنا العثمانيون الكبار يحملون سيوفهم على ظهور الخيل وعلى رؤوسهم الأكفان. كنت على حق، وظاهر قولهم الصحة. لكن ماذا سنفعل الآن؟ والوضع غير الوضع والعصر غير العصر؛ والرجال الذين قامت على أكتافهم الدولة غير موجوين في عهدي؛ عندما أحضر هذه الفكرة إلي الصدرالأعظم توفيق باشا الذي اعتقد أنه يجب علي الذهاب إلى الأناضول وقيادة الجيش بنفسي، وأظهرت لهم الموافقة واجهت معارضة كبيرة. من توفيق باشا الصدر الأعظم نفسه حيث قال لي: "لا يمكنك القيام بقيادة الجيش وأنت في مثل هذا العمر." حتى عزت باشا وعلي رضا باشا عارضوا ذهابي إلى الأناضول، وهما اللذان كانوا يظهرون لي أنهم ينصحونني بقلوب صافية. وأخيراً ، هُزمت لأنهما قالا لي "تواصلنا مع مصطفى كمال باشا وسننتقم منه". على أية حال ، سوف يبايعون بعدي هم يسيرون على سياسة صهري فريد باشا الصدر العظم السابق. والذي لا يستطيع أن ينتصر على نفسه؛ والذي كان دائمًا ما يقول لي:" عليك أن تصحح أخطائك".

5.4. وثيقة:4

"جمع سيدنا الرسول –صلى الله عليه وسلم- بينالنبوة والسلطنة في حياته الشخصية المباركة. لذا على خليفة المسلمين الذي يمثله بعد غيابه أن يكون رئاسة السلطة التنفيذية كقائد أعلى للدولة؛ كما كان الأمر في عهد الخلفاء الراشدين ، حيث كل والٍ يؤدي عمله فقط ويحكم تحت اسم الخليفة والخلافة، وهو ما

يعني أنه النائب عن الخليفة في ولايته. كأن كل واحد منهم سلطانًا مصغرًا في إطار الإمام الصغرى؛ وهم جميعًا يخضعون لمقام الإمامة الكبرى أي مقام الخلافة ورئيسهم جميعًا الخليفة. إن الله أرسل نبينا-صلى الله عليه وسلم- بالشريعة الخاتمة وبالنبوة في القرآن؛ لكي يطبق الشرع الشريف مثل السلطنة المحمدية في حياة الرسول –صلى الله عليه وسلم- عبر خفلائه. كانت خلافة الصحابة- رضوان الله عليهم-، الذين كرموا بالتربي في حضرة النبوة الشريفة على الدوام، لذا ما قام به الصحابة – رضوان الله عليهم- في الأمورالدينية والسياسيين نبراس للخلفاء من بعدهم في كل عصر، لقد قدموا لنا النماذج العملية لتطبيق الشرع الشريف. وعندما دخل السلطان سليم الأول مصر؛ كان الخليفة العباسي اسمًا ورمزًا دينيًا بلا معنًا سياسيًا، لهذا وافق عن التنازل عن الخلافة إلى السلطان سليم صاحب السلطة الحقيقة. فردت إلى الخلافة السلطنة المسلوبة منها على يد سلاطين المماليك؛ ومن يومها الخلافة والسلطنة توأمان متلازمان؛ لا يفصل أحدهما عن الآخر؛ إلا ويفقد الآخر معناه. هذا النمط مستمر منذ قرون. اختلطت الخلافة ، التي تحولت إلى آل عثمان ، مع سلطنة الإسلام - مثل اللحم والجلد ، وأصبح الاثنان عالمًا لبعضهما البعض. لهذا السبب ، كتقليد وديانة ، اعترف عالم الإسلام بخان الترك باعتباره الخليفة وبايعوه على الفور.

عندما تكون القضية على هذا النحو: الخلافة بدون سلطنة؛ يعني ضياع مقام خلافة النبي –صلى الله عليه وسلم-؛ لأنها تعطلت بفصل الدين عن الحياة؛ لكم أن تتصوروا خليفة بلا سلطنة والسلطنة السلطان السياسي يحمها آخرون بقوانيين الطواغيت الغربيين؛ لذا لعن الله الطاغوت الذي يعطل حاكمية الله في تطبيق شرعه على خلقه في القرآن المجيد. ورسولنا الأعظم – صلى الله عليه وسلم- مثل بعض الأنبياء الآخرين –عليهم الصلاة والسلام- أصحاب شرع واجب التطبيق؛ لا التعطيل. لم يكن ذلك من أجل شعب المسلم فقط. بل ربما كان دوليًا في وقت نشر الدين؛ لأن الأمم تحتاج إلى نظام دولي واحد يحكمهم سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين؛ فبينما لم يلقب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بلقب خليفة الله؛ إلا أن من أتى بعده تلقبوا بخلفاء رسول الله؛ فكان الخلفاء الراشدون مثالاً عمليًا في الجمع بين السلطنة والخلافة.

علاوة على ذلك ، فكما أن الخلافة بدون سلطنة هي لاغية وباطلة ، سيكون من غير الشرعي البقاء في منصب البابوية. لأنه لا توجد روحانية كهنوتية نصرانية في دين الإسلام. الطريقة التي يريد الكماليون من خلالها إنهاء الخلافة؛ ليست حتى على مستوى البابوية ، التي تتمتع بالسيادة في الفاتيكان. لا يمكنني أبدًا الموافقة على مثل هذه الحال والشكل. لو كنت قد أعطيت موافقتي ، لكنت خنت الرسول-صلى الله عليه وسلم- وأجدادي.

لكن مع الأسف طمع عبد المجيد أفندي في الخلافة؛ وفرق بين السلطنة والخلافة؛ وأحدث فتنة داخل الأسرة العثمانية؛ وفرح به الكماليين؛ لأنه مزق كلمتنا أمامهم؛ لذا فقد وضع نفسه تحت سلطان الكماليين؛ يعزلونه متى شاؤوا؛ وقد فعلوا. فخلافة بلا سلطنة تعني خلافة معطلة؛ لقد بفرح بالمنصب وباللقب؛ ولم يعي معنى الخلافة وعلاقتها الروحية بالسلطنة. لهذا هان عبدالمجيد أفندي في أعينهم. كما أن ادعاء الكماليين بأن العالم الإسلامي يمكنه نقض البيعة التي عقدها للخليفة العثماني بعدوى أنه تحت الاحتلال وأن لكل بلد ظرف خاص؛ ادعاءٌ باطل. وأما قولهم الأئمة من قريش؛ فيرد عليهم فيه بأن قريش قد بايعت أسرة آل عثمان على الخلافة؛ فتنازلت عن حقها في ذلك للأجدر بعد أن تفرقت كلمة قريش وعصبيتها عبر العصور؛ والخلافة للأقدر على القيام بها؛ وليس لصاحب النسب القرشي فقط؛ لهذا فخانات الترك من سلاطين آل عثمان هم خلفاء المسلمين. اليوم أنا ميت؛ ولكني أكتب هذا للتاريخ".

5.5. مجموعة وثائق مجمعة

" يجب أن أعترف أن مصطفى كمال قد خدعني وخدعنا؛ ولم يكن هو رجل المرحلة التي يؤتمن فيها على مصير الأمة والسلطنة والخلافة؛ وعلاقاته الخفية بالأعداء التي لم تكن لتظهر لي حينئذ؛ تدل على أنه كان ذو ذكاء حاد؛ استطاع به أن يهدم الدولة ويسقط الخلافة ويحارب الدين؛ ولا أعرف هل هذا خطئي فقط أم خطأ كل من كانوا حولي حينئذ؟ فلم يكن إلى جوار صديق فالكل خائن...حتى الملك حسين الخائن منعني من أن أوجه كلمة للأمة في موسم الحج وأنا خليفتها وسلطانها...وأما صهرنا الصدر الأعظم فريد باشا وتوفيق باشا ومن معهم من أعوان فخيانتهم تفرد فيها الأحبار لبكتب فيها المجلدات العظام...إن حرب الغرب معنا كانت حرب وجود وإبادة...لم أسلم لم راية السلطنة أو الخلافة أبدًا؛ ولم أكن لأفعل...يصفونني بالخيانة وبمن ترك عرشه في اسطنبول وهم الخونة أغتصبوا حقي في السلطنة وراسوا الأعداء على اغتصاب حقي في الخلافة؛ وأرادوا قتلي وسهل لهم الحلفاء في اسطنبول ترويعي وترويع أسرتي مع نشر الأخبار الكاذبة عني؛ أجبروني على طرق اسطنبول وكنت أريد أن أكون بباخرة قريبة منها لأراقب الوضع ولأمنع الخونة عن معرفة أخباري ولم يكن لدينا بواخر حينها؛ فراسلت الإنجليز محاولاً خداعهم؛ لكنهم عرفوا هدفوا وأصروا على نفي لملطة ليقوم بتعين عبد المجيد أفندي خليفة بلا سلطنة تمهيدًا للإخلاء الخلافة...أما مؤتمر الخلافة في مصر ففؤاد والإنجليز كان لهم غرضًا منه لم أتبيه إلا فيما بعد؛ كان شيخ الأزهر يريدن من هذا المؤتمر استغلال موقع الأزهر الديني بعد إلغاء الكماليين لمقام مشيخة الإسلام؛ لأخذ البيعة للملك فؤاد المعين من قبل الإنجليز وربيبهم؛ أولا يعلم شيخ الأزهر أن الخلافة لا تجوز في حق حاكم غير مستقل معين من قبل أعداء الإسلام والمسلمين؛ أولا يعلم شيخ الأزهر أنني أنا الخليفة وان

عبدالمجيد أفندي قد تنازل لي عن حقه في الخلافة بتفويض رسمي وأن منصب الخلافة غير شاغر؛ ليعن أن الأمة خلت من خليفة؛ ولكنها أمور دبرت بليل والإنجليز مع فؤاد دبروها وأما شيخ الأزهر فكان هو واجهة التنفيذ لمخطط أعداء الإسلام لنحر الأمل الأخير لعودة الخلافة إلى الحياة...كل من كان حوالي حتى في المنفى كانوا جواسيس وخونة وعملاء؛ لم يكن لي صديق مخلص للإسلام والمسلمين...سأرحل ذات يوم؛ ولكن أتمنى أن يأتي اليوم الذي تعرف فيه الحقيقة؛ لم أكن لأخن الله ورسوله والإسلام وعموم المسلمين...لقد ضحيت بكل شيء من أجل ان أقوم بحرب الإستقلال فنسب العمل لغيري...".

6.6.خاتمة

باقي الوثائق تمت ترجمتها ونشرها داخل صفحات متن الكتاب؛ والمؤلف قام بعرض النص العثماني إلى جوار الترجمة التركية الحديث للوثائق التي نشرها داخل الكتاب فلا داعي للتكرار. والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل. المترجم.

7.6.نماذج من صور الوثائق العثمانية المستخدمة في الكتاب

سبحان الحي الذي لا يموت

يوم الجمعة في ١٤ ذي الحجة سنة ١٣٤٤ الموافق ٢٥ حزيران سنة ١٩٢٦ يصل الى الثغر جثمان ساكن الجنان

محمد وحيد الدين خان

وفي الساعة الخامسة من بعد ظهر اليوم المذكور يشيع من ادارة الصحة «المرفأ» الى الجامع العمري الكبير ومنه الى محطة السكة الحديدية «المرفأ» لنقلها الى دمشق بقطار خاص فندعوكم لمشاركتنا بهذا الواجب راجين لكم طول البقاء

مفتي بيروت

بيروت في ١٣ ذي الحجة سنة ١٣٤٤ — مصطفى نجا

وثيقة عثمانية:1 ؛ الخطاب الذي أرسل إلى مفتي بيروت مصطفى ناجي أفندي بشأن قرب وصول جنازة السلطان الخليفة محمد وحيد الدين إلى بيروت والمؤرخ بتاريخ 13 ذي الحجة 1344هـ

Numero 115

ATTI DI MORTE
Parte I.

S. M. I. Maometto VI
Vahideddin Han
di anni 65

L'anno millenovecentoventisei, addì diciassette di maggio
a ore dieci e minuti nella Casa comunale.

Avanti di me Lombardo Cav. Uff. Alfredo, f. Regio commissario prefettizio con decreto del Sottoprefetto in data ventitre Aprile corrente anno Ufficiale dello Stato Civile del Comune di San Remo, sono comparsi Bertrand Giovanni di anni venticinque, (1) proprietario domiciliato in Sanremo, e Bertrand Pietro di anni settantadue (1) proprietario domiciliato in Sanremo

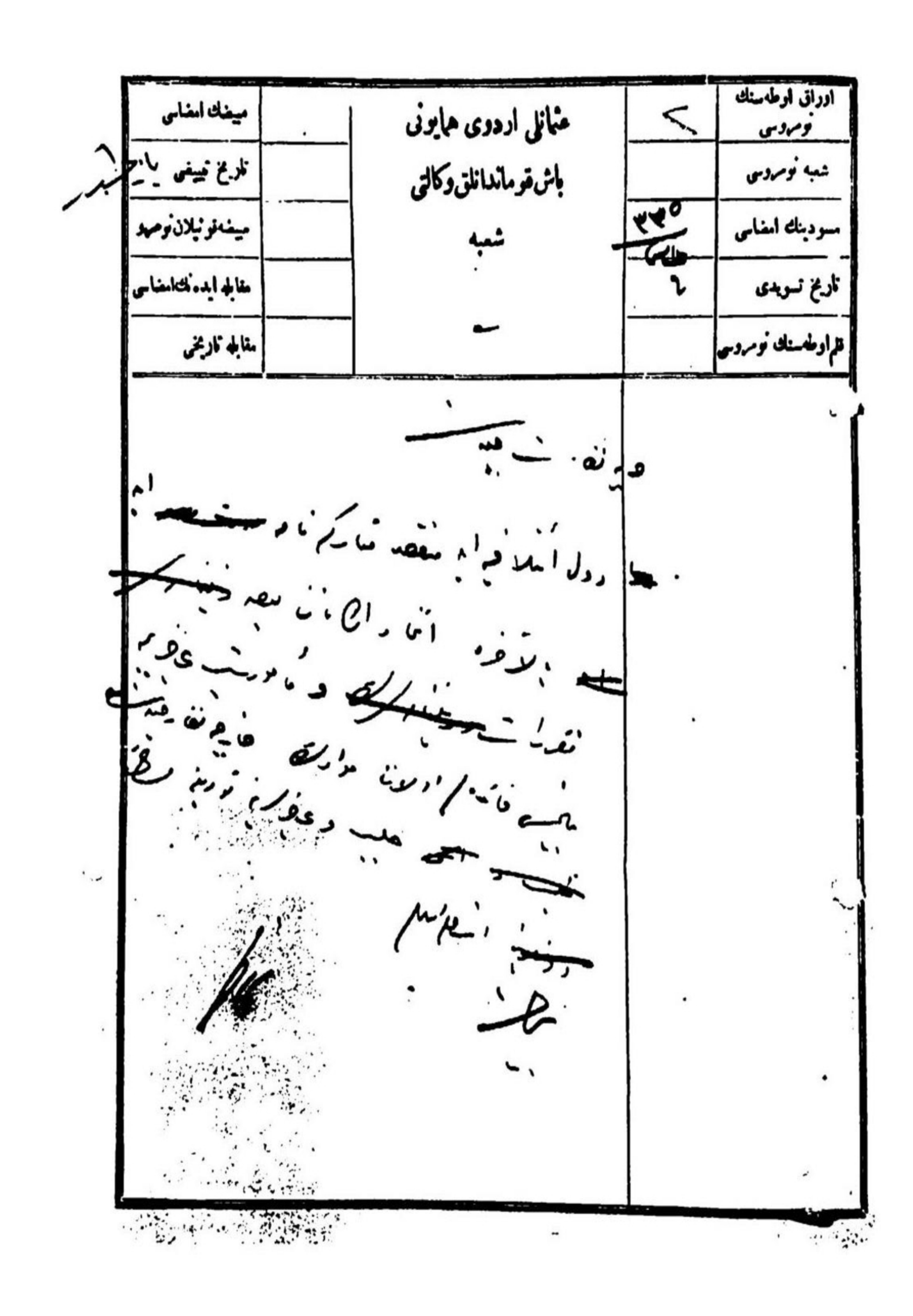
i quali mi hanno dichiarato che a ore ventidue e minuti trenta del quindici corrente nella casa posta in Corso Cavallotti (Villa Magnolia) al numero quindici, è morto S. M. I. Maometto VI Vahideddin Han di anni sessantacinque (1) ex Sultano residente in Sanremo, nato in Costantinopoli da S. M. I. Maometto Abdul Mecid Han, domiciliato in Costantinopoli e da Fatma Gulustan (1) Sultana domiciliata in vita in Costantinopoli (3)

A quest'atto sono stati presenti quali testimoni Bertrand Giovanni di anni ventitre, (1) proprietario e Manzoni Amedeo di anni quarantaquattro (1) Agente d'affari ambi residenti in questo Comune. Letto il presente atto a tutti gli intervenuti l'hanno essi meco sottoscritto

Bertrand Pietro
Bertrand Giovanni   Manzoni Amedeo

وثيقة:2؛ شهادة وفاة السلطان محمد وحيد الدين المستخرجة من بلدية سان ريمو في إيطاليا عام 1926م؛ بها سبب الوفاة السكة القلبية.

وثيقة:3؛ القسم الأخير من مقال مصطفى كمال المنشور بتاريخ سنة 1918م ضد الصدر الأعظم فريد باشا من جريدة المنبر.



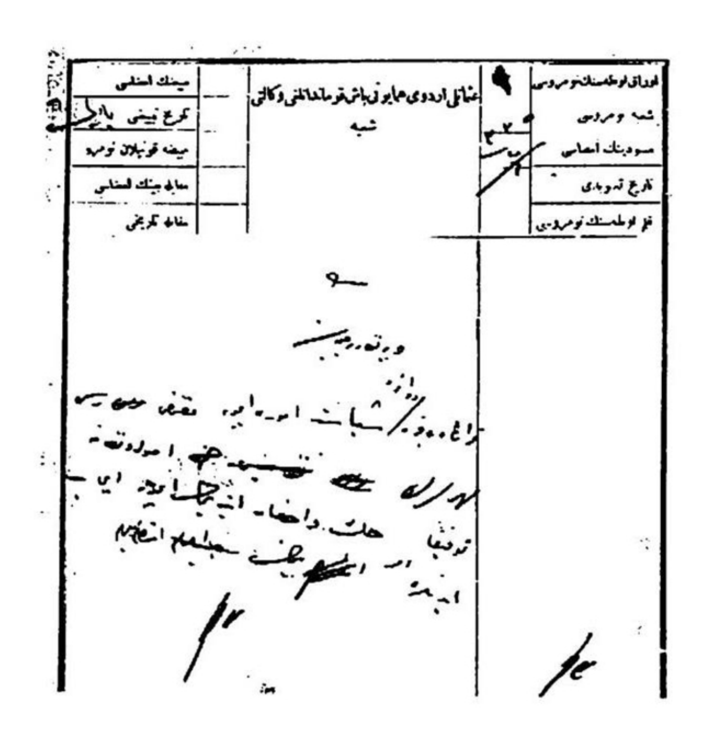
عثمانلی اردوی همایونی

باش قوماندانلق وكالتی

شعبه

مبیضك امضاسی			اوراق اوطه سنك نومروسی
تاریخ تبییضی			شعبه نومروسی
مبیضه قونیلان نومرو			مسوده نك امضاسی
مقابله ایدنك امضاسی			تاریخ تسویدی
مقابله تاریخی			قلم اوطه سنك نومروسی

وثيقة:4؛ قرار التفتيش الصادر من رئيس وزير الحربية ومدير عام قطاع التفتيش العسكري محمد شاكر بن نعمان طاهر؛ على قطاعات الحربية العثمانية وثكنات الجند.



عثمانلی اردوی همایونی باش قوماندانلغی وكالتی

شعبه

اوراق اوطه سنك نومروسی
شعبه نومروسی
مسوده نك اصلی
تاریخ تسویدی
قلم اوطه سنك نومروسی

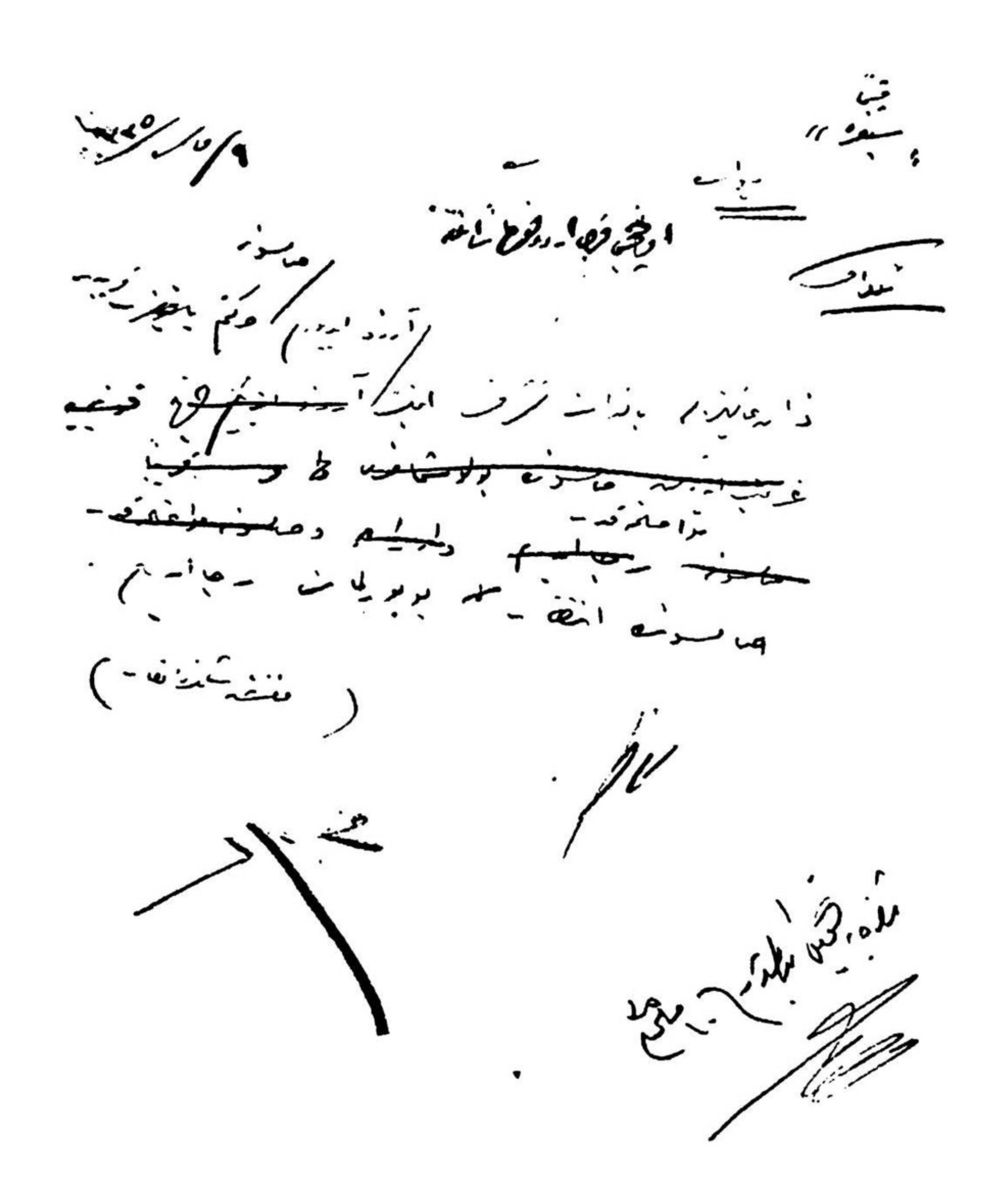
مبیضه نك اصلی
تاریخ تبییضی
مبیضه قونیلان نومرو
مقابله ایدنك اسمی
مقابله تاریخی

عثمانلی اردوی همایونی
باش قوماندانلغی وكالتی
شعبه

اوراق اوطه سنك نومروسی
شعبه نومروسی
مسوده نك اصلی
تاریخ تسویدی
قلم اوطه سنك نومروسی

مبیضه نك اصلی
تاریخ تبییضی
مبیضه قونیلان نومرو
مقابله ایدنك اسمی
مقابله تاریخی

وثيقة:5؛ تقارير التفتيش الصادرة عن بعض قطاعات وزارة الحربية العثمانية برئاسة كاظم باشا



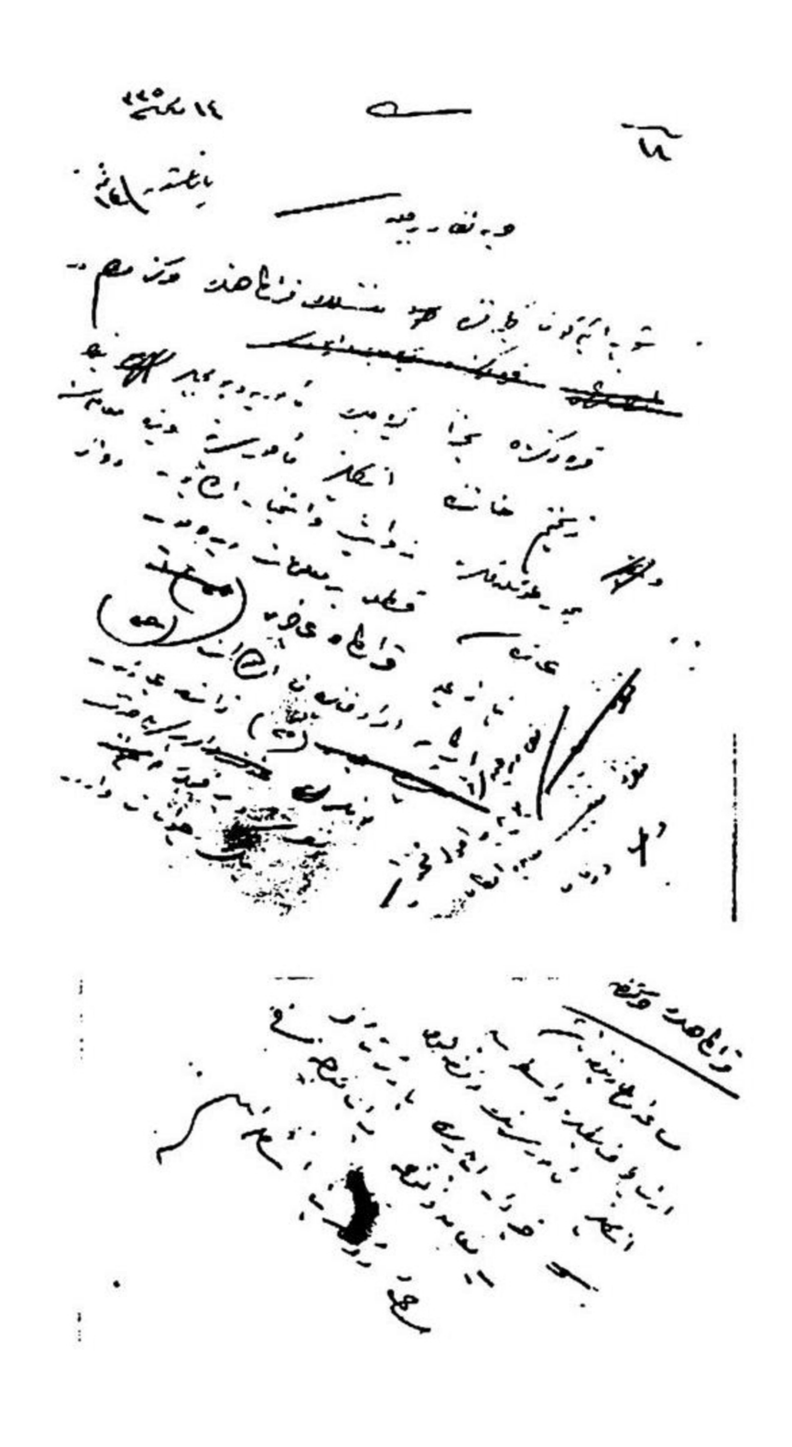
وثيقة:6؛ تقرير تفتيش الحربية الراصد لتعداد جيوش الدولة العثمانية وقطاعات السلاح والأرزاق "التغذية".

وثيقة:7؛ تقرير تفتيش كاظم باشا على قطاع الحربية في مدينة سامسون المقدم لمصطفى كمال باشا؛ عقب الحرب العالمية الأول 1914-1918م؛ ويعلوها حفظ وارد بتوقيع رئيس قلم الكتاب العسكري صلاح الدين.

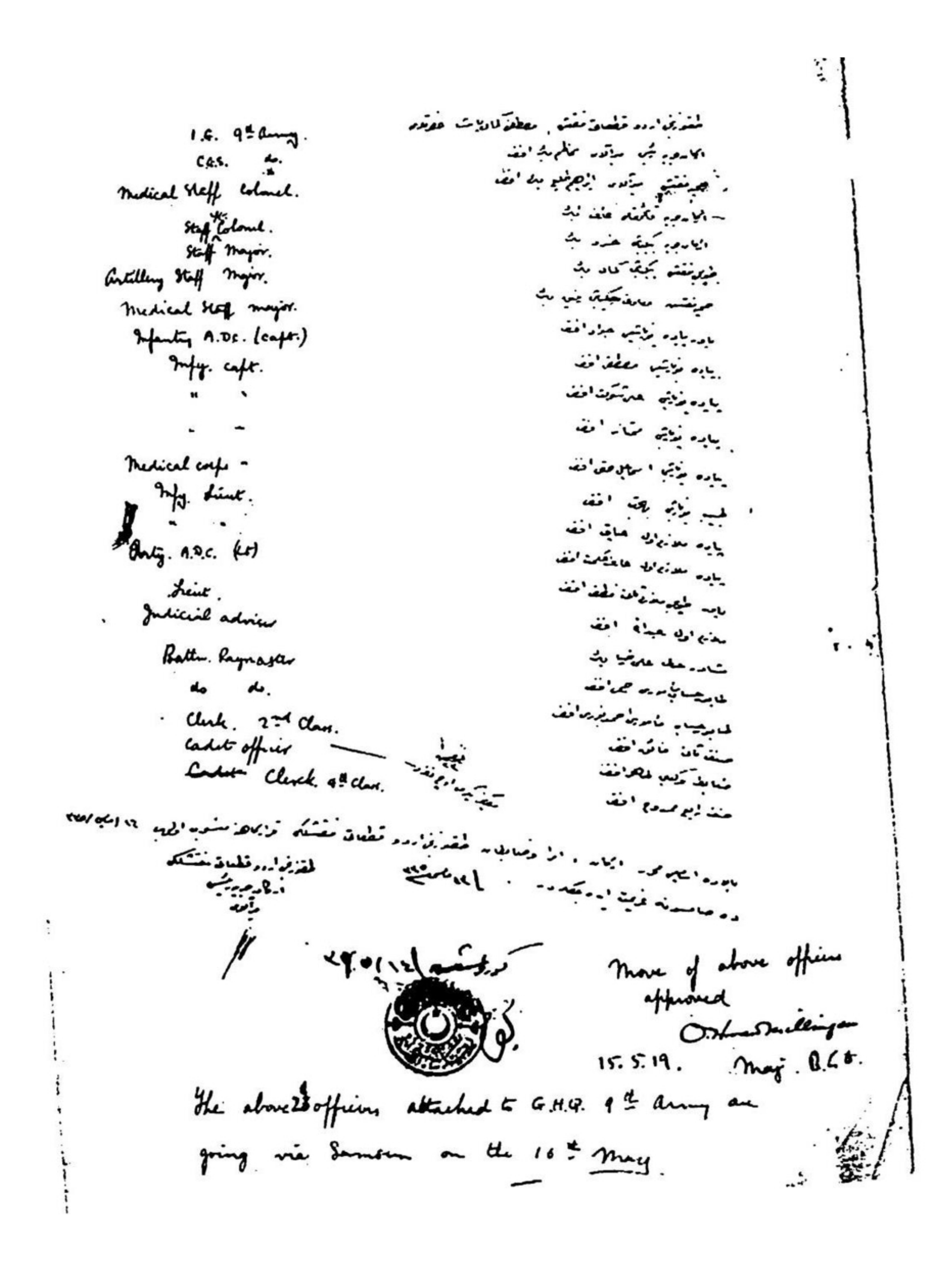
كوندرن :	شيمي وابور	محل :	تاريخ	دقيقه : ساعت
	كوندرلمشدر			
	واصل اولمشدر			

آدرس ....

وثيقة:8؛ التقرير الذي رفعه البشكاتب صلاح الدين إلى مصطفى كمال المفتش العسكري العام عن حالة الجيش التاسع العثماني في مدينة سامسون.



وثيقة:9؛ تقرير التفتيش المقدم من كاظم باشا إلى مصطفى كمال مفتش نظارة الحربية العام عن قدرات الجيش التاسع العثماني التسليحية والتعدادية وحالة الجند؛ قبيل حرب الاستقلال.



I.G. 9th Army.
C.A.S. do.
Medical Staff Colonel.
Staff Colonel.
Staff Major.
Artillery Staff Major.
Medical Staff major.
Infantry A.D.C. (capt.)
Infy. capt.
" "
- -
Medical corps -
Infy. Lieut.
" "
Arty. A.D.C. (Lt)
Lieut.
Judicial adviser
Battn. Paymaster
do do.
Clerk. 2nd Class.
Cadet officer
~~Cadet~~ Clerk. 4th Class.

Move of above officers approved
O. [illegible]
15.5.19. Maj. [illegible]

The above 23 officers attached to G.H.Q. 9th Army are going via Samsun on the 16th May.

وثيقة:10؛ تقرير المفتشية العسكرية الإنجليز بشمال الأناضول المقدم للحكومة الإنجليزية بلندن؛ عن الجيش العثماني التاسع المرابط في مدينة سامسون؛ وعن طبيعة التفتيش العسكري العثماني على هذا الجيش.

25 N.C.O.s & men attached
to Staff Officers proceeding
to 9th Army via Samsun.

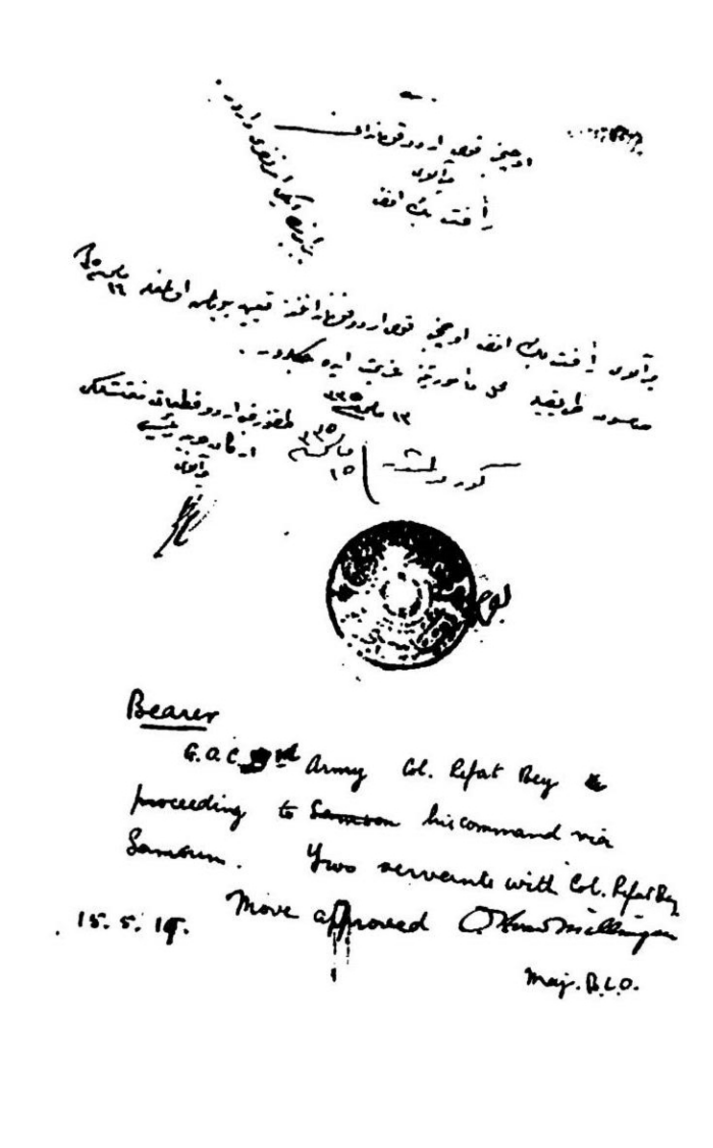
Move Approved

Maj.

وثيقة:11؛ استكمال تقرير المفتشية العسكرية الإنجليزية بشمال الأناضول عن حالة الجيش العثماني التاسع المرابط في مدينة سامسون.



وثيقة:12؛ نهاية تقرير المفتشية العسكرية الإنجليزية بمدينة سامسون عن الجيش العثماني التاسع المرابط بها؛ والمختوم بختم المفتشية العسكرية الإنجليزية.

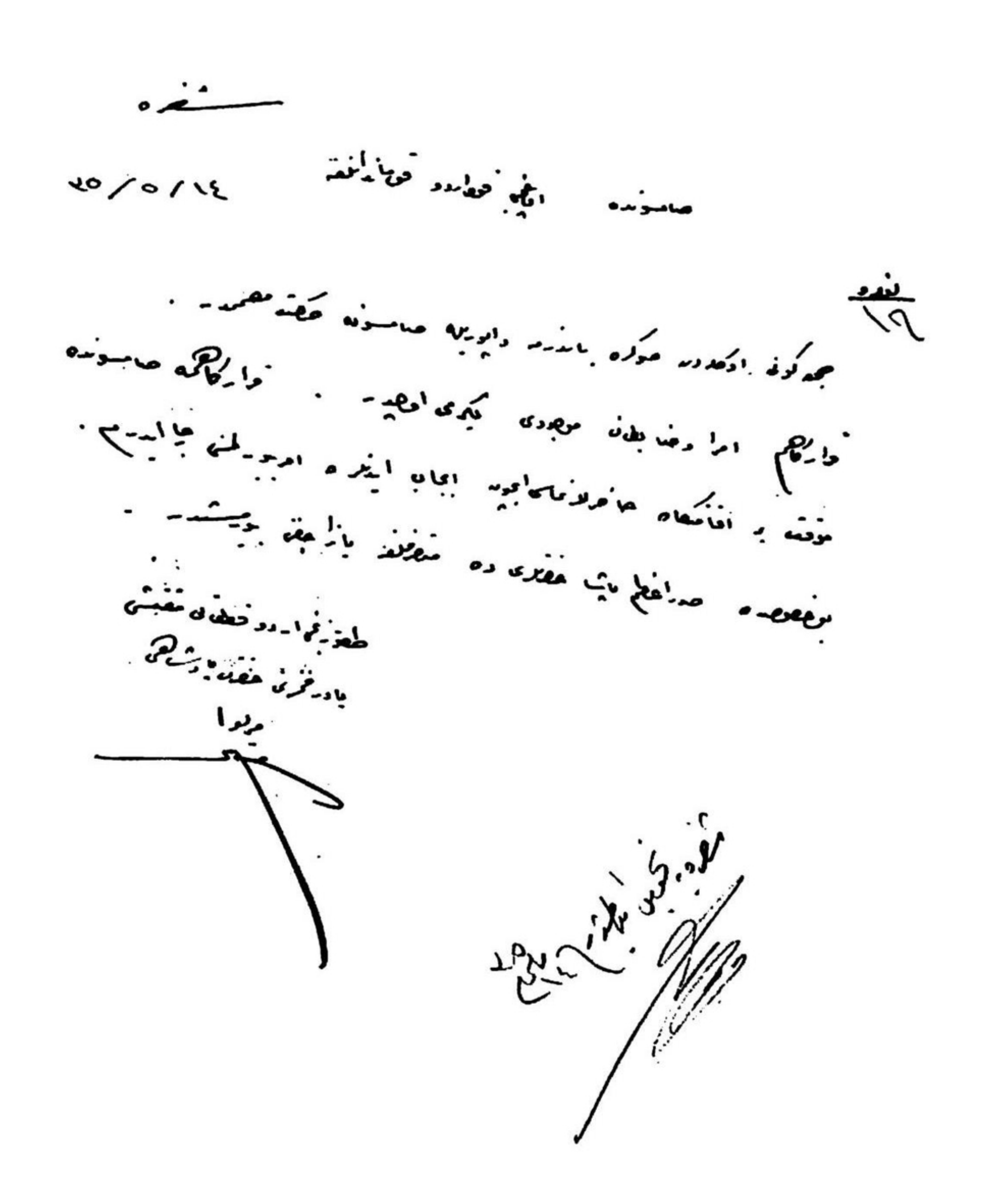


Bearer
G.O.C. 9th Army Col. Refat Bey is
proceeding to Samsoun his command via
Samsun. Two servants with Col. Refat Bey
15. 5. 19. Move approved [illegible]
Maj. B.L.O.



BRITISH SECTION
BUREAU INTERALLIE DE CONTROLE
DES PASSEPORTS
BRITISH SECTION
GOOD FOR PASSAGE TO
SAMSOUN
CONSTANTINOPLE 16-5 1919.
[illegible]
BRITISH REPRESENTATIVE

وثيقة:13؛ مراجعة المفتشية العسكرية الإنجليزية بمدينة سامسون على تقرير المفتشية العسكرية العثمانية عن حالة الجيش التاسع العثماني المرابط بالمدينة.



شفره

٢٥/٥/١٤

صامسونده

نومرو ١٦

وثيقة:14؛ قرار حكومة الصدر الأعظم فريد باشا بناءًا على تعليمات السلطان محمد وحيد الدين بشأن تعين مصطفى كمال باشا مفتشًا عسكريًا عامًا على الجيوش العثمانية وقطاعاتها العسكرية والمؤرخ بتاريخ 15 مايو 1335هـ.

7.ألبوم الصور



صورة:1؛ صورة السلطان العثماني محمود الثاني من القرن الثامن عشر الميلادي؛ أول سلطان بدأ في عهد تغريب وعلمنة الدولة العثمانية؛ حتى لقبه أهل الأناضول بجور محمود أي محمود الطاغية.



صورة:2؛ صورة السلطان عبد المجيد الأول والد السلطان عبد الحميد الثاني والسلطان محمد رشاد الخامس والسلطان محمد وحيد الدين. والسلطان عبد المجيد الأول هو أول سلطان أقترض من الدول الأوروبية القروض الربوية.



صورة:3؛ صورة السلطان العثماني عبدالعزيز خان أخو السلطان عبدالمجيد الأول. والذي أعاد تأهيل الجيش العثماني؛ فحاصره وخلعه بايعاز من مدحت باشا وأعوانه؛ ثم قتل في قصره بتدبير من مدحت باشا.



صورة:4؛ صورة السلطان العثماني مراد الخامس الذي قتلت الماسونية عمه السلطان عبدالعزيز خان؛ لكي يفسحوا له الطريق ليتولى الحكم.



صورة:5؛ صورة السلطان الخليفة عبدالحميد الثاني؛ عزل عن السلطنة 1908م وعزل عن الخلافة 1909م على يد جماعة الاتحاد والترقي ربيبة الحركة الماسونية؛ وتوفى 1918م.



صورة:6؛ صورة السلطان محمد رشاد الملقب بمحمد الخامس الذي عينه الإتحاديون على عرش السلطنة العثمانية وحرموه من حقه في ممارسة الحياة السياسية؛ ومات كمدًا بعد هزيمة الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى.



صورة:7؛ صورة السلطان محمد وحيد الدين 1918-1922م؛ آخر سلاطين الدولة العثمانية؛ والمهندس الحقيقي لحرب الاستقلال؛ والذي رفض أن تنحر الخلافة العثمانية في حياته.



صورة:8؛ قوله لي محمد علي باشا بن إبراهيم أغا تاجر الدخان؛ رائد عصر التغريب والعلمنة في مصر في العصر الحديث. ينسب لمدينة قوله بشمال اليونان حاليًا. وهو أول من قاد تمرد داخلي على الخلافة العثمانية من الداخل بمساعدة الأوروبيين ضد السلطان محمود الثاني العثماني.



صورة:9؛ صورة أنور باشا أحد أعضاء قيادات حزب الاتحاد والترقي الذين شاركوا في خلع السلطان عبدالحميد الثاني؛ والبطل الحقيقي لمعركة جناق قلعة ضد قوات الحلفاء.



صورة:10؛ صورة طلعت باشا الصدر الأعظم من قبل الإتحاديين في عهد السلطان محمد رشاد وبداية عهد السلطان محمد وحيد الدين. وهو أول صدر أعظم نصيري على غير عقيدة أهل الإسلام في تاريخ الدولة العثمانية.



صورة:11؛ صورة جمال باشا السفاح؛ أحد أضلاع المثلث الحاكم للدولة العثمانية (أنور باشا وطلعت باشا وجمال باشا) في عهد السلطان محمد رشاد؛ وأحد الأسباب الرئيسية لهزيمة الدولة العثمانية واحتلال بلاد الشام أثناء الحرب العالمية الأولى.



صورة:12؛ صورة الشريف حسين بن علي عميل الإنجليز جد ملك الأرض الحالي والملوك العراقيين السابقين؛ الطامع في الخلافة؛ الخائن للدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى؛ والملقب بالملك حسين بعد الحرب العالمية الأولى؛ غير أن الإنجليز غدوا به واتفقوا مع آل سعود عليه؛ فعزل ونفي خارج الحجاز.



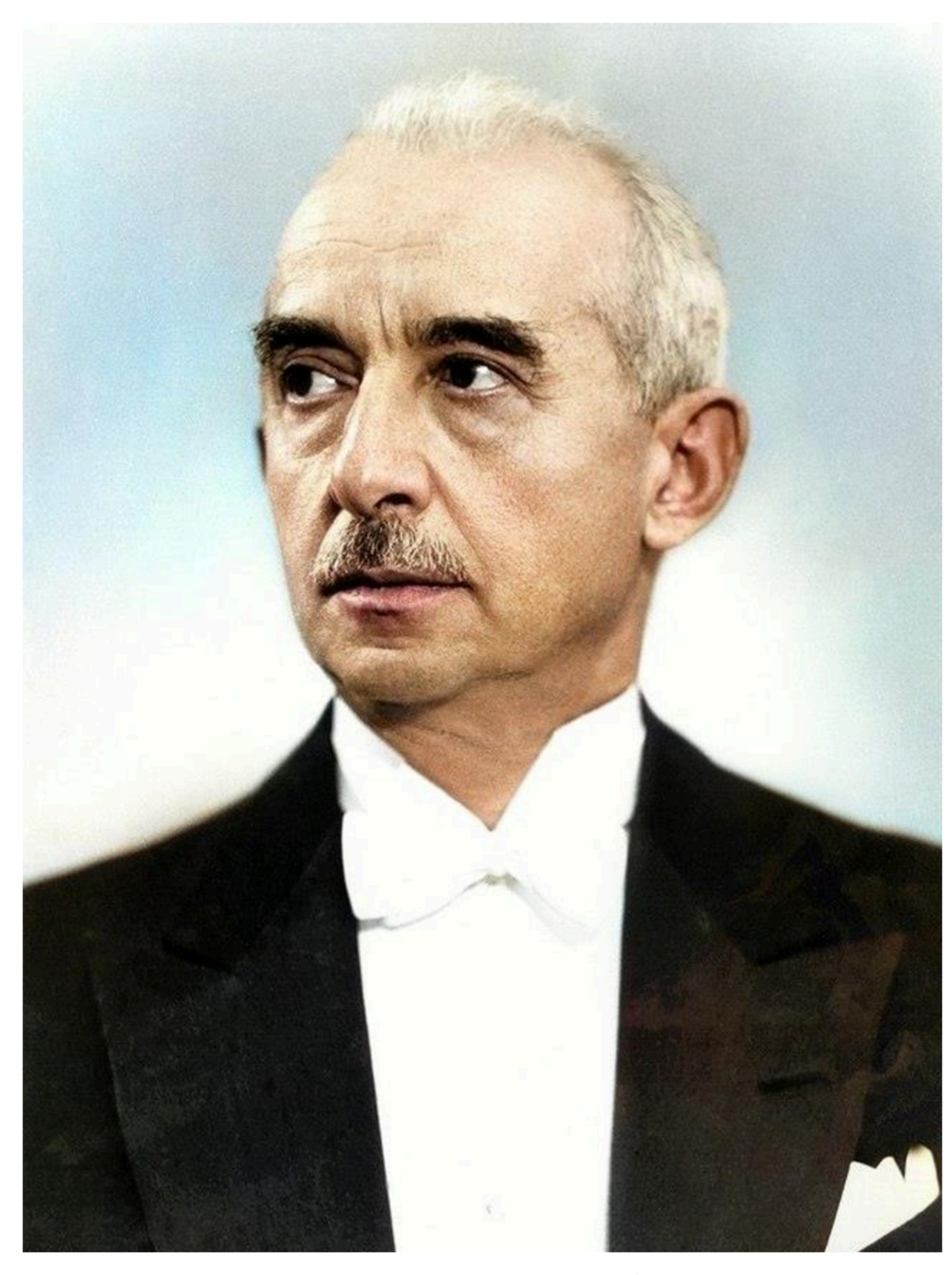
صورة:13؛ صورة مصطفى كمال باشا عندما كان حاجبًا شخصيًا للسلطان الخليفة محمد وحيد الدين؛ قبل تعين السلطان له وزيرًا للحربية.



صورة:14؛ صورة مصطفى كمال ناظر الحربية العثمانية بعد تأسيس حكومة أنقرة؛ وإعلانه الانفصال عن السلطنة العثمانية في كافة الإجراءات السياسية والعسكرية منذ أواخر عام 1921 وحتى إعلان إلغائه للخلافة العثمانية عام 1924م.



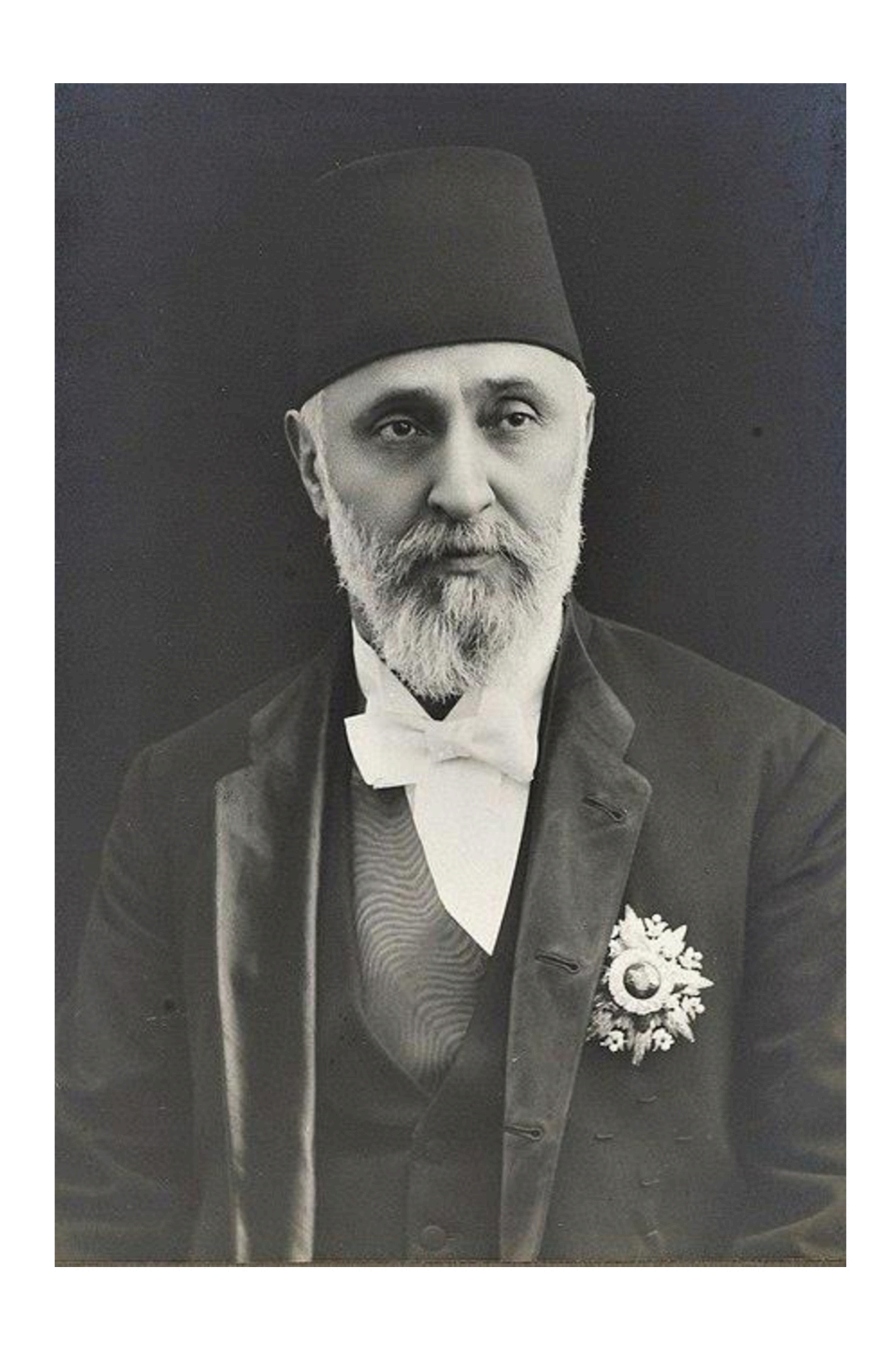
صورة:15؛ صورة مصطفى كمال ناظر الحربية العثمانية بالمجلس النيابي لحكومة أنقرة أثناء إعلانه قيام الجمهورية التركية وإلغاء السلطنة العثمانية 1922م.



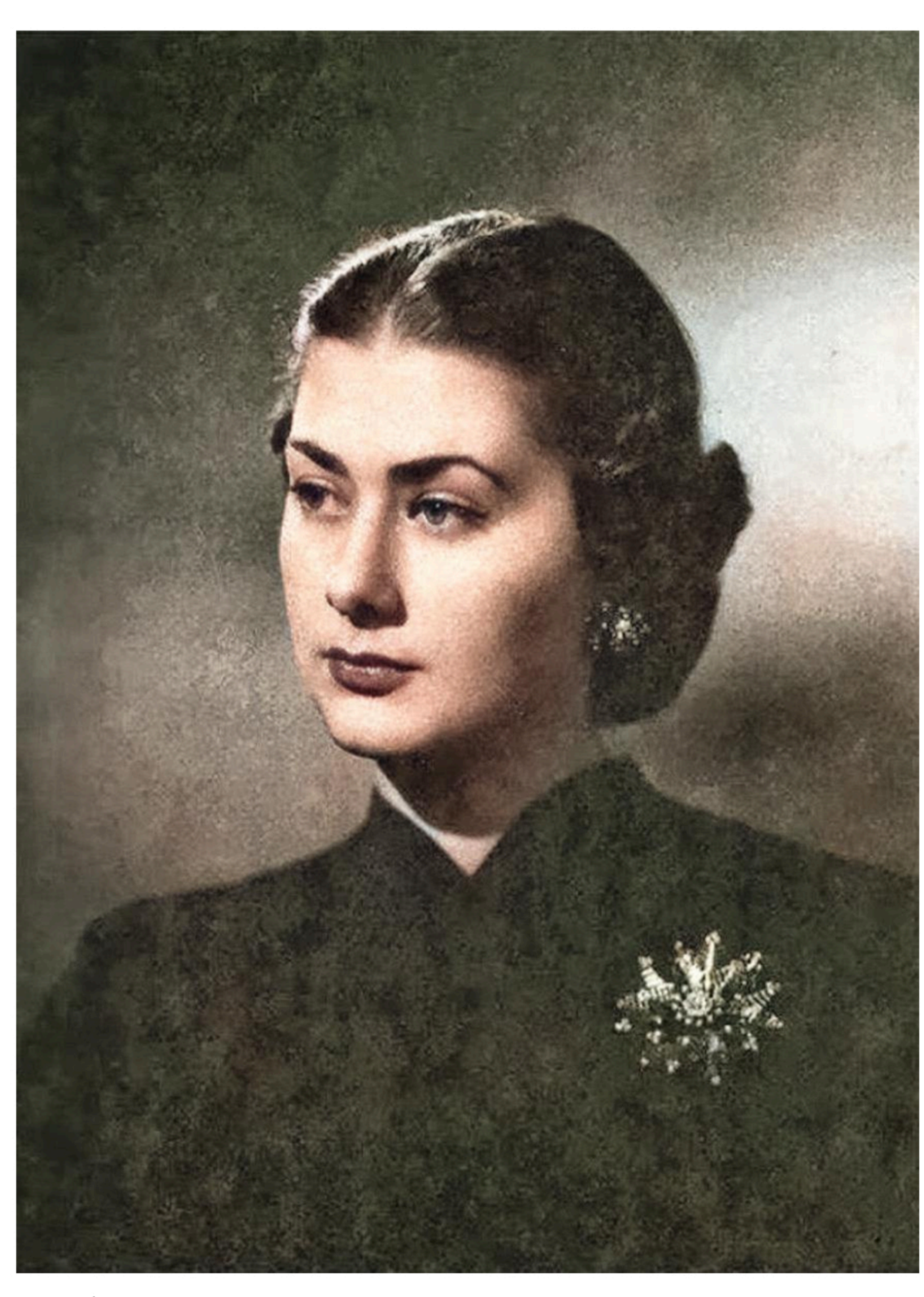
صورة:16؛ عصمت أنونو الذراع الأيمن لمصطفى كمال وزير الحربية العثمانية أثناء حرب الاستقلال؛ الذي قرأ منشور إعلان قيام الجمهورية التركية وإلغاء السلطنة العثمانية عام 1922م؛ والرئيس الثاني للجمهورية التركية؛ بعد وفاة الرئيس الأول ومؤسس الجمهورية مصطفى كمال باشا.



صورة:17؛ صورة شخصية للصهر السلطاني "الداماد" الصدر الأعظم فريد باشا؛ الذي كان أحد العوامل الرئيسية في إغراق الدولة العثمانية وهزائمها على المستويان السياسي والعسكري.



صورة:18؛ الصدر الأعظم أحمد توفيق باشا؛ آخر رئيس وزراء للدولة العثمانية والذي كان عينًا لرئيس حكومة الاستقلال مصطفى كمال على السلطان محمد وحيد الدين.



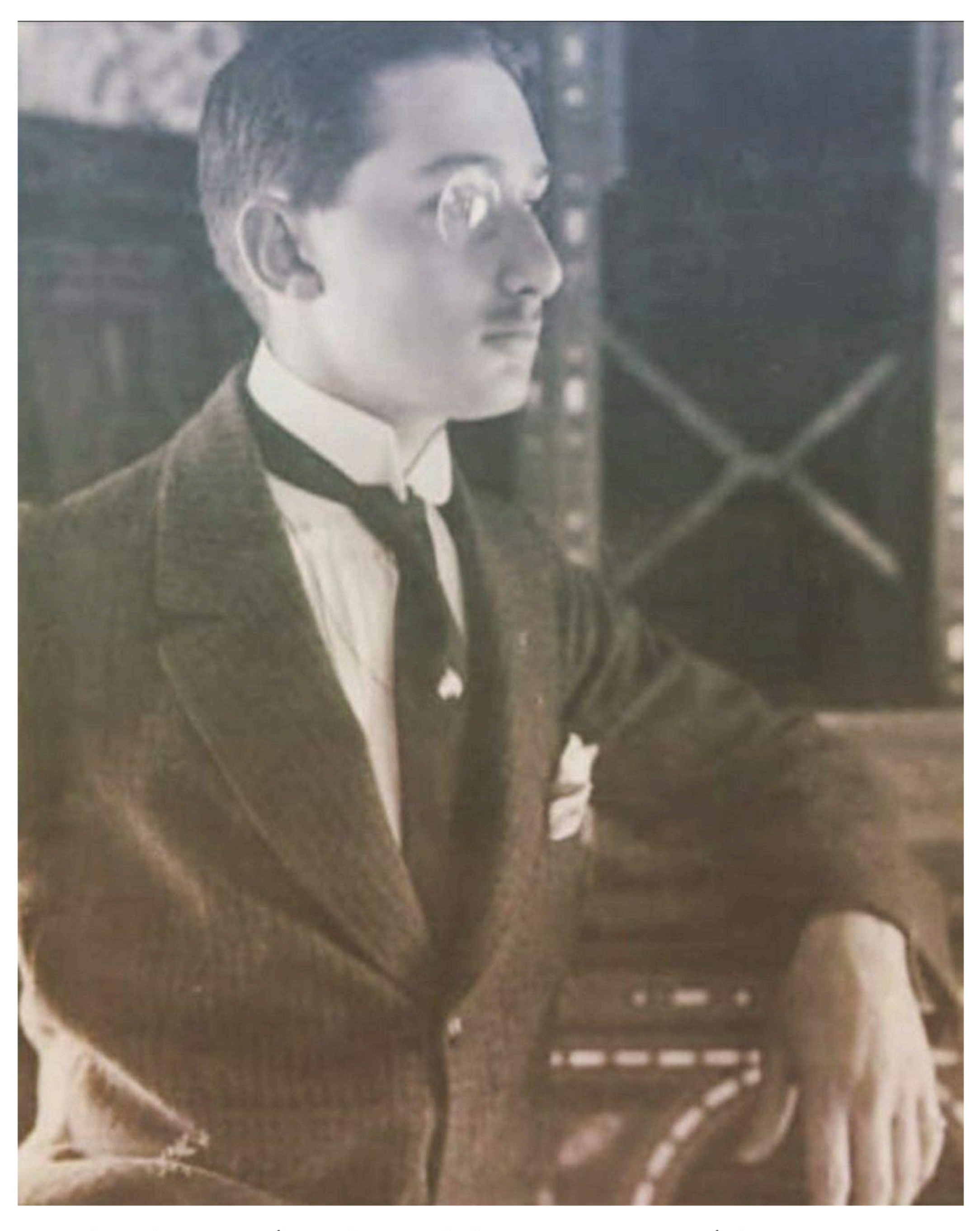
صورة:19؛ صورة صبيحة سلطان ابنة السلطان محمد وحيد الدين وزوجة الأمير العثماني عمر فاروق بك ثم زوجة الأمير المصري عبد المؤمن من العائلة العلوية بالقاهرة.



صورة:20؛ صورة الأميرة ناصيل شاه سلطان حفيدة السلطان محمد وحيد الدين.



صورة:21؛ صورة الأمير عمر فاروق الزوج ألأول للأميرة صبيحة سلطان ابنة السلطان محمد وحيد الدين قبل النفي عن اسطنبول. وابن الخليفة العثماني الأخير عبدالمجيد أفندي الثاني.



صورة:22؛ صورة للأمير عمر فاروق بن الخليفة عبد المجيد أفندي بعد النفي إلى مدينة نيس جنوب فرنسا.



صورة:23؛ صورة للخليفة العثماني الأخير عبدالمجيد الثاني أفندي بن السلطان عبد العزيز خان. عند بيعته على الخلافة دون سلطنة عام 1922م؛ حيث قبل بمنصب الخليفة كمنصب شرفي مجرد عن الصلاحيات السياسية والتي تنازل عنها لحكومة أنقرة؛ مقابل أن يحصل على لقب خليفة.



صورة:24؛ صورة للخليفة العثماني الأخير عبد المجيد أفندي مع بعض أقاربه في المنفى بمدينة نيس بجنوب فرنسا عام 1926م.



صورة:25؛ للسلطان محمد وحيد الدين في صباه عندما كان أميرًا.



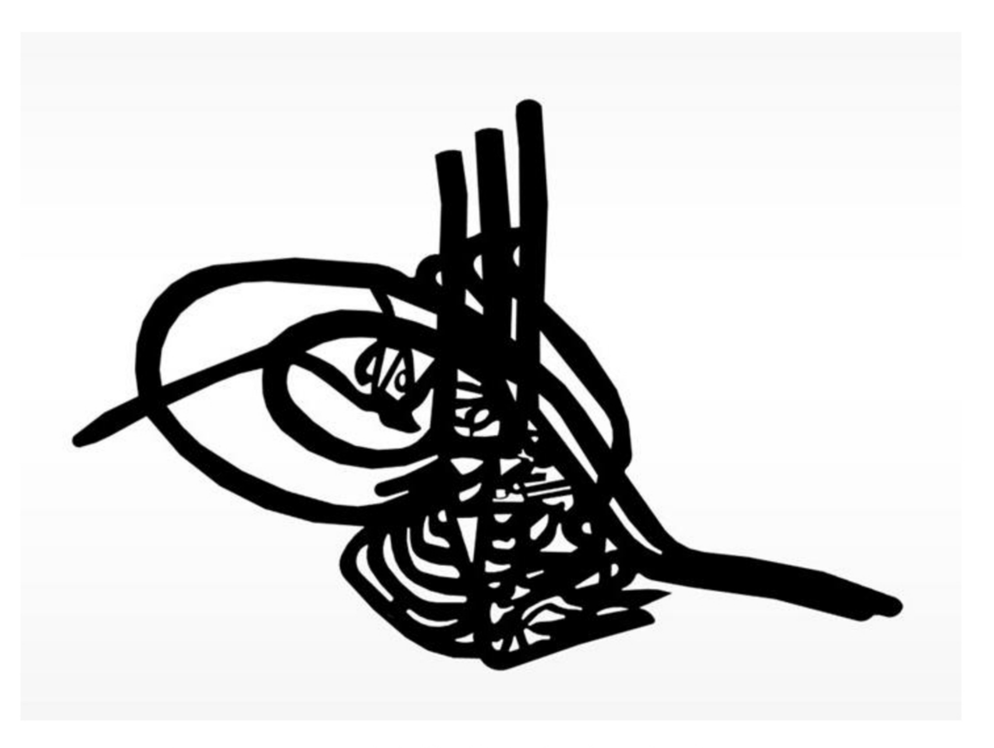
صورة:26؛ صورة لحفل بيعة السلطان محمد وحيد الدين على السلطنة والخلافة.



صورة:27؛ صورة للسلطان محمد وحيد الدين أثناء خروجه لصلاة الجمعة بعد بيعته على السلطنة والخلافة.



صورة:28؛ صورة للسلطان محمد وحيد الدين أثناء زيارته لمدينة ملاطية وإلى جوار ناحية اليسار ابنه الأصغر الأمير محمد أرطغرل أفندي؛ وفي الخلف على يسار السلطان زكي بك؛ وإلى اليسار طبيب السلطان رشاد بك والذي سيقتل في ظروف غامضة فيما بعد في المنفى بإيطاليا.



صورة:29؛ طغراء توقيع السلطان العثماني محمد وحيد الدين.



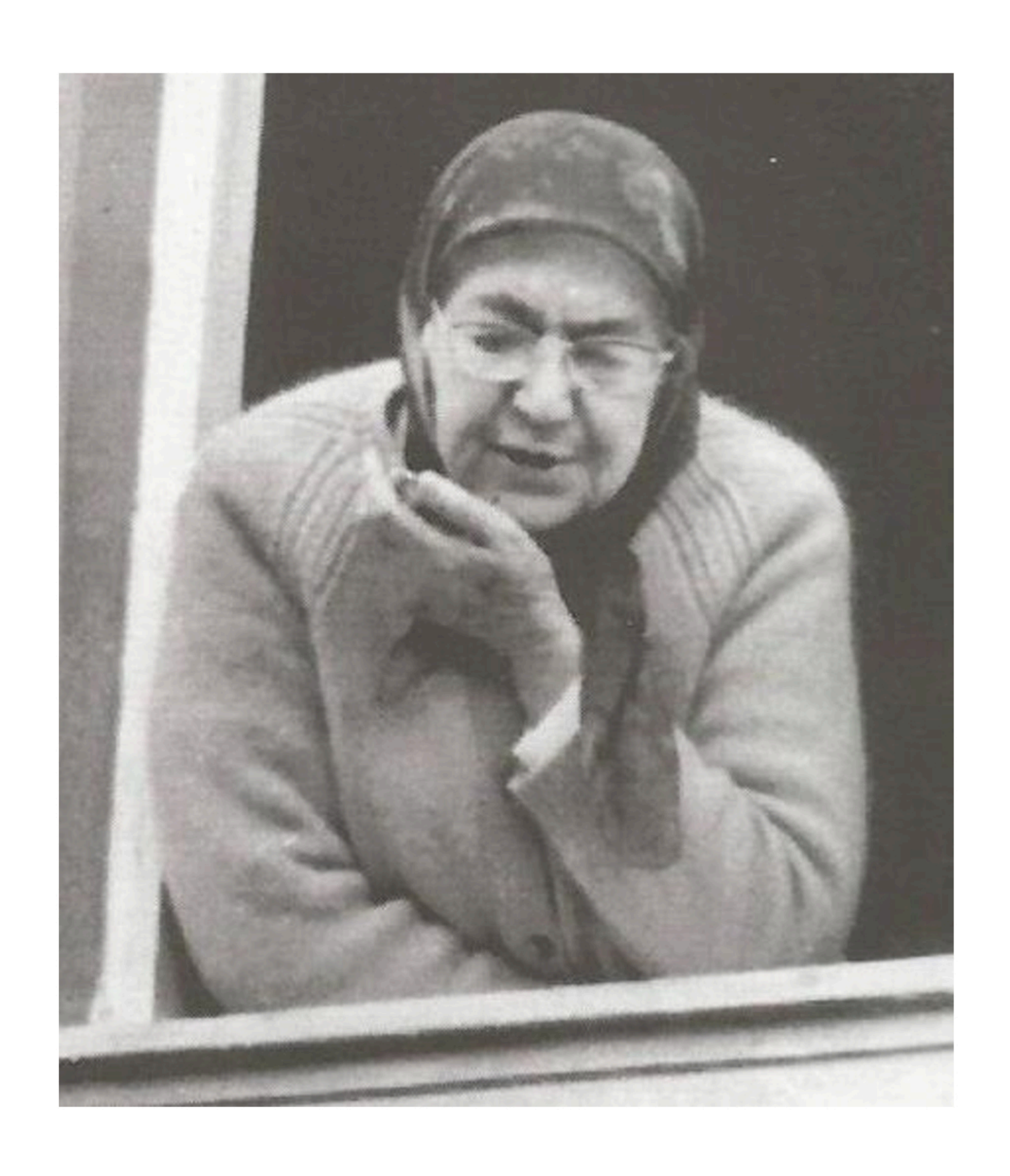
صورة:30؛ صورة للسلطان محمد وحيد الدين أمام باب قصر المنتزه بالأسكندرية وإلى جواره والي الأسكندرية مقبل بك.



صورة:31؛ صورة تذكارية لسامي بك بن مديحة سلطان أخت السلطان وحيد الدين؛ وهو بين ابنائه وأحفاده في أوروبا سنة 1930م.



صورة:32؛ مودودة هانم زوجة السلطان وحيد الدين الثالثة وأم ولده محمد أرطغرل أفندي.



صورة:33؛ زوجة السلطان محمد وحيد الدين الأخيرة ناف زاده هانم (نعمة شرف أوغلو)؛ والتي شاركته المنفى في سان ريمو بإيطاليا عام 1924م؛ وهذه الصورة من نافذة منزلها بأناضولو حصار عام 1974م بعد عودتها من المنفى للأناضول.



صورة:34؛ صورة أخرى لنعمة شرف أوغلو هانم والتي تزوجها السلطان وحيد الدين بتاريخ 20 تموز 1918م وكان عمره وقتئذ 57 عامًا وبينما كان عمرها 17 عامًا.



صورة:35؛ صورة للأمير محمد أرطغرل أفندي بن السلطان محمد وحيد الدين؛ وهذه الصورة ألتقطت له في القاهرة قبل وفاته ببضعة أشهر في فصل الربيع بسنة 1944م. ومن المعلوم أن الأمير محمد أرطغرل في شهر تموز من سنة 1922م.



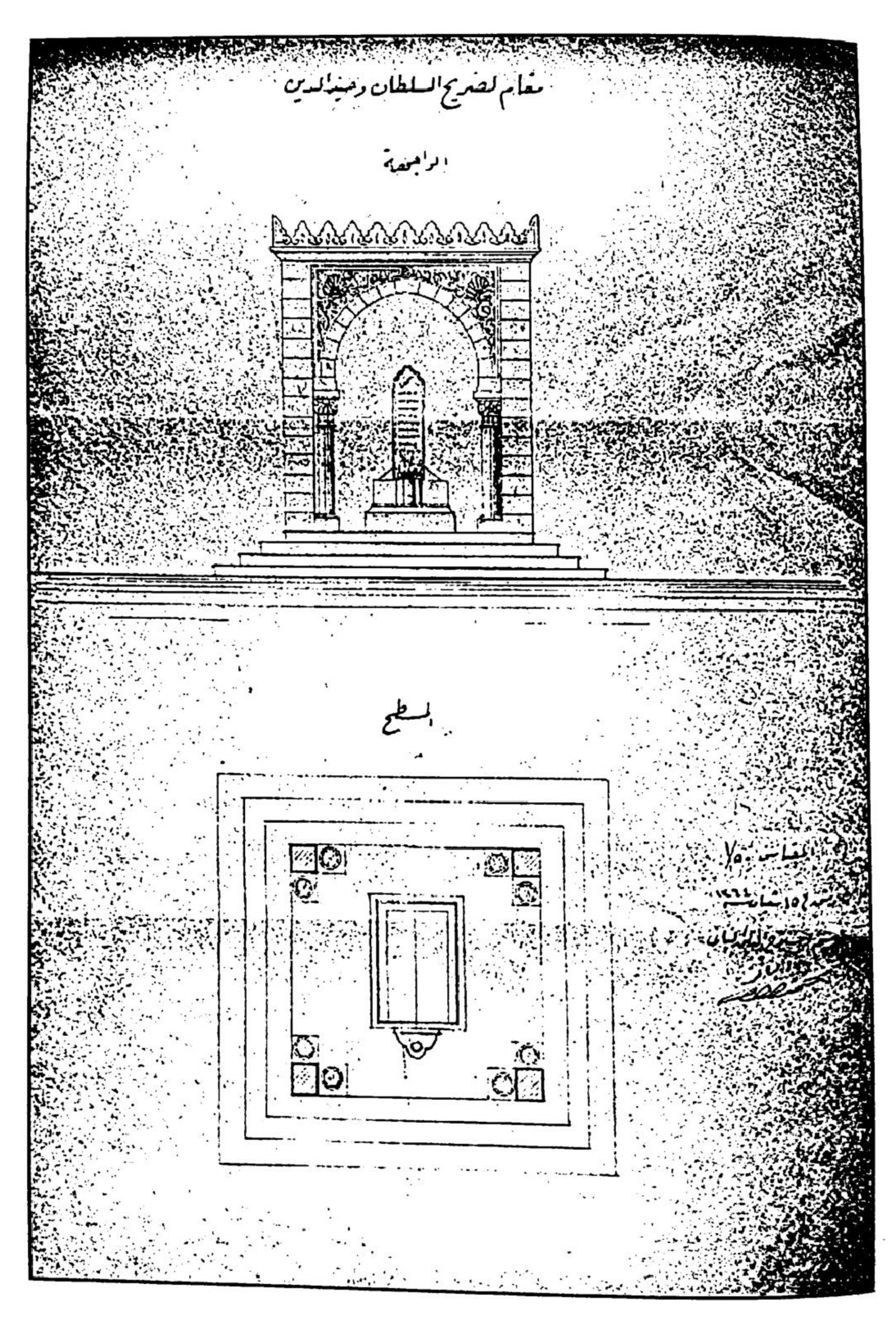
صورة:36؛ صورة ملك مصر والسودان فؤاد الأول المعين من قبل سلطات الإحتلال الإنجليزي لوادي النيل؛ والذي منع السلطان وحيد الدين من حضور مؤتمر الخلافة الذي عرضه الأزهر في القاهرة؛ طمعًا منه أن يكون هو خليفة المسلمين.



صورة:37؛ رئيس سوريا بعد الحرب العالمية الأولى أحمد نامي بك وزوج بنت السلطان عبدالحميد الثاني؛ والذي وافق على دفن السلطان محمد وحيد الدين في دمشق؛ وسعى قدر استطاعته لتسهيل إجراءات جنازة السلطان وحيد الدين.



صورة:38؛ صورة شيخ الأزهر أبو الفضل الجيزاوي؛ الذي عقد مؤتمر الخلافة في القاهرة محاولاً إظهار أن منصب الخلافة شاغر؛ ليأخذ البيعة للملك فؤاد الأول المعين من قبل الإنجليز على الخلافة؛ والذي رفض اقرار منصب الخلافة للسلطان محمد وحيد الدين بعد تنازل ابن عمه عبدالمجيد أفندي له في المنفى عن منصب الخلافة.



صورة:38؛ مخطط لتصميم ضريح فوق قبر السلطان محمد وحيد الدين في دمشق من قبل الزوج الثاني للأمير صبيحة سلطان ابنة السلطان وحيد الدين الأمير المصري عبدالمؤمن؛ بيد أن الإنقلاب العسكري 1952 بمصر حال دون اتمام المشروع.



صورة:39؛ التركيبة الرخامية التي تعلو لحد السلطان محمد وحيد الدين بالصحن الخارجي لجامع السلطان سليم الأول في محيط التكية السليمانية بدمشق. وقد كتب على التركيبة الرخامية من جميع الأطراف آية الكرسي بالخط الديواني العثماني.



صورة:40؛ لواجهة التركيبة الرخامية المخروطية التي تعلو لحد السلطان محمد وحيد الدين بمقبرة السلاطين بدمشق؛ وقد كتب على شاهد القبربالخط الديواني:"هو الحي الباقي؛ السلطان بن السلطان؛ السلطان محمد وحيد الدين خان السادس روحنه الفاتحة (لروحه أقرأ سورة الفاتحة)؛ ولد في 21 شباط 1861م/20 رجب 1277هـ؛ وتوفي 16 مايس (مايو) 1926م/18 ذو الحجة 1345هـ"